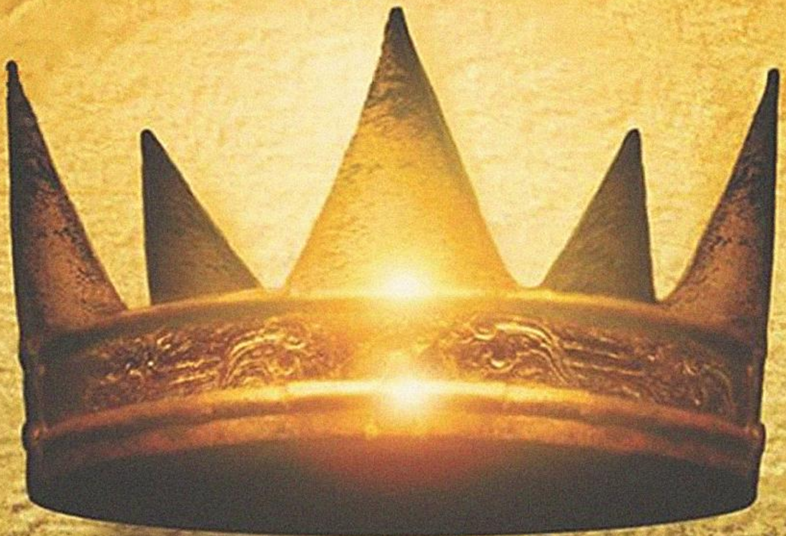
الكتاب الثاني من أغنية الجليد والنار

صدام الملوك



جورج ر.ر. مارتن

ترجمة هشام فهمي

التنوير

چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

صِدام الملوك

الجزء الثاني

الكتاب: صِدام الملوك II (الكتاب الثاني من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية
المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن
ترجمة: هشام فهمي
عدد الصفحات: 528 صفحة
الترقيم الدولي: 978-977-6483-92-7
رقم الناشر: 2015/22115
الطبعة الأولى: 2017

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:
A Clash of Kings by George R.R. Martin
Published by agreement with the author and the author's agents, The Lotts Agency Ltd

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت – بئر حسن – سنتر كريستال، الهزيم – الطابق الأول
هاتف: 009611843340
بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com
مصر: القاهرة – 2 شارع فؤاد سراج الدين (السرايا الكبرى سابقا) – جاردن سيتي
هاتف: 00227963545
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com

چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

صِدام الملوك

الجزء الثاني

ترجمة: هشام فهمي

التنوير

كاتلين

كانت السَّماء قد اكتسَت بحجابٍ من السَّواد الحالك بالفعل قبل أن يَبلُغوا القرية، ووجدَت كاتلين نفسها تتساءَل إن كان للمكان اسم، وإن كان له اسم، فقد أخذَ ساكنوه هذه المعلومة معهم عندما فرُّوا، بالإضافة إلى كلِّ ما يملكونه، بما في ذلك شموعِ السِّپت.

أوقدَ السير وندل مشعلًا وقادَها عبر الباب الواطئ، وفي الدَّاخل كانت الجُدران السَّبعة مشقَّقة ومعوجَّة. في طفولتها علَّمها السِّپتون أوزميند أن الإله واحد ولكن بسبعة وجوه، كما أن السِّپت مبنى واحد له سبعة جُدران. في المُدن تضمُّ السِّپتات الثَّريَّة تماثيل لـ«السَّبعة» ومذبحًا لكلٍّ منهم، وفي وينترفل يُعَلِّق السِّپتون كايل سبعة أقنعةٍ منحوتة على الجُدران، أمَّا هنا فلم تجد كاتلين غير رسومٍ متواضعة بالفحم. ثبَّت السير وندل المشعل في الحاملِ المجاور للباب، ثم خرجَ ينتظر مع روبار رويس.

تطلَّعت كاتلين إلى الوجوه بإمعان. «الأب» ملتحٍ كديدنه، و«الأُم» على شفتيها الابتسامة الحامية الحانية، و«المُحارِب» سيفُه مرسوم تحت وجهه، و«الحدَّاد» يحمل مطرقته، و«العذراء» جميلة القسمات، و«العجوز» تبدو في أرذل العُمر وإنما حكيمة.

والوجه السَّابع... «الغريب» ليس ذَكرًا أو أنثى لكن كليهما، منبوذ دومًا وهائم أبدًا في البقاع القصيَّة، أكثر وأقلّ من إنسان، مجهول وما لسبْر أغواره من سبيل. وجهه هنا بيضاوي أسود، ظِلٌّ له نجمتان مكان العينين، وقد أصابَ

كاتلين بالاضطراب، فعلمَت أنها لن تنال غير نزرٍ يسيرٍ من الطُّمأنينة التي تَنشُدها هنا.

ركعَت أمام «الأُم»، وابتهلَت قائلةً: «يا سيِّدتي، انظُري من عليائكِ بعينيِّ الأُم، فكلهم أبناء. اعفي عنهم إذا استطعتِ، واعفي عن أبنائي أيضًا، واحفظي روب وبران وريكون. ليتني كنتُ معهم الآن».

في الجِدار الذي تحتلُّه «الأُم» صدع يمرُّ بعينها اليُسرى، جاعلًا إياها تبدو كأنها تبكي. كان صوت السير وندل الجهوري يَبلُغ مسامع كاتلين، وبين الحين والآخَر إجابات السير روبار الهادئة، إذ تكلَّما عن المعركة المقبِلة، لكن فيما عدا ذلك كان المساء ساكنًا تمامًا، فلم تسمعَ صريرًا لصُرصور حقلٍ حتى، بينما حافظَت الآلهة على صمتها. هل أجابَتك آلهتك من قبل يا ند؟ عندما كنت تركع أمام شجرة القلوب، هل كانت تسمعك؟

تراقصَ ضوء المشعل المتذبذب على الجُدران، ليجعل الوجوه تبدو أقرب إلى الحياة، ويُشَوِّهها، ويُبَدِّلها. وجوه التَّماثيل في سِپتات المُدن الكبيرة هي الوجوه التي شكَّلها النحَّاتون، لكن رسوم الفحم الرَّديئة هذه كانت شديدة البساطة، حتى إنها من الممكن أن تكون أيَّ أحد. حدا بها وجه «الأب» إلى التَّفكير في أبيها الذي يُحتضَر في فِراشه في ريڤررَن، و«المُحارِب» هو رنلي وستانيس، روب وروبرت، چايمي لانستر وچون سنو... بل إنها لمحَت الخطوط تُكَوِّن وجه آريا لحظةً واحدةً، قبل أن تهبَّ الرِّيح من الباب محرِّكةً اللَّهب، فراحَ التَّشابُه وذابَ في الوهج البرتقالي.

أحرقَ الدُّخان عينيها، ففركَتهما برُسغيِّ يديها النَّدبيتين، وحين رفعَت بصرها إلى «الأُم» مجدَّدًا، رأت أمَّها هي. لقد ماتَت الليدي مينيسا تَلي أثناء المخاض، إذ حاولَت أن تُنجِب للورد هوستر ابنًا ثانيًا، وماتَ الرَّضيع معها، وبَعد ذلك خبا شيء من الحياة في أبي كاتلين. فكَّرت كاتلين وهي تتذكَّر يديَّ أمِّها الرَّقيقتين وابتسامتها الدَّافئة: لطالما كانت هادئةً. لو أنها عاشَت، لاختلفَت حياتنا كثيرًا، وتساءلَت عن تأويل الليدي مينيسا لأفعال ابنتها الكُبرى الرَّاكعة أمامها ها هنا. سافرتُ آلافًا من الفراسخ، فمن أجل ماذا؟ مَن

نفعتُ؟ لقد فقدتُ ابنتيَّ، وروب لا يُريدني، ولا بُدَّ أن بران وريكون يحسبانني أمًّا حجريّةَ القلب باردة المشاعر. حتى ند لم أكن معه حين ماتَ...

دارَ رأسها وشعرَت كأن السِّپت يتحرَّك من حولها، وتمايلَت الظِّلال وتبدَّلت فبدَت كحيواناتٍ مراوغة تتسابَق على الجُدران البيضاء المشقَّقة. لم تأكل كاتلين لقمةً اليوم، ولعلَّ هذه حماقةً منها. قالت لنفسها إنه لم يكن هناك وقت، لكن الحقيقة أن الطَّعام فقدَ مذاقه في عالمٍ بلا ند. عندما قطعوا رأسه، قتَلوني معه.

طقطقَ لهب المشعل من خلفها، وخُيِّلَ لها فجأةً أنها ترى وجه أختها على الجِدار، وإن كانت العينان أقسى مما تذكَّرت، ليستا عيني لايسا بل سرسي. سرسي أمٌّ أيضًا، وأيًّا كان أبو هؤلاء الأطفال، فقد أحسَّت بهم يرَكُلون في داخلها، وأتَت بهم إلى العالم في خضمٍّ الألم والدَّم، وأرضعَتهم من ثدييها. إذا كانوا أولاد چايمي حقًّا...

سألَت كاتلين «الأم»: «هل تُصَلِّي سرسي أيضًا لكِ يا سيِّدتي؟». كانت ترى أسارير الملكة ابنة لانستر الباردة الجميلة الأنوف مطبوعةً على الجِدار، والصَّدع لا يزال في مكانه. حتى سرسي نفسها من الممكن أن تبكي من أجل أطفالها. قال لها السِّپتون أوزميند ذات مرَّةٍ إن كلًّا من «السَّبعة» يُجَسِّد «السَّبعة» كلهم، ففي «العجوز» جَمال كما في «العذراء»، و«الأُم» تستطيع أن تكون أضرى من «المُحارِب» لو أن أطفالها في خطر. نعم...

لقد رأت روبرت باراثيون في وينترفل بما فيه الكفاية لتُدرِك أن الملك لم يكن يُعامِل چوفري بوُدٍّ شديد، ولو كان الصَّبي من صُلب چايمي حقًّا، لكان روبرت قد قتلَه مع أمِّه، وكان قلائل ليُدينوا فعلته. النُّغول منتشرون في كلِّ مكان، لكن سِفاح القُربى خطيئة وحشيَّة عند الآلهة القديمة والجديدة، وثمار هذا الشَّرِّ يُسَمُّون مسوخًا في السِّپت وأيكة الآلهة على حَدٍّ سواء. كان ملوك التَّنانين يُزَوِّجون الإخوة أخواتهم، لكنهم كانوا من دم ڤاليريا القديمة، حيث شاعَت تلك الممارَسات، وكتنانينهم لم يكن آل تارجاريَن يخضعون لآلهةٍ أو بَشر.

لا بُدَّ أن ند كان يعرف، واللورد آرن من قبله، فلا غرو أن الملكة قتلَت

الاثنين. هل يُمكنني أن أفعل أقلَّ في سبيل أطفالي؟ ضمَّت كاتلين يديها شاعرةً بالشَّدِّ في أصابعها التي انغرسَ فيها خنجر القاتل المأجور حتى العظم وهي تُقاتِل من أجل ابنها، ثم إنها همسَت خافضةً رأسها: «بران أيضًا يعرف». بحَقِّ الآلهة، لا بُدَّ أنه رأى أو سمعَ شيئًا، ولهذا حاولوا قتله في فِراشه.

شاعرةً بالضَّياع والإرهاق، سلَّمت كاتلين نفسها لآلهتها. ركعَت أمام «الحدَّاد» الذي يُصلِح المكسور من الأشياء، ودعَته أن يكتنف جميلها بران بحمايته، ثم ذهبَت إلى «العذراء» وتضرَّعت إليها أن تبثَّ شَجاعتها في آريا وسانزا، وأن تقي ما لديهما من براءة، ولـ«الأب» صلَّت طالبةً العدالة، والقوَّة للسَّعي إليها والحكمة للتعرُّف عليها، وسألَت «المُحارِب» أن يُثَبِّت خُطى روب ويحميه في المعارك، وأخيرًا التفتَت إلى «العجوز»، التي غالبًا ما تُظهِرها تماثيلها حاملةً مصباحًا بيدها، ودعَتها قائلةً: «أرشِديني يا سيِّدتي، أريني الدَّرب الذي عليَّ أن أقطعه، ولا تدعيني أتعثَّر فيما ينتظرنا من أماكن مظلمة».

أخيرًا سمعَت وقع أقدام من ورائها وجلبةً عند الباب، وقال السير روبار برفق: «سيِّدتي، أستميحكِ العُذر، لكن وقتنا هنا انتهى، ويجب أن نعود قبل مطلع الفَجر».

نهضَت كاتلين بأطرافٍ متيبِّسة، وآلَمتها رُكبتاها بشدَّة، حتى إنها كانت لتدفع ثمنًا غاليًا مقابل أن تحظى بفِراشٍ من الرِّيش ووسادةٍ لحظتها، لكنها قالت: «أشكرك أيها الفارس. أنا جاهزة».

بصمتٍ حملَتهم خيولهم عبر منطقةٍ غابيَّة تميل أشجارها القليلة كالسَّكارى بعيدًا عن البحر، وقادَهم صهيل الخيول العصبي وصلصلة السِّلاح إلى معسكر رنلي، وقد تدرَّعت صفوف الرِّجال والجياد الطَّويلة بالظَّلام، سوداء كأن «الحدَّاد» نفسه طرَّق من اللَّيل فولاذًا. على يمينها كانت رايات، وعلى شِمالها رايات، ومن أمامها صفوف وصفوف من الرَّايات، لكن في ظُلمة ما قبل الفَجر لا يختلف لون عن لون أو رمز عن رمز. جيش رمادي، رجال رماديُّون على خيولٍ رماديَّة تحت راياتٍ رماديَّة. رفعَ فُرسان رنلي المسربَلين بالسَّواد رماحهم إلى أعلى بينما جلسوا على صهوات خيولهم

ينتظرون، ومرَّت كاتلين من خلال غابةٍ من الأشجار الطَّويلة العارية، مسلوبة الأوراق والحياة. كان الظَّلام أعمق وأحلك حيث تقف ستورمز إند، حائط من الأسود لا تلوح لمعة نجم واحد من خلاله، وإن رأت المشاعل تتحرَّك هنا وهناك في المرج حيث أقامَ اللورد ستانيس معسكره.

جعلَت الشُّموع المُضاءة داخل سُرادق رنلي الحوائط الحرير اللَّامعة تبدو كأنها تتوهَّج، محوِّلةً الخيمة الكبيرة إلى قلعةٍ سِحريَّة بَثَّ فيها الضَّوء الزمرُّدي الحياة. كان اثنان من حَرس قوس قزح يقفان عند مدخل السُّرادق الملكي، وومضَ الضَّوء الأخضر على نحوٍ غريب على ثمار البرقوق الأرجوانيَّة المنقوشة على معطف السير پارمن، وبدرجة لونٍ مغثيةٍ صبغَ ورود عبَّاد الشَّمس التي غطَّت كلَّ شبرٍ من دِرع السير إمون الصَّفراء المطليَّة بالمينا. من خوذتيهما انتصبَت ريشتان طويلتان من الحرير، وعلى كتفيهما انسدلَ معطفان بألوان قوس قزح.

في الدَّاخل وجدَت كاتلين برِيان تُلبِس الملك دِرعه استعدادًا للمعركة، بينما ناقشَ اللوردان تارلي وروان التَّرتيبات والمخطَّطات. كان الجَوُّ دافئًا على نحوٍ سار في الدَّاخل، حيث تنبعث الحرارة من الفحم المشتعل في دستةٍ من المستوقَدات الحديد. «يجب أن أتكلَّم مع جلالتك»، قالت مانحةً إياه لقب الملك هذه المرَّة، أيَّ شيءٍ يجعله ينتبه إليها.

أجابَ رنلي بينما ثبَّتت برِيان واقي الظَّهر بواقي الصَّدر حول سُترته المبطَّنة: «لحظة يا ليدي كاتلين». ارتدى الملك دِرعًا ذات لونٍ أخضر ناضر، أخضر ورق الشَّجر العميق في غابةٍ صيفيَّة، داكن لدرجة أنه تشرَّب ضوء الشُّموع، وتألَّقت الزَّخارف البارزة والأبازيم الذَّهبيَّة كأنها نيران مشتعلة من بعيدٍ في تلك الغابة، فتومض كلما تحرَّك. «أكمِل يا لورد ماثيس».

قال ماثيس روان رامقًا كاتلين بنظرةٍ جانبيَّة: «يا جلالة الملك، كما كنتُ أقولُ، خُطط المعركة جاهزة للتَّنفيذ، فلِمَ ننتظر حتى الفَجر؟ أطلِق نفير الهجوم الآن».

– «وأجعلُ الناس تقول إنني انتصرتُ بالخيانة والهجوم الغادر؟ الفَجر هو السَّاعة المختارة».

علَّق راندل تارلي: «هذا اختيار ستانيس. إنه يُريدنا أن ننقضَّ والشَّمس المشرقة في وجوهنا، ما سيجعلنا شِبه عميان».

قال الملك بثقة: «حتى الصَّدمة الأولى فقط. سوف يخترق السير لوراس صفوفهم، وبَعدئذٍ ستسود الفوضى». شدَّت بريان أحزمةً جِلديَّةً خضراء، وثبَّتت أبازيم ذهبيَّة، بينما تابعَ: «عندما يَسقُط أَخي، فاحرِصوا على ألَّا يُهان جُثمانه. إنه من دمي، ولن أسمح باستعراض رأسه المقطوع على رُمح».

سألَ اللورد تارلي: «وإذا استسلمَ؟».

ضحكَ اللورد روان قائلًا: «ستانيس يستسلم؟ عندما حاصرَ مايس تايرل ستورمز إند، فضَّل ستانيس أكْل الجرذان على فتح بوَّاباته».

قال رنلي: «أذكرُ هذا»، ورفعَ ذقنه ليُتيح لبِريان تثبيت واقي العُنق في مكانه، وواصلَ: «قُرب النِّهاية، حاولَ السير جاون وايلد وثلاثة من فُرسانه التسلُّل من بوَّابةٍ خلفيَّة بغية أن يستسلموا، وضبطَهم ستانيس وأمرَ بقذفهم من فوق الأسوار بالمجانيق. ما زلتُ أرى وجه جاون وهُم يُقَيِّدونه بالمنجنيق. كان قيِّم السِّلاح في القلعة».

بدَت الحيرة على اللورد روان وهو يقول: «لم يَحدُث أن قُذِفَ رجال من فوق الأسوار. كنتُ لأذكر حادثةً كتلك».

رَدَّ رنلي: «المِايستر كرِسن قال لستانيس إننا قد نُجبَر على أكْل موتانا، فلا فائدة من التخلُّص من اللَّحم الجيِّد»، ورفعَ شَعره إلى الوراء لتربطه بِريان بشريطٍ من القطيفة، ثم ثبَّتت قبَّعةً مبطَّنة حول رأسه وفوق أُذنيه، لتُخَفِّف وزن الخوذة. «بفضل فارس البصل لم تصل بنا الحال إلى أكْل الجُثث، وإن دنونا من ذلك جدًّا، خصوصًا أن السير جاون ماتَ في زنزانته».

كانت كاتلين تنتظر بصبر، لكن الوقت يضيق، فرفعَت صوتها قائلةً: «يا جلالة الملك، لقد وعدتني بفُرصةٍ للكلام معك».

أومأَ رنلي برأسه، وقال: «راجعوا خُططكم أيها السَّادة... أوه، وإذا كان باريستان سلمي في صَفِّ أخي، فلا أريدُ أن يمسَّه أذى».

قال اللورد روان باستنكار: «ليست هناك أيُّ أخبارٍ عن سلمي منذ طردَه جوفري».

- «هذا العجوز أعرفه جيِّدًا. إنه يحتاج ملكًا يحميه، وإلّا فمَن يكون؟ ومع ذلك لم يأتِ إليَّ، والليدي كاتلين تقول إنه ليس مع روب ستارك في ريڤررَن، فأين عساه يكون إلّا مع ستانيس؟».

- «كما تأمر يا جلالة الملك. لن يُصيبه أذى»، وانحنى اللوردات بشدَّةٍ ثم انسحَبوا من السُّرادق.

قال رنلي: «قولي ما ترغبين في قوله يا ليدي ستارك»، بينما ثبَّتت بريان معطفه على كتفيه العريضتين، وكان مصنوعًا من قُماش الذَّهب، ثقيلًا ويُزَيِّنه وعل باراثيون المتوَّج برُقاقاتٍ من الكهرمان الأسود.

- «آل لانستر حاوَلوا اغتيال ابني بران. لقد سألتُ نفسي ألف مرَّةٍ عن الدَّافع، وأعطاني أخوك الإجابة. كان هناك صيد يوم سقطَ، وخرجَ روبرت وند ومعظم الرِّجال الآخَرين ليُلاحِقوا الخنازير البرِّيَّة، لكن چايمي لانستر بقيَ في وينترفل، والملكة كذلك».

لم يتوانَ رنلي في استيعاب مضمون كلامها، فقال: «تعتقدين إذن أن الصَّبي ضبطَهما يزنيان...».

- «أتوسَّلُ إليك يا سيِّدي، أعطِني الإذن بالذَّهاب إلى أخيك ستانيس لأُخبِره بشكوكي».

- «لأيِّ غرض؟».

- «سيخلع روب تاجه إذا فعلت المِثل أنت وأخوك»، قالت متمنِّيةً أن يكون ذلك صحيحًا، ولسوف تجعله صحيحًا لو اضطرَّت. روب سيُصغي إليها حتى لو رفضَ لورداته. «فليدعُ ثلاثتكم إلى مجلسٍ سامٍ لم تشهد البلاد له مثيلًا منذ مئة عام، وسنُرسِل إلى وينترفل كي يحكيَ برانٌ ما لديه ويعرف النَّاس كلهم أن آل لانستر غاصِبون. دَع جموع لوردات الممالك السَّبع يختارون من يَحكُمهم».

ضحكَ رنلي وقال: «أخبِريني يا سيِّدتي، هل تُصَوِّت الذِّئاب الرَّهيبة على مَن يقود القطيع؟». أحضرَت بريان قُفَّازي الملك وخوذته العظيمة، المتوَّجة بأسلات الوعل الذَّهبيَّة التي تُضيف قدمًا ونِصفًا إلى طوله، وأكملَ هو: «فاتَ أوان الكلام، والآن سنرى من الأقوى»، وثبَّت رنلي القُفَّاز الأخضر والذَّهبي

المكسوَّ بالصَّفائح المعدنيَّة على يده اليُسرى، بينما ركعَت بِريان لتُثبِّت إبزيم حزامه، الذي أثقلَه السَّيف الطَّويل والخنجر في غِمديهما.

- «أتوسَّلُ إليك باسم «الأم»...»، كانت كاتلين تقول، عندما هبَّت الرِّيح فجأةً فاتحةً باب الخيمة، وخُيِّلَ إليها أنها لمحَت حركةً ما، لكن عندما دارَت برأسها رأت أنه ظِلُّ الملك الذي يتمايَل على الحائط الحرير، وسمعَت رنلي يبدأ في إلقاء دُعابةٍ ما، بينما يتحرَّك ظِلُّه رافعًا سيفه، أسود على خلفيَّةٍ خضراء، وضوء الشُّموع يتذبذَب ويرتعش... شيء ما غريب، شيء ما خطأ... ثم إنها رأت سيف رنلي مدسوسًا في غِمده، بينما السَّيف الظِّل...

بصوتٍ هامسٍ حائرٍ قال رنلي: «يا للبرودة»، وبَعدها بنبضة قلبٍ واحدةٍ انفلقَ فولاذ الواقي المحيط بعُنقه كأنه قطعة من الشَّاش تحت ظِلِّ سيفٍ ليس موجودًا حقًّا، ولم يُسعِف الوقت رنلي إلَّا بإطلاق شهقةٍ خفيضة قبل أن تنبثق الدِّماء من حَلقه.

- «جلالة الـ... لا!»، صرخَت بِريان الزَّرقاء عندما رأت هذا الشَّرَّ يسري أمامها، وقد تمكَّن الخوف من صوتها كأيِّ فتاةٍ صغيرة، وتهاوى الملك بين ذراعيها والدَّم يسيل بغزارةٍ على وجه دِرعه كشلَّالٍ أحمر قانٍ أغرقَ الأخضر والذَّهبي. تذبذبَ المزيد من الشُّموع، وحاولَ رنلي أن يتكلَّم، لكنه كان يختنق بدمائه، وتداعَت ساقاه دون أن يُثبِّته شيء غير قوَّة بِريان، التي ألقَت رأسها إلى الوراء وانفجرَت صارخةً وقد أعجزَتها اللَّوعة عن الكلام.

الظِّل. شيء شرِّير أسود حدثَ هنا، تعرف هذا وتعرف أنها لا تستوعبه على الإطلاق. رنلي لم يُلقِ هذا الظِّل. الموت دخلَ من الباب واستلبَ منه الحياة بسُرعة إخماد الرِّيح لشموعه.

ثوانٍ معدودة مرَّت قبل أن يقتحم روبار رويس وإمون كاي المكان، وإن أحسَّت كاتلين أن نِصف اللَّيل انقضى قبل أن يفعلا، ومن ورائهما أقبلَ اثنان من الجنود يحملان مشعلين، ولمَّا رأوا رنلي بين ذراعي بِريان وقد أغرقَتها دماؤه، أطلقَ السير روبار صيحة جزع، بينما صرخَ السير إمون المدرَّع بالفولاذ المزيَّن بعبَّاد الشَّمس: «امرأة ملعونة! ابتعدي عنه أيتها الحقيرة!».

قال السير روبار: «بحَقِّ الآلهة يا بِريان، لماذا؟».

رفعَت بريان عينيها عن جثَّة مليكها، وقد اصطبغَ معطف قوس قزح الذي ترتديه بالأحمر حيث تشرَّب النَّسيج دم الملك، وهمهمَت: «أنا... أنا...».

قال السير إمون: «ستموتين لهذا»، واختطفَ فأسًا حربيَّةً طويلة المقبض من كومة الأسلحة المجاورة للباب، وأضافَ: «ستدفعين حياتكِ ثَمنًا لحياة الملك!».

صرخَت كاتلين ستارك وقد عثرَت على صوتها أخيرًا: «**لا!**»، وإنما بَعد فوات الأوان، إذ استحوذَ جنون الدَّم عليهما بالفعل، وانقضَّ كلٌّ منهما على الثَّاني بصيحاتٍ طغَت على نبرتها النَّاعمة.

تحرَّكت بِريان بسرعةٍ لم تُصَدِّقها كاتلين، ولم يكن سيفها في متناولها، فاختطفَت سيف رنلي من غِمده ورفعَته لتَصُدَّ فأس إمون التي هوَت ضربتها عليها من أعلى، فتفجَّرت شرارة تألَّقت بالأبيض المزرق عندما ارتطمَ الفولاذ بالفولاذ بصوتٍ يصمُّ الآذان، ثم أسرعَت بِريان تنهض لتَسقُط جثَّة الملك جانبًا بخشونة، فتعثَّر السير إمون في الجثَّة وهو يُحاوِل الدُّنو منها، وجَزَّ سيف بِريان مقبض الفأس ليطير رأسها دائرًا في الهواء. دفعَ رجل آخَر مشعله في ظَهرها، لكن معطف قوس قزح كان مشبَّعًا بالدَّم فلم تنشب فيه النَّار، ودارَت بِريان على عقبيها، وبَعد لحظةٍ كان المشعل واليد التي تحمله على الأرض. زحفَ اللَّهب على البساط، وبدأ الرَّجل مبتور اليد يَصرُخ، وألقى السير إمون مقبض الفأس ومَدَّ يده إلى سيفه، بينما انقضَّ الجندي الثاني، فتفادَته بِريان، ورقصَ سيفاهما معًا وصلصَلا، وعندما عادَ إمون كاي إلى حومة القتال، وجدَت بِريان نفسها مرغمةً على التَّراجُع، وإن نجحَت بشكلٍ ما في صَدِّ كَرِّ الرَّجلين عليها.

وعلى الأرض مال رأس رنلي جانبًا على نحوٍ مغثٍ، وفي حَلقه انفتحَ فم آخَر يتثاءَب، والدَّم يَخرُج منه بدفقاتٍ بطيئة.

كان السير روبار قد ظلَّ بمنأى عن القتال، غير واثقٍ بما يجب أن يفعله، لكنه مَدَّ يده إلى مقبض سيفه الآن، فأطبقَت كاتلين على ذراعه قائلةً: «روبار، اسمعني، لا. إنك مخطئ بشأنها، لم تكن هي من قتلَته. **ساعِدها!** اسمعني، ستانيس هو من فعلَها». وجدَت الاسم على شفتيها دون أن تدري كيف، لكنها

أدركَت أنها الحقيقة بمجرَّد أن لفظَته. «أقسمُ لك، أنت تعرفني، ستانيس هو من قتلَه».

حدجَ فارس قوس قزح الشَّاب هذه المرأة المخبولة بعينين شاحبتين خائفتين، وغمغمَ: «ستانيس؟ كيف؟».

- «لا أدري. كانت شعوذةً، سِحرًا أسود ما، كان هناك ظِل، ظِل!». شعرَت بوقْع صوتها مهتاجًا مجنونًا على مسامعها، لكن الكلمات انصبَّت منها كشلَّال بينما تقارعَت السُّيوف من خلفها. «ظِلٌّ يحمل سيفًا، أقسمُ لك، رأيته بنفسي. أأنت أعمى؟ الفتاة كانت تُحِبُّه! ساعِدها!»، ونظرَت كاتلين وراءها، فرأت الجندي الثَّاني يَسقُط وتتخلَّى أصابعه المرتخية عن سيفه. كانت تعرف أن مزيدًا من الرِّجال الغاضبين سيقتحمون المكان عليهم بَعد لحظات، فقالَت: «إنها بريئة يا روبار. أعطيك كلمتي وأقسمُ بقبر زوجي وشَرفي كبنت ستارك!».

هنا حزمَ السير روبار أمره، وقال: «سأصدُّهم. أخرِجيها من هنا»، ودارَ واتَّجه إلى الخارج.

كانت النَّار قد طالَت الحائط وتزحف على جانب الخيمة، والسير إمون يُضَيِّق على بِريان بشدَّة، هو بدِرعه الفولاذ الصَّفراء المطليَّة بالمينا، وهي بثيابها الصُّوف، لكنه كان قد نسيَ كاتلين حتى هوى المستوقَد الحديد على مؤخِّرة رأسه، ولأنه يرتدي خوذته، فلم تُحدِث الضَّربة ضررًا مزمنًا، وإن كانت كافيةً لأن يَسقُط الفارس على رُكبتيه، فقالت كاتلين بنبرةٍ آمرة: «بِريان، تعالي معي»، ولم تتباطأ الفتاة في اغتنام الفُرصة، وبضربةٍ من سيفها انشقَّ حرير الخيمة الأخضر، وخرجَت الاثنتان إلى الظَّلام وبرد ما قبل الفَجر. قالت كاتلين بلهفة: «مِن هنا، وببُطء. يجب ألَّا نجري، وإلَّا سيسألونا عن السَّبب. امشي على مهل كأن كلَّ شيءٍ على ما يُرام».

ثبَّتت بِريان سيفها في حزامها وتحرَّكت إلى جوار كاتلين. أفعمَت رائحة المطر هواءَ اللَّيل، ومِن ورائهما تأجَّج اللَّهب في سُرادق الملك، وارتفعَت ألسنته عاليًا تُضيء الظُّلمة، لكن أحدًا لم يُحاوِل اعتراض طريقهما على الإطلاق، واندفعَ الرِّجال مارِّين بهما، يَصرُخون بأشياء عن الحريق والقتل

والشَّعوذة، بينما وقفَ آخَرون في مجموعاتٍ صغيرة يتكلَّمون بأصواتٍ خفيضة، قليل منهم يُصَلِّي، وثمَّة مُرافِق فارسٍ شاب جالس على رُكبتيه يبكي بحرارة.

كان جيش رنلي يتفسَّخ بالفعل مع سريان الشَّائعات من فم إلى فم، ومن مشاعل اللَّيل لم يتبقَّ غير جذواتٍ صغيرة، وبينما بدأ الشَّرق يُنيِّر، تجلَّت كُتلة ستورمز إند الهائلة كحُلم من حجر، وتسابقَت خيوط من الضَّباب الشَّاحب فوق المرج، وقد أتَت طَائرةً من الشَّمس على أجنحةٍ من الرِّيح. ذات مرَّةٍ سمعَت العجوز نان تُسَمِّيها «أشباح الصُّبح»، الأرواح العائدة إلى قبورها... ورنلي واحد منها الآن، رحلَ كأخيه روبرت، كحبيبها ند.

قالت بريان وهما تسيران بهدوءٍ وسط الفوضى الضَّاربة أطنابها في المعسكر: «لم أحتضنه قَطُّ إلَّا وهو يموت». كان وقْع صوتها يشي بأنها على وشك الانهيار في أيِّ لحظة، وتابعَت: «في لحظةٍ كان يضحك، وفجأةً أغرقَ الدَّم كلَّ شيء... سيِّدتي، أنا لا أفهمُ حقًّا. هل رأيتِ؟ هل...».

- «رأيتُ ظِلًّا. في البدء حسبته ظِلَّ رنلي، لكنه كان ظِلَّ أخيه».

- «اللورد ستانيس؟».

- «لقد شعرتُ به. أعرفُ أن هذا لا يُعقَل...».

لكنه بدا معقولًا بما فيه الكفاية لبريان، وبحسمٍ قالت الفتاة الطَّويلة القبيحة: «سأقتله، بسيف سيِّدي سأقتله. أقسمُ على هذا، أقسمُ على هذا، أقسمُ على هذا».

كان هال مولين وبقيَّة مُرافِقيها ينتظرون مع الخيول، وبلهفةٍ على معرفة ما يجري اندفعَ السير وندل ماندرلي يقول حين رآهما: «سيِّدتي، المعسكر كله أُصيبَ بالجنون. اللورد رنلي، هل...»، ثم بترَ عبارته محدِّقًا في بِريان والدِّماء التي تُغرِقها.

- «مَاتَ، لكن ليس بأيدينا».

قال هال: «المعركة...».

قاطعَته: «لن تكون هناك معركة»، وامتطَت حصانها فاتَّخذ مُرافِقوها مواضعهم حولها، السير وندل إلى يسارها والسير پروين فراي إلى يمينها،

وخاطبَت الفتاة قائلةً: «بِريان، معنا خيول تكفي ضِعف عددنا. اختاري واحدًا وتعالي معنا».

- «لديَّ حصاني يا سيِّدتي، ودِرعي...».

- «اترُكيهما. يجب أن نكون قد ابتعدنا قبل أن يُفَكِّروا في البحث عنا. كلتانا كانت مع الملك عندما قُتِلَ، وهذا لن يُنسى أبدًا». لم تُعَلِّق بِريان وفعلَت كما دعَتها كاتلين، التي قالت آمرةً لرجالها عندما امتطوا خيولهم جميعًا: «تحرَّكوا، وإذا حاولَ أحدهم اعتراض طريقنا، اقتُلوه».

تفتَّحت أصابع الفَجر الطَّويلة في السَّماء فوق الحقول، وبدأت الألوان ترجع إلى الدُّنيا، وحيث كان الرِّجال الرَّماديُّون يركبون خيولًا رماديَّةً ويتسلَّحون برماحٍ من ظِل، تألَّقت رؤوس عشرة آلافٍ من تلك الرِّماح الآن بلونٍ فضِّيٍّ بارد، وعلى الرَّايات الخافقة اللا نهائيَّة، رأت كاتلين تورُّد الأحمر والوردي والبرتقالي، وعُمق الأزرق والبنِّي، ولهيب الذَّهبي والأصفر، رأت كلَّ قوَّة ستورمز إند وهايجاردن، القوَّة التي كانت ملكًا لرنلي منذ ساعةٍ واحدة. إنهم ينتمون لستانيس الآن، حتى وإن لم يُدرِكوا هذا بَعد. إلى مَن سينضمُّون إن لم يكن الباراثيون الأخير؟ ستانيس فازَ بهم جميعًا بضربةٍ شرِّيرةٍ واحدة.

دارَت في خلدها كلمات ستانيس، الذي أعلنَ بفَكٍّ مضغوط بشدَّةٍ كالحديد: أنا الملك الشَّرعي، وخيانة ابنكِ لا تقلُّ عن خيانة أخي هذا، وسوف يأتي يومه.

واقشعرَّ جسدها.

چون

ارتفعَ التَّلُّ فوق أشجار الغابة الكثيفة المتشابكة منعزلًا خاطفًا، وقد لاحَت أعاليه المكشوفة للرِّيح من بُعد أميال. يقول الجوَّالة إن الهَمج يُسَمُّونه «قبضة البَشر الأوائل»، وخطرَ لچون سنو أن التَّلَّ يتَّخذ بالفعل شكل قبضةٍ تنبثق من قلب الأرض والغابة، وتتجلَّى منحدراته البنِّيَّة الجرداء كمفاصل أصابعٍ من حجر.

ركبَ حصانَه إلى القمَّة في صُحبة اللورد مورمونت وسائر القيِّمين، تاركًا جوست تحت الأشجار في الأسفل. كان الذِّئب الرَّهيب قد فرَّ ثلاث مرَّاتٍ وهُم يصعدون، وعادَ مرَّتين على مضضٍ بصفيرٍ من چون، وفي المرَّة الثَّالثة نفدَ صبر حضرة القائد، وقال بحدَّة: «دَعه يذهب يا فتى. أريدُ أن أبلغ القمَّة قبل الغَسق. اعثُر على الذِّئب فيما بَعد».

كان الطَّريق إلى أعلى حجريًّا شديد الانحدار، وتوَّج القمَّة سور بارتفاع الصَّدر من الصُّخور، فاضطرُّوا لأن يدوروا مسافةً طويلةً نوعًا إلى الغَرب، قبل أن يجدوا ثغرةً واسعةً بما يكفي لأن تَدخُل منها الخيول. قال الدُّب العجوز عندما وصلوا إلى القمَّة أخيرًا: «هذه أرض ممتازة يا ثورين، لا يُمكننا أن نتمنَّى أفضل منها. سنُقيم مخيَّمنا هنا وننتظر ذا النِّصف يد»، ثم ترجَّل حضرة القائد من فوق حصانه مزيحًا الغُداف عن كتفه، فنعبَ الطَّائر متذمِّرًا بصوتٍ عالٍ وحلَّق في الهواء.

المشهد من فوق ذُروة التَّلِّ آسر، لكن السُّور المستدير هو ما لفتَ انتباه چون، الأحجار الرَّماديَّة المعرَّضة لعوامل الجَوِّ المختلفة، وما يَكسوها من

رُقع الأُشنة البيضاء والطُّحلب الأخضر. يُقال إن «القبضة» كان حصنًا للبَشر الأوائل خلال فَجر العصور، وغمغمَ ثورين سمولوود: «مكان قديم وقوي».

ردَّد غُداف مورمونت صارخًا وهو يطير في دوائر مزعجة حول رؤوسهم: «قديم، قديم، قديم، قديم!».

دمدمَ مورمونت محدِّثًا الطَّائر: «صمتًا». لا تسمح كبرياء الدُّب العجوز له بالإقرار بالضَّعف، لكن چون لم ينخدع، ورأى بوضوحٍ أن مجاراة الرِّجال الأصغر سِنًّا أنهكَته كثيرًا.

قال ثورين وهو يسير بحصانه بمحاذاة حلقة الأحجار، والرِّيح تُحَرِّك معطفه المصنوع من فرو السمُّور: «سيكون الدِّفاع عن هذه المرتفعَات سهلًا إذا دعَت الحاجة».

رَدَّ الدُّب العجوز: «نعم، هذا المكان صالح»، ورفعَ ذراعه في الهواء، فحَطَّ الغُداف على ساعِده، لتخدش مخالبه ذراع قميص الحلقات المعدنيَّة الأسود.

تساءلَ چون: «وماذا عن الماء يا سيِّدي؟».

- «لقد عبرنا جدولًا عند سفح التَّل».

علَّق چون: «ارتفاع عالٍ لا بُدَّ من تسلُّقه من أجل شربة ماء، وخارج حلقة الأحجار كذلك».

سألَه ثورين: «هل تتكاسَل عن تسلُّق تَلٍّ يا ولد؟».

ولمَّا قال اللورد مورمونت: «ليس واردًا أن نجد مكانًا آخَر قويًّا كهذا. سنحمل الماء إلى أعلى ونحرص على أن يكون مخزوننا منه وافرًا»، رأى چون أن من العقل ألَّا يُجادِل. هكذا أُعطِيَ الأمر، وأقامَ إخوة حَرس اللَّيل مخيَّمهم داخل الحلقة الحجريَّة التي بناها البَشر الأوائل، فبدَت الخيام السَّوداء كأنها تنبت من التُّربة كعيش الغُراب بَعد المطر، وغطَّت الأغطية والأسِرَّة المحمولة الأرض العارية، بينما ربطَ الوكلاء الخيول في صفوفٍ طويلة وأطعَموها وسقوها، وهوى الحطَّابون بفؤوسهم على الأشجار في نور بَعد الظُّهر المتضائل، ليقطعوا ما يكفيهم من أخشابِ اللَّيلة، أمَّا البنَّاؤون فتولَّى عشرون منهم اقتلاع الشُّجيرات وحفْر المراحيض وحَلِّ حُزَم الخوازيق

المقوَّاة بالنَّار. قال الدُّب العجوز آمرًا: «أريدُ أن يُحفَر خندق عند كلِّ فتحةٍ في السُّور الدَّائري، وأن تُثبَّت فيه الخوازيق قبل هبوط الظَّلام».

بمجرَّد أن نصبَ خيمة حضرة القائد واعتنى بحصانيهما، نزلَ چون سنو التَّلَّ ليبحث عن جوست، وجاءَ الذِّئب الرَّهيب من فوره وهو صامت تمامًا. في لحظةٍ كان چون يذرع الأرض تحت الأشجار بخطواتٍ واسعة وقد راحَ يصفِر ويُنادي وحيدًا وسط الأخضر، وتحت قدميه أكواز الصَّنوبر وأوراق الشَّجر السَّاقطة، وفي اللَّحظة التَّالية كان الذِّئب الأبيض الضَّخم يمشي إلى جواره شاحب اللَّون كغيوم الصُّبح.

لكن جوست عادَ يتوقَّف ثانيةً عندما بلغا الحصن الدَّائري، ثم تقدَّم بحذرٍ يتشمَّم الثَّغرة في الحجر، قبل أن يتراجَع كأن ما اشتمَّه لم يُعجِبه، وحاولَ چون أن يُمسِكه من مؤخِّرة عُنقه ويَجُرَّه دُفعةً واحدةً إلى داخل الحلقة، ما وجدَه في غاية الصُّعوبة، فالذِّئب يُعادِله وزنًا، كما أنه أقوى منه كثيرًا. «جوست، ماذا بك؟!». لم يكن من عادته إطلاقًا أن يتوتَّر هكذا، وفي النِّهاية استسلمَ چون، وقال للذِّئب: «كما تُريد، اذهب إلى الصَّيد»، وراقبَته العينان الحمراوان وهو يعود أدراجه إلى وراء الأحجار المكسوَّة بالطَّحالب.

لا بُدَّ أنهم سيكونون آمنين هنا، فالتَّلُّ يكشف كلَّ ما حوله، والمنحدرات شديدة الوعورة والتحدُّر إلى الشَّمال والغَرب، وليست أحسن حالًا كثيرًا إلى الشَّرق، وعلى الرغم من ذلك، إذ توغَّل الغَسق وتسرَّبت الظُّلمة إلى الفراغات بين الأشجار، تعاظمَ إحساس چون بالتوجُّس، وقال لنفسه: إنها الغابة المسكونة. لعلَّ الأشباح تَسكُن هذا المكان، أرواح البَشر الأوائل. لقد كان مكانها ذات يوم.

قال چون لنفسه بصوتٍ عال: «كُفَّ عن التصرُّف كالأطفال»، وتسلَّق إلى أعلى الصُّخور المكوَّمة ليتطلَّع إلى الشَّمس الغاربة، ورأى النُّور يَبرُق كالذَّهب المطرَّق على صفحة النَّهر اللَّبني الذي ينحني مجراه جَنوبًا، أمَّا الأرض الواقعة عكس مجرى النَّهر فكانت أكثر وحشةً، تُفسِح فيها الغابة الكثيفة المجال لمجموعةٍ متجاورةٍ من التِّلال الحجريَّة العارية، التي ترتفع عاليةً مقفرةً إلى الشَّمال والغَرب، وفي الأُفق تقف الجبال كظِلٍّ عظيم، تمتدُّ سلسلة فوق سلسلة إلى بعيدٍ حيث يصطبغ العالم بمزيجٍ من الأزرق

والرَّمادي، والثَّلج يَغمُر ذُراها المحزَّزة دائمًا وأبدًا، فبدَت حتى من هذه المسافة جسيمةً باردةً لا حياة فيها.

أمَّا على مقربةٍ فالهيمنة للأشجار، وإلى الجَنوب والشَّرق امتدَّت الغابة متجاوزةً مدى بصر چون، شبكة لا نهائيَّة من الجذور والفروع ملوَّنة بألف درجةٍ من الأخضر، وهنا وهناك ثمَّة رُقعة من الأحمر حيث تشقُّ أشجار الويروود طريقها إلى أعلى وسط أشجار الصَّنوبر والحارس، أو من الأصفر حيث بدأت الأوراق العريضة في فِقدان ألوانها. عندما هبَّت الرِّيح، سمعَ صرير الأغصان التي تَكبُره عُمرًا، وحفَّت الأوراق بالآلاف، ومرَّت لحظة بدَت الغابة فيها بحرًا أخضر عميقًا، بحرًا مائجًا ضربَته عاصفة، أزليًّا أبديًّا مجهولًا.

فكَّر أن جوست ليس وحده بالتَّأكيد في الأسفل، فمن الجائز أن يكون هناك أيُّ شيءٍ يتحرَّك تحت هذا البحر، يزحف نحو الحصن الدَّائري في ظلام الغابة مستترًا أسفل الأشجار. أيُّ شيء على الإطلاق. وأنَّى لهم بأن يعرفوا؟ وقف فترةً طويلةً في مكانه، إلى أن توارَت الشَّمس وراء الجبال الشَّبيهة قممها بأسنان المنشار، وبدأ الظَّلام يفرض ملكوته على الغابة.

ناداه سامويل تارلي: «چون؟ خطرَ لي أنك أنت الواقف هنا. هل أنت بخير؟».

وثبَ چون من فوق كومة الصُّخور، وأجابَ: «بخير بما فيه الكفاية. كيف أبليت اليوم؟».

- «حسنًا، أبليتُ بلاءً حسنًا حقًّا».

لم يرغب چون في البوح بقلقه لصديقه، لا سيَّما أن ساموِيل تارلي كان قد بدأ يكتشف شَجاعته أخيرًا، وبدلًا من ذلك قال له: «الدُّب العجوز ينوي أن نقبع هنا في انتظار كورين ذي النِّصف يد ورجاله من بُرج الظِّلال».

قال سام: «يبدو مكانًا قويًّا. حصن دائري أقامَه البَشر الأوائل... أتعتقد أن معارك ما دارَت هنا؟».

- «بلا شَك. من الأفضل أن تُجهِّز طائرًا، فلا بُدَّ أن مورمونت سيرغب في إرسال الأخبار إلى «الجِدار»».

- «ليتني أستطيعُ إرسالها كلها. إنها تكره الحبس في الأقفاص».
- «كنت لتكرهه أيضًا لو أنك تستطيع الطَّيران».
- «لو أني أستطيعُ الطَّيران، لكنتُ في القلعة السَّوداء الآن، آكلُ فطائر الخنزير».

ربَّت چون على كتفه بيده المحروقة، وسارا معًا وسط المخيَّم. كانت نيران الطَّهي تُشعَل من حولهما، ومن فوقهما بدأت النُّجوم تظهر، بينما توهَّج ذيل شُعلة مورمونت الأحمر الطَّويل كأنه القمر. سمعَ چون الغِدفان قبل أن يراها، وقد نادى بعضها اسمه، فهذه الطُّيور لا تعرف الخجل عندما يتعلَّق الأمر بإصدار الضَّوضاء.

إنها تحسُّ ما أحسُّه. قال: «من الأفضل أن أذهب إلى الدُّب العجوز، فهو أيضًا يُصبِح مزعجًا عندما يجوع».

وجدَ مورمونت يتكلَّم مع ثورين سمولوود ونِصف دستةٍ من القيِّمين الآخَرين، وقالِ له العجوز بخشونة: «ها أنت ذا. أحضِر لنا النَّبيذ السَّاخن، فاللَّيل بارد».

قال چون: «أمرك يا سيِّدي»، وأشعلَ نارًا، ثم تناولَ برميلًا صغيرًا من مخزون نبيذ مورمونت الأحمر القويِّ المفضَّل، وصَبَّه في مِرجلٍ علَّقه فوق اللَّهب بينما أحضرَ بقيَّة المقادير. الدُّب العجوز دقيق للغاية إزاء النَّبيذ المتبَّل السَّاخن، هذا القَدر من القرفة وهذا القَدر من جوز الطِّيب وهذا القَدر من العسل، وليس قطرةً إضافيَّةً، كما يُضاف الزَّبيب والبندق والتُّوت المجفَّف، وإنما ليس اللَّيمون، الذي يعدُّ مورمونت إضافته إلى النَّبيذ أحطَّ أنواع البِدَع في الجَنوب، وهو الشَّيء الغريب، لأنه يتناوَل اللَّيمون مع بيرته الصَّباحيَّة دائمًا. يُصِرُّ حضرة القائد كذلك على أن يكون الشَّراب ساخنًا يُدفِئ المعدة، لكن لا يجب السَّماح له بالغليان أبدًا، وهكذا أبقى چون عينًا حريصةً على المِرجل.

كان يسمع الأصوات القادمة من الخيمة وهو يعمل، وچارمان بكويل يقول: «أسهل طريقٍ لدخول «أنياب الصَّقيع» هو اتِّباع النَّهر اللَّبني إلى منبعه، لكن إذا سلكنا ذلك الطَّريق، فسيعلم رايدر باقترابنا بكلِّ تأكيد».

قال السير مالادور لوك: «قد يَصلُح طريق «سُلَّم العملاق»، أو «الممر الصَّادح» لو أنه خالٍ من العقبات».

تصاعدَ البُخار من النَّبيذ، فرفعَ چون المِرجل عن النَّار، وملأ ثمانية أقداح حملَها إلى الدَّاخل. كان الدُّب العجوز يفحص الخريطة البدائيَّة التي رسمَها سام في تلك اللَّيلة في قلعة كراستر، وأخذَ قدحًا من على صحفة چون وجرَّب جرعةً من النَّبيذ، ثم هَزَّ رأسه باستحسانٍ مقتضب، وحَطَّ غُدافه على ذراعه قائلًا: «ذُرة، ذُرة، ذُرة!».

رفعَ السير أوتين ويذرز يده ممتنعًا عن النَّبيذ، وقال بصوتٍ رفيعٍ متعَب: «لا أنصحُ بدخول الجبال على الإطلاق. إن قضمة «أنياب الصَّقيع» لقاسية حتى في الصَّيف، بينما الآن... إذا داهمَتنا عاصفة...».

قال مورمونت: «لا أنوي المغامَرة بدخول «أنياب الصَّقيع» إلَّا مضطرًّا، فالهَمج لا يستطيعون التعيُّش على الثَّلج والحجارة أكثر منا، وسيبزغون من المرتفَعات عمَّا قريب، وأيُّ جيشٍ بأيِّ حجم لا بُدَّ أن يَسلُك طريق مجرى النَّهر اللَّبني، وإذا حدثَ ذلك فموقعنا قويٌّ هنًا، ولا أمل لديهم في الانسلال دون أن نلحظهم».

قال السير مالادور وهو يلتقط قدحًا من چون: «ربما لا يرغبون في الانسلال. إنهم آلاف، وعددنا لن يتجاوَز الثَّلاثمئة عندما ينضمُّ إلينا ذو النِّصف يد».

أعلنَ مورمونت: «إذا بلغَ الأمر حَدَّ المعركة، فما من موقع أفضل من هنا نتمنَّاه. سنُقَوِّي الدِّفاعات؛ حراب وخوازيق، وأرجُل غِربان[1] منثورة على المنحدرات، مع سَدِّ كلِّ فجوة. چارمان، أريدُ أن يقف أحدُّ رجالك بصرًا حراسةً، حلقة منهم حولنا وعند النَّهر، لتحذيرنا من أيِّ عدوٍّ يقترب. اجعلهم

---

(1) رِجل الغُراب أو الكالتروب سلاح قديم كان يُستخدَم منذ العصور الوُسطى وحتى بَعد الحرب العالميَّة الثَّانية، لتعطيل الجنود والخيول، ويُصنَع من اثنين أو أكثر من المسامير أو الأشواك الحادَّة المركَّبةَ معًا، بحيث يبرز أحد الأطراف إلى أعلى دائمًا، بغرض أن ينغرس في الأقدام.

يتوارون في الأشجار. ويَحسُن أن نشرع في رفع المياه كذلك، أكثر مما نحتاج. سنَحفُر أحواضًا، وسيشغل هذا الرِّجال، وقد يُفيدنا لاحقًا».

قال ثورين سمولوود: «جوَّالتي...».

- «جوَّالتك سيَحصُرون جولاتهم على هذه الضفَّة من النَّهر إلى أن يصل ذو النِّصف يد، وبَعدها سنرى، فلن أفقد مزيدًا من رجالي».

قال سمولوود باستنكار: «قد يكون جيش مانس رايدر يحتشد على بُعد يوم واحدٍ من هنا، ولن نعرف أبدًا».

رَدَّ مورمونت: «لقد عرفنا أين يحتشد الهَمج بالفعل، عرفنا من كراستر. لا أحبُّ هذا الرَّجل، لكني لا أحسبُ أنه كذبَ علينا».

قال سمولوود: «كما تقول»، وغادرَ عابسًا، فيما أنهى الآخَرون شرابهم وتبعوه وإنما بكياسةٍ أكثر.

سألَ چون: «هل أحضرُ عشاءك يا سيِّدي؟».

صاحَ الغُداف: «ذُرة!»، أمَّا مورمونت فلم يُجِب على الفور، وعندما تكلَّم لم يَقُل غير: «هل عثرَ ذئبك على فرائس اليوم؟».

- «لم يرجع بعدُ».

دَسَّ مورمونت يده في كيسٍ وأخرجَ حفنةً من الذُّرة رفعَ يده بها إلى طائره، وقال: «نحتاج لحمًا طازجًا. هل تحسبني مخطئًا بشأن إبقاء الجوَّالة على مقربة؟».

- «ليس لي أن أقول يا سيِّدي».

- «لك طالما وُجِّهَ إليك السُّؤال».

باحَ چون بما في باله قائلًا: «إذا كان على الجوَّالة البقاء على مقربةٍ من «القبضة»، فلا أرى كيف يُمكنهم أن يأملوا في العثور على عمِّي».

قال الدُّب العجوز والغُداف يلتقِط الحَبَّ من راحة يده: «لا يُمكنهم. مئتان أو عشرة آلاف من الرِّجال، لا فارق، فهذه الأصقاع شاسعة للغاية»، ولمَّا نفدَت الذُّرة قلبَ مورمونت يده.

- «هل ستتخلَّى عن البحث إذن؟».

قال مورمونت: «المِايستر إيمون يحسبك ذكيًّا»، ونقلَ الغُداف إلى كتفه، فمالَ الطَّائر برأسه جانبًا وعيناه الصَّغيرتان تلتمعان.

توصَّل چون إلى الإجابة، فقال: «هل... يبدو لي أن عثور رجلٍ واحدٍ على مئتين أسهل من عثور مئتين على رجلٍ واحد».

أصدرَ الغُداف نعيبًا كقوقأة الدَّجاج، لكن الدُّب العجوز ابتسمَ من وراء لحيته الشَّيباء، وقال: «هذا العدد من الرِّجال والخيول يَترُك أثرًا يستطيع إيمون نفسه اقتفاءه، ولا بُدَّ أن نارنا فوق هذا التَّلِّ تُرى من على مسافةٍ تصل إلى مرتفَعات «أنياب الصَّقيع» ذاتها. إذا كان بن ستارك حيًّا وحُرًّا، فلا ريب أنه سيأتي إلينا».

قال چون: «نعم، لكن ماذا لو...».

أكملَ مورمونت بلهجةٍ رفيقة: «... أنه ميت؟».

أومأ چون برأسه بتردُّد، بينما ردَّد الغُداف: «ميت، ميت، ميت!».

قال الدُّب العجوز: «قد يأتي إلينا على كلِّ حال، مِثل أوثور وچافر فلاورز. إنني أخشى هذا كما تخشاه تمامًا يا چون، لكن علينا الاعتراف بأنه احتمال قائم».

عادَ الغُداف ينعق وقد نفشَ ريشه وصارَ صوته أحدَّ وأعلى: «ميت، ميت!».

ملَّس مورمونت على ريش الطَّائر الأسود، وكتمَ التَّثاؤب الذي هاجَمه فجأةً بظَهر يده، ثم قال: «أعتقدُ أني سأتخلَّى عن العَشاء اللَّيلة. أنفع لي أن أستريح. أيقِظني مع أول خيوط الضَّوء».

قال چون: «نومًا هنيئًا يا سيِّدي»، وجمعَ الأكواب الفارغة وخرجَ، فسمعَ الضَّحكات البعيدة ونغم المزامير المفعم بالشَّجن. نار كبيرة كانت مشتعلةً في منتصَف المخيَّم، وشَمَّ چون رائحة اليخنة المطبوخة، التي ذكَّرته بأنه جائع حتى إن لم يكن الدُّب العجوز كذلك، فسارَ في اتِّجاه النَّار.

كان دايوين يحمل ملعقةً ويستطرد كلامه مع إخوته قائلًا: «إنني أعرفُ هذه الغابة أكثر من أيِّ رجلٍ حي، وأؤكِّدُ لكم أن لا رغبة لديَّ في خوضها ليلًا. ألا تشمُّون الرَّائحة؟».

حدَّق جرِن فيه بعينين متَّسعتين، لكن إد الكئيب قال: «لا أشمُّ غير خراء مثتي حصان وهذه اليخنة، التي لا تختلف رائحتها كثيرًا في الحقيقة».

قال هاك مربِّتًا على خنجره: «وأنا أشمُّ رائحتك التي لا تختلف كثيرًا من مكاني»، ثم دمدمَ وملأ وعاء چون من القِدر. كان في اليخنة الكثير من الشَّعير والجزر والبصل، مع نسيلةٍ هزيلةٍ هنا وهناك من اللَّحم المملَّح الذي ليَّنه الطَّهي.

سألَ جرِن: «ماذا تشمُّ يا دايوين؟».

كان قد خلعَ أسنانه، فبدا وجهه رخوًا مجعَّدًا، يُشبه يديه كثيرتي العُقد كالجذور القديمة، ورشفَ الحطَّاب من ملعقته لحظةً، ثم أجابَ: «يُخَيَّل لي أنها رائحة... البرد».

قال له هاك: «لديك عقل خشبي كأسنانك. البرد لا رائحة له».

فكَّر چون متذكِّرًا اللَّيلة إياها في مسكن حضرة القائد: بل له رائحة، رائحته كالموت. فجأةً فقدَ شهيَّته للطَّعام، فأعطى يخنته لجرِن، الذي بدا في حاجةٍ إلى حصَّةٍ إضافيَّة تمدُّه بالدِّفء في برد اللَّيل.

كانت الرِّياح تهبُّ بقوَّةٍ عندما غادرَ. مع مجيء الصَّباح ستكون الأرض قد اكتسَت بالصَّقيع، وستتجمَّد حبال الخيام وتتيبَّس. كان مقدار صغير من النَّبيذ المتبَّل قد تبقَّى في المِرجل، فغذَّى چون النَّار بمزيدٍ من الحطب ووضعَ المِرجل فوق اللَّهب معيدًا تسخينه، وأخذَ يبسط يده ويطويها بينما ينتظر، إلى أن استشعرَ وخزًا فيها. كان أفراد المناوَبة الأولى من الحراسة قد اتَّخذوا مواقعهم حول محيط المخيَّم، وتذبذبَ لهب المشاعل بطول السُّور الدَّائري. إنها ليلة بلا قمر، لكن ألف نجمةٍ ونجمةٍ سطعَت في السَّماء.

انبعثَ من الظَّلام صوت خافت بعيد، وإن كان عُواء ذئاب لا لَبس فيه. ارتفعَت أصواتها وانخفضَت بأغنيَّةٍ حزينةٍ لحنها من برد، جاعلةً الشُّعيرات تنتصب على مؤخِّرة عُنقه، وعلى الجانب الآخَر من النَّار رمقَته عينان حمراوان من وسط الظِّلال، وقد توهَّجتا في ضوء اللَّهب.

قال چون لاهثًا من المفاجأة: «جوست، إذن فقد قرَّرت الدُّخول في النِّهاية، إيه؟». غالبًا ما يقضي الذِّئب الأبيض اللَّيل بطوله في الصَّيد، فلم

يتوقَّع أن يراه ثانيةً قبل طلوع النَّهار، فسألَه: «ألم تَعثُر على فرائس؟ تعالَ، إليَّ يا جوست».

دارَ الذِّئب الرَّهيب حول النَّار متشمِّمًا چون والهواء دون أن يَثبُت لحظةً، ولم يبدُ أن اللَّحم هو ما يرغب فيه الآن. جوست أدركَ ما يَحدُث عندما جاءَ الموتى السَّائرون، وأيقظَني وحذَّرني. نهضَ چون منتبهًا، وقال: «أثمَّة شيء ما في الخارجِ يا جوست؟ هل تشمُّ شيئًا؟». دايوين قال إنه يشتمُّ البرد.

انطلقَ الذئب الرَّهيب يجري، ثم توقَّف ونظرَ وراءه، فقال چون لنفسه: يُريدني أن أتبعه، وثبَّت قلنسوة معطفه على رأسه، وابتعدَ عن الخيام وعن دِفء النَّار، مارًّا بصفوف الخيول الهزيلة. صهلَ حصان بعصبيَّةٍ مع مرور جوست، فهدَّأه چون بكلمةٍ وملَّس على خَطمه، ثم ترامى إلى مسامعه صفير الرِّيح إذ تَدخُل من بين فجوات الصُّخور مع اقترابه وجوست من السُّور المستدير، حيث قال له صوت آمر أن يُعَرِّف نفسه، فأجابَ: «أريدُ إحضار الماء لحضرة القائد».

قال الحارس: «اذهب إذن، وأسرِع». كان الرَّجل منكمشًا تحت معطفه الأسود وقد رفعَ قلنسوته ضد الرِّيح، فلم يُلقِ مجرَّد نظرةٍ ليرى إن كان چون يحمل دلوًا.

انسلَّ چون بحركةٍ جانبيَّة بين اثنين من الخوازيق، بينما انزلقَ جوست من تحتهما، ووجدَ مشعلًا مثبَّتًا في صدع، يخفق لهبه كراياتٍ برتقاليَّةٍ كلما هَبَّ الهواء، فالتقطَه وهو يدسُّ جسده في ثغرةٍ بين الأحجار. نزلَ جوست التَّلَّ مسرعًا، لكن چون تبعَه بتؤدةٍ وقد رفعَ المشعل أمامه، وبدأت أصوات المعسكرِ تَخفُت من ورائه وهو ينزل المنحدر الحجري غير المستوي في حُلكة اللَّيلة، ما يعني أن أقلَّ غفلةٍ كفيلة بأن يكسر كاحله... أو رقبته. سأل نفسه وهو ينتقي مواطئ قدميه: ما هذا الذي أفعله؟

وقفَت الأشجار تحته كمُحارِبين تدرَّعوا باللِّحاء والورق، منتظمين في صفوفهم الصَّامتة، ينتظرون الأمر بالهجوم على التَّل. بدَت سوداء تمامًا، وفقط حين مَسَّها ضوء المشعل لمحَ چون بريق الأخضر، وسمعَ المياه المتدفِّقة على الصُّخور من بعيد. اختفى جوست وسط الشُّجيرات، وكافحَ

چون ليلحق به مصغيًا لنداء الجدول الجاري وتنهُّد أوراق الشَّجر في الرِّيح، وعلقَت الأغصان بمعطفه، بينما تعانقَت الفروع الغليظة من فوقه حاجبةً النُّجوم.

وجدَ جوست يشرب من الجدول، فقال: «جوست، إليَّ، الآن»، وعندما رفعَ الذِّئب الرَّهيب رأسه، التمعَت عيناه الحمراوان منذرتين بالويل، وسالَ الماء من فَكَّيه كاللُّعاب. لحظتها كان فيه شيء ما ضارٍ مهيب، ثم إنه عادَ ينطلق متجاوزًا چون ليغيب بين الأشجار، فصاحَ صاحِبه: «جوست، لا، انتظر هنا»، لكن الذِّئب لم ينتبه إليه، وابتلعَ الظَّلام الجسد الأبيض الرَّشيق، تاركًا لچون خيارين: أن يتسلَّق التَّلَّ ثانيةً وحده، أو يتبعه.

هكذا تبعَه غاضبًا وقد خفضَ المشعل كي يرى الصُّخور التي تُهَدِّده بالتعثُّر مع كلِّ خطوة، والجذور الغليظة التي بدَت كأنها تمتدُّ لتقبض على قدميه، والحُفر التي يُمكن أن يلتوي كاحله في واحدةٍ منها. راحَ يُنادي جوست كلَّ بضعة أقدامٍ، لكن رياح اللَّيل كانت تدور في دوَّاماتٍ بين الأشجار مبتلعةً صوته، وفكَّر وهو يتوغَّل في الأخضر أكثر: هذا جنون. كان على وشك أن يعود أدراجه عندما لمحَ شبحًا أبيض على يمينه في اتِّجاه التَّل، فتحرَّك نحوه وهو يسبُّ ويلعن.

طاردَ الذِّئب رُبع الطَّريق حول «القبضة» قبلَ أن يفقده ثانيةً، وأخيرًا توقَّف يلتقط أنفاسه وسط الشُّجيرات والأشواك والأحجار السَّاقطة عند سفح التَّل، واشتدَّت حُلكة الظَّلام وراء نطاق ضوء المشعل.

ثم جعلَه صوت احتكاكٍ خفيف يلتفت، فتحرَّك نحو مصدره خاطيًا بحذرٍ بين الجلاميد والشُّجيرات الشَّائكة، ووراء شجرةٍ ساقطةٍ وجدَ جوست من جديد، وكان الذِّئب الرَّهيب يَحفُر بعُنفٍ في الأرض.

قال چون: «علامَ عثرت؟»، وخفضَ المشعل ليكشف عن كومةٍ دائريَّةٍ من التُّربة النَّاعمة، ففكَّر: قبر، لكن مَن الميت؟

ركعَ وغرسَ المشعل في الأرض إلى جواره. كانت التُّربة رمليَّةً مخلخلَةً، وجرفَها چون بقبضتيه، فلم يجد أحجارًا أو جذورًا. أيًّا كان المدفون هنا، فقد دُفِنَ في الآونة الأخيرة. على عُمق قدمين مسَّت أصابعه قُماشًا. كان

يتوقَّع جثَّةً، يخشى أن تكون جثَّةً، لكن هذا شيء مختلف. ضغطَ على النَّسيج وتلمَّس أشكالًا صغيرةً حادَّةً صُلبةً من تحته، بينما لم يشتمَّ رائحة عفنٍ أو يرى أثرًا لديدان القبور.

تراجعَ جوست وجلسَ على قائمتيه الخلفيَّتين يُراقِب، وأزاحَ چون التُّربة المخلخَلة، وكشفَ عن حزمةٍ مستديرة قُطرها نحو قدمين، فدَسَّ أصابعه حول الحواف وخلَّصها، ولمَّا رفعَها أخيرًا تحرَّك ما في داخلها وصدرَت منه صلصلة، فقال لنفسه: إنه كنز... لكن الأشكال ليست أشكال نقود، والصَّوت ليس صوت معدن. كان حبل مهترئ يربط الحزمة، فسحبَ چون خنجره وقطعَه، وتحسَّس القُماش بحثًا عن أطرافه وشَدَّ، فانقلبَت الحزمة وانسكبَت محتوياتها على الأرض متألِّقةً بلونٍ داكن. رأى دستةً من السَّكاكين، ورؤوس رماحٍ على شكل أوراق شجر، وعديدًا من رؤوس السِّهام، ثم التقطَ نصل خنجرٍ أسود لامعًا، خفيفًا كريشةٍ وبلا مقبض، وانعكسَ ضوء المشعل على حافته في خَطٍّ برتقاليٍّ رفيع يشي بأنه حادٌّ كالموسى. زُجاج التنِّين، ما يُسَمِّيه المِايسترات الزُّجاج البُركاني. هل اكتشفَ جوست خبيئةً عتيقةً لأطفال الغابة مدفونةً هنا منذ آلاف السِّنين؟ صحيحٌ أن «قبضة البَشر الأوائل» مكان قديم، لكن...

تحت زُجاج التنِّين كان بوق حربي قديم، مصنوع من قرن ثورٍ برِّي ومطعَّم بالبرونز. نفضَ چون التُّراب من داخله، وسقطَ منه المزيد من رؤوس السِّهام، فتركَها تَسقُط ورفعَ رُكن القُماش الذي لُفَّ فيه البوق، وفركَه بين يديه. صوف من نوعٍ جيِّد، سميك، مزدوج الغُرزة، رطب لكن لم يتعفَّن. ليس ممكنًا أنه مدفونٌ في الأرض منذ فترةٍ طويلة، كما أنه داكن اللَّون كذلك. أطبقَ على جزءٍ من القُماش وسحبَه مقرِّبًا إياه من المشعل. ليس داكنًا، بل أسود.

من قبل أن ينهض چون وينفض الصُّوف الأسود، كان يُدرِك أن ما بين يديه معطف أسود من معاطف إخوة حَرس اللَّيل.

بران

وجدَه آلبلي في ورشة الحدادة، يُشَغِّل المنفاخ لميكن، فقال له: «المِايستر يُريدك في بُرجه يا سيِّدي الأمير. جاءَتنا رسالة من الملك».

- «مِن روب؟». لم ينتظر بران هودور من فرط اللَّهفة، وجعلَ آلبلي يحمله على السَّلالم. كان رجلًا كبير الحجم، لكن ليس بضخامة هودور، ولا يُدانيه في القوَّة على الإطلاق، فلمَّا بلغا قمَّة السَّلالم في بُرج المِايستر، كان يلهث وقد احتقنَ وجهه. وجدَ بران أن ريكون سبقَهما إلى هناك، والصَّبيَّان والدر فراي كذلك.

صرفَ المِايستر لوين آلبلي وأغلقَ الباب، ثم قال بوقار: «أيها السَّادة، وصلَتنا رسالة من جلالته، تحوي أخبارًا طيِّبةً وأخرى سيِّئةً. لقد حقَّق نصرًا عظيمًا في الغَرب، وحطَّم جيشًا للانستر في مكانٍ اسمه أوكسكروس، واستولى على عدَّة قلاعٍ كذلك، منها آشمارك التي كتبَ لنا منها، المعقل السَّابق لعائلة ماربراند».

شَدَّ ريكون كُمَّ المِايستر قائلًا: «هل سيعود روب؟».

- «أخشى أنه لن يعود قريبًا، فما زالت هناك معارك تنتظره».

سألَه بران: «هل هزمَ اللورد تايوين؟».

أجابَه المِايستر: «كلا، السير ستافورد لانستر كان يقود جيش العدو، وقد لقيَ حتفه في المعركة».

لم يكن بران قد سمعَ بالسير ستافورد لانستر هذا من قبل، ووجدَ نفسه يتَّفق مع والدر الكبير حين قال: «اللورد تايوين هو الوحيد الذي يهمُّ».

قال ريكون: «قُل لروب أن يعود، وليُحضِر ذئبه أيضًا، وأمِّي وأبي». مع أنه يعلم أن اللورد إدارد ماتَ، كان ريكون ينسى أحيانًا... عن عمدٍ كما يرتاب بران، فأخوه الصَّغير عنيد ذلك العناد الذي لا يتَّسم به غير أولاد الرَّابعة من العُمر.

شعرَ بران بالسُّرور لانتصار روب، وإن شوَّب سروره القلق، وتذكَّر ما أخبرَته به أوشا يوم خرجَ أخوه بجيشه من وينترفل. يومها قالت الهمجيَّة بإصرار: إنه مصرٌّ على الزَّحف في الاتِّجاه الخاطئ.

قال المِايستر لوين: «للأسف لا نصر بلا ثَمن»، والتفتَ إلى الوالدرين قائلًا: «أيها السَّيدان، عمُّكما السير ستفرون فراي كان ممن فقدوا حياتهم في أوكسكروس. كتبَ روب في رسالته إنه جُرِحَ في المعركة، ولم يحسبوا أن الجُرح بالغ، لكنه ماتَ وهو نائم في خيمته بَعد ثلاث ليالٍ».

هَزَّ والدر الكبير كتفيه قائلًا: «كان مسنًّا للغاية، في الخامسة والستِّين على ما أعتقدُ، لا تليق سِنُّه بالمعارك، وكان يُرَدِّد دائمًا أنه متعَب».

قال والدر الصَّغير ساخرًا: «تعني أنه متعَب من انتظار موت جدِّنا. أيعني هذا أن السير إمون هو الوريث الآن؟».

رَدَّ ابن عمِّه: «لا تكن غبيًّا. أبناء الابن الأول يسبقون الابن الثَّاني. السير رايمان هو التَّالي في التَّسلسُل، ثم إدويك ووالدر الأسود وپيتر ذو الدَّمامل، ثم إجون وكلُّ أبنائه».

قال والدر الصَّغير: «رايمان عجوز أيضًا. أراهنُ أنه تجاوزَ الأربعين، كما أنه يُعاني مرضًا في البطن. هل تعتقد أنه سيُصبِح اللورد؟».

- «سأصبحُ أنا اللورد، ولا أبالي إن أصبحَ هو».

قاطعَهما المِايستر لوين محتدًّا: «يَجدُر بكما أن تخجلا من هذا الكلام أيها السَّيدان. لقد ماتَ عمُّكما، أفلا تُبدِيان حُزنًا؟».

قال والدر الصَّغير: «نعم، إننا حزينان جدًّا».

لكنهما لم يكونا حزينَين، وأحسَّ بران بمعدته تنقلب. مذاق الموت يروقهما أكثر مني. استأذنَ بالانصراف من المِايستر لوين، فقال: «لا بأس»، ودَقَّ الجرس. لا بُدَّ أن هودور مشغول في الاسطبلات، وبدلًا منه جاءَت

أوشا التي تفوق آلبلي قوَّةً، ولم يبدُ عليها العناء إذ حملَت بران بين ذراعيها ونزلَت به السَّلالم.

سألَها بران وهي تقطع به السَّاحة: «أوشا، هل تعرفين الطَّريق شَمالًا؟ إلى «الجدار» وما بَعده؟».

أَجابَت: «الطَّريق سهل. استرشِد بكوكبة «التنِّين الجليدي»، وطارِد النَّجم الأزرق في عينِ راكِب التنِّين»، ودخلَت بظَهرها من بابٍ وبدأت تصعد الدَّرجات الملتفَّة.

– «وهل ما زال العمالقة موجودين هناك؟ و... والكائنات الأخرى... «الآخَرون» وأطفال الغابة؟».

– «العمالقة رأيتهم، والأطفال سمعتُ حكاياتٍ عنهم، والمُشاة البِيض... لماذا تُريد أن تعرف؟».

– «هل رأيتِ غُرابًا ذا ثلاث أعيُن؟».

أجابَت أوشا ضاحكةً: «كلا، ولا أظنُّ أني أريدُ أن أراه»، وفتحَت باب غُرفته بركلةٍ من قدمها، وأجلسَته في مقعده المجاور للنَّافذة، حيث يستطيع مشاهَدة السَّاحة في الأسفل.

لم تكد لُحيظات لا تُذكَر تمرُّ بَعد استئذانها بالانصراف، حتى انفتحَ باب الغُرفة ثانيةً ودخلَ چوچن ريد بلا استئذان، ومن ورائه أخته ميرا، فسألَه: «هل سمعت بالطَّائر الذي جاءَ؟»، فلمَّا هَزَّ الصَّبي الآخَر رأسه علامة الإيجاب، قال بران: «لم يكن عشاءً كما قلتَ، بل رسالةٌ من روب، ولم نأكلها، لكن...».

رَدَّ چوچن: «أحيانًا تتَّخذ الأحلام الخضراء صُورًا غريبةً، واستيعاب حقيقتها لا يكون سهلًا كلَّ مرَّة».

قال بران: «أخبِرني بالشَّيء السيِّئ الذي رأيته في حُلمك، الشَّيء السيِّئ القادم إلى وينترفل».

– «هل يُصَدِّقني سيِّدي الأمير الآن؟ هل سيثق بكلامي أيًّا كان وقعه عجيبًا على مسامعه؟».

وأومأَ بران برأسه أن نعم.

– «البحر قادم».

- «البحر؟».

- «حلمتُ بالبحر يتلاطَم حول أسوار وينترفل، رأيتُ موجًا أسود يتكسَّر على البوَّابات والأبراج، ثم تدفَّق الماء المالح من فوق الأسوار وأغرقَ القلعة، وطفَت جُثث الغرقى في السَّاحة. لم أكن أعرف وجوههم عندما رأيتُ الحُلم أول مرَّةٍ في القلعة الرَّماديَّة، لكني أعرفها الآن. آلبلي هذا واحد منهم، الحارس الذي أعلنَ اسمينا في الاحتفال، والسِّپتون واحد آخَر، والحدَّاد كذلك».

قال بران شاعرًا بحيرةٍ ممتزجة بالجزع: «لكن البحر يَبعُد مئات ومئات من الأميال، وأسوار وينترفل عالية للغاية، فلن يَدخُل الماء من فوقها حتى لو حدثَ ذلك».

قال چوچن: «في ظلام اللَّيل سيتدفَّق البحر المالح من فوق هذه الأسوار. لقد رأيتُ جُثث الموتى الغارقة المنتفخة».

قال بران: «يجب أن نُخبِرهم، آلبلي وميكن والسِّپتون كايل، نقول لهم ألَّا يغرقوا».

أجابَ الصَّبي الأخضر: «لن يُبدِّل هذا مصايرهم».

دنَت ميرا من مقعد النَّافذة، ووضعَت يدها على كتفه قائلةً: «لن يُصَدِّقوا يا بران، تمامًا كما لم تُصَدِّق أنت من قبل».

جلسَ چوچن على سرير بران، وقال: «أخبِرني بأحلامك أنت».

كان خائفًا، حتى في تلك اللَّحظة، لكنه أقسمَ على الثِّقة بهما، وابن ستارك في وينترفل لا يحنث بقَسمه، وهكذا قال ببُطء: «ثمَّة أنواع مختلفة. هناك أحلام الذِّئاب، وتلك ليست سيِّئةً كالأخرى، إذ أركضُ وأصطادُ وأقتلُ السَّناجب. وهناك الأحلام التي يأتيني فيها الغُراب ويقول لي أن أطير، وفي بعض الأحيان تكون الشَّجرة في هذه الأحلام أيضًا، تُناديني باسمي. إنها تُخيفني، لكن أسوأ الأحلام على الإطلاق هي التي أسقطُ فيها»، وتطلَّع إلى السَّاحة شاعرًا بالبؤس، وتابعَ: «لم أسقط من قبل قَطُّ، وكنتُ أذهب إلى كلِّ مكانٍ في القلعة عندما أتسلَّقُ، أصعدُ فوق الأسطُح والأسوار، وأطعِمُ الغِربان

في البُرج المحروق. كانت أمِّي تخاف دائمًا أن أسقط، لكني كنتُ أعرفُ أن ذلك لن يَحدُث... لكني سقطتُ، والآن أسقطُ في نومي طيلة الوقت».

اعتصرَت ميرا كتفه سائلةً: «أهذا كلُّ شيء؟».

- «على ما أظنُّ».

قال چوچن ريد: «وارْج».

نظرَ بران إليه بعينين متَّسعتين، وقال: «ماذا؟».

- «وارْج، متبدِّل الهيئة، حيواني. هكذا سيُسَمُّونك إذا عرفوا بأحلام الذِّئاب التي تراها».

عادَت الأسماء تُثير فيه الخوف من جديد، وتساءلَ: «مَن سيُسَمِّيني؟».

- «أهلك، بدافع الخوف. سيكرهك بعضهم إذا عرفوا مَن تكون، بل وسيُحاوِل بعضهم قتلك».

كانت العجوز نان تحكي قِصص رُعب عن الحيوانيِّين ومتبدِّلي الهيئة أحيانًا، وهُم أشرار في القِصص دائمًا، فقال بران: «أنا لستُ كذلك، لستُ كذلك على الإطلاق. إنها مجرَّد أحلام».

- «أحلام الذِّئاب ليست أحلامًا حقًّا. إنك تُغلِق عينك عن آخِرها وأنت مستيقظ، لكنها تنفتح عندما تغيب في النَّوم وتسعى روحك إلى نِصفها الآخَر. إنك تتمتَّع بملَكةٍ قويَّة».

- «لا أريدها، أريدُ أن أكون فارسًا».

- «فارسًا تُريد أن تكون، لكنك وارْج، ولا تستطيع تغيير هذا يا بران، لا تستطيع إنكاره أو التخلُّص منه. أنت الذِّئب المجنَّح، لكنك لن تطير أبدًا»، ونهضَ چوچن وسارَ إلى النَّافذة المفتوحة مكملًا: «ما لم تفتح عينك»، وبإصبعين متجاورَيْن وخزَ جبهة بران بقوَّة.

عندما رفعَ يده إلى البُقعة التي وخزَها چوچن، لم يَشعُر إلَّا بالجِلد الطَّري سليمًا. ليست هناك عين، لا عين مغلقةً حتى، فقال: «كيف أفتحها إذا لم تكن موجودةً؟».

- «لن تَعثُر على العين بأصابعك أبدًا يا بران. عليك أن تبحث عنها

بقلبك»، وتمعَّن چوچن في وجهه بهاتين العينين الخضراوين الغريبتين، وأردفَ: «أم أنك خائف؟».

- «المِايستر لوين يقول إنه لا يوجد ما يُخيف في الأحلام».

- «بل يوجد».

- «ماذا؟».

- «الماضي، والمستقبَل، والحقيقة».

تركَاه أكثر حيرةً مما كان، ولمَّا صارَ بمفرده، حاولَ بران أن يفتح عينه الثَّالثة، ولكن بلا طائل، ومهما قطَّب جبهته أو وخزَها بأصابعه، لم يرَ أيَّ شيءٍ يختلف عن ذي قبل. في الأيام التَّالية حاولَ تحذير الآخَرين مما رآه چوچن، لكن الأحداث لم تجرِ كما أرادَ، إذ وجدَ ميكن الأمر طريفًا، وقال: «البحر؟ لطالما أردتُ أن أرى البحر، لكني لم أذهب إلى أيِّ مكانٍ يقودني إليه قَطُّ. والآن سيأتي هو إليَّ؟ الشُّكر للآلهة على تكليف نفسها هذا العناء من أجل حدَّادٍ فقير».

وقال له السِّپتون كايل بهدوء: «الآلهة ستأخذني في الوقت الذي تراه مناسبًا، وإن كنتُ لا أحسبُ أني سأغرقُ يا بران. لقد ترعرَعتُ على ضفاف نهر «السكِّين الأبيض» كما تعلم، أي أني سبَّاح ماهر للغاية».

آلبلي هو الوحيد الذي أعارَ التَّحذير انتباهًا، وذهبَ يتكلَّم مع چوچن بنفسه، وبَعدها كَفَّ عن الاستحمام ورفضَ أن يقترب من البئر على الإطلاق، وأخيرًا فاحَت رائحته الكريهة، حتى إن ستَّةً من الحُرَّاس حملوه وألقوه في حوضٍ من الماء السَّاخن ونظَّفوه بينما راحَ هو يَصرُخ أنهم سيُغرقونه كما قال صَبيُّ الضَّفادع، ومنذ ذلك الحين وهو يعبس كلما رأى بران أَو چوچن يتحرَّكان في القلعة، ويرغي ويزبد بصوتٍ خفيض.

بَعد بضعة أيامٍ من حمَّام آلبلي، عادَ السير رودريك إلى وينترفل ومعه سجين، شاب سَمين ذو شفتين ممتلئتين رطبتين وشَعرٍ طويل، رائحته كالمراحيض، أسوأ مما كانت رائحة آلبلي نفسه. أجابَ هايهِد حين سألَ بران عمَّن يكون: «يُسَمُّونه ريك، لكني لم أسمع اسمه الحقيقيَّ. إنه يخدم نغل بولتون، ويقولون إنه ساعدَه على قتل الليدي هورنوود».

عرفَ بران في المساء نفسه على العَشاء أن النَّغل نفسه ماتَ، عندما أمسكَ به رجال السير رودريك في أرض هورنوود يفعل شيئًا شنيعًا، (ولم يستوعب بران تمامًا ماهية ذلك الشَّيء، لكن يبدو أنه يتطلَّب أن تفعله دون ثيابك)، وأسقَطوه بالسِّهام حين حاولَ الهرب بحصانه. غير أنهم وصَلوا إلى الليدي هورنوود المسكينة بَعد فوات الأوان. كان النَّغل قد حبسها في بُرجٍ عقب زفافهما وامتنعَ عن إطعامها، وقد سمعَ بران الرِّجال يقولون إنه عندما حطَّم السير رودريك بابها، وجدَها بفمٍ غارقٍ في الدِّماء وقد مضغَت أصابعها.

قال الفارس العجوز للمِايستر لوين: «ذلك الوحش أوقعَنا في مأزقٍ عويص. سواء راقَنا هذا أم لا، فالليدي هورنوود كانت زوجته، وجعلَها تُرَدِّد النُّذور أمام السِّپتون وشجرة القلوب، وعاشَرها في اللَّيلة نفسها على مرأى من الشُّهود، ووقَّعت هي وصيَّةً تُسَمِّيه فيها وريثها وختمَتها بخَتمها».

قال المِايستر معترضًا: «النُّذور التي تُرَدَّد بتهديد السِّلاح لا قيمة لها».

بدا الاستياء على السير رودريك وهو يقول: «قد لا يُوافِقك رووس بولتون الرَّأي والذي على المحكِّ أرض. ليتني أستطيعُ أن أقطع رأس ذلك الخادم أيضًا، فهو لا يقلُّ سوءًا عن سيِّده، لكن أخشى أن عليَّ الإبقاء على حياته حتى يرجع روب من الحرب، لأنه الشَّاهد الوحيد على أسوأ جرائم النَّغل. قد يتنازَل رووس بولتون عن دعواه عندما يسمع ما لديه، لكن في الوقت الحالي هناك فُرسان ماندرلي ورجال «معقل الخوف» الذين يَقتُلون بعضهم بعضًا في غابات هورنوود، وأنا أفتقرُ إلى القوَّة لإيقافهم»، ودارَ الفارس العجوز في مقعده، ورمقَ بران بنظرةٍ صارمةٍ قائلًا: «وماذا كنت تفعل في غيابي يا سيِّدي الأمير؟ تأمر حُرَّاسنا بعدم الاستحمام؟ هل تُريد أن تفوح رائحتهم مِثل ريك هذا؟».

قال بران: «البحر قادم إلى هنا. چوچن رأى هذا في حُلمٍ أخضر. آلبلي سيغرق».

شَدَّ المِايستر لوين سلسلته، وقال: «صبيٌّ ريد يعتقد أنه يرى المستقبَل في أحلامه يا سير رودريك. لقد تكلَّمتُ مع بران عن أن هذه التَّكهُّنات غير أكيدة على الإطلاق، لكن الحَقَّ يُقال إن هناك متاعب بطول السَّاحل الحجري

بالفعل، مُغيرون في سُفنٍ طويلة ينهبون قُرى الصَّيد ويغتصبون ويُحرقون. ليوبولد تولهارت أرسلَ ابن أخيه بنفريد يتعامَل معهم، وإن كنتُ أتوقَّعُ أنهم سيفرُّون إلى سُفنهم بمجرَّد أن يروا رجالًا مسلَّحين».

- «نعم، ثم يُهاجِمون مكانًا مختلفًا. فليأخذ «الآخَرون» كلَّ هؤلاء الجُبناء. لم يكونوا ليَجسُروا أبدًا، ولا كان نغل بولتون ليَجسُر، لو أن قوَّتنا الأساسيَّة ليست على بُعد ألف فرسخ جَنوبًا»، ثم التفتَ السير رودريك إلى بران سائلًا: «بِمَ أخبرَك الصَّبي غير هذا؟».

- «قال إن الماء سيتدفَّق من فوق أسوارنا، ورأى آلبلي غريقًا، وميكن والسِّپتون كايل أيضًا».

عقدَ السير رودريك حاجبيه، وقال: «طيِّب، إذا حدثَ أن خرجتُ للتَّعامُل مع المُغيرين بنفسي، فلن آخذ آلبلي معي. هل رآني غريقًا أيضًا؟ لا؟ عظيم».

شجَّع الكلام بران، وقال لنفسه: ربما لن يغرقوا إذن إذا ظلُّوا بعيدًا عن البحر.

وكان هذا رأي ميرا أيضًا في وقتٍ لاحقٍ ليلتها عندما التقَت بران مع چوچن ليلعبوا لُعبة بلاطاتٍ ثلاثيَّة، لكن أخاها هَزَّ رأسه نفيًا، وقال: «الأشياء التي أراها في الأحلام الخضراء لا يُمكن أن تتغيَّر».

أغضبَ قوله أخته، التي قالت: «لماذا تُرسِل إلينا الآلهة إنذارًا إذا كنا لا نستطيع الإصغاء إليه وتغيير ما سيَحدُث؟».

أجابَ چوچن بحُزن: «لا أدري».

- «لو أنك في مكان آلبلي، لكنت ألقيت نفسك في البئر غالبًا وانتهيت من الأمر! يجب أن يُقاوِم، وبران أيضًا».

شعرَ بران بخوفٍ مفاجئ، وقال: «أنا؟ ما الذي يجب أن أقاوِمه؟ هل سأغرقُ أيضًا؟».

لاحَ الإحساس بالذَّنب في عيني ميرا وهي تَرمُقه قائلةً: «لم يكن من المفترَض أن أقول...».

أدركَ أنها تُخفي شيئًا، فسألَ چوچن بتوتُّر: «هل رأيتني في حُلمٍ أخضر؟ أكنتُ غارقًا؟».

أجابَ چوچن كأن كلَّ كلمةٍ تُؤلِمه: «ليس غارقًا. لقد حلمتُ بالرَّجل الذي جاءَ اليومٍ، ريك هذا. أنت وأخوك كنتما ميتين عند قدميه، وكان يَسلُخ وجهيكما بسكينٍ أحمر طويل».

نهضَت ميرا قائلةً: «إذا ذهبتُ إلى الزِّنزانة، فيُمكنني أن أغرس رُمحًا في قلبه. كيف سيَقتُل بران وهو ميت؟».

قال چوچن: «سيُوقِفكِ السجَّانون والحَرس، ولن يُصَدِّقوكِ إذا قلتِ لهم لماذا تُريدين قتله».

قال بران: «أنا أيضًا لديَّ حَرس، آلبلي وتيم المجدور وهايهِد والآخَرون».

أفعمَت الشَّفقة عيني چوچن ذاتي لون الطُّحلب، وقال: «لن يستطيعوا إيقافه يا بران. لم أرَ السَّبب، لكني رأيتُ النِّهاية، رأيتك أنت وريكون في السَّراديب، في الظَّلام مع الملوك الموتى وذئابهم الحجريَّة».

لا... لا... «إذا رحلتُ... إلى القلعة الرَّماديَّة أو إلى الغُراب، إلى مكانٍ بعيد لا يستطيعون العثور عليَّ فيه...».

- «لن يصنع هذا فارقًا. الحُلم كان أخضر يا بران، والأحلام الخضراء لا تكذب أبدًا».

تيريون

وقفَ ڤارس عند المستوقَد يُدفئ يديه النَّاعمتين، وقال: «يبدو أن رنلي قُتِلَ بطريقةٍ مخيفة حقًّا في قلب جيشه، شُقَّ حَلقه من الأُذن إلى الأُذن بنصلٍ اخترقَ الفولاذ والعظم كأنهما جُبن طري».

سألَت سرسي: «قُتِلَ بيد مَن؟».

- «هل خطرَ لكِ من قبل أن تعدُّد الإجابات كغيابها تمامًا؟ ليس جميع جواسيسي في المواقع العالية التي نرغبها، وعندما يموت ملكٌ ما، فالشَّائعات تُصير أكثر من ذرَّات الرَّمل على شاطئ. ثمَّة سائس يقول إن واحدًا من حَرس قوس قزح قتلَ رنلي، وتدَّعي غسَّالة أن ستانيس تسلَّل إلى قلب جيش أخيه بسيفٍ سِحري، وجنود كُثر موقنون من أن امرأةً ارتكبَت الفعلة الآثمة، وإن لم يتَّفقوا على هويَّة تلك المرأة. أحدهم يقول إنها خادمة ازدراها رنلي، ويقول ثانٍ إنها واحدة من تابعات المعسكرات كانوا قد أتوا بها لتسليته عشيَّة المعركة، وثالث يُخَمِّن أنها قد تكون الليدي كاتلين ستارك».

لم يبدُ الرِّضا على الملكة وهي تقول: «أينبغي أن تُضَيِّع وقتنا بكلِّ شائعةٍ يُرَدِّدها الحمقى؟».

- «إنكم تدفعون لي أجرًا باهظًا من أجل هذه الشَّائعات يا ملكتي الكريمة».

- «بل ندفع لك من أجل معرفة الحقائق. تذكَّر هذا أيها اللورد ڤارس، وإلَّا أصبحَ هذا المجلس الصَّغير أصغر».

أطلقَ ڤارس ضحكةً عصبيَّةً مكتومةً، وقال: «أنتِ وأخوكِ النَّبيل ستَترُكان الملك بلا مستشارين على الإطلاق إذا استمَرَرْتما».

قال الإصبع الصَّغير مبتسمًا: «أظنُّ أن البلاد ستحتمل غياب بضعة مستشارين آخَرين».

رَدَّ ڤارس: «عزيزي پيتر، ألا يُقلِقك أن اسمك قد يكون التَّالي على قائمة حضرة اليد؟».

- «قبلك يا ڤارس؟ لا أتخيَّلُ ذلك أبدًا».

قال ڤارس: «لربما نُصبِح أنا وأنت أخوين على «الجدار»»، وضحكَ ثانيةً.

قالت الملكة بحدَّة: «سيَحدُث هذا أسرع مما تتوقَّع لو أن الكلام التَّالي الذي تنطقه ليس مفيدًا أيها الخصي». من نظرة عينيها، كانت سرسي مستعدَّةً لحظتها لإخصاء ڤارس مرَّةً أخرى.

سألَ الإصبع الصَّغير: «أمن المحتمَل أنها خدعة؟».

أجابَ ڤارس: «إذا كانت خدعةً، فهي غير مسبوقةٍ في براعتها. فقد انطلَت عليَّ بكلِّ تأكيد».

تكلَّم تيريون الذي سمعَ ما فيه الكفاية، فقال: «سيُصاب چوف بخيبة الأمل، فقد كان يدَّخر خازوقًا لامعًا لرأس رنلي، لكن أيًّا كان من فعلَها، فعلينا أن نفترض أن ستانيس وراء الأمر، فالبديهي أن هذا في صالِحه». لم يَرُقه الخبر، إذ كان يعتمد على استنزافَ الأخوين باراثيون لقُواهما في معركةٍ دامية. أحسَّ بنبض الألم في مِرفقه حيث شقَّته الكرة الشَّائكة في معركة الفرع الأخضر، الشَّيء الذي يَحدُث أحيانًا في الطَّقس الرَّطب، فاعتصرَ ذراعه عبثًا وهو يسأل: «وماذا عن جيش رنلي؟».

قال ڤارس: «السَّواد الأعظم من مُشاته ما زال في «جسر العلقم»»، وابتعدَ عن المستوقَد ليجلس إلى الطَّاولة، وتابعَ: «ومعظم اللوردات الذين ذهبوا مع اللورد رنلي إلى ستورمز إند انضمُّوا براياتهم وسلاحهم إلى ستانيس، ومعهم فُرسانهم كلهم».

قال الإصبع الصَّغير: «وأراهنُ أن آل فلورنت على رأسهم».

تكلَّف ڤارس الابتسام في وجهه، وقال: «تكسب الرَّهان يا سيِّدي. اللورد ألستر كان أول من يركع، وتبعَه كثيرون».

باهتمامٍ قال تيريون: «كثيرون لكن ليس الجميع؟».

وافقَه الخصيُّ قائلًا: «ليس الجميع، لا لوراس تايرل أو راندل تارلي أو ماثيس روان، كما أن ستورمز إند نفسها لم تستسلم، فالسير كورتناي پنروز ما زال يُدافِع عن القلعة باسم رنلي، ويَرفُض تصديق أن مليكه ماتَ، ويُطالِب بأن يرى رُفاته أولًا قبل أن يفتح بوَّاباته، لكن يبدو أن جثَّة رنلي اختفَت بلا أثر. هناك من هرَّبها في الغالب، فخُمس فُرسان رنلي فضَّلوا الرَّحيل مع لوراس على الرُّكوع لستانيس. يُقال إن لوثةً أصابَت فارس الزُّهور حين رأى جثَّة ملكه، وأسقطَ ثلاثةً من حَرس رنلي في غَمرة الغضب، بينهم إمون كاي وروبار رويس».

فكَّر تيريون: للأسف توقَّف عند ثلاثةٍ فقط.

واصلَ ڤارس: «السير لوراس في طريقه إلى «جسر العلقم» غالبًا، فأخته ملكة رنلي هناك، بالإضافة إلى عددٍ غفيرٍ من الجنود الذين وجدوا أنفسهم بلا ملكٍ فجأةً، فأيُّ جانبٍ سيختارون الآنَ؟ سؤال حسَّاس، لأن كثيرين منهم يخدمون اللوردات الذين ظلُّوا عند ستورمز إند، وهؤلاء اللوردات ينتمون لستانيس الآن».

مالَ تيريون إلى الأمام قائلًا: «يبدو لي أن أمامنا فُرصةً سانحةً. إذا ضممنا لوراس تايرل إلى صفوفنا، فقد يلحق به مايس تايرل وحمَلة رايته بدورهم. قد يكونوا قد أقسَموا لستانيس في الوقت الحالي، لكنهم لا يُحِبُّونه، وإلَّا لكانوا معه من البداية».

سألَت سرسي: «وهل حبُّهم لنا أكبر؟».

قال تيريون: «إطلاقًا. من الجليِّ أنهم أحبُّوا رنلي، لكن رنلي قُتِلَ، ولربما نستطيع أن نُعطيهم أسبابًا كافيةً لتفضيل چوفري على ستانيس... إذا تحرَّكنا بلا إبطاء».

- «وأيُّ نوعٍ من الأسباب تنوي أن تُعطيهم؟».

قال الإصبعُ الصَّغير في الحال: «أسباب من ذهب».

طقطقَ ڤارس بلسانه، وقال: «عزيزي پيتر، مؤكَّد أنك لا تقترح أن هؤلاء اللوردات الأبيِّين والفُرسان النُّبلاء يُمكن شراؤهم كالدَّجاج في الأسواق».

رَدَّ الإصبع الصَّغير: «هل زُرت أسواقنا مؤخَّرًا يا لورد ڤارس؟ ستجد

أن شراء اللورد أسهل من شراء الدَّجاجة، لكن قوقأة اللوردات فيها كبرياء أكثر من الدَّجاج بالطَّبع، لأنهم يَشعُرون بالإهانة إذا عرضت عليهم المال كأنك تاجر، بينما نادرًا ما يعترضون على تلقِّي الهدايا... الألقاب والأراضي والقلاع...».

قال تيريون: «قد تستميل الرَّشاوى اللوردات الأقلَّ منزلةً، لكن ليس هايجاردن أبدًا».

قال الإصبع الصَّغير: «هذا صحيح. فارس الزُّهور هو المفتاح. مايس تايرل لديه ابنان أكبر، لكن لطالما كان لوراس ابنه المفضَّل. اظفر به تكن هايجاردن لك».

نعم. «يتراءى لي أن علينا تعلُّم درسٍ من اللورد الرَّاحل رنلي. يُمكننا أن نكسب حِلف عائلة تايرل مِثلما فعلَ، بالزَّواج».

كان ڤارس أسرع من فهمَ مقصده، فقال: «تُفَكِّر في تزويج چوفري مارچري تايرل».

- «بالضَّبط». لا تتجاوَز ملكة رنلي الشَّابَّة الخامسة أو السَّادسة عشر من العُمر على ما يَذكُر... أكبر من چوفري، لكن بضع سنواتٍ لا تُشَكِّل أيَّ فارِق. خُطَّة شديدة الأناقة والحلاوة حتى إنه يكاد يتذوَّقها على لسانه.

قالت سرسي معترضةً: «سانزا ستارك مخطوبة لچوفري».

- «اتِّفاقات الزَّواج قابلة للفسخ. ما المنفعة من تزويج الملك ابنة خائنٍ ميت؟».

قال الإصبع الصَّغير: «يَجدُر بك أن تُوَضِّح لجلالته أن آل تايرل أثرى كثيرًا من آل ستارك، ويُقال أيضًا إن مارچري بارعة الحُسن... وجاهزة للنِّكاح كذلك».

قال تيريون: «نعم، سيروق هذا چوف بما فيه الكفاية».

- «ابني أصغر من أن يهتمَّ بتلكم الأشياء».

قال لها تيريون: «أتظنِّين هذا؟ إنه في الثَّالثة عشر يا سرسي، السِّنّ نفسها التي تزوَّجتُ فيها».

- «لقد كلَّلتنا جميعًا بالعار بهذه الواقعة المشينة. چوفري مصنوع من خامةٍ أرقى».

- «نعم، خامة شديدة الرُّقي لدرجة أنه جعلَ السير بوروس يُمَزِّق فُستان سانزا من على جسدها».

- «كان غاضبًا من الفتاة».

- «وكان غاضبًا من الطَّاهي الذي سكبَ الحَساء ليلة أمسٍ كذلك، لكنه لم يُجَرِّده من ملابسه».

- «تلك لم تكن مجرَّد مسألة حَساءٍ مسكوب...».

لا، كانت مسألة ثديين جميلين. بَعد ما حدثَ في السَّاحة، تكلَّم تيريون مع ڤارس عن طريقةٍ يُدَبِّران بها زيارة چوفري ماخور شاتايا، فلديه أمل أن يُلَطِّف مذاق الشَّهد سوء خُلُق الصَّبي، بل وقد يَشعُر بالامتنان كذلك (حاشا للآلهة)، وتيريون يرغب حقًّا في قَدرٍ زائدٍ ولو قليلًا من الامتنان من مليكه. يجب أن تتمَّ الزِّيارة في الخفاء بالطَّبع، لكن الجزء العسير هو إبعاده عن كلب الصَّيد. يومها قال لڤارس: «الكلب لا يبتعد عن سيِّده أبدًا، لكن البَشر كلهم ينامون، وبعضهم يُقامِر ويُعاشِر البغايا ويزور الحانات أيضًا».

- «كلب الصَّيد يفعل تلك الأشياء كافَّة إذا كان هذا سؤالك».

قال تيريون: «كلا، سؤالي هو متى يفعلها».

عندئذٍ وضعَ ڤارس إصبعه على وجنته مبتسمًا بغموض، وقال: «سيِّدي، قد يحسب رجل شكَّاك أنك ترغب في إيجاد وقتٍ لا يحمي فيه ساندور كليجاين جلالة الملك چوفري، بغية أن تُنزِل بالصَّبي أذًى ما».

قال تيريون: «مؤكَّد أنك تعرفني أفضل من هذا يا لورد ڤارس. لستُ أريدُ إلَّا أن يُحِبَّني چوفري».

وعدَ الخصيُّ بأن يتدارَس الأمر، لكن الحرب لها متطلَّباتها، وعلى دخول چوفري عالم الذُّكورة أن ينتظر... والآن جعلَ تيريون نفسه يقول لسرسي: «لا ريب أنكِ تعرفين ابنكِ أفضل مما أعرفه، لكن بغَضِّ النَّظر عن هذا، ففوائد مصاهَرة عائلة تايرل عديدة، وقد تكون السَّبيل الوحيد لأن يعيش چوفري حتى ليلة زفافه».

أبدى الإصبع الصَّغير اتِّفاقه بقوله: «ابنة ستارك لن تُقَدِّم لچوفري غير جسدها، وعلى الرغم من جماله، فمارچري تايرل تُقَدِّم خمسين ألفًا من المُحارِبين، وكلَّ قوَّة هايجاردن».

غمغمَ ڤارس: «بالتَّأكيد»، ووضعَ يدًا ناعمةً على كُمِّ الملكة قائلًا: «لديكِ قلبُ أُم، وأعرفُ أن جلالته يُحِبُّ حُلوته الصَّغيرة، لكن على الملوك أن يتعلَّموا إيثار حاجات البلاد على رغباتهم الشَّخصيَّة. رأيي أن لا مناص من تقديم هذا العرض».

سحبَت الملكة يدها بعيدًا عن لمسة الخصي، وقالت: «لم تكونوا لتقولوا هذا لو أنكم نساء. قولوا ما تشاؤون أيها السَّادة، لكن چوفري أكثر شممًا من أن يقبل بمخلَّفات رنلي، ولن يُوافِق أبدًا».

هَزَّ تيريون كتفيه قائلًا: «عندما يَبلُغ الملك بَعد ثلاث سنوات، يُمكنه أن يُوافِق أو يَرفُض كما يُريد، لكن حتى ذلك الحين فأنتِ الوصيَّة عليه وأنا يده، وسيتزوَّج مَن نقول له أن يتزوَّجها، سواء كانت مخلَّفات أم لا».

هكذا فرغَت جَعبة سرسي، فقالت لهم: «قدِّموا عرضكم إذن، لكن لترحمكم الآلهة جميعًا إذا لم يرضَ چوف عن تلك الفتاة».

قال تيريون: «يَسُرُّني للغاية أن نتَّفق. والآن، مَن منا سيذهب إلى «جسر العلقم»؟ يجب أن نصل إلى السير لوراس بعرضنا قبل أن يَبرُد دمه».

- «أتنوي إرسال واحدٍ من أعضاء المجلس؟».

- «لا أتوقَّعُ أن يقبل فارس الزُّهور التَّعامُل مع برون أو شاجا، أليس كذلك؟ آل تايرل معتدُّون بأنفسهم».

لم تُبَدِّد أخته ثانيةً واحدةً في لَيِّ الموقف لصالحها، فقالت: «السير چاسلين بايووتر نبيل المولد. أرسِله هو».

هَزَّ تيريون رأسه نفيًا، ورَدَّ: «نحتاج شخصًا أهلًا لأكثر من مجرَّد ترديد كلامنا والعودة بإجابة. يجب أن يتكلَّم مبعوثنا باسم الملك والمجلس، ويُسَوِّي المسألة بسرعة».

توهَّج ضوء الشُّموع بأخضر النَّار الشَّعواء في عيني سرسي وهي تقول:

«اليد يتكلَّم بصوت الملك. إذا أرسلناك يا تيريون، فكأن چوفري ذهبَ بنفسه، فمَن أفضل منك؟ إن بلاغتك تُضاهي براعة چايمي في المبارَزة».

أأنتِ متلهِّفة إلى هذا الحَدِّ على إخراجي من المدينة يا سرسي؟ «أنتِ شديدة اللُّطف يا سرسي، لكن يبدو لي أن أُمَّ الصَّبي أجدر كثيرًا بترتيب زيجته من أيِّ خال، كما أنكِ تتمتَّعين بموهبةٍ لا أُدانيها أبدًا في الفوز بالأصدقاء».

ضيَّقت عينيها قائلةً: «چوف يحتاجني إلى جانبه».

قال الإصبع الصَّغير: «يا جلالة الملكة، يا حضرة اليد، الملك يحتاج كليكما هنا، فدعاني أذهبُ بدلًا منكما».

- «أنت؟». تُرى ما المكسب الذي ينتظره من هذا؟

- «إنني عضوٌ في مجلس الملك، لكني لستُ من دمه، فلن أكون رهينةً ذات قيمة، كما أني عرفتُ السير لوراس إلى حَدٍّ معقول حين كان هنا في البلاط، ولم أمنحه سببًا لكراهيتي، علاوةً على أن مايس تايرل لا يُكِنُّ لي عداوةً على حَدِّ علمي، وأني أغبطُ نفسي على مهاراتي في التَّفاوُض».

لقد نالَ منا. لا يثق تيريون بپيتر بايلش على الإطلاق، ولا يرغب في ابتعاده عن نظره، لكن هل من خياراتٍ أخرى؟ يجب أن يكون المبعوث الإصبع الصَّغير أو تيريون نفسه، الذي يعي جيِّدًا أن مغادرَته كينجز لاندنج أيَّ فترةٍ من الوقت ستعني أن ينهدم كلَّ ما حقَّقه. هكذا قال بحذر: «لا بُدَّ أن هناك قتالًا دائرًا على الطَّريق بين هنا و«جسر العلقم»، ولك أن تثق بأن اللورد ستانيس قد أرسلَ رُعاته لجمع شتات قطيع أخيه».

- «لا أخشى الرُّعاة إطلاقًا، بينما تُقلِقني الخراف. على أن من اللَّائق أن أذهب ومعي حراسة».

قال تيريون: «يُمكنني الاستغناء عن مئةٍ من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة».

- «خمسمئة».

- «ثلاثمئة».

- «وأربعون، عشرون فارسًا ومِثلهم من مُرافِقيهم. إذا وصلتُ دون رِفقةٍ من الفُرسان، فسيحسبني تايرل ضئيل الشَّأن».

كان هذا كافيًا، فقال تيريون: «اتَّفقنا».

- «سأضمُّ هورور وسلوبر إلى مجموعتي، ثم أُرسِلهما إلى السيِّد والدهما بَعدها كعلامةٍ على حُسن النِّيَّة. إننا نحتاج پاكستر ردواين، فهو أقدم أصدقاء مايس تايرل، ويملك وحده قوَّةً لا يُستهان بها».

قالت الملكة معترضةً: «وخائن. كانت «الكرمة» لتُعلِن تأييدها لرنلي مع الآخَرين، لولا أن رداوين يعلم جيِّدًا أن ابنيه السَّخيفين سيدفعان الثَّمن».

رَدَّ الإصبع الصَّغير: «رنلي ماتَ يا جلالة الملكة، ولن ينسى ستانيس أو اللورد پاكستر أبدًا كيف أغلقَت قوادس ردواين البحر أثناء حصار ستورمز إند. أعيدي التَّوأمين، ولربما نكسب حُبَّ ردواين».

ما زالت سرسي لم تقتنع، وقالت: «فليأخذ «الآخَرون» حُبَّه. ما أريده هو جنوده وسُفنه، والإبقاء على توأميه الوسيلة الوحيدة لأن ننال هذا».

وجدَ تيريون الحَل، فقال: «لنُعِد السير هوبر إلى «الكرمة» إذن ونحتفظ بالسير هوراس هنا. أعتقدُ أن اللورد پاكستر بالذَّكاء الكافي لأن يستنتج معنى هذا».

لوقيَ الاقتراح بالقبول بلا نقاش، لكن الإصبع الصَّغير لم يكن قد انتهى بعدُ، وقال: «سنحتاج خيولًا قويَّةً سريعةً، لأن القتال سيجعل الحصول على خيولٍ بديلة في الطَّريق صعبًا، بالإضافة إلى مخزونٍ وافرٍ من الذَّهب من أجل الهدايا سالفة الذِّكر».

- «خُذ ما تحتاجه. ستانيس سيسرق الذَّهب كله لا محالة إذا سقطَت المدينة».

- «أريدُ تفويضًا مكتوبًا، وثيقةً لا تدع مجالًا للشَّكِّ عند مايس تايرل في السُّلطة المخوَّلة لي، وتُعطيني تصريحًا كاملًا بإجراء أيِّ ترتيباتٍ ضروريَّة واتِّفاقاتٍ ملزِمة باسم الملك، ويجب أن تحمل توقيع چوفري وجميع أعضاء هذا المجلس، وأختامنا كلها».

اعتدلَ تيريون في جلسته بغير راحة، وقال: «اتَّفقنا. أهذا كلُّ شيء؟ دعني أذكِّرك بأن الطَّريق إلى «جسر العلقم» طويل».

نهضَ الإصبع الصَّغير قائلًا: «سأكونُ عليه قبل مطلع الفَجر، وأنا على ثقةٍ بأن الملك سيُجزي لي المكافأة على مجهوداتي الشُّجاعة لدى عودتي».

قهقه ڤارس، وقال: «چوفري ملك يُقِرُّ بالجميل دائمًا. أنا واثق بأنك لن تجد داعيًا للشَّكوى يا سيِّدي الشُّجاع».

سألَته الملكة بلا موارَبة: «ماذا تريد يا پيتر؟».

رمقَ الإصبع الصَّغير تيريون وعلى شفتيه بسمة خبيثة، وأجابَ: «عليَّ أن أفكِّر في هذا، ولا شَكَّ أنني سأتوصَّلُ إلى شيءٍ ما»، ورسَمَ انحناءةً وهميَّةً في الهواء، ثم انصرفَ بمنتهى الأريحية كأنه في الطَّريق إلى أحد مواخيره.

ألقى تيريون نظرةً خارج النَّافذة. كان الضَّباب كثيفًا لدرجةٍ لم تُمَكِّنه من رؤية السُّور الواقي عبر السَّاحة، بينما لاحَت بضعة أضواءٍ خافتة وسط الحجاب الرَّمادي. يوم سيِّئ للسَّفر. إنه لا يحسد پيتر بايلش. «من الأفضل أن نشرع في كتابة تلك الوثائق. لورد ڤارس، أرسِل مَن يُحضِر ورقًا وحبرًا، وعلى أحدٍ أن يوقِظ چوفري».

كان الجَوُّ لا يزال مظلمًا غائمًا عندما انتهى الاجتماع أخيرًا، وانصرفَ ڤارس بمفرده وخُفَّاه النَّاعمان يحتكَّان بخفَّةٍ بالأرض، بينما بقيَ الأخوان لانستر عند الباب، حيث ثبَّت السير پرستون معطفًا من قماش الفضَّة مبطَّنًا بالفراء على كتفيِّ سرسي، التي قالت: «ما أخبار سلسلتك يا أخي؟».

- «تطول حلقةً حلقةً. علينا أن نَشكُر الآلهة على أن السير كورتناي پنروز عنيد هكذا، فستانيس لن يتحرَّك شَمالًا أبدًا بينما ستورمز إند في يد خصومه من ورائه».

- «تيريون، أعرفُ أننا لا نتَّفق دائمًا على سياسة إدارة الأمور، لكن يبدو لي أني كنتُ مخطئةً بشأنك. أنت لست الأحمق الكبير الذي تصوَّرته، والحقيقة أني أدركُ الآن أنك ذو نفعٍ كبير. يجب أن تُسامِحني إذا كلَّمتكُ بقسوةٍ في الماضي».

غمغَمَ: «يجب؟»، وهَزَّ كتفيه وابتسمَ لها قائلًا: «يا أختي العزيزة، لم يَحدُث أن قلتِ شيئًا يستأهل السَّماح».

قالت: «تقصد اليوم؟»، وضحكَ الاثنان... ثم مالَت سرسي وطبعَت قُبلةً ناعمةً سريعةً على جبهته.

بدهشةٍ غامرة أعجزَته عن الكلام، لم يستطِع تيريون إلَّا أن يَرقُبها تبتعد

قاطعةً الرُّواق بخطواتٍ واسعة وإلى جوارها السير پرستون، ولمَّا ابتعدَت سألَ برون: «هل فقدتُ عقلي أم أن أختي قبَّلتني الآن؟».

- «أكانت قُبلةً حُلوةً؟».

- «كانت... غير متوقَّعة». تتصرَّف سرسي بغرابةٍ في الآونة الأخيرة، الشَّيء الذي يجده تيريون باعثًا على القلق. «أحاولُ أن أتذكَّر آخِر مرَّةٍ قبَّلتني. لم أكن أكبر من ستَّة أو سبعة أعوام، وقد تحدَّاها چايمي أن تفعلها».

- «المرأة لاحظَت محاسنك أخيرًا».

قال تيريون: «كلا، المرأة تُدَبِّر شيئًا، والأفضل أن نكتشف ماهيته يا برون، فأنت تعرف كم أكرهُ المفاجآت».

ثيون

مسحَ ثيون البصقة عن وجنته بظَهر كفِّه، بينما صرخَ بنفريد تولهارت: «سيَبقُر روب بطنك يا جرايچوي! سيُطعِم ذئبه قلبك الخائن يا خراء البهائم!».

شَقَّ صوت آرون ذو الشَّعر الرَّطب الشَّتائم بحدَّة السَّيف وهو يقول: «الآن يجب أن تَقتُله».

قال ثيون: «عندي أسئلة له أولًا».

صاحَ بنفريد المعلَّق بلا حيلةٍ بين ورلاج وستيج: «اذهب إلى الجحيم أنت وأسئلتك! ستختنق بها قبل أن تنال أيَّ إجاباتٍ مني أيها المارق الجبان!».

قال العمُّ آرون بعنادٍ قاسٍ: «عندما يَبصُق عليك، فإنه يَبصُق علينا جميعًا، ويَبصُق على الإله الغريق. يجب أن يموت».

- «أبي ولَّاني أنا القيادة هنا يا عمِّي».
- «وأرسلَني لأنصحك».

وكي تُراقبني أيضًا. لا يجرؤ ثيون على التَّمادي أكثر من اللَّازم مع عمِّه، فمع أن القيادة له بالفعل، فرجاله يضعون ثقةً في الإله الغريق لا يُكِنُّونها له على الإطلاق، كما أنهم مرعوبون من آرون ذي الشَّعر الرَّطب. ولا أستطيعُ أن ألومهم على هذا!

قال بنفريد: «ستفقد رأسك من أجل هذا يا جرايچوي، وستأكل الغِربان عينيك»، وحاولَ أن يَبصُق عليه ثانيةً، لكن كلَّ ما خرجَ من فمه كان قليلًا من الدَّم، فقال: «فليغتصِب «الآخَرون» إلهكم المبتل!».

بصقتَ حياتك نفسها يا تولهارت. «ستيج، أخرِسه».

أجبَرا بنفريد على الرُّكوع على رُكبتيه، ومزَّق ورلاج فروة الأرنب عن حزامه ودَسَّها في فمه ليمنعه من الصِّياح، بينما استلَّ ستيج فأسه، لكن آرون ذا الشَّعر الرَّطب أعلنَ: «لا، يجب أن نُعطيه للإله على نهجنا القديم».

وما الفارق؟ الموت واحد مهما تعدَّدت السُّبل. «خُذاه إذن».

- «ستأتي أنت أيضًا، فأنت القائد، ويجب أن يكون القُربان منك».

كان هذا أكثر مما يستطيع ثيون أن يهضمه، فقال: «أنت الرَّاهب يا عمَّاه، وأتركُ شؤون الإله لك، فأسدِني المعروف نفسه ودَع المعارك لي»، ولوَّح بيده، فجَرَّ ستيج وورلاج الأسير نحو السَّاحل، أمَّا آرون ذو الشَّعر الرَّطب فحدجَ ابن أخيه بنظرة تأنيب، ثم تبعهما. سيَّتجهون إلى الشَّاطئ المفروش بالحصى، ليُغرِقوا بنفريد تولهارت في الماء المالح طِبقًا لنهجهم القديم.

قال ثيون لنفسه وهو يمشي بقامةٍ مشدودة في الاتِّجاه الآخَر: لعلَّها رحمة، ذلك أن ستيج ليس بالسيَّاف البارع، بينما لبنفريد عُنق ثخين كخنزير برِّي، مفتول العضلات وكثير الدُّهون. كنتُ أسخرُ من عُنقه هذا، فقط لأرى كم أقدرُ على إثارة غضبه. كان هذا منذ... ثلاثة أعوام تقريبًا؟ عندما ذهبَ ند ستارك إلى «مربَّع تورين» ليزور السير هلمان، اصطحبَ معه ثيون الذي أمضى أربعة ليالٍ في رِفقة بنفريد.

تناهَت إلى مسامعه الأصوات الظَّافرة الخشنة من منعطَف الطَّريق الذي دارَت عليه المعركة... إذا كان من الجائز تسميتها معركةً حقًّا. كانت أقرب إلى مذبحةٍ للخراف في الحقيقة، خراف صوفها فولاذ، ولكن خراف في النِّهاية.

تسلَّق ثيون كومةً من الحجارة ليُلقي نظرةً على الرِّجال الموتى والخيول المحتضرة، التي تستحقُّ مصيرًا أفضل. كان تايمور وإخوته قد جمعوا الخيول التي خرجَت سليمةً من القتال، بينما أخرسَ أورزن ولورن الأسود تلك ذات الجروح البالغة ولا سبيل لإنقاذها، أمَّا بقيَّة رجاله فكانوا يجمعون الغنائم من الجُثث، ورأى جفين هارلو يميل على صدر رجل ميت ويقطع إصبعه من أجل خاتم. يدفع الثَّمن الحديدي. كان أبي ليُبدي الاستحسان. فكَّر ثيون في تفتيش جثَّتي الرَّجلين اللَّذين قتلَهما بنفسه بحثًا عن أيِّ جواهر تستحقُّ أن

يأخذها، لكن الفكرة تركَت مذاقًا مُرًّا في فمه، وتخيَّل ما كان إدارد ستارك ليقوله، لكن تلك الفكرة أصابَته بالغضب، فذكَّر نفسه: ستارك ماتَ ويتعفَّن، ولا يعني لي شيئًا.

جلسَ العجوز بوتلي الملقَّب بشوارب القرموط مقطِّبًا وجهه إلى جوار كومة غنائمه، بينما يُضيف أبناؤه الثَّلاثة إليها. كان أحدهم يتعارَك مع رجلٍ بدين اسمه تودريك، يترنَّح بين القتلى حاملًا قرنًا من المزر بيدٍ وبلطةً بالأخرى، ويرتدي معطفًا من فرو الثَّعلب الأبيض لطَّخه قليلٌ من دم مالكه السَّابق، وتبيَّن ثيون أن الرَّجل سكران وهو يَرقُبه يجأر بالزَّعيق. يُقال إن الدِّماء كانت تُسكِر الحديديِّين القُدامى في المعارك، وتُصيبهم بسُعارٍ يجعلهم لا يَشعُرون بالألم أو يخافون الأعداء، لكن ما يراه الآن سكرة المِزر التَّقليديَّة.

قال ثيون: «وِكس، أحضِر قوسي وجَعبتي»، فهرعَ الصَّبي يجلبهما، وحنى ثيون القوس وثبَّت الوتر في طرفيه، بينما طرحَ تودريك صبيَّ بوتلي أرضًا وألقى المِزر في عينيه، فهَبَّ شوارب القِرموط يسبُّ، لكن ثيون سبقَه، وسدَّد سهمه إلى اليد القابضة على القرن، مفكِّرًا أن يُريهم رميةً يتكلَّمون عنها، لكن تودريك أفسدَ الأمر حين مالَ جانبًا في اللَّحظة ذاتها التي أطلقَ فيها ثيون السَّهم، الذي شَقَّ الهواء لينغرِس في بطن تودريك. عندئذٍ توقَّف جامعو الغنائم وحدَّقوا مشدوهين، فخفضَ ثيون قوسه قائلًا: «قلتُ لا سكارى، ولا عراكَ على الغنائم». كان تودريك يُحتضَر بصوتٍ مزعجٍ وقد سقطَ على رُكبتيه، فقال ثيون آمرًا: «بوتلي، أخرِسه»، وأسرع شوارب القرموط وأبناؤه يُطيعون الأمر، فشَقُّوا حَلق تودريك وهو يَركُل مقاومًا بوهن، وجرَّدوه من معطفه وخواتمه وأسلحته قبل أن يلفظ آخِر أنفاسه حتى.

الآن يعرفون أني أعني ما أقوله. أي نعم ولَّاه اللورد بالون القيادة، لكن ثيون يعلم أن بعض رجاله لا يرون حين يَنظُرون إليه غير صبيٍّ ناعم من الأراضي الخضراء. قال: «ألدى أحدٍ آخَر رغبة؟»، فلمَّا لم يُحِر أحَدهم جوابًا، غمغمَ: «عظيم»، وركلَ راية بنفريد السَّاقطة، التي تقبض عليها يد المُرافِق الميت الذي حملَها من قبل، ورأى ثيون أن ثمَّة فروة أرنبٍ مربوطة بالسَّارية تحت الرَّاية. كان ينوي أن يسأل عن مسألة فرو الأرانب هذه، لكن

البصق على وجهه أنساه أسئلته. ألقى قوسه إلى وكس وابتعدَ متذكِّرا الانتشاء الذي أحسَّه بَعد معركة الغابة الهامسة، ومسائلاً نفسه عما يجعله لا يتذوَّق حلاوة نصر مماثلةً ها هنا. تولهارت أيها الأحمق المتعجرف، إنك لم تُرسِل كشَّافًا واحدًا حتى.

كانوا يضحكون، بل ويُغَنُّون، وهُم يقتربون وقد خفقَت راية عائلة تولهارت ذات الأشجار الثَّلاث من فوقهم، بينما تدلَّى فرو الأرانب من رؤوس رماحهم بشكلٍ سخيف. أفسدَ الرُّماة المتوارون خلف شُجيرات الرَّتَم[1] الأغنيَّة بوابلٍ من السِّهام، ثم قادَ ثيون نفسه رجاله للإجهاز على من تبقَّوا بالخنجر والفأس والمطرقة، وإن أمرَ بالإبقاء على حياة القائد كي يستجوِبه.

لكنه لم يتوقَّع إطلاقًا أن يكون بنفريد تولهارت.

كانت جثَّته الهامدة تُجَرُّ من وسط الأمواجِ المتكسِّرة بينما عادَ ثيون إلى «كلبة البحر»، وقد ارتفعَ صاري السَّفينة الطويلة كأنه يشقُّ السَّماء فوق الشَّاطئ المفروش بالحصى. من قرية الصَّيد لم يتبقَّ غير الرَّماد الذي تفوح منه رائحة كريهة عند هطول المطر، أمَّا الرِّجال فقد قُتِّلوا جميعًا، باستثناء القلائل الذين سمحَ لهم ثيون بالفرار بأخبار ما حدثَ إلى «مربَّع تورين»، في حين استولى الحديديُّون على زوجاتهم وبناتهم كزوجاتٍ ملحيَّات، أو الشَّابات الجميلات منهن بالأحرى، فالعجائز والقبيحات إمَّا اغتُصِبن وقُتِلن ببساطة، أو أُخِذن كخادماتٍ إذا كُنَّ يملكن المهارة الكافية ولم يبدُ أنهن سيُسَبِّبن متاعب.

ثيون هو من خطَّط لهذا الهجوم أيضًا، وأبحرَ بسُفنه الطَّويلة إلى السَّاحل في الظُّلمة الباردة قبل الفَجر، ثم وثبَ من مقدِّمة سفينته وفي يده فأس طويلة المقبض، ليقود رجاله إلى داخل القرية النَّائمة. لم يَرُقه مذاق أيٍّ من هذا على الإطلاق، لكن ألديه خيار؟

كانت أخته الملعونة ثلاثًا تُبحِر بسفينتها «الرِّيح السَّوداء» شَمالًا الآن، في

(1) الرَّتَم نبات ذو أوراق صغيرة للغاية، ينمو في شُجيرات خضراء شائكة ويتكيَّف على العيش في الأجواء الجافَّة.

طريقها إلى الفوز بقلعةٍ لنفسها لا شَك. لم يكن اللورد بالون قد سمحَ لكلمةٍ واحدةٍ بأن تتسرَّب من جُزر الحديد عن احتشاد السُّفن، وسيُتَّهم مُغيرو البحر الباحثون عن الغنائم بارتكاب أفعال ثيون الدَّامية بطول السَّاحل الغربي، فلن يُدرِك الشَّماليُّون الخطر الحقيقي الذي يتهدَّدهم إلى أن تَسقُط المطرقة على «ربوة الغابة» وخندق كايلن بالفعل. وفي النِّهاية، بَعدما يتحقَّق النَّصر، سيؤَلِّفون الأغاني عن تلك الحقيرة آشا وينسون أني كنتُ هنا حتى... لو أنه سمحَ لذلك بالحدوث.

وقفَ داجمر ذو الفَكِّ المفلوق عند المقدِّمة العالية المنحوتة لسفينته الطَّويلة «ثُمالة البحر». كان ثيون قد كلَّفه بحماية السُّفن، وإلَّا لكان الرِّجال اعتبَروه انتصار داجمر وليس انتصاره هو. كان رجل أسرع غضبًا ليرى في هذا إهانةً، أمَّا ذو الفَكِّ المفلوق فقد اكتفى بالضَّحك.

حدَّثه داجمر من أعلى قائلًا: «النَّصر لنا، لكني لا أراك تبتسم يا فتى. ينبغي أن يبتسم الأحياء، فالأموات لا يبتسمون»، وابتسمَ هو ليُريه الطَّريقة، وهو المنظر الشَّنيع بالفعل، فتحت شَعره الأبيض الثَّلجي، تُكَلِّل وجه داجمر ذا الفَكِّ المفلوق ألعن نَدبةٍ رآها ثيون في حياته على الإطلاق، التَّركة التي تركَتها له بلطة كادت تفتك به في صِغره، وحطَّمت ضربتها فَكَّيه وهشَّمت أسنانه الأماميَّة وزوَّدته بشفتين إضافيَّتين إلى شفاه البَشر الطَّبيعيَّة. تُغَطِّي لحيته المشعثة وجنتيه وعُنقه، لكن الشَّعر لا ينمو فوق النَّدبة، حيث تقسم فلقة لامعة من اللَّحم المشوَّه وجهه كصدع في حقلٍ مسكوٍّ بالثُّلوج. قال المُحارِب العجوز: «سمعناهم يُغَنُّون. كانت أغنيَّةً جيِّدةً، وردَّدوها بشَجاعة».

- «كان غناؤهم أفضل من قتالهم، فما كان الأمر ليختلف لو قاتَلوا بالقيثار بدلًا من الرُّمح».

- «كم رجلًا سقطوا؟».

قال ثيون: «من رجالنا؟»، ثم هَزَّ كتفيه مجيبًا: «تودريك. قتلته لأنه ثملَ وتعاركَ على الغنائم».

- «بعض النَّاس يولَد ليُقتَل». كان رجل أدنى ليخشى أن يُظهِر ابتسامةً

مخيفةً كهذه، لكن داجمر يبتسم تلك الابتسامة الواسعة أكثر من اللورد بالون بكثير.

على الرغم من بشاعتها، أعادَت الابتسامة لثيون مئة ذكرى. لقد اعتادَ رؤيتها كثيرًا في صِباه، لمَّا كان يثب بحصانٍ فوق سورٍ مغطًّى بالطَّحالب، أو يقذف فأسًا يَشطُرِ بها هدفًا مربَّعًا، وحين يصدُّ ضربةً من سيف داجمر، أو يُصيب نورسًا محلِّقًا بسهم، وعندما أمسكَ دفَّة سفينةٍ طويلة وقادَها بأمانٍ وسط غابةٍ من الصُّخور. لقد ابتسمَ لي أكثر من أبي وإدارد ستارك معًا. حتى روب... كان المفترَض أن ينال منه ابتسامةً يوم أنقذَ بران من الهمجي، وبدلًا من هذا تلقَّى التَّقريع كأنه طبَّاخ أحرقَ الطَّعام.

قال ثيون: «يجب أن نتكلَّم يا عمَّاه». ليس داجمر عمَّه الحقيقي، بل مجرَّد واحدٍ من أتباع عائلته، في عروقه أقلُّ القليل من دماء جرايچوي من أربعة أو خمسة أجيالٍ سابقة، ومن جانب الإناث كذلك، وإن دعاه ثيون دائمًا بالعم.

- «اصعد إلى متن سفينتي إذن». لا يقول داجمر «سيِّدي» أبدًا ما دامَ على سطح سفينته، ففي جُزر الحديد كلُّ رُبَّانٍ ملك على متن سفينته.

صعدَ إلى سطح «ثُمالة البحر» بأربعِ خطواتٍ واسعة على لوح العبور، وقادَه داجمر إلى قمرته الضيِّقة في المؤخِّرة، حيث صَبَّ المِزر المُرَّ في قرنٍ وعرضَ آخَر على ثيون، لكنه رفضَه، وقال: «لم نستولِ على ما يكفي من خيول. عددها قليل، لكن... يبدو أني سأستغلُّ ما لديَّ. عدد أقلُّ من الرِّجال يعني المزيد من المجد».

- «فيمَ نحتاج الخيول؟». كمعظم الحديديِّين، يُفَضِّل داجمر القتال على قدميه أو من فوق سطح سفينة. «الخيول لن تفعل أكثر من التغوُّط على أسطُح سُفننا واعتراض طريقنا».

قال ثيون: «إذا أبحرنا، نعم، لكن لديَّ خطَّة أخرى»، وراقبَ ملامح الرَّجل بحذرٍ ليرى كيف سيتلقَّى كلماته. دون ذي الفَكِّ المفلوق لا أمل لديه في النَّجاح، وسواء كان القائد أم لا، فلن يتبعه الرِّجال أبدًا إذا عارَضه آرون وداجمر في آنٍ واحد، وقد يئسَ تمامًا بالفعل من استمالة الرَّاهب العابس.

- «السيِّد والدك أمرَنا بالإغارة على السَّاحل لا أكثر». راقبَت العينان

الشَّاحبتان كرغوة البحر ثيون من تحت الحاجبين الأبيضين الكثَّين. أهو الاستنكار ما يراه فيهما أم شرارة اهتمام؟ يظنُّ أنها الثَّانية... أو يأمل...

- «أنت رجل أبي».

- «أفضل رجاله، ولطالما كنتُ كذلك».

كبرياؤه. إنه عالي الكبرياء، ويجب أن أستغلَّ هذا. كبرياؤه هي المفتاح. «ليس هناك رجل في جُزر الحديد يملك نِصف براعتك في القتال بالرُّمح أو السَّيف».

- «لقد غبتَ طويلًا يا فتى. كنتُ كذلك عندما غادرتَ، لكني شختُ في خدمة اللورد جرايچوي. يقول المغنُّون إن أندريك هو الأفضل الآن، أندريك اللا مبتسم كما يُلَقِّبونه. إنه ضخم الجسد حقًّا، يخدم اللورد دروم في ويك القديمة. كما أن لورن الأسود وكارل البِكر يُقارِبانه هيبةً».

- «قد يكون أندريك هذا مُحارِبًا عظيمًا، لكن النَّاس لا يخافونه كما يخافونك».

قال داجمر: «نعم، هذا صحيح». كانت الأصابع التي تكوَّرت حول قرن المِزر مثقلةً بالخواتم، خواتم من الذَّهب والفضَّة والبرونز، فصوصها من الياقوت الأزرق والعقيق الأحمر وزُجاج التنِّين، ويعلم ثيون أنه دفعَ الثَّمن الحديدي في كلِّ واحدٍ منها.

- «إذا كان لديَّ رجل مِثلك في خدمتي، فلا يجب أن أهدر قُدراته في أعمال الأطفال كالإغارة والحرق، فهذا لا يليق بأفضل رجال اللورد بالون».

فتحَت ابتسامة داجمر شفاهه وكشفَت أسنانه البنِّيَّة المهشَّمة، وهو يقول: «ولا بابنه الشَّرعي؟»، ثم أطلقَ ضحكةً ساخرةً وتابعَ: «إنني أعرفك جيِّدًا يا ثيون. لقد رأيتك تخطو أولى خطواتك، وساعدتك على إعداد قوسك الأول. ليس أنا مَن يَشعُر بأن قُدراته مهدَرة».

قال وهو يُدرِك على نحوٍ مزعج وقع كلماته المغتاظة: «كان الأحقُّ أن أتولَّى القيادة التي أُعطيَت لأختي».

- «أنت تُبالِغ في ردَّة فعلك يا فتى. كلُّ ما هنالك أن أباك لا يعرفك، فمع

موت أخويك واستيلاء الذِّئاب عليك، كانت أختك سلواه الوحيدة، وتعلَّم أن يعتمد عليها، وهي لم تخذله قَطُّ».

- «ولا أنا خذلته. آل ستارك عرفوا قيمتي، فكنتُ واحدًا من صفوة كشَّافة برايندن السَّمكة السَّوداء، وكنتُ وسط موجة الهجوم الأولى في الغابة الهامسة، واقتربتُ إلى هذا الحَدِّ من مبارَزة قاتِل الملك نفسه»، ورفعَ ثيون يديه مباعدًا بينهما مسافة قدمين، وواصلَ: «لكن دارن هورنوود حالَ بيننا ولقيَ حتفه لهذا».

سألَه داجمر: «لماذا تُخبرني بهذه الأشياء؟ لقد وضعتُ سيفك الأول في يدك بنفسي، وأعلمُ أنك لست جبانًا».

- «وهل يعلم أبي؟».

بدا المُحارِب الأشيب كأنه قضمَ من صنفٍ لا يروقه مذاقه وهو يقول: «المشكلة يا ثيون... أن الذِّئب الصَّبي صديقك، وآل ستارك حظوا بك عشر سنواتٍ كاملة».

- «أنا لستُ من آل ستارك». لقد حرصَ اللورد إدارد على هذا! «إنني جرايچوي، وأنوي أن أكون وريث أبي، فكيف أفعلُ هذا دون أن أثبت نفسي بإنجازٍ عظيم؟».

- «ما زلتَ شابًّا. ستأتي حروب أخرى وستُحَقِّق إنجازاتك العظيمة، أمَّا الآن فنحن مأمورون بالإغارة على السَّاحل الحجري».

- «دَع عمِّي آرون يتولَّى هذا. سأعطيه سِتَّ سُفن، جميعها باستثناء «ثُمالة البحر» و«كلبة البحر»، ويُمكنه أن يُحرَق ويُغرِق حتى يشبع إلهه».

- «أنت القائد لا آرون ذو الشَّعر الرَّطب».

- «وما الفارق ما دامَت الغارات مستمرَّة؟ لا راهب يستطيع أن يفعل ما أنتويه، ولا ما أريده منك، فلديَّ مهمَّة لا يقدر غير داجمر ذي الفَكِّ المفلوق على إتمامها».

أخذَ داجمر رشفةً طويلةً من قرنه، ثم قال: «أخبِرني».

ها هو الإغراء تمكَّن منه. إنه لا يُحِبُّ عمل المُغيرين هذا أكثر مني. «إذا كانت أختي تستطيع الاستيلاء على قلعة، فأنا أستطيعُ كذلك».

- «آشا معها أربعة أو خمسة أضعاف ما معنا من رجال».

رسمَ ثيون على شفتيه ابتسامةً خبيثةً قائلًا: «لكننا نتمتَّع بأربعة أضعاف الذَّكاء وخمسة أضعاف الشَّجاعة».

- «أبوك...».

- «... سيَشكُرني عندما أسلِّمه مملكته. إنني أنوي أن أحقِّق إنجازًا سيُغَنُّون عنه ألف عام».

كان يُدرِك أن هذا سيجعل داجمر يُعيد النَّظر. ثمَّة مغنٍّ ألَّف أغنيَّةً عن البلطة التي فلقَت فكَّه إلى نِصفين، وقد أحبَّ العجوز سماعها، ومتى أسرفَ في الشَّراب كان يَطلُب أن يسمع واحدةً من أغاني الغارات، أغنيَّةً حماسيَّةً ملتهبةً تحكي عن أبطال الماضي وأفعال البطش والإقدام. اشتعلَ رأسه شيبًا ونَخِرَت أسنانه، لكن ما زال المجد يلذُّ له.

- «ماذا سيكون دوري في خطَّتك تلك يا فتى؟»، سألَه داجمر ذو الفَكِّ المفلوق، وحينها عرفَ ثيون أنه ظفرَ به.

- «أن تُلقي الرُّعب في قلوب الأعداء كما لا يستطيع سوى مَن يحمل اسمك أن يفعل. ستقود الجزء الأكبر من قوَّاتنا وتزحف إلى «مربَّع تورين». لقد أخذ هلمان تولهارت أفضل رجاله جَنوبًا، وبنفريد ماتَ هنا مع أبنائهم، بينما يبقى عمُّه ليوبولد فقط على رأس حاميةٍ صغيرة». ولو أني تمكَّنتُ من استجواب بنفريد، لعرفتُ حجمها بالضَّبط. «لا تُحيطوا اقترابكم بالكتمان، وردِّدوا كلَّ ما تُريدون من أغانٍ. أريدهم أن يُغلِقوا بوَّاباتهم».

- «هل «مربَّع تورين» تلك قلعة قويَّة؟».

- «قويَّة بما فيه الكفاية. الأسوار حجريَّة، ترتفع ثلاثين قدمًا، وثمَّة بُرج مربَّع عند كلِّ رُكن، وحصن مربَّع في الدَّاخل».

- «لا يُمكننا إضرام النَّار في الأسوار الحجريَّة، فكيف نقتحمها؟ إننا لا نملك العدد الكافي للهجوم على قلعةٍ صغيرة حتى».

- «ستُعَسكِرون خارج الأسوار وتشرعون في بناء المجانيق وآلات الحصار».

- «ليس هذا «النَّهج القديم»، أم أنك نسيت؟ الحديديُّون يُقاتِلون بالسَّيف

والبلطة وليس بقذف الحجارة. لا يوجد مجد في تجويع الأعداء حتى يستسلموا».

- «لن يُدرِك ليوبولد ذلك. عندما يراكم تبنون أبراج الحصار، ستتجمَّد دماؤه الأنثويَّة في عروقه ويثغو طالبًا النَّجدة كالخراف. مُر رُماتك بعدم إطلاق سهامهم يا عمَّاه، ودعوا الغِدفان تُحَلِّق. أمين القلعة في وينترفل رجل شجاع، لكن السِّنَّ يبَّست عقله كما يبَّست أطرافه، وحين يعلم أن أحد حمَلة راية مليكه يتعرَّض لهجوم من داجمر ذي الفَكِّ المفلوق شخصيًّا، سيستدعي قوَّاته ويَخرُج لعون تولهاَرت، فهذا واجبه، والسير رودريك يُعلي الواجب على كلِّ شيءٍ آخَر».

قال داجمر: «القوَّة التي يستدعيها ستكون أكبر مما معي أيًّا كان حجمها، وهؤلاء الفُرسان المسنُّون أمكر مما تحسب، وإلَّا لما كانوا قد عاشوا حتى شابَت شَعرتهم الأولى. إنك تُريد إرسالنا إلى معركةٍ لا أمل لنا في الفوز بها يا ثيون، فـ«مربَّع تورين» هذه لن تَسقُط أبدًا».

ابتسمَ ثيون قائلًا: «ليست «مربَّع تورين» القلعة التي أنوي الاستيلاء عليها».

آريا

سادَ الهرج والمرج القلعة.

وقفَ الرِّجال فوق العربات يُحَمِّلون براميل النَّبيذ وأجولة الدَّقيق وصُرر السِّهام المزوَّدة بريشاتٍ جديدة، وانهمكَ الحدَّادون في تقويم السُّيوف ودَقِّ الانبعاجات في الدُّروع وتثبيت الحدوات على أرجُل الجياد الحربيَّة وبغال الجَرِّ على حَدٍّ سواء، بينما وُضِعَت قمصان الحلقات المعدنيَّة في براميل مليئة بالرَّمل، دُحرِجَت على أرض ساحة الحجر المصهور كثيرة البروزات بغرض تنظيف القمصان وصقلها، وعكفَت نساء ويز على رتق عشرين من المعاطف وغسل مئة أخرى، واحتشدَ علية القوم وسفلتهم معًا في السِّبت يُصَلُّون، أمَّا خارج الأسوار فكانت الخيام والسُّرادقات تُفَكُّ، فيما ألقى مُرافِقو الفُرسان دلاءً من الماء على بؤر النَّار، وأخرجَ الجنود مشاحذهم لسَنِّ أسلحتهم مرَّةً أخيرةً. في كلِّ مكانٍ كانت الضَّوضاء كالمَدِّ المرتفع؛ خيول تقبع وتصهل، ولوردات يرفعون عقيرتهم بالأوامر، وجنود يتبادَلون الشَّتائم، وأتباع المعسكر يتشاحَنون.

أخيرًا سيتحرَّك اللورد تايوين لانستر.

كان السير أدام ماربراند أول من غادرَ من القادة، قبل يوم من البقيَّة، فجعلَ من رحيله عرضًا فخمًا، وقد امتطى جوادًا أحمر قويًّا، عُرِفَه باللَّون النُّحاسي نفسه الذي ينسدل على كتفيِّ السير أدام، وعلى سَرج الجواد وُضِعَت كسوة مصبوغة باللَّون البرونزي تُماثِل معطف راكبه، ومزيَّنة برمز الشَّجرة

المحترقة. بعض نسوة القلعة انتحَبن لمرآه يرحل، وقال ويز إنه خيَّال ومُبارِز عظيم، وأجرأ قادة اللورد تايوين على الإطلاق.

فكَّرت آريا وهي تُشاهِده يَخرُج من البوَّابة ومن ورائه رجاله في طابورٍ مزدوج: أتمنَّى أن يموت، أن يموتوا جميعًا. إنها تعلم أنهم ذاهبون لقتال روب، فمن خلال الإصغاء للكلام الدَّائر هنا وهناك بينما تُمارس عملها، عرفَت أن روب حقَّق نصرًا عظيمًا في الغَرب، فقال البعض إنه أحرقَ لانسپورت، أو إنه ينوي إحراقها، والبعض الآخَر قال إنه استولى على كاسترلي روك وقتَّل جميع من فيها، أو إنه يُحاصِر «النَّاب الذَّهبي»... لكن المؤكَّد أن شيئًا ما حدثَ بالفعل.

يُكَلِّفها ويز بنقل الرَّسائل من الفَجر وحتى الغَسق، فأخذَها بعض الرَّسائل إلى خارج أسوار القلعة حيث فوضى المعسكر وأوحاله، وفكَّرت وعربة تمرُّ بها مصدرةً صوتًا مزعجًا: يُمكنني أن أهرب، يُمكنني أن أثب على مؤخِّرة عربةٍ وأختبئ، أو أندسَّ بين أتباع المعسكر ولن يُلاحِظني أحد. وكان من الممكن أن تفعلها حقًّا لولا ويز، الذي قال لهم أكثر من مرَّةٍ ما سيفعله بأيِّ أحدٍ يُحاوِل أن يَهرُب منه: «أوه، لن أضربكم، لا، بل لن أمسَّ شعرةً منكم حتى. سأتركُكم للكوهوري، نعم، سأترككم للمكسِّح. اسمه ڤارجو هوت، وعندما يرجع سيقطع أقدامكم». ربما إذا ماتَ ويز، فكَّرت آريا... وإن لم يكن في وجوده، فهو يستطيع بمجرَّد النَّظر إليك أن يشمَّ أفكارك ذاتها، ودائمًا ما يُرَدِّد هذا.

على أن ويز لم يتخيَّل قَطُّ أنها تُجيد القراءة، فلم يُكَلِّف نفسه أن يختم الرَّسائل التي يُعطيها إياها، فتختلس آريا النَّظر إليها جميعًا، لكنها لا تضمُّ شيئًا مفيدًا أبدًا، بل محض أوامر سخيفة بإرسال هذه العربة إلى صومعة الغلال أو تلك إلى مستودع السِّلاح، وأشياء من هذا القبيل. واحدة منها كانت مطالَبةً بتسديد دين لُعبة قمارٍ ما، لكن الفارس الذي ذهبَت إليه بها لم يكن يعرف القراءة، فلمَّا أخبرَته بمحتواها حاولَ أن يضربها، لكن آريا انحنَت متفاديةً الضَّربة، واختطفَت قرن شرابٍ مطعَّمًا بالفضَّة من جراب سَرجه وسلَّمت ساقيها للرِّيح. جأرَ الفارس واندفعَ في أعقابها، لكنها انزلقَت بين عربتين

والدست وسط مجموعةٍ من الرُّماة، ثم وثبَت من فوق مرحاض، ولم يستطِع الفارس اللَّحاق بها بسبب قميصه المعدني الثَّقيل. قال لها ويز عندما أعطَته الفرخ إن بنت عرس صغيرة ذكيَّة مِثلها تستحقُّ مكافأةً، وأضافَ: «لقد وضعتُ عيني على ديكٍ سمين آكله على العَشاء اللَّيلة. سنتقاسَمه، وسيروقك هذا».

أينما ذهبَت، كانت آريا تبحث عن چاكَن هاجار، راغبةً في أن تهمس اسمًا آخَر في أُذنه قبل أن يبتعد مَن تكرههم عن متناوَلها، لكنها لم تَعثُر على المرتزِق اللوراثي في أيِّ مكانٍ وسط الفوضى والاضطراب. إنه لا يزال يدين لها بميتتين أخريين، وهي تخشى أنها لن تنالهما أبدًا إذا خرجَ إلى المعركة مع الآخَرين. أخيرًا استجمعَت شَجاعتها وسألَت أحد الحُرَّاس على البوَّابة إن كان چاكَن قد رحلَ، فأجابها الرَّجل: «أهو أحد رجال لورك؟ لن يذهب إذن. حضرة اللورد عيَّن السير آموري أمينًا لهارنهال، وسيبقى رجاله كلهم للدِّفاع عن القلعة، والممثِّلون السفَّاحون سيبقون كذلك لمَدِّنا بالمؤن. لا بُدَّ أن هذا الكبش هوت مغتاظ، فلطالما كان هو ولورك يكرهان بعضهما بعضًا».

أمَّا الجبل فسيُغادِر مع اللورد تايوين ليقود الطَّليعة في المعركة، ما يعني أن دانسن وپوليڤر وراف سينسلُّون من بين أصابعها ما لم تَعثُر على چاكَن وتجعله يَقتُل واحدًا منهم قبل أن يرحلوا.

قال ويز يومها بَعد الظُّهر: «بنت عرس، اذهبي إلى مستودع السِّلاح وأخبِري لوكان أن السير لايونل فَلَّ سيفه أثناء التَّدريب ويُريد واحدًا جديدًا. ها هو شعاره»، وأعطاها ورقةً مربَّعةً مواصلًا: «أسرِعي، فسيَخرُج مع السير كيڤان لانستر».

أخذَت آريا الورقة وأسرعَت تُنَفِّذ الأمر. يُتاخِم مستودع سلاح القلعة مبنى ورِش الحدادة الطويل عالي السَّقف، الذي يُشبِه النَّفق ويضمُّ عشرين ورشةً وقنوات ماء حجريَّة طويلة لتلطيف حرارة الفولاذ. نِصف الوِرش كان يعمل بالفعل عندما دخلَت، وتردَّد رنين المطارق على الجُدران، بينما تصبَّب عَرق الرِّجال متيني البنيان الذين يرتدون المآزر الجِلديَّة من شدَّة الحرارة، وقد انحنوا فوق الكيران والسَّنادين. لمحَت جندري وقد سالَ العَرق غزيرًا على جذعه العاري، وإن احتفظَت العينان الزَّرقاوان من تحت الشَّعر الأسود

الغزير بالنَّظرة العنيدة التي تَذكُرها. لم تكن آريا تعرف إن كانت تُريد أن تتكلَّم معه من الأصل، فهو مَن تسبَّب في القبض عليهم جميعًا، لكنها مدَّت يدها بالورقة قائلةً: «أيهم لوكان؟ أريدُ سيفًا جديدًا للسير لايونل».

رَدَّ: «لا عليكِ بالسير لايونل»، وسحبَها جانبًا وقال: «ليلة أمس سألَني هوت پاي إن كنتُ سمعتكِ تهتفين «وينترفل» ونحن في المعقل، عندما كنا نُقاتِل على الأسوار».

- «لم يَحدُث!».

- «بل حدثَ. أنا أيضًا سمعتكِ».

قالت آريا بنبرةٍ دفاعيَّة: «الجميع كانوا يهتفون بأشياء ما، هوت پاي هتفَ «هوت پاي» مئة مرَّةٍ على الأقل».

- «المهمُّ هو ما هتفتِ بهِ أنتِ. قلتُ لهوت پاي أن يُنَظِّف أُذنيه من الشَّمع، وأنكِ هتفتِ «فليأخذكم الظِّل!». قولي له هذا إذا سألكِ».

قالت: «سأفعلُ»، مع أن رأيها أن هتافًا مِثل «فليأخذكم الظِّل!» شديد السَّخافة حقًّا. إنها لم تجرؤ على إخبار هوت پاي بهويَّتها الحقيقيَّة. ربما عليَّ أن أقول اسمه لچاكن.

قال جندري: «سأحضرُ لوكان».

وحدَّق لوكان في الرِّسالة مدمدمًا (وإن لم تعتقد آريا أنه استطاعَ قراءتها)، ثم سحبَ سيفًا طويلًا ثقيلًا، وقال وهو يُناوِلها إياه: «سيف كهذا خسارة في ذلك الأحمق. أخبريه أنني قلتُ هذا».

ردَّت كاذبةً: «سأفعلُ». إذا فعلَت شيئًا كهذا، سيضربها ويز حتى يسيل دمها. فليُوَجِّه لوكان إهاناته بنفسه.

وجدَت السَّيف الطَّويل أثقل كثيرًا من «الإبرة»، لكنها أحبَّت الإحساس الذي بَثَّه حمْله في نفسها، إذ جعلَها ثِقل الفولاذ تَشعُر بأنها أقوى. لعلِّي لم أصبح راقصة مياهٍ بعدُ، لكني لستُ فأرًا كذلك. الفئران لا تستطيع القتال بالسَّيف، لكني أستطيعُ. كانت البوَّابات مفتوحةً، والجنود يَدخُلون ويَخرُجون، والعربات تأتي فارغةً وتذهب مترنِّحةً تحت حمولاتها الثَّقيلة وتُصدِر صريرًا مزعجًا. خطرَ لها أن تذهب إلى الاسطبلات وتقول لهم

إن السير لايونل يُريد حصانًا جديدًا، فالورقة معها، ولن يتمكَّن عُمَّال الاسطبلات من قراءتها، تمامًا مِثل لوكان. يُمكنني أن آخذ الحصان والسَّيف وأخرج، وإذا اعترضَ الحَرس طريقي، سأريهم الورقة وأقولُ إنني ذاهبة بهما إلى السير لايونل. غير أنها لا تعرف كيف يبدو السير لايونل أو أين تجده، فإذا استجوَبوها فسيعرفون الحقيقة، ثم إن ويز... ويز...

كانت تمضع شفتها محاولةً ألَّا تُفَكِّر فيما ستَشعُر به إذا قُطِعَت قدماها، عندما مرَّت بها مجموعة من الرُّماة في سُتراتٍ جِلديَّة وخوذاتِ حديد، وقد علَّقوا أقواسهم على الأكتاف، والتقطَت أذنا آريا مقتطفاتٍ من كلامهم.

- «... عمالقة كما أقولُ لكم، معه عمالقة طولهم عشرون قدمًا جاءَ بهم من وراء «الجِدار»، ويتبعونه كالكلاب...».

- «... غير طبيعي، الهجوم عليهم بهذه السُّرعة في جوف اللَّيل. إنه ذئب أكثر من إنسان، كلُّ أولاد ستارك كذلك...».

- «... خراء على ذئابك وعمالقتك. سيبول الصَّبي في سراويله لو عرفَ أننا قادمون. إنه لم يكن بالرُّجولة الكافية للزَّحف إلى هارنهال، أليس كذلك؟ وهربَ في الاتِّجاه الآخَر، أليس كذلك؟ خيرٌ له أن يهرب الآن أيضًا لو أنه يعرف ما في صالحه».

- «هذا ما تقوله أنت، لكن ربما يعلم الصَّبي شيئًا لا نعلمه، ربما خيرٌ لنا نحن أن نهرب...».

نعم، نعم، عليكم أنتم أن تهربوا، أنتم واللورد تايوين والجبل والسير أدام والسير آموري والسير لايونل الأحمق أيًّا كان، خيرٌ لكم أن تهربوا جميعًا قبل أن يفتك بكم أخي. إنه ستارك، ذئب أكثر من إنسان، وأنا كذلك.

- «بنت عرس». شَقَّ صوت ويز مسامعها كالسِّياط. لم ترَ مِن أين جاءَ، لكن فجأةً ها هو أمامها يقول: «أعطيني هذا»، وانتزعَ السَّيف من بين أصابعها، ثم هوى على وجهها بصفعةٍ موجعةٍ بظَهر كفِّه، وقال: «المرَّة القادمة أسرِعي».

كانت قد رجعَت ذئبةً من جديدٍ مدَّة هنيهة، لكن صفعة ويز عادَت تَستلبها هذا الإحساس، ولم تَترُك لها غير مذاق دمائها في فمها، إذ عضَّت لسانها عندما صفعَها، وكرهَته لهذا.

قال ويز: «أتُريدين أخرى؟ ستنالينها، فلن أتجاوَز عن نظراتكِ المتحدية إياها. انزلي إلى المَخمرة وقولي لتافلبري إن عندي دستتين من البراميل له، لكن خيرٌ له أن يُرسِل بعضًا من صبيانه ليأخذوها، وإلَّا سأجدُ مَن يحتاجها أكثر منه». بدأت آريا تتحرَّك، لكن ليس بالسُّرعة التي تُرضي ويز، فصاحَ ناسيًا وعده بالدِّيك السَّمين: «اجري إذا كنتِ تُريدين أن تأكلي اللَّيلة. ولا تضلِّي الطَّريق مرَّةً أخرى، وإلَّا أقسمُ أن أضربكِ حتى يسيل دمكِ».

قالت آريا في أعماقها: لن تفعل، لن تفعل ثانيةً أبدًا، لكنها جرَت على الرغم من ذلك، ولا بُدَّ أن آلهة الشَّمال القديمة كانت تهدي خُطاها، ففي منتصَف الطَّريق إلى المَخمرة، وبينما تمرُّ من تحت الجسر الحجري الذي يمتدُّ كقنطرةٍ بين بُرج الأرملة وبُرج محرقة الملك، سمعَت ضحكةً هادرةً خشنةً، ثم ظهرَ رورج عند زاوية مبنى مع ثلاثة رجالٍ آخَرين، وقد خُيِّطَ مانتيكور السير آموري فوق قلوبهم. توقَّف وابتسمَ حين رآها، كاشفًا أسنانه البنِّيَّة المعوجَّة، أسفل السَّديلة الجِلديَّة التي يرتديها على وجهه أحيانًا، ليُغَطِّي الفجوة التي كان أنفه يحتلُّها، وناداها قائلًا: «قحبة يورن الصَّغيرة. أظنُّنا نعرف الآن لماذا أرادكِ النَّغل الأسود على «الجِدار»، أليس كذلك؟»، وعادَ يضحك وضحكَ الآخَرون معه، ثم قال بلهجةٍ صارمةٍ مفاجئة وقد غابَت الابتسامة عن وجهه بسرعةٍ كما جاءَت: «أين عصاكِ الآن؟ لقد وعدتك بأن أنيككِ بها حتى تدمين»، وتقدَّم منها خطوةً لتتراجَع آريا، فقال: «لستِ شُجاعةً الآن وأنا غير مكبَّل بالأغلال، أليس كذلك؟».

صاحَت: «لقد أنقذتك!». كانت تُحافِظ على مسافة ياردة كاملة بينهما، مستعدَّةً للفرار بسُرعة الثُّعبان إذا حاولَ الإمساك بها.

- «يبدو إذن أن عليَّ أن أنيككِ مرَّتين سدادًا للدَّين. هل كان يورن يُفَضِّل كُسَّكِ أم هذا الدُّبر الصَّغير المشدود؟».

قالت: «أبحثُ عن چاكن. هناك رسالة له».

توقَّف رورچ. شيء ما في عينيه... أمِن الممكن أنه يخاف چاكن هاجار؟ قال لها: «الحمَّام. ابتعدي عن طريقي».

دارَت آريا على عقبيها وانطلقَت برشاقة الغزلان، تطير قدماها طيرانًا

فوق الأرض المرصوفة بالحصى حتى الحمَّام، حيث وجدَت چاكُن يجلس مغمض العينين في حوضٍ والبُخار يتصاعَد من حوله، بينما صبَّت خادمة الماء السَّاخن على رأسه، وقد انسدلَ شَعره الطَّويل (أبيض على جانب وأحمر على الثَّاني) على كتفيه مثقلًا بالبلل.

انسلَّت نحوه بهدوء الظِّلال، لكنه فتحَ عينيه قائلًا: «تتسلَّل على قدمين صغيرتين كالفئران، لكن الرَّجل يسمع». تساءلَت: كيف سمعَني؟ وكأنه سمعَ هذا أيضًا، قال: «احتكاك الجِلد بالحجر عالٍ كنفير الحرب لمَن يُصيخ السَّمع. الفتاة الذكيَّة تمشي حافية القدمين».

قالت آريا: «معي رسالة لك»، ورمقَت الخادمة بشَك، فلمَّا تبيَّنت أنها لن تُغادِر، مالَت حتى كادَ فمها يُلامِس أُذنه، وهمسَت: «ويز».

عادَ چاكُن هاجار يُغلِق عينيه، وتمدَّد في الماء بخمولٍ كأنه نِصف نائم، وقال: «أخبِري حضرة اللورد أن الرَّجل سيذهب إليه في الوقت الذي يُناسِبه»، ثم تحرَّكت يده بسُرعةٍ ورشَّت آريا بالماء السَّاخن، فوثبَت إلى الخلف كي لا تبتلَّ.

عندما أخبرَت تافلبري بما قاله ويز، أطلقَ الخمَّار سبابًا عاليًا، وردَّ عليها: «قولي لويز إن صبياني لديهم واجبات يقومون بها، وقولي له إنه نغل مجدور كذلك، وستتجمَّد الجحائم السَّبع قبل أن ينال قرنًا آخَر من مِزري. إمَّا أن تصلني البراميل خلال ساعة أو يسمع اللورد تايوين بهذا، ولستُ أمزحُ».

سَبَّ ويز بدوره حين عادَت إليه آريا بالرَّد، على الرغم من أنها لم تَذكُر الجزء الخاص بالنَّغل المجدور، واستشاطَ غضبًا وأخذَ يُهَدِّد بالثُّبور، لكن في النِّهاية جمعَ ستَّة رجالٍ وأرسلَهم متذمِّرين بالبراميل إلى المَخمرة.

تكوَّن العَشاء ليلتها من يخنةٍ خفيفة من الشَّعير والبصل والجزر، مع قطعةٍ من الخُبز الأسمر البائت. واحدة من النِّسوة اعتادَت النَّوم في فِراش ويز، فنالَت قطعةً من الجبن الأزرق الطَّري كذلك، بالإضافة إلى جناحٍ من الدِّيك الذي ذكَره ويز في الصَّباح، أمَّا بقيَّة الطَّائر فقد أكلها بنفسه، وسال الدُّهن في خَطٍّ لامعٍ على البثور القبيحة المجاورة لرُكن فمه. كان الدِّيك قد التَهمَ

بالكامل تقريبًا، عندما رفعَ ويز عينيه عن صحفته ولمحَ آريا تُحَدِّق فيه، فقال لها: «تعالي هنا يا بنت عرس».

كان القليل من اللَّحم الدَّاكن لا يزال عالقًا بفخذ الطَّائر، ففكَّرت آريا: لقد نسيتَني، لكنه تذكَّرني الآن، وشعرَت بالذَّنب لأنها قالت لچاكَن أن يَقتُله. نهضَت من على الدِّكَّة وذهبَت إليه عند رأس المائدة.

قال ويز: «رأيتكِ تَنظُرين إليَّ»، ومسحَ أصابعه على وجه ثوبه، ثم أطبقَ على عُنقها بيده وصفعَها بالأخرى قائلًا: «ماذا قلتُ لك؟»، وصفعَها ثانيةً بظَهر يده، وتابعَ: «إياكِ أن ترفعي عينيكِ ثانيةً، وإلَّا اقتلعتها المرَّة القادمة بملعقة وأطعمتها لكلبتي»، ودفعَها لتَسقُط أرضًا، فعلقَت حافة ثوبها بمسمارٍ مخلخَل في الدِّكَّة الخشبيَّة البالية، وتمزَّقت مع سقطتها، فقال ويز آمرًا وهو يُفَسِّخ قطعة لحم الدِّيك الأخيرة: «ستُصلِحين هذا قبل أن تنامي»، ومَصَّ أصابعه بصوتٍ مرتفع لمَّا فرغَ، وألقى العظم لكلبته المرقَّطة.

- «ويز»، همسَت آريا ليلتها وقد مالَت فوق ثوبها تُصلِح المزق، وكلما ثقبَت الصُّوف غير المصبوغ بإبرتها العظميَّة ردَّدت اسمًا آخَر: «دانسن، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير جريجور، السير آموري، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». تساءلَت كم سيبقى ويز جزءًا من صلاتها، وغابَت في النَّوم حالمةً بأنه سيكون ميتًا حين تستيقظ غدًا.

لكن طرف حذاء ويز الحاد هو ما أيقظَها كالمعتاد. قال لهم وهُم يُفطِرون على كعكات الشُّوفان إن الجزء الأساسي من قوَّة اللورد تايوين سيُغادِر اليوم، وأضافَ منذرًا: «لا يحسبنَّ أحدكم أن العمل سيُصبِح أسهل هنا بمجرَّد رحيل اللورد لانستر، فأعدكم بأن حجم القلعة لن يَصغُر، لكن الفارق الآن أن عدد من يعتنون بها أقلُّ. الآن ستتعلَّمون معنى العمل الحقيقي أيها الكسالى، نعم».

قالت آريا لنفسها وهي تقطع من كعكة الشُّوفان: ليس منك. عبسَ ويز في وجهها كأنه اشتمَّ سِرَّها، فأسرعَت تخفض ناظريها إلى طعامها، ولم تجرؤ على رفعهما من جديد.

كان الضَّوء الشَّاحب يَغمُر السَّاحة حين خرجَ اللورد تايوين لانستر من

هارنهال. راقبَت آريا من نافذةٍ مقنطرة في واحدٍ من طوابق بُرج العويل الوُسطى، فرأت جواده في كسوةٍ من أقراص المعدن القرمزيَّة المطليَّة بالمينا، بالإضافة إلى واقييْن مذهَّبين للرَّأس والعُنق، بينما ارتدى اللورد تايوين نفسه معطفًا سميكًا من فرو القاقوم، وقارَبه أخوه السير كيڤان في أبَّهة المنظر. تقدَّمهما عدد من حاملي الأعلام لا يقلُّ عن أربعة، رافعين راياتٍ قرمزيَّة ضخمة مرصَّعة بالأسد الذَّهبي، ومن وراء الأخوين لانستر جاءَ كبار اللوردات والقادة، تتموَّج راياتهم وتخفق في مهرجانٍ من الألوان؛ الثَّور الأحمر والجبل الذَّهبي، واليونيكورن الأرجواني والدِّيك الفرخ، وابن مِقرض الفضِّي والحاوي ذو ثياب المهرِّجين، والنُّجوم والشَّمس المتفجِّرة، والطَّاووس والفهد، والعلم والخنجر، والقلنسوة السَّوداء والخنفساء الزَّرقاء والسَّهم الأخضر.

وأخيرًا جاءَ السير جريجور كليجاين في دِرعٍ من الفولاذ الرَّمادي الشَّاحب، يرتدي فَحلًا معتلَّ المزاج كراكبه، وإلى جواره ركبَ پوليڤر وفي يده راية الكلاب السَّوداء وعلى رأسه خوذة جندري ذات القرنين. طويل القامة هو، لكن في ظِلِّ سيِّده لم يبدُ أكبر من صبيٍّ لم يكتمِل نموُّه.

زحفَت القشعريرة على عمود آريا الفقري وهي تُشاهِدهم يمرُّون من تحت شبكة هارنهال الحديديَّة الضَّخمة، وأدركَت بغتةً أنها ارتكبَت خطأً فادحًا، وقالت لنفسها: يا لغبائي. ويز بلا قيمةٍ حقًّا، تمامًا كما كان تشيزويك. هؤلاء هُم الرِّجال المهمُّون، الرِّجال الذين كان عليها أن تَقتُلهم. كان بإمكانها ليلة أمسِ أن تهمسَ بموت أيِّهم، فقط لو لم تكن غاضبةً من ويز لأنها ضربَها وكذبَ بشأن الدِّيك. اللورد تايوين. لماذا لم أقل اسم اللورد تايوين؟

ربما لم يَفُت أوان تغيير رأيها، فويز لم يُقتَل بعدُ، وإذا استطاعَت أن تَعثُر على چاكن وتُخبِره...

بسُرعة السَّهم نزلَت آريا الدَّرجات الملتوية، وقد نسيَت كلَّ شيءٍ عن واجباتها، وسمعَت صلصلة السَّلاسل والشَّبكة الحديديَّة تنزل ببُطءٍ لتغوص أطرافها المدبَّبة في عُمق الأرض... ثم سمعَت صرخة ألم وخوف.

وجدَت دستةً ممن سبقوها، وإن لم يَجسُر أحدهم على الدُّنو أكثر من

اللَّازم، فدسَّت آريا جسدها بينهم، ورأت ويز ملقى على الأرض الحجريَّة وعُنقه خراب أحمر، تُحَدِّق عيناه إلى أعلى بلا رؤيةٍ وقد كسَتهما غشاوة رماديَّة، بينما وقفَت كلبته المرقَّطة القبيحة فوق صدره، تلعق الدَّم المنبجس من حَلقه في دفقات، وبين الحين والآخَر تُمَزِّق قطعةً من اللَّحم من وجهه.

أخيرًا أحضرَ أحدهم نُشَّابيَّةً وأردى الكلبة المرقَّطة وهي تنهش واحدةً من أُذني ويز، وسمعَت آريا رجلًا يقول: «ألعن شيءٍ رأيته. هذه الكلبة معه منذ كانت جروةً صغيرةً»، فقال حامل النُّشَّابيَّة: «هذا المكان ملعون»، وأضافَت العقيلة آمابل: «إنه شبح هارن. أقسمُ أن نومًا لن يأتيني هنا اللَّيلة».

رفعَت آريا بصرها عن الرَّجل الميت وكلبته الميتة، فلمحَت چاكن هاجار مستندًا إلى جانب بُرج العويل، ولمَّا رآها تَرمُقه، رفعَ يده بحركةٍ عَرَضيَّة ووضعَ إصبعين متجاورَيْن على وجنته.

كاتلين

على بُعد يومين بالحصان من ريڤررَن، لمحَهم كشّاف يسقون خيولهم من جدولٍ موحل، ولم تَشعُر كاتلين بسرورٍ مشابهٍ من قبل لمرأى بُرجيِّ عائلة فراي التَّوأمين، وحين طلبَت منه أن يقودهم إلى عمِّها، أجابَ الرَّجل: «السَّمكة السَّوداء ذهبَ غَربًا مع الملك يا سيِّدتي. مارتن ريڤرز يقود الكشّافة بدلًا منه».

- «مفهوم». كانت قد التقَت مارتن ريڤرز في «التَّوأمتين». إنه ابن غير شرعي للورد والدر فراي، وأخ غير شقيق للسير پروين. لم يُدهِشها أن روب وجَّه ضربةً إلى عُقر لانسپورت، ومن الواضح أنه كان يعتزم هذا بالفعل عندما أرسلَها إلى رنلي. «أين ريڤرز الآن؟».

- «معسكره على بُعد ساعتين يا سيِّدتي».

قالت آمرةً: «خُذنا إليه»، وساعدَتها بِريان على امتطاء حصانها ثانيةً، وتحرَّكوا في الحال.

سألَها الكشّاف: «هل أتيتِ من «جسر العلقم» يا سيِّدتي؟».

- «كلا». الحقيقة أنها لم تجرؤ على الذَّهاب إلى هناك، فمع موت رنلي لم تكن واثقةً بطبيعة استقبال أرملته الشّابَّة وحُماتها لها، وبدلًا من هذا شقَّت طريقها في قلب الحرب، وقطعَت أراضٍ خصيبةً أحالَتها ثائرة آل لانستر إلى صحراء سوداء، وفي كلِّ ليلةٍ كان كشّافتها يعودون إليها بقِصصٍ تُشعِرها بالغثيان. أضافَت: «لقد اغتيلَ اللورد رنلي».

- «كنا نأمل أنها مجرَّد كذبة أذاعَها آل لانستر، أو...».

- «ليتها كذلك. هل يتولّى أخي القيادة في ريفررَن؟».
- «نعم يا سيِّدتي، جلالته كلّف السير إدميور بالحفاظ على ريفررَن وحماية مؤخِّرة قوّاته».
فلتمنحه الآلهة القوّة، والحكمة أيضًا. «أهناك أنباء من روب من الغَرب؟».
بدَت الدَّهشة على الرَّجلِ وهو يقول: «ألم تسمعي؟ جلالته حقّق نصرًا عظيمًا في أوكسكروس، وقُتِلَ السير ستافورد لانستر وتشتَّت جيشه».
أطلقَ السير وندل ماندرلي شهقةً مسرورةً، بينما اكتفَت كاتلين بالإيماء برأسها، فمِحَن الغد تهمُّها أكثر من انتصارات الأمس.
أقامَ مارتن ريفرز معسكره وسط أطلال معقلٍ متهدِّم، إلى جوار اسطبلٍ بلا سقف وعشرات القبور الحديثة، وقد ركعَ على رُكبةٍ واحدةٍ عندما ترجَّلت كاتلين، وقال: «تُسعِدنا رؤيتكِ يا سيِّدتي. أخوكِ كلَّفنا بترقُّب ظهور مجموعتكِ واصطحابكم إلى ريفررَن على وجه السُّرعة إذا قابَلناكم».
لم ترتَح كاتلين للكلام، فسألَت: «أهو أبي؟».
أجابَ ريفرز، الرَّجل متورِّد الوجه الذي لا يُشبِه إخوته غير الأشقّاء كثيرًا: «كلا يا سيِّدتي، حالة اللورد هوستر لم تتبدَّل. كنا نخشى فقط أن تُصادِفوا كشّافة لانستر، فاللورد تايوين غادرَ هارنهال ويزحف غَربًا بكامل قوّته».
قالت لريفرز عاقدةً حاجبيها: «انهض». لا شَكَّ أن ستانيس باراثيون سيبدأ الزَّحف قريبًا أيضًا، ولترحم الآلهة الجميع. «كم من الوقت قبل أن يَبلُغنا اللورد تايوين؟».
- «ثلاثة أيام، وربما أربعة. من الصَّعب أن نعرف بالتَّحديد. لدينا أعيُن على الطُّرق كلها، لكن من الأفضل ألّا نتلكّأ هنا».
وبالفعل لم يتلكّأوا، فحَلَّ ريفرز معسكره سريعًا وامتطى حصانه إلى جوارها، وتحرَّكوا من جديدٍ وقد قاربَ عددهم الخمسين الآن، منطلقين تحت رايات الذِّئب الرَّهيب وسمكة الترويت الواثبة والبُرجين التَّوأمين.
أرادَ رجالها أن يعرفوا المزيد عن انتصار روب في أوكسكروس، فأذعنَ ريفرز قائلًا: «ثمَّة مغنٍّ جاءَ إلى ريفررَن يُسَمّي نفسه رايموند النّاظم، ألَّف أغنيَّةً عن المعركة يُسَمّيها «ذئب في اللَّيل» لا شَكَّ أنكِ ستسمعينها اللَّيلة

يا سيِّدتي»، واستطردَ حاكيًا أن فلول جيش السير ستافورد انسحبَت إلى لانسپورت. لِيس هناك سبيل للهجوم على كاسترلي روك بلا آلات حصار، ولذا يعمل الذِّئب الصَّغير على القصاص من آل لانستر للخراب الذي أحدَثوه في أراضي النَّهر، فيشنُّ اللوردان كارستارك وجلوڤر الغارات على السَّاحل، بينما أوقعَت الليدي مورمونت بآلاف الماشية، وتسوقها الآن نحو ريڤررَن، أمَّا چون الكبير فقد استولى على مناجم الذَّهب في كاستامير ونونز ديپ وتلال پندريك.

قال السير وندل ضاحكًا: «لا شيء يجعل اللانستر يأتي جريًا غير تعرُّض ذهبه للخطر».

سألَ السير پروين فراي أخاه النَّغل: «كيف استولى الملك على «النَّاب الذَّهبي»؟ إنها قلعة قويَّة حصينة، وتُشرِف على طريق التِّلال».

- «لم يستولِ عليها، بل دارَ حولها سِرًّا في جوف اللَّيل. يُقال إن ذئبه الرَّهيب جراي ويند أراه الطَّريق، بَعد أن اشتمَّ دربًا للماعز ينزل ممرًّا جبليًّا ثم يصعد مارًّا بمحاذاة سلسلة جبال. إنه طريقٍ حجري معوج، لكن واسع بما فيه الكفاية لأن يقطعه الرِّجال راكبين في صَفٍّ واحد، فلم يلمحهم جنود لانستر في أبراج الحراسة إطلاقًا»، ثم خفضَ ريڤرز صوته، وقال: «يقول البعض إن الملك اقتلعَ قلب السير ستافورد من صدره بَعد المعركة وأطعمَه لذئبه».

قالت كاتلين بحدَّة: «لا يُصَدِّقن أحدكم تلك الحكايات، فابني ليس متوحِّشًا».

- «كما تقولين يا سيِّدتي، وإن لم يكن ذلك أكثر مما يستحقُّه الذِّئب. إنه ليس ذئبًا تقليديًّا على الإطلاق. چون الكبير يقول إن آلهة الشَّمال القديمة أرسلَت تلك الذِّئاب إلى أطفالكِ».

تذكَّرت كاتلين يوم عثرَ ابناها على الجراء وسط ثلوج أواخر الصَّيف. كانوا خمسةً، ثلاثة ذكورٍ وأنثيين لأولاد عائلة ستارك الشَّرعيِّين... وسادس أبيض الفرو وأحمر العينين لابن ند غير الشَّرعي چون سنو. ليست ذئابًا تقليديَّةً بالفعل.

جاءَتها بِريان ليلتها في خيمتها وهُم ينصبون مخيَّمهم، وقالت لها:

«سيِّدتي، بما أنكِ عُدتِ وسط قومكِ بأمان، وتَبعُدين يومًا واحدًا عن قلعة أخيكِ، فأرجو أن تُعطيني الإذن بالرَّحيل».

لم يكن ينبغي أن تندهِش كاتلين، فالشَّابَّة الدَّميمة عزفَت عن الاختلاط بهم طيلة الرِّحلة، وقضَت معظم وقتها مع الخيول، تُمَشِّط شَعرها وتنتزع الحجارة العالقة بحَدواتها، وإن ساعدَت شاد أيضًا في الطَّهي وتنظيف ما اقتنَصوه من طرائد، وسرعان ما أثبتَت مهارتها في الصَّيد كذلك. كلُّ ما كلَّفتها به كاتلين نفَّذته برِيان بحِذقٍ وبلا شكوى، وعندما وُجِّهَ إليها الكلام كانت تُجيب بأسلوبٍ مهذَّب، لكنها لم تُثَرثِر قَطُّ، ولم تبكِ، ولم تضحك. لقد ركبَت معهم كلَّ نهارٍ ونامت وسطهم كلَّ ليلة، إلَّا أنها لم تَصِر واحدةً منهم حقًّا.

تمامًا مِثلما كانت مع رنلي، أثناء المأدبة والالتحام الجماعي، وحتى في سُرادقه مع إخوتها في حَرس قوس قزح. هذه الفتاة تُحيط بها أسوار أعلى من تلك التي تُطَوِّق وينترفل.

سألَتها كاتلين: «إذا تركتِنا، فأين ستذهبين؟».

أجابَت برِيان: «سأعودُ إلى ستورمز إند».

- «وحدكِ»، قالت كاتلين، وإن لم يكن بلهجة السُّؤال.

- «نعم». كان وجهها العريض كبِركةٍ من المياه الرَّاكدة، لا يشي أبدًا بما قد يكون ساكنًا في الأعماق.

- «تعتزمين أن تَقتُلي ستانيس».

ضمَّت برِيان أصابعها الثَّخينة ذات الجلد المتيبِّس حول مقبض سيفها، السَّيف الذي كان سيفه هو، وقالت: «لقد أقسمتُ أن أقتله، أقسمتُ ثلاثًا كما سمعتِني».

غمغمَت كاتلين: «نعم». إنها تعلم أن الفتاة احتفظَت بمعطف حَرس قوس قزح عندما تخلَّصت من ملابسها الملطَّخة بالدِّماء، أمَّا أغراضها الأخرى فقد تركَتها برِيان في المعسكر حين هربَتا، فأُجبرَت على ارتداء قِطعٍ غير متناسقةٍ من ثياب السير وندل الإضافيَّة، بما أن أحدًا آخَر في المجموعة لا يملك ثيابًا

كبيرةً تُناسِب مقاسها. «وأنا أوافِقكِ على أن البِرَّ بالقَسم واجب، لكن ستانيس مُحاط بجيشٍ جرَّار، وحَرسه أقسَموا على حمايته».

– «لستُ أخشى حَرسه، ولا أقلُّ براعةً عن أيِّهم. لم يكن عليَّ أن أهرب قَطُّ».

قالت كاتلين: «أهذا ما يُقلِقكِ؟ أن يتَّهمكِ أحمق ما بالجُبن؟»، وتنهَّدت مضيفةً: «موت رنلي لم يكن غلطتك. لقد خدمتِه بشَجاعةٍ وإخلاص، لكنكِ لا تخدمين أحدًا حين تسعين إلى اللَّحاق به في القبر»، ومدَّت يدها تُعطيها ما تقدر عليه لمستها من مواساة، وأردفَت: «أعلمُ كم هو صعب أن...».

أزاحَت بِريان يدها قائلةً: «لا أحد يعلم».

بحدَّةٍ قالت كاتلين: «أنتِ مخطئة. كلما استيقظتُ صباحًا أتذكَّرُ أن ند رحلَ. إنني لا أملكُ أيَّ براعةٍ في المبارَزة، لكن ذلك لا يعني أني لا أحلمُ بأن أذهب إلى كينجز لاندنج وأُطبِق على عُنق سرسي الأبيض بيديَّ إلى أن يسودَّ وجهها».

رفعَت المليحة عينيها، الجزء الوحيد المليح منها حقًّا، وقالت: «إذا كنتِ تَحلُمين بهذا، فلِمَ ترغبين في منعي؟ بسبب ما قاله ستانيس في المفاوَضة؟».

أهذا هو السَّبب؟ تطلَّعت كاتلين عبر المخيَّم، ورأت حارسين يمشيان حاملَيْن رُمحيهما، ثم قالت: «لقد تعلَّمتُ أن الأخيار عليهم محارَبة الشَّرِّ في هذا العالم، وموت رنلي كان شرًّا مستطيرًا لا ريب فيه، لكني تعلَّمتُ كذلك أن الآلهة لا سيوف البَشر هي مَن تصنع الملوك، فإذا كان ستانيس ملكنا الشَّرعي...».

– «ليس كذلك، وروبرت أيضًا لم يكن الملك الشَّرعي، وحتى رنلي قال هذا. چايمي لانستر قتلَ الملك الشَّرعي غيلةً، بَعدما قتلَ روبرت وريثه الشَّرعي في معركة الثَّالوث، فأين كانت الآلهة حينئذٍ؟ الآلهة لا تُبالي بالبَشر أكثر مما يُبالي الملوك بالفلَّاحين».

– «الملك الصَّالح يُبالي».

– «اللورد رنلي... جلالته... كان ليُصبح الملك الأصلح يا سيِّدتي. كان طيِّب القلب للغاية، و...».

قالت كاتلين برفقٍ قَدر الإمكان: «لقد رحلَ يا برِيان، بينما يبقى ستانيس وچوفري... وابني كذلك».

- «إنه لن... أنتِ لن تتصالَحي مع ستانيس أبدًا، أليس كذلك؟ وتركعين له؟ أنتِ لن...».

- «أصدقكِ القول يا بريان إنني لا أعرفُ. قد يكون ابني ملكًا، لكني لستُ ملكةً... إنني مجرَّد أمٍّ ترغب في الحفاظ على أمان أطفالها بأيِّ وسيلة».

- «لستُ مخلوقةً لأن أكون أمًّا، وأحتاجُ أن أقاتل».

- «قاتِلي إذن... لكن من أجل الأحياء لا الأموات. أعداء رنلي أعداء روب أيضًا».

رمقَت برِيان الأرض وعدَّلت موضع قدميها، وقالت: «أنا لا أعرفُ ابنكِ يا سيِّدتي»، ثم رفعَت عينيها مضيفةً: «لكن يُمكنني أن أخدمكِ أنتِ إذا قبلتِ بي».

تساءلَت كاتلين مشدوهةً: «ولماذا أنا؟».

بدا أن السُّؤال حيَّر برِيان، فأجابَت بتردُّد: «لقد ساعدتِني ونحن في السُّرادق... حين حسبوا أني... أني...».

- «كنتِ بريئةً».

- «ومع ذلك لم تكوني مضطرَّةً لأن تُساعِديني، وكان يُمكنكِ أن تدعيهم يَقتُلوني، فلم أكن أعني لكِ شيئًا».

فكَّرت كاتلين: ربما لأني لم أرغب في أن أكون الوحيدة التي تعرف حقيقة الشَّرِّ الأسود الذي حدثَ هناك، ثم إنها قالت: «برِيان، لقد ألحقتُ الكثير من السيِّدات كريمات المحتد بخدمتي على مَرِّ السِّنين، لكن ولا واحدة منهن مِثلك. أنا لستُ قائدةً حربيَّةً».

- «نعم، لكنكِ تتحلِّين بالشَّجاعة، ليس شَجاعة المعركة ربما، لكن... لا أدري... إنها شَجاعة أنثويَّة... وأحسبُ أنكِ لن تُحاوِلي منعي عندما يحين الوقت. عِديني، عِديني بأنكِ لن تمنعيني عن ستانيس».

ما زالت كاتلين تسمع قول ستانيس بأن دور روب سيأتي أيضًا، كأنه نفحة من الهواء البارد على مؤخِّرة عُنقها، فقالت: «لن أمنعكِ عندما يحين الوقت».

ناري. قال لها: «كات، جميل أن تعودي إلينا سالمةً. لقد خفنا على حياتكِ عندما سمعنا بموت رنلي، واللورد تايوين يتحرَّك كذلك».

- «هذا ما سمعته. كيف حال أبينا؟».

أجابَ: «في يوم يبدو أقوى، وفي اليوم التَّالي...»، وهَزَّ رأسه وقال: «لقد سألَ عنكِ، ولم أعرِف بِمَ أجيبه».

قالت: «سأذهبُ إليه قريبًا. هل من أخبار من ستورمز إند منذ موت رنلي؟ أو من «جسر العلقم»؟». لا تأتي الغِدفان للمسافرين على الطَّريق، فكانت كاتلين متلهِّفةً على معرفة ما جرى وراءها.

- «لا شيء من «جسر العلقم»، لكن من ستورمز إند جاءَت ثلاثة غِدفانٍ من أمين القلعة السير كورتناي پنروز، كلها تحمل الالتماس ذاته. ستانيس يُحاصِره من البَرِّ والبحر، وپنروز يعرض ولاءه على أيِّ ملكٍ يكسر الحصار، ويقول إنه خائف على حياة الصَّبي. أتعرفين مَن يقصد؟».

أجابَت بِريان: «إدريك ستورم، ابن روبرت غير الشَّرعي».

رمقَها إدميور بفضول، وقال: «ستانيس أقسمَ أنه سيمنح رجال الحامية حريَّتهم ولن يمسَّهم بأذى، بشرط أن يُسَلِّموا القلعة خلال أسبوعين ويُسَلِّموه الصَّبي، لكن السير كورتناي يَرفُض».

أيُغامِر بكلِّ شيءٍ من أجل صبيٍّ نغلٍ ليس من دمه حتى؟ «هل أرسلت له إجابةً؟».

هَزَّ إدميور رأسه نفيًا، وأجابَ: «ولِمَ ونحن لا نملك عونًا أو أملًا نُقَدِّمهما له؟ كما أن ستانيس ليس عدوَّنا».

تكلَّم السير روبن رايجر قائلًا: «سيِّدتي، هلَّا أخبرتِنا بكيفيَّة موت اللورد رنلي؟ ما سمعناه من حكاياتٍ عجيب حقًّا».

وقال أخوها: «كات، البعض يقول إنكِ قتلتِ رنلي، وآخَرون يَزعُمون أنها امرأة جَنوبيَّة ما»، وثبَّت ناظريه على بِريان.

قالت الفتاة بهدوء: «لقد قُتِلَ مليكي، لكن ليس بيد الليدي كاتلين. أقسمُ على هذا بسيفي والآلهة القديمة والجديدة».

قالت لهم كاتلين: «هذه بِريان التارثيَّة، ابنة اللورد سلوين نجم المساء،

وكانت تخدم في حَرس قوس قزح لدى رنلي»، ثم قالت للفتاة: «بِريان، يُشَرِّفني أن أقدِّم لكِ أخي السير إدميور تَلي وريث ريڤررَن، ووكيله السير أوثيرايدس واين، والسير روبن رايجر والسير دزموند جرِل».

قال السير دزموند: «تشرَّفتُ»، وردَّد الآخَرون الكلمة، فتورَّد وجه الفتاة وقد أصابَها الحرج من هذه التحيَّة التَّقليديَّة. إذا حسبَ إدميور أنها امرأة تُثير الفضول، فإنه لم يَبُح بهذا على الأقل.

قالت كاتلين: «بِريان كانت مع رنلي حين قُتِلَ، وأنا كذلك، لكن لم يكن لنا دور في موته». لم ترغب في الكلام عن الظِّلِّ هنا في وجود الرِّجال من حولهم، فلوَّحت بيدها نحو الجُثث متسائلةً: «مَن الرِّجال الذين شنَقتوهم؟».

رفعَ إدميور عينيه إلى أعلى بضيق، وأجابَ: «لقد أتوا مع السير كليوس عندما عادَ بجواب الملكة على عرض السَّلام الذي قدَّمناه».

مصدومةً قالت كاتلين: «أقتلتم المندوبين؟!».

قال إدميور: «كانوا مندوبين زائفين، تعهَّدوا لي بالسَّلام وسلَّموا أسلحتهم، فمنحتهم حريَّة الحركة في القلعة، وطيلة ثلاث ليالٍ أكلوا طعامي وشربوا شرابي بينما تكلَّمتُ مع السير كليوس، وفي اللَّيلة الرَّابعة حاوَلوا إطلاق سراح قاتِل الملك»، وأشارَ إلى أعلى مواصلًا: «هذا الثَّور الكبير قتلَ حارسين بيديه العاريتين، أطبقَ على عُنقيهما وهشَّم رأس كلٍّ منهما برأس الآخَر، بينما فتحَ الصَّبي النَّاحل المجاور له زنزانة لانستر بطولٍ من الأسلاك، عليه لعنة الآلهة. وهذا الذي في النِّهاية كان ممثِّلًا لعينًا ما، استخدمَ صوتي ليأمر بفتح بوَّابة النَّهر، والحُرَّاس يُقسِمون على هذا، إنجر ودلپ وليو الطَّويل، الثَّلاثة. إذا طلبتِ رأيي، فلم يكن صوته كصوتي إطلاقًا، لكن الحمقى رفعوا الشَّبكة الحديديَّة على الرغم من ذلك».

خطرَ لكاتلين أن هذا من تدبير العِفريت، فرائحة المكر الكريهة ذاتها التي فاحَت منه في «العُش» هي ما تشتمُّه هنا. كان ممكنًا في السَّابق أن تَعُدَّ تيريون أقلَّ أولاد لانستر خطرًا، لكنها لم تَعُد واثقةً بذلك الآن. سألَت: «كيف قبضتم عليهم؟».

ركعَت الفتاة الطَّويلة بارتباكٍ واستلَّت سيف رنلي الطَّويل، ووضعَته عند قدمي كاتلين قائلةً: «إذن فأنا لكِ يا سيِّدتي، تابعتكِ المخلصة... أو أيًّا كان ما تُريدين أن أكون. سأحمي ظَهركِ وأسديكِ النُّصح وأدافعُ عن حياتكِ بحياتي. أقسمُ على هذا بالآلهة القديمة والجديدة».

- «وأنا أقسمُ على أن يكون لكِ مكان دائم إلى جوار ناري وعلى مائدتي، وأتعهَّدُ ألَّا أطلب منكِ شيئًا يُلَوِّث شَرفكِ أبدًا. أقسمُ على هذا بالآلهة القديمة والجديدة. انهضي». وبينما ضمَّت يديَّ المرأة الأخرى بين يديها، لم يكن في وسع كاتلين غير أن تبتسم وتُحَدِّث نفسها قائلةً: كم مرَّةً شاهدتُ ند يقبل قَسم الخدمة من رجلٍ ما؟ وتساءلَت عمَّا كان ليُفَكِّر فيه لو أنه رآها الآن.

خاضوا فرعَ الثَّالوث الأحمر في وقتٍ متأخِّرٍ من اليوم التَّالي، عكس التيَّار من ريفررَن، حيث يصنع النَّهر أنشوطةً واسعةً وتصير المياه ضحلةً موحلةً. تحمي المعبر قوَّة مختلطة من الرُّماة وحاملي الرِّماح الذين يضعون على صدورهم نسر عائلة ماليستر، وعندما رأوا رايات كاتلين، خرجوا من وراء الخوازيق الحادَّة، وأرسَلوا رجلًا من الضفَّة الأخرى يقود مجموعتها عبر النَّهر، فقال لها محذِّرًا وهو يلتقط لجام حصانها: «ببُطءٍ وحرص يا سيِّدتي، فقد غرسنا خوازيق حديديَّةً تحت الماء كما ترين، بالإضافة إلى أرجُل الغِربان الموزَّعة بين هذه الصُّخور هناك. فعلنا الشَّيء نفسه عند المخاضات كلها بأمر أخيكِ».

إدميور يُفَكِّر في خوض القتال هنا. أصابَها هذا الإدراك بالغثيان، لكنها لم تُعَلِّق.

انضمُّوا بين نهري الفرع الأحمر والجلمود إلى طابورٍ من العوام المتَّجهين إلى أمان ريفررَن، بعضهم يسوق الحيوانات والبعض الآخَر يقود العربات، لكنهم أفسَحوا الطَّريق مع مرور كاتلين وحيُّوها هاتفين باسمي تَلي وستارك. على بُعد نِصف ميلٍ من القلعة مرُّوا عبر معسكرٍ كبير ترتفع فيه راية عائلة بلاكوود القرمزيَّة فوق خيمة اللورد، فاستأذنَها لوكاس أن يذهب إلى أبيه اللورد تايتوس، وواصلَ الآخَرون الطَّريق إلى القلعة.

لمحَت كاتلين معسكرًا آخَر مقامًا بطول ضفَّة الجلمود الشَّماليَّة، حيث

تخفق رايات أخرى مألوفة في الرِّيح؛ عذراء مارك پايپر الرَّاقصة، وحارث داري، وثُعباني پايپج الأحمر والأبيض المضفوريْن معًا. كلهم حمَلة راية أبيها، لوردات الثَّالوث الذين غادرَ معظمهم ريفررَن قبلها للدِّفاع عن أراضيهم، فإذا كانوا هنا الآن، فلا يعني هذا إلَّا أن إدميور استدعاهم ثانيةً. فلترحمنا الآلهة، إنه ينوي دخول المعركة ضد اللورد تايوين حقًّا.

رأت كاتلين من بعيدٍ أشياء داكنةً معلَّقةً على أسوار ريفررَن، ولمَّا دنَت تبيَّنت أنها جُثث تتدلَّى من الشُّرفات، من حبالٍ طويلة في أطرافها أناشيط من التِّيل تلتفُّ حول أعناقهم بإحكام، وقد انتفخَت الوجوه واسودَّت. كانت الغِربان قد انتهكَت الجُثث، لكن المعاطف القرمزيَّة لا تزال تبدو لامعةً على خلفيَّة الأسوار المبنيَّة من الحجر الرَّملي.

قال هال مولين: «لقد شنَقوا بعض رجال لانستر».

قال السير وندل ماندرلي بمرح: «منظر يسرُّ الأعيُن».

وقال السير پروين فراي مازحًا: «أصدقاؤنا بدأوا دوننا»، فضحكَ الآخَرون كلهم باستثناء بِريان، التي رفعَت عينيها إلى صَفِّ الجُثث ورمقَتها بإمعانٍ دون أن تتكلَّم أو تبتسم.

إذا قتَلوا قاتِل الملك، فابنتاي ميتَتان أيضًا. همزَت كاتلين حصانها ليتقدَّم مسرعًا، بينما تسابقَ هال مولين وروبن فلينت إلى مبنى البوَّابة منادين حُرَّاسه. لا شَكَّ أن من يَحرُسون الأسوار رأوا راياتها منذ فترة، لأن الشَّبكة الحديديَّة كانت مرفوعةً بالفعل.

خرجَ إدميور من القلعة على حصانه يستقبلها، محاطًا بثلاثةٍ من رجال أبيها، السير دزموند جرِل قيِّم السِّلاح ذو البطن الكبير، وأوثيرايدس واين وكيل القلعة، والسير روبن رايجر قائد حَرس ريفررَن الأصلع الضَّخم. الرِّجال الثَّلاثة في سِنِّ اللورد هوستر، رجال أمضوا حياتهم في خدمة أبيها... رجال مسنُّون.

ارتدى إدميور معطفًا من الأحمر والأزرق فوق سُترةٍ طُرِّزَت عليها سمكة فضِّيَّة، وبدا من منظره أنه لم يحلق ذقنه منذ ذهبَت جَنوبًا، فبدَت رحلته كدغلٍ

- «آه، تصادفَ أني لم أكن في القلعة حينها. كنتُ قد عبرتُ الجلمود كي... آه...».

- «كنت في أحضان عاهرةٍ ما. أكمِل».

اشتعلَت وجنتا إدميور بأحمر لحيته، وقال: «كنتُ عائدًا في السَّاعة السَّابقة للفَجر، ولمَّا رأى ليو الطَّويل قاربي تعرَّفني، وعندئذٍ فقط توقَّف ليتساءَل عمَّن وقفَ في الأسفل يزعق بالأوامر، فصاحَ طالبًا العون».

- «قُل لي إنكم قبضتم على قاتِل الملك».

- «نعم، ولكن ليس ببساطة، فقد استولى چايمي على سيفٍ وقتلَ پول وپمفورد ومايلز مُرافِق السير دزموند، كما أصابَ دلپ بجرحٍ بالغ، حتى إن المِايستر ڤايمان يخشى أنه سيموت قريبًا بدوره. كانت فوضى داميةً. عندما سمعَ ذوو المعاطف الحمراء صوت تقارُع السُّيوف، أسرعَ بعضهم للانضمام إلى چايمي، ومنهم من كان أعزل، فشنَقتهم إلى جوار الذين حرَّروه، ورميتُ بقيَّتهم في الزَّنازين، بالإضافة إلى چايمي نفسه، الذي لن يُحاوِل الهرب ثانيةً. إنه في الظَّلام هذه المرَّة، يداه وقدماه مقيَّدة بالسَّلاسل المثبَّتة في الحائط».

- «وكليوس فراي؟».

- «يُقسِم أنه لم يكن يعرف شيئًا عن الخطَّة، لكن مَن يدري؟ إنه نِصف لانستر ونِصف فراي، وكذَّاب من رأسه إلى قدميه. لقد وضعته في زنزانة چايمي القديمة في البُرج».

- «تقول إنه جاءَ بشروط؟».

- «إذا كان من الممكن وصفها بذلك. مؤكَّد أنها لن تروقكِ أكثر مما راقَتني».

سألَ أوثيرايدس واين وكيل أبيها: «ألا أمل لنا في عونٍ من الجَنوب يا ليدي ستارك؟ هذا الاتِّهام بسفاح القُربى... اللورد تايوين لا يتلقَّى إهانةً كتلك ببساطة، وسيسعى إلى غسل العار عن اسم ابنته بدماء متَّهِمها، ولا بُدَّ أن ستانيس يُدرك ذلك، فلا خيار لديه غير أن يتآزَر معنا».

ستانيس تآزَرَ مع قوَّةٍ أعظم وأكثر ظُلمةً. قالت كاتلين: «لنتكلَّم عن هذه الأمور فيما بَعد»، وقطعَت الجسر المتحرِّك بحصانها، واضعةً منظر رجال

لانستر الموتى البشع وراءها، فتحرَّك أخوها إلى جوارها، وإذ دخلا ساحة ريڤررَن العلويَّة الصَّاخبة، جرى طفل عارٍ فجأةً أمام الحصانين، فجذبَت كاتلين عنان حصانها بقوَّةٍ لتتفاداه، وتطلَّعت حولها بارتياع. مئات من العامَّة سُمِحَ لهم بدخول القلعة ونصْب مآوٍ بدائيَّة عند الأسوار، فكان أطفالهم في كلِّ مكانٍ بين الأقدام، وازدحمَت السَّاحة بأبقارهم وخرافهم ودجاجهم. سألَت إدميور: «مَن كلُّ هؤلاء النَّاس؟».

أجابَ إدميور: «قومي. كانوا خائفين».

لا أحد سوى أخي يُمكنه حشد كلِّ هذه الأفواه عديمة الفائدة في قلعةٍ قد تقع تحت الحصار قريبًا. تعلم كاتلين رقَّة قلب إدميور، وإن خطرَ لها في بعض الأحيان أن عقله أرقُّ، ولهذا تُحِبُّه، لكن... «هل من الممكن بلوغ روب بالغِدفان؟».

أجابَ السير دزموند: «إنه في الميدان يا سيِّدتي، فلن يجد الطَّائر سبيلًا لبلوغه».

تنحنحَ أوثيرايدس واين، وقال: «قبل أن يرحل، تركَ لنا الملك الشَّاب تعليماتٍ بإرسالكِ إلى «التَّوأمتين» لدى عودتكِ يا ليدي ستارك، ويَطلُب منكِ أن تعرفي المزيد عن بنات اللوردَ والدر، لمساعَدته على اختيار عروسه عندما يحين الوقت».

قال أخوها: «سنُزَوِّدكِ بخيولٍ جديدة ومؤن. لا بُدَّ أنكِ ترغبين في القليل من الانتعاش قبل أن...».

قاطعَته كاتلين وهي تترجَّل: «ما أرغبُ فيه هو البقاء». إنها لا تنوي أن تَترُك ريڤررَن وأباها المحتضر كي تختار لروب زوجته. روب يُريدني آمنةً، ولا ألومه على هذا، لكن حُججه صارت مبتذلةً تمامًا. نادَت: «يا ولد»، فجاءَ صبيٌّ من الاسطبل يجري ليلتقط عِنان حصانها.

ترجَّل إدميور الذي يفوقها طولًا برأسٍ كامل، لكنه سيظلُّ أخاها الصَّغير دائمًا، وقال بغير رضا: «كات، اللورد تايوين قادم...».

- «إنه يتَّجه غَربًا للدِّفاع عن أراضيه. إذا أغلقنا بوَّاباتنا واحتمينا وراء الأسوار، فيُمكننا أن نُشاهِده يمرُّ ونحن آمنون».

أعلنَ إدميور: «هذه أرض تَلي، وإذا كان تايوين لانستر يحسب أنه سيمرُّ منها مرور الكرام، فإنني أنوي تلقينه درسًا قاسيًا».

الدَّرس نفسه الذي لقَّنت ابنه إياه؟ يتمكَّن عناد صُلب كصخور النَّهر من أخيها عندما تكون كبرياؤه على المحك، لكن لا أحد منهما سينسى كيف مزَّق السير چايمي جيش إدميور إربًا داميةً عندما خاضَ معركةً آخِر مرَّة. بكياسةٍ قالت كاتلين: «ليس لدينا ما نجنيه، بينما لدينا كلُّ ما يُمكن أن نخسره بلقاء اللورد تايوين في ميدان المعركة».

- «السَّاحة ليست المكان المناسب لمناقَشة خُططي».

- «كما ترغب. أين نذهب؟».

اربدَّ وجه أخيها، ومرَّت وهلة حسبَت فيها أنه سينفجر في وجهها غاضبًا، لكنه قال بحدَّةٍ في النِّهاية: «أيكة الآلهة ما دُمتِ مصرَّةً».

تبعَته وهو يقطع رواقًا يقود إلى بوَّابة أيكة الآلهة. لطالما عبَّر إدميور عن غضبه بأسلوبٍ عابسٍ جهيم، وشعرَت كاتلين بالأسف لأنها جرحَته، لكن المسألة أهمُّ من أن تشغَل نفسها بكبريائه. التفتَ إدميور يُواجِهها حين أصبحا وحدهما تحت الأشجار، وبلا موارَبةٍ قالت له: «لست تملك القوَّة الكافية لمواجَهة جيش لانستر في الميدان».

رَدَّ إدميور: «عندما تحتشد قوَّاتي كلها، سأملكُ ثمانية آلافِ من المُشاة وثلاثة آلافٍ من الخيَّالة».

- «ما يعني أن اللورد تايوين سيملك ما يَقرُب من ضِعف هذه الأعداد».

قال إدميور: «روب ربحَ معارك وأرجحيَّة النَّصر أقلّ، كما أن لديَّ خطَّةً. يبدو أنكِ نسيتِ رووس بولتون. اللورد تايوين هزمَه في معركة الفرع الأخضر، لكنه لم يُلاحِقه، وعندما لاذَ اللورد تايوين بهارنهال، استولى بولتون على مخاضة الياقوت ومفترَق الطُّرق، ومعه عشرة آلاف رجل. لقد أرسلتُ إلى هلمان تولهارت لينضمَّ إليه بالحامية التي تركَها روب في «التَّوأمتين»...».

- «إدميور، روب تركَ هؤلاء الرِّجال للدِّفاع عن «التَّوأمتين» والتأكُّد من أن يصون اللورد والدر كلمته».

قال إدميور بعناد: «ولقد صانَها. آل فراي قاتَلوا بشَجاعةٍ في الغابة الهامسة،

وسمعنا أن السير ستفرون ماتَ في أوكسكروس، والسير رايمان ووالدر الأسود والآخَرون مع روب في الغَرب، والسير پروين ساعدَ على اصطحابكِ إلى رنلي بأمان. بحَقِّ الآلهة، ماذا تُريدين منهم أكثر من هذا؟ روب خطبَ إحدى بنات اللورد والدر، وسمعتُ أن رووس بولتون تزوَّج أخرى. ثم إنكِ أخذتِ اثنين من أحفاده لينشآ في وينترفل، أليس كذلك؟».

- «من السَّهل أن يُصبِح الرَّبيب رهينةً إذا دعَت الحاجة». لم تكن قد علمَت بموت السير ستفرون أو بزواج بولتون.

- «إذا كنا نملك رهينتَين، فهذا سبب أدعى لأن يُحجِم اللورد والدر عن التَّلاعُب بنا. بولتون يحتاج رجال فراي، ورجال السير هلمان أيضًا. لقد أمرته بأن يستردَّ هارنهال».

- «مهمَّة دامية».

- «نعم، لكن بمجرَّد سقوط القلعة، لن يجد اللورد تايوين مكانًا آمنًا ينسحب إليه. سيُدافع جنودي عن مخاضات الفرع الأحمر ضد عبوره، وإذا هاجمَ عبر النَّهر، سيُلاقي مصير ريجار نفسه عندما حاولَ عبور الثَّالوث، وإذا امتنعَ فسيقع بين ريڤررَن وهارنهال، وعندما يعود روب من الغَرب سيقضي عليه تمامًا».

امتلأَ صوت أخيها بالثِّقة الفجَّة، لكن كاتلين وجدَت نفسها تتمنَّى لو أن روب لم يأخذ عمَّهما برايندن غَربًا معه، فالسَّمكة السَّوداء جُندي عريق خاضَ نحو نِصفمئة معركة، بينما لم يَخُض إدميور غير معركةٍ واحدةٍ خسرَها.

أنهى إدميور كلامه قائلًا: «إنها خطَّة جيِّدة. هذا ما يقوله اللورد تايتوس واللورد چونوس كذلك. منذ متى يتَّفق بلاكوود وبراكن على أيِّ شيءٍ غير أكيد؟».

قالت شاعرةً بتعب مفاجئ: «ليكن». لعلَّها كانت مخطئةً في معارَضته، ولعلَّها خطَّة رائعة بالفعل، أمَّا وساوسها فمجرَّد مخاوف امرأة. «هل أخذت رأي أبينا؟».

- «أبونا ليس في حالةٍ تسمح بدراسة خُطط الحرب. منذ يومين كان

يُخَطِّط لزواجكِ براندون ستارك! اذهبي لرؤيته بنفسكِ إذا كنتِ لا تُصَدِّقيني. ستنجح هذه الخطَّة يا كات، وسترين».

قالت: «آملُ هذا حقًّا يا إدميور»، وقبَّلته على وجنته لتؤكِّد له أنها تعني ما قالته، ثم تركَته وذهبَت إلى أبيها.

وجدَت اللورد هوستر كما تركَته، طريح الفِراش ضاويًا، جِلده شاحب رخو، وقد أفعمَت الغُرفة رائحة المرض، رائحة هي مزيج متجانس من العَرق القديم والدَّواء. أطلقَ أبوها أنينًا عندما فتحَت السَّتائر، وفتحَ عينيه رامقًا إياها كأنه لا يعرف مَن تكون أو ماذا تُريد.

قبَّلته وقالت: «لقد عدتُ يا أبي».

بدا أنه تعرَّفها حينئذٍ، وهمسَ بوهنٍ وقد تحرَّكت شفتاه بالكاد: «أتيتِ».

قالت: «نعم. روب أرسلَني جَنوبًا، لكني أسرعتُ بالعودة».

تمتمَ: «جَنوبًا... أين... هل «العُش» في الجَنوب يا صغيرتي؟ لا أذكرُ... آهٍ يا قُرَّة عيني، كنتُ خائفًا... هل غفرتِ لي يا طفلتي؟»، وسالَت الدُّموع على وجهه.

قالت: «لم تفعل شيئًا يستأهل الغفران يا أبي»، وملَّست على شَعره الأبيض الخفيف وتحسَّست جبهته. لم تزل الحُمَّى تُحرِقه من الدَّاخل على الرغم من كلِّ عقاقير المِايستر.

همسَ أبوها: «كان هذا في مصلحتكِ. چون رجل صالح، صالح... قوي... عطوف... يعتني بكِ... سيعتني بكِ... وعالي المقام. أصغي إليَّ، يجب أن تتزوَّجيه، أنا أبوكِ... أبوكِ... ستتزوَّجين عندما تتزوَّج كات، نعم...».

يحسبني لايسا. بحَقِّ الآلهة، إنه يتكلَّم كأننا لم نتزوَّج بعدُ.

قبضَ على يديها بيدين ترتعشان كطائرين أبيضين خائفين، وقال: «الفتى المراهق... صبيٌّ تَعِس... لا تَذكُري هذا الاسم لي... واجبكِ... أمُّك، إنها...»، وصرخَ اللورد هوستر إذ حاقَت به نوبة من الألم، ثم غمغمَ: «أوه، لتُسامِحني الآلهة، لتُسامِحني، لتُسامِحني... دوائي...».

ثم جاءَ المِايستر ڤايمان حاملًا كوبًا وضعَه عند شفتيه، فامتصَّ اللورد

هوستر الدَّواء الأبيض الثَّخين كمولودٍ يرضع من ثدي أمِّه، ورأت كاتلين السَّلام يحلُّ على ملامحه ثانيةً، وقال المايستر عندما فرغَ الكوب: «سينام الآن يا سيِّدتي». تركَ حليب الخشخاش غِشاءً أبيض سميكًا حول فم أبيها، فمسحَه المايستر ڤايمان بكُمِّه.

لم تستطِع كاتلين أن تُشاهِد أكثر. لطالما كان هوستر تَلي رجلًا قويًّا أبيًّا، وآلَمها أن تراه يضمحلُّ هكذا. خرجَت إلى الشُّرفة، ورأت السَّاحة في الأسفل تعجُّ باللَّاجئين الذين ملأوها ضوضاء، لكن وراء الأسوار تدفَّق النَّهران نظيفين صافيين وبلا نهاية. هذان نهراه، وقريبًا سيعود إليهما في رحلته الأخيرة.

تبعَها المايستر ڤايمان إلى الشُّرفة، وقال برفق: «سيِّدتي، لم أعد قادرًا على تأخير النِّهاية أكثر من هذا. علينا أن نُرسِل خيَّالًا إلى أخيه، فلا بُدَّ أنه سيرغب أن يكون هنا».

قالت كاتلين بصوتٍ يقطر أسى: «نعم».

- «وربما الليدي لايسا أيضًا؟».

- «لايسا لن تأتي».

- «إذا كتبتِ لها بنفسكِ، فلربما...».

- «سأكتبُ بضع كلماتٍ على الورق لو أن هذا يُرضيك». تساءلَت عن هويَّة مراهق لايسا التَّعس هذا. غالبًا مُرافِق شاب أو فارس متجوِّل... وإن دَلَّ العُنف الذي رفضَه به اللورد هوستر على أنه كان ابن تاجرٍ ما أو تابعًا نغلًا، أو مطربًا حتى، فلطالما كانت لايسا مغرمةً بالمطربين. لا يجب أن ألومها. چون آرن كان يَكبُرُ أبانا بعشرين عامًا، مهما علا مقامه.

البُرج الذي خصَّصه أخوها لها كان البُرج نفسه الذي تقاسمَته مع لايسا في صِغرهما. من الجميل أن تنام على فِراشٍ محشوٍّ بالرِّيش من جديد، مع نارٍ مشتعلة في المستوقَد. سيبدو العالم أقلَّ كآبةً عندما تستريح.

لكنها وجدَت أوثيرايدس واين ينتظر خارج غُرفتها مع امرأتين ترتديان الرَّمادي، وجهاهما مغطَّيان بالكامل باستثناء أعيُنهما، فأدركَت كاتلين في الحال سبب وجودهما هنا، وقالت: «ند؟».

خفضَت الأختان بصريهما، بينما قال أوثيرايدس: «السير كليوس أتى به من كينجز لاندنج يا سيِّدتي».

قالت آمرةً: «خُذوني إليه». كانوا قد سجَّوه على طاولةٍ وغطَّوه براية عائلة ستارك البيضاء ذات رمز الذِّئب الرَّهيب، فقالت: «أريدُ أن أراه».

- «لم يتبقَّ غير العظام يا سيِّدتي».

كرَّرت: «أريدُ أن أراه».

وأزاحَت واحدة من الأختين الصَّامتتين الرَّاية.

عظام. هذا ليس ند، ليس الرَّجل الذي أحببته، ليس أبا أطفالي. كانت يداه مشبَّكتين معًا فوق صدره، وقد تكوَّرت أصابع من عظم حول سيفٍ طويلٍ ما، لكنهما ليستا يدي ند القويَّتين المليئتين بالحياة. كانوا قد ألبَسوا العظام سُترة ند المخمليَّة البيضاء النَّاعمة ذات رمز الذِّئب الرَّهيب في موضع القلب، لكن لا شيء تبقَّى من اللَّحم الدَّافئ الذي أراحَت عليه رأسها لياليَ لا تُحصى، أو من الذِّراعين اللتين ضمَّتاها مرارًا. أعيدَ إيصال الرَّأس ثانيةً بالجسد بسلكٍ فضِّيٍّ ناعم، لكن لا جمجمة تختلف عن الأخرى، وفي هذين المحجرين الأجوفين لم ترَ أثرًا لعيني سيِّدها الرَّماديَّتين الدَّاكنتين، العينين اللتين كان بإمكانهما أن تكونا رفيقتين كالضَّباب أو قاسيتين كالحجر. عيناه تركوهما للغِربان.

التفتَت كاتلين قائلةً: «هذا ليس سيفه».

قال أوثيرايدس: «لم يُعيدوا «جليد» إلينا يا سيِّدتي، بل رُفات اللورد إدارد فقط».

- «أعتقدُ أن عليَّ أن أشكر الملكة على هذا القدر على الأقل».

- «اشكُري العِفريت يا سيِّدتي، فهو من دبَّر هذا».

سيأتي يوم أشكرهم فيه جميعًا. «إنني ممتنَّة لخدمتكما أيتها الأختان، لكن يجب أن أكلِّفكما بمهمَّةٍ أخرى. اللورد إدارد كان من عائلة ستارك، ولا بُدَّ أن يُوارى رُفاته الثَّرى في سراديب وينترفل». سينحتون له تمثالًا، صورةً حجريةً تبقى في الظَّلام مع ذئبٍ رهيب عند قدميه وسيفٍ على رُكبتيه. قالت لأوثيرايدس واين: «تأكَّد من حصول الأختين على حصانين جديدين وكلِّ ما

تحتاجاه في رحلتهما. سيصحبهما هال مولين إلى وينترفل، فهذا دوره كقائد الحَرس»، ثم تطلَّعت إلى العظام التي لم يتبقَّ غيرها من سيِّدها وحبيبها، وقالت: «والآن اترُكوني جميعًا. أريدُ أن أكون وحدي مع ند اللَّيلة».

حنَت المرأتان ذواتا الثِّياب الرَّماديَّة رأسيهما، وحدَّثت كاتلين نفسها متذكِّرةً: الأخوات الصَّامتات لا يُكَلِّمن الأحياء، لكن البعض يقول إنهن يستطعن تكليم الموتى.

ولكم تحسدهن على هذا...

دنيرس

منعَت السَّتائر غُبار وحرارة الشَّوارع من التسلُّل إلى الدَّاخل، وإن لم تستطِع أن تمنع الشُّعور بخيبة الأمل. صعدَت داني إلى الهودج شاعرةً بالإرهاق، لكن سرَّها أن تحتمي من بحر أعيُن الكَارثين، بينما زعقَ چوجو في الجموع ملوِّحًا بسوطه: «أفسِحوا الطَّريق، أفسِحوا الطَّريق، أفسِحوا الطَّريق لأمِّ التَّنانين!».

مضطجعًا على وسائد حريريَّة فاترة الحرارة، وبيدينِ واثقتين ثابتتين على الرغم من تمايُل الهودج، صَبَّ زارو زون داكسوس نبيذًا أحمر كالياقوت في كأسين متماثلتين من الذَّهب واليَشب، وناوَلها إحداهما قائلًا: «أرى حُزنًا عميقًا مرسومًا على ملامحكِ يا نور الحُب. أهو الحُزن على حُلم ضاعَ؟».

- «حُلم تأجَّل تحقيقه لا أكثر». كان طوق داني الفضِّي الضَّيِّق يحتكُّ بحَلقها، فخلعَته وألقَته جانبًا. رصَّع الطَّوق حجر جَمَشْت مسحور، أقسمَ زارو أنه سيدرأ عنها أذى كلِّ السُّموم، فأنقياء الميلاد في كَارث ذوو سُمعةٍ سيِّئة في تقديم النَّبيذ المسمومِ لمَن يعتبرونهم خطِرين، لكنهم لم يُقَدِّموا لداني قدحًا من الماء حتى. فكَّرت بمرارة: لم يروني ملكةً على الإطلاق، لم أكن أكثر من فقرة تسليةٍ تفرَّجوا عليها بَعد الظُّهر، فتاة الخيول وحيوانها المدلَّل.

هَسَّ ريجال وغرسَ مخالبه السَّوداء الحادَّة في كتفها العارية إذ مدَّت يدها تلتقِط النَّبيذ، فجفلَت متألِّمةً ونقلَته إلى كتفها الأخرى، حيث يستطيع أن يغرس مخالبه في فُستانها بدلًا من جِلدها. كانت متأنِّقةً على غرار الكَارثين، بَعدما

قال لها زارو محذِّرًا إن المتوَّجين لن يُصغوا أبدًا إلى واحدةٍ من الدوثراكي، فحرصَت على المثول أمامهم مرتديةً فُستانًا من السَّميت يكشف عن أحد نهديها، وخُفًّا مفضَّضًا في قدميها، مع حزامٍ من اللُّؤلؤ الأبيض والأسود حول خصرها. أخذَت رشفةً كبيرةً من النَّبيذ مفكِّرةً: ما كانت النَّتيجة لتختلف لو أني ذهبتُ إليهم عاريةً. ربما كان عليَّ أن أفعل.

يقود المنحدِرون من نسل ملوك وملكات كارث القُدامى قوَّات الحَرس المدني، علاوةً على أسطول القوادس الفاخرة الذي يتسيَّد المضايق بين البحار، وقد أرادَت دنيرس تارجاريَن هذا الأسطول، أو جزءًا منه، بالإضافة إلى بعض الجنود كذلك، وهكذا قدَّمت القُربان التَّقليدي في معبد الذِّكرى، والرَّشوة التَّقليديَّة إلى حافِظ القائمة الطَّويلة، وثمرة التِّين الكاكي التَّقليديَّة لفاتِح الباب، وأخيرًا تلقَّت الخُفَّ الأزرق التَّقليديَّ دلالةً على استدعائها إلى قاعة الألف عرش.

سمعَ أنقياء الميلاد التماسها وهُم جالسون على مقاعد أسلافهم الخشبيَّة العظيمة، التي ترتفع في صفوفٍ مدرَّجة من الأرضيَّة الرُّخام إلى السَّقف ذي القُبَّة العالية، التي رُسِمَت عليها مَشاهد من مجد كارث الغابر. كانت المقاعد ضخمة الحجم، عليها نقوش شديدة التَّنميق تخلب الألباب، وتلتمع فيها أشغال الذَّهب، ويُرَصِّعها الكهرمان والجَزْع واللَّازورد واليَشب، كلٌّ منها يختلف عن الآخَر ويُجاهِد لأن يكون الأجمل، أمَّا مَن جلسوا عليها فلاحَ عليهم الكسل والضَّجر حتى إنهم بدوا شِبه نائمين. أصغوا لي، لكنهم لم يسمعوا أو يكترثوا. إنهم شعب الحليب حقًّا. لم تكن لديهم أدنى نيَّة لمساعَدتي، ولم يأتوا إلَّا لإشباع فضولهم، أتوا لأنهم كانوا يَشعُرون بالملل، والتنِّين على كتفي أثارَ اهتمامهم أكثر مني.

حثَّها زارو زون داكسوس على الكلام قائلًا: «أخبِريني بقرار أنقياء الميلاد، أخبريني بما قالوه وأحزنَ ملكة فؤادي».

أجابَت متذوِّقةً طعم الرُّمَّان ونهارات الصَّيف الحارَّة في النَّبيذ: «قالوا لا. قالوها بكياسةٍ بالغة حقًّا، لكن من تحت الكلمات المهذَّبة المعسولة كان لسان حالهم يقول لا».

- «هل أثنيتِ عليهم؟».
- «بكلِّ فجاجة».
- «هل بكيتِ؟».
أجابَت محتدَّةً: «دم التنِّين لا تبكي».

تنهَّد زارِو، وقال: «كان ينبغي أن تبكي». كثيرًا ما يبكي الكارثين، وبيُسرٍ تام، ويعتبرون البكاء علامة الإنسان المتحضِّر. «والذين اشترَيناهم، ماذا قالوا؟».

- «ماثوس لم يقل شيئًا، وأشادَ ويندیلو كار ديث بلباقتي في الكلام، والبهيُّ رفضَ كالبقيَّة، لكنه بكى بَعدها».

- «حسرةٌ أن يَنقُض الكارثين كلمتهم هكذا. ابكِ، ابكِ لغدر البَشر». لا ينتمي زارو نفسه إلى أنقياء الميلاد، لكنه دلَّها على مَن ترشوهم وأخبرَها وكم تدفع لكلٍّ منهم.

كانت داني لتُفَضِّل أن تبكي على ذهبها، فالرَّشاوى التي دفعَتها لكلٍّ من ماثوس مالاراوان وويندیلو كار ديث وإيجون إمروس البهي، كانت كفيلةً بشراء سفينةٍ أو استئجار عشرين من المرتزِقة. سألَته: «ماذا لو أرسلتُ السير چورا ليُطالِب باسترداد هداياي؟».

رَدَّ زارو: «ماذا لو تسلَّل رجل آسف إلى قصري ليلًا وقتلكِ في منامكِ؟». الرِّجال الآسفون رابطة مقدَّسة عتيقة من القتَلة المأجورين، ويُطلَق عليهم هذا الاسم لأنهم يهمسون لضحاياهم «آسفٌ جدًّا» قبل أن يَقتُلوهم، فالكارثين شديدو التَّهذيب في جميع الأحوال. «ثمَّة حكمة تقول إن الحصول على الحليب من بقرة فاروس الحجريَّة أسهل من انتزاع الذَّهب من براثن أنقياء الميلاد».

لا تعرف داني أين تقع فاروس هذه، وإن بدا لها أن كارث تعجُّ بالأبقار الحجريَّة، إذ ينقسم الأمراء التجَّار، الذين فحشَ ثراؤهم من التِّجارة عبر البحار، إلى ثلاثة فصائل يغار كلٌّ منها من الآخَر: عُصبة العطَّارين العريقة،

وأخوَّة التورمالين[1]، ورابطة الثَّلاثة عشر التي ينتمي إليها زارو، وتتنافَس الفصائل الثَّلاثة معًا على السَّيطرة، بالإضافة إلى تنافُسها اللا نهائي مع أنقياء الميلاد... وعلى الجميع يَسقُط ظِلُّ الدجَّالين، بشفاههم الزَّرقاء وقُواهم الرَّهيبة التي تُرى نادرًا لكن يخشاها الجميع.

كانت لتضيع لولا زارو. الذَّهب الذي بدَّدته لفتح أبواب قاعة الألف عرشٍ كان نتيجةً لكرم التَّاجر وبديهته السَّريعة، فمع انتشار شائعة التَّنانين الحيَّة في الشَّرق، جاءَ المزيد والمزيد من السَّاعين إليها ليعرفوا إن كانت الحكاية صحيحةً حقًّا، فحرصَ زارو زون داكسوس على أن يُقَدِّم العظماء والمتواضعون على حَدٍّ سواء العطايا لأمِّ التَّنانين، وسرعان ما استحالَت القطرة إلى غيثٍ جارف، فأتاها ربابنة السُّفن التِّجاريَّة بالحرير من مير، وصناديق من الزَّعفران من يي تي، والكهرمان وزُجاج التنِّين من آشاي، وقدَّم لها التجَّار صُررًا من النُّقود، وصائغو الفضَّة الخواتم والسَّلاسل، بينما عزفَ لها الموسيقيُّون على المزاميز، واستعرضَ البهلوانات والحواة مهاراتهم أمامها، وألبسَها الصبَّاغون ألوانًا لم تكن تعرف أن لها وجود، كما أن اثنين من شعب الجوجوس نهاي أهدياها واحدًا من خيول الزورس الشَّرسة المخطَّطة بالأبيض والأسود التي تستوطن بلادهما، وهذا بخلاف الأرملة التي جاءَتها بجثمان زوجها المغطَّى بقشرةٍ من أوراق الشَّجر المفضَّضة، تبعًا للمعتقَد الذي يقول إن هذا النَّوع من الرُّفات يحوي قُوى هائلة، خصوصًا إذا كان صاحِب الجثمان مشعوذًا مِثلما كان هذا الرَّجل. أمَّا أعضاء أخوَّة التورمالين فأصرُّوا على أن تقبل منهم تاجًا مشغولًا على شكل تنِّينٍ ثُلاثي الرُّؤوس، ذيله من الذَّهب الأصفر، وجناحاه من الفضَّة، ورؤوسه من اليَشب والعاج والعقيق الأسود.

التَّاج هو العطيَّة الوحيدة التي احتفظَت بها، أمَّا الباقي فباعَته بغية أن تجمع الثَّروة التي أهدرَتها بَعدها على أنقياء الميلاد. أرادَها زارو أن تبيع التَّاج أيضًا

(1) التورمالين حجر شِبه كريم بلَّوري الشَّكل، يتألَّف من عدد كبير من العناصر التي تُعطيه ألوانًا زاهية.

(وأقسمَ أن يعمل الثَّلاثة عشر على حصولها على واحدٍ أجمل بكثير)، لكن داني رفضَت تمامًا، وقالت: «ڤسيرس باعَ تاج أمِّي فدعاه النَّاس بالشحَّاذ. سأحتفظُ بهذا كي يدعوني ملكةً»، وبالفعل احتفظَت به، وإن آلمَ ثِقله عُنقها.

ومع ذلك ما زلتُ شحَّاذةً حتى وأنا متوَّجة. أصبحتُ أسمى شحَّاذةٍ في العالم، لكنِّي أظلُّ شحَّاذةً. كم تَمقُت هذا، تمامًا كما كان أخوها يَمقُته بكلِّ تأكيد. كلُّ هذه السِّنين التي قضيناها في الفرار من مدينةٍ إلى أخرى، نسبق قتَلة الغاصِب المأجورين بخطوةٍ واحدة، نتوسَّل العون من الحُكَّام والأمراء والماچسترات، ونشتري طعامنا بالمداهَنة. لا بُدَّ أنه كان يعلم أنهم يسخَرون منه، فلا عجب أنه عانى من كلِّ هذا الغضب والمرارة. وفي النِّهاية أفضى به غضبه ومرارته إلى الجنون. وسيفعلا بي المِثل إذا سمحتُ لهما. جزءٌ منها كان ليقنع تمامًا بأن تقود قومها وتعود بهم إلى ڤايس تولورو، حيث يجعلون المدينة تزدهر من جديد. لكن لا، هذه هزيمة، بينما لديَّ شيء لم يحظَ به ڤسيرس قَطُّ، لديَّ التَّنانين، والتَّنانين تصنع فارقًا هائلًا.

ملَّست على ريجال، فأغلقَ التنِّين الأخضر أسنانه على لحم يدها وعَضَّ بقوَّة. في الخارج امتلأت المدينة العظيمة بالهمهمات والطَّنين والزَّعيق، وقد اندمجَت الأصوات العديدة معًا، صانعةً صوتًا واحدًا واطئًا كجيشان البحر، وراحَ چوجو يصيح: «أفسِحوا الطَّريق يا شعب الحليب، أفسِحوا الطَّريق لأمِّ التَّنانين!»، فتنحَّى الكارثين جانبًا، لكن غالبًا بسبب الثَّورين اللذين يحملان الهودج لا صوته. لمحَته داني من بين السَّتائر المتمايلة على متن فَحله الرَّمادي، يهوي بين الحين والآخَر على ظَهر أحد الثَّورين بضربةٍ من السَّوط ذي المقبض الفضِّي الذي أهدَته إياه. كان آجو يَحرُس الجانب الآخَر من الهودج، بينما ركبَ راكارو في مؤخِّرة الموكب، يُراقِب الوجوه في الزِّحام بحثًا عمَّا يُنذِر بالخطر، أمَّا السير چورا فقد تركَته اليوم ليحمي التنِّينين الآخَرين، وقد كان الفارس المنفيُّ معارضًا لهذه الحماقة من البداية. إنه لا يثق بأيِّ أحد، وربما لسببٍ وجيه.

رفعَت داني كأسها لتشرب، فتشمَّم ريجال النَّبيذ، ثم ألقى رأسه إلى الوراء وأطلقَ هسيسًا، فقال زارو: «تنِّينكِ يتحلَّى بأنفٍ حاد»، ومسحَ فمه وأضافَ:

«إنه نبيذ تقليدي. يُقال إنهم يصنعون عبر بحر اليَشب خمرًا ذهبيَّةً شديدة الرَّوعة، لدرجة أنها تجعلَ مذاق كلِّ الخمور الأخرى كالخَلِّ بالمقارَنة. فلنأخذ مركب التُّزهات الذي أملكه ونذهب بحثًا عنها أنا وأنتِ».

قالت داني: ««الكرمة» تصنع أفضل نبيذٍ في العالم». إنها تَذكُر أن اللورد ردواين حاربَ في صفوف أبيها ضد الغاصِب، وكان واحدًا من القلائل الذين ظلُّوا مخلصين إلى النِّهاية. أتُراه سيُحارِب من أجلي أيضًا؟ لا تعرف سبيلًا للتأكُّد بَعد مضيِّ هذه السِّنين كلها. «تعالَ معي إلى «الكرمة» يا زارو، وستتذوَّق أفضل خمورٍ ستشربها في حياتك كلها، لكن علينا أن نذهب بسفينةٍ حربيَّة وليس مركب نُزهات».

- «لا أملكُ سُفنًا حربيَّةً. الحرب تضرُّ بالتِّجارة، وكثيرًا قلتُ لكِ إن زارو زون داكسوس رجل سلام».

زارو زون داكسوس رجل ذهب، والذَّهب سيبتاع لي كلَّ ما أحتاجه من سُفنٍ وجُند. «لم أطلب منك أن تحمل سيفًا وتُقاتِل، بل أن تُقرِضني سُفنك لا غير».

ابتسمَ بتواضُع وقال: «أملكُ عددًا من السُّفن التِّجاريَّة، هذا صحيح، لكن مَن يدري كم عددها؟ قد تكون إحداها تغرق الآن في بُقعةٍ عاصفةٍ من بحر الصَّيف، وغدًا ستقع أخرى في أيادي القراصنة، وبَعد غدٍ قد يتطلَّع أحد ربابنتي إلى الثَّروة التي بين يديه ويقول لنفسه: المفترَض أن يكون كلُّ هذا ملكي. تلك مخاطر التِّجارة. حقًّا، كلما طالَ حديثنا فمن الوارد بشدَّة أن يقلَّ عدد سُفني. إن ثروتي تتضاءَل كلَّ لحظة».

- «أعطِني سُفنًا وسأجعلك ثريًّا من جديد».

- «تزوَّجيني أيتها الضِّياء السَّاطع وأبحِري بسفينة قلبي. إنني لا أنامُ اللَّيل من التَّفكير في جمالكِ».

ابتسمَت داني. كانت تعبيرات زارو النَّاعمة عن غرامه تُسَلِّيها حقًّا، غير أن تصرُّفاته تتعارَض مع كلامه، فبينما استطاعَ السير چورا بالكاد أن يغضَّ بصره عن نهدها العاري وهو يُساعِدها على ركوب الهودج، فبالكاد أيضًا تظاهرَ زارو بأنه يُلاحِظه، حتى على مقربةٍ منها في هذا المكان المغلَق، كما

أنها رأت الغلمان جميلي الطَّلعة الذين يُحيطون بالأمير التَّاجر ويتنقَّلون في أرجاء قصره مرتدين الحرير الخفيف. قالت: «تقول كلامًا عذبًا يا زارو، لكني أسمعُ «لا» أخرى متواريةً وراء كلماتك».

قال زارو وقد أعطته الجواهر في أنفه سيماء طائرٍ برَّاقٍ عجيب: «ذلك العرش الحديدي الذي تتكلَّمين عنه يبدو فظيع البرودة والصَّلابة، ولا أتحمَّلُ فكرة أن تجرح بروزاته الحادَّة بشرتكِ النَّاعمة»، ولوَّح بأصابعه الطَّويلة الأنيقة علامة الرَّفض، ثم أضافَ: «اجعلي هذه مملكتكِ يا أبدع الملكات، واجعليني ملككِ. سأعطيكِ عرشًا من ذهبٍ إذا شئتِ، ولمَّا تبدأ كَارث تُصيبكِ بالسَّأم، سنجول حول يي تي ونبحث عن مدينة الشُّعراء الحالمة، ونشرب خمر الحكمة من جمجمة رجلٍ ميت».

قالت: «ما أسعى إليه هو الإبحار إلى وستروس وشُرب خمر الانتقام من جمجمة الغاصِب»، وحكَّت ريجال تحت عينه، فانبسطَ جناحاه الأخضران كاليَشب وحرَّكا هواء الهودج السَّاكن.

سالَت عبرة واحدة متقَنة على وجنة زارو زون داكسوس، وقال: «ألن يثنيكِ شيء عن هذا الجنون؟».

قالت متمنِّيةً لو أنها تَشعُر حقًّا بالثِّقة التي تتكلَّم بها: «لا شيء سيثنيني. إذا أقرضَني كلٌّ من الثَّلاثة عشر عشر سُفن...».

- «فستملكين مئةً وثلاثين سفينةً بلا أطقُم تُبحِر بها. عدالة قضيَّتكِ لا تعني شيئًا لعامَّة كَارث. لماذا يُبالي بحَّارتي بمَن يجلس على عرش مملكةٍ ما عند حافة العالم؟».

- «سأدفعُ لهم كي يُبالوا».

- «بأيِّ أموالٍ يا نجمة سمائي الجميلة؟».

- «بالذَّهب الذي يجلبه السَّاعون».

- «يُمكنكِ أن تفعلي هذا، لكن الكثير من المبالاة يُكَلِّف الكثير، فعليكِ أن تدفعي لهم أكثر مني، واعلمي أن كَارث كلها تسخر من كرمي المتهوِّر».

- «ما دامَ الثَّلاثة عشر لن يُساعِدوني، فهَب أني قصدتُ عُصبة العطَّارين أو أخوَّة التورمالين؟».

هَزَّ زارو كتفيه بفتورٍ قائلًا: «لن تنالي منهم غير الإطراء والأكاذيب. العطّارون مجرّد متبجّحين مدّعين، والأخوّة تعجُّ بالقراصنة».

- «عليّ إذن أن أصغي لبِيات پري وأذهب إلى الدجّالين».

اعتدلَ الأمير التّاجر بحركةٍ حادّة، وقال: «بِيات پري أزرق الشّفتين، ويُقال صدقًا إن الشّفاه الزّرقاء لا تتفوّه بغير الأكاذيب. أصغي لحكمة مَن يُحِبُّكِ، الدجّالون كائنات لدود تأكل التُّراب وتشرب من الظِّلال، ولن يُعطوكِ شيئًا لأنهم لا يملكون ما يُعطونه».

- «لم أكن لأقصد عون بعض المشعوذين لو أعطاني صديقي زارو زون داكسوس ما أطلبه».

- «لقد أعطيتكِ بيتي وقلبي، أفلا يعنيان شيئًا لكِ؟ أعطيتكِ عطورًا ورُمّانًا، وقرودًا تتشقلَب وثعابين تفحُّ، ومخطوطات من ڤاليريا القديمة، ورأس صنم وقدم أفعى. أعطيتكِ هذا الهودج المصنوع من الأبنوس والذّهب، وزوجًا من الثّيران يحمله، أحدهما أبيض كالعاج والثّاني أسود كالسَّبج، وقرونهما مطعّمة بالذّهب».

قالت داني: «نعم، لكني أردتُ سُفنًا وجنودًا».

- «ألم أعطكِ جيشًا يا أعذب النّساء؟ أعطيتكِ ألف فارسٍ يرتدون الدُّروع اللّامعة».

الدُّروع مصنوعة من الفضّة والذّهب، والفُرسان من اليَشب والزّبرجد والجَزْع والتورمالين والعقيق والأوپال والجَمَشْت، كلٌّ منهم بطول خنصرها. قالت: «ألف فارسٍ جميل، لكن ليس من النّوع الذي يُرهِب أعدائي، كما أن الثّورين لا يستطيعان حَملي عبر البحر. إنني... لماذا نتوقّف؟». كانت حركة الثّورين قد تباطأت إلى حَدٍ كبير.

نادى آجو من وراء السّتائر، والهودج يرتجُّ متوقّفًا فجأةً: «كاليسي»، فاتّكأت داني على مِرفقها ومالَت إلى الخارج، لترى أنهم على أطراف السُّوق، والطّريق أمامهم يُغلِقه حائط صُلب من النّاس، فسألَت: «إلامَ يَنظُرون؟».

رجعَ چوجو بحصانه إليها مجيبًا: «إنه حاوي نار يا كاليسي».

- «أريدُ أن أرى».

قال الدوثراكي: «سترين إذن»، ورفعَ يده إليها، ولمَّا أمسكَت بها رفعَها على حصانه وأجلسَها أمامه، حيث تستطيع أن تُشاهِد من فوق رؤوس المتفرِّجين. كان حاوي النَّار قد صنعَ سُلَّمًا في الهواء، سُلَّمًا يُطَقطِق لهبه البرتقالي ويتموَّج صاعدًا من أرض السُّوق بلا دعائم نحو السَّقف العالي المرسوم على شكل عريش.

لاحظَت أن أغلب المتفرِّجين ليسوا من أهل المدينة، ورأت بحَّارةً جاءوا في السُّفن التِّجارية، وتجَّارًا جاءوا مع القوافل، ورجالًا مغبَّرين أتوا من القَفر الأحمر، وجنودًا جوَّالين وحِرَفيِّين ونخَّاسين. طوَّق چوجو خصرها بيده، ومالَ عليها قائلًا: «شعب الحليب يتجنَّبه. گاليسي، أترين الفتاة ذات القبَّعة الصُّوف؟ هناك، وراء الرَّاهب البدين، إنها...».

أكملَت داني عبارته: «نشَّالة». إنها ليست ليدي مدلَّلةً تغفل عن تلك الأشياء، ورأت الكثير من النشَّالين في شوارع المُدن الحُرَّة خلال السَّنوات التي قضَتها مع أخيها في الهرب من قتلَة الغاصِب.

كان الحاوي يُلَوِّح بيديه بحركاتٍ واسعةٍ مستحثًّا اللَّهب على أن يرتفع أعلى فأعلى، وإذ رفعَ المتفرِّجون رؤوسهم، اندسَّ النشَّالون بينهم مخبِّئين سكاكين صغيرةً في راحات أيديهم، وخلَّصوا الأثرياء من نقودهم بيدٍ بينما تُشير الثَّانية إلى أعلى.

حينما ارتفعَ السُّلَّم النَّاري أربعين قدمًا، وثبَ الحاوي إلى الأمام وبدأ يتسلَّقه واضعًا يدًا فوق يدٍ بسُرعة القرود، لتذوب كلُّ درجةٍ من ورائه مخلِّفةً خيطًا من الدُّخان الفضِّي لا أكثر، ولمَّا بلغَ القمَّة كان السُّلَّم قد اختفى، وكذلك هو.

أعلنَ چوجو بإعجاب: «حيلة ممتازة».

جاءَ صوت امرأةٍ يقول باللُّغة العاميَّة: «ليست حيلةً».

لم تكن داني قد لاحظَت كويث وسط الجموع، لكن ها هي ذي، عيناها رطبتان لامعتان من وراء قناعها الخشبي الأحمر الصُّلب، فسألَتها: «ماذا تعنين يا سيِّدتي؟».

- «قبل نِصف عام فقط لم يكن هذا الرَّجل يستطيع إشعال النَّار من زُجاج التنِّين. كان يتمتَّع بموهبةٍ محدودة في التَّعامُل مع المساحيق والنَّار الشَّعواء، ما يكفي لأن يسلب ألباب المتفرِّجين بينما يقوم النشَّالون بعملهم، وكان يمشي على الفحم السَّاخن ويجعل زهورًا محترقةً تتفتَّح في الهواء، لكنه لم يكن ليَحلُم بأن يتسلَّق سُلَّمًا من لهبٍ أكثر مما يَحلُم الصيَّاد العادي بوقوع كراكن في شباكه».

نظرَت داني باضطرابٍ إلى حيث كان السُّلَّم. حتى الدُّخان تلاشى، وبدأ المحتشدون ينصرفون إلى حال سبيلهم، بعضهم على وشك أن يجد كيس نقوده خاويًا. «والآن؟».

- «والآن تنمو قُدراته يا گاليسي، والسَّبب أنتِ».

قالت ضاحكةً: «أنا؟ كيف؟».

تقدَّمت المرأة واضعةً إصبعين على معصم داني، وردَّت: «أنتِ أمُّ التَّنانين، أليس كذلك؟».

قال چوجو: «هي كذلك، وغير مسموحٍ لأولاد الظِّلال بأن يلمسوها»، وأزاحَ يد كويث بمقبض سوطه.

تراجعَت المرأة خطوةً، وقالت: «يجب أن تُغادِري هذه المدينة قريبًا يا دنيرس تارجاريَن، وإلَّا لن يُسمَح لكِ بالمغادَرة إطلاقًا».

ظلَّت داني تَشعُر بوخزٍ في معصمها حيث مسَّتها كويث، وسألَتها: «أين تُريدينني أن أذهب؟».

- «لتذهبي شَمالًا يجب أن ترتحلي جَنوبًا، لتَبلُغي الغَرب يجب أن تذهبي إلى الشَّرق، لتمضي قُدمًا يجب أن تعودي أدراجكِ، وكي تمسِّي النور عليك أن تَمُرِّي تحت الظِّل».

آشاي، تُريدني أن أذهب إلى آشاي. «وهل سيُعطيني الآشايئيُّون جيشًا؟ هل سأجدُ ذهبًا في آشاي؟ أو سُفنًا؟ ما الذي سأجده في آشاي ولن أجده في كارث؟».

- «الحقيقة»، قالت المرأة المقنَّعة، وانحنَت قبل أن تغيب في الزِّحام.

أطلقَ راگارو نخير ازدراءٍ من وراء شاربه الأسود المتدلِّي، وقال:

«گاليسي، خيرٌ للمرء أن يبتلع حفنةً من العقارب من أن يثق بأولاد الظِّلال الذين لا يجرؤون على إظهار وجوههم تحت الشَّمس. هذا معلوم».

أيَّده آجو مردِّدًا: «هذا معلوم».

كان زارو زون داكوس قد شاهدَ الحوار كله من فوق وسائده، وعندما عادَت داني تصعد إلى جواره في الهودج، قال لها: «رجالكِ الهمجيُّون أكثر حكمةً مما يحسبون، فالحقائق التي يكتنزها الآشايئيُّون ليست بالشَّيء الذي يسرُّ»، ثم ناوَلها كأس نبيذٍ أخرى، وراحَ يتكلَّم عن الحُبِّ والشَّهوة وغيرهما من التَّوافه طول ما تبقَّى من الطَّريق إلى قصره.

في هدوء مسكنها، خلعَت داني ملابسها الأنيقة وارتدَت ثوبًا فضفاضًا من الحرير الأرجواني. كان تنانينها جائعين، فقطَّعت ثعبانًا وطهَت قِطع اللَّحم فوق مستوقَد، وبينما شاهدَتهم يتشاجَرون على اللَّحم المتفحِّم، قالت لنفسها: إنهم يكبُرون. لا بُدَّ أن وزنهم يبلُغ ضِعف ما كان في ڤايس تولورو. وعلى الرغم من ذلك لم تزل أمامهم سنوات قبل أن يَكبُر حجمهم بما فيه الكفاية لأن تَدخُل بهم حربًا. ويجب تدريبهم كذلك، وإلَّا دمَّروا مملكتي عن بكرة أبيها. مع أن دماء عائلة تارجاريَن تجري في عروقها، فداني لا تملك أدنى فكرةٍ عن كيفيَّة تدريب التَّنانين.

جاءَها السير چورا مورمونت والشَّمس في سبيلها إلى المغيب، وبادَرها متسائلًا: «هل رَدَّكِ أنقياء الميلاد؟».

قالت داني: «كما قلتَ إنهم سيفعلون. تعالَ واجلس، أعطِني نصيحتك»، وسحبَته مُجلسةً إياه إلى جوارها على الوسائد، وجلبَت چيكوي لهما وعاءً من الزَّيتون الأرجواني والبصل المغموسيْن في النَّبيذ.

قال السير چورا: «لن تنالي عونًا في هذه المدينة يا گاليسي»، والتقطَ بصلةً بسبَّابته وإبهامه مضيفًا: «كلَّ يوم أقتنعُ بهذا أكثر من سابِقه. أنقياء الميلاد لا يرون أبعد من أسوار كارث، وزارو...».

- «سألَني أن أتزوَّجه ثانيةً».

- «نعم، وأنا أعرفُ السَّبب». عندما يعبس الفارس، يلتحِم حاجباه الكثَّان الأسودان معًا فوق عينيه العميقتين.

قالت ضاحكةً: «إنه يَحلُم بي ليل نهار».

- «سامحيني يا مولاتي، لكن تنانينكِ هي ما يَحلُم به».

- «زارو يؤكِّد لي أن الرِّجال والنِّساء في كارث يحتفظون بممتلكاتهم بَعد الزَّواج، والتَّنانين ملكي». ابتسمَت وقد جاءَ دروجون يخفق ويتواثَب على الأرض الرُّخام ليستقرَّ على الوسادة إلى جوارها.

- «يقول الحقيقة، وإن لم تكن كاملةً، فثمَّة شيء آخَر أهملَ ذِكره. للكارثين عُرف غريب يتعلَّق بالزَّواج يا مولاتي. يوم زفافهما، مُباح للعروس أن تَطلُب من زوجها أمارةً على حُبِّه، وعليه أن يمنحها أيَّ شيءٍ ترغب فيه من ممتلكاته الدُّنيويَّة، ويستطيع أن يَطلُب منها شيئًا آخَر بدوره. من الممكن طلب شيءٍ واحدٍ فقط، لكن لا يُمكن رفضه أيًّا كان».

ردَّدت: «شيء واحد؟ ولا يُمكن رفضه؟».

- «بتنِّينٍ واحد، يستطيع زارو زون داكسوس أن يَحكُم هذه المدينة، بينما لن تنفع سفينة واحدة قضيَّتنا كثيرًا».

قضمَت داني من بصلةٍ وتفكَّرت بكآبةٍ في غدر البَشر، ثم إنها قالت للسير چورا: «مررنا بالسُّوق في طريق عودتنا من قاعة الألف عرش. كويث كانت هناك»، وحكَت له عن حاوي النَّار وسُلَّم اللَّهب، وما أخبرَتها به ذات القناع الأحمر.

قال الفارس لمَّا فرغَت: «يسرُّني أن أغادر هذه المدينة إذا أردتِ الحَق، لكن ليس إلى آشاي».

- «إلى أين إذن؟».

- «الشَّرق».

- «إنني أبعدُ نِصف عالم بالفعل عن مملكتي هنا، وإذا توغَّلتُ شَرقًا أكثر، فقد لا أعثرُ على طريق العودة إلى وستروس».

- «إذا ذهبتِ غَربًا، فأنتِ تُجازِفين بحياتكِ».

- «عائلة تارجاريَن لديها أصدقاء في المُدن الحُرَّة، أصدقاء أصدق من زارو أو أنقياء الميلاد».

- «إذا كنتِ تقصدين إليريو موپاتيس، فإنني أرتابُ. سيبيعكِ إليريو كما يبيع عبدًا مقابل ما يكفي من الذَّهب».

- «أنا وأخي نزلنا ضيفين في ضيعة إليريو طيلة نِصف عام. لو كان ينوي بيعنا، لفعلَها عندئذٍ».

قال السير چورا: «لقد باعكِ بالفعل... لگال دروجو».

احتقنَ وجه داني. إنه يقول الحَق، لكن الحدَّة التي قالها بها لا تروقها. ردَّت: «إليريو حمانا من قتَلة الغاصِب، وكان مؤمنًا بقضيَّة أخي».

- «إليريو لا يُؤمِن بأيِّ قضيَّةٍ غير إليريو. الشَّرهون أناس جشعون بالضَّرورة، والماچسترات منحرفون، وإليريو موپاتيس هذا وذاك. ماذا تعرفين عنه حقًّا؟».

- «أعرفُ أنه أعطاني بيضات التَّنانين».

قال ساخرًا: «لو كان يعرف أنها ستفقس، لجثَمَ عليها بنفسه».

جعلَها تعليقه تبتسم رغمًا عنها، وقالت: «أوه، لا شَكَّ لديَّ في هذا أيها الفارس. إنني أعرفُ إليريو أكثر مما تحسب. كنتُ طفلةً حين تركتُ ضيعته في پنتوس لأتزوَّج شمسي ونجومي، لكني لم أكن عمياء أو صمَّاء، ولم أعد طفلةً».

قال الفارس بعناد: «حتى إذا كان إليريو الصَّديق الذي تعتقدينه، فهو ليس قويًّا بما فيه الكفاية لأن يُتَوِّجكِ بمفرده، تمامًا كما لم يستطِع مع أخيكِ».

- «إنه ثري. ليس فاحش الثَّراء كزارو، لكن بما يكفي لأن يستأجر لي سُفنًا ورجالًا».

قال السير چورا: «المرتزِقة لهم فوائدهم، لكنكِ لن تفوزي بعرش أبيكِ بكُناسة المُدن الحُرَّة. لا شيء يُوَحِّد مملكةً مشتَّتةً مِثل جيشٍ من الغزاة على تُرابها».

معترضةً قالت داني: «أنا ملكتهم الشَّرعيَّة!».

- «أنتِ غريبة تسعى للرَّسو على سواحلهم بجيشٍ من الأجانب الذين لا يتكلَّمون اللُّغة العاميَّة حتى. لوردات وستروس لا يعرفونكِ، ولديهم كلُّ ما

يدعوهم لأن يخافوكِ ويرتابون فيكِ. يجب أن تربحي ثقتهم قبل أن تُبحِري، بعضهم على الأقل».

- «وكيف أفعلُ ذلك إذا اتَّجهتُ شَرقًا كما تنصحني؟».

أكلَ زيتونةً وبصقَ النَّواة في راحة يده، ثم قال: «لا أدري يا جلالة الملكة، لكن ما أعرفه أنه إذا طالَ بقاؤكِ في مكانٍ واحد، فسيَسهُل على أعدائكِ العثور عليكِ. ما زال اسم تارجاريَن يُخيفهم، لدرجة أنهم أرسَلوا رجلًا يغتالكِ حين عرفوا أنكِ حبلى، فماذا سيفعلون عندما يعرفون بأمر تنانينكِ؟».

كان دروجون مكوَّرًا نفسه تحت ذراعها، ساخنًا كحجرٍ تشرَّب لهيب الشَّمس طيلة النَّهار، بينما تشاجرَ ريجال وڤسيريون على قطعةٍ لحم، يضربان بعضهما بعضًا بأجنحتهما بينما يَخرُج الدُّخان من أنفيهما. أطفالي الشَّرسون، لا يجب أن يمسَّهم ضُرٌّ أبدًا. «المذنَّب قادَني إلى كارث لسبب. كنتُ آملُ أن أجد جيشي هنا، لكن يبدو أن ذلك لن يَحدُث. أساءلُ نفسي، ما الخيار الذي تبقَّى لي؟». ولمَّا خطرَت لها الإجابة فكَّرت: إنني خائفة، لكن يجب أن أتشجَّع، ثم قالت لچورا: «عندما يأتي الغد، عليك أن تذهب إلى ﭘيات ﭘري».

تيريون

لم تذرف الفتاة ولو دمعة واحدة، فحتى في هذه السِّنِّ الصَّغيرة، تظلُّ مارسلا باراثيون أميرةً بالفِطرة. ذكَّر تيريون نفسه: وتنتمي لآل لانستر كذلك، على الرغم من اسمها، وفي عروقها تسري دماء چايمي قدر ما تسري دماء سرسي.

صحيحٌ أن ابتسامتها بدَت راجفةً بعض الشَّيء حين ودَّعها أخواها على سطح «مِغوار البحر»، إلَّا أن الفتاة كانت تعرف الكلمات اللَّائقة التي ينبغي ترديدها، وردَّدتها بشَجاعةٍ وكرامة، ولمَّا جاءَ وقت الرَّحيل، كان الأمير تومن هو من بكى، ومارسلا هي من واسَته.

شاهدَ تيريون الوداع من على السَّطح العالي لـ«مطرقة الملك روبرت»، السَّفينة الحربيَّة العظيمة المزوَّدة بأربعمئة مجذاف. ستقود «مطرقة روب» -كما يُسَمِّيها ملَّاحوها- القوَّة المصاحبة لمارسلا، التي تضمُّ كلًّا من «أسد النُّجوم» و«الرِّيح الجَسور» و«الليدي ليانا».

كان تيريون يَشعُر بقلقٍ عارم للاستغناء عن جزءٍ كبيرٍ من أسطولهم المحدود المستنزَف بالفعل، منذ أن خسروا كلَّ السُّفن الَّتي أبحرَت مع اللورد ستانيس إلى دراجونستون ولم تَعُد، لكن سرسي لم تقبل بأقلَّ من هذا على الإطلاق، ولعلَّ رأيها رشيد حقًّا، فلو سقطَت الفتاة في الأَسر قبلما تَبلُغ صنسپير، فسينهار التَّحالُف الدورني تمامًا. حتى الآن لم يفعل دوران مارتل أكثر من استدعاء راياته، وبمجرَّد أن تصل مارسلا إلى براڤوس، سيُنَفِّذ تعهُّده بتحريك قوَّاته إلى الممرَّات العالية، حيث يُمكن أن يجعل التَّهديد بعض

لوردات تُخوم دورن يُعيدون التَّفكير في موضع ولائهم، ويجعل ستانيس يتردَّد في الزَّحف شَمالًا. على أن هذا مجرَّد تمويه، فآل مارتل لن يَدخُلوا المعركة فعلًا ما لم تتعرَّض دورن نفسها للهجوم، وستانيسٍ ليس بتلك الحماقة. لكن بعض حمَلة رايته قد يكونون كذلك. عليَّ أن أفكر في هذا.

تنحنحَ وقال: «تعرف أوامرك أيها الرُّبَّان».

- «نعم يا سيِّدي. سنُبحِر بمحاذاة السَّاحل، بحيث تظلُّ اليابسة على مرأى منا دائمًا، إلى أن نَبلُغ «الرَّأس المتصدِّع»، ومن هناك نَمخُر البحر الضيِّق إلى براڤوس، دون أن ندنو من دراجونستون أبدًا».

- «وفي حال لاقاكم أعداؤنا مصادفةً؟».

- «إذا كانت سفينةً واحدةً، سنُعَطِّلها أو نُدَمِّرها، وإذا كان العدد أكبر، ستظلُّ «الرِّيح الجَسور» ملازمةً «مِغوار البحر» لتحميها، بينما يخوض باقي الأسطول المعركة».

أومأ تيريون برأسه. في أسوأ الأحوال، فمن شأن «مِغوار البحر» أن تفرَّ من المطارَدة، بما أنها سفينة صغيرة الحجم ذات أشرعةٍ كبيرة، ما يعني أنها أسرع من أيِّ سفينةٍ حربيَّة على سطح الماء، أو أن هذا ما يدَّعيه رُبَّانها. من المفترَض أن تُصبِح مارسلا آمنةً فور أن تَبلُغ براڤوس، فقد كلَّف تيريون السير آريس أوكهارت بأن يكون حارسها الشَّخصي، واتَّفق مع البراڤوسيِّين على أن يصحبوها بقيَّة الطَّريق إلى صنسپير، فحتى اللورد ستانيس نفسه سيتردَّد في إشعال غضبة أعظم المُدن الحُرَّة وأقواها. بالطَّبع ليس السَّفر من كينجز لاندنج إلى دورن عن طريق براڤوس أكثر السُّبل مباشَرةً، لكنه الأكثر أمانًا... أو أن هذا ما يأمله.

إذا علمَ اللورد ستانيس بهذه الرِّحلة، فلن يجد وقتًا أفضل من هذا لأن يبُحِر أسطوله ضدنا. ألقى تيريون نظرةً وراءه، حيث يصبُّ النَّهر في الخليج الأسود، وأراحَه أنه لم يرَ أثرًا لأيِّ أشرعةٍ في الأُفق الأخضر الواسع. تقول آخِر إفادةٍ إن أسطول باراثيون لا يزال راسيًا عند ستورمز إند، حيث يُواصِل السير كورتناي پنروز -باسم رنلي- تحدِّي من يُحاصِروه، وفي تلك الأثناء ها قد اكتملَ بناء ثلاثة أرباع بُرجيِّ الأوناش اللذين أمرَ تيريون ببنائهما، وفي هذه

اللَّحظة بالذَّات يظلُّ الرِّجال يرفعون قوالب الحجارة الثَّقيلة، لاعنين إياه بلا شَكٍّ لجعلهم يعملون أثناء الاحتفالات، ودَعهم يلعَنوه كما شاءوا. أسبوعان آخَران فقط يا ستانيس، هذا كلُّ ما أحتاجه، أسبوعان آخَران وأنتهي.

شاهدَ تيريون ابنة أخته تركع أمام السِّپتون الأعلى لتتلقَّى البَركة من أجل رحلتها، وقد تشرَّب تاجه البلَّوري نور الشَّمس وصبَّه في صورة أقواس قزح على وجه مارسلا المرفوع، وإن جعلَت الضَّوضاء القادمة من ضفَّة النَّهر سماع الصَّلوات مستحيلًا، فتمنَّى تيريون أن يكون سمعُ الآلهة أكثر حدَّةً. السِّپتون الأعلى شديد البدانة، وأكثر خيلاءً وإسهابًا في الكلام من پايسل نفسه، حتى أن تيريون فكَّر بضيق: كفى أيها العجوز، فلننته. الآلهة لديها أشياء تفعلها أفضل من الإصغاء إليك، وأنا أيضًا.

عندما انتهَت الثَّرثرة أخيرًا، ودَّع تيريون رُبَّان «مطرقة روب»، ووعدَه بقوله: «أوصِل ابنة أختي سالمةً إلى براڤوس، وحين عودتك ستجد فروسيَّةً في انتظارك».

أحسَّ تيريون بالعيون القاسية المسلَّطة عليه وهو ينزل لوح العبور إلى الرَّصيف. كان القادس يتمايَل برفق، فجعلَته الحركة تحت قدميه يتمايَل أكثر بدوره. أراهنُ أنهم يتحرَّقون شوقًا لأن يضحكوا مستهزئين. لكن أحدًا لم يجرؤ، ليس على الملأ على الأقل، وإن سمعَ تيريون همهماتٍ هنا وهناك ممتزجةً بصرير الخشب والحبال وتكسُّر مياه النَّهر حول دعائم الرَّصيف. إنهم لا يُحِبُّونني، ولا عجب، فأنا حسن التَّغذية وقبيح، بينما يتضوَّرون هُم جوعًا.

رافقَه برون وسط الزِّحام وهو ينضمُّ إلى شقيقته وابنيها، وتجاهلَته سرسي مفضِّلةً أن تَنثُر ابتساماتها بغزارةٍ على ابن عمِّهما. رآها تفتن لانسل بعينين بخُضرة طوق الزمرُّد المحيط بعُنقها الأبيض الرَّفيع، وابتسمَ لنفسه ابتسامةً خبيثةً. أعرفُ سِرَّكِ يا سرسي. في الآونة الأخيرة تزور أخته السِّپتون الأعلى بكثرة، تَطلُب أن تنزل عليهم بَركة الآلهة في صِدامهم المقبل مع اللورد ستانيس... أو أن هذا ما تُريد أن يُصَدِّقه تيريون، بينما الحقيقة أن زيارات سرسي سِپت بيلور الكبير مقتضبة دائمًا، وبَعدها ترتدي معطف مسافرين

بنِّيًا تقليديًّا، وتذهب خلسةً للقاء فارسٍ متجوِّلٍ معيَّن يحمل الاسم المزري أوزموند كِتلبلاك، مع أخويه أوزني وأوزفريد اللذين يُضاهِيان شخصيَّته البغيضة. أخبرَه لانسل بكلِّ شيءٍ عنهما، وبأن سرسي تُريد استغلال الإخوة كِتلبلاك لشراء قوَّتها الخاصَّة من المرتزقة.

حسنٌ، دَعها تستمتع بمؤامراتها. إنها أعذب كثيرًا حين تتصوَّر أنها تفوقه دهاءً. سيُغريها الإخوة كِتلبلاك بالكلام ويأخذون مالها ويعدونها بأيِّ شيءٍ تَطلُبه، ولِمَ لا وبرون يدفع لهم ما تدفعه من عُملاتٍ نُحاسيَّةٍ قطعةً قطعةً؟ ثلاثتهم متشرِّد ودود الأسلوب، وإن كان الأخوة متمرِّسون في فنون الخداع أكثر من سفك الدِّماء بمراحل. كلُّ ما فعلَته سرسي أنها اشترَت ثلاث طبولٍ فارغة تُصدِر كلَّ ما تتطلَّبه من جعجعةٍ صاخبة، أمَّا من الدَّاخل فهي فارغة تمامًا، الشَّيء الذي أثار استمتاع تيريون لأقصى درجة.

أطلقَت الأبواق نفيرها مع تحرُّك «أسد النُّجوم» و«الليدي ليانا» من الشَّاطئ في اتِّجاه مصبِّ النَّهر، لإخلاء الطَّريق لـ«مِغوار البحر»، وارتفعَت بضع هتافاتٍ من الجمهور المحتشد على الضِّفتين، خفيفةً متباعدةً كالسَّحاب المتناثر في السَّماء. ابتسمَت مارسلا ولوَّحت بيدها مودِّعةً من على سطح سفينتها، وخلفها وقفَ السير آريس أوكهارت ومعطفه الأبيض يُرَفرف. أمرَ الرُّبَّان بإلقاء أثقال السَّفينة، ودفعَت المجاذيف «مِغوار البحر» إلى تيَّار النَّهر الأسود الشَّديد، حيث ارتفعَت أشرعتها ونفخَتها الرِّيح... تلك الأشرعة البيضاء التَّقليديَّة طِبقًا لأوامر تيريون، لا أشرعة لانستر القرمزيَّة. انتحبَ الأمير تومن، فقال له أخوه بصوتٍ كالفحيح: «إنك تموء كهرَّةٍ رضيعة. ليس من اللَّائق أن يبكي الأمراء».

قالت سانزا ستارك: «الأمير إيمون الفارس التنِّين بكى يوم زُفَّت الأميرة نييرس إلى أخيه إجون، والتَّوأمان السير آريك والسير إريك ماتا ودموعهما على وجهيهما بَعد أن أصابَ كلٌّ منهما الثَّاني بجرحٍ مميت».

قال چوفري لخطيبته: «صمتًا وإلَّا جعلتُ السيرَ مرين يُصيبكِ أنتِ بجرحٍ مميت»، فنظرَ تيريون إلى أخته، لكنه وجدَ سرسي مستغرقةً في شيءٍ ما يقولهُ لها السير بالون سوان، فتساءلَ في أعماقه: أهي معميَّةٌ عن حقيقته لهذا الحَد؟

غمسَت «الرِّيح الجَسور» مجاذيفها في النَّهر وتحرَّكت في اتِّجاه مصبِّه وراء «مِغوار البحر»، وأخيرًا أبحرَت «مطرقة الملك روبرت»، مفخرة الأسطول الملكي... أو على الأقل الجزء الذي لم يهرب إلى دراجونستون العام الماضي مع ستانيس. لقد انتقى تيريون السُّفن بعناية، متحاشيًا كلَّ سفينةٍ في ولاء رُبَّانها شَك، طِبقًا لتقارير ڤارس... لكن بما أن ولاء ڤارس نفسه محلُّ شَك، فقد ظَلَّ تيريون يَشعُر بشيءٍ من الخشية. إنني أعتمدُ على ڤارس أكثر من اللَّازم، وأحتاجُ أن يكون لي جواسيسي أنا، مع أني لن أثق بهم كذلك. الثِّقه تقود المرء إلى حتفه.

عادَ يتساءَل عن الإصبع الصَّغير، فلم تصل أيُّ أخبارٍ من پيتر بايلش منذ ذهبَ إلى «جسر العلقم». قد لا يعني هذا شيئًا... أو يعني كلَّ شيء، فحتى ڤارس لا يدري، وخمَّن أن من الوارد أن مكروهًا ما أصابَ الإصبع الصَّغير على الطَّريق، وربما يكون قد قُتِلَ حتى، فأطلقَ تيريون نخيرًا ساخرًا حينها، وقال: «لو ماتَ الإصبع الصَّغير، فأنا عملاق!». الاحتمال الأرجح أن آل تايرل يُناهِضون عرض الزَّواج، ولا يستطيع تيريون أن يلومهم على هذا. لو كنتُ مايس تايرل، لآثرتُ أن يوضَع رأس چوفري على خازوق على أن يولج قضيبه في ابنتي.

كان الأسطول الصَّغير قد ابتعدَ في الخليج، عندما أعلنَت سرسي أن وقت الذَّهاب قد حانَ، فأحضرَ برون حصان تيريون وساعدَه على امتطائه، ما يُعَدُّ واجب پودريك پاين عادةً، لكنهم تركوا پود في القلعة الحمراء، فوجود المرتزِق النَّاحل مُطَمْئِن أكثر بكثير من الصَّبي.

اصطفَّ رجال حَرس المدينة في الشَّوارع الضيِّقة، يدفعون الجماهير إلى الوراء برماحهم، فيما تقدَّم السير چاسلين بايووتر الموكب، على رأس حاجزٍ بَشريٍّ من الخيَّالة حاملي الرِّماح الذين يرتدون الحلقات المعدنيَّة السَّوداء والمعاطف الذَّهبيَّة، ومن ورائه حملَ السير أرون سانتاجار والسير بالون سوان رايتيَّ الملك، أسد لانستر ووعل باراثيون المتوَّج.

تبعَهم الملك چوفري على صهوة حصانٍ رماديٍّ طويل، وقد استقرَّ تاج من ذهبٍ على شَعره الذَّهبي، بينما امتطَت سانزا ستارك فَرَسًا بلون الكستناء

إلى جواره، دون أن تَنظُر يَمينًا أو شِمالًا، ينسدل شَعرها الكستنائي الكثيف على كتفيها تحت شبكةٍ من أحجار القمر. حاذى اثنان من الحَرس الملكي الخطيبين من الجانبين، كلب الصَّيد على يمين الملك، والسير ماندون مور على يسار ابنة ستارك.

بَعدهم جاءَ تومن يتنشَّق، ومعه السير پرستون جرينفيلد في دِرعه ومعطفه الأبيضين، ثم سرسي في رِفقة السير لانسل وحماية مرين ترانت وبوروس بلاونت. انضمَّ تيريون إلى أخته، وتبعَهما السِّپتون الأعلى على نقَّالته، وفي أعقابه صَفٌّ طويل من أفراد الحاشية؛ السير هوراس ردواين والليدي تاندا وابنتها وچالابار شو واللورد جايلز روزبي والآخَرون، فيما تولَّى طابور مزدوجٍ من الحَرس حماية المؤخِّرة.

حدَّق ذوو اللِّحى المشعثة والأجساد القذرة في الموكب بسُخطٍ فاترٍ من وراء صفوف الرِّماح، ففكَّر تيريون: هذا المنظر لا يروقني مقدار ذرَّة. كان برون قد وزَّع عشرين مرتزِق وسط الجموع، مع أمرٍ بمنع أيِّ مشكلةٍ قبل أن تبدأ، ولعلَّ سرسي وزَّعت مرتزِقة الإخوة كِتلبلاك على النَّحو نفسه، لكن بشكلٍ ما لم يحسب تيريون أن يصنع ذلك فارقًا كبيرًا. إذا كانت النَّار شديدة الحرارة، فلا يُمكنك أن تحول دون احتراق الحلوى بإلقاء حفنةٍ من الزَّبيب في القِدر.

عبَروا ميدان السمَّاكين وقطَعوا الدَّرب الموحل، قبل أن ينعَطفوا إلى الشَّارع الضيِّق المنحني المسمَّى «الخُطَّاف»، ليبدأوا صعود تَلِّ إجون العالي، وارتفعَت أصوات تهتف: «چوفري! التَّحيات! التَّحيات!» مع مرور الملك الصَّغير، لكن مقابل كلِّ فردٍ أطلقَ هتافًا، لاذَ مئة بصمتهم. خاضَ أولاد لانستر بحرًا من الرِّجال رَثِّي الثِّياب والنِّساء الجائعات، يُقاوِمون مَدًّا من النَّظرات العابسة. أمام تيريون مباشرةً كانت سرسي تضحك لشيءٍ ما قاله لانسل، وإن أحسَّ بأن مرحها مصطنَع، فليس ممكنًا أنها غافلة عن الاضطراب المحيط بهم، لكن أخته تؤمِن دائمًا بوضع قناع الشَّجاعة.

في منتصَف الطَّريق دسَّت امرأة تُوَلول نفسها بين حارسين، وتملَّصت منهما وجرَت إلى الشَّارع أمام الملك ومُرافِقيه، رافعةً جثَّة رضيعها فوق

رأسها، جثّةً منتفخةً مزرقّةً بشعة المنظر، لكن الرُّعب الحقيقي كان نظرة عيني الأُم. بدا چوفري لحظةً كأنه سيدهسها بحصانه، إلّا أن سانزا ستارك مالَت عليه وقالت له شيئًا، فبحثَ الملك في كيس نقوده وألقى للمرأة أيلًا فضِّيًّا، فقط لترتدَّ قطعة العُملة عن الطِّفل الميت وتتدحرَج تحت أرجُل ذوي المعاطف الذَّهبيَّة ثم المتزاحمين الذين بدأ بعضهم يقتَتِل للوصول إليها، أمَّا الأمُّ فلم يَطرُف لها جفن، وقد ارتعشَت ذراعاها النَّحيلتان تحت وزن ابنها الميت.

نادَت سرسي ابنها قائلةً: «اترُكها يا جلالة الملك. ليس في مقدورنا مساعَدة المسكينة».

وسمعَتها الأمُّ. بوسيلةٍ ما نفذَ صوت الملكة إلى عقل المرأة الخَرِب، فانقلبَت سحنتها الجامدة إلى تعبير مقتٍ خالص، وصرخَت: «**عاهرة! عاهرة قاتِل الملك! ناكحة أخيها!**»، وسقطَ طفلها الميت من يديها كجوال دقيق إذ أشارَت إلى سرسي وواصلَت صراخها: «**ناكحة أخيها ناكحة أخيها ناكحة أخيها!**».

لم يرَ تيريون مَن ألقى قطعة الرَّوث، فقط سمعَ شهقة سانزا وسباب چوفري المدوِّي، وحين أدارَ رأسه، كان الملك يمسح عن وجنته القذارة البنِّيَّة، التي التصقَ المزيد منها بشَعره الذَّهبي ولطَّخ ساقي سانزا. صرخَ چوفري: «من ألقى هذا؟»، ودفعَ أصابعه بين خصلات شَعره واشتعلَت ملامحه غضبًا وهو يرمي قبضةً أخرى من الرَّوث ثم يزعق: «أريدُ من ألقى هذا! مئة تنِّينٍ ذهبي لمن يدلُّني عليه!».

صاحَ أحدهم من وسط الجموع: «كان على هذا السَّطح!»، فدارَ الملك بحصانه ليمسح بعينيه أسطُح البيوت والشُّرفات المفتوحة، وفي الزِّحام كان النَّاس يُشيرون ويتدافَعون ويشتمون بعضهم بعضًا والملك.

قالت سانزا بتوسُّل: «أرجوك يا جلالة الملك، دَعه يذهب».

تجاهَلها چوفري، وصاحَ: «اجلِبوا لي الرَّجل الذي ألقى هذه القذارة! سيُنَظِّفها بلسانه وإلَّا قطعتُ رأسه! أيها الكلب، أحضِره إليَّ هنا!».

أطاعَ ساندور كليجاين الأمر ونزلَ من فوق سَرجه، لكن بلا سبيلٍ

لاختراق حائط اللَّحم البَشري، ناهيك بالوصول إلى السَّطح، وبدأ الأقرب إليه يتملَّصون ويتدافَعون مبتعدين، بينما تقدَّم آخَرون راغبين في أن يتفرَّجوا، واشتمَّ تيريون رائحة كارثةٍ قادمة، فقال: «كليجاين، انسَ الأمر، الرَّجل فَرَّ بالفعل».

عادَ چوفري يصيح مشيرًا إلى السَّطح: «أريده! كان هناك! أيها الكلب، اضربهم بسيفك وأحضِر...».

أغرقَت موجة من الهياج بقيَّة عبارته، هدير محمَّل بالغضب والخوف والكراهية اجتاحَهم من كلِّ حدبٍ وصوب، وصرخَ واحد من النَّاس في چوفري: «**نغل! وحش نغل!**»، بينما ألقَت أصوات أخرى الملكة بهتافات «**عاهرة!**» و«**ناكحة أخيها!**»، ورجمَت تيريون صيحات «**مسخ!**» و«**نِصف رجل!**»، وبالشَّتائم امتزجَت هتافات «**العدالة!**» و«**روب! الملك روب! الذِّئب الصَّغير!**» و«**ستانيس!**» وحتى«**رنلي!**». من جانبيِّ الشَّارع انقضَّ النَّاس على مقابض الرِّماح، فيما كافحَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة للحفاظ على تماسُك صفوفهم، وتطايرَت الحجارة والرَّوث وما هو أسوأ فوق الرُّؤوس. صرخَت امرأة: «**أطعِمونا!**»، ودوَّى رجل من ورائها: «**الخُبز! نُريد خُبزًا أيها النَّغل!**»، وفي غمضة عينٍ ارتفعَ ألف صوتٍ بالنِّداء، ونُسِيَ الملك چوفري والملك روب والملك ستانيس، وأصبحَ الملك خُبز صاحب الجلالة الوحيد: «**الخُبز! الخُبز! الخُبز!**».

همزَ تيريون حصانه واندفعَ إلى جانب أخته زاعقًا: «إلى القلعة حالًا!»، فهزَّت سرسي رأسها باقتضابٍ واستلَّ السير لانسل سيفه. أمام الموكب كان السير چاسلين بايووتر يصيح بالأوامر، فوجَّه رجاله رماحهم وتقدَّموا في تشكيلٍ مثلَّث، بينما راحَ الملك يدور بحصانه بتوتُّر إذ تجاوزَت الأيدي صَفَّ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة ممتدَّةً نحوه، واستطاعَت إحداها أن تُطبِق على ساقه، لكن مدَّة ثانيةٍ لا أكثر، هوى بَعدها سيف السير ماندون مور مفرِّقًا بين اليد والمعصم. صاحَ تيريون في ابن أخته: «اذهب!»، وهوى على كفل حصانة بكَفِّه، فرفعَ الحيوان قائمتيه الأماميَّتين وأطلقَ صهيلًا عاليًا، قبل أن يندفع بسرعةٍ يخترق الزِّحام.

هرعَ تيريون في أعقاب الملك، ولازمَه برون وسيفه في يده. طارَت صخرة محزَّزة مارَّةً برأسه، بينما انفجرَت ثمرة كرنب عفنة على تُرس السير ماندون، وإلى يسارهم سقطَ ثلاثة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة تحت أقدام الثَّائرين، وفي اللَّحظة التَّالية كان النَّاس يندفعون إلى الأمام واطئين مَن سقطوا. اختفى كلب الصَّيد وراءهم، وإن ظَلَّ حصانه يعدو إلى جوارهم، ورأى تيريون أرون سانتاجار يُشَدُّ من فوق حصانه وقد انتُزعَت راية وعل باراثيون المتوَّج من قبضته، أمَّا السير بالون سوان فأسقطَ أَسد لانستر من تلقاء نفسه، وسحبَ سيفه الطَّويل وهوى به يمينًا ويسارًا، بينما تمزَّقت الرَّاية السَّاقطة ودارَت الإرب التي صارَتها في الهواء كورق شجرٍ قرمزي في ريحٍ عاصفة، ثم اختفَت بَعد لحظة. وجدَ أحدهم نفسه أمام حصان الملك، وصرخَ وچوفري يدهسه، ولا يدري تيريون إن كان رجلًا أم امرأةً أم طفلًا. كان چوفري ينطلق إلى جانبه بوجهٍ ممتقع، وإلى يساره السير ماندون مور كظِلٍّ أبيض.

وفجأةً أضحى الجنون وراءهم ووجدوا أنفسهم ينطلقون على الأرض المعبَّدة بالحصى في الميدان المواجِه لحصن القلعة الأمامي، وقد وقفَ صَفٌّ من حاملي الحراب أمام البوَّابة. دارَ السير چاسلين برجاله نحو الشَّارع استعدادًا لهجومٍ آخَر، بينما انزاحَت الحراب ليَدخُل الملك ومن معه من تحت الشَّبكة الحَديديَّة، وارتفعَت الأسوار الحمراء الباهتة من حولهم عاليةً على نحوٍ يُطَمئِن وتعجُّ بالرُّماة.

لا يتذكَّر تيريون أنه ترجَّل. كان السير ماندون يُساعِد الملك الرَّاجف على النُّزول عن حصانه، عندما دخلَت سرسي وتومن ولانسل من البوَّابة ومن ورائهما السير بوروس والسير مرين، وقد تخضَّب سيف بوروس بالدِّماء، بينما انتُزِعَ معطف مرين الأبيض من على ظَهره، ثم دخلَ السير بالون سوان بلا خوذة، وقد أغرقَت الرَّغوة حصانه[1] الذي راحَ ينزف من فمه، وجاءَ هوراس ردواين بالليدي تاندا التي طارَت نفسها شعاعًا من الخوف على

(1) عندما تعرق الخيول نتيجةً للمجهود الشَّديد، تَخرُج من مسامِّها مادَّة رغويَّة يتسبَّب بروتين معيَّن في إفرازها.

ابنتها لوليس، التي سقطَت من فوق سَرجها وتُركَت وسط الحشود، وبوجهٍ مربدٍّ كثيرًا عن المعتاد حكى اللورد جايلز أنه رأى السِّپتون الأعلى يُلقى من نقَّالته وهو يَصرُخ بالصَّلوات بينما اكتسحَته الجموع، فقال چالابار شو إنه يحسب أنه رأى السير پرستون جرينفيلد فارس الحَرس الملكي يعود بحصانه إلى نقَّالة السِّپتون الأعلى المقلوبة، وإن لم يكن واثقًا تمامًا.

بإدراكٍ واهٍ سمعَ تيريون مِايسترًا يسأله إن كان مصابًا، قبل أن يشقَّ طريقه عبر السَّاحة إلى حيث يقف ابن أخته وقد مالَ تاجه الملوَّث بالرَّوث على رأسه، وأخذَ چوفري يُجَعجِع بانفعال: «خونة! سأطيحُ برؤوسهم، ســ...».

وطيَّرت صفعة القزم العاتية التَّاج من فوق رأسه، قبل أن يدفعه بكلتا يديه فيرتمي أرضًا بعُنف، ويَصرُخ فيه: «يا لك من أحمق أعمى!».

ولولَ چوفري من على الأرض: «كانوا خونةً! شتَموني وهاجَموني!».

- «**لقد أطلقت كلبك عليهم!** ماذا كنت تحسبهم سيفعلون؟ يركعون بخنوعٍ بينما يَبتُر كلب الصَّيد أطرافهم؟ أيها الصَّبي المدلَّل الأبله، لقد قتلت كليجاين، والآلهة تعلم كم غيره، ومع ذلك لا يُصيبك خدش واحد. **عليك اللعنة!**»، وركلَه تيريون، وأشعرَته الرَّكلة بنشوةٍ بالغة حتى إنه كان ليفعل ما هو أكثر، غير أن السير ماندون مور سحبَه بعيدًا وچوفري يعوي ألَمًا، وبَعدها بلحظةٍ كان برون يجذبه إليه. مالت سرسي فوق ابنها، بينما كبحَ السير بالون سوان لانسل، أمَّا تيريون فتملَّص من قبضة برون، وصاحَ دون أن يُوَجِّه كلامه إلى أحدٍ بعينه ولكن لهم جميعًا: «كم تبقَّوا في الخارج؟».

صاحَت الليدي تاندا: «ابنتي، أرجوكم، يجب أن يعود أحد ليجد لوليس...».

وقال السير بوروس بلاونت: «السير پرستون لم يَعُد، ولا أرون سانتاجار».

أضافَ هوراس ردواين: «ولا المُرضِعة»، قاصدًا تايرك لانستر الذي ألصقَ به مُرافِقو الفُرسان الآخَرون اللَّقب السَّاخر.

جاسَ تيريون بناظريه في السَّاحة متسائلًا: «أين ابنة ستارك؟».

مرَّت وهلة دون أن يُجيب أحد، ثم قال چوفري: «كانت راكبةً إلى جواري. لا أدري أين ذهبَت».

ضغطَ تيريون صُدغيه بأصابع متبلِّدة الإحساس. إذا مَسَّ سانزا ستارك سوء، فچايمي ميِّت لا محالة. «سير ماندون، كنت أنت حارسها».

لم يبدُ أيُّ اضطرابٍ على السير ماندون مور وهو يردُّ: «عندما تجمهَروا على كلب الصَّيد، فكَّرتُ في الملك أولًا».

علَّقت سرسي: «ومعه حَق»، ثم قالت: «بوروس، مرين، عودا واعثُرا على الفتاة».

قالت الليدي تاندا منتحبةً: «وابنتي. أرجوكما أيها الفارسان...».

لم يبدُ السير بوروس مسرورًا بفكرة الخروج من أمان القلعة، وقال لسرسي: «جلالة الملكة، قد يُغضِب منظر المعاطف البيضاء الرَّعاع».

كان تيريون قد هضمَ كلَّ ما يقدر عليه، فانفجرَ صائحًا: «فليأخذ «الآخَرون» معاطفكم البيضاء اللَّعينة! اخلعا معطفيكما إذا كنتما خائفين من ارتدائهما أيها الأبله... لكن اعثُرا على سانزا ستارك، وإلَّا أقسمُ أن آمر شاجا بأن يقسم رأسك القبيح هذا إلى نِصفين، لأرى إن كان يحوي شيئًا غير الوحل الأسود!».

احتقنَ وجه السير بوروس حنقًا، وقال: «أنت تنعتني بالقُبح؟ أنت؟»، وبدأ يرفع سيفه الدَّامي الذي يُمسِكه بقبضته المكسوَّة بالحلقات المعدنيَّة، فدفعَ برون تيريون وراءه بفظاظة، أمَّا سرسي فقالت بحدَّة: «كفى! بوروس، ستفعل كما تؤمَر، وإلَّا سنجد أحدًا آخَر يرتدي هذا المعطف. إن قَسمك...».

قاطعَتها صيحة چوفري: «ها هي ذي!».

دخلَ ساندور كليجاين من البوَّابة مندفعًا بفَرس سانزا الكستنائيَّة، بينما ركبَت الفتاة وراءه مطوِّقةً صدره بذراعيها.

ناداها تيريون: «هل أصابكِ سوء يا ليدي سانزا؟».

قالت والدَّم يَقطُر على جبهتها من جرحٍ عميق في فروة رأسها: «كانوا... كانوا يقذفون أشياء... صخورًا وقاذورات وبيضًا... حاولتُ أن أقول لهم إن لا خُبز معي أعطيهم إياه. جذبَني رجل من فوق حصاني، وقتلَه كلب الصَّيد... أظنُّ... ذراعه...»، واتَّسعت عيناها ووضعَت يدها على فمها مكملةً: «لقد قطعَ ذراعه».

رفعَها كليجاين وأنزلَها. كان معطفه الأبيض مهلهلًا ملوَّثًا، وسالَ الدَّم من مزقٍ تحت كمِّه الأيسر، لكنه قال: «الطَّائر الصَّغير تنزف. فليأخذها أحد إلى قفصها ويُداوي هذا الجرح»، فتقدَّم المِايستر فرنكن يُلَبِّي، بينما واصلَ كلب الصَّيد: «لقد قتَلوا سانتاجار. أربعة رجالٍ ثبَّتوه على الأرض وتبادَلوا تهشيم رأسه بقالبِ حجري. بقرتُ بطن أحدهم، وإن لم ينفع هذا السير أرون كثيرًا».

دنَت منه الليدي تاندا قائلةً: «ابنتي...».

- «لم أرها»، وتطلَّع كلب الصَّيد عبر السَّاحة مقطِّبًا وجهه، وقال: «أين حصاني؟ إذا حدثَ شيء لهذا الحصان، فسيدفع أحدهم الثَّمن».

أجابَه تيريون: «كان يجري إلى جوارنا فترةً، لكن لا أدري ماذا حدثَ له بَعدها».

- «حريق!». جاءَت الصَّرخة من أعلى الحصن الأمامي، وصاحَ فيهم الجُندي: «أيها السَّادة، هناك دُخان في المدينة. «جُحر البراغيث» يحترق».

كان تيريون منهكًا لأقصى درجة، لكن لا وقت الآن لليأس، فقال: «برون، خُذ كلَّ من تحتاج من رجال، واحرص على ألَّا يتعرَّض أحد لعربات الماء». يا للآلهة، النَّار الشَّعواء، إذا طالَتها شرارة واحدة... «فلنفقد «جُحر البراغيث» كله، لكن إياك أن تَبلُغ النَّار مقرَّ رابطة الخيميائيِّين، مفهوم؟ كليجاين، ستذهب معه».

حسبَ تيريون لحظةً وجيزةً أنه لمحَ الخوف في عيني كلب الصَّيد الدَّاكنتين، فقال لنفسه منتبهًا: النَّار. فليأخذني «الآخَرون»، إنه يهاب النَّار بالطَّبع، فقد عرفَ مذاقها جيِّدًا. لكن الخوف لم يكد يلوح حتى غابَ، وحلَّت محلَّه نظرة كليجاين العابسة المألوفة وهو يقول: «سأذهبُ، وإن لم يكن بأمرك. يجب أن أعثر على حصاني».

التفتَ تيريون إلى فُرسان الحَرس الملكي الثَّلاثة المتبقِّين، وقال لهم: «سيَخرُج كلٌّ منكم مُرافقًا أحد الحُجَّاب. مُروا النَّاس بالعودة إلى بيوتهم. كلُّ من يوجَد في الشَّوارع بَعد آخِر رنَّةٍ من جرس المساء سيُقتَل».

قال السير مرين معترضًا: «مكاننا إلى جوار الملك».

انتصبَ ظَهر سرسي كالأفعى إذ قالت: «مكانكم حيثما أمرَكم أخي. اليد يتكلَّم بصوت الملك، والعصيان خيانة».

تبادلَ بوروس ومرين نظرةً، ثم سألَ الأول: «هل نرتدي معطفينا يا جلالة الملكة؟».

- «اذهبا عاريين إذا أردتما. قد يُذَكِّر هذا الغوغاء بأنكما رجلان، فلا بُدَّ أنهم نسوا بَعدما رأوا كيف تصرَّفتم في الشَّارع».

ابتعدَ تيريون تاركًا ثورة أخته تشتعل بينما يضرب الصُّداع رأسه بالمطارق، وخطرَ له أنه يشمُّ دُخانًا، وإن كانت غالبًا رائحة أعصابه المحترقة. كان اثنان من الغِربان الحجريَّة يَحرُسان باب بُرج الملك، فقال لهما: «اعثُرا على تيميت بن تيميت».

أجابَه أحد الهمجيَّين بتبجُّح: «الغِربان الحجريَّة لا يذهبون للبحث عن الرِّجال المحروقين».

كان تيريون قد نسيَ لحظةً مع من يتعامَل، فقال: «اعثُرا على شاجا إذن».

- «شاجا نائم».

قال ضاغطًا على حروفه وهو يستجمع طاقته كلها كي لا ينفجر صارخًا: «أيقِظه».

رَدَّ الرَّجل: «إيقاظ شاجا بن دولف ليس سهلًا، فغضبته مخيفة»، ثم انصرفَ متذمِّرًا.

وبَعد قليلٍ دخلَ عليه رجل القبائل يتثائب ويحكُّ جسده، فقال له تيريون: «نِصف المدينة في شغب والنِّصف الآخَر يحترق، وشاجا يغطُّ في النَّوم».

- «شاجا لا يحبُّ مياهكم الموحلة، وعليه أن يشرب مِزركم الضَّعيف ونبيذكم المُرَّ، ثم يُصيبه الصُّداع».

- «شِاي في إيوان بالقُرب من بوَّابة الحديد. أريدك أن تذهب إليها وتحميها مهما حدثَ».

ابتسمَ الرَّجل الضَّخم لتَبرُز أسنانه كشِقٍّ أصفر في لحيته الكثيفة المشعثة، وقال: «شاجا سيُحضِرها إلى هنا».

- «احرِص على ألَّا يقع لها أذى لا أكثر، وقُل لها إنني سأذهبُ إليها فور ما أستطيعُ، اللَّيلة ربما، أو غدًا بالتَّأكيد».

لكن مع حلول المساء كانت المدينة لا تزال تموج بالاضطراب، وإن عادَ برون وأبلغَه أن الحرائق أُخمِدَت، وأن أغلب الدَّهماء تفرَّقوا. بقَدر اشتياق تيريون إلى أحضان شِاي، فلا سبيل للذَّهاب إليها اللَّيلة.

جاءَه السير چاسلين بايووتر بفاتورة الجزَّار وهو يتناوَل عَشاءً من لحم الدِّيك البارد والخُبز الأسمر في غُرفته الشَّمسيَّة المعتمة. كان الغَسق قد استحالَ ظلامًا كاملًا، لكن عندما أتى خدمه يُشعِلون شمعه ونارًا في المستوقَد، هدرَ تيريون في وجوههم، فهرعوا من المكان مولِّين الأدبار. كان في مزاجٍ أسود كغُرفته، وما قاله بايووتر لم يُساعِد على تحسينه ذرَّةً.

السِّپتون الأعلى تصدَّر لائحة القتلى، وقد مُزِّقَ جسده تمزيقًا وهو يَصرُخ لآلهته طالبًا الرَّحمة. الجوعى لا ينظُرون بعين العطف لرجل دينٍ أسمن من أن يمشي.

السير پرستون لم يتعرَّفوا جثَّته في البداية، فذوو المعاطف الذَّهبيَّة كانوا يبحثون عن فارسٍ يرتدي دِرعًا بيضاء، وقد طُعِنَ الرَّجل وشُجَّ لحمه بوحشيَّةٍ أغرقَته بالأحمر والبنِّي من رأسه إلى قدميه.

السير أرون سانتاجار عُثِرَ عليه في زُقاق، برأسٍ تحوَّل إلى عجينٍ داخل خوذته المهشَّمة.

ابنة الليدي تاندا سلَّمت بكارتها لِنصفمئةٍ من الرِّجال الصَّارخين وراء محلِّ صباغة، ووجدَها ذوو المعاطف الذَّهبيَّة تهيم عاريةً في شارع الشَّحم.

تايرك لا يزال مفقودًا، مثله مِثل تاج السِّپتون الأعلى البلَّوري، بينما قُتِلَ تسعة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة وجُرِحَ أربعون، أمَّا الغوغاء فلم يُجَشِّم أحد نفسه عناء عَدِّ موتاهم.

قال تيريون باقتضابٍ عندما فرغَ بايووتر: «أريدُ العثور على تايرك حيًّا أو ميتًا. إنه صبيٌّ لا أكثر، ابن عمِّي الرَّاحل تايجت، ولطالما كان أبوه عطوفًا عليَّ».

- «سنَعثُر عليه، وعلى تاج السِّپتون أيضًا».

- «فلينكح «الآخَرون» بعضهم بعضًا بتاج السِّپتون، لا أبالي!».

- «حين عيَّنتني قائدًا لحَرس المدينة، قلت لي إنك تريد الحقيقة المطلقة دائمًا».

قال تيريون بكآبة: «لسببٍ ما يُراوِدني إحساس بأن ما ستقوله لن يروقني».

- «اليوم استطعنا الحفاظ على المدينة يا سيِّدي، لكني لا أعِدُ بشيءٍ يخصُّ الغَد. لصوص وقتَلة كثيرون للغاية طُلقاء، حتى إن لا بيت في أمان، والإسهال الدَّموي ينتشر في شارع المراحيض، ولا يوجد طعام يُمكن شراؤه بالنُّحاس أو الفضَّة. في السَّابق كنت تسمع همهماتٍ متفرِّقة في الأزقَّة، إنما الكلام عن الخيانة على الملأ الآن في المحال والأسواق».

- «هل تحتاج رجالًا أكثر؟».

- «لستُ أثقُ بنِصف من لديَّ من رجالِ الآن. سلينت ضاعفَ أعداد حَرس المدينة، لكن صُنع الحارس يتطلَّب أكثر من معطفٍ ذهبي. بين المجنَّدين الجُدد رجال صالحون مخلصون، لكن هناك أيضًا متوحِّشين وسكِّيرين وجُبناء وخونة أكثر مما تعلم. إنهم ناقصو التَّدريب وغير منظَّمين، وما لديهم من إخلاص فهو لبني جِلدتهم. أخشى أنهم لن يَصمُدوا إذا قامَت المعركة».

قال تيريون: «لم أتوقَّع قَطُّ أن يفعلوا. أعرفُ من البداية أننا ضائعون بمجرَّد أن تُخترَق الأسوار».

- «أغلب رجالي من العامَّة، يمشون في الشَّوارع نفسها، ويشربون في الحانات نفسها، ويأكلون أوعية البنِّي في محال الأكل نفسها. لا بُدَّ أن الخصيَّ قال لك إن كينجز لاندنج تُكِنُّ حبًّا قليلًا لآل لانستر، فكثيرون ما زالوا يَذكُرون كيف نهبَ السيِّد والدك المدينة حين فتحَ له إيرس البوَّابات، والنَّاس يتهامَسون أن الآلهة تُعاقِبنا على خطايا عائلتك، على قتل أخيك الملك إيرس، على مجزرة طفليِّ ريجار، على إعدام إدارد ستارك ووحشيَّة عدالة چوفري. البعض يقول علنًا إن الأوضاع كانت أفضل كثيرًا أيام روبرت، ويُلَمِّحون إلى تحسُّنها ثانيةً في وجود ستانيس على العرش. تسمع هذه الأشياء في محال الأكل والحانات والمواخير، وأخشى أنها تتردَّد في الثُّكنات وغُرف الحَرس كذلك».

- «يكرهون عائلتي. أهذا ما تقوله؟».
- «نعم، وسينقلبون عليها إذا سنحَت الفُرصة».
- «وعليَّ أيضًا؟».
- «سَل خصيَّك».
- «أسألك أنت».

التقَت عينا بايووتر الدَّاكنتان عينيَّ تيريون غير المتماثلتين، ولم تَطرُفا وهو يُجيب: «أنت بالذَّات يا سيِّدي؟».

قال شاعرًا بالإجحاف يوشك على أن يَخنُقه: «بالذَّات؟ چوفري هو من قال لهم أن يأكلوا موتاهم، چوفري هو من أطلقَ كلابه عليهم، فكيف يلومونني؟».

- «جلالته مجرَّد صبي. يُقال في الشَّوارع إنه محاط بمستشارين أشرار. الملكة لم تكن صديقةً للعامَّة قَطّ، وڤارس لم يُلَقَّب بالعنكبوت بدافع الحُب... لكنك أنت أكثر من يلومون، فأختك والخصيُّ كانا هنا عندما كانت الأوضاع أفضل تحت حُكم الملك روبرت، أمَّا أنت فلم تكن. يقولون إنك ملأت المدينة بالمرتزِقة السكِّيرين والمتوحِّشين الأقذار، المتنمِّرين الذين يستحوذون على ما يُرِيدون ولا يتبعون قوانينًا سوى قوانينهم. يقولون إنك نفيت چانوس سلينت لأنك وجدته صادقًا صريحًا أكثر من اللَّازم، وإنك ألقيت پايسل الحكيم المعطاف في زنزانةٍ عندما جرؤَ على رفع صوته ضدك، بل ويدَّعي البعض أنك تنوي الاستيلاء على العرش الحديدي لنفسك».

قال تيريون: «نعم، كما أني وحش مشوَّه بشع، لا تنسَ هذا»، وكوَّر قبضته قائلًا: «سمعتُ ما يكفي. كلانا لديه عمل. اذهب»، ولمَّا أصبحَ وحده فكَّر: لعلَّ أبي كان على حَقٍّ في ازدرائي كلَّ هذه السِّنين إذا كان هذا أفضل ما يُمكنني تحقيقه. رمقَ بقيَّة عَشائه وقد انقلبَت معدته من منظر الدِّيك البارد ودهونه، ثم دفعَه بعيدًا باشمئزاز وزعقَ مناديًا پود، وأرسلَ الصَّبي جريًا لاستدعاء ڤارس وبرون. أكثر من أتَّكلُ عليهم خصيٌّ ومرتزِق، وامرأتي عاهرة، فماذا يقول هذا عني؟

اشتكى برون من العتمة حين جاءَ، وأصرَّ على إشعال نارٍ في المستوقَد،

كانت قد تأجَّجت لدى وصول ڤارس، الذي بادرَه تيريون قائلًا: «أين كنت؟».

- «أقومُ بأعمال الملك يا سيِّدي العزيز».

غمغمَ تيريون: «نعم، الملك. ابن أختي لا يَصلُح للجلوس على مرحاض، ناهيك بالعرش الحديدي».

هَزَّ ڤارس كتفيه قائلًا: «على من يُريد أن يتعلَّم حرفةً ما أن يتمرَّن عليها».

قال برون: «نِصف المتدرِّبين في ورش زُقاق الدُّخان يستطيعون أن يَحكُموا أفضل من ملكك هذا»، وجلسَ إلى الجانب الآخَر من المائدة ومزَّق جناحًا من الدِّيك.

كان تيريون قد تعلَّم أن يتجاهَل صفاقة المرتزِق الدَّائمة، لكنه وجدَها مثيرةً للأعصاب اللَّيلة، فقال: «لا أذكرُ أني أعطيتك الإذن بإنهاء عَشائي».

قال برون بفمٍ مليء باللَّحم: «لم يبدُ أنك تأكله. المدينة تتضوَّر جوعًا، أي أن تبديد الطَّعام جريمة. ألديك نبيذ؟».

فكَّر تيريون بجهامة: لا ينقُص غير أن يَطلُب مني أن أصبَّ له، وقال محذِّرًا: «إنك تتمادى».

ألقى برون عظمة الجناح على البساط، وردَّ: «وأنت لا تتمادى كفايةً أبدًا. هل فكَّرت كم كانت الحياة لتُصبِح سهلةً لو أن الأخ الآخَر وُلِدَ أولًا؟»، ودَسَّ أصابعه في لحم الدِّيك ومزَّق قطعةً من الصَّدر مضيفًا: «الصَّغير الباكي، تومن. يبدو لي أنه كان ليُنفِّذ ما يُقال له كما ينبغي للملك الصَّالح».

زحفَت القشعريرة على عمود تيريون الفقري إذ أدركَ ما يرمي إليه المرتزِق. لو كان تومن الملك...

ليس هناك غير سبيلٍ واحد لأن يكون تومن ملكًا. لا، إنه لا يقدر على التَّفكير في هذا حتى. چوفري من دمه، وابن چايمي كما هو ابن سرسي.

قال لبرون: «يُمكنني أن أقطع رأسك لما قُلته»، لكن المرتزِق اكتفى بالضَّحك.

قال ڤارس: «الشِّجار لن ينفعنا أيها الصَّديقان. حريٌّ بنا الآن انتزاع القلب من براثن القنوط».

سألَ تيريون وهو يُفكِّر في الخيارات المغرية الكثيرة: «انتزاع قلب مَن؟».

داڤوس

امتنعَ السير كورتناي پنروز عن ارتداء دِرع وقد امتطى فَحلًا لونه كالنُّحاس الأحمر، بينما ركبَ حامل رايته حصانًا رماديًّا أرقط، ومِن فوقهما خفقَ وعل باراثيون المتوَّج، وريشتا پنروز البيضاوان المتقاطعتان على خلفيَّةٍ خمريَّة. للسير كورتناي لحية ذات شكل ورقة شجرٍ مدبَّبة وخمريَّة هي الأخرى، وإن نالَ الصَّلع من رأسه كله. إذا كان حجم مجموعة الملك وفخامتها قد أثَّرا في نفسه، فلم يَلُح هذا على وجهه الضَّاوي.

تقدَّموا بخيولهم مع الكثير من رنين السَّلاسل وخشخشة الدُّروع، وحتى داڤوس كان يرتدي الحلقات المعدنيَّة، وإن عجزَ عن معرفة الدَّاعي لمَّا أحسَّ بالألم الذي أحدثَه الثِّقل غير المعتاد في كتفيه وأسفل ظَهره، بخلاف أنه يحدُّ من حركته ويُشعِره بالحماقة، ويدفعه إلى التَّساؤل من جديدٍ عمَّا يفعله هنا. ليس لِي أن أراجع الملك في أوامره، ومع ذلك...

كلُّ رجلٍ في المجموعة أعلى نسبًا وأرقى مكانةً من داڤوس سيوورث، وتألَّق اللوردات الكبار في نور الشَّمس وقد أضاءَ الفولاذ المفضَّض والزَّخارف الذَّهبيَّة دروعهم وخوذاتهم ذات الرِّيشات عديدة الألوان، المزيَّنة بنقوشٍ منمَّقة لمخلوقاتٍ عيونها من الجواهر تُصَوِّر شعارات النَّبالة. أمَّا ستانيس نفسه فبدا في غير مكانه وسط هذه الرِّفقة الملكيَّة الرَّفيعة، فمِثل داڤوس، ارتدى الملك ثيابًا تقليديَّةً من الصُّوف والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وإن مدَّته حلقة الذَّهب الأحمر المستقرَّة حول صُدغيه بنوعٍ من المهابة، وتوهَّج نور الشَّمس على أطرافها المطرَّقة كألسنة اللَّهب كلما حَرَّك رأسه.

هذه أقصر مسافةٍ اقتربَها من جلالته طيلة الأيام الثَّمانية التي مرَّت منذ انضمام سفينته «بِثا السَّوداء» إلى بقيَّة الأسطول عند ستورمز إند. كان قد سعى للمثول أمام الملك خلال ساعةٍ من عودته، فقط ليقولوا له إنه مشغول، وعرفَ داڤوس من ابنه دڤان المُرافِق الملكي أن الملك مشغول في أغلب الأحيان، فالآن وقد تصدَّر ستانيس باراثيون السُّلطة، بدأ اللوردات يطنُّون حوله كالذُّباب حول الجُثث. هو نفسه يبدو أقرب إلى جثَّة، أكبر بأعوام مما كان حين تركتُ دراجونستون. قال دڤان إن الملك نادرًا ما ينام في الفترة الأخيرة، وأسرَّ لأبيه قائلًا: «منذ ماتَ اللورد رنلي والكوابيس الرَّهيبة تُداهِمه، وعقاقير المِايسترات لا تُؤتي معها نفعًا. فقط الليدي مليساندرا تستطيع تهدئته حتى ينام».

ألهذا تُشارِكه سُرادقه الآن؟ لتُصَلِّي معه؟ أم أن لديها وسيلة أخرى لتهدئته حتى ينام؟ كان سؤالًا غير لائق، ولا يقدر على توجيهه حتى لابنه نفسه، فمع أن دڤان صبيٌّ صالح، لكنه يضع رمز القلب النَّاري بفخرٍ على سُترته، ولقد رآه أبوه عند بؤر النَّار مع حلول الغَسق يتضرَّع لإله الضِّياء أن يأتي بالفَجر. إنه مُرافِق الملك، فمن المتوقَّع بالطَّبع أن يؤمن بإله الملك.

كان داڤوس قد نسيَ كيف تبدو أسوار ستورمز إند شاهقةً سميكةً من قُرب، وقد توقَّف الملك ستانيس تحتها على بُعد أقدام قليلة من السير كورتناي وحامل رايته، وقال بكياسةٍ يابسة دون أن يترجَّل: «أيها الفارس».

- «أيها اللورد». الإجابة الأقلُّ كياسةً، وإن كانت متوقَّعةً.

أعلنَ اللورد فلورنت: «جرى العُرف على أن يُخاطَب الملك بـ«جلالة الملك»». على واقي صدره أبرزَ ثعلب من الذَّهب الأحمر خَطمه اللَّامع عبر دائرةٍ من الزُّهور اللازورد، أمَّا سيِّد قلعة «المياه الوضَّاءة» نفسه فكان أول من يُعلِن انضمامه لستانيس من حمَلة راية رنلي، وأول من يتبرَّأ من آلهته القديمة ويعتنق ديانة إله الضِّياء. كان ستانيس قد تركَ ملكته في دراجونستون مع عمِّها آكسل، لكن رجال الملكة أكثر وأقوى الآن من أيِّ وقت سابق، وآلستر فلورنت أبرزهم.

تجاهَله السير كورتناي پنروز مفضِّلًا أن يُخاطِب ستانيس: «معك مجموعة من النُّخبة؛ اللوردات العظام إسترمونت وإرول وڤارنر، والسير چون ابن فرع

التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي، والسير برايان ابن فرع التُّفَّاحة الحمراء، واللورد كارون والسير جايارد من حَرس قوس قزح... واللورد الجبَّار آلستر فلورنت سيِّد «المياه الوضَّاءة». أهذا فارس البصل هناك في المؤخِّرة؟ أهلًا يا سير داڤوس. لكن أخشى أني لا أعرفُ السيِّدة».

أجابَت: «اسمي مليساندرا أيها الفارس، وأخدمُ مليكك وإله الضِّياء». هي الوحيدة التي لم تأتِ مدرَّعةً بشيءٍ غير ثوبها الأحمر الفضفاض، وعلى عُنقها تشرَّبت الياقوتة الكبيرة نور النَّهار.

قال السير كورتناي: «أتمنَّى لكِ الخير منهما يا سيِّدتي، لكني أركعُ لآلهةٍ أخرى وملكٍ آخَر».

رَدَّ اللورد فلورنت: «هناك ملك شرعي واحد، وإله حق واحد».

- «أنحن هنا لنتجادَل في الدِّين يا سيِّدي؟ لو كنتُ أعرفُ لجئت معي بسِپتون».

قال ستانيس: «تعلم جيِّدًا سبب وجودنا هنا. لقد نلتَ أسبوعين للتَّفكير في عرضي، وأرسلت غِدفانك لكن نجدةً لم تأتِ، ولن تأتي. ستورمز إند تقف وحدها، وأنا نفدَ صبري. للمرَّة الأخيرة أيها الفارس، آمرك بأن تفتح بوَّاباتك وتُسَلِّمني حقِّي الشَّرعي».

سألَه السير كورتناي: «والشُّروط؟».

- «تظلُّ كما هي. سأعفو عمَّا ارتكبته من خيانةٍ كما عفوتُ عن هؤلاء اللوردات الذين تراهم ورائي، وسيكون رجال حاميتك أحرارًا في الالتحاق بخدمتي أو العودة إلى بيوتهم دون أن يعترضهم أحد، وتستطيعون الاحتفاظ بأسلحتكم وأيِّ ممتلكاتٍ يُمكنكم حملها، لكني سآخذُ خيولكم وحيوانات الجَر».

- «وماذا عن إدريك ستورم؟».

- «يجب تسليم نغل أخي لي».

- «إذن فما زالت إجابتي لا يا سيِّدي».

ضغطَ الملك فَكَّيه ولم يقل شيئًا، بينما تكلَّمت مليساندرا قائلةً: «عسى أن يحميك إله الضِّياء في ظلامك أيها السير كورتناي».

رَدَّ پنروز بحدَّة: «عسى أن ينكح «الآخَرون» إله ضيائكِ ثم يمسحوا دُبره بهذه الخرقة التي تحملينها!».

تنحنحَ اللورد آلستر فلورنت، وقال: «صُن لسانك يا سير كورتناي. جلالته لا يُضمِر للصَّبي أذًى. إنه من دمه، ومن دمي كذلك. ديلينا ابنة أخي كانت الأمَّ كما يعلم الجميع. إذا كنت تَرفُض أن تثق بالملك، فثِق بي أنا. إنك تعرف أني رجل شريف...».

قاطعَه السير كورتناي: «أعرفُ أنك رجل طَموح، رجل يُبَدِّل ملكه وآلهته كما أبدِّلُ حذائي، تمامًا مِثل هؤلاء المارقين الذين أراهم أمامي».

ارتفعَت الهمهمات الغاضبة من بين رجال الملك، بينما فكَّر داڤوس: ليس مخطئًا تمامًا. قبل فترةٍ قصيرةٍ جدًّا كان كلٌّ من ابني فوسواي وجايارد موريجن واللوردات كارون وڤارنر وإرول وإسترمونت ينتمي لرنلي، يجلسون معه في سُرادقه ويُساعِدونه على رسم خُطط المعركة ويدرسون سُبل الإطاحة بستانيس... واللورد فلورنت كان معهم. قد يكون عمَّ الملكة سيليس، لكن هذا لم يمنع سيِّد «المياه الوضَّاءة» من الرُّكوع لرنلي حين كان نجمه في صعود.

تقدَّم برايس كارون بحصانه بضع خطوات، ومعطف قوس قزح الطَّويل يُرَفرِف على ظَهره في رياح الخليج، وقال: «لا أحد هنا مارق أيها الفارس. إن ولائي لستورمز إند، والملك ستانيس سيِّدها الشَّرعي... وملكنا الشَّرعي. إنه آخِر أولاد عائلة باراثيون، ووريث روبرت ورنلي».

- «إذا كان هذا صحيحًا، فلِمَ لا أرى فارس الزُّهور بينكم؟ وأين ماثيس روان؟ وراندل تارلي؟ والليدي أوكهارت؟ هؤلاء أكثر من أحبُّوا رنلي، فلماذا ليسوا معكم؟ أين بريان التارثيَّة؟».

أطلقَ السير جايارد موريجن ضحكةً خشنةً، وقال: «هي؟ لقد فرَّت كما انبغى لها أن تفعل، فيدها هي اليد التي قتلَت الملك».

قال السير كورتناي: «كذب. إنني أعرفُ برِيان منذ كانت طفلةً تلعب عند قدمي أبيها في بهو المساء، وعرفتها أفضل بَعدما أرسلَها سلوين نجم المساء إلى هنا. الأعمى كان يرى أنها أحبَّت رنلي باراثيون منذ رأته أول مرَّة».

قال اللورد فلورنت بكياسة: «بالتَّأكيد، لكنها ليست أول فتاةٍ يُجَنُّ جنونها فتَقتُل الرَّجل الذي نبذَها، وإن كنتُ أعتقدُ من ناحيتي أن الليدي ستارك هي من قتلَت الملك. لقد جاءَت من ريفررَن تلتمس تحالُفًا من رنلي، فرفضَ. لا شَكَّ أنها عدَّته تهديدًا لابنها وأزاحَته».

بإصرارٍ قال اللورد كارون: «إنها بريان. السير إمون كاي أقسمَ على هذا قبل أن يموت، وأنا أقسمُ لك يا سير كورتناي».

رَدَّ السير كورتناي بلهجةٍ تَقطُر احتقارًا: «وما قيمة ذلك؟ أراك ترتدي معطفك الملوَّن، المعطف الذي أعطاك رنلي إياه حين أقسمت أن تحميه. إذا كان ميتًا، فلماذا أنت حي؟»، والتفتَ باحتقاره إلى جايارد مورجين قائلًا: «السُّؤال نفسه لك أيها الفارس. أنت جايارد الأخضر، أليس كذلك؟ فارس حَرسِ قوسِ قزح؟ الذي أقسمَ على الدِّفاع عن حياة مليكه بحياته؟ لو كنتُ أملكُ معطفًا كهذا، لخجلتُ من ارتدائه».

صاحَ موريجن مغضبًا: «من حُسن طالعك أن هذه مفاوَضة يا پنروز، وإلَّا لقطعتُ لسانك لما قُلته».

- «لتُلقيه في النَّار نفسها التي تركت فيها رجولتك؟».

- «كفى!»، قال ستانيس. «إله الضِّياء شاءَ أن يموت أخي لخيانته، ولا يهمُّ مَن فعلَها».

قال السير كورتناي: «لا يهمُّك أنت ربما. لقد سمعتُ عرضك أيها اللورد ستانيس، والآن إليك بعرضي»، وخلعَ قُفَّازه وألقاه في وجه الملك مواصلًا: «نزال فردي، بالسَّيف أو الرُّمح أو أيِّ سلاحٍ تُفَضِّله. وإذا كنت تخشى أن تُخاطِر بسيفك السِّحري ولحمك الملكي ضدَّ رجلٍ عجوز، فاختر لك نصيرًا وسأفعلُ المِثل»، ورمقَ جايارد موريجن وبرايس كارون باستهزاءٍ مضيفًا: «أظنُّ أن أيًّا من هذين الجروين يَصلُح».

اربدَّ وجه السير جايارد موريجن من فرط الغيظ، وقال: «سأحملُ هذا الشَّرف إذا سمحَ الملك».

ونظرَ برايس كارون إلى ستانيس قائلًا: «وأنا أيضًا».

صَرَّت أسنان الملك وهو يقول: «لا».

لم تبدُ الدَّهشة على السير كورتناي، وقال: «أتشكُّ في عدالة قضيَّتك أم قوَّة ذراعك يا سيِّدي؟ أتخشى أن أبول على سيفك المشتعل وأطفِئه؟».

قال ستانيس: «أتحسبني أحمق؟ إن معي عشرين ألف رجل، وأنت محاصَر من البَرِّ والبحر، فلِمَ أختارُ النِّزال الفردي بينما نصري مضمون في النِّهاية؟»، وأشارَ إليه بإصبعه متابعًا: «أحذِّرك تحذيرًا عادلًا، إذا أجبرتَني على أخذ قلعتي بالقوَّة، فلا تتوقَّع أن تأخذني بك رحمة. سأشنقكم جميعًا كخونة، كلكم بلا استثناء».

قال السير كورتناي: «هي مشيئة الآلهة إذن. فلتزأر عاصفتك يا سيِّدي، لكن تذكَّر كم صدَّت هذه القلعة من عواصف»، وشَدَّ عِنان جواده وتراجعَ نحو البوَّابة.

لم يُعَلِّق ستانيس، ودارَ بحصانه عائدًا إلى معسكره والآخَرون وراءه. قال اللورد إسترمونت الرَّجل الهَرِم -وجَدُّ الملك من جانب الأم- بعصبيَّة: «سيموت الآلاف إذا هاجَمنا هذه الأسوار. أليس من الأفضل المخاطَرة بحياة رجلٍ واحد؟ إن قضيَّتنا شريفة وعادلة، فلا بُدَّ أن الآلهة ستُبارِك ذراعيَّ نصيرنا بالفوز».

فكَّر داڤوس: الإله وليس الآلهة أيها العجوز. نسيت أن لنا واحدًا فقط الآن، إله مليساندرا الأحمر.

قال السير چون فوسواي: «يُسعِدني أن أخوض المواجَهة بنفسي، وإن لم أكن بنِصف براعة اللورد كارون أو السير جايارد. رنلي لم يَترُك فُرسانًا بارزين في ستورمز إند، فواجب الحامية يقع على عاتق المسنِّين والصِّبية الخُضر».

أيَّده اللورد كارون: «سيكون نصرًا سهلًا بالتَّأكيد، ويا له من مجدٍ أن تَسقُط ستورمز إند بضربةٍ واحدة!».

جالَ الملك بينهم بناظريه عابسًا، وقال: «إنكم تُثَرثِرون كالببغاوات، وبعقلٍ أقل منها. اصمُتوا جميعًا»، ثم وجَّه كلامه لداڤوس: «اركب معي أيها الفَارس»، وهمزَ حصانه مبتعدًا عن أتباعه، لا يُلازِمه غير مليساندرا التي تحمل الرَّاية الضَّخمة ذات القلب النَّاري المنغلق حول الوعل المتوَّج. كأنه ابتلعَه بالكامل.

لمحَ داڤوس النَّظرات التي تبادَلها اللوردات وهو يمرُّ بهم لينضمَّ إلى الملك. هؤلاء ليسوا فُرسان بصل، بل رجال أبيُّون من عائلاتٍ جذورها ضاربة في أعماقِ الحسب والنَّسب، وبشكلٍ ما يعرف داڤوس أن رنلي لم يَزجُرهم هكذا قَطُّ، فالأخ باراثيون الأصغر كان كيِّسًا دمثًا بالسَّليقة، المَزِيَّة التي يفتقر لها أخوه للأسف.

أبطأَ حركة حصانه حين صارَ يُحاذي ستانيس، وقال: «جلالة الملك». مِن هذا القُرب يبدو ستانيس أسوأ مما حسبَ داڤوس من بُعد، وجهه مهزول مُضنًى، وتحت عينيه هالات سوداء.

قال الملك: «لا بُدَّ أن تكون أحكام المهرِّب على النَّاس عادلةً، فما قولك في السير كورتناي پنروز هذا؟».

أجابَ داڤوس بحذر: «رجل عنيد».

- «أراه توَّاقًا للموت. يُلقي عفوي في وجهي، نعم، ويُلقي بنفسه إلى الهلاك كذلك، وبأنفُس كلِّ الرِّجال وراء هذه الأسوار. نزال فردي؟»، وأطلقَ الملك نخيرًا ساخرًا، وأضافَ: «لا ريب أنه حسبَني روبرت».

- «الأرجح أنه يائس، فهل من أملٍ آخَر لديه؟».

- «البتَّة. القلعة ستَسقُط، لكن كيف نفعلها بسرعة؟»، وأطرقَ ستانيس مفكِّرًا لحظات، ومن تحت طقطقة الحوافر المنتظمة، سمعَ داڤوس أسنانه تصرُّ، ثم إنه قال: «اللورد آلستر يستحثُّني على المجيء باللورد پنروز الكبير إلى هنا، يقصد أبا السير كورتناي. أعتقدُ أنك تعرفه».

قال داڤوس: «عندما ذهبتُ إليه بصفتي مندوبك، استقبلَني اللورد پنروز بحفاوةٍ أكثر من غيره. إنه على أعتاب القبر يا مولاي، مريض وخائر القُوى».

- «فلورنت يُريد أن تخور قُواه أكثر، على مرأى من ابنه وحبل المشنقة محيط بعُنقه».

من الخطر أن يُعارِض رجال الملكة، لكن داڤوس أقسمَ أن يُخبِر الملك بالحقيقة دومًا، وهكذا قال: «أظنُّها فكرةً سيِّئةً يا مولاي. سيُفَضِّل السير كورتناي أن يرى أباه يموت على أن يخون ثقته. لن ينفعنا هذا بشيء، وسيُلَوِّث قضيَّتنا بالعار».

قال ستانيس محتدًّا: «أيُّ عارٍ هذا؟ أتُريدني أن أُبقي على حياة الخونة؟».
- «لقد أبقيت على حياة هؤلاء الرَّاكبين وراءنا».
- «وهل تُؤَنِّبني على هذا أيها المهرِّب؟».
رَدَّ داڤوس شاعرًا بالخشية من أنه باحَ بأكثر من اللَّازم: «ليس لي أن أفعل».
قال الملك بقسوة: «إنك تُقَدِّر پنروز هذا أكثر من اللوردات حمَلة رايتي، فلِمَ؟».
- «لأنه يظلُّ مخلصًا».
- «إخلاص في غير محلِّه لغاصِبٍ ميت».
- «نعم، لكنه يُحافِظ على إخلاصه».
- «على عكس هؤلاء الرِّجال وراءنا؟».
كان داڤوس قد تمادى مع ستانيس لدرجةٍ تمنعه من أن يستحي الآن، فأجابَ: «العام الماضي كانوا رجال روبرت، وقبل قمرٍ واحد كانوا رجال رنلي، وهذا الصَّباح رجالك، فرجال من سيكونون غدًا؟».
وضحكَ ستانيس، ضحكته مفاجئة خشنة وملأى بالتهكُّم، وقال للمرأة الحمراء: «قلتُ لكِ يا مليساندرا إن فارسي البصلي يَصدُقني القول».
قالت المرأة الحمراء: «أرى أنك تعرفه جيِّدًا يا جلالة الملك».
قال الملك: «افتقدتك بشدَّة يا داڤوس. نعم، ورائي ذيل من الخونة، وحاسَّتك لا تخدعك. اللوردات حمَلة رايتي ليسوا متَّسقين حتى في الخيانة. إنني أحتاجهم، لكن يجب أن تُدرِك الاشمئزاز الذي أشعرُ به من العفو عن هؤلاء بينما عاقبتُ رجالًا أفضل على جرائم أهون. لديك كلُّ الحَق في ملامتي يا سير داڤوس».
- «إنك تلوم نفسك أكثر مني بكثير يا جلالة الملك. يجب أن تحظى بهؤلاء اللوردات الكبار كي تفوز بعرشك...».
ابتسمَ ستانيس بكآبةٍ قائلًا: «بأصابعهم كاملةً على ما يبدو».
بلا تفكيرٍ رفعَ داڤوس جَدَعة يده إلى الجراب المتدلِّي من عُنقه، وتحسَّس عظام الأصابع في داخله مفكِّرًا: للحَظ.
لمحَ الملك الحركة، فقال: «ألا تزال معك يا فارس البصل؟ ألم تفقدها؟».

- «ما زالت معي».
- «لماذا تحتفظ بها؟ كثيرًا ما تساءلتُ عن هذا».
- «لتُذَكِّرني بما كنته ومن أين أتيتُ، لتُذَكِّرني بعدالتك يا مولاي».

قال ستانيس: «وكانت عدالةً حقًّا. خير الصَّنيع لا يمحو سيِّئه، وسيِّئه لا يمحو خيره، ولكلٍّ جزاؤه، وأنت كنت بطلًا ومهرِّبًا في آنٍ واحد»، وألقى نظرةً وراءه نحو اللورد فلورنت وفارسي قوس قزَح وغيرهم من المارقين الذين يتبعونهم من بُعد، وتابعَ: «خيرٌ لهؤلاء اللوردات المعفي عنهم أن يتأمَّلوا في هذا. الرِّجال الصَّالحون الأوفياء سيُقاتِلون من أجل چوفري لاعتقادهم الخاطئ أنه الملك الشَّرعي، بل وقد يقول أحد أهل الشَّمال الشَّيء نفسه عن روب ستارك، لكن هؤلاء اللوردات الذين ساقوا أنفسهم إلى صَفِّ أخي كانوا يعلمون أنه غاصِب، وأداروا ظهورهم لملكهم الشَّرعي لا لسببٍ أفضل من أحلام السَّطوة والمجد، ولقد وسَمتهم عندي بحقيقتهم. عفوتُ عنهم، نعم، لكنه غُفرانٌ لا نسيان»، ولاذَ بالصَّمت بعض الوقت مفكرًا في خُططه لتطبيق العدالة، ثم قال فجأةً: «ماذا يقول العامَّة عن موت رنلي؟».

- «إنهم ينعونه. أخوك كان محبوبًا».

دمدمَ ستانيس: «الحمقى يُحِبُّون الحمقى... لكني أنعاه أيضًا، أنعى الصَّبي الذي كانه لا الرَّجل الذي أصبحَه»، وصمتَ بعض الوقت ثم سألَ: «كيف تلقَّى العامَّة نبأ زنى سرسي؟».

- «كانوا يهتفون للملك ستانيس ونحن بينهم، لكني لا أدري ما قالوه بمجرَّد أن أبحَرنا».
- «ألا تحسبهم صدَّقوا إذن؟».
- «تعلَّمتُ أيام التَّهريب أن بعض النَّاس يُصَدِّق كلَّ شيءٍ وبعضهم لا يُصَدِّق شيئًا، وقد التقينا كلا النَّوعين، كما أن هناك حكاية أخرى منتشرة...».

قاطَعه ستانيس بحدَّة: «نعم. سيليس ركَّبت لي قرنين وثبَّتت فيهما أجراس المهرِّج الأبله الذي أنجبَ ابنتي! حكاية يتساوى فيها الانحطاط مع السُّخف. رنلي ألقاها في وجهي عندما التقينا للتَّفاوُض. لا بُدَّ أن من يُصَدِّق شيئًا كهذا مخبول مِثل ذي الوجه المرقَّع».

- «صحيح يا مولاي... لكن صدَّقوا القصَّة أم كذَّبوها، فإنهم يتلذَّذون بترديدها». في أماكن كثيرة اعترضَتهم الشَّائعة ولوَّثت بئر حكايتهم الحقيقيَّة.

- «يبول روبرت في الكوب فيقولون إنه خمر، ولمَّا أقدِّمُ لهم أنا ماءً زُلالًا يُقَطِّبون بريبةٍ ويُتَمتِمون فيما بينهم عن مذاقه الغريب»، وكبسَ ستانيس أسنانه معًا متابعًا: «لو قال أحدهم إنني سحرتُ نفسي وقتلتُ روبرت في هيئة خنزيرٍ برِّي، فسيُصَدِّقون هذا أيضًا».

قال داڤوس: «لا يُمكنك منعهم من الكلام يا مولاي، لكن حين تقتصُّ من قتَلة أخويك الحقيقيِّين، فستعرف البلاد كلها أن تلك الحكايات ما هي إلَّا أكاذيب».

بدا ستانيس شاردًا وهو يقول: «لا شَكَّ لديَّ في أن لسرسي يد في موت روبرت، وسأقتصُّ له، نعم، ولند ستارك وچون آرن أيضًا».

خرجَ السُّؤال من داڤوس قبل أن يتوقَّف ليُفَكِّر فيه: «ولرنلي؟».

فترة طويلة لاذَها الملك بالصَّمت التَّام، ثم إنه بهدوءٍ شديدٍ قال: «أحيانًا أحلمُ بموت رنلي. أرى خيمةً خضراء وشموعًا وامرأةً تَصرُخ، والدَّم»، ورمقَ كَفَّيه، وأردفَ: «كنتُ لا أزالُ في الفِراش حين ماتَ. سيقول لك ابنك دڤان إنه حاولَ إيقاظي. كان الفَجر دانيًا واللوردات ينتظرون متململين، وكان من المفترَض أن أكون مدرَّعًا راكبًا حصاني بالفعل، لأني كنتُ أعرفُ أن رنلي سيُهاجِم مع أول خيوط الصُّبح. قال دڤان إنني تلوَّيتُ وصرختُ، لكن فيمَ يهمُّ هذا؟ إنه مجرَّد حُلمٍ. كنتُ في خيمتي حين ماتَ رنلي، وعندما استيقظتُ كانت يداي نظيفتين».

شعرَ السير داڤوس سيوورث بحكَّةٍ في أطراف أصابعه الشَّبحيَّة، وقال المهرِّب السَّابق لنفسه: شيء ما خطأ، لكنه أومأَ برأسه مغمغمًا: «مفهوم».

- «رنلي عرضَ عليَّ خوخةً خلال المفاوَضة... سخرَ مني وتحدَّاني وهدَّدني، وعرضَ عليَّ خوخةً. حسبته يستلُّ سيفًا، فمددتُ يدي إلى سيفي. ماذا كان غرضه؟ أن أبدي الخوف؟ أم أنها إحدى دُعاباته العقيمة؟ عندما تكلَّم عن حلاوة الخوخة، أكان لكلماته مغزى خفيٌّ ما؟»، وهَزَّ الملك رأسه بعُنف كلبٍ يهزُّ أرنبًا ليكسر رقبته، وقال: «فقط رنلي القادر على تكديري

هكذا بثمرة فاكهة. لقد حكمَ على نفسه بالتَّهلكة لخيانته، لكنِي أحببته يا داڤوس، أعلمُ هذا الآن. أقسمُ أني سأذهبُ إلى قبري وأنا أفكِّرُ في خوخة أخي».

في هذا الحين كانوا قد توغَّلوا في المعسكر، مارِّين بصفوف الخيام المنظَّمة والرَّايات الخفَّاقة وأكوام التُّروس والرِّماح، وأفعمَت رائحة روث الخيول الهواء، ممتزجةً بدُخان الحطب وشواء اللَّحم. توقَّف ستانيس وزعقَ في اللورد فلورنت والآخَرين صارفًا إياهم بفظاظة، وأمرَهم بالعودة إلى سُرادقه بَعد ساعةٍ لعقد مجلس الحرب، فحنوا رؤوسهم وتفرَّقوا، بينما اتَّجه داڤوس ومليساندرا إلى سُرادق الملك.

كان من الضَّروري أن يكون السُّرادق كبيرًا يتَّسع لحمَلة رايته عندما يأتون إلى المجلس، وإن لم يُمَيِّزه أدنى طابعٍ من الفخامة، مجرَّد خيمة جنودٍ من قُماش القُنَّب الثَّقيل، مصبوغة بالأصفَر الدَّاكن الذي يُمكن اعتباره ذهبيًّا أحيانًا، ولا شيء غير الرَّاية الملكيَّة المرفرِفة على السَّارية الوُسطى أعلاه يُبيِّن أنها خيمة ملك، هي والحَرس الواقفين في الخارج، رجال الملكة برماحهم الطَّويلة وشارة القلب النَّاري فوق قلوبهم.

جاءَ السَّائسون لمساعَدتهم على التَّرجُّل، وخلَّص أحد الحُرَّاس مليساندرا من ثِقل رايتها، وغرسَ السَّارية بعُمقٍ في التُّربة النَّاعمة. وقفَ دڤان على أحد جانبيِّ الباب، ينتظر أن يرفع السَّديلةَ للملك، ووقفَ مُرافِق آخَر أكبر سِنًّا إلى جواره. خلعَ ستانيس تاجه وناولَه لدڤان، وقال: «ماء بارد وكوبان. داڤوس، انتظر معي. سيِّدتي، سأرسلُ في استدعائكِ حين أحتاجكِ».

قالت مليساندرا: «كما يأمر الملك»، وانحنَت منصرفةً.

كان داخل السُّرادق فاتر الحرارة معتمًا بَعد سطوع الصَّباح. جلسَ ستانيس على كرسي معسكرات خشبي تقليدي، وأشارَ لداڤوس بالجلوس على آخَرٍ قائلًا: «قد أجعلك لوردًا ذات يوم أيها المهرِّب، ولو بغية تكدير سلتيجار وفلورنت لا أكثر، لكنك لن تَشكُرنيَ، لأن معنى هذا أن تتحمَّل تلك الاجتماعات وتتظاهَر بالاهتمام بنهيق البغال».

- «لماذا تَعقِدها إذن ما دامَت بلا طائل؟».

- «لِمَ في رأيك؟ لأن البغال تُحِبُّ سماع نهيقها، كما أني أحتاجها لجَرِّ عربتي. أوه، بالتَّأكيد سيتفتَّق ذهن أحدها عن فكرةٍ صائبة كلَّ حينٍ من الدَّهر، لكن ليس اليوم على ما أظنُّ... آه، ها قد أتى ابنك بالماء».

وضعَ دڤان الصَّحفة على المائدة وملأ قدحين من الفخَّار، ورَشَّ الملك قليلًا من الملح في قدحه قبل أن يشرب، أمَّا داڤوس فاحتسى ماءه بلا ملحٍ وهو يتمنَّى لو كان نبيذًا، وقال: «كنت تتكلَّم عن المجلس».

- «دَعني أُخبرك بما سيجري. اللورد ڤيلاريون سيستحثُّني على مهاجَمة أسوار القلعة في الصَّباح الباكر، خطاطيف وسلالم ضد السِّهام والزَّيت المغلي، وستقول البغال الصَّغيرة إنها فكرة رائعة. إسترمونت سيُحَبِّذ أن نُجَوِّعهم حتى يستسلموا، كما حاولَ تايرل وردواين معي من قبل. قد يستغرق هذا عامًا كاملًا، لكن البغال العجوز صبور. واللورد كارون وغيره من البغال التي تُحِبُّ الرَّكل سيُريد أن يقبل تحدِّي السير كورتناي ويُراهِن على كلِّ شيءٍ بنزالٍ فردي، وكلٌّ منهم يتخيَّل أنه سيكون نصيري ويربح صيتًا لا يموت»، وأنهى الملك ماءه، وأردفَ: «ماذا تنصحني أنت بأن أفعل أيها المهرِّب؟».

تأمَّل داڤوس لحظةً قبل أن يُجيب: «ازحف إلى كينجز لاندنج في الحال».

قال الملك ساخرًا: «وأتركُ ستورمز إند دون أن تَسقُط؟».

- «السير كورتناي لا يملك قُدرةً على إيذائك، أمَّا آل لانستر فيقدرون. الحصار سيستغرق وقتًا طويلًا، والاعتماد على النِّزال الفردي غير مضمون النَّتيجة، والهجوم سيُكَلِّفنا آلاف الأرواح بلا ثقةٍ في النَّجاح. كما أن لا داعي لإسقاط القلعة، فستكون لك من تلقاء ذاتها مع الأخريات كلهن فور أن تُطيح بجوفري. يُقال في أنحاء المعسكر إن اللورد تايوين لانستر يهرع غَربًا لإنقاذ لانسپورت من انتقام الشَّماليِّين...».

قال ستانيس للصَّبي الواقف عند مِرفقه: «لديك أب ذكي يا دڤان، يجعلني أتمنَّى لو أن لديَّ المزيد من المهرِّبين في خدمتي، ولوردات أقل. لكنك مخطئ في أمرٍ واحد يا داڤوس، لأن هناك داعٍ. إذا تركتُ ستورمز إند ورائي دون أن تَسقُطَ، سيُقال إنني هُزِمتُ هنا، ولا يُمكنني أن أسمح بذلك. النَّاس لا يُحِبُّوني كما أحبُّوا أخي، ويتبعوني لأنهم يخافوني... والهزيمة موت

الخوف. لا بديل عن سقوط القلعة»، وتحرَّكَ فَكَّاه من جانبٍ إلى جانبٍ كأنه يطحن بهما وهو يُكمِل: «نعم، وبسرعة. دوران مارتل استدعى راياته وحصَّن الممرَّات الجبليَّة، ورجاله الدورنيُّون جاهزون لاكتساح التُّخوم، بينما تظلُّ هايجاردن محتفظةً بقوَّتها، بما أن أخي تركَ الجزء الأعظم من قوَّته في «جسر العلقم»، نحو ستِّين ألفٍ من المُشاة. أرسلتُ أخا زوجتي السير إرول مع السير پارمن كرين لأخذهم تحت قيادتي، لكنهما لم يرجعا، وأخشى أن السير لوراس تايرل بلغَ «جسر العلقم» قبلهما وأخذَ هذا الجيش لنفسه».

- «وهذا سبب أدعى للاستيلاء على كينجز لاندنج في أسرع وقتٍ ممكن. سالادور سان قال لي...».

انفجرَ ستانيس صائحًا: «سالادور سان لا يُفَكِّر في غير الذَّهب! رأسه مليء بأحلام الكنوز التي يتوهَّم أنها تقبع تحت القلعة الحمراء، فدَعنا لا نقول شيئًا عن سالادور سان. يوم أحتاجُ نصائح حربيَّةً من قرصانٍ لايسيني هو اليوم الذي أخلعُ فيه تاجي وألتحقُ بحَرس اللَّيل»، وكوَّر الملك قبضته وسألَه: «أأنت هنا لتخدمني أيها المهرِّب، أم لتُزعِجني بالجدل؟».

قال داڤوس: «أنا رهن إشارتك».

- «اسمعني إذن. نائب السير كورتناي ابن عمومةٍ لعائلة فوسواي. اسمه اللورد ميدوز، صبيٌّ أخضر في العشرين من العُمر. إذا أصابَ سوء ما پنروز، ستنتقل قيادة ستورمز إند لهذا الفتى، وأبناء عمومته يُؤَكِّدون أنه سيقبل شروطي ويُسَلِّم القلعة».

- «أذكرُ فتًى آخَر وُلِّيَ قيادة ستورمز إند، ولم يكن أكبر من العشرين بكثير».

- «اللورد ميدوز لا يملك عنادي الحجري».

- «عنيد أو جبان، ما الفارق؟ السير كورتناي پنروز بدا لي في أتمِّ صحَّة».

- «وكذا بدا أخي قبل موته بيوم. اللَّيل حالكٌ ومفعم بالأهوال يا داڤوس».

أحسَّ داڤوس سيوورث بالشُّعيرات الصَّغيرة تنتصب على مؤخِّرة عُنقه، وقال: «لستُ أفهمك يا سيِّدي».

- «لا أطلبُ فهمك، بل خدمتك. السير كورتناي سيموت قبل ختام اليوم.

مليساندرا رأت موته وطريقته في لهب المستقبَل، ولا حاجة لأن أقول إنه لن يموت في نزالٍ بين فارسين»، ورفعَ ستانيس قدحه ليملأه دڤان من الإبريق، وتابعَ: «لهبها لا يكذب. لقد رأت موت رنلي أيضًا، رأته في دراجونستون وأخبرَت سيليس. اللورد ڤيلاريون وصديقك سالادور سان أرادا أن أُبحر ضد چوفري، لكن مليساندرا قالت لي إنني سأظفرُ بالجزء الأفضل من قوَّة أخي إذا ذهبتُ إلى ستورمز إند، وكانت محقَّةً».

قال داڤوس بتلعثُم: «لـ-لكن... اللورد رنلي جاءَ إلى هنا لأنك حاصرت قلعته، وقبلها كان يزحف إلى كينجز لاندنج ضد آل لانستر، وكان لـ...».

اعتدلَ ستانيس في جلسته، وقطَّب وجهه قائلًا: «كان، كان لـ... ما هذا؟ لقد فعلَ ما فعلَه، وجاءَ إلى هنا بجنوده وخوخه حيث لقيَ حتفه... وأفادَني أنه فعلَ هذا. مليساندرا رأت يومًا آخَر في لهبها كذلك، صباحًا تحرَّك فيه رنلي من الجَنوب في دِرعه الخضراء ليُحَطِّم جيشي تحت أسوار كينجز لاندنج. لو التقيتُ أخي هناك، فلربما مِتُّ أنا بدلًا منه».

قال داڤوس معترضًا: «أو لربما ضممت قوَّتك إلى قوَّته وأسقطتما آل لانستر، فلِمَ ليس ذلك؟ إذا رأت مستقبليْن، فلا يُمكن أن يكون كلاهما حقيقيًّا».

أشارَ الملك ستانيس بإصبعه قائلًا: «مخطئ أنت في هذا يا فارس البصل. بعضِ الأضواء يُلقي أكثر من ظِل. قِف أمام بؤرة نارٍ ليلًا وسترى بنفسك أن اللَّهب يتبدَّل ويتراقَص ولا يَثبُت أبدًا، والظِّلال تطول وتَقصُر، وكلُّ شخص يُلقي دستةً منها، بعضها أكثر خفوتًا من غيره لا أكثر. حسنٌ، البَشر يُلقونَ ظلالهم على المستقبَل أيضًا، وسواء أكان ظِلًّا واحدًا أو أكثر، فمليساندرا تراها كلها. أعرفُ أنك لا تُحِبُّ هذه المرأة يا داڤوس، فلستُ أعمى. إسترمونت يرى أن القلب النَّاري اختيار رديء، ويتوسَّل أن نُحارِب تحت الوعل المتوَّج القديم، والسير جايارد يقول إنه لا يَجدُر بامرأةٍ أن تحمل رايتي، وآخَرون يتهامَسون أن لا مكان لها في مجلسي الحربي، وأن عليَّ أن أعيدها إلى آشاي، وأن قضاءها اللَّيل في خيمتي إثم. نعم، إنهم يتهامَسون... وهي تخدم».

سألَه داڤوس متوجِّسًا من الإجابة: «وكيف تخدم؟».

قال الملك: «حسب الحاجة»، ورمقَه مضيفًا: «وأنت؟».

تمتمَ داڤوس: «أنا...»، ولعقَ شفتيه وأجابَ: «أنا طوع أمرك. ماذا تُريدني أن أفعل؟».

- «لا شيء لم تفعله من قبل، أن ترسو بقاربٍ تحت القلعة في جوف اللَّيل دون أن يراك أحد. أتستطيع هذا؟».

- «نعم. اللَّيلة؟».

أومأَ الملك برأسه باقتضابٍ قائلًا: «ستحتاج قاربًا صغيرًا، ليس «بِثا السَّوداء»، فلا ينبغي أن يعلم أحدٌ بمهمَّتك».

أرادَ داڤوس أن يعترض. إنه فارس الآن ولم يَعُد مهرِّبًا، ولم يكن مغتالًا قَطُّ، لكن الكلمات لم تُسعِفه حين فتحَ فمه. هذا ستانيس، سيِّده العادل الذي يدين له بكلِّ شيء، كما أن عليه التَّفكير في أبنائه. ما الذي فعلَته به بحَقِّ الآلهة؟

قال ستانيس: «أنت صامت».

فكَّر داڤوس: ويجب أن أظلَّ صامتًا، وعلى الرغم من هذا قال: «مولاي، أدركُ الآن أنك يجب أن تأخذ القلعة، لكن لا بُدَّ أن هناك سُبلًا أخرى، سُبلًا أنظف. دَع السير كورتناي يحتفظ بالنَّغل وقد يستسلم».

- «يجب أن آخذ الصَّبي يا داڤوس، يجب. مليساندرا رأت هذا أيضًا في اللَّهب».

بيأسٍ بحثَ داڤوس عن حَلٍّ آخَر، وقال: «ستورمز إند لا تضمُّ فارسًا يُباري السير جايارد أو اللورد كارون، أو أيًّا من العشرات الذين أقسَموا على خدمتك. النِّزال الفردي... ألا يُمكن أن السير كورتناي يبحث عن وسيلةٍ للاستسلام بشَرف؟ حتى إذا كان سيدفع حياته ثَمنًا؟».

احتلَّت نظرة انزعاج ملامح الملك كسحابةٍ عابرة، وقال: «الأرجح أنه يُدَبِّر خدعةً ما. لن يكونَ هناك نزال بين نصيريْن. السير كورتناي ميت من قبل أن يُلقي القُفَّاز. اللَّهب لا يكذب يا داڤوس».

ومع ذلك يحتاجني لتحقيق ما يقوله. زمن طويل مَرَّ منذ شعرَ داڤوس سيوورث بهذا الحُزن العميق.

وهكذا وجدَ نفسه يَعبُر خليج السُّفن الغارقة في ظلام اللَّيل من جديد، مبحرًا بقاربٍ صغير أسود الشِّراع. السَّماء كما هي، والبحر، والرَّائحة الملحيَّة ذاتها في الهواء، وخرخرة المياه المتكسِّرة على بدن القارب كما يَذكُرها، بينما اشتعلَت ألف بؤرة نارٍ متذبذة حول القلعة كبؤر جيش تايرل وردواين قبل ستَّة عشر عامًا، لكن كلُّ شيءٍ آخَر مختلف هذه المرَّة.

المرَّة السَّابقة جئتُ بالحياة إلى ستورمز إند في شكل حبَّات البصل، وهذه المرَّة أجيءُ بالموت في صورة مليساندرا الآشاييَّة. قبل ستَّة عشر عامًا طقطقَت الأشرعة وفرقعَت مع كلِّ هبَّة ريح، إلى أن أنزلَها وواصلَ الطَّريق بمجذافيْن مكتومي الصَّوت، وحتى حينئذٍ كان قلبه في حُلقومه، لكن الرِّجال على متن قوادس ردواين كانوا قد استرخوا مع الوقت، وانسلَّ هو مخترقًا حصارهم بنعومة الحرير الأسود، أمَّا هذه المرَّة فكلُّ ما يراه من سُفنٍ ينتمي لستانيس، والخطر الوحيد لن يأتي إلَّا من الحُرَّاس على أسوار القلعة، ومع ذلك شعرَ داڤوس بأعصابه مشدودةً كوتر القوس.

ربضَت مليساندرا في الجانب الآخَر من القارب، وقد غابَت بين طيَّات الثَّوب الأحمر الدَّاكن الذي غطَّاها من رأسها إلى قدميها، ولا يبدو من وجهها غير بياضه الشَّاحب من تحت القلنسوة. يُحِبُّ داڤوس الماء، وأفضل نومةٍ يغيب فيها تكون عندما يحسُّ بسطح سفينةٍ يتمايَل أسفله، وتنهُّد الرِّيح بين أشرعته صوت أعذب عنده من أيِّ نغمةٍ يستطيع مغنٍّ عزفها على قيثاره، لكن حتى البحر نفسه لم يُشعِره براحةِ اللَّيلة، وقالت له المرأة الحمراء بنعومة: «أشمُّ رائحة الخوف المنبعثة منك أيها الفارس».

- «أحدهم قال لي ذات مرَّةٍ إن اللَّيل حالكٌ ومفعم بالأهوال، واللَّيلة لستُ فارسًا، اللَّيلة أعودُ داڤوس المهرِّب. ليتكِ كنتِ بصلةً».

ضحكَت وسألَته: «أتخشاني أنا أم ما نفعله؟».

- «ما تفعلينه أنتِ، فلا دور لي فيه».

- «يدك أنت رفعَت الشِّراع، يدك أنت تُحرِّك الدفَّة».

انتبهَ داڤوس إلى طريقه صامتًا. السَّاحل غابة من الصُّخور، ولذا يَعبُر بهما الخليج في دورةٍ واسعة، وعليه أن ينتظر حتى يتبدَّل المَدُّ كي يستطيع

تغيير اتِّجاهه، فتضاءلَت ستورمز إند من ورائها، لكن قلقًا لم يبدُ على المرأة الحمراء، وقالت: «أأنت رجل صالح يا داڤوس سيوورث؟».

وهل يفعل رجل صالح ما أفعله الآن؟ «أنا رجل، رفيق بزوجتي لكني عرفتُ نساءً أخريات، وحاولتُ أن أكون أبًا لأبنائي، وأن أساعد على بناء مكانٍ لهم في هذه الدُّنيا. نعم، انتهكتُ بضعة قوانين، لكني لم أشعر بالشَّرِّ قَطُّ قبل اللَّيلة. إنني مختلط يا سيِّدتي، صالح وطالح».

- «رجل رمادي، لا أبيض ولا أسود، لكن فيك من الاثنين. أهذه حقيقتك يا سير داڤوس؟».

- «وماذا لو أنها كذلك؟ يبدو لي أن أكثر النَّاس رماديُّون».

- «إذا كان نِصف البصلة عفنًا أسود فكلها بصلة عفنة. الرَّجل إمَّا خيِّر أو شرِّير».

كانت بؤر النَّار وراءهما قد امتزجَت صانعةً وهجًا واحدًا باهتًا تحت السَّماء السَّوداء، وكادَت الأرض تغيب عن أنظارهما، ولمَّا حانَ وقت تغيير المسار قال لها: «انتبهي لرأسكِ يا سيِّدتي»، وحرَّكَ الدفَّة فنثرَ القارب الصَّغير موجةً من الماء الأسود وهو يدور، ومالَت مليساندرا تحت عارضة الصَّاري المتأرجحة واضعةً يدًا واحدةً على حافة القارب والسُّكون التَّام يلوح عليها. صَرَّ الخشب وفرقعَ الشِّراع وتناثرَ الماء بصوتٍ عالٍ حتى إنك كنت لتُقسِم أن القلعة سمعَته بالتَّأكيد، لكن داڤوس يعلم سُخف هذا، فتلاطُم الأمواج اللا نهائي بالصُّخور هو الصَّوت الوحيد الذي يخترق أسوار ستورمز إند المواجِهة للبحر، وحتى هذا الصَّوت خافت.

تموَّجت المياه من وراء القارب إذ تحرَّكَ صوب الشَّاطئ، وخاطبَ داڤوس مليساندرا قائلًا: «تتكلَّمين عن الرِّجال والبصل، فماذا عن النِّساء؟ ألا ينطبِق الأمر نفسه عليهن؟ أأنتِ خيِّرة أم شرِّيرة يا سيِّدتي؟».

جعلَها سؤاله تُصدِر ضحكةً خافتةً، قبل أن تُجيب: «أنا أيضًا فارسة بشكلٍ ما يا سيِّدي العزيز، نصيرة النُّور والحياة».

- «غير أنكِ تُزمِعين قتل رجلِ اللَّيلة، كما قتلتِ المِايستر كرسن».

- «المِايستر سمَّم نفسه. كان ينوي أن يُسَمِّمني، لكني كنتُ محميَّةً بقوَّةٍ أعظم، وهو لا».

- «ورنلي بارائيون؟ مَن قتلَه؟».

أدارَت رأسها إليه، ومن تحت ظِلِّ قلنسوتها توهَّجت عيناها كلهب شمعةٍ أحمر باهت، وأجابَت: «ليس أنا».

- «كاذبة». الآن تأكَّد داڤوس من أنها فعلَتها.

ضحكَت مليساندرا ثانيةً، وقالت: «أنت ضائع في الظُّلمة والحيرة يا سير داڤوس».

قال: «وهذا أفضل»، وأشارَ إلى الأضواء البعيدة التي تتذبذَب على أسوار ستورمز إند متابعًا: «أتَشعُرين ببرودة الرِّيح؟ سيتلملَم الحَرس على مقربةٍ من هذه المشاعل. قليل من الدِّفء وقليل من الضَّوء مصدر راحةٍ في ليلةٍ كهذه، لكن المشاعل ستُعميهم ولن يلمحونا نمرُّ». كما آملُ. «إله الظُّلمات هو مَن يحمينا الآن يا سيِّدتي، يحميكِ أنتِ».

بدا لهب عينيها كأنه اتَّقد أكثر مع قوله، وردَّت: «لا تلفظ هذا الاسم أيها الفارس وإلَّا جذبت عينه السَّوداء إلينا. لك أن تثق بأنه لا يحمي إنسانًا، وبأنه عدوُّ كلِّ ما هو حي. قلت بنفسك إن المشاعل هي ما يُخفينا، النَّار، نعمة إله الضِّياء السَّاطعة».

- «كما تشائين».

- «كما يشاء هو بالأحرى».

كانت حركة الرِّيح تتبدَّل، وأحسَّ داڤوس بهذا ورآه في تموُّج الشِّراع الأسود، فمَدَّ يده إلى الحبال قائلًا: «ساعِديني على إنزال الشِّراع. سأجذفُ بقيَّة الطَّريق»، وأنزلا الشِّراع معًا وربطاه والقارب يتأرجح من تحتهما، وسألَها داڤوس وهو يغمس مجذافيه في المياه السَّوداء: «من جذفَ بكِ إلى رنلي؟».

أجابَت: «لم تكن هناك حاجة، فلم يكن محميًّا، أمَّا هنا... ستورمز إند هذه مكان قديم، وثمَّة تعاويذ ممتزجة بحجارتها، حواجز سوداء لا يستطيع ظِلٌّ المرور منها... عتيقة، منسيَّة، لكن لا تزال في أماكنها».

شعرَ داڤوس بالقشعريرة تزحف على جِلده، وقال: «ظِل؟ الظِّلال من الظَّلام».

- «أنت أجهل من طفلٍ أيها الفارس، فلا ظلال في الظَّلام. الظِّلال خدم النُّور، أطفال النَّار، وأسطعُ لهبٍ يُلقي أغمق ظِل».

عقدَ داڤوس حاجبيه وأشارَ لها بالسُّكوت. إنهما يُعاوِدان الاقتراب من الشَّاطئ، والأصوات تنتقل عبر الماء. جذفَ ليطغى صوت الأمواج الرَّتيب على صوت مجذافيه الواطئ. يستقرُّ الجانب المواجه للبحر من ستورمز إند فوق جُرفٍ أبيض شاحب، ترتفع حجارته الطُّبشوريَّة بزاويةٍ مستقيمة حتى السُّور العملاق الذي يفوقها طولًا مرَّةً ونِصفًا، وفي الحجارة كانت الثَّغرة التي أبحرَ داڤوس صوبها كما فعلَ قبل ستِّ عشرة سنة، حيث ينفتح النَّفق على كهفٍ تحت القلعة شيَّد فيه سادة أراضي العواصف القُدامى مرساهم.

لا يكون الممرُّ المائي صالحًا للملاحة إلَّا مع ارتفاع المَد، ودائمًا ما يكون خدَّاعًا، لكن مهارات المهرِّب لم تتخلَّ عن داڤوس، وشَقَّ طريقهما ببراعةٍ بين الصُّخور المحزَّزة إلى أن لاحَ مدخل الكهف أمامهما، فتركَ الموج يحملهما إلى الدَّاخل وهو يتكسَّر حول القارب ويدفعه هنا وهناك ويُغرقهما تمامًا. فجأةً ظهرَ إصبع صخري من العتمة والماء يزبد من حوله، وبالكاد أزاحَهما داڤوس عنه بمجذاف.

ثم إنهما مرَّا أخيرًا وابتلعَهما الظَّلام تمامًا وهدأَ الماء، فتباطأَت حركة القارب الصَّغير ودارَ، بينما تردَّد صدى أنفاسهما وتعاظمَ حتى بدا كأنه يُحيط بهما. لم يتوقَّع داڤوس هذا السَّواد، ففي المرَّة السَّابقة كانت المشاعل موقدةً بطول النَّفق، ورمقَته أعيُن الجائعين من فتحات الدِّفاع في السَّقف. يعرف أن الشَّبكة الحديديَّة في مكانٍ ما أمامهما، فاستخدمَ المجذافين لإبطاء القارب، وحملَهما التيَّار بشِبه نعومة.

قال داڤوس وهمساته تطفو على صفحة الماء المتموِّجة كأنها طابور من الفئران الصَّغيرة ذات الأقدام الورديَّة اللَّدنة: «هنا أقصى بُقعةٍ يُمكننا بلوغها، ما لم يكن لديكِ رجل في الدَّاخل يفتح لنا البوَّابات».

- «هل عبرنا إلى الجانب الآخَر من الأسوار؟».

- «نعم، نحن أسفلها، لكننا لا نستطيعُ التقدُّم أكثر. الشَّبكة الحديديَّة تنزل حتى القاع، والقضبان متراصَّة على مقربةٍ من بعضها بعضًا، بحيث لا يستطيع طفل اعتصار جسده بينها».

لم تأته إجابة غير حفيفٍ ناعم، ثم اشتعلَ ضوء مباغت في قلب الظَّلام.

رفعَ داڤوس يده يحمي عينيه، واحتبسَت أنفاسه في حَلقه. كانت مليساندرا قد خلعَت قلنسوتها وتخلَّت عن الثَّوب الخانق، ومن تحته كانت عاريةً وقد انتفخَ بطنها بالجنين، ينتأ جِلده حتى بدا كأنه على شفا الانفجار، وتدلَّى نهداها ممتلئين ثقيلين على صدرها، فهمسَ داڤوس: «فلتحفظنا الآلهة»، وسمعَها تردُّ بضحكةٍ حلقيَّةٍ عميقة. عيناها كانتا جمرتين متَّقدتين، والعَرق الذي تصبَّب منها بدا كأنه يُضيء بنوره الخاص، فتألَّق جسد مليساندرا ألقًا.

لاهثةً، جلسَت القرفصاء وباعدَت بين ساقيها، وسالَ الدَّم على فخذيها أسود كالحبر. صرختها كانت إمَّا ألمًا أو نشوةً أو الاثنين، ورأى داڤوس قمَّة رأس الطِّفل تدفع نفسها من داخلها، ثم تحرَّرت ذراعان وتلمَّستا طريقهما، قبل أن تلتفَّ أصابع سوداء حول فخذي مليساندرا المشدودتين وتدفع، إلى أن خرجَ الظِّلُّ بأكمله إلى العالم وارتفعَ وقد فاقَ داڤوس طولًا، ارتفعَ طويلًا كالنَّفق ذاته فوق القارب. لم يملك داڤوس أكثر من لحظةٍ واحدةٍ رآه فيها قبل أن يتلوَّى بين قضبان الشَّبكة الحديديَّة ويهرع على سطح الماء، لكن لحظةً واحدةً كانت تكفي.

إنه يعرف هذا الظِّل، ويعرف الرَّجل الذي ألقاه.

چون

جاءَ النِّداء يتخلَّل سواد اللَّيل، ودفعَ چون نفسه ليستند على مِرفقه، وقد امتدَّت يده بحُكم العادة إلى «المخلب الطَّويل»، بينما دبَّت الحركة في المخيَّم. النَّفير الذي يوقظ النِّيام.

ظلَّت النَّغمة الواطئة الطَّويلة عالقةً عند حافة السَّمع، ووقفَ الحُرَّاس على السُّور الدَّائري جامدين في أماكنهم، تَخرُج أنفاسهم صقيعًا ورؤوسهم ملتفتة إلى الغَرب. كفَّت الرِّيح نفسها عن الهبوب مع خفوت النَّفير، وقامَ الرِّجال من تحت أغطيتهم يلتقطون الرِّماح وأحزمة السُّيوف، يتحرَّكون بهدوءٍ منصتين. صهلَ حصان فأسكتَه أحدهم، وطيلة المدَّة التي تستغرقها نبضة القلب، بدَت الغابة كلها كأنها تحبس أنفاسها. انتظرَ إخوة حَرس اللَّيل نفخةً ثانيةً في البوق، وفي قرارة أنفسهم وكلهم خوف من أن يسمعوها، دعوا الآلهة ألَّا تَبْغ آذانهم.

حين طالَ الصَّمت حتى فاقَ الاحتمال، وأدركَ الرِّجال أخيرًا أن النَّفير لن يتردَّد ثانيةً، ابتسَموا لبعضهم بعضًا بارتباكٍ كأنهم يُحاوِلون إنكار توتُّرهم. أطعمَ چون سنو النَّار بضع قطعٍ من الخشب، وربطَ حزام سيفه وارتدى حذاءه، ونفضَ التُّراب والنَّدى عنْ معطفه وثبَّته على كتفيه، وتأجَّج اللَّهب إلى جواره، تلفح حرارته المحبَّبة وجهه بينما ارتدى ثيابه وهو يسمع حضرة القائد يتحرَّك في خيمته، وبَعد لحظةٍ رفعَ مورمونت سديلة الباب متسائلًا: «نفخة واحدة؟». على كتفه كان غُدافه صامتًا منفوش الرِّيش ويبدو عليه البؤس.

قال چون: «واحدة يا سيِّدي، إخوة عائدون».

اقتربَ مورمونت من النَّار قائلًا: «ذو النِّصف يد، أخيرًا». كان اضطرابه

يتنامى كلَّ يومٍ قبعوا فيه منتظرين، ولو انتظروا مدَّةً أطول كان مزاجه ليسوء أكثر بكثير. «احرِص على وجود طعامٍ ساخنٍ للرِّجال وعلفٍ للخيول. سأرى كورين في الحال».

– «سأحضره يا سيِّدي». كان متوقِّعًا أن يصل الرِّجال القادمون من «بُرج الظِّلال» منذ أيام، ولمَّا لم يظهروا بدأ الإخوة يتساءَلون، وسمعَ چون همهماتٍ كئيبة حول المخيَّم، وليس من إد الكئيب فقط، فالسير أوتين ويذرز أرادَ الانسحاب إلى القلعة السَّوداء في أسرع وقتٍ ممكن، بينما حبَّذ السير مالادور لوك التوجُّه إلى «بُرج الظِّلال»، على أمل اقتفاء أثر كورين ومعرفة ما جرى له، لكن ثورين سمولوود أعلنَ: «مانس رايدر يعلم أن عليه أن يُقاتِل حَرس اللَّيل، لكنه لن يبحث عنا أبدًا على هذا البُعد شَمالًا. إذا سلكنا طريق النَّهر اللَّبني، فسنُباغِته بهجومنا ونُمَزِّق جيشه إربًا قبل أن يدري أننا نُهاجِمه حتى».

قال السير أوتين باستنكار: «الأعداد ليست في صالحنا. كراستر قال إنه يحشد جيشًا ضخمًا، آلافًا وآلافًا، ونحن مئتان فقط دون رجال كورين».

رَدَّ سمولوود بثقة: «أطلِق مئتي ذئبٍ بين عشرة آلافٍ من الخراف أيها الفارس وانظُر ما سيَحدُث».

قال چارمان بكويل محذِّرًا: «ثمَّة تيوس بين هذه الخراف يا ثورين، نعم، وربما بضعة أسودٍ أيضًا... ذو القميص المُخشخِش، وهارما رأس الكلب، وألفين قاتِل الغِربان...».

قاطعَه ثورين سمولوود بحدَّة: «أعرفهم مِثلما تعرفهم تمامًا يا بكويل، وأنوي أن أقطع رؤوسهم جميعًا. إنهم هَمج وليسوا جنودًا، بضع مئاتٍ من الأبطال السَّكارى وسط جيشٍ عظيم من النِّساء والأطفال والخدم. سنكتسحهم ونُعيدهم إلى جحورهم مولولين».

تناقَشوا ساعاتٍ طويلة ولم يتَّفقوا. الدُّب العجوز أكثر عنادًا من أن ينسحب، لكنه لن يتهوَّر بسلوك طريق النَّهر اللَّبني سعيًا إلى المعركة كذلك، وفي النِّهاية لم يتقرَّر شيء غير انتظار رجال «بُرج الظِّلال» بضعة أيامٍ أخرى، واستئناف الكلام إذا لم يظهروا.

وها هُم ظهَروا، أي أن القرار لن يتأجَّل أكثر، وهذا على الأقل يسرُّ چون، فإن كان عليهم أن يُقاتِلوا مانس رايدر، فليفعلوا قريبًا.

وجدَ إد الكئيب عند النَّار، يشكو كم يَصعُب عليه النَّوم بينما يُطلِق النَّاس النَّفير في الغابة، فمدَّه چون بشيءٍ جديدٍ يشكو منه، ومعًا أيقظا هاك الذي تلقَّى أوامر حضرة القائد بوابلٍ من الشَّتائم قبل أن ينهض، وبَعد قليلٍ كان قد كلَّف دستةً من الإخوة بتقطيع الجذور ليصنع حَساءً.

اقتربَ سام لاهثًا من چون وهو يقطع المخيَّم، وتحت قلنسوته السَّوداء كان وجهه شاحبًا مستديرًا كالقمر، وقال: «سمعتُ النِّداء. هل عادَ عمُّك؟».

- «إنهم رجال «بُرج الظِّلال» لا أكثر». أصبحَ التمسُّك بعودة بنچن ستارك الآمنة أصعب فأصعب. المعطف الذي وجدَه تحت «القبضة» من الممكن أن يكون لعمِّه أو أحد رجاله، وحتى الدُّب العجوز أقرَّ بهذا، وإن لم يستطِع أحد أن يُخمِّن سبب دفنه في هذا المكان حول خبيئةٍ من زُجاج التنِّين. «يجب أن أذهب يا سام».

عند السُّور الدَّائري وجدَ الحُرَّاس يجتثُّون الخوازيق من التُّربة نِصف المتجمِّدة ليصنعوا فتحةً للمرور، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تبدأ طليعة إخوة «بُرج الظِّلال» صعود المنحدَر الملتفِ، كلهم يرتدون الجِلد والفرو، مع شيءٍ من الفولاذ والبرونز هنا وهناك، وقد غطَّت اللِّحى الكثيفة الوجوه النَّاحلة القويَّة، جاعلةً إياهم يبدون شَعِثين كخيولهم. أدهشَ چون أن يرى أزواجًا منهم على حصانٍ واحد، ولمَّا أمعنَ النَّظر صارَ واضحًا أن كثيرين جرحى. واجهتَهم متاعب في الطَّريق.

تعرَّف چون كورين ذا النِّصف يد لحظة أن رآه، على الرغم من أنهما لم يلتقيا قَطُّ، فالجوَّال الكبير يكاد يكون أسطورةً وسط إخوة حَرس اللَّيل، رجل كلامه متروٍّ وأفعاله سريعة، طويل منتصب القامة كالحربة، وطويل الأطراف ووقور الملامح، يَسقُط شَعره من تحت خوذته في جديلةٍ طويلةٍ يُغلِّفها الصَّقيع، والأسود الذي يرتديه باهت للغاية حتى إنه أقرب إلى الرَّمادي. لم يتبقَّ غير الإبهام والسبَّابة من اليد التي تُمسِك عِنان حصانه، أمَّا الأصابع الأخرى فبترَتها بلطة الهمجي التي صدَّها قبل أن تفلق جمجمته، ويُحكى أنه

ألقى قبضته المشوَّهة في وجه رامي البلطة فانبثقَ الدَّم منها في عينيه، وقتلَه وهو معميٌّ عنه، ومنذ ذلك الحين والهَمج وراء «الجِدار» لا يعرفون خصمًا ألدَّ منه.

حيَّاه چون، وقال: «حضرة القائد مورمونت يرغب في رؤيتك في الحال. سأصحبك إلى خيمته».

ترجَّل كورين قائلًا: «رجالي جائعون، والخيول تحتاج عنايةً».

- «سنعتني بالجميع».

سلَّم الجوَّال حصانه لأحد رجاله، وقال وهو يتبعه: «أنت چون سنو. لديك ملامح أبيك».

- «هل كنت تعرفه يا سيِّدي؟».

- «لستُ سيِّدًا، بل أخ في حَرس اللَّيل فحسب. نعم، كنتُ أعرفُ اللورد إدارد، وأباه من قبله».

وجدَ چون أن عليه أن يُسرِع ليُواكِب خطوات كورين الواسعة، وقال: «اللورد ريكارد ماتَ قبل أن أولَد».

قال كورين: «كان صديقًا لحَرس اللَّيل»، ثم ألقى نظرةً وراءه وأردفَ: «يُقال إن معك ذئب رهيب».

- «سيعود جوست فَجرًا. إنه يصطاد طول اللَّيل».

وجدا إد الكئيب يُحَمِّر شريحةً من اللَّحم المقدَّد ويَسلُق دستةً من البيض في قِدرٍ فوق حُفرة نار الدُّب العجوز، بينما جلسَ مورمونت في كرسي المعسكَرات المصنوع من الجِلد والخشب، وقال: «كنتُ قد بدأتُ أشعرُ بالخوف عليكم. هل لاقَتكم متاعب؟».

- «لاقينا ألفين قاتِل الغِربان. مانس أرسلَه للتقصِّي عند «الجِدار»، وصادَفناه وهو عائد»، وخلعَ كورين خوذته وأضافَ: «لن يُزعِج ألفين البلاد ثانيةً، وإن أفلتَ بعض رجاله منا. طارَدنا أكبر عددٍ ممكن منهم، لكن من الوارد أن تستطيع قِلَّة التَّراجُع إلى الجبال».

- «والتَّكلفة؟».

- «أربعة إخوة ماتوا ودستة من الجرحى، ثُلث ما خسرَه العدوُّ، بالإضافة

إلى أسيرين، سرعان ما ماتَ أحدهما متأثِّرًا بجراحه، لكن الثَّاني عاشَ حتى استجوَبناه».

- «يَحسُن أن نتكلَّم عن هذا في الدَّاخل. سيجلب لك چون قرنًا من المِزر، أم أنك تُفَضِّل النَّبيذ المتبَّل السَّاخن؟».

- «يكفي الماء المغلي، وبيضة وقطعة من اللَّحم المقدَّد».

قال مورمونت: «كما ترغب»، ورفعَ سديلة باب الخيمة، فانحنى كورين ذو النِّصف يد وخطا إلى الدَّاخل.

وقفَ إد عند القِدر يُحَرِّك البيض بملعقة، وقال: «كم أحسدُ هذه البيضات. قليل من الماء المغلي سينفعني الآن. لو كانت القِدر أكبر لوثبتُ فيها، وإن كنتُ أفضِّلُ أن يكون هذا نبيذًا لا ماءً. ثمَّة طُرق أسوأ للموت من أن يموت المرء دافئًا سكرانًا. في مرَّةٍ عرفتُ أخًا أغرقَ نفسه في النَّبيذ، لكنه كان نوعًا رديئًا، والجثَّة لم تُحَسِّنه».

- «هل شربته؟!».

- «شيء شنيع أنت تجد أخاك ميتًا. كنت لتحتاج شرابًا أنت أيضًا يا لورد سنو»، وقلَّب إد البيض وأضافَ رشَّةً من جوز الطِّيب.

بتوتُّرٍ قبعَ چون إلى جوار النَّار وحرَّكها بعصا. كان يسمع صوت الدُّب العجوز من داخل الخيمة، يُقاطِعه نعيق الغُداف ونبرة كورين الأهدأ، وإن لم يستطِع تمييز الكلام. ماتَ ألفين قاتِل الغِربان، هذا جيِّد. كان واحدًا من أشرس مُغيري الهَمج، استمدَّ لقبه من الإخوة السُّود الذين قتلَهم. فلِمَ يبدو كورين متجهِّمًا بعد انتصارٍ كهذا؟

كان چون يأمل أن يرفع وصول رجال «بُرج الظِّلال» الرُّوح المعنويَّة في المخيَّم. اللَّيلة الماضية فقط كان عائدًا من قضاء حاجته في الظَّلام، حين سمعَ خمسة أو ستَّة رجالٍ يتكلَّمون بأصواتٍ خفيضة حول نار، ولمَّا تناهى إلى مسامعه صوت تشِت يُهَمهِم أنهم تأخَّروا في الانسحاب، توقَّف چون وأصغى، وسمعَه يقول: «هذه الجولة كلها حماقة رجلٍ عجوز، ولن نجد شيئًا في هذه الجبال غير قبورنا».

قال لارك رجل الأخوات: «ثمَّة عمالقة في «أنياب الصَّقيع»، وأوْراج، وأشياء أسوأ».

- «لن أذهب إلى هناك، أؤكِّدُ لك».

- «وهل سيُعطيك الدُّب العجوز الخيار؟».

قال تشِت: «ربما لا نُعطيه نحن خيارًا».

عندئذٍ رفعَ أحد الكلاب رأسه وزمجرَ، فأسرعَ چون يبتعد قبل أن يُرى، وفكَّر: لم يكن من المفترَض أن أسمع هذا. خطرَ له أن ينقل الكلام إلى مورمونت، لكنه لم يقدر على إرغام نفسه على الوشاية بإخوته، حتى أمثال تشِت ورجل الأخوات، وقال لنفسه: مجرَّد كلام فارغ. إنهم يَشعُرون بالبرد والخوف مِثلنا جميعًا. من العسير الانتظار هنا على القمَّة الحجريَّة فوق الغابة، والتَّساؤل عمَّا سيأتي به الغَد. العدوُّ الخفي مخيف أكثر من غيره دائمًا.

أخرجَ چون خنجره الجديد من غِمده، وتمعَّن في انعكاس اللَّهب المتراقص على الزُّجاج الأسود البرَّاق. كان قد حفرَ المقبضَ الخشبي بنفسه، ولَفَّه بخيوطٍ من التِّيل ليستطيع القبض عليه. قبيح شكله، لكنه مفيد، وإن قال إد الكئيب إن السَّكاكين الزُّجاج عديمة الجدوى كحلمتين على صدر دِرع الفارس، لكن چون ليس متأكِّدًا من صحَّة هذا، فالنَّصل المصنوع من زُجاج التِّنين أمضى من الفولاذ، مع أنه أكثر هشاشةً بمراحل.

لا بُدَّ أنه دُفِنَ لسببٍ وجيه.

صنعَ خنجرًا لجرِن أيضًا، وآخَر لحضرة القائد، أمَّا البوق الحربي فأعطاه لسام، فمع الفحص الدَّقيق تبيَّن أن البوق مشروخ، وحتى بَعدما نظَّفه من التُّراب تمامًا، لم يستطِع چون إخراج أيِّ صوتٍ منه، كما أن الحافة مكسورة كذلك، لكن سام يُحِبُّ الأشياء القديمة، حتى عديمة القيمة منها، وقال له چون: «اصنَع منه قرن شراب، وكلما شربت منه ستتذكَّر أنك خرجت في جولةٍ وراء «الجِدار» وذهبت إلى «قبضة البَشر الأوائل» نفسها». أهدى سام رأس رُمح ودستةً من رؤوس السِّهام كذلك، ووزَّع البقيَّة على أصدقائه الآخَرين كتمائم حَظ.

بدا الدُّب العجوز مسرورًا بالخنجر، وإن لاحظَ چون أنه يُفَضِّل سكِّينًا من

الفولاذ في حزامه، وإن عجزَ مورمونت عن تقديم إجاباتٍ عن هويَّة من دفنَ المعطف أو ما يعنيه هذا. ربما يعرف كورين. لقد توغَّل ذو النِّصف يد في البراري أكثر من أيِّ رجلٍ على قيد الحياة.

سألَه إد: «هل ترغب في تقديم الطَّعام أم أقدِّمه أنا؟».

دَسَّ الخنجر في غِمده مجيبًا: «سأقدِّمه». إنه يرغب في معرفة ما يقولاه.

قطَّع إد ثلاث شرائح سميكة من الخُبز البائت ورصَّها في طبقٍ خشبي وغطَّاها باللَّحم المقدَّد ودُهنه، وملأ وعاءً بالبيض المسلوق، فحملَ چون الوعاء بيدٍ والطَّبق بالثَّانية، ودخلَ خيمة القائد بظَهره.

جلسَ كورين متقاطع السَّاقين على الأرض وعموده الفقري منتصب كالرُّمح، وتذبذبَ ضوء الشُّموع على وجنتيه المسطَّحتين الصُّلبتين وهو يتكلَّم. كان يقول: «... ذو القميص المُخشخِش والرَّجل الباكي، وكلُّ زعيم آخَر صغير أو كبير. معهم أوْراج كذلك، وماموثات، وقوَّتهم أكبر مما تصوَّرنا كثيرًا، أو أن هذا ما زعمَه، فلن أؤكِّد حقيقة كلامه. إبن يعتقد أن الرَّجل كان يحكي أشياء تُطيل عُمره قليلًا فحسب».

قال الدُّب العجوز بينما وضعَ چون الطَّبق بينهما: «حقيقة أو كذب، لا بُدَّ من تحذير «الجِدار»، والملك أيضًا».

- «أيُّ ملك؟».

- «جميعهم، الشَّرعيُّون والزَّائفون على حَدٍّ سواء. إذا كانوا يُريدون أن يَحكُموا البلاد، فليُدافِعوا عنها».

التقطَ ذو النِّصف يد بيضةً وكسرَها على حافة الوعاء، وقال وهو يُقَشِّرها: «لن يفعل هؤلاء الملوك إلَّا ما يُريدونه فقط، وغالبًا سيكون قليلًا جدًّا. وينترفل أفضل أملٍ لدينا. على آل ستارك أن يحشدوا الشَّمال».

قال الدُّب العجوز: «نعم، بالتَّأكيد»، وبسطَ خريطةً وحدَّق فيها عابسًا، ثم التقطَ أخرى وفتحَها، ورأى چون أنه يُفكِّر أين ستَسقُط المطرقة. في الماضي كان حَرس اللَّيل يُحصِّنون تسع عشرة قلعةً بطول فراسخ «الجِدار» المئة، لكنها هُجِرَت واحدةً تلو الأخرى مع اضمحلال أخوَّتهم، وثلاث منها فقط مزوَّدة الآن بالرِّجال، الحقيقة التي يعلمها مانس رايدر مِثلما يعلمونها. «نأمل

أن يعود السير أليسر ثورن بجُندٍ جُدد مِن كينجز لاندنج. إذا استطعنا تزويد «الحارس الأرمد» بالرِّجال من «بُرج الظِّلال»، و«الرَّبوة الطَّويلة» من القلعة الشَّرقيَّة...».

- ««الحارس الأرمد» آيلة للسُّقوط، لكن قد تَصلُح «الباب الحجري» إذا عثرنا على الرِّجال، وربما «رُقعة الجليد» و«البحيرة العميقة» كذلك، مع دوريَّات يوميَّة على الشُّرفات بينها».

- «دوريَّات، نعم، مرَّتان في اليوم إذا استطعنا. «الجِدار» نفسه عائق مهيب، لن يوقِفهم بلا دفاعٍ لكنه سيُعَطِّلهم، وكلما زادَ حجم الجيش استغرَقوا وقتًا أطول. الخواء الذي خلَّفوه وراءهم يشي بأنهم يُزمِعون إحضار نسائهم معهم، وأطفالهم وحيواناتهم أيضًا... هل رأيت عنزةً تتسلَّق سُلَّمًا من قبل؟ أو حبلًا؟ عليهم أن يبنوا درجات ويصنعوا منحدَرًا ضخمًا سيستغرق منهم قمرًا كاملًا على الأقل، وربما أكثر. مانس يعرف أن أفضل فُرَصه تكمُن في المرور من تحت «الجِدار»، عبر بوَّابةٍ أو...».

- «ثغرة».

رفعَ مرومونت رأسه بحدَّةٍ قائلًا: «ماذا؟».

- «إنهم لا ينتوون تسلُّق «الجِدار» أو الحفر تحته يا سيِّدي، بل يُخَطِّطون لاختراقه».

- ««الجِدار» يرتفع سبعمئة قدم، وبالغ السُّمك عند القاعدة، حتى أن مئة رجلٍ سيستغرقون عامًا كاملًا في تحطيمه بالمعاول والفؤوس».

- «ولو».

نتفَ مورمونت شعرةً من لحيته وقد قطَّب وجهه، وتساءلَ: «كيف؟».

قال كورين: «كيف في رأيك؟ بالسِّحر»، وقضمَ نِصف البيضة مضيفًا: «لأيِّ سببٍ آخَر قرَّر مانس أن يجمع قوَّاته في «أنياب الصَّقيع؟» إنها منطقة جرداء مقفرة، والزَّحف منها إلى «الجِدار» طويل ومتعِب».

- «كنتُ آملُ أنه اختار الجبال ليُخفي احتشاد جيشه عن أعيُن جوَّالتي».

قال كورين منهيًا البيضة: «ربما، لكني أظنُّ أن هناك دوافع أخرى. إنه يبحث عن شيءٍ ما في البقاع العالية الباردة، يبحث عن شيءٍ ما يحتاجه».

- «شيء ما؟». رفعَ غُداف مورمونت رأسه وأطلقَ نعيبًا صارخًا، فتردَّد الصَّوت بحدَّة السكّين في الخيمة المغلقة.

- «قوَّة ما لم يدرِ أسيرنا كنهها. يبدو أنه استُجوبَ بعُنفٍ أكثر من اللَّازم، وماتَ دون أن يقول الكثير، لكني أشكّ أنه كان يعلَم».

سمعَ چون الرِّيح في الخارج وهي تتسلَّل من فجوات السُّور الدَّائري وتشدُّ حبال الخيام، بينما فركَ مورمونت فمه مفكرًا وردَّد: «قوَّة ما. ينبغي أن أعرف ماذا تكون».

- «عليك أن تُرسِل كشَّافةً إلى الجبال إذن».

- «أكرهُ أن أخاطر بمزيدٍ من الرِّجال».

- «أسوأ ما يُمكِن أن يَحدُث أن نموت. لماذا نرتدي هذه المعاطف السَّوداء إن لم يكن لنموت دفاعًا عن البلاد؟ رأيي أن تُرسِل خمسة عشر رجلًا في ثلاث مجموعاتٍ خُماسيَّة، واحدة تستكشف طريق النَّهر اللَّبني، والثَّانية إلى «الممر الصَّادح»، والثَّالثة إلى «سُلَّم العملاق»، تحت قيادتي أنا وچارمان بكويل وثورين سمولوود. يجب أن نعرف ما ينتظر في هذه الجبال».

صاحَ الغُداف: «ينتظر، ينتظر!».

تنهَّد حضرة القائد مورمونت بعُمقٍ، ثم قال مذعنًا: «لا أرى خيارًا آخَر، لكن إذا لم تعودوا...».

قال الجوَّال: «أحدهم سيَخرُج من «أنياب الصَّقيع» يا سيِّدي. إذا كان نحن، فلا بأس، وإن لم يكن نحن فهو مانس رايدر، وأنتم تعترضون طريقه، فلن يستطيع أن يزحف جَنوبًا ويَترُككم وراءه لتتبعوه وتُغيروا على مؤخِّرة جيشه، وعليه يجب أن يُهاجِم، وهذا مكان قوي».

قال مورمونت: «ليس إلى هذا الحَد».

- «من الوارد أن نموت كلنا، لكن موتنا سيكسب وقتًا لإخوتنا على «الجِدار»، وقتًا لتحصين القلاع الخالية وإغلاق البوَّابات بالجليد، ووقتًا لاستدعاء اللوردات والفُرسان إلى نجدتهم، ووقتًا لشحذ أسلحتهم وبناء المجانيق. سنبذل حياتنا لقاء شيءٍ نافع».

همهمَ الغُداف وهو يتحرَّك جيئةً وذهابًا على كتفي مورمونت: «نموت،

نموت، نموت، نموت، نموت؟»، فيما أطرقَ الدُّب العجوز بصمتٍ كأن عبء الكلام أصبحَ أثقل من أن يحمله، لكنه قال في النِّهاية: «فلتُسامِحني الآلهة. اختر رجالك».

أدارَ كورين ذو النِّصف يد رأسه وسلَّط عينيه على عيني چون طويلًا، ثم قال: «ليكن إذن. أختارُ چون سنو».

حدَّق فيه مورمونت مندهشًا، وقال: «إنه ليس أكثر من صبي، ووكيل أيضًا وليس جوَّالًا حتى».

- «توليت يستطيع أن يخدمك بالكفاءة نفسها يا سيِّدي»، ورفعَ كورين يده المشوَّهة ذات الإصبعين، وأردفَ: «لم تزل الآلهة القديمة قويَّةً وراء «الجِدار»، آلهة البَشر الأوائل... وآل ستارك».

نظرَ مورمونت إلى چون قائلًا: «ما قولك؟».

أجابَ من فوره: «أريدُ أن أذهب».

ابتسمَ العجوز بحُزن، وقال: «كما حسبتُ».

كان الفَجر قد بزغَ حين خرجَ چون من الخيمة مع كورين ذي النِّصف يد، لتدور الرِّياح حولهما محرِّكةً معطفيهما الأسودين وناثرةً الجمار المنطفئة في الهواء، وقال له الجوَّال: «سنتحرَّك قريبًا. من الأفضل أن تَعثُر على ذئبك».

تيريون

كانا راكعيْن وحدهما في عتمة السِّبت وسكونه، لا يُحيط بهما غير الظِّلال وضوء الشُّموع المرتعش، ومع ذلك حافظَ لانسل على نبرةٍ خفيضة وهو يقول: «الملكة تعتزم إخراج الأمير تومن من المدينة. النيَّة أن يأخذه اللورد جايلز إلى روزبي ويُخفيه هناك في هيئة خادم. سيَصبُغون شَعره بلونٍ داكن ويقولون للجميع إنه ابن فارسٍ متجوِّل ما».

– «أهي خائفة من الدَّهماء أم مني؟».

– «منك ومنهم».

– «آه». لم يكن تيريون يعلم بأمر ذلك المخطَّط. هل خذلَته طيور ڤارس الصَّغيرة هذه المرَّة؟ حتى العناكب تغفل أحيانًا في اعتقاده... أم أن الخصيَّ يلعب لُعبةً أكثر غموضًا ومكرًا مما يتصوَّر؟ «أشكرك أيها الفارس».

– «هل ستمنحني ما طلبته منك؟».

– «ربما». كان لانسل قد طلبَ أن يتولَّى موقع قيادةٍ في المعركة المقبلة. إنها وسيلة سامية للموت قبل أن يكتمل نموُّ شاربه هذا، لكن الفُرسان الصِّغار يتصوَّرون دائمًا أنهم لا يُقهَرون.

بقيَ تيريون بَعد انصراف ابن عمِّه، وعند مذبح «المُحارِب» أشعلَ شمعةً بأخرى وصلَّى: احمِ أخي أيها الوغد اللَّعين، إنه واحد من جنودك، ثم أشعلَ شمعةً أخرى عند مذبح «الغريب» لنفسه.

ليلتها، عندما أظلمَت القلعة الحمراء، جاءَ برون ليجده يختم رسالةً،

وقال القزم وهو يُقَطِّر الشَّمع الذَّهبي السَّاخن على الرَّق: «خُذ هذه إلى السير چاسلين بايووتر».

- «ماذا فيها؟». لا يعرف برون القراءة، لكنه يُلقي أسئلةً وقحةً.

أجابَ تيريون بينما يضغط ختمه في الشَّمع الطَّري: «أن يأخذ خمسينًا من أفضل رجاله ويستطلع الطَّريق الوردي».

- «الأرجح أن يأتي ستانيس من طريق الملوك».

- «أوه، أعرفُ هذا. قُل لبايووتر أن يتجاهَل ما في الرِّسالة ويأخذ رجاله شَمالًا، حيث سينصب شَركًا على طريق روزبي. اللورد جايلز سيُغادِر إلى قلعته خلال يوم أو اثنين مع دستةٍ من المسلَّحين وبعض الخدم وابن أختي. قد يكون الأمير تومن متنكرًا في هيئة خادم».

- «أتُريد إعادة الصَّبي إلى المدينة؟».

- «لا، أريده أن يُواصِل الطَّريق إلى القلعة». كان تيريون قد قرَّر أن خروج الصَّبي من كينجز لاندنج من أفضل الأفكار التي تفتَّقت عنها سرسي، ففي روزبي سيكون تومن آمنًا من الدَّهماء، كما أن إبعاده عن أخيه يُصَعِّب الأمور أكثر على ستانيس، فحتى إذا استولى على كينجز لاندنج وأعدمَ چوفري، سيظلُّ صاحِب دعوى آخَر من آل لانستر يُصارِعه على العرش. «اللورد جايلز أسقم من أن يفرَّ وأجبن من أن يُقاوِم، وسيأمر أمين قلعته بفتح البوَّابة. بمجرَّد أن يَدخُلوا، سيَطرُد بايووتر الحامية ويُحافِظ على سلامة تومن. سَله إن كان وقع «اللورد بايووتر» يروقه».

- «يروقني وقع «اللورد برون» أكثر. يُمكنني أن آخذ الصَّبي منهم بالكفاءة نفسها، بل وأهَزهِزه على رُكبتي وأغنِّي له تهويدةً لو أن في الأمر لورديَّة».

قال تيريون: «أحتاجك هنا». ثم إنني لا آتمنك على ابن أختي. إذا طالَ چوفري أذى، ستستقرُّ دعوى آل لانستر للعرش الحديدي على عاتقيّ تومن الصَّغيرين، وسيُدافِع رجال السير چاسلين عن الصَّبي، بينما الأرجح أن يبيعه مرتزِقة برون لأعدائه.

- «وماذا يفعل اللورد الجديد بالقديم؟».

- «ما يُريد، بشرط أن يتذكَّر أن يُطعِمه، فلا أريده أن يموت»، وقامَ من

على المائدة مواصلًا: «أختي ستُرسِل واحدًا من رجال الحَرس الملكي مع الأمير».

لم يبدُ قلق على برون، وقال: «لن يتخلَّى كلب چوفري عنه، أمَّا البقيَّة فيستطيع ذوو المعاطف الذَّهبيَّة تولِّي أمرهم بسهولة».

قال تيريون: «إذا تطوَّر الأمر إلى القتل، فقُل للسير چاسلين إنني لا أريدُ أن يَحدُث هذا أمام تومن»، وارتدى معطفًا ثقيلًا من الصُّوف البنِّي الدَّاكن مواصلًا: «ابن أختي رقيق القلب».

- «أأنت واثق بأنه لانستر؟».

- «لا أثقُ بشيءٍ غير الشِّتاء والحرب. تعالَ، سأركبُ معك جزءًا من الطَّريق».

- «إلى شاتايا؟».

- «كم تعرفني!».

خرجا من بوَّابةٍ جانبيَّة في السُّور الشَّمالي، وهمزَ تيريون حصانه فاندفعَ يقطع الدَّرب المظلَّل، حيث هرعَت بضعة أشباح مسربَلة بالسَّواد إلى الأزقَّة مع ارتفاع وقع الحوافر على حجارة الرَّصف، لكن أحدًا لم يجرؤ على الدُّنو منهما. كان المجلس قد مَدَّ حظر التَّجوال الذي فرضَه تيريون، ومن يُلقى القبض عليه في الشَّارع بَعد رنين أجراس المساء يُعاقَب بالموت. أعادَ هذا الإجراء قَدرًا من السَّلام إلى كينجز لاندنج، وخفضَ أعداد الجُثث التي يُعثَر عليها كلَّ صباحٍ في الأزقَّة إلى الرُّبع، وعلى الرغم من ذلك يقول ڤارس إن النَّاس يلعنونه. يَجدُر بهم أن يمتنُّوا لأن في صدورهم أنفاس تتردَّد كي يلعنوا.

اعترضَ طريقهما اثنان من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة في عطفة النحَّاسين، لكن حين أدرَكا هويَّتيهما، اعتذرا لحضرة اليد وسمَحا لهما بالمرور، قبل أن يفترقا وينعطف برون جَنوبًا نحو بوَّابة الطَّمي.

تقدَّم تيريون في طريقه إلى ماخور شاتايا، لكن صبره نفدَ تمامًا فجأةً، والتفتَ فوق سَرجه وجاسَ بعينيه في الشَّارع من ورائه، فلم يرَ أثرًا لأحدٍ يتبعه، والنَّوافذ كلها مظلمة أو ستائرها مسدَلة بالكامل، ولم يسمع شيئًا غير دوران الرِّياح في الأزقَّة. إذا كانت سرسي قد أرسلَت مَن يتبعني خلسةً اللَّيلة،

فلا بُدَّ أنه متنكرٌ في صورة جرذ. تمتمَ: «فلتحترق الدُّنيا». لقد سئمَ تمامًا من الحذر والحيطة، وهكذا دارَ بحصانه وهمزَه بقوَّةٍ قائلًا لنفسه: إذا كان أحدهم ورائي، فلنرَ براعته في الرُّكوب، وقطعَ الشَّوارع التي يُنيرها القمر طيرانًا، تدقُّ الحوافر حجارة الأرض والحصان ينطلق كسهمٍ في الأزقَّة الضيِّقة والمنعطفات، ينطلق إلى حبيبته.

كان يَطرُق البوَّابة بينما تتسلَّل إلى مسامعه موسيقى خافتة من وراء الأسوار الحجريَّة المزوَّدة بالخوازيق. قادَه أحد الإيبنيزيِّين إلى الدَّاخل، وسلَّم تيريون الرَّجل حصانه متسائلًا: «مَن هذا؟». كان زُجاج الرَّدهة الكبيرة ذو الأشكال الماسيَّة مضيئًا بالأصفر، وسمعَ تيريون صوت رجلٍ يُغَنِّي.

هَزَّ الإيبنيزي كتفيه مجيبًا: «مغنٍّ بدين ما».

تعالى الصَّوت فيما مشيَ من الاسطبل إلى البيت. لم يكن تيريون مغرمًا بالمغنِّين قَطُّ، وهذا بالتَّحديد راقَه أقلَّ ممَّن هُم على شاكلته قبل أن يراه حتى. حين فتحَ الباب، بترَ الرَّجل الأصلع ذو البطن المنتفخ أغنيَّته، وركعَ مغمغمًا: «حضرة اليد، تشرَّفتُ، تشرَّفتُ».

ابتسمَت شِاي لمرآه قائلةً: «سِيدي». يُحِبُّ هذه الابتسامة والطَّريقة الغريزيَّة السَّريعة التي ترتسم بها على مُحَيَّاها الجميل. ارتدَت الفتاة فُستانها الأرجواني الحرير، مطوَّقًا عند الخصر بوشاحٍ من قماش الفضَّة، فاتَّسق اللَّونان مع شَعرها الفاحم وبياض بشرتها البضَّة.

خاطبَها قائلًا: «حُلوتي... ومَن هذا؟».

رفعَ المغنِّي عينيه مجيبًا: «اسمي سايمون لسان الفضَّة يا سيِّدي، ممثِّل ومغنٍّ وحكَّاء...».

قاطَعه تيريون: «وأحمق كبير. بِمَ دعوتني عندما دخلتُ؟».

بدا كأن الفضَّة في لسان سايمون تحوَّلت إلى رصاصٍ وهو يقول: «بِمَ دعوتك؟ إنني... حضرة اليد، قلتُ إنه شَرف...».

- «رجل أكثر حكمةً كان ليتظاهَر بأنه لم يتعرَّفني. لم أكن سأنخدِع، لكن كان عليك أن تُحاوِل. ماذا أفعلُ بك الآن؟ إنك تعلم بأمر حُلوتي شِاي، وتعلم أين تَقطُن، وتَعلم أني أزورها وحدي ليلًا».

- «أقسمُ أنني لن أخبر أحدًا...».

قال تيريون: «نتَّفق على هذا الجزء. طابَت ليلتك»، وقادَ شِاي إلى الطَّابق العُلوي.

قالت مداعبةً: «قد لا يستطيع مغنِّيَ الغناء ثانيةً وقد أخفته حتى فقدَ صوته».

- «قليل من الخوف سيُساعِده على بلوغ النَّغمات العالية».

أغلقَت باب غُرفة نومهما قائلةً: «لن تُؤذيه، أليس كذلك؟»، وأشعلَت شمعةً معطَّرةً وركعَت تخلع حذاءه، وأكملَت: «أغانيه تُسَلِّيني في اللَّيالي التي لا تأتيها».

قال وهي تُدَلِّك قدميه الحافيتين: «ليتني أقدر على المجيء كلَّ ليلة. أهو مغنٍّ جيِّد؟».

- «أفضل من البعض وليس ببراعة آخَرين».

فتحَ تيريون فُستانها ودفنَ وجهه بين ثدييها. دائمًا ما تكون نظيفة الرَّائحة، حتى في هذه المدينة الأقرب رائحتها إلى زرائب الخنازير. قال لها: «احتفِظي به إذا أردتِ، لكن على مقربة، فلا أريده أن يجول في المدينة ناشرًا الحكايات في محال الأكل».

بدأت تتكلَّم قائلةً: «لن...»، لكنَ تيريون غطَّى شفتيها بشفتيه. لقد اكتفى من الكلام، وما يرغب فيه الآن هو البساطة الحُلوة التي يجدها في مُتعة ما بين فخذيِّ شِاي، فهنا على الأقل يَشعُر بالتَّرحاب، بأنه مرغوب.

بَعدها سحبَ ذراعه برفقٍ من تحت رأسها وارتدى سُترته الطَّويلة ونزلَ إلى الحديقة، حيث صبغَ الهلال ورق أشجار الفاكهة بالفضَّة وأضاءَ سطح بِركة السِّباحة الصِّناعيَّة. جلسَ تيريون إلى جوار الماء، ومن مكانٍ ما على يمينه سمعَ صرصور حقلٍ يصرُّ، الصَّوت الذي بَثَّ فيه أُلفةً عجيبةً. ثمَّة سكينة حقيقيّة هنا، لكن إلى متى؟

بلغَت أنفه نفحة من شيءٍ كريه الرَّائحة جعلَته يُدير رأسه، ووجدَ شِاي واقفةً في المدخل مرتديةً الثَّوب المفضَّض الذي أهداها إياه. عشقتُ بنتًا بيضاء كالشِّتاء، في شَعرها نور القمر. وراءها وقفَ أحد الإخوة الشحَّاذين، رجل ممتلئ يرتدي ثيابًا مرقَّعةً قذرةً، وقد اكتسَت قدماه الحافيتان بالأوساخ،

بينما تدلَّى وعاء من شريطٍ جِلديٍّ يُحيط بعُنقه كما يُعَلَّق السِّپتون بلَّورته، لكن الأدهى هو رائحته التي تقلب معدة جرذ. أعلنَت شِاي: «اللورد ڤارس جاءَ لزيارتك».

رمقَها الأخ الشحَّاذ مندهشًا، بينما ضحكَ تيريون وقال: «بالتَّأكيد. كيف تعرَّفتِه فيما عجزتُ أنا عن ذلك؟».

هزَّت كتفيها مجيبةً: «إنه لا يزال الشَّخص نفسه، فقط يرتدي ثيابًا مختلفةً».

قال تيريون: «شكله مختلف ورائحته مختلفة وطريقة مشيه مختلفة، ما يكفي لخداع معظم الرِّجال».

- «ومعظم النِّساء ربما، لكن ليس العاهرات. العاهرة تتعلَّم أن ترى الرَّجل وليس ملبسه، وإلَّا سيجدونها ميتةً ذات يوم في زُقاق».

بدا ڤارس منزعجًا، وليس من الجَرَب الزَّائف على قدميه، فضحكَ تيريون، وقال: «شِاي، هلَّا أحضرتِ لنا القليل من النَّبيذ؟». قد يحتاج شرابًا، فما أتى بالخصيِّ إلى هنا في جوف اللَّيل لن يكون خيرًا.

قال ڤارس حين تركَتهما شِاي: «أكادُ أخشى أن أخبرك بسبب مجيئي يا سيِّدي، فلديَّ أنباء كريهة».

- «حريٌّ بك أن ترتدي الرِّيش الأسود يا ڤارس، فأنت نذير سوء كالغِدفان»، ونهضَ بحركةٍ مرتبكة، خائفًا من إلقاء السُّؤال التَّالي، لكنه سألَه: «أهو چايمي؟». لو مسُّوه بأذى فلن يُنقذهم شيء.

- «لا يا سيِّدي، إنها مسألة أخرى. لقد ماتَ السير كورتناي پنروز وفتحَت ستورمز إند بوَّاباتها لستانيس باراثيون».

أزاحَ الهلع كلَّ الخواطر الأخرى من عقل تيريون، وحين رجعَت شِاي بالنَّبيذ، أخذَ رشفةً واحدةً قبل أن يقذف الكأس لتتفجَّر على جانب البيت. رفعَت شِاي يدها تحمي نفسها من الشَّظايا بينما سرى النَّبيذ على الحجر كأصابع طويلة، وقد صبغَه نور القمر بالأسود، وقال تيريون: «اللَّعنة عليه!».

ابتسمَ ڤارس كاشفًا الأسنان النَّخرة في فمه، وتساءلَ: «على مَن يا سيِّدي؟ السير كورتناي أم اللورد ستانيس؟».

- «على الاثنين». ستورمز إند قويَّة، وكان من المفترَض أن تَصمُد نِصف

عام أو أكثر... ما يكفي من وقتٍ لأن يَفرُغ أبوه من روب ستارك. «كيف حدَثَ هذا؟».

نظرَ ڤارس إلى شِاي قائلًا: «سيِّدي، أينبغي أن نُزعِج منام الليدي الجميلة بهذا الحديث الدَّموي الكئيب؟».

قالت شِاي: «هذا الحديث يُخيف الليدي، لكنه لا يُخيفني».

قال لها تيريون: «يَجدُر بكِ أن تخافي. مع سقوط ستورمز إند، سيصبُّ ستانيس انتباهه على كينجز لاندنج»، وشعرَ بالنَّدم على سكب النَّبيذ وهو يقول: «لورد ڤارس، امنحنا لحظةً. سأعودُ معك إلى القلعة».

- «سأنتظرُ في الاسطبل»، وانحنى الخصيُّ وابتعدَ.

جذبَ تيريون شِاي إلى أسفل قائلًا: «لستِ آمنةً هنا».

- «حولي أسواري والحُرَّاس الذين عيَّنتهم لي».

- «إنهم مرتزِقة، يُحِبُّون ذهبي، لكن هل سيموتون في سبيله؟ أمَّا هذه الأسوار، فمن الممكن أن يقف رجلٍ على كتف آخَر ويَعبُر في لحظة. لقد احترقَ إيوان يُشبِه هذا كثيرًا أثناء الشَّغب، وقتَلوا صاحِبه الصَّائغ بجريمة امتلاكه مخزن لحوم ممتلئًا، تمامًا كما مزَّقوا جسد السِّپتون الأعلى، واغتصَبوا لوليس نِصفمئة مرَّةً، وهشَّموا رأس السير أرون. ماذا تحسبينهم فاعلين إذا وضعوا أيديهم على امرأة يد الملك؟».

رمقَته بعينيها الواسعتين الجريئتين قائلةً: «تقصد عاهرة يد الملك؟ لكني أوثِرُ أن أكون امرأتك يا سِيدي، وأرتدي الثِّياب الجميلة التي أهديتَني إياها، الحرير والسَّميت وقُماش الذَّهب، وأتزيَّن بجواهرك وأمسك يدك وأجلس إلى جوارك في الاحتفالات. أستطيعُ أن أنجب لك أبناءً، أعرفُ أني أستطيعُ... وأتعهَّدُ بأني لن أجلب لك العار أبدًا».

حُبِّي لكِ يُكَلِّلني بعار كفاية. «حُلم جميل يا شِاي، والآن أتوسَّل إليكِ أن تتخلَّي عنه، فلا يُمكن أنْ يتحقَّق أبدًا».

- «بسبب الملكة؟ لستُ أخشاها هي الأخرى».

- «أنا أخشاها».

- «اقتُلها إذن وأرِح بالك، فلا حُبَّ بينكما أصلًا».

زفرَ تيريون، وقال: «إنها أختي. مَن يَقتُل أحدًا من دمه ملعون للأبد في أعيُن الآلهة والبَشر، وعلاوة على هذا، فمهما كان رأيي ورأيكِ في سرسي، فهي غالية للغاية عند أبي وأخي. يُمكنني التَّحايُل على أيِّ أحدٍ في الممالك السَّبع كلها، لكن الآلهة لم تُزَوِّدني بالقُدرة على مواجَهة چايمي في نزالٍ بالسُّيوف».

- «الذِّئب الصَّغير واللورد ستانيس معهما سيوف ولا تخشاهما».

تعرفين القليل جدًّا يا حُلوتي. «ضدهما معي قوَّة عائلة لانستر كلها، أمَّا ضد چايمي أو أبي فلا أملكُ سوى ظَهرٍ محني وساقين ناقصتي النُّمو».

قالت شِاي: «تملكني أنا»، وقبَّلته مطوِّقةً عُنقه بذراعيها وهي تضغط جسدها على جسده.

أثارَته قُبلتها كسائر قُبلاتها دومًا، لكن تيريون حَلَّ نفسه منها برفقٍ هذه المرَّة، وقال: «ليس الآن. اسمعي يا حُلوتي، إن لديَّ... اعتبريها بذرة خطَّة. أعتقدُ أني أستطيعُ إدخالكِ مطابخ القلعة».

تجمَّدت ملامح شِاي وهي تُرَدِّد: «المطابخ؟».

- «نعم. إذا تصرَّفتُ من خلال ڤارس، فلن يعي أحد شيئًا».

قهقهَت قائلةً: «عندئذٍ سأسمِّمك يا سِيدي. كلُّ رجلٍ تذوَّق طهيي أخبرَني كم أنا عاهرة ممتازة!».

- «في القلعة الحمراء ما يكفي من الطُّهاة، والجزَّارين والخبَّازين كذلك. عليكِ أن تتظاهَري بأنكِ مساعِدة طبَّاخ».

- «عاملة مطبخ ترتدي الصُّوف البنِّي الخشن. أهكذا يُريد أن يراني سِيدي؟».

- «سِيدي يُريد أن يراكِ حيَّةً! لا يُمكنكِ تنظيف القدور وأنتِ ترتدين الحرير والمخمل».

قالت: «هل سئمَني سِيدي؟»، ومدَّت يدها تحت سُترته الطَّويلة وقبضَت على ذَكره، وبحركتين سريعتين جعلَته ينتصِب، فضحكَت قائلةً: «ما زال راغبًا فيَّ. أتحبُّ أن تُضاجِع خادمة المطبخ يا سِيدي؟ يُمكنك أن ترشَّ عليَّ الدَّقيق وتمصَّ المرق من على حلمتيَّ إذا...».

- «كفى!». ذكَّرته الطَّريقة التي تتصرَّف بها الآن بدانسي، التي بذلَت جهدًا كبيرًا كي تربح رهانها، فأزاحَ يدها يمنعها من المزيد من العبث، وقال: «ليس هذا الوقت المناسب للعب السَّرير يا شِاي. حياتكِ قد تكون على المحك».

تلاشَت ابتسامتها، وقالت: «لم أقصد أن أثير استياء سِيدي، لكن... ألا يكفي أن تُعطيني مزيدًا من الحَرس؟».

تنهَّد تيريون بعُمقٍ وقال لنفسه: تذكَّر سِنَّها الصَّغيرة، ثم التقطَ يدها وقال لها: «جواهركِ يُمكن استبدالها، ويُمكن تفصيل فساتين جديدة أجمل من القديمة مرَّتين. بالنِّسبة لي أنتِ أثمن شيءٍ بين هذه الأسوار. القلعة الحمراء ليست آمنةً كذلك، لكنها أكثر أمنًا من هنا مرارًا، وأريدكِ هناك».

قالت بصوتٍ خالٍ من المشاعر: «في المطابخ، أنظِّفُ القدور».

- «فترةً قصيرةً فقط».

زمَّت فمها قائلةً: «أبي جعلَني خادمةً في مطبخه، ولهذا فررتُ».

- «قلتِ لي إنكِ فررتِ لأن أباكِ جعلكِ عاهرته».

- «وهذا أيضًا. لم يَرُقني تنظيف القدور أكثر مما راقَني قضيبه في داخلي»، وحرَّكت رأسها بعصبيَّةٍ مردفةً: «لِمَ لا يُمكنك الاحتفاظ بي في بُرجك؟ نِصف اللوردات في البلاد لديهم من يُدفئن أسرَّتهم».

- «لقد مُنِعتُ بشكلٍ صريح من أخذكِ إلى البلاط».

مطَّت شفتيها، وقالت: «منعَك أبوك الأحمق. أنت ناضج بما يكفي للاحتفاظ بكلِّ مَن تشاء من عاهرات. أيظنُّك ولدًا خصيًّا؟ وماذا سيفعل؟ يصفعك على مؤخِّرتك؟».

وصفعَها تيريون، ليس بقوَّة غاشمة، لكن بقوَّةٍ فيها الكفاية، وقال لها: «عليكِ اللعنة، لا تسخري مني أبدًا، ليس أنتِ!».

مرَّت مدَّة لاذَت خلالها بالصَّمت، والصَّوت الوحيد أتى من صرصور الحقل... يصرُّ، يصرُّ... وأخيرًا قالت شِاي بصوتٍ متخشِّبٍ ثقيل: «أستميحك العُذر يا سِيدي، لم أقصد أن أكون وقحةً».

وأنا لم أقصد أن أصفعكِ. بحَقِّ الآلهة، أتُراني أتحوَّلُ إلى سرسي؟ قال لها: «كلانا أساءَ التصرُّف. شِاي، إنكِ لا تفهمين»، ورغم إرادته خرجَت مِن

فيه الكلمات التي لم يكن ينوي أن يقولها أبدًا: «حين كنتُ في الثَّالثة عشر، تزوَّجتُ ابنة مُزارع، أو أني حسبتها كذلك. كنتُ معميًّا بحُبِّي لها، وحسبتها تُحِبُّني بدورها، لكن أبي ألقى الحقيقة في وجهي. كانت عروسي عاهرةً استأجرَها چايمي بغية أن أتذوَّق الرُّجولة للمرَّة الأولى». ولحماقتي صدَّقتُ كلَّ شيء. «وليتأكَّد من تلقيني الدَّرس كاملًا، أعطى اللورد تايوين زوجتي لرجال ثُكنةٍ كاملةٍ من جنوده ليستخدموها كما أحبُّوا، وأمرَني بأن أشاهد». ولكي آخذها مرَّةً أخيرةً بَعدما فرغَ الآخَرون. يومها قال: «كي تتذكَّرها على حقيقتها»، وكان عليَّ أن أتحدَّاه، لكن قضيبي خانَني وفعلتُ كما أمرَ. «بَعد أن فرغَ منها، أبطلَ أبي الزِّيجة، كأننا لم نتزوَّج قَطُّ كما قال السِّپتون»، واعتصرَ يد شِاي قائلًا: «أرجوكِ، دعينا لا نتكلَّم عن بُرج اليد ثانيةً. ستقضين فترةً قصيرةً في المطابخ، وبمجرَّد أن ننتهي من ستانيس، ستحظين بإيوان آخَر وحريرٍ بنعومة يديكِ».

كانت عينا شِاي متَّسعتين، وإن لم يستطِع أن يتبيَّن ما في نظرتهما، وقالت: «لن تعود يداي ناعمتين إذا نظَّفتُ الأفران وحككتُ الأطباق طيلة اليوم. أستظلُّ ترغب في لمستهما وهما محمرَّتان رطبتان مشقَّقتان من الماء السَّاخن والصَّابون؟».

- «أكثر من أيِّ وقتٍ آخَر. حين أنظرُ إليهما، ستُذَكِّرانني بشَجاعتكِ».

لا يدري إن كانت صدَّقته أم لا، وخفضَت هي ناظريها قائلةً: «أنا طوع أمركَ يا سِيدي».

كان من الواضح أن هذا أقصى قبولٍ سيناله منها اللَّيلة، وهكذا قبَّل وجنتها حيث صفعَها، على سبيل تخفيف الضَّربة، وقال: «سأرسلُ للإتيان بكِ».

كان ڤارس ينتظر في الاسطبل كما وعدَ، وامتطى تيريون حصانه الذي يبدو أعجف وأقرب إلى الموت، ففتحَ لهما أحد المرتزقة البوَّابة وخرجا صامتيْن. سأَلَ تيريون نفسه وقد أصابَه خوف مباغت: لماذا حكيتُ لها عن تايشا بحَقِّ الآلهة؟ ثمَّة أسرار لا يجب أن تُفشى أبدًا، ضروب من الخزي على الإنسان أن يأخذها معه إلى القبر. ماذا أرادَ منها؟ المغفرة؟ وماذا تعني الطَّريقة التي نظرَت إليه بها؟ هل كرهَت فكرة تنظيف القدور لهذه الدَّرجة أم كرهَت اعترافه؟ قال

جزء في داخله: كيف أقولُ لها هذا وأبقى معتقدًا أنها ستُحِبُّني؟ ورَدَّ جزء آخَر ساخرًا: أيها القزم الأبله، العاهرة لا تُحِبُّ غير الذَّهب والجواهر.

أحسَّ بنبض الألم في مِرفقه المصاب، يصرُّ كلما مَسَّ أحد حوافر الحصان الأرض. أحيانًا يُخَيَّل إليه أنه يسمع العظام تطحن بعضها بعضًا في الدَّاخل. ربما عليه أن يرى مِايسترًا ويَحصُل على عقَّارٍ للألم... لكن منذ أفصحَ پايسل عن حقيقته وتيريون لانستر لا يثق بالمِايسترات البتَّة، فالآلهة وحدها تعلم مع من يتآمَرون أو ما يمزجونه بالأدوية التي يُعطونك إياها. قال بَعد صمت: «ڤارسٍ، أريدُ أن آتي بشِاي إلى القلعة دون أن تدري سرسي»، وبإيجازٍ أبلغَه بما يُفَكِّر فيه إزاء عملها في المطابخ.

أصدرَ الخصيُّ ضحكةً قصيرةً حين انتهى، وقال: «سأفعلُ كما يأمرني سيِّدي بالطَّبع... لكن عليَّ أن أحذِّرك من أن المطابخ ملأى بالعيون والآذان. حتى إذا لم تتعرَّض الفتاة لشكوكٍ بعينها، فسيُلقى عليها ألف سؤال. أين وُلِدَت؟ مَن كان أبواها؟ كيف جاءَت إلى كينجز لاندنج؟ لن تنفع الحقيقة أبدًا، لذا يجب أن تكذب... وتكذب وتكذب»، ورمقَ تيريون من أعلى، وأكملَ: «وخادمة مطبخٍ بجمالها ستُثير الشَّهوة علاوةً على الفضول، وسيلمسونها ويَقرُصونها ويتَحسَّسونها. سيزحف عمَّال المطابخ تحت أغطيتها ليلًا، وقد يسعى طبَّاخ وحيد إلى زواجها، ويعجن الخبَّازون ثدييها بأيدٍ ملوَّثة بالدَّقيق».

قال تيريون: «أفضِّلُ أن تتعرَّض للقرص والتحسُّس على الطَّعن».

مضى ڤارس بضع خطواتٍ في طريقه، قبل أن يقول: «قد تكون هناك وسيلة أخرى. يتصادَف أن الوصيفة التي تخدم ابنة الليدي تاندا تسرق جواهرها، فإذا أبلغتُ الليدي تاندا، ستضطرُّ إلى طرد الفتاة في الحال، وستتطلَّب الابنة وصيفةً جديدةً».

- «مفهوم». رأى تيريون الاحتمالات الواعدة في الحال. وصيفة الليدي ترتدي ثيابًا أفضل من عاملة المطبخ، وغالبًا جوهرةً أو اثنتين، فمن شأن هذا أن يسرَّ شِاي، كما أن سرسي تعدُّ الليدي تاندا مملَّةً واهنة الأعصاب، ولوليس بلهاء بليدةً، فليس من الوارد إذن أن تقوم بأيِّ زياراتٍ ودِّيَّة لهما.

قال ڤارس: «لوليس خانعة وسريعة الثِّقة، وستقبل أيما قيلَ لها. منذ سلبَها

الغوغاء بكارتها وهي خائفة من مغادَرة غُرفتها، أي أن شِاي ستكون بعيدةً عن الأنظار... وقريبةً منك في آنٍ واحد عندما تحتاج منها الرَّاحة».

- «تعلم مِثلي تمامًا أن بُرج اليد مراقَب. مؤكَّد أن سرسي ستَشعُر بالفضول إذا بدأت وصيفة لوليس تتردَّد إليَّ».

- «ربما أستطيعُ إدخال الصَّغيرة غُرفة نومك دون أن تُرى. ماخور شاتايا ليس المكان الوحيد الذي يتمتَّع بباب خفي».

قال تيريون: «تعني أن هناك مدخلًا سرِّيًّا إلى مسكني أنا؟». أفعمَه الضِّيق أكثر من الدَّهشة. لأيِّ سببٍ آخَر غير الحفاظ على تلك الأسرار أمرَ ميجور المتوحِّش بقتل كلِّ البنَّائين الذين عملوا على قلعته؟ «نعم، أعتقدُ أن لا بُدَّ من واحد. وأين أجدُ هذا الباب؟ في غُرفتي الشَّمسيَّة أم غُرفة النَّوم؟».

- «إنك لن تُجبِرني على الكشف عن أسراري كلها يا صديقي، أليس كذلك؟».

- «من الآن فصاعدًا اعتبرها أسرارنا معًا يا ڤارس»، ورفعَ تيريون عينيه إلى الخصيِّ في ثياب التنكُّر مقيتة الرَّائحة، وأردفَ: «بافتراض أنك في صَفِّي...».

- «أترتاب في هذا؟».

تردَّد صدى ضحكته المريرة على النَّوافذ المغلقة، وأجابَ: «أوه، لا، إن ثقتي بك بلا حدود، بل إنني أثقُ بك كما أثقُ بأهلي أنفسهم في الحقيقة! والآن أخبِرني كيف ماتَ كورتناي پنروز».

- «يُقال إنه ألقى نفسه من فوق بُرج».

- «ألقى نفسه؟ لا، لن أصدِّق ذلك!».

- «لم يرَ حُرَّاسه أحدًا يَدخُل مسكنه، ولا وجدوا أحدًا في الدَّاخل بَعدها».

قال تيريون: «إذن دخلَ القاتل قبل ذلك واختبأ تحت الفِراش، أو نزلَ من السَّطح على حبل. ولعلَّ الحُرَّاس يكذبون، فمَن يُمكنه أن يُثبِت أنهم لم يفعلوها بأنفسهم؟».

- «لا ريب أنك محقٌّ يا سيِّدي».

حدَّثت لهجة ڤارس المتعالية تيريون بالعكس، فقال: «لكنك لا تُؤَيِّدني؟ كيف قُتِلَ الرَّجل إذن؟».

مرَّت فترة طويلة دون أن يقول ڤارس شيئًا، والصَّوت الوحيد كان ذلك الوقع الجليل لحوافر الخيول على الأرض المرصوفة بالحجارة، قبل أن يتنحنَح الخصيُّ أخيرًا ويقول: «هل تُؤمِن بالقُوى القديمة يا سيِّدي؟».

بصبرٍ نافدٍ سألَه تيريون: «تعني السِّحر؟ تعاويذ الدَّم واللَّعنات وتبديل الهيئة؟ تلك الأشياء؟»، وأضافَ ساخرًا: «أتقترح أن السير كورتناي قُتِلَ بالسِّحر؟».

- «السير كورتناي تحدَّى اللورد ستانيس بنزالٍ فردي صبيحة وفاته. قُل لي، أهذا تصرُّف رجلٍ تمكَّن منه اليأس؟ ثم إن هناك مسألة اغتيال رنلي الغامض، الذي حدثَ في الوقت المناسب تمامًا بينما تستعدُّ صفوفه لاكتساح أخيه من ميدان المعركة»، وصمتَ الخصيُّ لحظةً، ثم قال: «سألتني ذات مرَّةٍ يا سيِّدي كيف قُطِعَت أعضائي».

قال تيريون: «أتذكَّر، لكنك لم ترغب في الكلام عن ذلك».

- «وما زلتُ لا أرغبُ، وإنما...». طالَ الصَّمت هذه المرَّة، وحين تكلَّم ڤارس كان صوته مختلفًا بشكلٍ ما: «كنتُ صبيًّا يتيمًا أتدرَّبُ مع فرقةٍ مسرحيَّة جوَّالة، وامتلكَ سيِّدنا سفينةً صغيرةً سافَرنا بها عبر البحر الضيِّق لنُؤدِّي عروضنا في المُدن الحُرَّة، وفي البلدة القديمة وكينجز لاندنج بين الحين والآخَر. ذات يوم في مير أتى رجل معيَّن إلى فرقتنا بَعد المسرحيَّة وقدَّم عرضًا وجدَه سيِّدي مغريًا لا يُمكن رفضه. كنتُ مرعوبًا، وخشيتُ أن الرَّجل يرغب في استغلالي كما سمعتُ عمَّن يستغلُّون الصِّبية الصِّغار، لكن الحقيقة أن الجزء الوحيد الذي احتاجَه مني كان ذَكري. سقاني عِقَّارًا أعجزَني عن الحركة والكلام، وإن لم يفعل شيئًا لتخدير حواسي، وبسكِّينٍ طويلٍ معقوف قطعَ ذَكري وخصيتيَّ وهو يترنَّم طول الوقت. رأيته يُحرقُ ذكورتي على مستوقَد، واستحالَ لون اللَّهب إلى الأزرق، وسمعتُ صوتًا يُجيب نداءه، وإن لم أفهم الكلام الذي قالاه. كان الممثِّلون قد أبحَروا بالفعل لمَّا فرغَ مني، وطردَني الرَّجل بَعدما استنفدَ غرضه، وحين سألته عمَّا أفعله الآن، أجابَ أن عليَّ أن أموت. هكذا عزمتُ على العيش نكايةً فيه، وتسوَّلتُ وسرقتُ وبعتُ ما تبقَّى لي من جسدي، وسرعان ما أصبحتُ واحدًا من أمهر اللُّصوص في

مير، وعندما كبرتُ تعلَّمتُ أن محتويات رسائل الرَّجل أقيم من محتويات كيس نقوده. لكني لا أزالُ أرى تلك اللَّيلة في أحلامي يا سيِّدي. لا أحلمُ بالمشعوذ أو سكِّينه، ولا حتى بذَكري الذي انكمشَ إذ احترقَ، بل بالصَّوت، الصَّوت الذي خرجَ من اللَّهب. أكان إلهًا أم شيطانًا أم حيلة ساحر؟ لا أدري مع أني أعرفُ كلَّ الحيل. كلُّ ما أستطيعُ أن أوكِّده أن الرَّجل نادى والصَّوت أجابَ، ومنذ ذلك اليوم وأنا أبغضُ السِّحر وكلَّ من يُمارِسونه، فإذا كان ستانيس منهم، فإنني أنوي أن يموت».

قطَعا الطَّريق بصمتٍ بعض الوقت عندما انتهى، ثم قال تيريون: «حكاية مروِّعة. أنا آسف».

تنهَّد الخصيُّ وقال: «أنت آسف، لكنك لا تُصَدِّقني. لا يا سيِّدي، لا حاجة للاعتذار. كنتُ مخدَّرًا وأتألَّم، وكان هذا منذ زمنٍ طويل في مكانٍ بعيد وراء البحر. لا شَكَّ أني توهَّمتُ ذلك الصَّوت، هذا ما قُلته لنفسي ألف مرَّة».

قال تيريون: «إنني أومنُ بالسُّيوف الفولاذ والنُّقود الذَّهب وذكاء البَشر، وأومنُ بأنه كانت هناك تنانين ذات يوم، فقد رأيتُ جماجمها بعينيَّ».

- «لنأمل أن يكون هذا أسوأ شيءٍ تراه يا سيِّدي».

ابتسمَ تيريون قائلًا: «في هذا نتَّفق. وبالنِّسبة لموت السير كورتناي، فنحن نعرف أن ستانيس استأجرَ قراصنةً من المُدن الحُرَّة، فلعلَّه استأجرَ قاتلًا بارعًا كذلك».

- «قاتلًا بارعًا للغاية».

- «لأمثاله وجود. اعتدتُ أن أحلم بأن أكون ثريًّا بما يكفي لاستئجار واحدٍ من الرِّجال عديمي الوجوه لقتل أختي العزيزة».

قال ڤارس: «بغَضِّ النَّظر عن كيفيَّة موت السير كورتناي، فقدَ ماتَ وسقطَت القلعة، وستانيس جاهز للزَّحف».

- «هل من فُرصةٍ لإقناع الدورنيِّين بالهجوم على التُّخوم؟».

- «بتاتًا».

- «يا للخسارة. طيِّب، قد يُفلِح التَّهديد في إبقاء لوردات التُّخوم على مقربةٍ من قلاعهم. هل من أخبارٍ عن أبي؟».

- «لم يصلني خبر يُفيد بعبور اللورد تايوين الفرع الأحمر بعدُ. ربما يعلق بين أعدائه إذا لم يُسرِع، فقد شوهِدَت ورقة شجر أوكهارت وشجرة روان شَمال نهر الماندر».

- «ولا أخبار من الإصبع الصَّغير؟».

- «لعلَّه لم يَبلُغ «جسر العلقم» قَطُّ، ولعلَّه ماتَ هناك. راندل تارلي استحوذَ على ذخائر وعتاد رنلي، وقتَّل كثيرين، أغلبهم من رجال فلورنت، واللورد كازويل أغلقَ قلعته على نفسه».

وألقى تيريون رأسه إلى الوراء وانفجرَ ضاحكًا...

جذبَ ڤارس عنان حصانه قائلًا بدهشة: «سيِّدي؟».

قال تيريون: «ألا ترى الملهاة يا لورد ڤارس؟»، ولوَّح بيده نحو النَّوافذ المغلقة والمدينة النَّائمة كلها، وتابعَ: «ستورمز إند سقطَت، وستانيس قادم بالنَّار والفولاذ، والآلهة وحدها تعلم أيُّ قُوى سوداء أخرى، والعامَّة بلا چايمي يحميهم، ولا روبرت ولا رنلي ولا ريجار ولا فارس الزُّهور الغالي. ليس لديهم غيري، الرَّجل الذي يكرهونه»، وضحِكَ ثانيةً وأضافَ: «القزم، المستشار الشرِّير، القرد الشَّيطاني المنحرف. أنا كلُّ ما يحول بينهم والفوضى الآن».

كاتلين

- «قولي لأبي إنني ذهبتُ لأجعله يفخر بي»، قال أخوها، ووثبَ على حصانه وقد بدا مهيبًا من الرَّأس إلى القدمين في دِرعه اللَّامعة ومعطفه ذي لونيِّ الطَّمي والماء، بينما زيَّنت ريشة خوذته العظيمة سمكة ترويت فضِّيَّة هي صورة مطابقة لتلك المرسومة على تُرسه.

- «لطالما كان فخورًا بك يا إدميور، ويُحِبُّك حُبًّا جمًّا، صدِّقني».

قال: «سأعطيه سببًا أفضل من مجرَّد النَّسب»، ودارَ بجواده الحربي ورفعَ يده، فنُفِخَ في الأبواق ودوَّت دقَّات طبلة، ونزلَ الجسر المتحرِّك بحركاتٍ متشنِّجة، ثم خرجَ السير إدميور تَلي من ريفرزَن على رأس رجاله برماحهم المرفوعة وراياتهم الخفَّاقة.

فكَّرت كاتلين وهي تُشاهِدهم يرحلون: لديَّ جيش أكبر من جيشك يا أخي، جيش من الشُّكوك والمخاوف.

إلى جوارها كادَ بؤس بريان يكون ملموسًا. كانت كاتلين قد أمرَت بحياكة فساتين لها، فساتين أنيقة تَليق بنَسبها وجنسها، ومع ذلك ظلَّت تُفَضِّل ارتداء قطع غير متناسقة من الحلقات المعدنيَّة والجِلد المقوَّى، وقد ربطَت حزام السَّيف حول خصرها. لا ريب أنها كانت لتسعد أكثر بالذَّهاب إلى الحرب مع إدميور، لكن حتى الأسوار القويَّة كتلك المحيطة بريفرزَن تحتاج من يُدافِع عنها، لا سيَّما أن أخاها أخذَ كلَّ رجلٍ سليم البدن معه إلى المخاضات، تاركًا السير دزموند جرل يقود حاميةً تتألَّف من الجرحى والمسنِّين والمرضى، بالإضافة إلى عددٍ من المُرافِقين وأبناء الفلَّاحين الذين لم يتلقَّوا أيَّ تدريبٍ أو يَبلُغوا الرُّجولة حتى.

هؤلاء يُدافِعون عن قلعةٍ تكتظُّ بالنِّساء والأطفال.

سألَت برِيان حين خرجَ آخِر مُشاة إدميور من تحت الشَّبكة الحديديَّة: «ماذا نفعل الآن يا سيِّدتي؟».

- «نؤدِّي واجبنا». كانت ملامح كاتلين مشدودةً بينما بدأت تقطع السَّاحة مفكِّرةً: دائمًا ما أدَّيتُ واجبي. ربما لهذا السَّبب تعلَّق بها السيِّد والدها أكثر من أطفاله كلهم. كلا أخويها الكبيريْن ماتَ في المهد، فكانت بمثابة ابنٍ فضلًا عن كونها ابنةً للورد هوستر إلى أن وُلِدَ إدميور، ثم ماتَت أمُّها وقال لها أبوها إن عليها أن تكون سيِّدة ريڤررَن الآن، فأدَّت واجبها حينئذٍ أيضًا، ولمَّا وعدَها أبوها لبراندون ستارك، شكرَته لأنه رتَّب لها زيجةً رفيعة المقام كهذه.

منحتُ براندون عطيَّتي، ولم أواسِ پيتر مرَّةً عقب إصابته، ولم أودِّعه عندما صرفَه أبي. ثم حين قُتِلَ براندونَ وأخبرَني أبي أن عليَّ أن أتزوَّج أخاه، قبلتُ بسرورٍ على الرغم من أني لم أرَ وجه ند حتى يوم زفافنا. سلَّمتُ بكارتي لهذا الغريب الرَّصين وتركته يذهب إلى حربه وملكه والمرأة التي حملَت له نغله، لأني أدَّيتُ واجبي دومًا.

قادَتها خُطاها إلى السِّپت، المعبد سُباعي الجُدران المشيَّد وسط حدائق أمِّها وتملأه أضواء بألوان قوس قزح. كان مزدحمًا عندما دخلَت كاتلين، فليست هي الوحيدة التي تحتاج أن تُصَلِّي. ركعَت أمام صورة «المُحارِب» المرسومة على الرُّخام، وأشعلَت شمعةً لإدميور وأخرى لروب الغائب وراء التِّلال، وصلَّت: احفظهما وأعِنهما على النَّصر، وامنح أرواح القتلى الرَّاحة، ومَن تركوا وراءهم المواساة.

دخلَ السِّپتون بمبخرته وبلَّورته إذ صلَّت، فانتظرَت كاتلين لحضور الشَّعائر. لا تعرف هذا السِّپتون، لكنه شابٌّ جادٌّ قريب من إدميور في السِّن، يؤدِّي مهامَّ عمله بكفاءة، ولديه صوت عذب يسرُّ الأنفُس حينما يُنشِد مقرِّظًا «السَّبعة»، وإن وجدَت كاتلين نفسها شاعرةً بالحنين إلى نغمات صوت السِّپتون أوزميند المرتعشة. لقد رحلَ أوزميند عن الدُّنيا منذ زمنٍ طويل، لكنه كان ليُصغي بصبرٍ وهي تحكي عمَّا شهدَته وأحسَّت به في سُرادق رنلي، ولربما كان ليدري ما يعنيه هذا كذلك، وما عليها أن تفعله لتتخلَّص من

الظِّلال التي تُلاحِقها في أحلامها. أوزميند، أبي، عمِّي برايندن، المِايستر كيم العجوز... كان يبدو دومًا أنهم يعرفون كلَّ شيء، بينما لا يوجد غيري الآن، ويبدو أني لا أعرفُ أيَّ شيء، حتى واجبي نفسه. كيف أؤدِّي واجبي إن كنتُ أجهلُ موضعه؟

كانت رُكبتاها متصلِّبتين حين نهضَت، وإن لم تَشعُر بأن حكمتها ازدادَت مقدار خردلة. ربما تذهب إلى أيكة الآلهة اللَّيلة وتُصَلِّي لآلهة ند بدورها، فهي أقدم من «السَّبعة».

سمعَت في الخارج أغنيَّةً من نوع مختلف تمامًا. كان رايموند النَّاظم جالسًا عند المَخمرة وسط حلقةٍ من السَّامعين، يرنُّ صوته العميق إذ يُغَنِّي عن اللورد ديريموند في المرج الدَّامي.

وهناك وقفَ وسيفه في يده
عاشِر رجال داري، وآخرهم...

وقفَت برِيان تُصغي، كتفاها العريضتان محدَّبتان وذراعاها الغليظتان متقاطعتان على صدرها، بينما جرَت مجموعة من الصِّبيان مرتدي الأسمال من أمامها، وقد راحوا يَصرُخون مرحًا ويتبارَزون بالعِصي. لماذا يُحبُّ الصِّبية لعب الحرب لهذه الدَّرجة؟ تساءلَت كاتلين إن كان رايموند هو الإجابة، إذ ارتفعَ صوت المغنِّي وهو يدنو من نهاية الأغنيَّة.

وحمراء كانت وُريقات الكلأ تحت قدميه
وحمراء كانت راياته
وحمراء كانت الشَّمس الغاربة
التي غمرَته بالضِّياء

حينها صاحَ اللورد العظيم: «هلمُّوا، هلمُّوا، ما زال سيفي جائعًا».

وبصرخة غضبٍ هادرة
تدفَّقوا مجتازين الغدير

قالت بريان: «القتال أفضل من هذا الانتظار. إنكِ لا تَشعُرين بالعجز حين تُقاتِلين، فلديكِ سيف وحصان، وفأس أحيانًا. من الصَّعب أن يُؤذيكِ أحد وأنت مدرَّعة».

ذكَّرتها كاتلين: «الفُرسان يموتون في المعارك».

رمقَتها بريان بهاتين العينين الزَّرقاوين الجميلتين، وقالت: «كما تموت النِّساء أثناء الوضع، لكن لا أحد يُغَنِّي عنهن».

عادَت كاتلين تتحرَّك قاطعةً السَّاحة، وردَّت: «الأطفال معركة من نوعٍ آخَر، معركة بلا راياتٍ أو أبواق، لكن لا تقلُّ ضراوةً. أن تحملي طفلًا وتأتيَ به إلى الدُّنيا... لا بُدَّ أن أمَّكِ حكَت لكِ عن هذا الألم».

قالت بريان: «لم أعرف أمِّي قَطُّ. ثمَّة ليديهات عرفهن أبي... ليدي مختلفة كلَّ عام، لكن...».

- «هؤلاء لسن ليديهات. مهما كانت صعوبة الولادة يا بريان، فما يأتي بَعدها أصعب وأصعب. أحيانًا أشعرُ كأني ممزَّقة إربًا، فليت هناك خمس مني، واحدة لكلٍّ من أطفالي، كي أستطيع حمايتهم جميعًا».

- «ومَن يحميكِ أنتِ يا سيِّدتي؟».

أجابَت بابتسامةٍ خافتة واهنة: «رجال عائلتي بالطَّبع، أو أن هذا ما علَّمتنيه أمِّي. السيِّد والدي وأخي وعمِّي وزوجي يحمونني... لكن ما داموا بعيدين عني، فأظنُّ أن عليكِ سَدَّ فراغهم يا بريان».

خفضَت الفتاة رأسها قائلةً: «سأحاولُ يا سيِّدتي».

في وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه جاءَ المايستر ڤايمان حاملًا رسالةً، فالتقَته في الحال آملةً أنها تحمل أخبارًا من روب أو السير رودريك في وينترفل، لكن اتَّضح أن الرِّسالة من المدعو اللورد ميدوز الذي يقول إنه أمين قلعة ستورمز إند. كانت موجَّهةً إلى أبيها أو أخيها أو ابنها (أو مَن يُسَيطِر الآن على ريفَررَن أيًّا كان)، وكتبَ الرَّجل أن السير كورتناي پنروز ماتَ، وفتحَت ستورمز إند

للملك والوريث الشَّرعي ستانيس باراثيون، كما أقسمَ جميع رجال حامية القلعة على مناصَرته في قضيَّته، ولم ينَل أحدهم أذى.

غمغمَت كاتلين: «باستثناء السير كورتناي». إنها لم تلتقِ الرَّجل قَطُّ، لكنها حزنَت لرحيله. «يجب أن يعرف روب بهذا في الحال. أنعرف أين هو الآن؟».

أجابَ المِايستر ڤايمان: «آخِر خبرٍ يقول إنه يزحف إلى «الجُرف»، مقر عائلة وسترلينج. إذا أرسلتُ غُدافًا إلى آشمارك، فربما يُمكنهم أن يبعثوا إليه خيَّالًا من هناك».

- «افعل هذا».

عادَت كاتلين تقرأ الرِّسالة بَعد ذهاب المايستر، ثم قالت لبِريان: «اللورد ميدوز لم يَذكُر شيئًا عن نغل روبرت. أعتقدُ أنه سلَّم الصَّبي مع البقيَّة، وإن كنتُ أعترفُ بأني لا أفهمُ لماذا أرادَه ستانيس بهذه الشدَّة».

- «لعلَّه يخشى دعوى الصَّبي».

- «دعوى نغل؟ لا، هناك سبب آخَر... كيف يبدو الولد؟».

- «إنه في السَّابعة أو الثَّامنة من العُمر، وسيم، شَعره أسود وعيناه زرقاوان لامعتان. كثيرًا ما حسبَه الزوَّار ابن اللورد رنلي نفسه».

قالت كاتلين وقد بدأت تستوعب: «ورنلي كان يُشبِه روبرت. ستانيس ينوي أن يعرض نغل أخيه على البلاد، كي يرى النَّاس وجه روبرت في ملامحه ويتساءَلوا لِمَ يغيب الشَّبه تمامًا من ملامح چوفري».

- «وهل يفرق هذا كثيرًا؟».

- «من يُؤَيِّدون ستانيس سيقولون إنه دليل، ومن يُؤَيِّدون چوفري سيقولون إنه لا يعني شيئًا». في ملامح أطفالها من عائلة تَلي أكثر من ستارك، وآريا هي الوحيدة التي يتبدَّى وجه نِد في قسماتها. وچون سنو أيضًا، لكنه ليس ابني. وجدَت نفسها تُفكِّر في أمِّ چون، الحُب السِّرِّي الغامض الذي لم يتكلَّم زوجها عنه قَطُّ. أتُراها حزينة على نِد مِثلي؟ أم أنها كرهَته لأنه هجرَ فِراشها إلى فِراشي؟ أتُصَلِّي من أجل ابنها كما أصلِّي من أجل أبنائي؟

إنها أفكار مزعجة، ولا طائل منها كذلك. إذا كان چون ولد أشارا داين ابنة قلعة ستارفول كما تهامسَ البعض، فالليدي ماتَت منذ زمنٍ بعيد، وإن لم تكن

هي الأمُّ، فلا تملك كاتلين أدنى فكرة مَن أو أين قد تكون... ولا فارق، فقد ماتَ ند، ومعه ماتَت غراميَّاته وأسراره.

ومع ذلك عادَت الدَّهشة تُراوِدها من الطَّريقة التي يتصرَّف بها الرِّجال حيال نغولهم. لطالما شملَ ند چون بحمايةٍ وثيقة، والسير كورتناي پنروز دفعَ حياته ثَمنًا لحماية إدريك ستورم هذا، بينما كانت منزلة نغل رووس بولتون عند أبيه تقلُّ عن منزلة واحدٍ من كلابه، كما قدَّرت من لهجة الرِّسالة العجيبة التي تلقَّاها إدميور منه قبل أقلِّ من ثلاثة أيام. كتبَ بولتون أنه عبرَ الثَّالوث في الطَّريق إلى هارنهال حسب أوامره، وأضافَ: «إنها قلعة حصينة وحاميتها قويَّة، لكن جلالته سيَحصُل عليها، حتى إذا اضطررتُ لأن أقتل كلَّ نفس داخلها»، وقال إنه يأمل أن يُوازِن جلالته هذا الإنجاز مع جرائم ابنه غير الشَّرعي، الذي قتلَه رجال السير رودريك كاسل، وتابعَ: «الدَّم الملوَّث خوَّان دائمًا، ورامزي كان خبيثًا وجشعًا ومتوحِّشًا بطبيعته، وأعدُّ نفسي محظوظًا للخلاص منه، كما أن الأبناء الشَّرعيِّين الذين وعدَتني بهم زوجتي الشابَّة لم يكونوا ليعيشوا آمنين أبدًا وهو على قيد الحياة».

طردَ صوت الخطوات المسرعة الأفكار الكئيبة من عقلها، واندفعَ مُرافِق السير دزموند إلى الغرفة لاهثًا، وركعَ قائلًا: «سيِّدتي... جنود لانستر... عبر النَّهر».

- «التقِط نفسًا طويلًا يا فتى وتكلَّم ببُطء».

فعلَ كما أمرَته، وقال: «فرقة من الرِّجال المدرَّعين على ضفَّة الفرع الأحمر الأخرى، يرفعون راية يونيكورن أرجواني تحت أسد لانستر».

أحد أبناء اللورد براكس. كان براكس قد زارَ ريڤررَن مرَّةً في صِغرها، ليعرض زواج أحد أبنائه بها أو بلايسا، وتساءلَت كاتلين إن كان ذلك الابن نفسه يقود الهجوم الآن.

قال لها السير دزموند عندما انضمَّت إليه على الشُّرفات إن جنود لانستر أتوا من الجَنوب الشَّرقي حاملين الرَّايات اللَّامعة، وأضافَ مُطَمْئِنًا: «إنها مجموعة صغيرة من الكشَّافة لا أكثر. الجزء الأساسي من جيش اللورد تايوين بعيد في الجَنوب. لسنا في خطرٍ هنا».

تنبسِط الأرض جَنوب الفرع الأحمر مسطَّحةً مفتوحةً، فاستاطعَت كاتلين أن ترى مسافة أميالٍ من مكانها أعلى بُرج الحراسة، وعلى الرغم من ذلك ظلَّت المخاضة الأقرب إلى القلعة وحدها ظاهرةً. كان أخوها قد ائتمنَ اللورد چيسون ماليستر على دفاعاتها، بالإضافة إلى ثلاث مخاضاتٍ أخرى في اتِّجاه منبع النَّهر. تحرَّكَ خيَّالة لانستر بلا هدفٍ واضح بالقُرب من الماء، تخفق راياتهم القرمزيَّة والفضِّيَّة في الرِّيح، وقال السير دزموند مقدِّرًا: «ليسوا أكثر من خمسين يا سيِّدتي».

شاهدَت كاتلين الخيَّالة ينتشرون في صَفٍّ طويل، بينما انتظرَهم رجال اللورد چيسون وراء الصُّخور والحشائش والأكَمات، ثم نُفِخَ في بوقٍ فتقدَّم الخيَّالة بتؤدةٍ خائضين النَّهر، ومرَّت فترة من الوقت قدَّموا خلالها عرضًا شُجاعًا براياتهم المرفرِفة ودروعهم البرَّاقة، وقد انعكسَ نور الشَّمس على رؤوس رماحهم.

سمعَت بريان تُتَمتِم: «الآن».

كان من الصَّعب تبيُّن ما يَحدُث، وإن بلغَهم صراخ الخيول المرتفع رغم بُعد المسافة، وبصوتٍ أكثر خفوتًا من الصُّراخ سمعَت كاتلين تقارُع الفولاذ بالفولاذ. اختفَت واحدة من الرَّايات فجأةً وقد اكتُسِحَ حاملها، وسرعان ما طفَت الجثَّة الأولى التي دفعَها التيَّار لتمرَّ بأسوارهم. عندئذٍ كان جنود لانستر قد انسحَبوا بارتباك، وراقبَتهم كاتلين وهُم يُعيدون تنظيم صفوفهم ويتشاوَرون بإيجاز، ثم يهرعون عائدين من حيث أتوا، بينما يرميهم الرِّجال على الأسوار بالشَّتائم، وإن كانوا أبعد كثيرًا من أن يسمعوها.

ربَّت السير دزموند على بطنه قائلًا: «ليت اللورد هوستر شاهدَ ما حدثَ، كان ليَرقُص طربًا».

قالت كاتلين: «أخشى أن أيام رقص أبي ولَّت، وأن هذا القتال ما زال في بدايته. اللورد تايوين سيُهاجِم ثانيةً، فلديه ضِعف أعداد أخي».

رَدَّ السير دزموند: «ولو أن لديه عشرة أضعاف فلا فارق. ضفَّة الفرع الأخضر الغَربيَّة أعلى من الشَّرقيَّة يا سيِّدتي، وأشجارها كثيفة، ما يعني أن رُماتنا مستترون بغطاءٍ مناسب وأمامهم مجال مفتوح لإطلاق سهامهم... وإذا

وقعَت ثغرة، فأفضل فُرسان إدميور موجودون في قوَّات الاحتياط، وجاهزون للإسراع إلى أكثر موقع يحتاجهم. سيصدُّ النَّهر أعداءنا».

قالت كاتلين بلهجةٍ جادَّة: «أسألُ الآلهة أن تكون محقًّا».

ليلتها عادوا ثانيةً.

كانت كاتلين قد أمرَت بأن يوقِظوها في الحال إذا عادَ العدوُّ، وبَعد منتصَف اللَّيل بعدَّة ساعات مسَّت خادمة كتفها برفقٍ، فاعتدلَت كاتلين جالسةً وسألَت: «ما الأمر؟».

- «المخاضة مرَّة أخرى يا سيِّدتي».

صعدَت كاتلين إلى سطح الحصن مدَّثِّرةً بمعطف النَّوم. من هناك تستطيع أن ترى وراء الأسوار والنَّهر المُضاء بنور القمر حيث احتدمَت المعركة. كان المدافِعون قد أشعَلوا نار حراسةٍ بطول الضفَّة، وعلى الأرجح حسبَ جنود لانستر أنهم سيجدونهم معمِّين أو غافلين، وإذا كان هذا صحيحًا فهي حماقة، فالظَّلام حليف غير مضمون في أفضل الأحوال. خاضوا في الماء محاولين العبور، فخطوا في بِركٍ خفيَّة وسقَطوا ناثرين المياه، ومنهم من تعثَّروا في الصُّخور أو شجَّت أرجُلَ الغِربان المخبَّأة أقدامهم، فيما أطلقَ عليهم رُماة ماليستر عاصفةً من السِّهام النَّارية عبر النَّهر، بدَت جميلةً على نحوٍ غريبٍ من بعيد، ورأت كاتلين رجلًا اخترقَت جسده دستة من السِّهام واشتعلَت ثيابه يترنَّح ويدور وقد غاصَ في الماء حتى الرُّكبتين، حتى سقطَ أخيرًا وكنسَه التيَّار، وحين مَرَّ بريفْررَن كانت ناره وحياته قد انطفأتا.

قالت كاتلين لنفسها لمَّا انتهى القتال وذابَ النَّاجون من جنود العدوِّ في سواد اللَّيل: انتصار صغير، لكن انتصار. سألَت بريان عن رأيها وهما تنزلان سلالم البُرج الملتفَّة، فأجابَت الفتاة: «هذه مجرَّد لمسة بأطراف أصابع اللورد تايوين يا سيِّدتي. إنه يجسُّ النَّبض، يبحث عن معبر بلا دفاعات، عن نقطة ضَعف، وإذا لم يجد واحدةً، فسيضمُّ قبضته ويُحاوِل أن يصنعها بنفسه»، وحنَت بِريان كتفيها مضيفةً: «هذا ما سأفعله لو أني مكَانه»، ونزلَت يدها إلى مقبضٍ سيفها وربَّتت عليه، كأنها تستوثِق من أنه لا يزال في غِمده.

فكَّرت كاتلين: ولتُساعِدنا الآلهة حينئذٍ. وهي بلا حيلة في هذا. معركة أخيها هناك عند النَّهر، ومعركتها بين أسوار القلعة.

في الصَّباح التَّالي، فيما تناولَت إفطارها، استدعَت وكيل أبيها الشَّيخ أوثيرايدس واين، وقالت له: «أرسِل إبريقًا من النَّبيذ إلى السير كليوس فراي. أعتزمُ استجوابه، وأريدُ لسانه طليقًا».

- «كما تأمرين يا سيِّدتي».

بَعدها بفترةٍ ليست بالطَّويلة جاءَ خيَّال على صدره نسر عائلة ماليستر برسالةٍ من اللورد چيسون، تُخبِرهم عن مناوَشةٍ أخرى وانتصارٍ جديد. السير فليمنت براكس حاولَ أن يفتح ثغرةً للعبور عند مخاضةٍ أخرى تَبعُد ستَّة فراسخ جَنوبًا، وهذه المرَّة قصَّر جنود لانستر رماحهم وتقدَّموا عبر النَّهر من وراءها على الأقدام، لكن وابلًا من سهام رُماة ماليستر انهمرَ على تروسهم من زاويةٍ مقوَّسة عالية، بينما قذفَتهم العرَّادات التي نصبَها إدميور على الضفَّة بالحجارة الثَّقيلة التي هوَت عليهم محطِّمةً تشكيلهم. قال الخيَّال: «تركوا دستةً من الموتى في الماء، واثنان منهم فقط بلغا المنطقة الضَّحلة، وتعامَلنا معهما بحسم»، وأبلغَهم أيضًا بقتالٍ آخَر دارَ في اتِّجاه مصبِّ النَّهر، حيث يُدافِع اللورد كاريل ڤانس عن المخاضات، وقال: «سرعان ما تَمَّ صَدُّ هذه الهجمات أيضًا، وتجشَّم العدوُّ خسائر جسيمة».

لعلَّ إدميور أكثر حكمةً مما حسبتُ. كلُّ لورداته رأوا العقل في خُططه، فلماذا كنتُ عمياء؟ أخي لم يَعُد الصَّبي الصَّغير الذي أتذكَّره، تمامًا كروب.

انتظرَت حتى المساء قبل أن تذهب إلى السير كليوس فراي، وقد فكَّرت أنها كلما تأخَّرت سيكون سكرانًا أكثر، وحين دخلَت زنزانة البُرج، هرعَ السير كليوس يعتدل راكعًا على رُكبتيه ويقول: «سيِّدتي، لم أكن أعرفُ أيَّ شيءٍ عن محاوَلة التَّهريب. العِفريت قال إنه ينبغي أن يُصاحِب ابن لانستر حَرس من جنود لانستر، أقسمُ بشَرفي كفارس...».

جلسَت كاتلين قائلةً: «انهض أيها الفارس. أعرفُ أن لا حفيد لوالدر فراي ناقضٍ للعهد». ما لم يكن في هذا خدمة لمصالحه. «يقول أخي إنك أحضرت شروطًا للسَّلام».

قال السير كليوس وهو ينهض بسرعة: «نعم»، وسرَّها أن تراه غير متَّزن.

- «أخبِرني»، قالت آمرةً، ففعلَ، وحين انتهى جلسَت كاتلين عاقدةً حاجبيها. إدميور على حَق، فهذه ليست شروطًا على الإطلاق، باستثناء... «لانستر سيُبادِل آريا وسانزا بأخيه؟».

- «أجل. جلسَ على العرش الحديدي وأقسمَ على هذا».

- «أمام شهود؟».

- «أمام البلاط كله يا سيِّدتي، والآلهة كذلك. هذا ما قُلته للسير إدميور، لكنه قال إن ذلك غير ممكن، وإن جلالته روب لن يُوافِق أبدًا».

- «ما قاله صحيح». إنها لا تستطيع حتى أن تقول إن روب مخطئ، لأن آريا وسانزا مجرَّد طفلتين، أمَّا التخلِّي عن قاتِل الملك فيعني أن يكون أحد أخطر الرِّجال في البلاد حيًّا طليقًا. تعرف أن هذا الطَّريق مسدود، وهكذا قالت: «هل رأيت ابنتيَّ؟ هل تُعامَلان معاملةً حسنةً؟».

تردَّد السير كليوس قبل أن يقول بارتباك: «إنني... نعم، بديتا...».

يبحث عن كذبة، لكن النَّبيذ بلبلَ تفكيره. قالت ببرود: «سير كليوس، لقد فرَّطت في الحماية التي تكفُلها لك راية السَّلام عندما احتالَ علينا رجالك. اكذب عليَّ وستُشنَق على الأسوار إلى جوارهم، صدِّق هذا. سأسألك مرَّةً أخرى، هل رأيت ابنتيَّ؟».

تصبَّب العَرق على جبهته وهو يُجيب: «رأيتُ سانزا في البلاط يوم أخبرَني تيريون بشروطه، وبدَت رائعة الجمال يا سيِّدتي، وإنما شاحبة بعض الشَّيء، متعَبة ربما».

سانزا ولكن ليس آريا. قد يعني هذا أيَّ شيء. لطالما كان ترويض آريا أصعب، ولعلَّ سرسي متردِّدة في عرضها على الملأ أمام البلاط، خشية ما قد تقوله أو تفعله. ربما حبَسوها في مكانٍ آمن. أو ربما قتَلوها. أزاحَت كاتلين الخاطر عن بالها، وقالت: «تقول إنها شروطه، لكن سرسي هي الملكة الوصيَّة على العرش».

- «تيريون تكلَّم بلسانيهما، فالملكة لم تكن حاضرةً يومها، وقيلَ لي إنها كانت متوعِّكةً».

- «غريب». عادَت كاتلين بذاكرتها إلى تلك الرِّحلة الرَّهيبة في جبال

القمر، والطَّريقة التي أغرى بها تيريون لانستر المرتزِق الذي كان في خدمتها واجتذبَه إلى صَفِّه بشكلٍ ما. القزم داهية حقيقي. لا تتخيَّل كيف نجا من الطَّريق العالي بَعد أن صرَفَته لايسا من «الوادي»، لكنها ليست مندهشةً. لم يلعب دورًا في مقتل ند على الأقل، وهَبَّ للدِّفاع عني حين هاجمَنا رجال القبائل. إذا كان يُمكنني الوثوق بكلمته...

فتحَت يديها ورمقَت النُّدوب في أصابعها، وذكَّرت نفسها: هذه آثار خنجره، الخنجر الذي حملَه القاتل الذي دفعَ له ليذبح بران. مع أن القزم أنكرَ الاتِّهام، وحتى بَعدما حبسَته لايسا في واحدةٍ من زنازين السَّماء وهدَّدته بباب القمر ظَلَّ يُنكِر. قالت ناهضةً بغتةً: «لقد كذبَ. كلُّ أولاد لانستر كذَّابون، والقزم أسوأهم. القاتل كان مسلَّحًا بسكِّينه».

حدَّق السير كليوس فيها قائلًا: «لا أعرفُ شيئًا عن...».

قالت دائرةً على عقبيها لتُغادِر من الزِّنزانة: «نعم، لا تعرف شيئًا»، وانضمَّت برِيان إليها بصمت. فكَّرت كاتلين شاعرةً بالحسد يخزها: الأمر أبسط بالنِّسبة لها. إنها كالرِّجال، فعند الرَّجل الإجابة واحدة دومًا، أقصى بُعدٍ لها هو السَّيف الأقرب إليه، أمَّا عند المرأة، عند الأُم، فالطَّريق أوعر وأكثر غموضًا.

تناولَت عشاءً متأخِّرًا ليلتها مع أفراد الحامية، كي تمنحهم ما تقوى عليه من تشجيع، وغنَّى رايموند النَّاظم مصاحبًا الأصناف كلها وموفِّرًا عليها الحاجة إلى الكلام، وختمَ بأغنيَّةٍ ألَّفها عن انتصار روب في أوكسكروس. «ونجوم اللَّيل أعيُنُ ذئابه، والرِّيح ذاتها أنشودتهم». بين الأبيات كان رايموند يُلقي رأسه إلى الوراء ويعوي، ومع نهاية الأغنيَّة كان نِصف من في القاعة يعوون معه، حتى دزموند جرِل الذي أفرطَ في الشُّرب، وتردَّدت أصواتهم بين عوارض السَّقف.

فكَّرت كاتلين وهي تُداعِب كأسها الفضِّيَّة: فليشدوا بأغانيهم ما دامَت تبثُّ فيهم الشَّجاعة.

قالت برِيان بهدوء: «دائمًا كان هناك مغنُّون في بهو المساء في طفولتي، وحفظتُ كلَّ الأغاني عن ظَهر قلب».

- «سانزا أيضًا حفظَتها، مع أن مغنِّين قلائل كانوا يُكلِّفون أنفسهم جهد قطْع الرِّحلة شَمالًا إلى وينترفل». لكني قلتُ لها إنه سيكون هناك مغنُّون في بلاط الملك، قلتُ لها إنها ستسمع موسيقى من كلِّ الألوان، وإن أباها سيجد لها أستاذًا يُعَلِّمها القيثارة السَّامية. أوه، سامِحيني يا آلهتي...

قالت بِريان: «أتذكَّرُ امرأةً... أتَت من مكانٍ ما وراء البحر الضيِّق. لا أدري اللُّغة التي غنَّت بها حتى، لكن صوتها كان بجمال ملامحها. عيناها كانتا بلون البرقوق، وخصرها شديد النُّحول حتى إن أبي استطاعَ أن يضع يديه حوله، ويداه كانتا كبيرتين كيديَّ تقريبًا»، وأغلقَت أصابعها الطَّويلة الغليظة كأنها تُريد إخفاءها.

سألَتها كاتلين: «أكنتِ تغنِّين لأبيكِ؟».

هزَّت بِريان رأسها نفيًا، وخفضَت عينيها إلى طبقها بحثًا عن إجابةٍ ما في المرق ربما.

- «للورد رنلي؟».

تورَّد وجه الفتاة، وقالت: «إطلاقًا، إنني... مهرِّجه كان يُلقي دعاباتٍ قاسية أحيانًا، وأنا...».

- «يجب أن تُغَنِّي لي ذات يوم».

- «أنا... أرجوكِ، أنا لا أملكُ الموهبة»، ودفعَت بِريان مقعدها إلى الوراء ونهضَت قائلةً: «أستميحكِ العذر يا سيِّدتي. ألي الإذن بالانصراف؟».

أومأَت كاتلين برأسها، فغادرَت الفتاة الطَّويلة الدَّميمة القاعة بخطواتٍ واسعة، تكاد لا يُلاحِظها أحد في خضمِّ المرح الصَّاخب، وقالت كاتلين لنفسها وهي تعود على مضض إلى طعامها: فلتصحبها سلامة الآلهة.

أيام ثلاثة مرَّت قبل أن تَهوي المطرقة كما تنبَّأت بِريان، وأيام خمسة قبل أن تَبلُغهم الأنباء. كانت جالسةً مع أبيها حين وصلَ رسول إدميور بدِرع منبعجة وحذاءٍ مغبَّر ومزقٍ في سُترته، لكن النَّظرة التي لاحَت على وجهه إذ ركع كانت كفيلةً بإعلامها بأنها أنباء طيِّبة. قال الرَّجل: «إنه النَّصر يا سيِّدتي»، وناولَها رسالة إدميور، وارتجفَت يدها وهي تكسر الختم.

كتبَ أخوها أن اللورد تايوين حاولَ العبور من دستةٍ من المخاضات

المختلفة، لكن هجماته صُدَّت كلها. غرقَ اللورد ليفورد، وفارس كراكهول الملقَّب بالعُفر القوي سقطَ أسيرًا، بينما دُفِعَ السير أدام ماربراند إلى الانسحاب ثلاث مرَّات... لكن المعركة الأعنف دارَت عند معبر «الطَّاحونة الحجريَّة»، حيث قادَ السير جريجور كليجاين الهجوم، وسقطَ عدد كبير للغاية من رجاله، حتى كادَت جُثثهم تصنع سدًّا في النَّهر، وفي النِّهاية استطاعَ الجبل وعدد من أفضل رجاله العبور إلى الضفَّة الغربيَّة، لكن إدميور دفعَ قوَّاته الاحتياطيَّة إلى مواجَهتهم، فتشتَّتت صفوفهم واسنحَبوا دامين منهزمين، وفقدَ السير جريجور نفسه حصانه وعادَ يَعبُر الفرع الأحمر يترنَّح وينزف من عدَّة جروح بينما أمطرَت السَّماء من حوله سهامًا وأحجارًا. أضافَ إدميور: «لن يَعبُروا يا كات. اللورد تايوين يزحف إلى الجَنوب الغَربي. قد تكون خدعةً أو انسحابًا كاملًا، لا فارق. إنهم لن يَعبُروا».

انتشى السير دزموند جرِل بالخبر، وقال الفارس العجوز حين قرأت عليه الرِّسالة: «أوه، ليتني كنتُ معه. أين ذلك الأحمق رايموند؟ في هذه الحكاية ما يستحقُّ أغنيَّةً سيرغب إدميور نفسه في سماعها... الطَّاحونة التي هرسَت الجبل. كنتُ لأؤلِّف الكلمات بنفسي لو أن لي موهبة المغنِّي».

قالت كاتلين، ربما بحدَّةٍ أكثر من اللَّازم: «لن أسمع أيَّ أغانٍ حتى ينتهي القتال»، لكنها سمحَت للسير دزموند بنشر الخبر، ووافقَت لمَّا اقترحَ فتح بضعة براميل من النَّبيذ على شَرف انتصار «الطَّاحونة الحجريَّة». المزاج في ريڤررَن كئيب متوتِّر في الآونة الأخيرة، وسينفعهم جميعًا القليل من الشَّراب والأمل.

رنَّت أصوات الاحتفال في القلعة ليلتها، وهتفَ العامَّة لريڤررَن وتَلي. لقد جاءوا خائفين عاجزين، واحتواهم أخوها فيما كان معظم اللوردات ليُغلِقوا بوَّاباتهم في وجوههم. طفَت أصواتهم في الهواء وتسرَّبت من النَّوافذ العالية ومن تحت أبواب الخشب الأحمر الثَّقيلة، وعزفَ رايموند على قيثارته، يُصاحِبه طبَّالان وشاب بمزمارٍ من الخوص، بينما أصغَت كاتلين لضحك الفتيات وثرثرة الصِّبية الخُضر الذين تركَهم أخوها لحماية القلعة. أصوات حُلوة... لكنها لم تُؤَثِّر فيها، ولم تستطِع الشُّعور بسعادتهم.

في غُرفة أبيها الشَّمسيَّة وجدَت كتابًا ثقيلًا للخرائط مغلَّفًا بالجِلد، وفتحَته على أراضي النَّهر. وقعَت عيناها على مجرى الفرع الأحمر وتتبَّعتاه على ضوء الشُّموع المتذبذب. يزحفون إلى الجَنوب الغَربي. لا بُدَّ أنهم عند منابع النَّهر الأسود الآن.

أغلقَت الكتاب شاعِرةً بتوتُّرٍ أكثر مما سبقَ. لقد منَّت عليهم الآلهة بنصرٍ بَعد نصر، في «الطَّاحونة الحجريَّة»، وفي أوكسكروس، وفي معركة المعسكرات، وفي الغابة الهامسة...

لكن إذا كنا الفائزين، فلِمَ يتملَّكني كلُّ هذا الخوف؟

بران

الصَّوت صليلٌ شديد الخفوت، وفولاذ يحتكُّ بالحجر، فيرفع رأسه المستريح على قائمتيه الأماميَّتين، يُصيخ السَّمع ويتشمَّم اللَّيل.

كانت الأمطار التي نزلَت مساءً قد أيقظَت مئة رائحةٍ نائمةٍ وجعلَتها قويَّةً فوَّاحةً من جديد؛ كلأ وأشواك، وتوت أسود مهروس على الأرض، وطين وديدان وأوراق تبلى، وجرذ يتسلَّل وسط دغل. يلتقط أنفه رائحة فروة أخيه السَّوداء الخشنة، ويحسُّ بالنَّكهة النُّحاسيَّة اللَّاذعة لدم السِّنجاب الذي قتلَه، وقد راحَت سناجب أخرى تتحرَّك بين الأغصان في الأعلى، رائحتها فروٌ مبتلٌّ وخوف، بينما تخدش أرجُلها الصَّغيرة اللِّحاء. كان الصَّوت أقرب إلى هذا.

وها هو يسمعه مرَّةً أخرى، الصَّليل والاحتكاك، فينهض مرهفًا أُذنيه ويرفع ذيله ويعوي، يُطلِق نداءً طويلًا عميقًا راجفًا، عُواءً يُوقِظ النِّيام، لكن تظلُّ أكوام صخور بني الإنسان مظلمةً هادئةً. إنها ليلة للبلل والسُّكون، ليلة تدفعهم إلى الهجوع في أوكارهم. لقد توقَّفت الأمطار منذ فترة، لكن لا يزال بنو الإنسان يختبئون من الرُّطوبة، ويتلملَمون حول النَّار في كهوفٍ من الأحجار المرصوصة.

يأتي أخوه منسلًّا من بين الأشجار، يتحرَّك بهدوءٍ شديدٍ أشبه بأخٍ آخَر يحتفظ عنه بذكرى ضبابيَّة من حينٍ بعيد، الأخ الأبيض ذي العينين القانيتين. أمَّا هذا الأخ فعيناه بئران من الظِّلال، لكن الفرو على مؤخِّرة عنقه منتصب. هو أيضًا سمعَ الأصوات ويعرف أنها تعني الخطر.

هذه المرَّة يتلو الصَّليل والاحتكاك صوت انزلاقٍ والطَّقطقة النَّاعمة السَّريعة لجِلد الأقدام على الحجر، وتحمل الرِّيح نفحة شديدة الخفَّة من رائحة إنسانٍ لا يعرفها. غريب. خطر. موت.

يعدو إلى مصدر الصَّوت وينطلق أخوه إلى جواره، ومن أمامهما ترتفع الأوكار الحجريَّة، الأسوار المبتلَّة الزَّلقة، فيُكَشِّر عن أنيابه، لكن صخور بني الإنسان لا تعيره اهتمامًا. تلوح بوَّابة في الأسوار، حيث يلتفُّ ثعبان حديدي أسود بإحكام حول القضبان والأعمدة، وحين يرتطم بها ترتجُّ البوَّابة ويُصَلصِل الثُّعبان وينزَلق قليلًا لكن يبقى صامدًا. من بين القضبان يستطيع أن يَنظُر إلى أسفل إلى حيث الجُحر الحجري الطَّويل الذي يمتدُّ بين الأسوار إلى الحقل الحجري وراءها، وإنما دون وسيلةٍ للعبور، فلا يقدر على أكثر من دَسِّ خَطمه بين قضيبين. كثيرًا حاولَ أخوه أن يُهَشِّم عظام البوَّابة السَّوداء بأسنانه، لكنها لا تنكسر أبدًا، وحاولَا الحفر تحتها، لكن هناك أحجارًا مسطَّحة كبيرة نِصف مغطَّاةٍ بالتُّربة وأوراق الشَّجر السَّاقطة.

يُزَمجِر ويذرع الأرض جيئةً وذهابًا وراء البوَّابة، ثم يُلقي نفسه عليها مرَّةً أخرى، فتتحرَّك بعض الشَّيء قبل أن ترتطم به، ويهمس شيءٍ ما: موصدة. مسلسلَة. الصَّوت الذي لم يسمعه، الرَّائحة عديمة الرَّائحة. الطُّرق الأخرى مسدودة بدورها، فالخشب سميكٌ قويٌّ هنا، فيما تنفتح الأبواب في جُدران بني الإنسان.

لا سبيل للخروج.

تأتي الهمسة: بل هناك سبيل، ويُهَيَّأ له أنه يرى ظِلَّ شجرةٍ عظيمة مغطَّاة بالأوراق الطَّويلة المدبَّبة كالإبر، ترتفع مائلةً من التُّربة السَّوداء بالغةً عشرة أضعاف طول الإنسان، إلَّا أنه لا يراها حين يتطلَّع حوله. على الجانب الآخَر من أيكة الآلهة، شجرة الحارس، أسرِع، أسرِع...

في حَلكة اللَّيل ترتفع صيحة مكتومة سرعان ما يُخرِسها أحدهم.

بسرعةٍ بسرعةٍ يدور وينطلق وسط الأشجار، فتحفُّ الأوراق البليلة تحت قوائمه وتجلده الفروع الواطئة وهو يخترق طريقه بينها، بينما يسمع أخاه يتبعه من قُرب، ثم يندفعا تحت شجرة القلوب وحول البِركة الباردة، عبر شُجيرات

التُّوت الأسود، وتحت دغل متشابكٍ من السَّنديان والدَّردار والزُّعرور البرِّي، وإلى الجانب القصيِّ من الأَيكة... وها هو ذا، الظِّلُّ الذي لمحَه دون أن يراه، الشَّجرة المائلة صوب الأسطُح. شجرة الحارس.

يتذكَّر الآن كيف كان تسلُّقها؛ الأوراق الإبريَّة في كلِّ مكان، تخدش قدميه الحافيتين وتَسقُط على مؤخِّرة عُنقه إلى داخل ثيابه، والنُّسغ اللَّزِج على يديه، والرَّائحة الصَّنوبريَّة الحادَّة. هي شجرة يَسهُل على صبيٍّ تسلُّقها ما دامَت مائلةً معوجَّةً هكذا، تتدانى فروعها حتى تكاد تصنع سُلَّمًا يرتفع مائلًا نحو السَّقف.

يُزَمجِر ويتشمَّم الهواء حول الشَّجرة، ثم يرفع ساقًا ويضع علامته عليها بخيطٍ من البول. يمسُّ غُصن واطئ وجهه، فينقضُّ عليه بأسنانه ويلوي ويسحب إلى أن ينكسر الخشب وينقلع، وتملأ الأوراق الإبريَّة ومذاق النُّسغ المُرُّ فمه، فيهزُّ رأسه ويزوم.

يجلس أخوه على قائمتيه الخلفيَّتين ويرفع عقيرته بعُواءٍ نائح، أغنيَّةٍ من عويلٍ أسود. الطَّريق ليس طريقًا. إنهما ليسا سنجابين، ولا من جِراء بني الإنسان، ولا يستطيعان الزَّحف على جذوع الأشجار والتعلُّق بها بكفوفٍ ورديَّة ليِّنة وأرجُلٍ خرقاء. إنهما عدَّاءان، صيَّادان، متربِّصان.

في مكانٍ ما في اللَّيل وراء الأحجار المطبِقة عليهما، تستيقظ الكلاب وترفع أصواتها بالنُّباح، واحد ثم ثانٍ ثم جميعها، ضجَّة تصمُّ الآذان. هي أيضًا شمَّت رائحة الأعداء والخوف.

تملأه ثورة يائسة متَّقدة كالجوع، فيندفع مبتعدًا عن الأسوار، ويثب تحت الأشجار بينما تُبرقِش ظلال الغصون والأوراق فروه الرَّمادي... ثم يستدير ويندفع عائدًا، تطير أقدامه طيرانًا وتَنثُر أوراق الشَّجر المبتلَّة وإبر الصَّنوبر، وتمرُّ فترة وجيزة يرى نفسه فيها صيَّادًا يفرُّ منه وعل ذو قرنين، يراه ويشمُّه وينطلق وراءه بأقصى سُرعته، فتجعل رائحة الخوف قلبه يدقُّ بصوتِ كالرَّعد واللُّعاب يسيل من بين فكَّيه، ثم يَبلُغ الشَّجرة المائلة بخطوةٍ أخيرةٍ واسعة، ويُلقي نفسه على الجذع إلى أعلى، تخدش مخالبه اللِّحاء بحثًا عن بُقعةٍ يتثبَّث بها. إلى أعلى يثب مرَّةً، مرَّتين، ثلاثًا، لا تتباطأ حركته إلَّا قليلًا، إلى

أن يجد نفسه بين الفروع السُّفليَّة، وتتشابَك الأغصان حول أقدامه وتضربه على عينيه، وتتناثَر الإبر الخضراء الرَّماديَّة وهو يدسُّ نفسه بينها وينهشها. يجب أن يُبطِئ. يعوق شيء ما قدمه فيُحَرِّرها بحركةٍ عنيفةٍ مزمجرًا، ويضيق الجذع المبتلّ من تحته ويتحدَّر أكثر حتى يكاد يستقيم. يُحاوِل التشبُّث باللِّحاء فيتمزَّق كالجِلد. يَبلُغ ثُلث الطَّريق، نِصفه، يتجاوَز النِّصف، والسَّقف يدنو ويدنو... ثم يضع قدمه ويَشعُر بها تنزلق على انحناءة فرع مبتل، وفجأةً يجد نفسه يتزحلَق، يتعثَّر، ويرتفع عويله الخائف الغاضب، ويَسقُط، ويَسقُط، يتلوَّى بينما تهرع الأرض إلى أعلى لتكسره...

ثم وجدَ بران نفسه في فِراشه في غُرفة البُرج الموحشة، وقد تشابكَت الأغطية حول جسده وخرجَت أنفاسه من صدره لهاثًا. بصوتٍ عالٍ صاحَ: «سَمر! سَمر!»، وأحسَّ بوجعٍ في كتفه كأنه سقطَ عليها، لكنه أدركَ أنه مجرَّد طيفٍ لما يَشعُر به الذِّئب، وقال لنفسه: چوچن على حَق، إنني حيواني. من الخارج أتاه صوت نباح الكلاب الخافت. البحر جاءَ كما رأى چوچن في حُلمه، ويتدفَّق من فوق الأسوار. أمسكَ بران القضيب المثبَّت فوق رأسه وشَدَّ نفسه ليجلس معتدلًا ورفعَ صوته طالبًا من يُساعِده، لكن أحدًا لم يأتِ، وبَعد وهلةٍ تذكَّر بران أن لا أحد سيأتي، فقد رفَعوا الحراسة عن بابه، بما أن السير رودريك أخذَ كلَّ رجلٍ في سِنِّ القتال في متناوَله، فلم يبقَ في وينترفل غير حاميةٍ رمزيَّة.

الآخَرون غادَروا قبل ثمانية أيام، ستمئة رجلٍ من وينترفل وأقرب المعاقل إليها، والمفترَض أن ينضمَّ إليهم كلاي سروين بثلاثمئةٍ غيرهم على الطَّريق، كما أرسلَ المِايستر لوين غِدفانًا تسبقهم لاستدعاء جنودٍ من الميناء الأبيض وأراضي الرَّوابي، وحتى البقاع العميقة في غابة الذِّئاب. تعرَّضت قلعة «مربَّع تورين» لهجوم من قائدٍ حربيٍّ متوحِّش اسمه داجمر ذو الفَكِّ المفلوق، قالت العجوز نان عنه إن لا سبيل لقتله، وإن خصمًا شَجَّ رأسه إلى نِصفين ذات مرَّة، لكن داجمر شديد القوَّة، لدرجة أنه ضغطَ النِّصفين معًا وثبَّتهما حتى التأما ثانيةً. تُرى هل فازَ داجمر؟ «مربَّع تورين» تَبعُد أيامًا عدَّة عن وينترفل، لكن...

سحبَ بران نفسه من الفِراش، وتنقَّل من قضيبٍ إلى آخَر إلى أن بلغَ

النَّافذة، واضطربَت أصابعه بعض الشَّيء إذ رفعَ السِّتار. كانت السَّاحة خاليةً وكلُّ النَّوافذ التي رأها مظلمة. وينترفل نائمة. صاحَ بأعلى صوته: «هودور!». لا بُدَّ أنه نائم فوق الاسطبلات، لكن قد يسمعه إذا نادى بصوتٍ عالٍ بما يكفي، أو يسمعه أيُّ أحد. «هودور، تعال بسرعة! أوشا! ميرا! چوچن! أي أحد!»، وكوَّر بران يديه حول فمه، ودوَّى نداؤه: «هوووووودووووور!».

لكن حينما انفتحَ الباب بعُنفٍ من ورائه، كان الرَّجل الذي دخلَ غريبًا لا يعرفه بران، يرتدي سُترةً من الجِلد خُيِّطَت عليها أقراص متداخلة من الحديد، ويحمل خنجرًا بينما تلوح فأس مثبَّتة على ظَهره.

قال بران خائفًا: «ماذا تُريد؟ هذه غُرفتي، اخرُج».

تبعَ ثيون جرايچوي الرَّجل إلى الدَّاخل، وقال: «لسنا هنا لنُؤذيك يا بران».

قال بران ورأسه يدور من الارتياح: «ثيون؟ هل أرسلك روب؟ أهو هنا؟».

- «روب بعيد جدًّا، ولا يستطيع أن يُساعِدك الآن».

حائرًا قال بران: «يُساعِدني؟ ثيون، لا تُخِفني».

- «إنني الأمير ثيون الآن. مَن كان ليَحلُم بأن يُصبِح كلانا أميرًا يا بران؟ لكني استوليتُ على قلعتك يا سموَّ الأمير».

- «وينترفل؟»، وهَزَّ بران رأسه قائلًا: «لا، غير ممكن».

- «ورلاج، اترُكنا»، فانسحبَ حامل الخنجر من الغُرفة، بينما جلسَ ثيون على الفِراش، وقال: «أرسلتُ أربعة رجالٍ يتسلَّقون الأسوار بالخطاطيف والحبال، ففتَحوا بوَّابةً خلفيَّةً لبقيَّتنا، ورجالي يتعامَلون مع رجالك الآن. أؤكِّدُ لك أن وينترفل ملكي».

قال بران بلا استيعاب: «لكنك ربيب أبي!».

- «والآن أنت وأخوك ربيباي. بمجرَّد انتهاء القتال، سيجمع رجالي بقيَّة قومك في القاعة الكُبرى، حيث سنُكَلِّمهم. ستقول لهم إنك سلَّمتني وينترفل، وإنك تأمرهم بأن يخدموا ويُطيعوا اللورد الجديد كما فعلوا مع اللورد القديم».

قال بران: «لن أفعل ذلك. سنُقاتِلكم ونَطرُدكم. إنني لم أستسلم، ولا يُمكنك إجباري على أن أقول إنني استسلمتُ».

- «هذه ليست لُعبةً يا بران، فلا تتصرَّف معي كالأطفال، لأني لن أقبل. القلعة لي، لكن هؤلاء النَّاس يظلُّون ناسك أنت، وإذا أرادَ الأمير أن يُحافِظ على سلامتهم، فالأفضل أن يُنَفِّذ ما يُقال له»، ونهضَ ثيون واتَّجه إلى الباب مضيفًا: «أحدهم سيأتي ليُلبسك ثيابك ويحملك إلى القاعة الكُبرى. فكِّر مليًّا فيما ستقوله».

أشعرَ الانتظار بران بعجزٍ أكبر من ذي قبل، وجلسَ في المقعد المجاور للنَّافذة يتطلَّع إلى الأبراج المظلمة والأسوار السَّوداء كالظِّلال. خُيِّلَ إليه أنه سمعَ صياحًا من وراء قاعة الحَرس، وصوتًا ربما كان تقارُع سيفين، لكنه لا يملك أُذنيَّ سَمر أو أنفه. في اليقظة أظلُّ مكسورًا، لكن في المنام، حين أكونُ سَمر، أستطيعُ أن أجري وأقاتل وأسمع وأشمّ.

توقَّع أن يأتي هودور، أو واحدة من الخادمات على الأقل، لكن عندما عادَ الباب ينفتح، كان المِايستر لوين هو من دخلَ حاملًا شمعةً، وقال: «بران، هل... هل بلغَك ما حدثَ؟ هل أخبَروك؟». كان الجِلد مشقوقًا فوق عينه اليُسرى، والدَّم يسيل على جانب وجهه.

- «جاءَني ثيون، وقال إن وينترفل ملكه الآن».

وضعَ المِايستر الشَّمعة ومسحَ الدَّم عن وجنته قائلًا: «لقد خاضوا في الخندق المائي، وتسلَّقوا الأسوار بالخطاطيف والحبال وعبروا والماء يَقطُر منهم وأسلحتهم في أيديهم»، وجلسَ على المقعد المجاور للباب وجُرح جبهته يُعاوِد النَّزيف، وتابعَ: «آلبلي كان عند البوَّابة. باغَتوه في بُرج الحراسة وقتَلوه، وهايهِد جريح أيضًا. أسعفَني الوقت بإرسال غِدافين قبل أن يقتحموا عليَّ غُرفتي، ونجحَ الطَّائر الذَّاهب إلى الميناء الأبيض في الفرار، لكنهم أسقَطوا الثَّاني بسهم»، وحدَّق المِايستر في البساط على الأرض مضيفًا: «السير رودريك أخذَ عددًا ضخمًا من رجالنا، لكني ملامٌ مِثله تمامًا، فلم أرَ هذا الخطر قَطّ، لم...».

چوچن راَه. «يَحسُن أن تُساعِدني على ارتداء ثيابي».

- «نعم، بالطَّبع». أخرجَ المِايستر ثيابًا داخليَّةً وسراويل وسُترةً من الصُّندوق الثَّقيل المقوَّى بالحديد الموضوع عند قدم الفِراش، وقال: «أنت

ابن ستارك في وينترفل ووريث روب، ويجب أن يليق مظهرك بأمير»، وبمساعدَة لوين ارتدى بران ثيابًا تُلائِم واحدًا من السَّادة.

- «ثيون يُريدني أن أسلِّم القلعة»، قال بران بينما يُثبِّت المِايستر على كتفيه المعطف بمشبكه المفضَّل ذي شكل رأس الذئب، المصنوع من الفضَّة والكهرمان الأسود.

- «لا عار في هذا. على اللورد أن يحمي رعيَّته. الأماكن القاسية تُنجِب أناسًا قساة يا بران، تذكَّر هذا وأنت تتعامَل مع هؤلاء الحديديِّين. لقد فعلَ السيِّد والدك ما يقدر عليه لترويض ثيون، لكن أخشى أن الأوان كان قد فاتَ بالفعل».

الرَّجل الحديدي الذي جاءَهما كان قصيرًا مكتنزًا ذا لحيةٍ بسواد الفحم تُغَطِّي نِصف صدره، وحملَ بران بيُسرٍ وإن لم يبدُ عليه الرِّضا بمهمَّته. تقع غُرفة نوم ريكون عند منتصَف السَّلالم في الطَّابق السُّفلي، وبدا الصَّبي ذو الأعوام الأربعة متذمِّرًا لإيقاظه، وقال: «أريدُ أمِّي، أريدها، وشاجيدوج أيضًا».

قال المِايستر لوين وهو يُلبسه معطف نوم: «أمُّك بعيدة عن هنا يا سموَّ الأمير، لكني موجود، وبران أيضًا»، وأخذَ ريكون من يده وقادَه إلى الخارج.

في الأسفل رأوا رجلًا أصلع يحمل رُمحًا يُناهِزه ثلاث مرَّاتٍ طولًا، يسوق ميرا وچوچن من غُرفتهما، وحين نظرَ چوچن إلى بران، كانت عيناه بئرين خضراوين ملآتين بالأسى. كان رجال حديديُّون آخَرون قد أيقَظوا صبيَّي فراي، وقال والدر الصَّغير لبران: «أخوك فقدَ مملكته. لم تَعُد أميرًا، بل مجرَّد رهينة».

قال چوچن: «وكذا أنت، وأنا، وكلنا».

- «لا أحد كلَّمك يا آكل الضَّفادع».

تقدَّمهم أحد الرِّجال الحديديِّين حاملًا مشعلًا، لكن المطر عادَ يهطل ثانيةً وسرعان ما أطفأه، وبينما أسرَعوا قاطعين السَّاحة سمعوا عُواء الذِّئبين الرَّهيبين يتردَّد من أيكة الآلهة. أتمنَّى أن السَّقطة لم تُؤذِ سَمر.

جالسًا في مقعد عائلة ستارك العالي، كان ثيون جرايچوي قد خلعَ معطفه،

وفوق قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة اللَّامعة ارتدى سُترةً سوداءَ مزيَّنةً بكراكن عائلته الذَّهبي، وقد أراحَ يديه على رأسي الذِّئبين المنحوتين في طرفي الذِّراعين الحجريَّتين. قال ريكون: «ثيون جالس في مقعد روب».

- «صمتًا يا ريكون». كان بران يَشعُر بالتَّهديد المحيط بهم، بينما لا يزال أخوه طفلًا. أُوقِد عدد من المشاعل وتأجَّجت النَّار في المستوقَد الكبير، وإن ظَلَّ معظم القاعة غارقًا في الظَّلام، ولا مكان للجلوس لأن الدِّكك مكوَّمة عند الحوائط، فوقف قاطنو القلعة في مجموعاتٍ صغيرة، لا يجرؤ أحد منهم على الكلام. رأى العجوز نان تفتح فمها الخالي من الأسنان وتُغلِقه، وحُمِلَ هايهد إلى القاعة بين اثنين من الحُرَّاس الآخَرين، وقد التفَّت ضمَّادة ملطَّخة بالدِّماء حول صدره العاري، بينما أخذَ تيم المجدور يبكي بحرارة، وسالَت دموع بث كاسل الخائفة.

سألَ ثيون أولاد ريد وفراي: «ماذا لدينا هنا؟».

أجابَ المِايستر لوين: «هذان ربيبا الليدي كاتلين، كلاهما اسمه والدر فراي، وهذان چوچن ريد وأخته ميرا، ابن وابنة هاولاند ريد سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، وقد جاءا لتجديد قَسم الولاء لوينترفل».

قال ثيون: «قد يقول البعض إنهما جاءا في الوقت غير المناسب، لكنه يُناسِبني أنا. إنكما هنا، وهنا ستظلَّان»، وأخلى المقعد العالي قائلًا: «أحضِر الأمير يا لورن»، فأنزلَ ذو اللِّحية السَّوداء بران على المقعد الحجري كأنه جوال من القمح.

كان بقيَّة ساكني القلعة لا يزالوا يُساقون إلى القاعة بالصِّياح ومقابض الرِّماح، وجاءَ جايچ وأوشا من المطبخ ملوَّثين بدقيق خُبز الصَّباح، وجُرَّ ميكن إلى الدَّاخل وهو يسبُّ ويلعن، ودخلَ فارلن يَعرُج محاولًا بصعوبةٍ أن يسند پالا، التي تمزَّق وجه فُستانها إلى نِصفين ضمَّتهما بقبضتها بينما تمشي كأن كلَّ خطوةٍ عذاب مضنٍ، فتقدَّم السِّپتون كايل بغية أن يُساعِدهما، لكن واحدًا من الرِّجال الحديديِّين طرحَه أرضًا.

آخِر مَن أدخَلوه من الباب كان السَّجين ريك الذي سبقَته رائحته النَّتنة، وأحسَّ بران بمعدته تنقلب من فرط الاشمئزاز. «وجدناه محبوسًا في زنزانة

بُرج»، أعلنَ الرَّجل الذي أتى به، شابٌّ حليق ذو شَعرٍ بُنِّي وثياب مشبَّعة بالماء، فلا شَكَّ أنه أحد من سبحوا في الخندق المائي. «يقول إنهم يُسَمُّونه ريك».

قال ثيون مبتسمًا: «واضح. أرائحتك لعينة هكذا دائمًا، أم أنك فرغت للتَّوِّ من مضاجَعة خنزير؟».

- «لم أضاجع أحدًا منذ أسَروني يا سيِّدي. اسمي الحقيقي هيك. كنتُ أخدمُ نغل «معقل الخوف» حتى غرسَ رجال ستارك سهمًا في ظَهره كهديَّة زفاف».

سألَ ثيون وقد وجدَ الكلام طريفًا: «مَن تزوَّج؟».

- «أرملة هورنوود يا سيِّدي».

- «تلك الشَّمطاء؟ أكان أعمى؟ إن ثدييها كقِربتي نبيذٍ فارغتين، أصابَهما الجفاف والذُّبول».

- «لم يتزوَّجها من أجل ثدييها يا سيِّدي».

صفقَ الحديديُّون مصراعيَّ الباب الطَّويلين في مقدِّمة القاعة، ومن مكانه على المقعد العالي أحصى بران عشرينًا منهم. غالبًا تركَ حَرسًا على البوَّابات ومستودع السِّلاح. وعلى الرغم من ذلك فلا يُمكن أن عددهم يتجاوَز الثَّلاثين.

رفعَ ثيون يده داعيًا إياهم للصَّمت، وقال: «كلكم تعرفوني...».

- «نعم، نعرفك كجوالٍ من الخراء السَّاخن!»، صاحَ ميكن قبل أن يهوي الرَّجل الأصلع على بطنه بكعب رُمحه، ثم يضربه في وجهه بالمقبض، ليتهاوى الحدَّاد على رُكبتيه ويَبصُق سِنًّا مكسورةً.

- «ميكن، الزم الصَّمت». حاولَ بران أن يكون صوته صارمًا آمرًا مِثل روب حينما يُكَلِّف أحدهم بشيء، لكن صوته خانَه وخرجَت منه الكلمات كصريرٍ حاد.

قالَ ثيون: «أصغِ إلى سيِّدك الصَّغير يا ميكن. إنه أعقل منك».

قال بران لنفسه مذكِّرًا: الحاكم الصَّالح يحمي رعيَّته، ثم رفعَ صوته قائلًا: «لقد سلَّمتُ ثيون وينترفل».

- «بصوتٍ أعلى يا بران، وادعُني بالأمير ثيون».

بصوتٍ أعلى قال: «لقد سلَّمتُ الأمير ثيون وينترفل، وعليكم جميعًا أن تُنَفِّذوا أوامره».

هدرَ ميكن: «فلتحلَّ بي اللَّعنة إذا فعلتُ!».

تجاهلَ ثيون غضبة الحدَّاد، وتابعَ: «لقد وضعَ أبي تاج الملح والصَّخر العريق، وأعلنَ نفسه ملكًا لجُزر الحديد، ويضمُّ الشَّمال إلى مملكته كذلك بحَقِّ الغزو. جميعنا رعاياه».

مسحَ ميكن الدَّم من على فمه قائلًا: «فليذهب كلُّ هذا إلى الجحيم. إنني أخدمُ عائلة ستارك، وليس سمكةً خائنةً من... آه!». أسقطَه كعب الرُّمح ليضرب وجهه الأرض الحجريَّة مباشرةً.

قال ثيون: «الحدَّادون أقوياء الأذرُع ولكن ضُعفاء العقول، لكن إذا خدمَني بقيَّتكم بإخلاصٍ كما خدمتم ند ستارك، فستجدونني شديد الكرم».

بصقَ ميكن دمًا وهو جاثم على يديه ورُكبتيه، وفي قرارة نفسه قال بران: أرجوك، لا تفعلها، لكن الحدَّاد صاحَ: «إذا كنت تحسب أنك تستطيع احتلال الشَّمال بهذه العصابة البائسة...».

وغرسَ الأصلع رأس الرُّمح في مؤخِّرة عُنق ميكن، وشَقَّ الفولاذ اللَّحم وخرجَ من حَلقه ناثرًا الدِّماء، فصرخَت امرأة وطوَّقت ميرا ريكون بذراعيها، أمَّا بران ففكَّر كالمخدَّر: غرقَ في الدَّم، في دمه هو.

سألَ ثيون جرايچوي: «مَن غيره لديه ما يقوله؟».

وصاحَ هودور بعينين متَّسعتين: «هودور هودور هودور هودور!».

- «فليتفضَّل أحد بإخراس هذا الأبله».

بدأ اثنان من الحديديِّين يضربان هودور بكعبيِّ رُمحيهما، وسقطَ صبيُّ الاسطبل أرضًا محاولًا حماية نفسه بيديه.

رفعَ ثيون صوته ليعلو على ارتطام الخشب باللَّحم قائلًا: «سأكونُ سيِّدًا صالحًا لكم كما كان إدارد ستارك، لكن خُونوني وستتمنَّون لو أنكم لم تفعلوا، ولا تحسبوا أن الرِّجال الذين ترونهم هنا هُم قوَّتي كلها، لأن «مربَّع تورين» و«ربوة الغابة» ستُصبحان لنا بدورهما قريبًا، كما أن عمِّي يُبحِر في خليج «الرُّمح الملحي» للاستيلاء على خندق كايلن. إذا استطاعَ روب ستارك أن

يدرأ آل لانستر، فيُمكنه أن يَحكُم بصفته ملك الثَّالوث من الآن فصاعدًا، لكن الشَّمال لعائلة جرايچوي».

قال الرَّجل المسمَّى ريك: «سيُحارِبك لوردات ستارك، ذلك الخنزير البدين في الميناء الأبيض، وأولاد أومبر وكارستارك أيضًا. ستحتاج رجالًا. أطلِق سراحي وسأكون خادمك».

تأمَّل ثيون بعض الوقت، قبل أن يقول: «أنت أذكى مما تشي رائحتك، لكني لن أتحمَّلها».

قال ريك: «يُمكنني أن أستحمَّ إذا أُطلِق سراحي».

ابتسمَ ثيون قائلًا: «رجل ذو عقلٍ نادر. اركع».

ناولَ أحد الحديديِّين ريك سيفًا، فوضعَه عند قدميّ ثيون وأقسمَ على الطَّاعة لعائلة جرايچوي والملك بالون، ولم يستطِع بران أن يَنظُر ليشهد تحقُّق الحُلم الأخضر.

خطَت أوشا متجاوزةً جثَّة ميكن، وقالت: «لورد جرايچوي، أنا أيضًا جئتُ إلى هنا أسيرةً. كنت موجودًا يوم أخذوني».

متألِّمًا قال بران في أعماقه: حسبتكِ صديقةً.

أعلنَ ثيون: «أحتاجُ مُحارِبين وليس مومسات المطابخ».

- «روب ستارك هو من وضعَني في المطابخ، وطيلة ما يَقرُب من عامٍ وأنا أنظِّفُ القدور وأكشطُ الشُّحوم وأدفِّئُ لهذا الرَّجل فِراشه»، ورمقَت جايج مواصلةً: «سئمتُ كلَّ هذا. ضَع رُمحًا في يدي».

قال الأصلع الذي قتلَ ميكن: «عندي رُمح لكِ هنا»، ووضعَ يده على قضيبه مبتسمًا ابتسامةً عريضةً.

ودفنَت أوشا رُكبتها بين ساقيه قائلةً: «احتفِظ بهذه الدُّودة الطريَّة»، وانتزعَت الرُّمح منه وأسقطَته بضربةٍ من كعبه متابعةً: «سأكتفي بالخشب والحديد»، وتلوَّى الأصلع ألمًا على الأرض فيما انفجرَ المُغيرون الآخَرون ضاحكين.

شاركَهم ثيون الضَّحك، وقال: «ستَصلُحين. احتفظي بالرُّمح، وسيجد ستيج واحدًا آخَر. والآن اركعي وأقسِمي».

ثم حينما لم يتقدَّم أحد غير ريك وأوشا ليتعهَّد بالخدمة، صرفَهم ثيون آمرًا بأن يقوموا بعملهم ولا يُسَبِّبوا متاعب. كُلِّفَ هودور بحمل بران إلى غُرفته، وقد قَبُحَ وجهه من الضَّربات التي تلقَّاها، وتورَّم أنفه وانغلقَت إحدى عينيه. «هودور»، قال منتحبًا بشفتين مشقوقتين إذ رفعَ بران بين ذراعيه الضَّخمتين القويَّتين بيديه الدَّاميتين وخرجَ به إلى المطر.

آريا

قال هوت پاي وهو يعجن الخُبز وقد غطَّى الدَّقيق ذراعيه حتى المِرفقين: «هناك أشباح، إنني متأكِّد. پيا رأت شيئًا ليلة أمسٍ في مخزن المؤن».

أطلقَت آريا نخيرًا ساخرًا، فپيا ترى أشياء في مخزن المؤن طول الوقت، لكن عادةً ما تكون تلك الأشياء رجالًا. سألَته: «هلَّا أعطيتني كعكةً؟ لقد خبزتَ صحفةً كاملةً».

- «أحتاجُ صحفةً كاملةً. السير آموري يُحِبُّ هذه الكعكات».

إنها تكره السير آموري، ولذا قالت: «فلنَبصُق عليها».

تلفَّت هوت پاي حوله متوتِّرًا، وقال: «سيعرف». كانت المطابخ ملأى بالظِّلال والأصداء، لكن الطُّهاة وعُمَّال المطابخ الآخَرين ما زالوا نائمين في الحُجرات العلويَّة الواسعة فوق الأفران.

قالت آريا: «لن يعرف. لا أحد يتذوَّق البُصاق!».

قال هوت پاي: «أنا مَن سيُجلَد إذا عرفَ»، وتوقَّف عن العجن والتفتَ إليها قائلًا: «لا يَجدُر بكِ أن تكوني هنا أصلًا. إنه جوف اللَّيل».

كانت السَّاعة متأخِّرةً بالفعل، لكن آريا لم تُمانِع، فحتى في جوف اللَّيل لا تنام المطابخ أبدًا، ودومًا ثمَّة مَن يُجَهِّز العجين من أجل خُبز الصَّباح، أو يُقَلِّب محتويات مرجلٍ بملعقةٍ خشبيَّة، أو يذبح خنزيرًا من أجل إفطار السير آموري. اللَّيلة كان دور هوت پاي.

قال: «إذا استيقظَ ذو العين الورديَّة ووجدكِ غائبةً...».

- «ذو العين الورديَّة لا يستيقظ أبدًا بمجرَّد أن يغيب عن الوعي». اسمه

الحقيقي مبِل، لكن الجميع يُلَقِّبونه بذي العين الورديَّة بسبب عينيه الدَّامعتين دائمًا[1]، وقد اعتادَ أن يُفطِر كلَّ يوم على المِزر، وكلَّ مساءٍ بَعد العَشاء يأخذه نوم السَّكارى ويسيل اللُّعاب الملوَّن بالنَّبيذ على ذقنه، فتنتظر آريا حتى تسمع غطيطه، ثم تنسلُّ صاعدةً سلالم الخدم بقدمين حافيتين، دون أن تحمل شمعةً أو فتيلًا، فذات يوم قال لها سيريو إن الظَّلام يُمكن أن يكون حليفها، وكان محقًّا، وما دامَت تَستطيع الرُّؤية في نور القمر أو النُّجوم، فهذا يكفي. قالت لهوت پاي: «أراهنُ أننا نستطيع الهرب، ولن ينتبه ذو العين الورديَّة إلى غيابي أبدًا».

- «لا رغبة لديَّ في الهرب. هنا أفضل من الغابة، ولا أريدُ العودة إلى أكل الدُّود. هاكِ، انثُري القليل من الدَّقيق على اللَّوح».

مالَت آريا برأسها جانبًا، وقالت: «ما هذا؟».

- «ماذا؟ لستُ...».

- «اسمع بأُذنيك لا فمك. لقد تردَّد صوت بوقٍ حربي، نفختان، ألم تسمع؟ وهذا صوت سلاسل الشَّبكة الحديديَّة. أحدهم مغادر أو قادم. أتُريد أن تذهب وترى؟». لم تكن بوَّابات هارنهال قد فُتِحَت منذ صبيحة رحيل اللورد تايوين بجيشه.

قال هوت پاي معترضًا: «إنني أصنعُ خُبز الصَّباح، وقلتُ لكِ إني لا أحبُّ الخروج في الظَّلام».

- «سأذهبُ وأحكي لك فيما بَعد. هل لي بكعكة؟».

- «لا».

لكنها اختطفَت واحدةً على كلِّ حالٍ والتهمَتها في الطَّريق إلى الخارج. كانت محشوَّةً بالجوز المقطَّع والفاكهة والجبن، قشرتها الخارجيَّة هشَّة ولا تزال تحتفظ بدِفء الفُرن. أشعرَ التهام كعكة السير آموري آريا بالجرأة، وهمسًا غنَّت: حافية القدمين، واثقة القدمين، خفيفة القدمين، أنا الشَّبح الذي يَسكُن هارنهال.

---

(1) المرض الذي يُعرَف في عالم الواقع باسم التهاب الملتحمة.

كان النَّفير قد أيقظَ القلعة من نومها، وخرجَ النَّاس إلى السَّاحة ليروا سبب الضجَّة، فانضمَّت آريا إليهم، ورأت طابورًا من العربات التي تجرُّها الثِّيران يَدخُل مقعقعًا من تحت الشَّبكة الحديديَّة، فأدركَت ما تحمله في الحال، وقالت لنفسها: غنائم. تحدَّث الخيَّالة المصاحبون للعربات بلُغاتٍ غريبة، ولمعَت دروعهم بشحوبٍ في نور القمر، ولمحَت آريا زوجًا من خيول الزوورس المخطَّطة بالأبيض والأسود. الممثِّلون السفَّاحون. تراجعَت لتغوص في الظِّلال أكثر، وشاهدَت بينما دخلَت عربة تحملِ قفصًا يحوي دُبًّا أسود ضخمًا، فيما حُمِّلَت عربات أخرى بالدُّروع الفضِّيَّة والأسلحة والتُّروس وأجولة الدَّقيق وأقفاص الخنازير والكلاب الهزيلة والدَّجاج. كانت آريا تُحاوِل أن تتذكَّر متى كانت آخِر مرَّةٍ أكلَت فيها لحم الخنزير المشوي، حين رأت أول الأسرى.

لا بُدَّ أنه لورد ما، كما تشي وقفته والطَّريقة الأَنوف التي يرفع بها رأسه، ولمحَت آريا الحلقات المعدنيَّة تلتمع من تحت سُترته الممزَّقة. حسبتَه في البداية واحدًا من رجال لانستر، لكن حين مَرَّ بالقُرب من مشعلٍ تبيَّنت أن رمزه عبارةٌ عن قبضةٍ فضِّيَّة وليس أسدًا. كان معصماه مقيَّدين بإحكام، وربطَه حبل ملتفٌّ حول أحد كاحليه بالرَّجلِ الذي وراءه، فكان طابور الأسرى كله يمشي متمايلًا بإيقاعٍ موحَّد، وقد تجلَّى أن كثيرين منهم جرحى، وإذا توقَّف أحدهم، كان واحدٌ من الخيَّالة يتقدَّم مسرعًا ويهوي عليه بالسَّوط ليُعاود الحركة. حاولَت أن تحصي عدد السُّجناء، لكنها عجزَت عن العَدِّ قبل أَن تَبلُغ الخمسين، وقدَّرت أن عددهم يصل إلى ضِعف هذا على الأقل. لطَّخ الوحل والدَّم ثيابهم، وفي ضوء المشعل كان من العَصِيِّ أن تُمَيِّز شاراتهم ورموزهم، لكن آريا تعرَّفت بعضها، كالبُرجين التَّوأمين والشَّمس المتفجِّرة والرَّجل الدَّامي والبلطة الحربيَّة. البلطة الحربيَّة رمز عائلة سروين، والشَّمس البيضاء على خلفيَّة سوداء رمز كارستارك. إنهم شَماليُّون، رجال أبي وروب. لم ترغب في التَّفكير فيما يعنيه هذا.

بدأ الممثِّلون السفَّاحون يترجَّلون، وجاءَ صبيان الاسطبلات ناعسين من أسرَّتهم القَشِّ ليُعنوا بالخيول المنهَكة. زعقَ أحد الخيَّالة طالبًا المِزر،

بينما دفعَت الضَّوضاء السير آموري لورك إلى الخروج إلى الشُّرفة المغطَّاة فوق السَّاحة، وقد أحاطَ به اثنان من حاملي المشاعل. أوقفَ ڤارجو هوت ذو خوذة رأس الكبش حصانه تحت الشُّرفة، وقال بصوتٍ ثقيلٍ مصحوبٍ باللُّعاب السَّائل، كأن لسانه أكبر من أن يحتويه فمه: «ثيِّدي أمين القلعة».

قال السير آموري عابسًا: «ما كلُّ هذا يا هوت؟».

- «أثرى. رووث بولتون فكَّر في عبور النَّهر، لكن رجالي من رِفقة الشُّجعان مذَّقوا مقدِّمة جيشه إربًا، وقتَلنا كثيرين ودفَعنا بولتون إلى الفرار. هذا قائدهم جلوڤر، ووراءه الثير إينث فراي».

رمقَ السير آموري الأسرى المربوطين معًا بالحبال بعينيه الخنزيريَّتين، وخطرَ لآريا أنه ليس مسرورًا، فكلٌّ من في القلعة يعلمون الكراهية المتبادَلة بينه وبين ڤارجو هوت، ثم إنه قال: «ليكن. سير كادوين، خُذ هؤلاء الرِّجال إلى الزَّنازين».

رفعَ اللورد ذو رمز القبضة المغطَّاة بالحلقات الفضِّيَّة صوته، وقال: «وُعِدنا بمعاملةٍ كريمة...».

صرخَ ڤارجو هوت مقاطعًا واللُّعاب يتناثَر من فمه: «ثمتًا!».

خاطبَ السير آموري الأسرى قائلًا: «ما وعدَكم به هوت لا يعني لي شيئًا. اللورد تايوين عيَّنني أنا أمينًا لهارنهال، وسأفعلُ بكم ما يروقني»، وأشارَ لحُرَّاسه مضيفًا: «ستكفي الزِّنزانة الكبيرة تحت بُرج الأرملة لاحتوائهم جميعًا، ومن لا يرغب في الذَّهاب يُمكنه أن يموت هنا».

بينما ساقَ رجاله الأسرى برؤوس رماحهم، أبصرَت آريا ذا العين الورديَّة يَخرُج من بئر السُّلَّم وعيناه تَطرُفان في ضوء المشاعل. إذا وجدَها غائبةً، سيزعق ويُهَدِّد بأن يجلدها حتى يُمَزِّق جلدها، لكنها لم تَشعُر بالخوف، فهو ليس ويز، ودائمًا يُهَدِّد بأن يجلد هذا أو ذاك حتى يتمزَّق جلده، وإن لم تَرَه يضرب أحدًا قَطُّ، لكن من الأفضل ألَّا يراها رغم ذلك. تطلَّعت حولها فرأت الثِّيران تُحَلُّ وحمولات العربات تُفرغ، فيما رفعَ رجال رفقة الشُّجعان أصواتهم طالبين الشَّراب، وتحلَّق الفضوليُّون حول قفص الدُّب. في هذه

الفوضى لم يكن صعبًا عليها أن تتسلَّل خلسةً، فعادَت من حيث أتَت، راغبةً في أن تبقى بعيدًا عن الأنظار قبل أن يراها أحد ويُكَلِّفها بعملٍ ما.

بمنأى عن البوَّابات والاسطبلات تظلُّ القلعة العظيمة مهجورةً إلى حَدٍّ كبير. شيئًا فشيئًا خفتَ الضَّجيج من ورائها، وهبَّت الرِّيح في دوَّامات لتُخرِج صرخةً راجفةً مدوِّيةً مِن بين صدوع حجارة بُرجِ العويل. كانت الأوراق قد بدأت تَسقُط من أشجار أيكة الآلهة، وأدركَت أذنا آريا حفيفها إذ تطايرَت بين السَّاحات والمباني الخالية ودفعَتها الرِّياح على الحجر. الآن تُمارِس الأصوات حيلًا عجيبةً وقد عادَت هارنهال تخلو، فأحيانًا يبدو كأن الجُدران تمتصُّ الصَّوت امتصاصًا، فتدثِّر السَّاحات بمعطفٍ من الصَّمت، وفي أحيانٍ أخرى تدبُّ الحياة في الأصداء، فيتردَّد وقْع كلِّ خطوةٍ كأن جيشًا من الأشباح يدقُّ الأرض، ويصير كلُّ صوتٍ بعيد بمثابة جوقةٍ شبحيَّة. تلك الأصوات الغريبة واحدة من الأشياء التي تُزعِج هوت پاي، لكن ليس آريا.

بهدوء الظِّلال مرقَت عبر الفِناء الأوسط، وحول بُرج الفزع، ومن خلال مجموعة اسطبلات فارغة، حيث يقول النَّاس إن أرواح الصُّقور الميتة تُحَرِّك الهواء بأجنحتها الطَّيفيَّة. تستطيع آريا حاليًّا أن تذهب أينما شاءَت، فعدد رجال الحامية لا يتجاوَز المئة، فرقة محدودة للغاية حتى إنها تتوارى تمامًا في ضخامة هارنهال. كانت قاعة المئة مستوقَد مغلقةً، بالإضافة إلى العديد من المباني الأصغر حجمًا وشأنًا، وحتى بُرج العويل، وانتقلَ السير آموري لورك للإقامة في مسكن أمين القلعة في بُرج محرقة الملك، الذي لا يقلُّ اتِّساعًا عن مسكن سيِّد القلعة نفسه، بينما انتقلَت آريا مع بقيَّة الخدم إلى الأقبية أسفل البُرج ليكونوا على مقربة. حين أقامَ اللورد تايوين في القلعة، كان الجنود يسألونك عمَّا تفعله هنا وهناك دائمًا، أمَّا الآن فثمَّة مئة رجلٍ يَحرُسون ألف باب، ولا يبدو أن أحدًا يدري المكان المفترَض لهذا الشَّخص أو ذاك، أو يُبالي.

سمعَت آريا دقَّات مطرقةٍ حين مرَّت بمستودع السِّلاح، ولاحَ وهج برتقالي داكن في النَّوافذ العالية، فتسلَّقت إلى السَّطح وألقَت نظرةً إلى أسفل، لترى جندري يُطَرِّق واقي صدر. لا شيء يَسكُن وجوده حين يعمل غير المعدن

والكير والنَّار، وتُصبح المطرقة جزءًا من ذراعه. شاهدَت عضلات صدره تلعب وأصغَت لموسيقاه الفولاذيَّة مفكِّرةً: إنه قوي حقًّا. أمسكَ مِلقطًا طويل المقبض يغمس به واقي الصَّدر في حوض الماء، بينما دسَّت آريا جسدها في النَّافذة ووثبَت لتقف إلى جواره.

لم تبدُ عليه الدَّهشة لمرآها، وقال لها: «المفترَض أن تكوني في فِراشكِ يا فتاة»، وصدرَ من الواقي صوت كهسيس القِطط إذ غمسَه في الماء البارد متسائلًا: «فيمَ كانت هذه الضَّوضاء؟».

- «ڤارجو هوت عادَ ومعه أسرى. رأيتُ رموزهم. هناك أحد أبناء جلوڤر من «ربوة الغابة»، رجل أبي، والآخَرون كذلك غالبًا». دون سابق إنذارٍ أدركَت آريا لماذا قادَتها خُطاها إلى هنا، فقالت: «يجب أن تُساعِدني على تحريرهم».

قال جندري ضاحكًا: «وكيف نفعل ذلك؟».

- «السير آموري وضعَهم في الزِّنزانة تحت بُرج الأرملة، إنها زنزانة واحدة كبيرة. يُمكنك أن تكسر الباب بمطرقتك...».

- «بينما يتفرَّج الحُرَّاس ويتراهَنون على عدد الضَّربات الذي سيتطلَّبه كسر الباب، أليس كذلك؟».

مضغَت شفتها قائلةً: «علينا أن نَقتُل الحُرَّاس».

- «كيف؟».

- «قد لا يكون عددهم كبيرًا».

قال جندري: «لو أن هناك اثنين فقط، فهذا عدد أكبر من أن نُواجِهه. يبدو أنكِ لم تتعلَّمي شيئًا في تلك القرية، أليس كذلك؟ حاوِلي أن تفعلي هذا، وسيقطع ڤارجو هوت يديكِ وقدميكِ كما يفعل مع أمثالكِ»، وعاد يرفع المِلقط من الماء.

- «أنت خائف».

- «دعيني وشأني يا فتاة».

- «جندري، هناك مئة من رجال الشَّمال، وربما أكثر، فلم أستطِع أن أحصيهم، أي أنهم يُماثِلون رجال السير آموري في العدد... دون عَدِّ الممثِّلين السفَّاحين. علينا أن نُخرِجهم فقط وسيُمكننا أن نستولي على القلعة ونهرب».

- «لا تستطيعين إخراجهم، تمامًا كما لم تستطيعي إنقاذ لومي»، وقلبَ جندري واقي الصَّدر بالمِلقط ليفحصه عن كثبٍ مضيفًا: «وإذا هربنا، فأين نذهب؟».

أجابَت من فورها: «وينترفل. سأحكي لأمِّي كيف ساعدتَني، ويُمكنك أن تبقى و...».

- «هل ستسمح سيِّدتي؟ هل أصنعُ حدواتٍ لخيولكم وسيوفًا لإخوتك الكرام؟».

أحيانًا يجعلها تشتعل غضبًا. صاحَت: «اصمُت!».

- «لماذا أقامرُ بقدميَّ لمجرَّد فرصة أن أكدح في وينترفل بدلًا من هارنهال؟ هل تعرفين العجوز بن ذا الإبهام الأسود؟ لقد جاءَ إلى هنا صبيًّا صغيرًا، وعملَ حدَّادًا لدى الليدي وِنت وأبيها من قبلها وأبيه من قبله، بل واللورد لوثستون الذي كان سيِّد هارنهال قبل عائلة وِنت، والآن هو حدَّاد لدى اللورد تايوين. أتدرين ماذا يقول؟ السَّيف سيف والخوذة خوذة، وإذا مددت يدك في النَّار تحترق، أيًّا كان من تخدمه. لوكان معلِّم لا بأس به. سأبقى هنا».

- «ستقبض عليك الملكة إذن. إنها لم تُرسِل ذوي المعاطف الذَّهبيَّة لملاحَقة ذي الإبهام الأسود!».

- «ربما لم يكونوا يُريدونني أنا أصلًا».

- «تعلم جيِّدًا أنهم كانوا يُريدوك أنت، لأنك مهم!».

- «أنا صبيٌّ حدَّاد، وربما أصبحُ معلِّم حدادة ذات يوم... إذا لم أهرب وتُقطَع قدماي أو أُقتَل»، والتفتَ جندري عنها، والتقطَ مطرقته وعادَ يدقُّ.

كوَّرت آريا قبضتيها شاعرةً بالعجز، وصاحَت فيه: «عندما تصنع خوذةَ المرَّة القادمة، ضع أُذني بغل بدلًا من قرني الثَّور!»، وأسرعَت مغادرةً قبل أن تستسلم لرغبتها في ضربه. غالبًا لن يَشعُر بشيءٍ إذا ضربته. حينما يَعثُرون عليه ويقطعون رأس البغل الغبي عن كتفيه، سيندم على أنه لم يُساعِدني. إنها أفضل حالًا دونه، فهو من تسبَّب في القبض عليها في القلعة.

لكن التَّفكير في القرية جعلَها تتذكَّر المسيرة على الطَّريق، والمستودع،

والمُدغدِغ، وخطرَ ببالها الولد الصَّغير الذي هشَّموا وجهه بهرَّاوةٍ شائكة، والعجوز الأحمق كلٌّ لچوفري، ولومي أخضر اليد. كنتُ شاةً، ثم فأرًا لا يقوى على شيءٍ غير الاختباء. مضغَت آريا شفتها محاولةً أن تتذكَّر متى استردَّت شَجاعتها. چاكن أعادَ إليَّ الشَّجاعة، جعلَني شبحًا بدلًا من فأر.

كانت تتحاشى اللوراثي منذ مصرع ويز. تشيزويك كان سهلًا، فأيُّ أحدٍ يستطيع أن يدفع رجلًا من شُرفة، لكن ويز كان يُرَبِّي تلك الكلبة المرقَّطة القبيحة منذ كانت جروةً، ولا شيء غير سحرٍ أسود ما يُمكنه أن يدفعها إلى الانقلاب عليه. يورن وجدَ چاكن في زنزانةٍ سوداء، ومعه رورچ والعضَّاض. چاكن ارتكبَ فعلةً شنعاء ويورن كان يعلم، ولهذا كبَّله بالسَّلاسل. إذا كان اللوراثي ساحرًا، فلا بُدَّ أن رورچ والعضَّاض شيطانان استحضرَهما من جحيم ما، وليسا بَشريَّين على الإطلاق.

ما زال چاكن مدينًا لها بميتةٍ أخرى. في حكايات العجوز نان عمَّن تمنحهم الجرامكنات أمنياتٍ سحريَّة، عليك أن تكون شديد الحذر مع الأمنية الثَّالثة، لأنها الأخيرة. تشيزويك وويز لم يكونا مهمَّين، بينما تُذَكِّر آريا نفسها كلَّ ليلةٍ إذ تهمس بقائمة الأسماء: لا بُدَّ أن تكون للميتة الأخيرة قيمة. لكنها تتساءَل الآن إن كان هذا سبب تردُّدها الحقيقي، فما دامَت قادرةً على القتل بهمسة، فلا سبب لأن تخشى أحدًا... لكن بمجرَّد أن تستنفد آخِر الميتات، ستعود مجرَّد فأرٍ مذعور.

لم تجرؤ على العودة إلى فِراشها بَعد استيقاظ ذي العين الورديَّة، ولمَّا لم تدرِ أين تختبئ، اتَّجهت إلى أيكة الآلهة. تُحِبُّ رائحة أشجار الصَّنوبر والحارس اللَّاذعة، والشُّعور بالكلأ والثَّرى بين أصابع قدميها، والأصوات التي تُصدِرها الرِّياح وسط الأوراق. يتعرَّج جدول ضحل بطيء التيَّار عبر الأيكة، وثمَّة بُقعة التهمَ فيها الماء الأرض تحت كتلةٍ متشابكةٍ من الأشجار السَّاقطة.

وهناك، تحت الخشب المتعفِّن والفروع الملتوية المهشَّمة، وجدَت سيفها المخبَّأ.

كان جندري قد رفضَ بعنادٍ أن يصنع واحدًا لها، فكسرَت رأس مقشَّةٍ

واستخدمَت العصا، وعلى الرغم من أن سيفها شديد الخفَّة وبلا مقبض ملائم، فقد أحبَّت رأسه المحزَّز المشظَّى، وكلما وجدَت ساعةً بلا عملٍ تتسلَّل لتتدرَّب على الحركات التي علَّمها سيريو إياها، وتدور بقدمين حافيتين على ورق الشَّجر السَّاقط، ضاربةً الأغصان ومسقطةً المزيد من الأوراق، وأحيانًا تتسلَّق الشَّجرة وتُمارِس حركاتها الرَّاقصة بين الفروع العُليا التي تتشبَّث بها أصابع قدميها وهي تتحرَّك أمامًا وخلفًا، فيقلُّ ترنُّحها كلَّ يومٍ مع استعادتها توازنها.

اللَّيل أفضل الأوقات على الإطلاق، فلا أحد يُزعِجها ليلًا.

تسلَّقت آريا، وهناك في الأعلى، في قلب مملكة الأخضر، استلَّت سيفها ونسيَتهم جميعًا، السير آموري والممثِّلين ورجال أبيها على حَدِّ السَّواء، وفقدَت نفسها في الإحساس بالخشب الخشن تحت قدميها وصوت شَقِّ السَّيف الهواء. تحوَّل فرع مكسور إلى چوفري، فراحَت تضربه حتى سقطَ، أمَّا الملكة والسير إلين والسير مرين وكلب الصَّيد فكانوا مجرَّد أوراق، لكنها قتلَتهم جميعًا وقطَّعتهم إلى شرائط خضراء مبتلَّة. عندما تعبَت ذراعها، جلسَت على فرعٍ ضخم تلتقط أنفاسها في هواء اللَّيل البارد، وأصغَت لأصوات الخفافيش وهي تصطاد، ومن خلال مظلَّة الأوراق رأت فروع شجرة القلوب البيضاء كالعظام، فقالت لنفسها: تُشبِه التي في وينترفل تمامًا من هنا... وليتها كانت تلك التي في وينترفل حقًّا، فعندها كانت ستجد نفسها في ديارها من جديدٍ حين تنزل، ولربما يكون أبوها جالسًا تحت شجرة الويروود كديدنه.

ثبَّتت السَّيف في حزامها، ونزلَت من فرع إلى فرعٍ إلى أن بلغَت الأرض، ثم شقَّت طريقها إلى الويروود، التي صبغَ القمر غصونها بلونٍ أبيض مائل إلى الفضِّي، بينما أحالَ اللَّيل أوراقها الحمراء خماسيَّة الرُّؤوس إلى الأسود. حدَّقت آريا في الوجه المحفور في الجذع، الوجه البشع الذي التوى فمه واشتعلَت عيناه كراهيةً. أهكذا يبدو الإله؟ وهلٍ من الممكن أن يمسَّ الآلهة أذى كالبَشر؟ فكَّرت مقرِّرةً فجأةً: ينبغي أن أصلِّي.

جثَت آريا على رُكبتيها دون أن تدري كيف تبدأ، ثم شبَّكت يديها معًا وصلَّت في أعماقها: ساعِديني أيتها الآلهة القديمة، ساعِديني على إخراج

هؤلاء الرِّجال من الزِّنزانة كي نَقتُل السير آموري ونعود بي إلى وينترفل. اجعليني راقصة مياهٍ وذئبةً، ولا تدعي الخوف يُصيبني ثانيةً أبدًا.

أيكفي هذا؟ ربما عليها أن تُصَلِّي بصوتٍ عالٍ إذا أرادَت أن تسمعها الآلهة القديمة، وربما عليها أن تُصَلِّي فترةً أطول. تذكَّرت أن أباها كان يقضي وقتًا طويلًا في الصَّلاة أحيانًا، وأصابَتها الذِّكرى بالغضب، فخاطبَت الشَّجرة معنِّفةً: «كان يجب أن تُنقذيه وقد صلَّى لكِ طول الوقت. لا أبالي إذا ساعدتِني أم لا، ولا أظنُّ أنكِ تقدرين حتى إذا أردتِ».

- «لا تصحُّ السُّخرية من الآلهة يا فتاة». أجفلَها الصَّوت، فوثبَت ناهضةً وسحبَت سيفها الخشبي. كان چاكن هاجار يقف بثباتٍ تام في الظَّلام حتى إنه بدا كواحدةٍ من الأشجار. «الرَّجل جاءَ ليسمع اسمًا. واحد واثنان ثم يأتي الثَّالث وينتهي الرَّجل».

خفضَت آريا رأس السَّيف المشظَّى، وقالت: «كيف عرفت أني هنا؟».

- «الرَّجل يرى، الرَّجل يسمع، الرَّجل يعرف».

حدجَته بنظراتٍ مرتابة. هل أرسلَته الآلهة؟ «كيف جعلت الكلبة تَقتُل ويز؟ هل استحضرت رورچ والعضَّاض من الجحيم؟ هل چاكن هاجار اسمك الحقيقي؟».

- «البعض يحمل أسماء عدَّة. بنت عرس، آري... آريا».

تراجعَت مبتعدةً عنه حتى انضغطَ ظَهرها على شجرة القلوب، وقالت: «هل وشى بي جندري؟».

- «الرَّجل يعرف يا ليدي ستارك».

لعلَّ الآلهة أرسلَته استجابةً لدُعائها حقًّا. هكذا قالت: «أريدك أن تُساعِدني على إخراج هؤلاء الرِّجال من الزِّنزانة، جلوڤر والبقيَّة، جميعهم. يجب أن نَقتُل الحُرَّاس ونفتح الزِّنزانة بوسيلةٍ ما...».

قاطَعها بهدوء: «الفتاة تنسى. نفسين نالَت والدَّين ثلاث. إذا كانت ترغب في موت حارسٍ، فعليها فقط أن تقول اسمه».

- «لكن حارسًا واحدًا لا يكفي. يجب أن نَقتُلهم كلهم لنفتح الزِّنزانة»،

وعضَّت آريا شفتها بقوّةٍ لتمنع نفسها من البكاء، وقالت: «أريدك أن تُنقِذ رجال الشَّمال كما أنقذتك».

رمقَها بلا شفقةٍ في عينيه، وقال بصوتٍ بنعومة الحرير وقسوة الفولاذ: «ثلاث أنفُسٍ اختُطِفَت من الإله، وثلاث أنفُسٍ لا بُدَّ أن تُرَدَّ. لا تصحُّ السُّخرية من الآلهة».

- «لم أسخر منها قَطُّ»، وفكَّرت لحظةً قبل أن تقول: «الاسم... أيُمكنني أن أقول اسم أيِّ أحدٍ وستَقتُله؟».

مالَ چاكِن هاجار برأسه جانبًا، وأجابَ: «هذا ما قاله الرَّجل».

كرَّرت: «ستَقتُله أيًّا كان؟ رجلًا أو امرأةً أو طفلًا رضيعًا؟ اللورد تايوين أو السِّپتون الأعلى أو أباك؟».

- «والد الرَّجل ماتَ منذ زمن، لكن لو كان حيًّا وتعرفين اسمه، لماتَ بأمرِكِ».

قالت آريا: «أقسِم، أقسِم بالآلهة».

- «بكلِّ آلهة البحر والهواء وحتى إله النَّار أقسمُ»، ووضعَ چاكِن يده على فم الويروود متابعًا: «بالآلهة السَّبعة الجديدة والآلهة القديمة التي لا تُحصى أقسمُ».

لقد أقسمَ. «حتى إذا نطقتُ اسم الملك...».

- «انطقي الاسم وموتًا يموت. غدًا، أو عندما يستدير القمر، أو بَعد عام من اليوم، سيأتي الموت. الرَّجل لا يُحَلِّق كالطُّيور، لكن قدمًا تمضي ثم الثَّانية حتى يأتي يوم ويصل الرَّجل ويموت الملك»، وركعَ إلى جوارها ليتقابَل وجهاهما، وقال: «فلتهمس الفتاة إذا كانت تخشى الكلام بصوتٍ عالٍ. اهمسي بالاسم الآن. أهو چوفري؟».

قرَّبت آريا شفتيها من أُذنه وهمسَت: «چاكِن هاجار».

حتى في الحظيرة وأسوار النِّيران ترتفع من حوله وهو مكبَّل بالأغلال، لم يبدُ عليه الجزع الذي بدا الآن وهو يقول: «الفتاة... إنها تمزح».

- «لقد أقسمت، والآلهة سمعَتك تُقسِم».

- «الآلهة سمعَت»، وظهرَ السكِّين في يده فجأةً، نصله رفيع للغاية

كخنصرها، وإن لم تدرِ آريا إن كان لها أم له. «الفتاة ستبكي. الفتاة ستفقد صديقها الوحيد».

قالت: «لست صديقي. كان صديقي ليُساعِدني»، وابتعدَت عنه موازنةً نفسها على مُشطي قدميها تحسُّبًا لأن يُلقي السكِّين، وأردفَت: «لا يُمكنني أن أقتل صديقًا أبدًا».

لاحَت ابتسامة چاكن وراحَت، وقال: «أيُمكن للفتاة أن... تنطق اسمًا آخَر إذن إن ساعدَها الصَّديق؟».

- «ربما تفعل الفتاة... إن ساعدَها الصَّديق».

اختفى السكِّين، وقال اللوراثي: «تعالي».

- «الآن؟». لم تحسب أنه سيتصرَّف بهذه السُّرعة.

- «الرَّجل يسمع همس الرَّمل في الزُّجاج، الرَّجل لن ينام حتى تسحب الفتاة اسمًا معيَّنًا. هلمِّي أيتها الطِّفلة الشرِّيرة».

لستُ طفلةً شرِّيرةً، إنني ذئبة رهيبة والشَّبح الذي يَسكُن هارنهال. وضعَت عصا المقشَّة في مخبأها وتبعَته إلى خارج أيكة الآلهة.

دبَّت الحركة في هارنهال على الرغم من السَّاعة المتأخِّرة، إذ خرقَ وصول ڤارجو هوت وتيرة الحياة المنتظمة منذ فترة. كانت السَّاحة قد خلَت من العربات والثِّيران والخيول، وإن ظَلَّ قفص الدُّبِّ هناك، معلَّقًا من قنطرة الجسر الذي يصل بين السَّاحتين الخارجيَّة والوُسطى، وقد ثبَّتته سلاسل ثقيلة على ارتفاع بضعة أقدام من الأرض. أغرقَت حلقة من المشاعل المكان بالضَّوء، بينما أخذَ عدد من صبيان الاسطبل يقذفون الدُّبَّ بالحصى ليُزَمجِر ويخور، وعبر السَّاحة خرجَ الضَّوء من قاعة الثُّكنات، تصحبه خشخشة الدَّوارق المعدنيَّة ونداء الرِّجال طالبين مزيدًا من النَّبيذ، وارتفعَت عدَّة أصواتٍ بأغنيَّةٍ ما بلُغةٍ حلقيَّة غريبة تجهلها آريا.

إنهم يأكلون ويشربون قبل أن يناموا. لا بُدَّ أن ذا العين الورديَّة أرسلَ من يُوقظني لأقدِّم الطَّعام والشَّراب، وعرفَ أني لستُ في فِراشي. لكنه غالبًا يصبُّ الشَّراب بنفسه لرجال رِفقة الشُّجعان ورجال السير آموري الذين انضمُّوا إليهم، وستُساعِد الجلبة التي يُحدِثونها على إلهائهم.

قال چاكن: «الآلهة الجائعة ستلتهم وليمةً من الدَّم اللَّيلة إذا نفَّذ الرَّجل هذا الشَّيء. أيتها الفتاة الحُلوة الطيِّبة، اسحبي الاسم وقولي آخَر وتخلَّي عن ذلك الحُلم المجنون».

- «لا».

بدا عليه الاستسلام، وقال: «ليكن. سيُنَفَّذ هذا الشَّيء إذن، لكن على الفتاة أن تُطيع. الرَّجل لا يملك وقتًا للكلام».

قالت آريا: «الفتاة ستُطيع. ماذا أفعلُ؟».

- «الرِّجال المئة جائعون ولا بُدَّ من إطعامهم، واللورد أمرَ بالحَساء السَّاخن. يجب أن تهرع الفتاة إلى المطابخ وتقول لصبيِّ الفطائر».

- «الحَساء. وأين ستكون أنت؟».

- «الفتاة ستُساعِد في إعداد الحَساء، وستبقى في المطابخ حتى يأتيها الرَّجل. اذهبي، اجري».

كان هوت پاي يُخرِج أرغفة الخُبز من الفُرن حين دخلَت مسرعةً، لكنه لم يَعُد بمفرده، بَعدما أيقَظوا الطُّهاة لإطعام ڤارجو هوت وممثِّليه السفَّاحين. كان الخدم يحملون سلالًا من خُبز وكعكات هوت پاي، بينما يُقَطِّع رئيس الطُّهاة شرائح من لحم الخنزير، ويُدَوِّر عُمَّال الأسياخ الأرانب على النَّار وتسقيها عاملات المطبخ بالعسل، وتُقَطِّع النِّسوة البصل والجزر. سألَها رئيس الطُّهاة لمَّا رآها: «ماذا تُريدين يا بنت عرس؟».

- «الحَساء، سيِّدي يُريد الحَساء».

أشارَ بسكِّينه إلى القدور الحديد السَّوداء المعلَّقة فوق اللَّهب، وقال: «وماذا تحسبين هذا؟ مع أني أفضِّلُ أن أبول فيه على تقديمه لهذا الكبش الذي لا يَترُكنا ننام ليلًا»، وبصقَ وأضافَ: «لا عليكِ. عودي إليه وقولي إننا لا نستطيع استعجال الغليان».

- «أمرَني بالانتظار هنا حتى يجهز».

- «لا تُعَطِّلينا إذن، أو الأفضل أن تجعلي نفسكِ مفيدةً. اذهبي إلى مخزن المؤن، فحضرة الكبش يُريد زُبدًا وجبنًا. أيقِظي پيا وقولي لها أن تتحرَّك بسرعةٍ إذا أرادَت الاحتفاظ بقدميها».

ذهبَت بأقصى سرعتها، ووجدَت ڀيا تتلوَّى وتتأوَّه تحت واحدٍ من الممثِّلين، لكنها عادَت ترتدي ثيابها سريعًا حين سمعَت صيحة آريا، وملأَت ستَّ سلالٍ بقوالب الزُّبد وشرائح الجُبن كريه الرَّائحة المغلَّف بالشَّاش، وقالت لآريا: «ساعِديني على حملها».

- «لا أستطيعُ، لكن خيرٌ لكِ أن تُسرِعي وإلَّا بترَ ڤارجو هوت قدمكِ»، وهرعَت مبتعدةً قبل أن تُمسِكها ڀيا، وفي طريق العودة إلى المطابخ تساءلَت لماذا يحتفظ كلُّ الأسرى بأقدامهم وأيديهم كافَّة. ربما يكون ڤارجو خائفًا من إثارة غضب روب، مع أنه لا يبدو عليه أن يخاف أحدًا.

كان هوت پاي يُقَلِّب محتويات القدور بملعقةٍ خشبيَّةٍ طويلة عندما عادَت، فالتقطَت ملعقةً ثانيةً وبدأت تُساعِد، وخطرَ لها لحظةً أنه ربما يَجدُر بها أن تُخبره، قبل أن تتذكَّر القرية وتُقَرِّر ألَّا تفعل. سوف يستسلم ثانيةً لا أكثر.

ثم إنها سمعَت نبرة صوت رورچ القبيحة إذ نادى: «أيها الطَّاهي، سنأخذ حَساءك اللَّعين»، فتخلَّت آريا عن الملعقة مرتاعةً، وفكَّرت: لم أقل له أن يُحضِرهما. كان رورچ يرتدي خوذته الحديد ذات الواقي الذي يُخفي مكان أنفه المفقود، وتبعَه چاكن والعضَّاض إلى الدَّاخل.

قال الطَّاهي: «الحَساء اللَّعين لم يجهز بعدُ. يجب أن يُترَك ليغلي على نارٍ هادئة، ولقد أضَفنا البصل للتَّوِّ و...».

- «أغلِق فمك هذا وإلَّا دسستُ سيخًا في فتحة مؤخِّرتك ودوَّرتك على النَّار. قلتُ الحَساء وقلتُ الآن».

فَحَّ العضَّاض ومزَّق قطعةً من لحم أرنبٍ نِصف مشوي من على سيخٍ وغرسَ فيه أسنانه، ليسيل العسل من بين أصابعه.

باستسلام قال الطَّاهي: «خُذوا حَساءكم اللَّعين إذن، لكن فلتُخبِروا الكبش بالسَّبب إذا قال إن لا طَعم له».

لعقَ العضَّاض الدُّهن والعسل من على أصابعه، بينما ارتدى چاكن هاجار قُفَّازين ثقيلين مبطَّنين، وناولَ آريا اثنين آخرين قائلًا: «بنت عرس ستُساعِد».

كان الحَساء يغلي والقدور ثقيلة للغاية، وبعناءٍ حملَت آريا واحدةً مع چاكن، بينما حملَ رورچ الثَّانية وحده، ورفعَ العضَّاض اثنتين أخريين، مطلقًا فحيحًا

متألِّمًا إذ أحرقَ مقبضاهما يديه ، لكنه لم يُسقِطهما على الرغم من ذلك، وخرَجوا بالقدور من المطابخ وعبروا بها السَّاحة إلى باب بُرج الأرملة، حيث وقفَ حارسان سألَ أحدهما رورچ: «ما هذا؟».

- «قِدر من البول المغلي. أترغب في القليل؟».

ابتسمَ چاكن بنعومةٍ قائلًا: «يجب أن يأكل السُّجناء أيضًا».

- «لم يقل أحد شيئًا عن...».

قاطعَته آريا: «الحَساء لهم وليس لكم».

أشارَ لهم الحارس الثَّاني بالمرور قائلًا: «أنزلوه إليهم إذن».

في الدَّاخل كانت سلالم ملتفَّة تقود إلى الزِّنزانة في الأسفل، وقادَهم رورچ بينما تحرَّك چاكن وآريا في المؤخِّرة، وقال لها: «الفتاة لن تعترض الطَّريق». أفضَت السَّلالم إلى سردابٍ حجري شديد الرُّطوبة، طويل ومعتم وبلا نوافذ، واتَّقدت بضعة مشاعل مثبَّتة على حوامل في طرف السِّرداب الدَّاني، حيث جلسَ عدد من حَرس السير آموري حول طاولةٍ خشبيَّة مشوَّهة، يتكلَّمون ويلعبون البلاطات، وقد فصلَتهم قضبان حديديَّة ثقيلة عن الأسرى الذين تزاحَموا معًا في الظَّلام، وجعلَت رائحة الحَساء كثيرين منهم يقتربون من القضبان.

أحصَت آريا ثمانيةً من الحُرَّاس الذين شمُّوا الحَساء بدورهم، وقال قائدهم لرورچ: «أنت أقبح خادمةٍ رأيتها في حياتي كلها. ما الذي في القِدر؟».

- «قضيبك وخصيتاك. أتُريد أن تأكل أم لا؟».

كان أحد الحُرَّاس يتحرَّك جيئةً وذهابًا، وثانٍ يقف بالقُرب من القضبان، وثالث يجلس على الأرض مسندًا ظَهره إلى الحائط، لكن الطَّعام حثَّهم جميعًا على الالتفاف حول الطَّاولة.

- «أخيرًا تذكَّروا أن يُطعِمونا».

- «أهذه رائحة بصل؟».

- «وأين الخُبز؟».

- «تبًّا! نحتاج أطباقًا وأكوابًا وملاعق...».

قال رورچ: «لا، لا تحتاجونها»، وقذفَ الحَساء المغلي عبر الطَّاولة في

وجوههم مباشرةً، وأسرعَ چاكْن هاجار يحذو حذوه، بينما ألقى العضَّاض قِدريه ملوِّحًا بهما لتدورا في هواء الزِّنزانة وتُمطِرا الحُرَّاس بالحَساء، وأصابَت إحداهما قائد الحَرس في صُدغه وهو يُحاوِل النُّهوض، فسقطَ كجوالٍ من الرَّمل وهمدَت حركته، أمَّا الآخَرون فكانوا يَصرُخون ألمًا، يتوسَّلون الرَّحمة من الآلهة ويُحاوِلون الزَّحف بعيدًا.

ضغطَت آريا نفسها على الحائط حين بدأ رورچ يشقُّ الحلوق، بينما فضَّل العضَّاض أن يُمسِك الرِّجال من وراء الرَّأس وتحت الذَّقن، فيكسر أعناقهم بحركةٍ واحدةٍ من يديه الضَّخمتين الشَّاحبتين. واحد فقط منهم استطاعَ أن يستلَّ سيفه، ووثبَ چاكْن متفاديًا ضربته وسحبَ سيفه وأجبرَ الرَّجل على التَّراجُع إلى زاويةٍ بسيلٍ من الضَّربات، قبل أن يُسَدِّد سيفه إلى قلبه ويَقتُله، ثم ذهبَ اللوراثي بالسَّيف الملطَّخ بدماء القلب إلى آريا، ومسحَه على ثوبها قائلًا: «يَجدُر بالفتاة أن تكون داميةً أيضًا، فهذا من صُنعها».

كان مفتاح الزِّنزانة معلَّقًا في خُطَّافٍ على الحائط فوق الطَّاولة، فالتقطَه رورچ وفتحَ الباب، وكان أول مَن خرجَ هو اللورد ذو رمز القبضة المكسوَّة بحلقات الفضَّة على سُترته، وقال: «أنا روبت جلوڤر».

انحنى چاكْن قائلًا: «سيِّدي».

بمجرَّد أن خرجَ الأسرى من الزِّنزانة، بدأوا يُجَرِّدون الحُرَّاس من أسلحتهم، واندفعوا صاعدين السَّلالم بالفولاذ في أيديهم، فيما تحلَّق رفاقهم وراءهم عُزلًا، لكنهم تحرَّكوا بسرعةٍ وبلا كلام، دون أن يلوح على أيِّهم أنه يُعاني جرحًا بالغًا كما بدوا عندما ساقَهم ڤارجو هوت إلى داخل هارنهال. كان الرَّجل جلوڤر يقول: «حيلة الحَساء هذه كانت بارعةً حقًّا ولم أتوقَّعها. أهي فكرة اللورد هوت؟».

وانفجرَ رورچ ضاحكًا، وراحَ يضحك ويضحك بقوَّةٍ حتى طارَ المخاط من الفتحة التي كان أنفه يحتلُّها، وجلسَ العضَّاض فوق واحدٍ من الموتى وأمسكَ يده المرتخية وبدأ يقضم الأصابع لتتهشَّم العظام بين أسنانه.

عقدَ روبت جلوڤر حاجبيه متسائلًا: «من أنتم يا رجال؟ لم تكونوا مع هوت حين أتى إلى معسكر اللورد بولتون. أأنتم من رِفقة الشُّجعان؟».

مسحَ رورج المخاط عن ذقنه بظَهر يده قائلًا: «إننا كذلك الآن».

- «هذا الرَّجل له شَرف أن يكون چاكن هاجار، من مدينة لوراث الحُرَّة في الماضي، ورفيقا هذا الرَّجل الذَّميمان اسمهما رورج والعضَّاض. لا بُدَّ أن سيِّدي يعرف مَن منهما العضَّاض»، ثم أشارَ إلى آريا قائلًا: «وهذه...».

أسرعَت تقول قبل أن يُفشي هويَّتها الحقيقيَّة: «بنت عرس». إنها لا تُريد أن يُنطَق اسمها هنا حيث يسمعه رورج والعضَّاض وكلُّ الآخَرين الذين لا تعرفهم.

رأت جلوڤر يصرف نظره عنها قائلًا: «ليكن إذن. دعونا ننتهي من هذا العمل الدَّامي».

عندما صعَدوا السَّلالم الملتفَّة، وجدوا حارسيَّ الباب غارقيْن في بِركتين من دمائهما، بينما اندفعَ الشَّماليُّون هنا وهناك عبر السَّاحة، وسمعَت آريا صياحًا، وانفتحَ باب قاعة الثُّكنات بعُنفٍ وخرجَ منه رجل يترنَّح ويَصرُخ، قبل أن يلحق به ثلاثة آخَرون ويُخرِسوه بالحربة والسَّيف، كما تناهى إلى مسامعها قتال من عند مبنى البوَّابة أيضًا. انطلقَ العضَّاض ورورج مع جلوڤر، أمَّا چاكن هاجار فركعَ إلى جوار آريا، وقال: «ألا تفهم الفتاة؟».

أجابَت بلا فهم حقيقي: «بل أفهم».

لكن لا بُدَّ أنَّ اللوراثي رأى الحيرة على ملامحها، فقال: «الكبش لا إخلاص له. قريبًا سترتفع راية الذِّئب هنا على ما أظنُّ، لكن قبل هذا يُريد الرَّجل أن يسمع اسمًا معيَّنًا يُسحَب».

قالت آريا: «أسحبُ اسمك»، ومضغَت شفتها متسائلةً: «ألا تزال لي ميتة ثالثة؟».

- «الفتاة طمَّاعة»، ومَسَّ چاكن جثَّة أحد حارسيِّ الباب وأراها أصابعه الملطَّخة بالدِّماء متابعًا: «ها هو الثَّالث وها هو الرَّابع، وفي الأسفل ثمانية آخَرون. قد سُدِّدَ الدَّين».

ردَّدت آريا على مضض: «قد سُدِّدَ الدَّين»، وخامرَها الحُزن لأنها عادَت مجرَّد فأرٍ صغير.

- «قد أوتيَ الإله حَقَّه، والآن يجب أن يموت الرَّجل»، وارتسمَت ابتسامة غريبة على شفتي چاكَن هاجار.

ما معنى هذا؟ قالت حائرةً: «يموت؟ لكني سحبتُ اسمك، ولا داعي الآن لأن تموت».

- «بل هناك داعٍ، لأن وقتي انتهى»، ومرَّر چاكَن يده على وجهه من جبهته إلى ذقنه، وأينما مسَّت يده ملامحه تبدَّلت الملامح، فامتلأَت وجنتاه أكثر، ودنَت عيناه من بعضهما بعضًا أكثر، وصارَ أنفه معقوفًا، وظهرَت نُدبة على وجنته اليُسرى التي كانت نظيفةً تمامًا من قبل، وحين هَزَّ رأسه اختفى شَعره الطَّويل المنسدل، الأحمر على جانب وأبيض على الثَّاني، ليحلَّ محلَّه شَعر أسود مجعَّد قصير.

فغرَت آريا فاها وهمسَت بذهولٍ يفوق خوفها: «من أنت؟ كيف فعلت هذا؟ أهو صعب؟».

ابتسمَ كاشفًا سِنًّا ذهبيَّةً لامعةً، وقال: «ليس أصعب من انتحال اسمٍ جديد لو أنك تعرفين الطَّريقة».

قالت من فورها: «أرني، أريدُ أن أفعل هذا أيضًا».

- «إذا أردتِ أن تتعلَّمي، فيجب أن تأتي معي».

بتردُّدٍ سألَته: «أين؟».

- «بعيدًا عبر البحر الضيِّق».

- «لا أستطيعُ. يجب أن أعود إلى دياري في وينترفل».

قال: «لا مناص من أن نفترق إذن، فلديَّ واجبات بدوري»، ورفعَ يدها ودَسَّ عُملةً صغيرة الحجم في راحتها قائلًا: «هاكِ».

- «ما هذا؟».

- «عُملة عظيمة القيمة».

عضَّتها آريا فوجدَتها شديدة الصَّلابة بحيث لا يُمكن أن تكون من غير الحديد، وسألَته: «أتكفي لشراء حصان؟».

- «إنها ليست لشراء الأحصنة».

- «ما جدواها إذن؟».

- «كأني بكِ تسألين عن جدوى الحياة أو الموت. إذا جاءَ يوم وأردتِ العثور عليَّ ثانيةً، فأعطي هذه العُملة لأيِّ رجلٍ من براڤوس وقولي له هذه العبارة: ڤالار مورجولِس».

ردَّدت آريا: «ڤالار مورجولِس». لم تجد العبارة صعبةً، وأغلقَت أصابعها بإحكامٍ حول العُملة بينما سمعَت أصوات القتل قادمةً عبر السَّاحة، وقالت له: «أرجوك لا ترحل يا چاكن».

قال بحُزن: «چاكن ماتَ كما ماتَ آري، ولديَّ وعود عليَّ أن أحفظها. ڤالار مورجولِس يا آريا ستارك، قوليها ثانيةً».

- «ڤالار مورجولِس»، ردَّدت، فانحنى الغريب الذي يرتدي ثياب چاكن، ثم ابتعدَ بمعطفٍ يُرَفرف حتى اكتنفَه الظَّلام، وأصبحَت بمفردها مع الموتى، فقالت لنفسها متذكِّرةً كلَّ من قتلَهم السير آموري في المعقل عند البحيرة: كانوا يستحقُّون الموت.

كانت الأقبية أسفل بُرج محرقة الملك خاليةً عندما عادَت إلى فِراشها القَش، حيث همسَت بأسمائها لوسادتها، وفي النِّهاية أضافَت: «ڤالار مورجولِس» بصوتٍ خافتٍ ناعم وهي تتساءَل عن معنى العبارة.

عادَ ذو العين الورديَّة والآخَرون فَجرًا، كلهم باستثناء صبيٍّ واحدٍ لقيَ مصرعه أثناء القتال لسببٍ لا يدريه أحد، ثم صعدَ ذو العين الورديَّة إلى السَّاحة وحده ليرى الأوضاع في نور النَّهار، واشتكى طول الطَّريق إلى أعلى من أن عظامه العجوز لا تتحمَّل السَّلالم، قبل أن يعود ويُخبرهم بأن هارنهال سقطَت، ويقول: «الممثِّلون السفَّاحون قتَلوا بعض رجال السير آموري وهُم نيام، والآخَرون أجهَزوا عليهم بَعدما جلسوا سكرانين حول الموائد. سيصل اللورد الجديد قبل ختام اليوم مع جيشه كله. إنه من براري الشَّمال حيث يقف «الجِدار» إياه، ويقولون إنه قاسٍ. على كلِّ حال، هذا اللورد أو ذاك، ما زال لدينا عمل نقوم به. ارتكِبوا أيَّ أفعالٍ حمقاء وسأجلدكم حتى يتمزَّق جِلدكم». رمقَ آريا وهو ينطق الجزء الأخير، لكنه لم يُوَجِّه لها كلمة واحدة عن غيابها اللَّيلة السَّابقة.

راقبَت الممثِّلين السفَّاحين يُجَرِّدون الأموات من ممتلكاتهم طول

الصَّباح، ويسحبون الجُثث إلى ساحة الحجر المصهور، حيثُ أُشعِلَت محرقة للتخلُّص منها. قطعَ شاجويل المهرِّج رأسيَّ فارسين وتبخترَ حول القلعة وهو يُلَوِّح بهما ويجعلهما يتكلَّمان، فيقول رأس: «ماذا قتلكَ؟»، ويُجيب الثَّاني: «حَساء بنت عرس السَّاخن».

كُلِّفَت آريا بمسح الدِّماء الجافَّة، ولم يُوَجِّه لها أحد كلامًا غير المعتاد، وإن لاحظَت بين الحين والآخَر النَّاس يحدجونها بنظراتٍ غريبة. لا بُدَّ أن روبت جلوڤر والآخَرين الذين حرَّروهم تكلَّموا عمَّا حدثَ في الزِّنزانة، ثم أخذَ شاجويل ورأساه السَّخيفان يُثَرثِرون عن حَساء بنت عرس. كانت لتقول له أن يخرس، لكنها تخشى المهرِّج نِصف المجنون، الذي سمعَت في مرَّةٍ أنه قتلَ رجلًا لم يضحك على واحدةٍ من نكاته. فكَّرت وهي تحكُّ البُقعة البنِّيَّة المحمرَّة: خيرٌ له أن يَصمُت وإلَّا وضعتُ اسمه على قائمتي.

كانت المساء يدنو عندما وصلَ سيِّد هارنهال الجديد أخيرًا، ورأت أن له وجهًا حليقًا تقليديَّ الملامح، لا شيء مميَّزًا فيه غير العينين الشَّاحبتين العجيبتين، ليس ممتلئًا أو نحيلًا أو مفتول العضلات، ويرتدي الحلقات المعدنيَّة السَّوداء ومعطفًا ورديًّا مرقَّطًا، وبدا الرَّمز على رايته كرجلٍ مغموس في الدَّم. هتفَ مُرافِقه، الصَّبي الذي لا يفوق آريا سِنًّا: «اركعوا لسيِّد «معقل الخوف»!»، وركعَت هارنهال.

تقدَّم ڤارجو هوت قائلًا: «ثيِّدي، هارنهال لك».

أجابَ اللورد بشيءٍ ما، لكن بصوتٍ أنعم وأخفت من أن تسمعه آريا، وانضمَّ إليهما روبت جلوڤر والسير إينس فراي، اللذان تحمَّما وارتديا ثيابًا نظيفةً، وبَعد كلام وجيز قادَهم السير إينس إلى رورچ والعضَّاض. اندهشَت آريا لأنهما لا يزالان هنا، فقد توقَّعت أن يختفيا بشكلٍ ما مع غياب چاكن. سمعَت صوت رورچ الأجشَّ لكن ليس ما قاله، قبلَ أن ينقضَّ شاجويل عليها فجأةً ويسحبها من معصمها عبر السَّاحة معلنًا بصوتٍ مترنِّم: «سيِّدي، سيِّدي، ها هي بنت عرس التي صنعَت الحَساء!».

قالت آريا متملِّصةً من قبضته: «دَعني!».

رمقَها اللورد دون أن يتحرَّكَ في وجهه غير عينيه الشَّاحبتين كالجليد، وقال لها: «كم عُمركِ أيتها الصَّغيرة؟».

فكَّرت لحظةً قبل أن تتذكَّر وتُجيب: «عشرة أعوام».

قال بصرامة: «عشرة أعوام يا سيِّدي. أتُحِبِّين الحيوانات؟».

- «أحبُّ بعضها يا سيِّدي».

ارتسمَت ابتسامة رفيعة ملتوية على شفتيه، وقال: «لكن ليس الأسد على ما يبدو، أو المانتيكور»، ولمَّا لم تعرف بِمَ تُجيب، لاذَت بالصَّمت وتابعَ هو: «يقولون لي إن اسمكِ بنت عرس. لن يَصلُح هذا. ماذا سمَّتكِ أمُّكِ؟».

عضَّت شفتها باحثةً عن اسم آخَر. لومي سمَّاها رأس الجِزَل، وسانزا سمَّتها وجه الحصان، ورجال أبيها لقَّبوها بآريا المُداسة، لكنها لا تحسب أن أيًّا من هذه الأسماء سيُرضيه. هكذا قالت: «نايميريا، لكنها كانت تدعوني نان اختصارًا».

قال اللورد برفق: «ستُخاطِبينني بـ«يا سيِّدي» حين تُكَلِّمينني يا نان. إنكِ أصغر من أن تَصلُحي لرِفقة الشُّجعان في رأيي، ومن الجنس الخطأ كذلك. هل تخافين العَلَقات[1] أيتها الصَّغيرة؟».

- «إنها مجرَّد عَلَقات يا سيِّدي».

- «يبدو أن على مُرافِقي أن يتعلَّم منكِ درسًا. تعليق العَلق المستمر هو سِرُّ الحياة الطَّويلة، فيجب أن يُطَهِّر الرَّجل جسده من الدَّم الفاسد. أعتقدُ أنكِ ستَصلُحين. ستكونين ساقيتي ما دمتُ مقيمًا في هارنهال يا نان، وتخدمينني على المائدة وفي مسكني».

هذه المرَّة كانت أعقل من أن تقول إنها تُفَضِّل العمل في الاسطبلات، وردَّت: «نعم يا سيِّدك... أقصدُ يا سيِّدي».

لوَّح اللورد بيده قائلًا للا أحد بعينه: «اجعلوا مظهرها لائقًا، واحرِصوا

---

(1) العَلَقات كائنات طفيليَّة تُشبِه الدِّيدان وتمتصُّ الدِّماء، وبدأ استخدامها قبل ألفيٍّ عام بغرض تطهير الجسد من الدَّم الفاسد بعمليَّة كانت تُعرَف بتعليق العَلق، بالإضافة إلى الحفاظ على الدَّم من التجلُّط أثناء الجراحة.

على أن تتعلَّم كيف تصبُّ النَّبيذ دون أن تَسكُبه»، ثم التفتَ وقال مشيرًا: «لورد هوت، تولَّ أمر تلك الرَّايات المرفوعة على مبنى البوَّابة».

صعدَ أربعة من رِفقة الشُّجعان إلى شُرفة المبنى وألقوا أسد لانستر ومانتيكور السير آموري الأسود أرضًا، ثم رفعوا مكانهما رجل «معقل الخوف» المسلوخ وذئب ستارك الرَّهيب.

هذا المساء صبَّت خادمة اسمها نان النَّبيذ لرووس بولتون وڤارجو هوت إذ وقفا في الشُّرفة المغطَّاة يُشاهِدان رجال رِفقة الشُّجعان يسوقون السير آموري لورك عاريًا عبر السَّاحة الوُسطى، وتوسَّل السير آموري وانتحبَ وتمسَّك بأقدام آسِريه، إلى أن جَرَّه رورج وركلَه شاجويل ليَسقُط في حُفرة الدُّب، فقالت آريا لنفسها: الدُّب أسود تمامًا، مثلما كان يورن، وملأَت كأس رووس بولتون بالنَّبيذ دون أن تَسكُب قطرةً.

دنيرس

في مدينة العجب العُجاب هذه، توقَّعت داني أن يكون بيت الخالدين أبهى البيوت جميعًا، لكنها خرجَت من هودجها لتجده أطلالًا رماديَّةً عتيقةً.

مبنى طويل واطئ هو، بلا أبراجٍ أو نوافذ، ويلتفُّ كأفعى حجريَّة عبر أيكةٍ من الأشجار سوداء اللِّحاء، التي يُصنَع من ورقها الأزرق كالحبر شراب المشعوذين المسمَّى لدى الكارثين صبغة المساء. ليست هناك أبنية أخرى قريبة، ويكتسي سطح القصر بالقرميد الأسود الذي سقطَ منه الكثير أو تحطَّم، بينما جَفَّ الملاط بين الأحجار وتفتَّت. الآن تفهم لماذا سمَّاه زارو زون داكسوس قصر الغُبار، وحتى دروجون بدا متوتِّرًا من منظره، وفَحَّ التنِّين الأسود وخرجَ الدُّخان من بين أسنانه السَّوداء.

قال چوجو بالدوثراكي: «يا دم دمي، هذا مكان شرِّير تَسكُنه الأشباح والمايجي. أترين كيف يتشرَّب نور الشَّمس؟ لنرحل قبل أن يتشرَّبنا بدورنا».

تقدَّم السير چورا مورمونت يقف إلى جوارهما، وقال: «أيُّ قوَّةٍ لديهم وهُم يعيشون في هذا؟».

قال زارو زون داكسوس المسترخي داخل الهودج: «أصغي إلى كلام من يُحِبُّونكِ. الدجَّالون كائنات لدود تأكل التُّراب وتشرب من الظِّلال، ولن يُعطوكِ شيئًا لأنهم لا يملكون ما يُعطونه».

وضعَ آجو يده على أراخه قائلًا: «گاليسي، يُقال إن كثيرين يَدخُلون قصر الغُبار، لكن قلائل يَخرُجون».

أيَّده چوجو: «هذا معلوم».

قال آجو: «نحن دم دمكِ، أقسمنا على العيش والموت معكِ. دعينا نمشي معكِ في هذا المكان المظلم، لنحميكِ من الأذى».

قالت داني: «بعض الأماكن على الكَّال نفسه أن يَدخُلها وحده».

بإلحاحٍ قال السير چورا: «خُذيني إذن، فالمخاطَرة...».

- «يجِب أن تَدخُل الملكة دنيرس وحدها أو لا تَدخُل على الإطلاق».

خرجَ الدجَّال پيات پري من بين الأشجار، فتساءلَت داني: أكان هنا من البداية؟ بينما واصلَ هو: «إذا عادَت أدراجها الآن، ستنغلق أبواب الحكمة في وجهها إلى أبد الآبدين».

ناداها زارو زون داكسوس: «ما زال مركب النُّزهات ينتظر. تراجعي عن هذه الحماقة يا أكثر الملكات عنادًا. لديَّ عازفو ناي سيُنعِشون روحكِ القلقة بموسيقى عذبة، وفتاة صغيرة سيجعلك صوتها تتنهَّدين وتذوبين طربًا».

رمقَ السير چورا مورمونت الأمير التَّاجر بنظرةٍ عابسة، وقال: «تذكَّري ميري ماز دور يا جلالة الملكة».

قالت داني وقد حزمَت أمرها فجأةً: «أتذكَّرها، وأتذكَّرُ أنها امتلكَت معرفةً مع أنها كانت مجرَّد مايجي».

رسمَ پيات پري بسمةً رفيعةً على شفتيه قائلًا: «الطِّفلة تتكلَّم بحكمة العجائز. خُذي ذراعي ودعيني أقودكِ».

ردَّت داني: «لستُ طفلةً»، لكنها تأبَّطت ذراعه رغم ذلك.

سادَ الظَّلام تحت الأشجار السَّوداء أكثر مما كانت تحسب، ووجدَت الطَّريق أطول كذلك، ومع أن الممرَّ بدا كأنه يمتدُّ من الشَّارع إلى باب القصر مباشرةً، فقد انعطفَ پيات پري بَعد قليل، ولمَّا سألَته عن السَّبب اكتفى الدجَّال بأن قال: «الطَّريق الأمامي يقود إلى الدَّاخل، لكن ليس إلى الخارج ثانيةً أبدًا. أصغي إلى كلامي يا مولاتي الملكة، بيت الخالدين لم يُبنَ للفانين، وإذا كنتِ تُقَدِّرين روحكِ، فعليكِ أن تحترسي وتفعلي كما أقولُ لكِ بالضَّبط».

- «سأفعلُ كما تقول».

- «عندما تَدخُلين، ستجدين نفسكِ في غُرفةٍ ذات أربعة أبواب، الباب الذي دخلتِ منه وثلاثة غيره. ادخُلي من أول بابٍ إلى يمينكِ، الباب الأول

إلى يمينكِ كلَّ مرَّة، وإذا صادفتِ سُلَّمًا فاصعدي لكن لا تهبطي أبدًا، ولا تَدخُلي من أيِّ بابٍ غير الأول إلى يمينكِ».

- «الباب الأول إلى يميني، مفهوم. وعندما أخرجُ، هل أختارُ العكس؟».

قال پيات پري: «إياكِ. لا فارق بين الدُّخول والخروج، إلى أعلى دائمًا، ومن الباب الأول إلى يمينكِ دائمًا. قد تنفتح أبواب أخرى لكِ، وفي الدَّاخل سترين أشياء كثيرة تُزعِجكِ، رؤى من الجَمال ورؤى من الرُّعب، عجائب ومهالك، مناظر وأصوات من عصورٍ دالَت وعصورٍ ستحلُّ وعصورٍ لم تكن قَطُّ. قد يُكَلِّمكِ السَّاكنون والخدم بينما تتحرَّكين، فأجيبيهم أو تجاهَليهم كما تختارين، لكن لا تَدخُلي أيَّ غُرفةٍ إلى أن تصلي إلى قاعة المثول».

- «مفهوم».

- «عندما تَبلُغين قاعة الخالدين، تحلَّي بالصَّبر، فحيواتنا القصيرة ليست أكثر من حركة جناح عُثَّةٍ عندهم. أصغي إليهم ودوِّني كلَّ كلمةٍ على فؤادكِ».

حين وصلا إلى الباب -الفم البيضاوي الطَّويل المحفور في جدارٍ منحوت على شكل وجهٍ بَشري- كان أصغر قزم رأته داني في حياتها كلها يقف عند العتبة. لا يَبلُغ طوله أكثر من ارتفاع رُكبتَها، وله وجه ممصوص مدبَّب وأنف أشبه بالخَطم، وإن ارتدى ثيابًا ثمينةً من الأرجواني والأزرق، وحملَ صحفةً فضِّيَّة بيديه الورديَّتين الدَّقيقتين، استقرَّت عليها كأس من البلَّور ملأها سائل أزرق ثخين، نبيذ الدجَّالين المسمَّى صبغة المساء. حثَّها پيات پري قائلًا: «خُذيه واشربيه».

- «هل سيَصبُغ شفتيَّ بالزُّرقة؟».

- «لن يفعل الإكسير شيئًا غير تذويب الشَّمع من أُذنيكِ والغَمص من عينيكِ، كي تسمعي وتري الحقائق التي ستُطرَح أمامكِ».

رفعَت داني الكأس إلى شفتيها. كان مذاق الرَّشفة الأولى كالحبر واللَّحم التَّالف، كريهًا، لكن حين ابتلعَت الشَّراب أحسَّت بالحياة تدبُّ فيه في أعماقها، وشعرَت كأن نبتةً متسلِّقةً تتفرَّع داخل صدرها كأصابع من نارٍ تلتفُّ حول قلبها، وعلى لسانها كان مذاق كالعسل واليَنسون والقشدة، كلبن أمِّها

ونُطفة دروجو، كاللَّحم الأحمر والدَّم السَّاخن والذَّهب المصهور. كانت كلَّ المذاقات التي عرفَتها ولا واحد منها... ثم فرغَت الكأس.

قال الدجَّال: «يُمكنكِ الدُّخول الآن»، فوضعَت داني الكأس على صحفة الخادم القزم، ودخلَت.

وجدَت نفسها في بهو حجري فيه أربعة أبواب تحتلُّ الجُدران الأربعة، وبلا تردُّدٍ اتَّجهت إلى الباب الأول إلى يمينها ودخلَت، لتجد بهوًا توأمًا للأول، ومرَّةً أخرى دخلَت من الباب إلى اليمين، وحين فتحَته وجدَت نفسها في بهوٍ آخَر صغير فيه أربعة أبواب. إنني في حضرة الشَّعوذة.

الغُرفة الرَّابعة كانت بيضاويَّةً لا مربَّعةً، وجُدرانها من الخشب الذي أكلَه الدُّود وليست من الحجر، وتتفرَّع منها ستَّة أروقة لا أربعة، فاختارَت داني الأدنى إلى يمينها وودخلَت دهليزًا طويلًا معتمًا عالي السَّقف، وإلى يمينها كان صَفٌّ من المشاعل المتَّقدة بضوءٍ برتقالي دُخاني، لكن الأبواب الوحيدة الموجودة تقع إلى اليسار. بسطَ دروجون جناحيه الأسودين الواسعين وضربَ الهواء الرَّاكد، وحلَّق عشرين قدمًا قبل أن يَسقُط على نحوٍ مخجل، فأسرعَت داني إليه بخطواتٍ واسعة.

كان البساط الذي أكلَه العفن تحت قدميها ملوَّنًا بألوانٍ بهيَّة في الماضي، وما زال ممكنًا أن ترى الزَّخارف الذَّهبيَّة في النَّسيج، التي تلمع على استحياءٍ وسط الرَّمادي الباهت والأخضر المبقَّع. ما تبقَّى من البساط كان كافيًا لأن يكتم وقع قدميها، غير أن هذا ليس بالشَّيء المرغوب تمامًا، إذ سمعَت داني أصواتًا آتيةً من داخل الجُدران، أصوات حَكٍّ وخمشٍ جعلَتها تُفكِّر في الجرذان. دروجون أيضًا سمعَها، وتحرَّك رأسه وهو يتبعها بأُذنيه، وحين توقَّفت أطلقَ صرخةً غاضبةً. أصوات أخرى أكثر إثارةً للتوجُّس تسرَّبت من وراء الأبواب المغلقة، واهتزَّ أحدها وتعالَت منه دقَّات، كأن أحدهم يُحاول اقتحامه من الدَّاخل، ومن وراء باب آخَر أتَت أصوات مزامير نشاز جعلَت التنِّين يجلد الهواء بذيله بعُنف، وهرعَت داني تتجاوَز الباب.

لم يكن كلُّ الأبواب مغلقًا، فقالت داني لنفسها: لن أنظر، لكن الإغراء كان أقوى منها كثيرًا.

في غُرفةٍ انطرحَت امرأة جميلة عاريةً على الأرض، بينما أخذَ أربعة رجالٍ صغار الحجم يزحفون فوقها، وجوههم مدبَّبة وملامحهم كالجرذان، وأيديهم ورديَّة ضئيلة كيدي الخادم الذي قدَّم لها كأس الصَّبغة. كان أحدهم يدفع نفسه بين فخذيها، وآخَر يفترس ثدييها وينهش الحلمتين بفمه الأحمر المبتل، يُمَزِّق ويَمضُغ.

بَعد مسافةٍ صادفَت وليمةً للجُثث، حيث تبعثرَ المولِمون المذبوحون بوحشيَّةٍ بين الكراسي المقلوبة والموائد المحطَّمة، غرقى في بِركٍ من الدِّماء المتخثِّرة، بعضهم مبتور الأطراف بل والرُّؤوس، وقد قبضَت الأيدي المقطوعة على الكؤوس الدَّامية والملاعق الخشبيَّة والطُّيور المشويَّة وأرغفة الخُبز، وعلى عرشٍ يعلوهم جلسَ رجل ميت ذو رأس ذئب، يرتدي تاجًا من الحديد ويُمسِك ساق حَملٍ بيده كما يُمسِك الملك صولجانًا، وتبعَت عيناه داني بضراعةٍ خرساء.

فرَّت منه، لكن حتى الباب المفتوح التَّالي فقط، حيث قالت لنفسها: أعرفُ هذه الغُرفة. تذكَّرت عوارض السَّقف الخشبيَّة الضَّخمة ووجوه الحيوانات المنقوشة التي تُزَيِّنها، وهناك خارج النَّافذة كانت شجرة اللَّيمون! مجرَّد مرآها جعلَ قلبها يُوجِعها من فرط الحنينِ. إنه المنزل ذو الباب الأحمر، المنزل الذي كان في براڤوس. لم تكد تُفَكِّر في هذا حتى دخلَ السير ويلم داري الغُرفة متَّكئًا بشدَّةٍ على عُكَّازه، وقال بصوتٍ مبحوحٍ رفيق: «ها أنتِ ذي يا أميرتي الصَّغيرة، تعالي، تعالي إليَّ يا سيِّدتي، إنكِ في بيتكِ الآن، أنتِ آمنة الآن»، ومَدَّ إليها يده الكبيرة المتغضِّنة الرَّخوة كالجِلد القديم، وأرادَت داني أن تُمسِكها وتقبض عليها وتلثمها، أرادَت هذا أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر أرادَته قبلًا، وتقدَّمت قدمها خطوةً، قبل أن تُفَكِّر: إنه ميت، إنه ميت، الدُّب العجوز الجميل ماتَ منذ سنين طويلة، وتراجعَت وجرَت.

امتدَّ الدِّهليز الطَّويل وامتدَّ وامتدَّ، أبوابه بلا نهايةٍ إلى يسارها ولا شيء غير المشاعل إلى يمينها، ومرَّت بأبواب أكثر من أن تحصيها، أبواب مغلقة وأخرى مفتوحة، أبواب حديد وأخرى خشب، أبواب مزخرفة وأخرى تقليديَّة، أبواب بمقابض وأبواب بأقفال وأبواب بمقارع. ضربَها دروجون

على ظَهرها بذيله مستحثًّا إياها على التقدُّم، وعدَت داني حتى لم تَعُد تقوى على العدو.

فجأةً ظهرَ مصراعا باب برونزيَّان عملاقان إلى يسارها، تبدو عليهما الفخامة أكثر من غيرهما، وانفتَحا من تلقاء نفسهما حين اقتربَت، ومن ورائهما لاحَت قاعة حجريَّة هائلة الحجم، أكبر قاعةٍ رأتها على الإطلاق، تستقرُّ جماجم تنانين على جُدرانها، وفوق عرشٍ شائكٍ ضخم جلسَ رجل عجوز يرتدي ثيابًا فاخرةً، رجل عجوز داكن العينَين ذو شَعرٍ أشيب يميل إلى الفضِّي، وكان يقول للرَّجل الواقف عند قاعدة العرش: «فَليكن ملكًا على العظام المتفحِّمة واللَّحم المطبوخ، فليكن ملكًا على الرَّماد». صرخَ دروجون وغرسَ مخالبه في حرير ثوبها وجِلدها، لكن الملك الجالس على العرش لم يسمع شيئًا، وواصلَت داني طريقها.

ڤسيرس كان أول ما خطرَ لها حين توقَّفت ثانيةً، لكن التَّدقيق بناظريها أخبرَها بشيءٍ آخَر. للرَّجل شَعر أخيها، لكنه أطول قامةً، وعيناه بلون النِّيلج الدَّاكن بدلًا من البنفسجي الفاتح، وقد قال لامرأةٍ تُرضِع طفلًا حديث الولادة في سريرٍ خشبيٍّ ضخم: «إجون. هل من اسمٍ أفضل لملك؟».

سألَته المرأة: «هل ستُؤَلِّف له أغنيَّةً؟».

أجابَ الرَّجل: «لديه أغنيَّة بالفعل. إنه الأمير الموعود، وأغنيَّته أغنيَّة الجليد والنَّار». رفعَ عينيه وهو يقولها لتلتقيا بعيني داني، حتى بدا كأنه يراها واقفةً هناك خارج الباب، وقال دون أن تدري داني إن كان يُخاطِبها أم يُخاطِب المرأة الجالسة في الفِراش: «لا بُدَّ أن يكون هناك واحد آخَر. التنِّين له ثلاثة رؤوس»، واتَّجه إلى المقعد المجاور للنَّافذة، والتقطَ قيثارةً داعبَت أصابعه أوتارها الفضِّيَّة بخفَّة، وأفعمَ الغُرفة شجن عذب بينما ذابَ الرَّجل وزوجته وطفلهما كضباب الصُّبح، لا يبقى من أثرهم غير الموسيقى تحثُّ داني على التقدُّم.

كأن ساعةً أخرى مرَّت قبل أن ينتهي الدِّهليز الطَّويل بغتةً عند سلالم حجريَّة منحدرة تهبط لتغيب في الظُّلمة. كلُّ بابٍ مفتوح أو مغلَق كان إلى يسارها، وتطلَّعت داني وراءها لتُدرِك والخوف يتملَّكها أن المشاعل بدأت

تنطفئ. ربما لم يتبقَّ منها غير عشرين مشعلٍ موقَد، ثلاثين على الأكثر، وتذبذبَ لهب واحدٍ آخَر وانطفأ بالفعل وهي تَنظُر، فدنا الظَّلام أكثر قليلًا عبر الدِّهليز إذ زحفَ نحوها، وبينما أصغَت بدا أنها تسمع شيئًا آخَر يقترب، يزحف ويجرُّ نفسه بتؤدةٍ على البساط العتيق. ملأَها الرُّعب. إنها لا تستطيع العودة وتخشى البقاء هنا، لكن كيف يُمكنها الاستمرار؟ ليس هناك باب إلى يمينها، والسَّلالم تتَّجه إلى أسفل لا أعلى.

مشعل آخَر انطفأ ريثما وقفَت تُفكِّر، وارتفعَت الأصوات درجةً. مَدَّ دروجون عُنقه الطَّويل وفغرَ فاه صارخًا والبُخار يتصاعَد من بين أسنانه. هو أيضًا يسمع الأصوات. التفتَت إلى الحائط المصمت مرَّةً أخرى، لكن لا شيء اختلفَ. أمن الممكن أن هناك بابًا سِريًّا لا أراه؟ وانطفأ مشعل آخَر، وآخَر. قال الباب الأول إلى اليمين، دائمًا الباب الأول إلى اليمين. الباب الأول إلى اليمين...

وأدركَت الحَلَّ فجأةً.

... هو الباب الأخير إلى اليسار.

ودخلَت من الباب قفزًا، ووراءه كانت غُرفة صغيرة أخرى فيها أربعة أبواب، وإلى اليمين اتَّجهت، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، وإلى اليمين، حتى عادَ رأسها يدور وأنفاسها تتقطَّع.

عندما توقَّفت، وجدَت نفسها في غُرفةٍ حجريَّة مظلمة أخرى... لكن هذه المرَّة كان الباب المواجه لها مستديرًا، مشكِّلًا كفم مفتوحٍ، وفي الخارج وقفَ پيات پري على العُشب تحت الأشجار، ولمَّا رآها سألَها غير مصدِّق: «أمن الممكن أن الخالدين فرغوا منكِ بهذه السُّرعة؟».

قالت بارتباك: «بهذه السُّرعة؟ لقد مشيتُ ساعات وساعات دون أن أجدهم».

قال پيات پري: «لا بُدَّ أنكِ سلكتِ منعطفًا خطأ. تعالي، سأقودكِ»، ومَدَّ يده.

تردَّدت داني. ثمَّة باب إلى يمينها لا يزال مغلقًا...

بحزم قال پيات پري وقد زَمَّ شفتيه استنكارًا: «ليس هذا الطَّريق الصَّحيح. الخالدون لن ينتظروا إلى الأبد».

قالت داني: «حيواتنا القصيرة ليست أكثر من حركة جناح عُثَّةٍ عندهم».

- «أيتها الطِّفلة العنيدة، ستضيعين ولن يُعثَر لكِ على أثرٍ أبدًا».

وابتعدَت عنه متَّجهةً صوب الباب إلى يمينها.

وصرخَ پيات: «لا، لا، إليَّ، تعالي إليَّ، إلييييييَّ!»، وتجعَّد وجهه وتغضَّن إلى الدَّاخل مستحيلًا إلى شيءٍ شاحبٍ أشبه بالدُّودة.

تركَته داني وراءها ودخلَت بئر سُلَّم وبدأت تصعد، وسرعان ما أوجعَتها ساقاها، وتذكَّرت أن بيت الخالدين بلا أيِّ أبراج.

أخيرًا انتهَت السَّلالم، وإلى يمينها كان باب خشبي واسع موارَب، أحد مصراعيه من خشب الأبنوس والثَّاني من الويروود، تتموَّج فيهما العروق السَّوداء والبيضاء وتتلوَّى في نقوشٍ متداخلةٍ عجيبة. كان المصراعان جميليَّ المنظر للغاية، لكن مخيفين بشكلٍ ما. دم التنِّين لا يجب أن تخاف. ردَّدت صلاةً سريعةً طالبةً الشَّجاعة من «المُحارِب» والقوَّة من إله الخيول الدوثراكي، قبل أن تُجبِر نفسها على التقدُّم.

وراء الباب كانت قاعة عظيمة ورهط من السَّحرة البادين في أبهى صورة، بعضهم يرتدي ثيابًا بالغة الفخامة من فرو القاقوم والمخمل الياقوتي وقُماش الذَّهب، والبعض الآخر يُؤثِر ارتداء دروعٍ أنيقة مطعَّمة بالأحجار الكريمة، أو قُبَّعاتٍ طويلة مدبَّبة مرقَّطة بالنُّجوم، وبينهم كانت نساء ترتدي فساتين بديعةً في جمالها، بينما تسلَّلت خيوط من نور الشَّمس من النَّوافذ الملوَّنة، ودَبَّت الحياة في الهواء ذاته على أنغام أعذب موسيقى سمعَتها في حياتها.

نهضَ رجل ملوكي المنظر يرتدي ثوبًا أنيقًا حين رآها، وابتسمَ قائلًا: «دنيرس سليلة عائلة تارجاريَن، مرحبًا بكِ. تفضَّلي وشارِكينا طعام الأبديَّة. نحن خالدو كارث».

- «طويلًا انتظرناكِ»، قالت امرأة تُجاوِره ترتدي الوردي والفضِّي، وثديها الذي تركَته مكشوفًا تبعًا لتقليد الكارثين كان في أكمل شكلٍ يُمكن أن يكونه ثديٌ.

قال الملك السَّاحر: «كنا نعرف أنكِ ستأتيننا، منذ ألف عامٍ ونحن نعرف، وننتظركِ منذ ذلك الحين، وأرسلنا المذنَّب ليُريكِ الطَّريق».

وقال مُحارِب يرتدي دِرعًا برَّاقةً من الزمرُّد: «لدينا معارف نتشارَكها معكِ، وأسلحة نُزَوِّدكِ بها. لقد اجتزتِ كلَّ اختبار، فتعالي واجلسي معنا وستُجاب أسئلتكِ كلها».

تقدَّمت خطوةً، إلَّا أن دروجون وثبَ عندئذٍ من على كتفها، وحلَّق إلى أعلى الباب المصنوع من الأبنوس والويروود، وجثَمَ هناك وبدأ يقضم الخشب المنقوش.

ضحكَ شابٌّ وسيم قائلًا: «حيوان عنيد. هل تَنشُدين أن نعلِّمكِ لُغة التَّنانين؟ تعالي، تعالي».

تملَّكتها الشُّكوك. كان الباب الضَّخم ثقيلًا لدرجة أنه تطلَّب قوَّة داني كلها حتى تزحزحَ، لكنه بدأ يتحرَّك أخيرًا، ومن ورائه لاحَ باب آخَر كان متواريًا، باب من الخشب الرَّمادي القديم، تقليدي ومشقَّق... لكنه إلى يمين الباب الذي دخلَت منه. كان السَّحرة يستحثُّونها على الاقتراب بأصوات أحلى من الموسيقى، لكنها فرَّت منهم وحلَّق دروجون عائدًا إليها، ومن الباب الضيِّق مرَّت لتَدخُل غُرفةً غارقةً في العتمة.

احتلَّت طاولة حجريَّة طويلة الغُرفة، وفي الهواء فوقها سبحَ قلب بَشري منتفخ مزرق من العفن، لكن لا يزال حيًّا. كان ينبض بصوتٍ ثقيلٍ عميق، ومع كلِّ نبضةٍ يتوهَّج ضوء بلون النِّيلج. لم تكن أجساد المحيطين بالطَّاولة أكثر من ظلالٍ زرقاء، ولمَّا اقتربَت داني من المقعد الشَّاغر عند قدم الطَّاولة، لم يتحرَّكوا، أو يتكلَّموا، أو يُديروا رؤوسهم إليها، وما من صوتٍ غير الخفقات البطيئة العميقة القادمة من القلب المتعفِّن.

... أمُّ التَّنانين... جاءَ صوت هو نِصف همسة ونِصف أنَّة... التَّنانين... التَّنانين... التَّنانين... وتردَّدت أصوات أخرى كالصَّدى في ظلام الغُرفة، بعضها ذَكر وبعضها أنثى، وتكلَّم أحدها كأنه طفل. نبضَ القلب السَّابح في الهواء بين عتمةٍ وظلمة، وأحسَّت داني بصعوبة استجماع إرادتها لتتكلَّم، بعُسر تذكُّر الكلمات التي تدرَّبت عليها باجتهاد، قبل أن تقول: «أنا دنيرس وليدة العاصفة، سليلة عائلة تارجاريَن، ملكة ممالك وستروس السَّبع». هل

يسمعونني؟ لماذا لا يتكلَّمون؟ جلسَت طاويةً يديها في حِجرها، وقالت: «امنحوني مشورتكم وحدِّثوني بحكمة من قهَروا الموت».

في زُرقة النِّيلج المعتمة ميَّزت الملامح الذَّابلة للخالد الجالس إلى يمينها، رجل طاعن في السِّنِّ تغضَّن وجهه وسقط شَعره، جِلده رخو وأزرق مائل إلى الأرجواني، وأظفاره وشفتاه أشدُّ زُرقةً، وحتى بياض عينيه أزرق، وقد حدَّقتا بلا رؤيةٍ في المرأة التي بلغَت من العُمر أرذله وجلسَت إلى الجانب المقابل من الطَّاولة في فُستانٍ من الحرير الباهت البالي على جسدها، بينما تُركَ ثدي واحد ذاوٍ مكشوفًا على طريقة الكارثين، في نهايته حلمة زرقاء مدبَّبة وصُلبة كالجلد.

أَصغَت داني إلى الصَّمت مفكِّرةً: إنها لا تتنفَّس، لا أحد منهم يتنفَّس أو يتحرَّك، وتلك الأعيُن لا تُبصِر شيئًا. أيُمكن أن يكون الخالدون موتى؟

جاءَت إجابة المرأة همسةً رفيعةً كشارب الفأر:... نحن أحياء... أحياء... أحياء... أحياء... وردَّدت أصوات أخرى عدَّة الهمس:... ونعرف... نعرف... نعرف... نعرف...

قالت داني: «أتيتُ ساعيةً إلى هبة الحقيقة. في الدِّهليز الطَّويل... الأشياء التي رأيتها، أهي رؤى حقيقيَّة أم كاذبة؟ أشياء من الماضي أم المستقبَل؟ ماذا تعني؟».

... صورة من الظِّلال... غدايا وعشايا لم تُخلَق بعدُ... اشربي من كأس الجليد... اشربي من كأس النَّار...

... أمُّ التَّنانين... ابنة الثَّلاثة...

قالت بلا فهم: «ثلاثة؟».

... للتنيِّن ثلاثة رؤوس... ثرثرَت الجوقة الشَّبحيَّة داخل جمجمتها دون أن تتحرَّك شفة واحدة، دون أن يتردَّد نفس واحد في الهواء الأزرق السَّاكن... أمُّ التَّنانين... طفلة العاصفة... استحالَت الهمسات إلى أغنيَّةٍ تدور كدوَّامة... ثلاث نيرانٍ ستُشعِلين... واحدةً للحياة وواحدةً للموت وواحدةً للحُب... كان قلبها ينبض الآن بإيقاعٍ واحدٍ مع الآخَر الطَّافي أمامها بزُرقته وعفنه... ثلاث دوابٍّ ستمتطين... واحدةً إلى الفِراش وواحدةً إلى الرُّعب وواحدةً

إلى الحُب... أدركَت أن الأصوات تعلو، وأحسَّت بخفقان قلبها يتباطأ، وأنفاسها أيضًا... ثلاث خياناتٍ ستعرفين... واحدةً من أجل الدَّم وواحدةً من أجل الذَّهب وواحدةً من أجل الحُب.

- «لستُ...». لم يعلُ صوتها على همسة، وخرجَ منها خافتًا كأصواتهم. ما الذي يَحدُث لها؟ بنبرةٍ أعلى قالت: «لستُ أفهم. ساعِدوني، أروني». لماذا يَصعُب الكلام هنا هكذا؟

بسخريةٍ قالت الهمسات:... ساعِدوها... أروها...

ارتعشَت الأشباح في الظُّلمة كصُورٍ بزُرقة النِّيلج، وصرخَ ڤسيرس إذ سالَ الذَّهب المصهور على وجنتيه وملأَ فمه، ووقفَ لورد طويل القامة ذو بشرةٍ بلون النُّحاس وشَعرٍ بلون الذَّهب الفضِّي أسفل راية جوادٍ ناري ومن تحته مدينة تحترق، وطارَت حبَّات الياقوت كقطرات الدَّم من صدر أميرٍ محتضر، وتهاوى على رُكبتيه في الماء، وبآخِر أنفاسه تمتمَ باسم امرأة... أمُّ التَّنانين... ابنة الموت... بوهجِ غروب الشَّمس ارتفعَ سيف أحمر في يد ملكٍ أزرق العينين لا يُلقي ظِلًّا، وتمايلَ تنِّين من القُماش على أعمدةٍ وسط جمهور يُهَلِّل، ومن بُرجٍ داخنٍ حلَّق وحش حجري عظيم نافثًا نارًا من ظلال... أمُّ التَّنانين... قاتلةَ الأكاذيب... كانت فَرسها الفضِّيَّة تعدو وسط الكلأ نحو جدول ماءٍ مظلم تحت بحرٍ من النُّجوم، ووقفَت جثَّة رجلٍ عند مقدِّمة سفينةٍ بعينين تلمعان في الوجه الميت وشفتان رماديَّتان تبتسمان بحُزن، ونمَت وردة زرقاء من شِقٍّ في جِدارٍ من الجليد وملأَت الهواء بالشَّذى... أمُّ التَّنانين... عروس النَّار...

تسارعَت الرُّؤى أكثر فأكثر وتوالَت واحدةً بَعد الأخرى حتى بدا لها كأن الهواء نفسه صارَ حيًّا. تلوَّت ظلال رهيبة بلا عظام ورقصَت داخل خيمة، وجرَت فتاة صغيرة حافية القدمين نحو منزلٍ كبير ذي بابٍ أحمر، وصرخَت ميري ماز دور واللَّهب يلتهمها، بينما انبثقَ تنِّين من جبهتها، ووراء حصانٍ فضِّي تخبَّطت جثَّة رجلٍ عارٍ مجرورةً، واندفعَ أسد أبيض وسط غابة عُشبٍ يفوق قامة الإنسان طولًا، وفي ظِلِّ الجبل الأم خرجَ صَفٌّ من الحيزبونات العاريات من بحيرةٍ عظيمة وركعن أمامها حانيات الرُّؤوس الشَّائبة، ورفعَ

عشرة آلافٍ من العبيد أياديهم الملطَّخة بالدِّماء بينما مرقَت بفَرسها الفضِّيَّة مسابقةً الرِّيح، وهتَفوا: «أمَّاه! أمَّاه! أمَّاه». كانوا يمدُّون أيديهم إليها، يتحسَّسونها، يجذبون معطفها وحاشية تنُّورتها، وقدميها، وساقيها، ونهديها. كانوا يُريدونها، يحتاجونها، النَّار، الحياة، وشهقَت داني وفتحَت ذراعيها مسلِّمةً نفسها إليهم...

وعندئذٍ ضربَها الجناحان الأسودان على رأسها، وشَقَّت صرخة غضب الهواء الأزرق، وعلى حين غرَّةٍ تلاشَت الرُّؤى، واستحالَت شهقة داني إلى رُعب. كان الخالدون يُحيطون بها بزُرقتهم وبرودتهم، يهمسون وهُم يمدُّون أيديهم نحوها، يسحبون ويتلمَّسون ويشدُّون ثيابها ويتحسَّسونها بأيديهم الجافَّة الباردة ويتخلَّلون شَعرها بأصابعهم. تخلَّت قوَّتها كلها عنها وارتخَت أطرافها ولم تقدر على الحركة، وحتى قلبها كَفَّ عن النَّبض. شعرَت بيدٍ على نهدها المكشوف تلوي حلمتها، وأحاطَت أسنان بجِلد حَلقها اللَّين، وهبطَ فم إلى عينها، يلعق، يعضُّ، يمصُّ...

ثم أصبحَت زُرقة النِّيلج برتقاليًا، وتحوَّل الهمس إلى صراخ. كان قلبها يدقُّ بعُنفٍ وقد اختفَت الأيدي والأفواه، وغمرَت الحرارة بشرتها، وطرفَت داني بعينها مع الوهج الذي تأجَّج فجأةً. فوق رأسها فردَ التنِّين جناحيه وراحَ ينهش القلب الدَّاكن البشع، يُمَزِّق اللَّحم العفِن تمزيقًا، وحين دفعَ رأسه إلى الأمام، خرجَت النَّار ساخنةً متَّقدةً من فمه المفتوح، وسمعَت داني صرخات الخالدين وهُم يحترقون، ترتفعُ أصواتهم الرَّقيقة كالورق بلُغاتٍ ماتَت منذ دهر، وتجعَّد لحمهم كالرَّقوق واحترقَت عظامهم كالحطب الجاف المغموس في الشَّحم، فترنَّحوا وداروا وتلوُّوا ورفعوا الأيادي المضطرمة عاليًا لتضيء أصابعهم كالمشاعل.

دفعَت داني نفسها إلى النُّهوض ودفعَتهم بعيدًا عنها، فوجدَتهم خفيفي الوزن كالهواء، ليسوا أكثر من قشور، وسقَطوا بمجرَّد اللَّمس. كانت الغُرفة كلها مشتعلةً حين بلغَت الباب، ونادَت: «دروجون»، فطارَ إليها عبر ألسنة اللَّهب.

في الخارج امتدَّ ممرٌّ طويل متعرِّج مظلمًا أمامها، لا يُنيره غير الوهج

البرتقالي القادم من خلفها، وجرَت داني تبحث عن باب، بابٍ إلى يمينها، بابٍ إلى يسارها، عن أيِّ باب، لكن لا شيء هنالك غير الجُدران الحجريَّة الملتوية، وأرضيَّة تبدو كأنها تتحرَّك على مهلٍ تحت قدميها، تتلوَّى كأنها تُريد عرقلتها، فحافظَت على ثبات خُطاها وجرَت أسرع، وفجأةً كان الباب أمامها، باب كالفم المفتوح.

جعلَها النُّور السَّاطع تتعثَّر حينما خرجَت إلى الشَّمس، وكان پيات پري يرطن بلسانٍ مجهول ويثب من قدمٍ إلى الثَّانية، ولمَّا نظرَت داني وراءها رأت خيوطًا من الدُّخان تَخرُج من بين صَدوع جُدران قصر الغُبار الحجريَّة العتيقة، وترتفع من وسط القرميد الأسود على السَّطح.

أمطرَها پيات پري بالشَّتائم وسحبَ سكِّينًا انقضَّ به عليها، لكن دروجون ارتطمَ بوجهه مباشرةً، وسمعَت سوط چوجو يشقُّ الهواء، فلم يبدُ لها صوت بهذه العذوبة من قبل. طارَ السكِّين، وبَعد لُحيظةٍ كان راگارو يطرح پيات أرضًا، بينما ركعَ السير چورا إلى جوار داني وسط الكلأ الأخضر البارد وطوَّق كتفيها بذراعه.

تيريون

قال تيريون مهدِّدًا بينما ابتعدَت العبَّارة عن رصيف الميناء حاملةً الدُّفعة الأولى من الغِربان الحجريَّة: «إذا مُتُّ بسبب غلطةٍ حمقاء، سأطعمُ جثَّتك للماعز».

ضحكَ شاجا قائلًا: «النِّصف رجل لا يملك أيَّ ماعز».

- «سأشتري بعضها من أجلك خصِّيصًا».

كان الفَجر يَبزُغ، وعلى صفحة النَّهر تلألأَت تموُّجات الضَّوء الشَّاحب، تتبعثَر أينما مسَّتها عِصِيُّ التَّجذيف، وتعود تتشكَّل بَعدما تمرُّ العبَّارة. قبل يومين أخذَ تيميت رجاله المحروقين إلى غابة الملوك، والأمس تبعَهم إخوة القمر والآذان السَّوداء، واليوم دور الغِربان الحجريَّة.

قال تيريون: «مهما فعلتم، فلا تُحاوِلوا أن تخوضوا معركةً. هاجِموا مخيَّماتهم وخطوط الإمداد، وتربَّصوا بكشَّافتهم واشنُقوهم على الأشجار في البقاع التي سيمرُّون بها أثناء زحفهم، ودوروا حولهم واقتُلوا من يشردون عن صفوفهم. أريدُ هجماتٍ ليليَّة كثيرة ومباغِتة حتى يُصيبهم الخوف من الخلود إلى النَّوم...».

قاطعَه شاجا واضعًا يده على رأسه، وقال: «كلُّ هذا تعلَّمته من دولف بن هولجر قبل أن تَنبُت لحيتي. إنه سَمت الحرب في جبال القمر».

- «غابة الملوك ليست جبال القمر، ولن يكون قتالكم ضد رجالٍ من قبيلة ثعابين الحليب أو الكلاب الملوَّنة. وأريدكم أن تُصغوا للأدلَّة الذين أرسلتهم

معكم، فهُم يعرفون هذه الغابة كما تعرفون جبالكم. التزموا بنصائحهم وسيخدمونكم بكفاءة».

وعدَه رجل القبائل بعبوس: «شاجا سيُصغي لحيوانات النِّصف رجل المدلَّلة»، ثم إنه قادَ حصانه صاعدًا به إلى العبَّارة، وشاهدَهم تيريون يدفعونها ويجذفون نحو منتصَف النَّهر الأسود. أحسَّ وخزًا غريبًا في معدته إذ غابَ شاجا وسط غشاوة الصُّبح، وفكَّر أن غياب رجال القبائل سيُشعِره بأنه عارٍ تمامًا.

ما زالَ لديه برون ومَن استأجرَهم، قُرابة الثَّمانمئة الآن، لكن مِن المسلَّمات التي يعلمها الجميع أن المرتزِقة متلوِّنون، على الرغم من أن تيريون فعلَ كلَّ ما يقدر عليه لشراء ولائهم المستمر، ووعدَ برون ودستةً من أفضل رجاله بالفُروسيَّة والأراضي بَعد الفوز بالمعركة، وقد شربوا نبيذه وضحكوا على دُعاباته ولقَّب كلٌّ منهم الآخَر بالسير فلان إلى أن ترنَّحوا من فرط الثَّمل... جميعهم باستثناء برون نفسه، الذي اكتفى برسم ابتسامته الخبيثة الوقحة على شفتيه، وقال فيما بَعد: «سيَقتُلون في سبيل تلك الفُروسيَّة، لكن لا تحسب أبدًا أنهم سيموتون من أجلها».

ولم تكن لدى تيريون أوهام من هذا النَّوع.

يكاد ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يكونون سلاحًا غير مضمونٍ بدورهم. في حَرس المدينة ستَّة آلاف رجل -بفضل سرسي- لكن رُبعهم فقط يُمكن الاعتماد عليه، وكان بايووتر قد حذَّره قائلًا: «هناك بضعة خونةٍ معروفون، وهناك آخَرون لم يستطِع عنكبوتكم العثور عليهم على الإطلاق، لكن المشكلة في المئات الأكثر خضرةً من العُشب في الرَّبيع، الرِّجال الذين انضمُّوا إلى حَرس المدينة من أجل الطَّعام والشَّراب والأمان. لا أحد يُحِبُّ أن يبدو جبانًا في أعيُن رفاقه، لذا سيُقاتِلون بشيءٍ من الشَّجاعة في البداية، عندما تقتصر المعركة على أصوات الأبواق وخفقان الرَّايات، لكن إذا بدا أن المعركة ستدور عليهم، فسيَنكُصون، ويَنكُصون بعُنف. أول رجلٍ يُلقي رُمحه ويجري سيذهب ألف في أعقابه».

لا شَكَّ أن هناك رجالًا مخضرمين في حَرس المدينة، اللُّب المكوَّن من

ألفيِّ رجلٍ تسلَّموا معاطفهم الذَّهبيَّة من روبرت وليس سرسي، لكن حتى هؤلاء... الحارس ليس جنديًا حقًّا كما ردَّد اللورد تايوين مرارًا وتكرارًا. من الفُرسان ومُرافِقيهم والجنود لا يملك تيريون أكثر من ثلاثمئة، وقريبًا عليه أن يختبر حقيقة قولٍ آخَر من أقوال أبيه: رجل واحد على الأسوار يُساوي عشرةً تحتها.

كان برون والمصاحبون له ينتظرون عند نهاية الرَّصيف وسط حشدٍ من المتسوِّلين والعاهرات الجوَّالات وبائعات السَّمك المناديات على الصَّيد، وبدا أن تجارة بائعات السَّمك وحدها أكثر ربحًا من البقيَّة مجتمعين، إذ تحلَّق المشترون حول البراميل والأكشاك ليُساوموا على سِعر الحلازين والمحار وسمك الكراكي النَّهري. مع عدم دخول أيِّ أطعمةٍ أخرى المدينة، تضاعفَت أسعار الأسماك عشر مرَّاتٍ عمَّا كانت قبل الحرب، ولا تزال ترتفع، ومَن يملكون مالًا يأتون إلى ضفَّة النَّهر صباحًا ومساءً، على أمل العودة إلى بيوتهم بسمكة أنقليس أو وعاءٍ من السَّرطانات الحمراء، ومَن لا يملكون المال يتنقَّلونَ خلسةً بين الأكشاك آملين في النَّجاح في سرقة شيء، أو يقفون بائسين مكفهرِّي الملامح تحت الأسوار.

أخلى ذوو المعاطف الذَّهبيَّة طريقًا بين الجموع، دافعين النَّاس جانبًا بأعمدة رماحهم، بينما تجاهلَ تيريون السِّباب المكتوم قَدر الإمكان. ثم إن سمكةً عفنةً لزجةً طارَت من وسط الزِّحام، وسقطَت متفسِّخةً عند قدميه، فخطا فوقها بحذرٍ وامتطى حصانه، بينما بدأ الأطفال ذوو البطون المتورِّمة يتعارَكون على قِطَع السَّمك المنتِنة بالفعل.

أجالَ بصره من فوق صهوة حصانه عبر ضفَّة النَّهر. كانت دقَّات المطارق تتردَّد في هواء الصُّبح وقد احتشدَ النجَّارون حول بوَّابة الطَّمي، يمدُّون أسوجةً خشبيَّةً من شُرفات الأسوار. هذا الجزء من العمل يمضي على قدم وساق، بينما تُكَدِّره كثيرًا فوضى الأبنية المتداعية التي سُمِحَ لها بالنموِّ والانتشار وراء أرصفة الميناء، لاصقةً نفسها بأسوار المدينة كالكائنات القشريَّة التي تلتصقُ بأبدان السُّفن؛ محال بيع طُعوم الأسماك ومحال الأكل، والمخازن وأكشاك التُّجَّار، والحانات والمواخير التي تفتح فيها عاهرات من

نوعِ أرخص سيقانهن. يجب التخلُّص من كلٍّ هذا! إذا استمرَّ هذا الوضع، فلنّ يحتاج ستانيس سلالم لعبور الأسوار.

نادى برون وقال له: «اجمع مئة رجلٍ واحرقوا كلَّ شيءٍ تراه هنا بين حافة الماء وأسوار المدينة»، وأشارَ بأصابعه القصيرة إلى ضفَّة النَّهر القذرة مضيفًا: «لا أريدُ أن يبقى شيء قائمًا، مفهوم؟».

التفتَ المرتزِق أسود الشَّعر ممتأمِّلًا المطلوب، وقال: «لن يروق هذا من يملكون تلك المباني».

- «لم أكن أتخيَّلُ أنه سيروقهم. ليكن، سيصير لديهم سبب آخَر للعن القرد الشَّيطاني الشرِّير».

- «قد يُقاوِم بعضهم».

- «احرِصوا على أن يخسروا».

- «وماذا نفعل بمن يعيشون هناك؟».

- «امنحوهم وقتًا معقولًا لنقل ممتلكاتهم، ثم اطرُدوهم، وحاوِلوا ألَّا تَقتُلوا أحدًا منهم، فهُم ليسوا الأعداء... ولا مزيد من الاغتصاب! سيطِر على رجالك عليك اللَّعنة!».

قال برون: «إنهم مرتزِقة وليسوا رجال دين. المرَّة القادمة ستقول إنك تُريدهم أن يفيقوا من سُكرهم».

- «لن يضرَّنا أن يفعلوا».

تمنَّى تيريون لو أنه يستطيع بالسُّهولة نفسها أن يُضاعِف طول الأسوار مرَّتين وسُمكها ثلاثًا، وإن كان يبدو أن ذلك لا يصنع فارقًا، فالأسوار العملاقة والأبراج الشَّاهقة لم تُنقِذ ستورمز إند، ولا هارنهال، ولا حتى وينترفل.

تذكَّر وينترفل كما رآها آخِر مرَّة، ليست ضخمةً بصورةٍ رهيبة كهارنهال، ولا تبدو عليها المناعة والحصانة التامَّة كستورمز إند، لكن ثمَّة قوَّة عظيمة في تلكم الأحجار، إحساس بأن المرء يستطيع الشُّعور بالأمان وراء تلكم الأسوار. جاءَ نبأ سقوط القلعة كصدمةٍ مريرة، وتمتمَ حين أبلغَه فارس: «الآلهة تُعطي بيدٍ وتأخذ بالثَّانية». الآلهة أعطَت آل ستارك هارنهال وأخذَت منهم وينترفل، مبادَلة مقيتة.

لا شَكَّ أن عليه أن يَشعُر بالحبور، فالآن سيضطرُّ روب ستارك إلى الاتِّجاه شَمالًا، لأنه إذا كان لا يستطيع الدِّفاع عن دياره، فهو ليس ملكًا على الإطلاق. معنى هذا أن ينال الغَرب وآل لانستر راحةً مؤقَّتةً، ومع ذلك...

يملك تيريون ذكرى ضبابيَّة للغاية عن ثيون جرايجوي من الفترة التي أمضاها مع آل ستارك. شابٌّ غِرٌّ هو، دائم الابتسام وبارع في الرِّماية، لكن من الصَّعب تصوُّره سيِّدًا لوينترفل. سيِّد وينترفل سيكون من أبناء ستارك دائمًا وأبدًا.

تذكَّر أيكة الآلهة هناك، أشجار الحارس الطَّويلة المدرَّعة بأوراقها الإبريَّة الخضراء الرَّماديَّة، وأشجار السَّنديان والزُّعرور والدَّردار والصَّنوبر الجُندي[1]، وفي المركز تقف شجرة القلوب كعملاقٍ شاحبٍ مجمَّد في الزَّمن. يكاد يستطيع أن يشمَّ رائحة المكان، رائحة الطَّمي والقِدم، رائحة القرون، ويتذكَّر كيف كانت الأيكة مظلمةً دومًا حتى خلال النَّهار. تلك الأيكة كانت وينترفل، كانت الشَّمال ذاته. لم أشعر قَطُّ بأني غريب كما شعرتُ وأنا هناك، كأني متطفِّل غير مرغوب. تساءلَ إن كان أولاد جرايجوي سيَشعُرون بهذا أيضًا. قد تكون القلعة لهم، لكن ليس أيكة الآلهة أبدًا، ليس بَعد عامٍ أو عشرة أو خمسين.

قادَ تيريون لانستر حصانه بتؤدةٍ إلى بوَّابة الطَّمي، وقال لنفسه مذكِّرًا: وينترفل لا تُمَثِّل لك شيئًا. فلتبتهِج لأنها سقطَت وانتبه إلى أسوارك أنت. كانت البوَّابة مفتوحةً، وفي الدَّاخل وقفَت المجانيق الثَّلاثة الضَّخمة جنبًا إلى جنبٍ في ميدان السُّوق، تطلُّ من فوق الشُّرفات كثلاثة طيورٍ عملاقة. صُنِعَت أذرُع قذف الحجارة من جذوع أشجار البلُّوط القديمة، وثُبِّتَت بالحديد للحيلولة دون تشقُّق الخشب، وأطلقَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة على المجانيق اسم العاهرات الثَّلاث، لأنها ستُرَحِّب باللورد ستانيس بمنتهى الشَّبق. أو أن هذا ما نأمله.

---

(1) شجرة من خيال المؤلِّف.

همزَ الحصان وأسرعَ يَدخُل من بوَّابة الطَّمي مخترقًا الشَّلال البَشري، وبمجرَّد أن تجاوزَ العاهرات خَفَّ الزِّحام وانفتحَ الشَّارع أمامه.

لم يَحدُث شيء خلال رحلة العودة إلى القلعة الحمراء، أمَّا في بُرج اليد فقد وجدَ دستةً من ربابنة السُّفن التِّجاريَّة الغاضبين ينتظرونه في غُرفة الاجتماعات ليحتجُّوا على مصادَرة سُفنهم، فاعتذرَ لهم بحرارةٍ ووعدَهم بالتَّعويض بمجرَّد أن تنتهي الحرب، لكن قوله لم يُقنِعهم، وقال له رُبَّان براڤوسي: «وماذا لو خسرتم يا سيِّدي؟».

- «التمِسوا التَّعويض من الملك ستانيس إذن».

كانت الأجراس تدقُّ حين خلَّص نفسه منهم، وعرفَ تيريون أنه تأخَّر على التَّنصيب. قطعَ السَّاحة متمايلًا بخطواتٍ أقرب إلى الرَّكض، ثم دَسَّ نفسه بين المجتمعين في سِپت القلعة، بينما ثبَّت چوفري معطفين من الحرير الأبيض حول أكتاف أحدث فارسين التحقَا بالحَرس الملكي. يتطلَّب الطَّقس أن يقف الجميع، فلم يرَ تيريون شيئًا أمامه غير صَفٍّ من المؤخِّرات الفاخرة، لكن من ناحيةٍ أخرى، بمجرَّد أن يَفرُغ السِّپتون الأعلى الجديد من إرشاد الفارسين إلى حلف يمينهما ومَرْخهما بالزُّيوت المقدَّسة باسم الآلهة السَّبعة، سيكون تيريون في الموقع المناسب لأن يكون أول من يَخرُج.

إنه يُوافِق أخته على اختيارها أن يحلَّ السير بالون سوان محلَّ الفارس القتيل پرستون جرينفيلد، فأبناء عائلة سوان لوردات في منطقة تخوم دورن، كما أنهم أبيُّون وأقوياء وحذرون. كان اللورد چوليان سوان قد تذرَّع بالمرض وظَلَّ في قلعته لا يُشارِك في الحرب، لكن ابنه الأكبر انضمَّ إلى رنلي، والآن إلى ستانيس، بينما يخدم الابن الأصغر بالون في كينجز لاندنج، فلو أن له ابنًا ثالثًا لانضمَّ إلى روب ستارك. ليس هذا السَّبيل الأشرف، وإن دَلَّ على الحكمة، فعائلة سوان تنوي أن تستمرَّ بغَضِّ النَّظر عمَّن يفوز بالعرش الحديدي. بالإضافة إلى نَسبه الكريم، فالسير بالون شُجاع ودمث ويبرع في استخدام الأسلحة، ماهر في القتال بالرُّمح وأمهر مع الكرة الشَّائكة وأشدُّ مهارةً مع القوس. سوف يخدم بشَجاعةٍ وشَرف.

لكن للأسف لا يستطيع تيريون أن يقول الشَّيء ذاته عن اختيار سرسي

الآخَر. يبدو السير أوزموند كِتلبلاك مهيبًا بما فيه الكفاية، تَبلُغ قامته ستَّة أقدام وستَّ بوصاتٍ طولًا، معظمها أوتار وعضلات، بينما يمنحه أنفه المعقوف وحاجباه الكثَّان ولحيته البنِّيَّة ذات شكل ورقة الشَّجر المدبَّبة سيماء الشَّراسة ما دامَ لا يبتسم. كِتلبلاك مجرَّد فارسٍ متجوِّل منِ العوام، ويعتمد تمامًا على سرسي في ترقِّيه في العالم، السَّبب الذي جعلَ اختيارها يقع عليه بلا شَك. قالت لچوفري عندما طرحَت عليه الاسم: «السير أوزموند مخلص وشُجاع»، غير أن ذلك ليس صحيحًا مع الأسف، فالسير أوزموند المحترم يبيع برون أسرارها منذ أول يومٍ له في خدمتها، وإن كان تيريون لا يستطيع أن يقول لها هذا بالطَّبع.

ربما لا يَجدُر به أن يشكو، فهذا التَّنصيب يمنحه أُذنًا أخرى بالقُرب من الملك تغفل عنها أخته تمامًا، وحتى إذا أثبتَ السير أوزموند أنه جبان كبير، فلن يكون أسوأ من السير بوروس بلاونت، الذي يُقيم حاليًّا في زنزانةٍ في روزبي. كان السير بوروس يصحب الأمير تومن واللورد جايلز عندما باغتَهم السير چاسلين بايووتر ورجاله ذوو المعاطف الذَّهبيَّة، وسلَّم الصَّبي الذي كُلِّفَ بحمايته ببساطةٍ كانت لتُشعِل ثورة العجوز باريستان سلمي كما أشعلَت ثورة سرسي، فمن المفترَض أن يموت فارس الحَرس الملكي دفاعًا عن حياة الملك والعائلة الملكيَّة. أصرَّت أخته على أن يُجَرِّد چوفري بلاونت من معطفه الأبيض بتُهمة الخيانة والجُبن. والآن تستبدله برجلٍ آخَر خاوٍ تمامًا مِثله.

بدا كأن الصَّلاة وحلف اليمين والمَرْخ استغرَقوا نِصف الصَّباح، وسرعان ما شعرَ تيريون بالألم في ساقيه، فنقلَ ثِقله من قدم إلى أخرى بضجر. رأى الليدي تاندا تقف على بُعد عدَّة صفوف، وإن لم تكُن ابنتها معها، وكان يأمل أن يلمح شِاي. قال ڤارس إنها في حالٍ طيِّبة، لكنه يُحَبِّذ أن يرى بنفسه.

- «وصيفة ليدي أفضل من عاملة مطبخ»، قالت شِاي حين أخبرَها تيريون بخطَّة الخصي. «أيُمكنني أن آخذ حزام الزُّهور الفضِّيَّة والطَّوق الذَّهبي ذا الماسات السَّوداء التي قلتَ إنها تُشبِه عينيَّ؟ لن أرتديهما إذا قلتَ ألَّا أفعل».

على الرغم من كراهيته إحباطها، كان عليه أن يشرح لها أن الليدي تاندا

لا تبدو امرأةً ذكيَّةً البتَّة، لكن ذلك لا يعني أن التَّساؤلات لن تُراوِدها إذا رأت أن وصيفة ابنتها تملك جواهر أكثر من ابنتها نفسها، وقال لها آمرًا: «اختاري فُستانين أو ثلاثة لا أكثر، صوف جيِّد لكن لا حرير أو سَميت أو فراء. بقيَّة الثِّياب سأحتفظُ بها في مسكني لترتديها عندما تأتين لزيارتي». لم تكن الإجابة التي أرادَتها شِاي، لكنها آمنة على الأقل.

لمَّا انتهَت طقوس التَّنصيب أخيرًا، خرجَ چوفري بين السير بالون والسير أوزموند في معطفيهما الأبيضين الجديدين، بينما تخلَّف تيريون ليُكلِّم السِّپتون الأعلى الجديد (الذي كان اختياره هو، وحكيمًا بما فيه الكفاية لأن يعرف مَن يمنُّ عليه)، وقال له تيريون بلهجةٍ عمليَّة: «أريدُ الآلهة في صَفِّنا. قُل للنَّاس إن ستانيس أقسمَ على إحراق سِپت بيلور الكبير».

سألَه السِّپتون الأعلى، الرَّجل النَّبيه صغير الحجم ذو اللِّحية البيضاء المنسدلة والوجه الذَّابل: «أهذا صحيح يا سيِّدي؟».

هَزَّ تيريون كتفيه مجيبًا: «ربما. لقد أحرقَ ستانيس أيكة الآلهة في ستورمز إند كقُربانٍ لإله الضِّياء، فإذا ضحَّى بالآلهة القديمة، فلماذا يَترُك الجديدة؟ قُل لهم هذا، قُل لهم إن أيَّ أحدٍ يُفَكِّر في مسانَدة هذا الغاصِب يخون الآلهة كما يخون ملكه الشَّرعي».

- «سأفعلُ يا سيِّدي، وسآمُرهم بالدُّعاء لصحَّة الملك ويده».

كان هالاين الپايرومانسر ينتظره في غُرفته الشَّمسيَّة لدى رجوعه، كما أحضرَ المِايستر فرنكن عددًا من الرَّسائل، فتركَ الخيميائي ينتظر فترةً أطول بينما اطَّلع على ما أَتَته به الغِدفان. ثمَّة رسالة قديمة من دوران مارتل يُنذِره فيها من أن ستورمز إند سقطَت، ورسالة أكثر إثارةً للاهتمام بكثير أَتَت من بالون جرايچوي في پايك، يُسَمِّي نفسه فيها ملك الجُزر والشَّمال، ويدعو الملك چوفري إلى إرسال مبعوثٍ إلى جُزر الحديد لرسم الحدود بين المملكتين ومناقشَة تحالُفٍ محتمَل.

قرأ تيريون الرِّسالة ثلاث مرَّاتٍ ثم نحَّاها جانبًا. كانت سُفن اللورد بالون الطَّويلة لتصنع فارقًا عظيمًا ضد الأسطول المبحر من ستورمز إند، لكنها تَبعُد آلاف الفراسخ على الجانب الآخَر من وستروس، وتيريون ليس واثقًا على

الإطلاق بأنه يُريد التخلِّي عن نِصف البلاد. ربما عليَّ أن أرمي تلك المشكلة في حِجر سرسي أو آخذها إلى المجلس.

عندئذٍ فقط سمحَ لهالاين بالدُّخول حاملًا كشوف الحساب الأخيرة من الخيميائيِّين، وقال تيريون وهو يدرس الدَّفاتر: «لا يُمكن أن يكون هذا صحيحًا. نحو ثلاثة عشر ألف جرَّة؟ أتحسبني أحمق؟ اعلم أني لن أدفع ذهب الملك لقاء جرارٍ فارغة أو ملأى بمياه المجاري ومغلقة بالشَّمع».

صاحَ هالاين: «لا، لا، أقسمُ لك أن الأرقام سليمة. لقد، هممم، حالفَنا حَظٌّ كبير يا حضرة اليد، إذ عثرنا على مخزونٍ آخَر للورد روزارت، أكثر من ثلاثمئة جرَّة، تحت جُبِّ التَّنانين! بعض العاهرات كُنَّ يستخدمن الأطلال لاستضافة زبائنهن، وسقطَ أحدهم في قبوٍ عبر رُقعةٍ متعفِّنة في الأرض، وحين وجدَ الجرار حسبَ أنها تحوي خمرًا، وكان سكرانًا لدرجة أنه كسرَ غطاء إحداها وشربَ».

بلهجةٍ جافَّة قال تيريون: «كان هناك أمير جرَّب هذا ذات مرَّة. لم أرَ تنانين تُحَلِّق فوق المدينة، فيبدو إذن أن الحيلة لم تُفلِح هذه المرَّة أيضًا». جُبُّ التَّنانين المقام فوق تَلِّ ريينس مهجور منذ قرنٍ ونِصف، وفكَّر تيريون أنه مكان مناسب كغيره لتخزين النَّار الشَّعواء، بل وأفضل من معظم الأماكن، وإن كان من اللَّطيف لو أن اللورد روزارت أخبرَ أحدًا. «تقول ثلاثمئة جرَّة؟ ما زال هذا لا يجعل تلك الأرقام سليمةً. ثمَّة عدَّة آلاف من الجرار تزيد على أفضل تقديرٍ أخبرتني به حين رأيتك آخِر مرَّة».

مسحَ هالاين جبهته الشَّاحبة بكُمِّ ثوبه الأسود والقرمزي، وقال: «نعم، نعم، هذا صحيح، لكننا عملنا بمنتهى الجدِّ يا سيِّدي، هممم».

- «لا شَكَّ أن هذا يُفَسِّر كيف صنعتم قَدرًا من المادَّة أكبر من قبل»، وابتسمَ تيريون مثبِّتًا نظرة عينيه غير المتماثلتين على الپايرومانسر قائلًا: «وإن كان هذا يطرح سؤالًا عن عدم بدئكم في العمل بجِدٍّ قبل الآن».

لهالاين بشرة بلون عيش الغُراب، فكان من الصَّعب تصوُّر أن لونه قابل للامتقاع أكثر، لكن شحوبه ازداد بالفعل وهو يقول: «إننا نعمل بجدٍّ طول الوقت يا حضرة اليد، إخوتي وأنا نجتهد ليل نهار من البداية، أؤكِّدُ لك،

لكننا، هممم، صنعنا الكثير جدًّا من المادَّة حتى إننا أصبحنا، هممم، أكثر تمرُّسًا، بالإضافة إلى...»، وبدَّل الپايرومانسر وضعه بغير راحةٍ مكملًا: «تعاويذ معيَّنة، هممم، أسرار طائفتنا العتيقة، شديدة الحساسيَّة والصُّعوبة، لكن ضروريَّة إذا أردنا أن تُصبِح المادَّة، هممم، كلَّ ما يُمكن أن تكونه...».

أحسَّ تيريون بنفاد الصَّبر. غالبًا وصلَ السير چاسلين بايووتر، وذو اليد الحديد يكره الانتظار. هكذا قال: «نعم، لديكم تعاويذ سرِّيَّة، كم هذا رائع. ماذا عنها؟».

ابتسمَ هالاين بوهنٍ مجيبًا: «يبدو أنها، هممم، تعمل أفضل من قبل. أتحسب أن هناك تنانين حيَّة في مكانٍ ما؟».

- «لا، ما لم تكونوا قد وجدتم واحدًا تحت جُبِّ التَّنانين. لماذا؟».

- «أوه، اعذرني، كنتُ أتذكَّرُ شيئًا أخبرَني به صاحِب الحكمة پوليتور ذات مرَّةٍ عندما كنتُ تلميذًا. سألته لماذا لا يبدو معظم تعاويذنا مؤثِّرًا كما تُريدنا المخطوطات أن نُصَدِّق، فقال إن السَّبب أن السِّحر بدأ يتلاشى من العالم يوم ماتَ آخِر التَّنانين».

- «آسفٌ لإحباطك، لكني لم أرَ أيَّ تنانين، لكني رأيتُ جلَّاد الملك في الجوار، وإذا اتَّضح أن لُبَّ أيٍّ من تلك الفواكه التي تبيعني إياها يتكوَّن من شيءٍ غير النَّار الشَّعواء، فستراه أنت أيضًا».

فَرَّ هالاين بمنتهى السُّرعة حتى إنه كادَ يرتطم بالسير چاسلين... لا، إنه اللورد چاسلين الآن، يجب أن يتذكَّر هذا. رحمَه ذو اليد الحديد وتكلَّم بصراحةٍ مباشِرة كالمعتاد. كان قد عادَ من روزبي لتوصيل فرقةٍ جديدة من حاملي الرِّماح من أراضي اللورد جايلز واستئناف قيادته حَرس المدينة، وسألَه تيريون حين انتهيا من مناقَشة الدِّفاعات: «كيف حال ابن أختي؟».

- «الأمير تومن معافى وسعيد يا سيِّدي، وتبنَّى ولد ظبيٍّ جاءَ به رجالي من الصَّيد. قال إنه كان يملك واحدةً أنثى من قبل، لكن چوفري سلخَها ليصنع صُدرةً من فروتها. أحيانًا يسأل عن أمِّه، وكثيرًا يشرع في كتابة رسائل للأميرة مارسلا، مع أنه لا يُنهيها أبدًا، بينما لا يبدو أنه يفتقد أخاه على الإطلاق».

- «هل أجريت التَّرتيبات اللَّازمة بخصوصه في حال خسرنا المعركة؟».

- «أعطيتُ رجالي توجيهاتهم».
- «ألا وهي؟».
- «أمرتني بعدم إخبارك بها يا سيِّدي».

جعلَته الإجابة يبتسم، وقال: «يسرُّني أنك تتذكَّر». إذا سقطَت كينجز لاندنج، فمن الوارد أن يُؤسَر حيًّا، والأفضل ألَّا يعرف مكان وريث چوفري.

سرعان ما ظهرَ ڤارس بَعد ذهاب اللورد چاسلين، وعلى سبيل التحيَّة قال: «البَشر مخلوقات غدَّارة حقًّا».

زفرَ تيريون متسائلًا: «مَن الخائن اليوم؟».

ناولَه الخصيُّ لُفافةً، وأجابَ: «قَدر هائل من الدَّناءة، أغنيَّة حزينة عن عصرنا. هل ماتَ الشَّرف حين ماتَ آباؤنا؟».

قال تيريون فاحصًا القائمة بعينيه: «ما زال أبي حيًّا. إنني أعرفُ بعض هذه الأسماء، منهم تُجَّار وباعة وحِرفيُّون. لماذا يتآمَرون علينا؟».

- «يبدو أنهم يُؤمِنون بأن اللورد ستانيس يجب أن ينتصر، ويرغبون في نصيبٍ من نصره. يُسَمُّون أنفسهم رجال القرون تيمُّنًا بالوعل المتوَّج».

- «على أحدٍ أن يقول لهم إن ستانيس غيَّر رمزه، ليُصبِحوا القلوب السَّاخنة!». لكن المسألة لا تحتمل المزاح حقًّا، فرجال القرون هؤلاء سلَّحوا عدَّة مئاتٍ من أتباعهم للاستيلاء على البوَّابة القديمة بمجرَّد احتدام المعركة، وفتحها كي يَدخُل العدوُّ المدينة. بين الأسماء على القائمة كان أستاذ الحدادة سالوريون، فقال تيريون متذمِّرًا وهو يُذَيِّل أمر إلقاء القبض على الرَّجل بتوقيعه: «أعتقدُ أن هذا يعني أني لن أحصل على تلك الخوذة المخيفة ذات قرنيِّ الشَّيطان».

ثيون

في لحظةٍ كان غائبًا في النَّوم، وفي التَّالية استيقظَ.

نامَت كايرا ضامَّةً نفسها إليه ومريحةً ذراعها على ذراعه وقد مَسَّ نهداها ظَهره، وسمعَ صوت أنفاسها المنتظم الهادئ. كانت الأغطية متشابكةً حولهما، والليل أسود تمامًا، وغُرفة النَّوم مظلمة ساكنة.

ماذا هناك؟ هل سمعتُ شيئًا؟ أو أحدًا؟

تنهَّدت الرِّيح بخفوتٍ دافعةً السَّتائر، ومن مكانٍ ما بعيد تناهى إلى مسامعه مواء أشبه بالعويل لقِطَّةٍ تُعاني الاحترار، لكن لا شيء آخَر. نَم يا جرايچوي. القلعة هادئة، ولديك حُرَّاس ساهرون على غُرفتك والبوَّابات ومستودع السِّلاح.

كان ليعزو اضطرابه إلى حُلم سيِّئ رآه، لكنه لا يَذكُر أن أحلامًا راودَته، خصوصًا أن كايرا أنهكَته. إلى أن أرسل ثيون يستدعيها، كانت قد عاشَت سنين عُمرها الثَّماني عشر في البلدة الشِّتويَّة دون أن تطأ قدماها أرض القلعة قَطُّ، وقد جاءَته متهيِّجةً توَّاقةً ورشيقةً كبنات عرس، ولا يُنكِر أن هناك نوعًا من اللذَّة الحرِّيفة استطعمَه بينما اعتلى ساقية حانةٍ تقليديَّة في فِراش اللورد إدارد ستارك ذاته.

تمتمَت بكلماتٍ ناعسة حين سحبَ نفسه من تحت ذراعها ونهضَ. بضع جمارٍ كانت لا تزال تحترق بلا دُخانٍ في المستوقَد، بينما نامَ وِكس على الأرض عند قدم الفِراش مدَّثِّرًا بمعطفه وغافلًا عن العالم تمامًا. لم يسمع ثيون أيَّ حركة، فاتَّجه إلى النافذة وفتحَ السَّتائر، فمسَّه اللَّيل بأصابع باردة،

وسرَت القشعريرة في جِلده العاري. مالَ على العتبة الحجريَّة وتطلَّع إلى الأبراج المظلمة والسَّاحات الخالية والسَّماء السَّوداء، حيث نجوم أكثر مما يستطيع إنسان أن يحصي ولو عاشَ مئة عام، وهلال يطفو فوق بُرج الجرس ويُلقي انعكاسه على سطح الصُّوبة الزُّجاجيَّة. لم يسمع إنذارًا أو أصواتًا أو مجرَّد وقع قدم.

كلُّ شيءٍ على ما يُرام يا جرايجوي. أتسمع السُّكون؟ حريٌّ بك أن تكون سكرانًا من النَّشوة. لقد أخذت ويترفل بأقلِّ من ثلاثين رجلًا، مأثرة تليق بالأغاني. تحرَّك عائدًا إلى الفِراش مقرِّرًا أنه سيقلب كايرا على ظَهرها ويُضاجِعها ثانيةً، فمن شأن هذا أن يَطرُد الأشباح من مخيِّلته، وسيروقه أن تقطع شهقاتها وضحكاتها هذا الصَّمت.

ثم إنه توقَّف. لقد اعتادَ عُواء الذِّئبين الرَّهيبين تمامًا حتى إنه يكاد لا يسمعه إطلاقًا الآن... لكن شيئًا ما في أعماقه، غريزة الصيَّاد ربما، سمعَ غياب العُواء.

خارج الباب وقفَ أورزن، رجل مفتول العضلات يُعَلِّق تُرسًا مستديرًا على ظَهره، وقال له ثيون: «الذِّئبان هادئان. اذهب وانظُر ماذا يفعلان وعُد إليَّ مباشرةً». أشعرَته فكرة أن ذئبين رهيبين طليقان في القلعة بالغثيان، وتذكَّر ذلك اليوم في غابة الذِّئاب عندما هاجمَ الهَمج بران، فحوَّلهم سَمر وجراي ويند إلى أشلاء.

وكزَ وِكس بطرف حذائه، واعتدلَ الصَّبي وفركَ عينيه، فقال له آمرًا: «تأكَّد أن بران ستارك وأخاه في سريريهما، وأسرِع».

نادَته كايرا بصوتٍ ناعس: «سيِّدي؟».

قال ثيون: «عودي إلى النَّوم. ما يَحدُث لا يعنيكِ»، وصَبَّ لنفسه كأس نبيذٍ أفرغَها في جوفه وقد أصاخَ السَّمع متمنِّيًا أن يسمع العُواء، وفكَّر بكآبة: رجال قليلون للغاية، معي رجال قليلون للغاية، وإذا لم تأتِ آشا...

سرعان ما عادَ وِكس يهزُّ رأسه نفيًا، فأطلقَ ثيون سبَّةً، وعلى الأرض وجدَ قميصه وسراويله اللذين أسقطَهما في غمار لهفته على نيل كايرا. فوق القميص ارتدى صُدرةً من الجلد المطعَّم بالحديد، وثبَّت سيفًا طويلًا وخنجرًا في حزامه. كان شَعره منفوشًا كغابة، لكن أمامه مشاغل أهمَّ الآن.

رجعَ أورزن قائلًا: «الذِّئبان ليسا هناك».

أوصى ثيون نفسه بأن يتحلَّى ببرود اللورد ستارك وتروِّيه، وقال: «أيقِظوا القلعة، اجمعوهم كلهم في السَّاحة وسنرى مَن منهم متغيِّب، واجعل لورن يقوم بدورة على البوَّابات. وِكس، تعالَ معي».

تساءلَ إن كان ستيج قد بلغَ «ربوة الغابة»، فالرَّجل ليس خيَّالًا بارعًا كما يدَّعي (ولا أحد من الحديديِّين يبرع كثيرًا في ركوب الخيل)، لكن وقتًا كافيًا مَرَّ بالفعل، وقد تكون آشا في طريقها. وإذا علمَت أني فقدتُ صبيَّي ستارك... لا يحتمل مجرَّد التَّفكير في هذا.

كانت غُرفة بران خاليةً، ومِثلها غُرفة ريكون عند منتصَف السَّلالم في الطَّابق السُّفلي، ولعنَ ثيون نفسه. كان ينبغي أن يضع عليهما حراسةً، لكنه قرَّر أن الأهمَّ أن يَحرُس رجاله الأسوار ويحموا البوَّابات، لا أن يُجالِسوا طفلين أحدهما قعيد.

سمعَ النَّحيب الآتي من الخارج إذ انتُزِعَ أهل القلعة من أسرَّتهم ودُفِعوا إلى السَّاحة. سأعطيهم سببًا للبكاء. عاملتهم بلُطفٍ وهكذا يردُّون الجميل. لقد أمرَ بجَلد اثنين من رجاله حتى سالَت دماؤهما بغزارةٍ لاغتصابهما ابنة قيِّم وجار الكلاب، ليُريهم أنه ينوي أن يَحكُمهم بالعدل. وما زالوا يلومونني على الاغتصاب وغيره. ليس هذا عادلًا. ميكن قتلَته سلاطة لسانه، تمامًا مِثل بنفريد، وبالنِّسبة لكايل فقد كان رجاله يتوقَّعون أن يمنح قُربانًا للإله الغريق، وقال للسِّپتون قبل أن يُلقوه في البئر: «لا أضمرُ لك شرًّا، لكن لا مكان لك وآلهتك هنا الآن». كان يتصوَّر أن يَشعُر الآخَرون بالامتنان لأنه لم ينتقِ أحدهم، لكن لا. تُرى كم منهم شاركَ في هذه المؤامرة ضده؟

عادَ أورزن مع لورن الأسود، الذي قال: «بوَّابة الصيَّادين. تعالَ وانظُر».

تقع بوَّابة الصيَّادين في المكان المناسب عند وجار الكلاب والمطابخ، وتُفتَح مباشرةً على الحقول والغابات، مخوِّلةً للرَّاكبين أن يَدخُلوا ويَخرُجوا دون الاضطرار إلى المرور من البلدة الشِّتويَّة أولًا، وهكذا فضَّلتها فِرق الصَّيد. سألَ ثيون: «مَن كان يتولَّى الحراسة هناك؟».

- «درنان وسكوينت».

درنان هذا أحد الرَّجلين اللذين اغتصبا پالا. «إذا تركا الصَّبيَّين يَهرُبان، فأقسمُ أن أفعل بهما أكثر من مجرَّد الجَلد هذه المرَّة».

قال لورن الأسود باقتضاب: «لا داعي».

ولم يكن هناك داعٍ بالفعل، فقد عثروا على سكوينت طافيًا على بطنه في الخندق، تمتدُّ أحشاؤه وراءه كعائلةٍ من الثَّعابين الشَّاحبة، بينما سقطَ درنان نِصف عارٍ في مبنى البوَّابة، داخل الغُرفة الصَّغيرة التي يُشَغَّل منها الجسر المتحرِّك. وجدوا حَلقه مشقوقًا من الأُذن إلى الأُذن، وقد غطَّت سُترة مهترئة النُّدوب التي تركَها السَّوط على ظَهره ولم تلتئم تمامًا بعدُ، لكن حذاءه ملقى بإهمالٍ على البساط، وسراويله متشابكة حول قدميه، وعلى مائدةٍ صغيرة مجاورة للباب كان طبق من الجبن وإبريق فارغ وقدحان.

رفعَ ثيون قدحًا وتشمَّم ثُمالة النَّبيذ في القعر، وسألَ: «سكوينت كان في الشُّرفة على السُّور، أليس كذلك؟».

أجابَ لورن: «بلى».

ألقى ثيون القدح في المستوقَد قائلًا: «يبدو أن درنان أنزلَ سراويله ليضع سكِّينه الصَّغير في المرأة حينما غرسَت هي فيه سكِّينًا حقيقيًّا، سكِّين الجبن كما يبدو. فليجد أحدكم حربةً ويُخرِج الأحمق الآخَر من الخندق».

الأحمق الآخَر كان في حالٍ أسوأ بكثيرٍ من درنان، فحين أخرجَه لورن الأسود من الماء، رأوا أن إحدى ذراعيه منتزَعة من عند المِرفق، بينما فقدَ نِصف عُنقه واحتلَّت فجوة مهلهَلة مكان سُرَّته وعانته. مزَّقت الحربة أحشاءه ولورن يسحبه، وفاحَت رائحة شنيعة في المكان.

قال ثيون: «الذِّئبان، كلاهما على ما أظنُّ»، وعادَ إلى الجسر المتحرِّك شاعرًا بالاشمئزاز. يُطَوِّق وينترفل سوران هائلان من الجرانيت، بينهما خندق مائي عريض، ويرتفع السُّور الخارجي ثمانين قدمًا، والدَّاخلي أكثر من مئة، ولمَّا كان ثيون يفتقر إلى العدد الكافي من الرِّجال، فقد اضطرَّ لهجر الدِّفاعات الخارجيَّة وتوزيع رجاله على السُّور الدَّاخلي الأعلى، فلم يجرؤ على المخاطَرة بأن يكونوا على الجانب الآخَر من الخندق إذا انتفضَت القلعة ضده.

لا بُدَّ أن هناك اثنين أو أكثر. المرأة ألهَت درنان بينما حرَّر البقيّة الذِّئبين.
طلبَ ثيون مشعلًا وقادَهم على الدَّرجات إلى شُرفة السُّور، وحرَّك اللَّهب على ارتفاعٍ منخفض أمامه بحثًا عن... ها هو ذا. رآه يُلَطِّخ السَّاتر الحجري من الدَّاخل، حيث الفتحة الواسعة بين قائمين طويلين، وأعلنَ: «دم، ممسوح على عجلة وبلا براعة. تخميني أن المرأة قتلَت درنان وأنزلَت الجسر، ولمَّا سمعَ سكوينت صلصلة السَّلاسل، جاءَ يُلقي نظرةً وبلغَ هذه البُقعة، ثم ألقوا الجثَّة عبر الفتحة إلى الخندق كي لا يراها حارس آخَر».
تطلَّع أورزن إلى الأسوار قائلًا: «أبراج الحراسة الأخرى ليست بعيدةً، وأرى مشاعل لا تزال موقدةً...».
قال ثيون بحدَّة: «مشاعل لكن لا حَرس. وينترفل فيها أبراج حراسة أكثر مما لديَّ من رجال».
قال لورن الأسود: «أربعة رجال على البوَّابة الرَّئيسة، وخمسة يذرعون الأسوار بخلاف سكوينت».
غمغمَ أورزن: «لو أنه نفخَ في البوق...».
إنني محاط بالبُله. «حاوِل أن تتخيَّل أنك كنت هنا يا أورزن. الجَوُّ مظلم وبارد، وقد أمضيت ساعاتٍ في الذَّهاب والمجيء على الأسوار وتتطلَّع إلى نهاية ورديَّتك. ثم إنك تسمع جلبةً فتتحرَّك نحو البوَّابة، وفجأةً ترى أعيُنًا عند قمَّة السَّلالم تتوهَّج بالأخضر والذَّهبي في ضوء المشعل، ثم ينطلق الظِّلَّان نحوك بسرعةٍ تفوق خيالك، وتلمح أسنانًا مكشوفةً وتبدأ في موازَنة رُمحك، قبل أن يرتطما بك ويَبقُرا بطنك، ويُمَزِّقا الجِلد الذي ترتديه كأنه شاش»، ودفعَ أورزن بقوَّةٍ مواصلًا: «الآن أنت على ظَهرك، أمعاؤك تنسكب من بطنك، وأحدهما يُطبِق على عُنقك بأنيابه»، وقبضَ على حَلق الرَّجل النَّاحل وشدَّد قبضته مبتسمًا، وتابعَ: «قُل لي إذن، في أيِّ لحظةٍ وسط كلِّ هذا يُمكنك أن تتوقَّف لتَنفُخ في بوقك اللَّعين؟!»، ودفعَ أورزن بعُنفٍ ليصطدم بأحد قوائم الشُّرفة، وبينما حَكَّ الرَّجل عُنقه فكَّر ثيون ساخطًا: كان ينبغي لي أن أقتل الوحشين يوم أخذنا القلعة. لقد رأيتُ الذِّئاب الرَّهيبة تَقتُل، وأعرف كم هي خطِرة.

قال لورن الأسود: «يجب أن نُلاحِقهم».

- «ليس في الظَّلام». لا يُحَبِّذ ثيون فكرة أن يُطارِد ذئبين رهيبين في الغابة ليلًا، فبمنتهى البساطة يُمكن أن يستحيل الصيَّادون إلى طرائد. «سننتظر نور النَّهار، وحتى ذلك الحين فمن الأفضل أن أذهب وأكلِّم رعاياي الأوفياء».

في السَّاحة كان حشد من الرِّجال والنِّساء والأطفال المتوتِّرين المصطفِّين عند السُّور، كثير منهم لم يجد الوقت لارتداء ثيابه، فستَروا أنفسهم بأغطيةٍ من الصُّوف أو انحنوا عراةً تحت المعاطف، وقد أحاطَت بهم دستة من الرِّجال الحديديِّين، يحملون المشاعل بيدٍ والسِّلاح بالثَّانية. هبَّت الرِّيح وانعكسَ الضَّوء البرتقالي المتذبذب باهتًا على الخوذات الفولاذ واللِّحى الكثيفة والأعيُن المغتمَّة.

سارَ ثيون جيئةً وذهابًا أمام السُّجناء متمعِّنًا في وجوههم، فبدوا جميعًا مذنبين، وسألَ: «كم منهم غائب؟».

دنا منه ريك ورائحة الصَّابون تفوح منه وشَعره يتحرَّك في الهواء، وأجابَ: «ستَّة، ابنا ستارك وصبيُّ المستنقعات وأخته وعامل الاسطبل الأبله وامرأتك الهمجيَّة».

أوشا. لقد ارتابَ فيها لحظة أن رأى القدح الثَّاني. لم يكن يَجدُر بي أن أثق بها. إنها مخلوقة شاذَّة مِثل آشا، بل إن اسميهما متشابهان كذلك. «هل بحث أحد في الاسطبلات؟».

- «آجار يقول إن لا خيول مفقودة».

- «ألا تزال دانسر في مربطها؟».

قال ريك مقطِّبًا وجهه: «دانسر؟ آجار يقول إن الخيول كلها موجودة، والأبله فقط متغيِّب».

إنهم على أقدامهم إذن. هذا أفضل خبرٍ سمعَه منذ استيقظَ. لا شَكَّ أن بران راكب في سلَّته على ظَهر هودور، بينَما تحمل أوشا ريكون، فقدماه الصَّغيرتان لن تحملاه بعيدًا وحدهما. هكذا أصبحَ ثيون واثقًا بأنهم سرعان ما سيعودون بين يديه. قال لأهل القلعة: «بران وريكون هربا. مَن يعرف أين ذهبا؟». لم يُجِبه أحد، فتابعَ: «ليس ممكنًا أنهما هربا دون مساعَدة، ودون

طعام وثيابٍ وسلاح». كان قد استولى على كلِّ سيفٍ وفأسٍ في وينترفل، لكنٍّ لا ريبَ أن هناك أسلحةً تظلُّ مخبَّأةً منه. «أريدُ أسماء كلِّ من ساعَدوهم، وكلِّ من غضُّوا أنظارهم. سأعيدهما إلى القلعة بمجرَّد طلوع النَّهار»، ودَسَّ إصبعيه في حزام السَّيف، وقال: «أريدُ صيَّادين. مَن يرغب في فروة ذئبٍ دافئة تقيه من البرد خلال الشِّتاء؟ جايچ؟». دائمًا كان الطَّاهي يُحَيِّيه ببشاشةٍ حين يعود من الصَّيد، ويسأله إن كان قد اقتنصَ شيئًا خاصًّا للمائدة، لكنه لم يُعَلِّق الآن. عادَ ثيون يتحرَّك فاحصًا وجوههم بحثًا عن أيِّ دلالةٍ على المعرفة، وواصلَ: «البراري ليست مكانًا لصبيٍّ قعيد، وكم سيستطيع ريكون الاستمرار في سِنِّه الصَّغيرة هذه؟ نان، فكِّري كم هما خائفان الآن». هذه العجوز ملأت أُذنيه ثرثرةً بحكاياتها القديمة اللا نهائيَّة طيلة عشرة أعوام، لكنها ترمقه الآن بصمتٍ كأنه غريب. «كان من الممكن أن أقتل كلَّ رجلٍ منكم وأعطي نسوتكم لرجالي ليفعلوا بهن ما شاءوا، لكني حميتكم بدلًا من ذلك، وهكذا تَشكُرونني؟». چوزث الذي ساسَ أحصنته، وفارلن الذي علَّمه كلَّ ما يعرف عن كلاب الصَّيد، وبارث زوجة الخمَّار التي كانت أول أنثى افترشَها... لا أحد منهم رفعَ عينيه إليه. إنهم يكرهونني.

اقتربَ ريك وقال بإلحاحٍ واللُّعاب يلتمع على شفتيه الغليظتين: «جرِّدهم من جلودهم. كان اللورد بولتون يقول إن الرَّجل العاري أسراره قليلة، أمَّا الرَّجل المسلوخ فلا يكتم أيَّ أسرار».

يعرف ثيون أن الرَّجل المسلوخ رمز عائلة بولتون، وقبل عصورٍ كان بعض لورداتهم يتمادون ويصنعون معاطف من جلود أعدائهم الموتى، وقد آلَ عدد من أبناء ستارك أنفسهم إلى هذا المصير، وإن كان من المفترَض أن كلَّ هذا توقَّف قبل ألف عام، حين ركعَ آل بولتون لوينترفل. أو هكذا يَزعُمون، لكن النُّهوج القديمة تموت بصعوبةٍ كما أعلمُ جيِّدًا. رفعَ ثيون صوته قائلًا: «لن يكون هناك سلخ في الشَّمال ما دمتُ أحكمُ في وينترفل»، بينما أرادَ أن يَصرُخ: أنا حاميكم الوحيد من أمثاله! إنه لا يستطيع أن يقولها بذلك السُّفور، لكن لعلَّ بعضهم ذكيٌّ بما يكفي لأن يستوعِب المغزى.

كان الرَّمادي يزحف الآن على السَّماء فوق أسوار القلعة، ما يعني أن

الفَجر ليس ببعيد. هكذا قال: «چوزث، جهِّز سمايلر وحصانًا لك. مورش، جاريس، تيم المجدور، أنتم أيضًا ستأتون معي». مورش وجاريس أفضل صيَّاديْن في القلعة، وتيم رام بارع، لكنه يحتاج رجاله أيضًا ليحموا ظَهره، فناداهم: «آجار، ردنوز، جلمَّار، ريك، وكس»، وأخيرًا خاطبَ قيِّم الوجار قائلًا: «فارلن، أريدُ كلاب صيد، وأريدكَ لتتحكَّم فيها».

عقدَ قيِّم الوجار الأشيب ذراعيه على صدره، وقال: «ولِمَ أرغبُ في مطارَدة سيِّديَّ الشَّرعيَّين، وكلاهما طفل كذلك؟».

دنا منه ثيون قائلًا: «أنا سيِّدك الشَّرعي الآن، والرَّجل الذي يُحافِظ على سلامة پالا».

رأى التحدِّي يموت في نظرة فارلن إذ قال: «أمرك يا سيِّدي».

تراجعَ ثيون متطلِّعًا حوله ليرى مَن يحتاج أيضًا، ثم أعلنَ: «مِايستر لوين».

- «لا أعرفُ شيئًا عن الصَّيد».

نعم، لكني لا أئتمنك على القلعة في غيابي. «حانَ الوقت لأن تتعلَّم إذن».

تقدَّم صبيٌّ لا يفوق بران في العُمر قائلًا: «دعني آتي معك أيضًا». استغرقَ بران برهةً حتى تذكَّره، وقال والدر فراي: «لقد خرجتُ للصَّيد مرارًا، واصطدتُ غزلان حمراء وأيائل، بل وخنازير بريَّة».

ضحكَ ابن عمِّه ساخرًا، وقال: «مرَّةً فقط خرجَ مع أبيه لصيد خنزيرٍ برِّي، لكنهم لم يسمحوا له بالاقتراب منه البتَّة».

رمقَ ثيون الصَّبي بشَك، ثم قال: «تعالَ إذا أردت، لكن إذا لم تستطِع مواكَبتنا، فلا تتوقَّع أني سأرعاك»، والتفتَ إلى لورن الأسود قائلًا: «وينترفل تحت تصرُّفك في غيابي. إذا لم نَعُد، فافعل بها ما تشاء». خيرٌ لهم أن يجعلهم هذا يُصَلُّون لنجاحي.

اجتمَعوا عند بوَّابة الصيَّادين وأنفاسهم تتجمَّد في هواء الصُّبح البارد، بينما مسَّت خيوط أشعَّة الشَّمس الأولى قمَّة بُرج الجرس. سلَّح جلمار نفسه ببلطةٍ طويلة يُتيح له مداها أن يُسَدِّد ضرباته قبل أن يَبلُغه الذِّئبان، والنَّصل ثقيل بما يكفي لأن يَقتُل بضربةٍ واحدة، وارتدى آجار واقييَّ ساقين من الفولاذ، أمَّا ريك فجاءَ حاملًا رُمحًا لصيد الخنازير البرِّيَّة وصُرَّة ثيابٍ منتفخة لا يعلم غير

الآلهة ما تحويه. لم يأخذ ثيون معه غير قوسه الذي لا يحتاج سواه. ذات مرَّةٍ أنقذَ حياة بران بسهم، ويأمل الآن ألَّا يسلبه إياها بسهمٍ آخَر، لكنه سيفعلها إذا وجدَ نفسه مجبَرًا.

عبرَ أحد عشر رجلًا وصبيَّان ودستة من الكلاب الخندق، ووراء السُّور الخارجي كانت الآثار جليَّةً في التُّربة اللَّينة؛ قوائم الذِّئبين وخطوات هودور الثَّقيلة والعلامات الضَّحلة التي تركَتها أقدام الأخوان ريد. بمجرَّد أن أصبَحوا تحت الأشجار، جعلَت الأرض الحجريَّة والأوراق السَّاقطة ملاحظَة الأثر أصعب، لكن كلبة فارلن الحمراء كانت قد التقطَت الرَّائحة، ووراءها بمسافةٍ قصيرة الكلاب الأخرى، تتشمَّم كلاب الصَّيد التَّقليديَّة الهواء وتنبح، بينما يتحرَّك كلبان عملاقان من نوع الدِّرواس[1] في المؤخِّرة، فشراستهما وحجمهما يصنعان فارقًا ضد ذئبٍ رهيبٍ محاصَر.

كان قد خمَّن أن أوشا ستهرعُ جَنوبًا إلى السير رودريك، لكن الأثر قادَ إلى الشَّمال فالشَّمال الغَربي، إلى قلب غابة الذِّئاب، الشَّيء الذي لم يَرُق ثيون مقدار ذرَّة. لكانت سخريةً مريرةً لو أن صبيًّا ستارك اتَّجها إلى «ربوة الغابة»، فقط ليقعا بين يدي آشا. فكَّر بتجهُّم: أفضلُ أن يموتا، فخيرٌ لي أن أبدو متوحِّشًا من أن أبدو أحمق.

انتشرَت خيوط من الضَّباب الشَّاحب بين الأشجار، حيث يتكاثَف شجر الحارس والصَّنوبر الجُندي، ولا شيء في العالم أكثر ظلامًا وكآبةً من غابةٍ دائمة الخُضرة. كانت الأرض غير مستوية، والأوراق الإبريَّة السَّاقطة تُخفي ليونة أديم التُّربة، جاعلةً مواطئ أقدام الخيول خدَّاعةً، ما جعلَهم يتحرَّكون ببُطء. لكن ليس ببُطء رجلٍ يحملِ طفلًا قعيدًا، أو امرأةٍ ناحلة على ظَهرها طفل في الرَّابعة. قال لنفسه أن يتحلَّى بالصَّبر. سيوقع بهم قبل ختام اليوم.

اقتربَ منه المِايستر لوين وهُم يتبعون دربًا للفرائس عند مدخل وهدٍ منحدِرٍ صغير، وقال: «حتى الآن لا يُميِّز الصَّيد شيء عن ركوب الحصان في الغابة يا سيِّدي».

---

(1) الدِّرواس كلب شديد الضَّخامة يُستخدَم في الصَّيد والحراسة.

قال ثيون مبتسمًا: «ثمَّة نقاط مشتركة، لكن الصَّيد ينتهي بالدَّم».

- «أيجب أن يَحدُث هذا؟ الهرب كان حماقةً، لكن ألن تكون رحيمًا؟ إننا نبحث عن أخويك في التَّربية».

- «روب هو الستارك الوحيد الذي كان بمثابة أخي، وإن كانت لبران وريكون قيمة عندي حيَّين أكثر من ميتين».

- «الشَّيء نفسه ينطبق على ولدي ريد. خندق كايلن تستقرُّ عند حافة المستنقعات، ويستطيع اللورد هاولاند أن يجعل احتلال عمِّك لها جحيمًا إذا أرادَ، لكنه سيمتنع ما دمتَ محتفظًا بوريثيه».

لم يكن ثيون قد فكَّر في هذا. الحقيقة أنه لم يُعِر ولديَّ قوم الأوحال أيَّ انتباهٍ باستثناء التَّحديق في ميرا مرَّةً أو مرَّتين والتَّساؤل إن كانت لا تزال عذراء. «لعلَّك مُحِق. سنصفح عنهما إذا استطعنا».

- «وهودور أيضًا كما آمل. تعرف أن الصَّبي بسيط العقل، ويفعل ما يُقال له. كم مرَّةً ساسَ حصانك وغسلَ سَرجك ونظَّف دِرعك؟».

لا يعني هودور له شيئًا، وهكذا قال: «سنَترُكه حيًّا إذا لم يُقاوِمنا»، ثم أشارَ ثيون بإصبعه قائلًا بحزم: «لكن قُل كلمةً واحدةً عن الصُّفح عن الهمجيَّة وستموت معها. لقد حلفَت لي يمينًا وبالَت عليها».

حنى المِايستر رأسه قائلًا: «لا أختلقُ أعذارًا للحانثين باليمين. افعل ما تُريد، وأشكرك على رحمتك».

فكَّر ثيون بينما ابتعدَ لوين: الرَّحمة، يا لها من فَخٍّ لعين. كثيرها يُبديك ضعيفًا، وقليلها يُبديك وحشًا. لكنه يعرف أن المِايستر أسداه خير المشورة. لا يُفكِّر أبوه إلَّا باعتبارات الغزو وحدها، لكن ما الجدوى من الاستيلاء على مملكةٍ إذا كنت لا تستطيع الحفاظ عليها؟ القوَّة والرَّهبة وحدهما لن تجعلاك تقطع شوطًا طويلًا. من المؤسف أن ند ستارك أخذَ ابنتيه جَنوبًا، وإلَّا لاستطاعَ ثيون أن يُحكِم قبضته على وينترفل بأن يتزوَّج إحداهما، وسانزا فتاة جميلة حقًّا، ولا بُدَّ أنها صالحة للافتراش الآن، لكنها بين براثن آل لانستر على بُعد آلاف الفراسخ، فيا للخسارة.

اتَّسعت الغابة شيئًا فشيئًا، وأفسحَت أشجار الصَّنوبر والحارس المجال

لأشجار السَّنديان الدَّاكنة الضَّخمة، وأخفى شجر الزُّعرور المتشابك الأخاديد والشُّقوق الخدَّاعة، بينما صعدَت المرتفعات الحجريَّة ونزلَت، ومرُّوا بكوخ مزارعٍ مهجور نمَت عليه النَّباتات بكثافة، ومضوا بمحاذاة مَقلع حجارةٍ أغرقَته المياه التي تلمع بلونٍ رمادي كالفولاذ. حين بدأت الكلاب تنبح، فكَّر تيريون أن الهاربين قريبون، فهمزَ سمايلر وتبعها مسرعًا، لكن ما وجدَه كان مجرَّد جثَّة إلكةٍ صغيرة... أو ما تبقَّى منها بالأحرى.

ترجَّل ليُلقي نظرةً عن كثب. لا تزال الجثَّة طازجةً، وواضح تمامًا أن هذا من صُنع الذِّئبين. أخذَت الكلاب تتشمَّم حول الجثَّة بلهفة، وأنشبَ أحد الدِّرواسيْن أسنانه في فخذٍ حتى زعقَ فارلن فيه وأبعدَه. لا جزء مذبوحًا من هذا الحيوان. الذِّئبان أكلا، لكن ليس البَشر. حتى إذا رفضَت أوشا المخاطَرة بإشعال نار، فكان عليها أن تقطع بضع شرائح من اللَّحم، فليس من المنطقي أن يَترُكوا هذا اللَّحم الممتاز كله يتعفَّن. سأل: «فارلن، أأنت واثق بأننا نقتفي الأثر الصَّحيح؟ هل يُمكن أن كلابك تُطارِد ذئابًا أخرى؟».

- «كلبتي تعرف رائحة سَمر وشاجي جيِّدًا».

- «آملُ هذا لصالحك».

بَعد أقلِّ من ساعةٍ قادَ الأثر إلى منحدَرٍ ينزل إلى غديرٍ امتلأ عن آخِره بمياه الأمطار التي هطلَت مؤخَّرًا، وهناك فقدَت الكلاب الرَّائحة. خاضَ وِكس وفارلن الماء بكلاب الصَّيد، ثم عادا يهزَّان رأسيهما، بينما ذرعَت الكلاب الضفَّة الأخرى متشمِّمةً، وقال قيِّم الوجار: «لقد نزلوا إلى الغدير من هنا يا سيِّدي، لكنني لا أرى من أين خرجوا».

ترجَّل ثيون وركعَ إلى جوار الماء، وغمسَ يده فيه ليجده باردًا، ثم قال: «لا يُمكن أنهم بقوا طويلًا في الماء. خُذ نِصف الكلاب وتحرَّك مع التيَّار، وسآخذُ البقيَّة في الاتِّجاه الآخَر و...». قاطَعه وِكس مصفِّقًا بيديه بقوَّة، فسألَه: «ما الأمر؟»، ولمَّا أشارَ الصَّبي رأى ثيون الآثار الواضحة التي تركَها الذِّئبان على الأرض الموحلة إلى جوار الماء، فقال: «آثار قوائم الذِّئبين، نعم، وماذا في هذا؟».

غرسَ وِكس قدمًا في الوحل وحرَّكها يمينًا وشِمالًا، فتركَت أثرًا عميقًا،

وأدركَ چوزث ما يرمي إليه الصَّبي، فقال: «المفترَض أن يَترُك رجل بحجم هودور أثرًا غائرًا في الوحل، خصوصًا والصَّبي يُثقِل ظَهره، ومع ذلك آثار الأقدام الوحيدة هنا لنا فقط. انظُر بنفسك».

مرتاعًا، رأى ثيون أنه مُصيب. الذِّئبان نزلا إلى المياه الموحلة الفائضة وحدهما. «لا بُدَّ أن أوشا انعطفَت في بُقعةٍ ما وراءنا، قبل الإلكة غالبًا. وأرسلَت الذِّئبين وحدهما على أمل أن نقتفي أثرهما»، ثم خاطبَ صيَّاديْه قائلًا: «لو أنكما تلاعبتما بي...».

قال جاريس بلهجةٍ دفاعيَّة: «لم يكن هناك سوى أثر واحد يا سيِّدي، أقسمُ لك، ولا يُمكن أن الذِّئبين افترَقا عن الصَّبيَّين فترةً طويلَةً».

هذا صحيح. من الوارد أن سَمر وشاجيدوج ذهبا للصَّيد، وعاجلًا أو آجلًا سيعودان إلى بران وريكون. «جاريس، مورش، خُذا أربعة كلاب وعودا من حيث أتينا واعثُرا على المكان الذي فقدناهم فيه، وأنت يا آجار ستُراقِبهما، فلا أريدُ أيَّ خداع. أنا وفارلن سنتبع الذِّئبين. نفخة واحدة في البوق إذا وجدتم الأثر، ونفختان إذا لمحتما الذِّئبين نفسيهما. بمجرَّد أن يعرف أحدنا أين ذهبا، فسيقودانا إلى سيِّديهما».

أخذَ وِكس وصبيَّ فراي وجاينير ردنوز ليبحثوا عكس تيَّار الغدير، وركبَ مع وِكس على إحدى ضفَّتيه، بينما ركبَ ردنوز مع والدر فراي على الثَّانية، وكلٌّ منهم معه زوج من كلاب الصَّيد. محتمَل أن الذِّئبين خرجا من الماء إلى أيِّ الضفَّتين، وترصَّد ثيون الآثار كلها من أقدام حيواناتٍ وفروعٍ مكسورة وأيِّ دلالةٍ على البُقعة التي غادرَ الذِّئبان الماء منها، ولمحَ آثارَ الغزلان والإلكة والغُرَيرات بسهولة، بينما باغتَ وِكس ثعلبةً تشرب من الغدير، ودفعَ والدر ثلاثة أرانب إلى الفرار من مكمنها وسط الشُّجيرات، وأصابَ أحدها بسهم، كما رأوا آثار المخالب حيث مزَّق دُبٌّ لحاء شجرة بَتولة[1]، ولكن لا أثر للذِّئبين الرَّهيبين.

قال ثيون لنفسه: لنتقدَّم أكثر قليلًا، بَعد هذه البلُّوطة، فوق هذا المرتفَع،

(1) شجرة رفيعة فارعة تنمو في الغابات الباردة، أوراقها قليلة وأزهارها ناعمة.

بَعد انعطافة الغدير التَّالية، سنجد شيئًا هناك. تقدَّم طويلًا بَعدما أدركَ أن عليه أن يعود أدراجه، وفي بطنه يلتهم إحساس بالجزع أحشاءه، وكان النَّهار قد انتصفَ بالفعل عندما أدارَ سمايلر بعُنفٍ شاعرًا بالامتعاض والاستسلام. بشكلٍ ما ضلَّلته أوشا والآخَرون، مع أن المفترَض ألا يكون ذلك ممكنًا وهُم يسيرون على الأقدام، يُثقِلهم صبيٌّ كسيح وطفل صغير. كلُّ ساعةٍ تمرُّ ترفع من احتماليَّة نجاحهم في الفرار. إذا بلغوا قريةً... أهل الشَّمال لن يُغلِقوا أبوابهم في وجهي ابني ند ستارك وأخوي روب أبدًا، وسيمنحونهما خيولًا يُواصِلون بها فرارهم، وطعامًا كذلك، وسيتقاتَل الرِّجال على شَرف حمايتهما، وسيحتشد الشَّمال اللَّعين كله حولهما.

تمسَّك بفكرة أن الذِّئبين تحرَّكا مع تيَّار الغدير لا أكثر. ستشمُّ الكلبة الحمراء المكان الذي خرجا منه وسنُعاوِد اقتفاء أثرهما.

لكن حين انضمُّوا إلى مجموعة فارلن، حطَّمت نظرة واحدة إلى وجه قيِّم الوجار آمال ثيون إلى شظايا، وقال حانقًا: «هذه الكلاب لا تَصلُح إلَّا طُعمًا لاصطياد الدِّببة، وليتني كنتُ أملكُ دُبًّا».

ركعَ فارلن بين أحد الدِّرواسيْن وكلبته الحمراء واضعًا يدًا على كلٍّ منهما: «ليس هذا خطأ الكلاب. المياه الجارية لا تحتفظ بالرَّوائح يا سيِّدي».

- «لا بُدَّ أن الذِّئبين خرجا من مكانٍ ما في الغدير».

- «لا شَكَّ في هذا، في اتِّجاه التيَّار أو عكسه. سنُواصِل ونجد المكان، لكن في أيِّ جهةٍ نذهب؟».

قال ريك: «لم أعرف ذئبًا يجري أميالًا في مجرى غدير. قد يستطيع إنسان أن يفعلها إذا عرفَ أنه مطارَد، لكن ذئب؟».

لكن ثيون ظَلَّ يتساءَل. هذان ليسا كالذِّئاب الأخرى. كان ينبغي أن أسلُخ المخلوقين اللَّعينين.

خيبة الأمل نفسها تكرَّرت بحذافيرها حين انضمُّوا إلى جاريس ومورش وآجار. كان الصيَّادان قد عادا أدراجهما حتى منتصَف الطَّريق إلى وينترفل دون أن يجدا أيَّ شيءٍ يدلُّ على البُقعة التي افترقَ فيها صبيَّا ستارك عن

الذِّئبين، وبدَت كلاب فارلن محبَطةً كأسيادها، تتشمَّم الأشجار والصُّخور بتعاسةٍ وتتبادَل النِّباح العصبي.

لم يَجسُر ثيون على الاعتراف بالهزيمة، وقال: «سنعود إلى الغدير ونبحث ثانيةً، وهذه المرَّة سنمضي كما تدعو الحاجة».

قال صبيُّ فراي فجأةً: «لن نَعثُر عليهما أبدًا ما دامَ آكلا الضَّفادع معهما. قوم الأوحال هؤلاء غادرون، ولا يُقاتِلون بشَرفٍ كالنَّاس الآخَرين، بل يكمنون لأعدائهم ويستخدمون سهامًا مسمومةً. لا تراهم أبدًا لكنهم يروك، ومَن يَدخُلون المستنقعات لمطارَدتهم لا يَخرُجون أبدًا. بيوتهم تتحرَّك! وحتى قلاعهم تتحرَّك!»، وجاسَ ببصره بتوتُّرٍ في الخُضرة التي أحاطَت بهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ، وأردفَ: «قد يكونون هنا الآن، يُصغون لكلِّ ما نقوله».

ضَحكَ فارلن معبِّرًا عن رأيه في الفكرة، وقال: «كانت كلابي لتشمَّ أيَّ شيءٍ متواريًا في هذه الأدغال، وتُهاجِمه قبل أن يرتدَّ إليك طرفك يا ولد».

قال فراي بإصرار: «رائحة آكلي الضَّفادع غير رائحة البَشر. إنها كالمياه الآسنة، خليط من روائح الضَّفادع والأشجار والمياه المنتِنة، وينمو الطُّحلب تحت آباطهم بدلًا من الشَّعر، ويستطيعون الحياة بلا طعام، ويتنفَّسون في مياه المستنقعات».

كان ثيون على وشك أن يقول له أين يَدُسُّ خرافة المرضِعات هذه، عندما رفعَ المِايستر لوين صوته قائلًا: «يقول التَّاريخ إن شعب المستنقعات كان قريبًا من أطفال الغابة حينما حاولَ الأنبياء الخُضر تحطيم «العُنق» بمطرقة المياه، فلعلَّهم يتمتَّعون بمعارف سرِّيَّة».

فجأةً بدَت الغابة أكثر حَلكةً مما كانت قبل لحظة، كأن سحابةً حجبَت وجه الشَّمس. طبيعيٌّ أن يتفوَّه صبيٌّ أحمق بالحماقات، لكن المِايسترات يتحلُّون بالحكمة.

قال ثيون: «بران وريكون هما كلُّ مَن يعنيني من أطفال. سنعود إلى الغدير، الآن».

مرَّت لحظة حسبَ خلالها أنهم لن يُطيعوا، لكن في النِّهاية وكَّدت العادات القديمة نفسها وتبعوه على مضض، وتحرَّك صبيُّ فراي متوانيًا كالأرانب التي

وجدَها من قبل. وضعَ ثيون رجالًا على كلتا الضَّفتين وتحرَّكوا مع التيَّار، وقطَعوا أميالًا ببُطءٍ وحذر، يتوقَّفون ليقودوا الخيول عبر البقاع الغادرة، تاركين كلاب الصَّيد (التي لا تَصلُح إلَّا طُعمًا لاصطياد الدِّببة) تتشمَّم كلَّ دغل. سَدَّت شجرة ساقطة المجرى، فاضطرَّ الصيَّادون إلى الدَّوران حول بركةٍ خضراء، لكن إذا كان الذِّئبان الرَّهيبان قد فعلا مِثلهم، فإنهما لم يَترُكا أدنى أثر، وبدا أن الحيوانين أحبَّا السِّباحة. يُمكنهما أن يسبحا كما أرادا عندما أمسكُ بهما، سأعطيهما للإله الغريق.

أدركَ ثيون جرايچوي هزيمته حين بدأ الظَّلام يُخَيِّم على الغابة. إمَّا أن صبيَّي الأوحال يُجيدان سِحر أطفال الغابة حقًّا، أو أن أوشا خدعَتهم بحيلةٍ ما من حيل الهَمج. جعلَ رجاله يُواصِلون البحث والغَسق يزحف على السَّماء، لكن حين خبا الضَّوء الأخير، استجمعَ چوزث شَجاعته ليقول: «لا طائل يا سيِّدي. سيُصاب حصان أو يكسر أحدنا ساقه».

قال المِايستر لوين: «چوزث على حَق. البحث في الغابة على ضوء المشاعل لن يُثمِر شيئًا».

أحسَّ ثيون بغصَّةٍ في حَلقه، وفي بطنه كانت عشرات الأفاعي تسعى، تلتفُّ حول بعضها بعضًا وتفحُّ. إذا عادَ إلى وينترفل خاوي الوفاض، فحريٌّ به أن يرتدي ثياب المهرِّجين وقُبَّعةً مدبَّبةً من الآن فصاعدًا، فسيصفه الشَّمال كله بأنه مهرِّج. وحين يعرف أبي، وآشا...

حَثَّ ريك حصانه على التقدُّم قائلًا: «يا سموَّ الأمير، ربما لم يَسلُك صبيَّا ستارك هذا الطَّريق أصلًا. لو كنتُ مكانهما لاتَّجهت شَمالًا، وشَرقًا ربما، إلى حيث آل أومبر. إنهم رجال ستارك المخلصون، لكن أراضيهم بعيدة، لذا سيختبئ الصبيَّان في مكانٍ أقرب، وأظنُّ أني أعرفُ أين».

رمقَه ثيون بشَكٍّ قائلًا: «أخبِرني».

- «أتعرف تلك الطَّاحونة القديمة التي ترتفع وحيدةً عند نهر البلُّوط؟ لقد توقَّفنا هناك حين جرُّوني مأسورًا إلى وينترفل، وباعَتنا زوجة الطحَّان تبنًا للخيول، بينما أبدى ذلك الفارس العجوز إعجابه بابنيها. قد يكون صبيَّا ستارك مختبئَيْن هناك».

يعرف ثيون تلك الطَّاحونة، بل وضاجعَ زوجة الطحَّان مرَّةً أو اثنتين كذلك، ولم يجد شيئًا يُمَيِّز المكان أو المرأة. «لماذا هناك بالتَّحديد؟ ثمَّة قُرى ومعاقل عدَّة تَبعُد المسافة نفسها».

التمعَ الاستمتاع على تلكما الشَّفتين الشَّاحبتين وصاحِبهما يقول: «لماذا؟ مَن يدري؟ لكن شعورًا يُراوِدني بأنهما هناك».

كان قد بدأ يملُّ إجابات الرَّجل الخبيثة الغامضة. شفتاه تبدوان كدودتين تتضاجَعان! «ماذا تعني؟ لو أنك تحجب شيئًا عني...».

قال ريك مترجِّلًا ومشيرًا إلى ثيون ليحذو حذوه: «سيِّدي الأمير»، ولمَّا وقفا متجاورِيْن، فتحَ الصُّرَّة التي أخذَها من وينترفل قائلًا: «ألقِ نظرةً».

جعلَ الظَّلام الرُّؤية عسيرةً، فدَسَّ ثيون يده في الصُّرَّة بصبرٍ نافد، وشعرَ بملمس الفرو النَّاعم والصُّوف الخشن، ووخزَ شيء مدبَّب حاد جِلده، ثم أطبقَت يده على شيءٍ صُلبٍ بارد، وأخرجَ المشبك ذو شكل رأس الذِّئب المصنوع من الفضَّة والكهرمان الأسود. أتاه الفهم فجأةً، فضَمَّ قبضته وقال متسائلًا في قرارة نفسه عمَّن يستطيع الثِّقة به (لا أحد): «جلمار، آجار، ردنوز، ستأتون معنا، وليرجع بقيَّتكم إلى وينترفل مع الكلاب، فلم أعد أحتاجها. لقد عرفتُ أين يختبئ بران وريكون».

قال المِايستر لوين باستجداء: «مولاي الأمير ثيون، هل ستتذكَّر وعدك؟ قلت إنك سترحمهم».

رَدَّ ثيون: «الرَّحمة كانت نهارًا». خيرٌ لي أن يخافني النَّاس من أن يسخروا مني. «قبل أن يُغضِبوني».

چون

كانوا يرون النَّار تتوهَّج على جانب الجبل في ظلام اللَّيل كنجم هوى، تتَّقد بحُمرةٍ أكثر من النُّجوم الأخرى لكن لا تتلألأ، تارةً تتأجَّج وتارَةً تخبو فتُصبح مجرَّد شرارةٍ بعيدة.

فكّر چون مقدِّرًا المسافة: على بُعد نصف ميلٍ أمامنا وارتفاع ألفيّ قدم، وفي مكانٍ مثالي لرؤية أيِّ شيءٍ يتحرَّك في الممرِّ في الأسفل.

تساءل أكبرهم سِنًّا متعجِّبًا: «نواطير على «الممر الصَّادح»؟». في ريعان شبابه كان مُرافِقًا لملك، فظَلَّ الإخوة السُّود يدعونه بالمُرافِق دالبريدچ. «ما الذي يخشاه مانس رايدر يا تُرى؟».

قال إبِن، الرَّجل الأصلع المكتنز مفتول العضلات كجوالٍ مليء بالصُّخور: «سيَسلُخ مانس هؤلاء الأوغاد المساكين إذا عرفَ أنهم أشعَلوا نارًا».

رَدَّ كورين ذو النِّصف يد: «النَّار تعني الحياة هنا، لكن يُمكنها أن تعني الموت أيضًا». بأمرٍ منه لم يُخاطِروا بإشعال لهبٍ مكشوف إطلاقًا منذ دخَلوا الجبال، فأكلوا اللَّحم المملَّح البارد والخُبز الجامد والجبن الأكثر جمودًا، وناموا بثيابهم متجاورين تحت كومةٍ من المعاطف والأغطية الفرو، ممتنِّين للدِّفء الذي يبثُّه كلٌّ منهم في الآخَر. تذكَّر چون اللَّيالي الباردة في وينترفل منذ زمنٍ بعيد، حين كان يتقاسَم الفِراش مع إخوته. هؤلاء الرِّجال إخوته أيضًا، مع فارق أن الفِراش الذي يتقاسَمونه حجرٌ وثرَى.

قال ثعبان الحجر: «لا بُدَّ أن معهم بوقًا».

أضافَ ذو النِّصف يد: «بوقًا لا يجب أن يَنفُخوا فيه أبدًا».

قال إبن رامقًا الشَّرارة البعيدة من خلال صدع في الصُّخور التي تقيهم: «صعود طويل وقاسٍ ليلًا». كانت السَّماء خاليَةً من السُّحب، والجبال المضرَّسة ترتفع أسودَ على أسود حتى أعلى الذُّرى الباردة، حيث يلتمع الثَّلج والجليد اللذان يُتَوِّجانها بشحوبٍ في نور القمر.

قال كورين ذو النِّصف يد: «وسقطة أطول. نحتاج رجلين على ما أظنُّ، فغالبًا هناك رجلان يتبادَلان المُراقبة».

- «أنا». لقد أثبتَ الجوَّال الملقَّب بثعبان الحجر أنه أبرعهم في التسلُّق، فلا مناص من أن يكون من هذين الرَّجلين.

قال چون سنو: «وأنا».

التفتَ كورين إليه. كان چون يسمع الرِّيح تصفر بصوتٍ راجفٍ في الممرِّ العالي فوقهم، وصهلَ أحد الخيول وأخذَ ينبش التُّربة الحجريَّة الرَّقيقة للتَّجويف الذي يحتمون به. قال كورين: «سيبقى الذِّئب معنا، فمن السَّهل رؤية الفرو الأبيض في نور القمر»، ثم خاطبَ ثعبان الحجر قائلًا: «عندما ينتهي الأمر، ألقِ شُعلةً وسنأتي حين نراها».

قال ثعبان الحجر: «لا وقت أفضل من الآن للبدء».

أخذَ كلٌّ منهما لفَّةً طويلةً من الحبال، وأخذَ ثعبان الحجر كيسًا مليئًا بالأوتاد الحديديَّة، بالإضافة إلى مطرقةٍ صغيرة رأسها مغلَّف بطبقةٍ سميكةٍ من اللِّباد، بينما تركا حصانيهما وخوذتيهما وقميصيهما المعدنيَّين... وجوست. ركعَ چون إلى جوار الذِّئب الرَّهيب وتركَه يُمَرِّغ خَطمه في وجهه قبل أن يتحرَّك قائلًا له بنبرةٍ آمرة: «ابقَ هنا. سأعودُ لك».

تولَّى ثعبان الحجر القيادة. كان رجلًا ناحلًا قصير القامة، يدنو من الخمسين وأشيب اللِّحية، لكن أقوى مما يبدو، وبصره أحدُّ في الرُّؤية اللَّيلية من أيِّ رجلٍ عرفَه چون في حياته. إنه يحتاج هاتين العينين اللَّيلة، فنهارًا تلوح الجبال خضراء مائلةً إلى الأزرق وينتشر عليها الصَّقيع، لكن بمجرَّد أن تغيب الشَّمس وراء القمم المضرَّسة تصير الجبال سوداء تمامًا، والآن يُخَطِّط القمر الطَّالع حدودها بالأبيض والفضِّي.

تحرَّك الأخوان الأسودان عبر الظِّلال السَّوداء وسط الصُّخور السُّود،

يصعدان دربًا منحدِرًا متعرِّجًا وتتجمَّد أنفاسهما في الهواء الأسود، بينما يَشعُر چون بأنه شِبه عارٍ دون قميصه المعدني، مع أنه لم يفتقد وزنه الثَّقيل. إنها رحلة صعبة وبطيئة، والعجلة معناها المخاطرة بأن يُكسَر له كاحل أو أسوأ. بدا أن ثعبان الحجر يعرف أين يضع قدميه بالضَّبط بشكلٍ غريزي، أمَّا چون فتقدَّم متوخِّيًا الحذر على الأرض غير المستوية.

«الممر الصَّادح» في حقيقة الأمر سلسلة من الممرَّات، مجاز طويل ملتفٌّ يصعد دائرًا حول متتاليةٍ من القمم الجليديَّة التي شكَّلتها الرِّيح، وينزل مخترقًا وديانًا خفيَّةً نادرًا ما ترى الشَّمس. باستثناء رفاقه، لم يلمح چون إنسانًا حيًّا منذ تركوا الغابة وبدأوا طريقهم الصَّاعد بين الجبال، فـ«أنياب الصَّقيع» هذه من أقسى البقاع التي خلقَتها الآلهة على الإطلاق وأكثرها وحشةً، وبطبيعتها معادية للبَشر. هنا تقطع الرِّيح كسكِّينٍ ماضٍ، ويرتفع صراخها ليلًا كأمٍّ تندب أطفالها المذبوحين، والأشجار القليلة التي رأوها ناقصة النموِّ وتبدو كمخلوقاتٍ مشوَّهة غريبة تنمو بانحرافٍ من الصُّدوع والشُّقوق، وفي مناطق عدَّة تحتجب سماء الدَّرب وراء جلاميد الصَّخر السَّاقطة، التي تتدلَّى منها كُتل الجليد المدبَّبة باديةً من بعيدٍ كالأسنان الطَّويلة الحادَّة.

وعلى الرغم من كلِّ هذا لم يَشعُر چون سنو بالنَّدم لمجيئه، فثمَّة عجائب ها هنا أيضًا، وقد رأى نور الشَّمس يتألَّق على شلَّالاتٍ جليديَّةٍ تنهمر على جروفٍ حجريَّةٍ عموديَّة، ومرجًا جبليًّا مليئًا بالزُّهور البرِّيَّة، من القرون الباردة الزَّرقاء، إلى ورد الصَّقيع النَّاري القرمزي، إلى حشيشة الزمَّار بلونيها الخمري والذَّهبي[1]، وتطلَّع إلى أسفل عبر وُهدانٍ بالغة العُمق والسَّواد لدرجة جعلَته موقنًا من أن قرارها جحيم ما، وقطعَ بحصانه جسرًا من الحجر الطَّبيعي المتآكل بفعل الرِّيح، حيث لا شيء على هذا الجانب أو ذاك غير السَّماء. هناك تَسكُن النُّسور أوكارها في الأعالي وتهبط لتصطاد في الوديان، تدور بكلِّ بساطةٍ بأجنحتها الرَّماديَّة المزرَّقة فتبدو جزءًا من السَّماء، وفي مرَّةٍ رأى

(1) كلها نباتات من خيال المؤلِّف.

قِطَّ ظِلٍّ يتتبَّع كبشًا، يتحرَّك برشاقةٍ على جانب الجبل كأنه مخلوق من دُخانٍ سائل إلى أن استعدَّ للانقضاض.

والآن حانَ الوقت لأن ننقضَّ نحن. تمنَّى لو أنه يستطيع أن يتحرَّك بثقة وصمت قِطِّ الظِّلِّ هذا، وأن يَقتُل بسُرعته. سيفه «المخلب الطَّويل» مدسوس في غِمده على ظَهره، لكنه قد لا يجد مساحةً تسمح باستخدامه، ولهذا حملَ خنجرًا وسكِّينًا من أجل المواجَهات في الأماكن الضيِّقة. سيكونان مسلَّحين أيضًا، وأنا لا أرتدي المعدن. تساءلَ مَن سيثبُت أنه قِطُّ الظِّلِّ في آخِر اللَّيل ومَن الكبش.

التزَما بالدَّرب مسافةً طويلةً واتَّبعا منحنياته ومنعطفاته الثُّعبانيَّة الصَّاعدة -الصَّاعدة دائمًا- على جانب الجبل، وأحيانًا كان الجبل ينطوي على نفسه فتغيب النَّار عن أعيُنهما، لكنها تُعاوِد الظُّهور عاجلًا أو آجلًا. لم يكن الطَّريق الذي اختارَه ثعبان الحجر ليَصلُح للخيول على الإطلاق، ففي بضعة أماكن اضطرَّ چون لأن يضغط ظَهره على الحجر البارد ويمضي بوصةً بوصةً بحركةٍ جانبيَّة كسرطان البحر، وحتى حين يتَّسع الدَّرب فإنه يظلُّ خدَّاعًا، هنا وهناك صدوع واسعة بما يكفي لابتلاع ساق رجل، وكُسارة صخور يُمكن التعثُّر فيها، وبقاع مجوَّفة يتجمَّع فيها الماء نهارًا ويتجمَّد تمامًا ليلًا. خطوة ثم الأخرى، خطوة ثم الأخرى ولن أسقط.

لم يكن قد حلقَ منذ غادرَ «قبضة البَشر الأوائل»، وسرعان ما تيبَّس الشَّعر فوق شفته بفعل الصَّقيع، وبَعد ساعتين من التسلُّق كانت الرِّياح تضرب بعُنفٍ شديد تطلَّب منه قوَّته كلها كي ينحني ويتشبَّث بالصُّخور، بينما يُصلِّي ألَّا تُطيِّره هبَّة عنيفة من فوق الجبل، ثم إنه تابعَ طريقه بَعدما خفَّت الرِّيح بعض الشَّيء وذكَّر نفسه: خطوة ثم الأخرى، خطوة ثم الأخرى ولن أسقط.

كانا قد بلغا ارتفاعًا شاهقًا يجعل النَّظر إلى أسفل فكرةً غير مستحبَّة إطلاقًا، فلا شيء في الأسفل غير سوادٍ يَفغُر فاه، ولا شيء في الأعلى غير القمر والنُّجوم. قبل أيام أثناء تسلُّق أسهل قال له ثعبان الحجر: «الجبل أمُّك، تمسَّك به واضغط وجهك في ثديَيه ولن يُسقطك»، فرَدَّ چون مازحًا بأنه تساءلَ طيلة عُمره عمَّن تكون أمُّه، لكنه لم يتوقَّع قَطُّ أن يجدها في «أنياب

الصَّقيع»، أمَّا الآن فلا تبدو له الفكرة بتلك الطَّرافة، وتشبَّث أكثر فأكثر مردِّدًا: خطوة ثم الأخرى.

بلغَ الدَّرب الضيِّق نهايته فجأةً عند جلمودٍ هائل الحجم من الجرانيت الأسود ينبثق من جانب الجبل، وبدا ظِلُّه بَعد نور القمر شديد السَّواد كأنك تخطو داخل كهف. قال الجوَّال بصوتٍ خفيض: «إلى أعلى مباشرةً من هنا. نريد أن نرتفع فوقهم»، وخلعَ قُفَّازيه ودسَّهما في حزامه، ثم ربطَ طرف الحبل حول خصره والطَّرف الآخَر حول چون قائلًا: «اتبعني حين يصير الحبل مشدودًا»، ولم ينتظر الجوَّال جوابًا، بل بدأ يتسلَّق في الحال، يتحرَّك صاعدًا بيديه وقدميه بسرعةٍ لم يُصَدِّقها چون، وبدأ الحبل الطَّويل ينحلُّ ببُطء، بينما راقبَ چون الجوَّال بإمعانٍ مدوِّنًا في عقله طريقة تحرُّكه والمناطق الثَّابتة التي تعلَّق بها في صعوده، وحين انحلَّت آخِر لفَّةٍ من الحبل، خلعَ قُفَّازيه بدوره وبدأ يصعد بسرعةٍ أبطأ كثيرًا.

كان ثعبان الحجر قد ربطَ الحبلَ حول بروزٍ أملس في الصَّخرة التي ينتظر عليها، وبمجرَّد أن لحقَ به چون عادَ يُحَرِّر الحبل ويستأنف الصُّعود. هذه المرَّة لم يكن هناك شِقٌّ مناسب عند نهاية طول الحبل، فأخرجَ مطرقته المغلَّف رأسها باللِّباد، وفي عُمق شِقٍّ صغيرٍ في الحجر أغمدَ وتدًا بعدَّة طَرقاتٍ خفيفة، لكن على الرغم من خفوت صوت الدقَّات، فقد تردَّد صداها على الأحجار المحيطة بدويٍّ شديد، حتى إن چون جفلَ مع كلِّ طَرقةٍ موقنًا من أن الهمجيِّين سمعاها أيضًا. حين ثبتَ الوتد، ثبَّت ثعبان الحجر الحبل عليه وتحرَّك إلى أعلى، فبدأ چون يتبعه. ارضع من ثدي الجبل، لا تَنظُر إلى أسفل، ارفع ثِقلك عن قدميك، لا تَنظُر إلى أسفل، انظُر إلى الصَّخرة التي أمامك، ثمَّة دعامة مناسبة، نعم، فلا تَنظُر إلى أسفل، يُمكنني أن ألتقط أنفاسي على هذا الإفريز هناك، عليَّ فقط أن أبلغه، لكن لا تَنظُر إلى أسفل أبدًا.

انزلَقَت قدمه مرَّةً حين وضعَ ثِقله عليها فتوقَّف قلبه في صدره، لكن الآلهة كانت رحيمةً ولم يَسقُط، وإن شعرَ بالبرد ينضح من الصَّخر ويتخلَّل أصابعه، لكنه لم يجرؤ على ارتداء قُفَّازيه، فالقُفَّازات تنزلق مهما بدَت محكمةً على اليد، والقُماش والفرو يتحرَّكان بين الجِلد والحجر، الشَّيء الكفيل بقتله

في مكانٍ كهذا. أحسَّ بيده المحروقة تتيبَّس، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن توجِعه، ثم إنه جرحَ إبهامه بشكلٍ ما، وأينما وضعَ يده تركَ بُقعًا من الدَّم. تمنَّى أن يظلَّ محتفظًا بأصابعه كلها حين ينتهي من التسلُّق.

صعدا وصعدا وصعدا كظِلَّين أسودين يزحفان على الحائط الصَّخري في نور القمر. يستطيع أيُّ أحدٍ في قاع الممرِّ أن يراهما بسهولة، لكن الجبل أخفاهما عن أنظار الهمجيَّين السَّاهريْن عند نارهما، وراودَ چون إحساس قوي بأنهما اقتربا، وعلى الرغم من ذلك لم ينشغل باله بالعدوَّين الغافليْن اللذين ينتظرانه، بل ذهبَ تفكيره إلى أخيه في وينترفل. لكم أحبَّ بران التسلُّق. ليتني أملكُ عُشر شَجاعته.

بَعد الثُّلث الثَّاني من الطَّريق إلى أعلى، يشقُّ الحائط الصَّخري نتوء من الحجر المكسوِّ بالجليد، فمَدَّ ثعبان الحجر يده ليُساعِده على الصُّعود، وكان قد عادَ يرتدي قُفَّازيه فحذا چون حذوه، ثم أشارَ الجوَّال برأسه يسارًا، وزحفَ الاثنان فوق النُّتوء نحو ثلاثمئة ياردة أو أكثر، إلى أن رأيا الوهج البرتقاليَّ الباهت وراء شفير الجُرف.

كان الهمجيَّين قد أشعلا نارهما في منخفَضٍ غير عميق فوق أضيق بقاع الممر، حيث هوَّة عميقة أسفلهما وصخرة وراءهما تقيهما من الرِّيح لدرجةٍ كبيرة، لكن حاجر الرِّيح هذا بالتَّحديد هو ما سمحَ للأخوين الأسودين بالزَّحف على بطنيهما حتى أصبحا على بُعد أقدام معدودة منهما، والآن يتطلَّعان من أعلى إلى الرَّجلين اللذين عليهما قتلهما.

الأول كان نائمًا، متكوِّرًا على نفسه ومدفونًا تحت كومةٍ من الجلود، فلم يرَ چون منه شيئًا غير شَعره الأحمر اللَّامع في نور النَّار، بينما جلسَ الثَّاني بالقُرب من اللَّهب، يُطعِمه غُصيناتٍ وفروعًا ويُعرِب عن تذمُّره من الرِّيح بنبرةٍ نكِدة... أمَّا الثَّالث فكان يُراقِب الممر، على الرغم من أن لا شيء يُرى هنالك غير فراغ مظلم هائل تُحيط به مناكب الجبال المغمورة بالثَّلج.

كان الثَّالث يحمل البوق.

شعرَ چون بالحيرة لحظةً. ثلاثة. المفترَض أن يكون هناك اثنان فقط. على أن أحدهم نائم، وسواء أكان هناك اثنان أم ثلاثة أو عشرون، فما زال عليه

أن يفعل ما أتى ليفعله. مَسَّ ثعبان الحجر ذراعه وأشارَ إلى الهمجي حامل البوق، وأومأَ چون نحو الجالس عند النَّار، شاعرًا بغرابة أن يختار رجلًا يَقتُله. لقد أمضى نِصف حياته حاملًا السَّيف والتُّرس، يتمرَّن من أجل هذه اللَّحظة. تساءلَ: أهذا ما شعرَ به روب قبل معركته الأولى؟ لكن لم يكن هناك وقت للتأمُّل في السُّؤال. تحرَّكَ ثعبان الحجر بالسُّرعة اللَّائقة باسمه، ووثبَ على الهَمج وسط شلَّالٍ من الحصى، فاستلَّ چون مخلبه الطَّويل من غِمده وتبعَه.

بدا كأن كلَّ شيءٍ حدثَ في لحظةٍ واحدة، وفيما بَعد شعرَ چون بالإعجاب بشَجاعة الهمجي الذي مَدَّ يده إلى بوقه لا سلاحه ورفعَه إلى فمه، لكن قبل أن يستطيع النَّفخ فيه أطاحَ به ثعبان الحجر من يده بضربةٍ من سيفه القصير، بينما انتفضَ هدف چون ناهضًا يدفع شُعلةً في وجهه، فشعرَ بحرارة اللَّهب وهو يتفاداها. برُكن عينه لمحَ النَّائم يتحرَّك، فأدركَ أن عليه الإجهاز على هدفه سريعًا، ولمَّا دفعَ الرَّجل الشُّعلة ثانيةً، انقضَّ چون ملوِّحًا بسيفه النَّغل بكلتا يديه، وشَقَّ الفولاذ الڤاليري الجِلد والفرو والصُّوف واللَّحم، لكن الهمجي سقطَ بعُنفٍ انتزعَ السَّيف المغروس في لحمه من قبضة چون، وعلى الأرض اعتدلَ النَّائم تحت الأغطية، فاستلَّ چون خنجره وأطبقَ على شَعر الرَّجل ووضعَ رأس الخنجر تحت ذقنه إذ مَدَّ يده... لا، إذ مدَّت يدها...

تجمَّدت يده وتمتمَ: «إنها فتاة».

قال ثعبان الحجر: «إنها ناطورة همجيَّة، اقضِ عليها».

رأى چون الخوف والنَّار في عينيها، وقد سَالَ الدَّم على عُنقها الأبيض حيث وخزَها رأس خنجره، وقال لنفسه: ضربة واحدة وينتهي الأمر. كان قريبًا منها للغاية حتى إنه شَمَّ رائحة البصل في أنفاسها. إنها في سِنِّي. شيء ما فيها جعلَه يُفكِّر في آريا، مع أن لا تشابُه بين الاثنتين على الإطلاق. قال لها مدوِّرًا الخنجر نِصف دورة: «هل تستسلمين؟». وإذا لم تفعل؟

ردَّت والبُخار يَخرُج مع أنفاسها في الهواء البارد: «أستسلمُ».

قال: «أنتِ أسيرتنا إذن»، وأبعدَ الخنجر عن جِلد عُنقها النَّاعم.

بادرَه ثعبان الحجر: «لم يَقُل كورين شيئًا عن أخذ أسرى».

قال چون: «ولم يَقُل ألَّا نأخذ أسرى»، وتخلَّى عن شَعر الفتاة، فتراجعَت مبتعدةً عنهما.

أشارَ ثعبان الحجر إلى الفأس طويلة المقبض المستقرَّة إلى جوار الأغطية: «إنها من الزَّوجات الحِراب[1]، وكانت تمدُّ يدها إلى هذه الفأس حين أمسكتها. امنحها نِصف فُرصة وستدفنها بين عينيك».

قال چون: «لن أمنحها نِصف فُرصة»، وركلَ الفأس بعيدًا عن متناوَل الفتاة، وسألَها: «ما اسمكِ؟».

أجابَت: «إيجريت»، وفركَت حَلقها بيدها فلوَّثها الدَّم، وحدَّقت الفتاة في البلل الأحمر.

دَسَّ خنجره في غِمده وانتزعَ «المخلب الطَّويل» من جثَّة الرَّجل الذي قتلَه، وقال: «أنتِ أسيرتي يا إيجريت».

- «لقد أخبرتك باسمي».

- «أنا چون سنو».

جفلَت قائلةً: «اسم شرِّير».

- «اسم نغل. كان أبي اللورد إدارد ستارك سيِّد وينترفل».

تابعَته الفتاة بعينيها بحذر، بينما ضحكَ ثعبان الحجر بتهكُّم قائلًا: «المفترَض أن يُدلي الأسير لا الآسِر بما لديه»، وألقى فرع شجرةٍ طوَيلًا في النَّار متابعًا: «مع أنها لن تفعل. عرفتُ همجًا يُفَضِّلون أن يقضموا ألسنتهم بأسنانهم على أن يُجيبوا سؤالًا واحدًا». حين تأجَّج طرف الفرع، تراجعَ الجوَّال خطوتين وألقاه في الممر، فسقطَ دائرًا في هواء اللَّيل حتى غابَ عن الأنظار.

قالت إيجريت: «عليكما أن تُحرقا مَن قتلتما».

قال ثعبان الحجر: «نحتاج نارًا أكبر كي نفعل ذلك، والنَّار الكبيرة تتوهَّج بشدَّة»، والتفتَ مجيلًا النَّظر بعيدًا بحثًا عن أيِّ بصيص ضوء، وسألَها: «هناك همج آخَرون قريبون، أليس كذلك؟».

---

(1) ما يُطلَق على النِّساء المحاربات من الهَمج.

ردَّدت الفتاة بإصرار: «أحرِقاهما خشية أن تضطرَّا لاستخدام السِّلاح ثانيةً».

تذكَّر چون أوثور الميت ويديه الباردتين السَّوداوين، فقال: «ربما علينا أن نفعل كما تقول».

قال ثعبان الحجر: «ثمَّة طرائق أخرى»، وركعَ إلى جوار الرَّجل الذي قتلَه، وجرَّده من معطفه وحذائه وحزامه وسُترته، ثم رفعَ الجثَّة على كتفه وحملَها إلى الحافة، وأطلقَ أنينًا بينما ألقاها من علٍ، وبَعد لحظاتٍ سمعوا ارتطامًا ثقيلًا على مسافةٍ بعيدة أسفلهم، وعندئذٍ كان الجوَّال قد جرَّد الجثَّة الثَّانية من ثيابها كلها ويَجُرَّها من ذراعيها، فرفعَ چون القدمين، ومعًا ألقيا بالرَّجل الميت إلى سواد اللَّيل.

راقبَتهما إيجريت ولم تُعَلِّق، وأدركَ چون أنها أكبر مما حسبَ في البداية، في العشرين ربما، ولكن قصيرة القامة بالنِّسبة لسِنِّها، مقوَّسة السَّاقين وذات وجهٍ مستدير ويدين صغيرتين وأنف أفطس، بينما ينسدل شَعرها الأحمر الأشعث في كلِّ اتِّجاهٍ بلا انتظام. بدَت ممتلئة القوام وهي قابعة في مكانها، لكن معظم هذا فرو وصوف وجِلد، وقد تكون بنحول آريا تحت كلِّ هذه الطَّبقات.

سألَها چون: «هل أُرسِلتم لترصُّد ظهورنا؟».

- «أنتم وغيركم».

قال ثعبان الحجر وهو يُدفئ يديه فوق النَّار: «ما الذي ينتظر وراء الممر؟».

- «شعب الأحرار».

- «كم؟».

- «مئات وآلاف، أكثر مما رأيت في حياتك كلها أيها الغُراب»، وابتسمَت إيجريت كاشفةً أسنانًا معوجَّةً وإنما ناصعة البياض.

إنها تجهل العدد. «لماذا أتيتم إلى هنا؟».

ولاذَت إيجريت بالصَّمت.

- «عمَّ يبحث ملككم في «أنياب الصَّقيع»؟ لا يُمكنكم البقاء هنا، فلا يوجد طعام».

وأشاحَت بوجهها عنه.

- «هل تعتزمون الزَّحف إلى «الجِدار»؟ متى؟».
وحدَّقت في اللَّهب كأنها لا تسمعه.
- «هل تعرفين أيَّ شيءٍ عن عمِّي بنچن ستارك؟».
تجاهلَته إيجريت، وضحكَ ثعبان الحجر قائلًا: «إذا بصقَت لسانها، فلا تَقُل إني لم أحذِّرك».
تردَّد صدى زمجرةٍ خفيضة على الصَّخر، فقال چون لنفسه مدركًا مصدرها في الحال: قِطُّ ظِل، وسمعَ زمجرةً أخرى أقرب إذ نهضَ، فسحبَ سيفه ودارَ مرهفًا السَّمع.
قالت إيجريت: «لن تُزعِجنا قِطط الظِّل. إنها تَنشُد الموتى. هذه القِطط تستطيع أن تشمَّ الدَّم من بُعد ستَّة أميال، وستظلُّ بالقُرب من الجثَّتين حتى تلتهم آخِر نُتفة لحم وتكسر العظام لتشرب النُّخاع».
سمعَ چون أصوات الافتراس تتردَّد بين الصُّخور لتُشعِره بالتوتُّر، وجعلَه دفء النَّار يُدرِك كم هو منهَك، لكنه لم يجرؤ على النَّوم. إن لديه أسيرةً، وواجبه أن يَحرُسها. سألَها: «أكانا يَقرُبان لكِ؟ أعني الرَّجلين اللذين قتلناهما».
- «لم يكونا أقرب منك».
قال عاقدًا حاجبيه: «أنا؟ ماذا تعنين؟».
- «قلت إنك نغل وينترفل».
- «أجل».
- «مَن كانت أمُّك؟».
- «امرأة ما. معظمهن كذلك». أحدهم قال له هذه الكلمات ذات مرَّة، لكنه لا يَذكُر مَن.
عادَت تبتسم لتومض أسنانها البيضاء، وقالت: «ولم تُغَنِّ لك أغنيَّة وردة الشِّتاء قَطُّ؟».
- «لم أعرف أمِّي، ولا تلك الأغنيَّة».
قالت إيجريت: «بايل الشَّاعر ألَّفها. كان ملك ما وراء الجِدار قبل زمنٍ بعيد، وشعب الأحرار كله يعرف أغانيه، لكن لعلَّكم لا تُغَنُّونها في الجَنوب».

قال معترضًا: «وينترفل ليست في الجَنوب».

- «بل هي كذلك. كلُّ شيءٍ وراء هذا الجانب من «الجِدار» يقع في الجَنوب».

لم يكن قد فكَّر في المسألة بهذه الطَّريقة من قبل، فقال: «أعتقدُ أن كلَّ شيءٍ يعتمد على موقع المرء منه».

أيَّدته إيجريت قائلةً: «نعم، هكذا الأمر دائمًا».

استحثَّها قائلًا: «أخبِريني، أريدُ أن أسمع تلك الحكاية». ما زالت ساعات تفصله عن وصول كورين، وسيُساعِده الحكي على أن يبقى مستيقظًا.

- «ربما لا تروقك كثيرًا».

- «سأسمعها على كلِّ حال».

قالتِ ساخرةً: «غُراب أسود شُجاع. طيِّب، قبل أن يكون ملكًا على شعب الأحرار بزمن، كان بايل مُغيرًا عظيمًا».

أطلقَ ثعبان الحجر نخيرًا، وقال: «تقصدين أنه كان قاتلًا ولِصًّا ومغتصبًا».

قالت إيجريت: «هذا أيضًا يعتمد على موقعك. تقول الحكاية إن ابنَ ستارك في وينترفل أرادَ رأس بايل، لكنه لم يستطِع الإيقاع به قَطُّ، فملأه مذاق الفشل مرارةً، وفي يومٍ من فرط الحقد نعتَ بايل بالجبان الذي يفتري على الضُّعفاء فحسب، وحينَ بلغَ الكلام بايل، أقسمَ أنه سيُلَقِّن اللورد درسًا، وهكذا تسلَّق «الجِدار» ونزلَ على طريق الملوك، وذات ليلة شتاءٍ دخلَ وينترفل حاملًا قيثارةً ومسمِّيًا نفسه سيجريك السكاجوسي. «سيجريك» تعني «المخادع» في اللُّغة القديمة التي تكلَّمها البَشر الأوائل وما زال العمالقة يتكلَّمونها. في الشَّمال أو الجَنوب يُقابَل المغنُّون بالتَّرحاب، فأكلَ بايل على مائدة اللورد ستارك، وعزفَ له وهو جالس على مقعده العالي حتى انقضى نِصف اللَّيل، عزفَ الأغاني القديمة وتلك الجديدة التي أَلَّفها بنفسه، وقد كانت ألحانه ونبرته شديدة العذوبة، حتى إن اللورد عرضَ عليه حين انتهى أن يُقَرِّر المكافأة التي يُريدها بنفسه، فأجابَ بايل: «كلُّ ما أريده زهرة، أجمل زهرة متفتِّحة في حدائق وينترفل». في ذلك الحين كانت ورود الشِّتاء قد تفتَّحت بالفعل، ولا زهرة في العالم أندر أو أثمن منها، فأرسلَ ستارك إلى

الصُّوبة الزُّجاجيَّة آمرًا بأن تُقطَف أجمل ورود الشِّتاء وتُدفَع أجرًا للمغنِّي، وقد كان، لكن عندما طلعَ النَّهار، كان المغنِّي قد اختفى... وكذلك ابنة اللورد براندون العذراء. وجدوا فِراشها خاليًا إلَّا من الوردة الزَّرقاء الشَّاحبة التي تركَها بايل على الوسادة حيث كانت الفتاة تضع رأسها».

لم يكن چون قد سمعَ تلك الحكاية من قبل، فتساءلَ: «أيُّ براندون هذا؟ براندون البنَّاء عاشَ في عصر الأبطال قبل آلاف السِّنين من بايل، وكان هناك براندون الحارق وأبوه براندون السفَّان، لكن...».

قاطعَته إيجريت بحدَّة: «إنه براندون سليب الابنة. هل تُريد أن تسمع الحكاية أم لا؟».

قال مقطِّبًا وجهه: «أكمِلي».

- «لم يكن للورد براندون أولاد غيرها، ونيابةً عنه حلَّق الغِربان السُّود من قلاعهم بالمئات، لكنهم لم يجدوا أثرًا لبايل والفتاة في أيِّ مكان، وظلُّوا يبحثون زهاء عامٍ، إلى أن فقدَ اللورد الأمل وأوى إلى فِراشه مستسلمًا، وبدا أن سُلالة ستارك قد انتهَت، لكن ذات ليلةٍ وقد تمدَّد منتظرًا أن يجيئه الموت، سمعَ اللورد براندون بكاء طفل، فتتبَّع الصوت ووجدَ ابنته في غُرفة نومها نائمةً وعلى صدرها رضيع».

- «بايل أعادَها؟».

- «لا، كان الاثنان في وينترفل طيلة الوقت، مختبئيْن مع الموتى تحت القلعة. تقول الأغنيَّة إن الفتاة عشقَت بايل عشقًا جَمًّا وأرادَت أن تُنجِب له ابنًا... لكن كلَّ الفتيات مغرمات ببايل في تلك الأغاني التي ألَّفها والحَقُّ يُقال. بغَضِّ النَّظر عن هذا، المؤكَّد أن بايل تركَ الطِّفل ثَمنًا للوردة التي قطفَها بلا إذن، وأن الطِّفل كبرَ وأصبَح اللورد ستارك التَّالي. هكذا إذن تجري دماء بايل في عروقك كما تجري في عروقي».

قال چون: «لم يَحدُث هذا قَطُّ».

هَزَّت كتفيها قائلةً: «ربما حدثَ وربما لم يَحدُث، لكنها أغنيَّة جيِّدة. اعتادَت أمِّي أن تُغَنِّيها لي. كانت امرأةً أيضًا كأمِّك يا چون سنو»، وفركَت حَلقها حيث أدماها خنجره، وأردفَت: «الأغنيَّة تنتهي بعثورهم على الرَّضيع،

لكن ثمَّة نهاية أكثر كآبة للقصَّة. بَعد ثلاثين عامًا، حين أصبحَ بايل ملك ما وراء الجِدار وقادَ شعب الأحرار جَنوبًا، كان اللورد ستارك الشَّاب هو من واجهَه عند «المخاضة المتجمِّدة»... وقتلَه، فقد رفضَ بايل أن يمسَّ ابنه بأذى حين التقى سيفاهما».

قال چون: «وبدلًا من هذا قتلَ الابن أباه».

- «أجل، لكن الآلهة تكره قاتِلي أهلهم، حتى إذا قتَلوا عن جهل. حين عادَ اللورد ستارك إلى القلعة ورأت أمُّه رأس بايل على رُمحه، ألقَت نفسها من فوق بُرجٍ من جرَّاء حُزنها الهائل، ولم يعش ابنها بَعدها طويلًا، فأحد لورداته سلخَ جِلده وارتداه معطفًا».

قال لها وقد تأكَّد: «ملككم بايل هذا كان كذَّابًا».

ردَّت: «لا، لكن الحقيقة عنالشَّاعر غيرها عندك وعندي. على كلِّ حال، لقد طلبتَ القصَّة فحكيتها»، والتفتَت عنه وأغلقَت عينيها وبدا أنها غابَت في النَّوم.

جاءَ الفَجر وكورين ذو النِّصف يد معًا. كانت الأحجار السَّوداء قد استحالَت إلى الرَّمادي واصطبغَت سماء الشَّرق بزُرقة النِّيلجِ، عندما لمحَ ثعبان الحجر الجوَّالة الصَّاعدين، فأيقظَ چون أسيرته وأمسكَها من ذراعيها بينما نزلوا ليلتقوا بهم. لحُسن الحَظِّ أن هناك طريقًا آخَر لنزول الجبل ناحية الشَّمال والغَرب، ومجازات أقلَّ وعورةً بكثير من تلك التي قطعَها الأخوان الأسودان في صعودهما. كانا ينتظران بالأسيرة في ممرٍّ ضيِّق حين ظهرَ إخوتهما يقودون خيولهم، وأسرعَ جوست يسبقهم فور أن اشتمَّ رائحتهما، وقرفصَ چون تاركًا الذِّئب الرَّهيب يُطبِق بأسنانه على معصمه ويجذبه، اللُّعبة التي يلعباها كثيرًا، لكن عندما رفعَ چون عينيه رأى إيجريت تُراقِب بعينين متَّسعتين بيضاوين كبيضتي دجاجة.

لم يُعَلِّق كورين ذو النِّصف يد حين رأى الأسيرة، واكتفى ثعبان الحجر بأن قال له: «كانوا ثلاثةً».

قال إبن: «مررنا باثنين، بما تركَته القِطط منهما بالأحرى»، وحدجَ الفتاة بنظرةٍ مكفهرَّة مفعمة بالشَّك.

وجدَ چون نفسه مرغَمًا على الشَّرح، فقال: «لقد استسلمَت».
ظلَّت ملامح كورين جامدةً وهو يسألها: «أتعرفين مَن أكونُ؟».
كانت الفتاة تبدو كالطِّفلة الصَّغيرة أمامه، لكنها واجهَته بجرأةٍ مجيبةً: «كورين ذو النِّصف يد».
- «اصدُقيني القول، إذا وقعتُ في أيدي قومكِ واستسلمتُ، فماذا سأجني؟».
- «ميتةً أبطأ من غيرها».
رمقَ الجوَّال الكبير چون قائلًا: «ليس لدينا طعام لها، ولا نستطيع الاستغناء عن رجلٍ يَحرُسها».
قال المُرافِق دالَبريدچ: «الطَّريق أمامنا محفوف بما يكفي من المخاطر يا فتى. صيحة واحدة منها بينما نُريد الصَّمت، وسيهلك كلُّ رجلٍ منا».
سحبَ إِبن خنجره، وقال: «قُبلة الفولاذ ستُخرِسها».
كان حَلق چون جافًّا تمامًا إذ تطلَّع إليهم بلا حيلةٍ قائلًا: «لقد استسلمَت لي».
قال كورين ذو النِّصف يد: «عليك إذن أن تفعل ما ينبغي فِعله. أنت من دم وينترفل ومن رجال حَرس اللَّيل»، ورمقَ الآخَرين قائلًا: «هلمُّوا يا إخوان، لندعه وحده، فأسهل له ألَّا نُشاهِد»، وقادَهم صاعدًا الدَّرب المتعرِّج المنحدِر صوب وهج الشَّمس الوردي الباهت الذي جاءَ من صدعٍ في الجبل، وسرعان ما أصبح چون وجوست وحدهما مع الفتاة الهمجيَّة.
خطرَ له أن إيجريت قد تُحاوِل الهرب، لكنها ظلَّت في مكانها تتطلَّع إليه، وسألَته: «لم تَقتُل امرأةً من قبل، أليس كذلك؟»، ولمَّا هَزَّ رأسه نفيًا قالت: «إننا نموت كالرِّجال تمامًا، لكنك لست مضطرًّا لأن تفعل هذا. سيأخذك مانس، أنا واثقة. هناك طُرق سرِّيَّة، ولن يستطيع هؤلاء الغِربان اللَّحاق بنا أبدًا».
قال چون: «إنني غُراب مِثلهم تمامًا».
أومأت برأسها باستسلام وسألَت: «هل ستُحرِقني بَعدها؟».
- «لا أستطيعُ. قد يرى أحدكم الدُّخان».

- «هذا صحيح»، وهزَّت كتفيها وقالت: «طيِّب، ثمَّة ميتات أسوأ من أن يلتهمني قِطُّ ظِل».

استلَّ سيفه قائلًا: «ألستِ خائفةً؟».

- «كنتُ خائفةً ليلة أمس، لكن الشَّمس أشرقَت»، وأزاحَت شَعرها كاشفةً عُنقها، وركعَت أمامه قائلةً: «اضرب بقوَّةٍ وثقةٍ أيها الغُراب، وإلَّا عدتُ لمطارَدتك».

ليس «المخلب الطَّويل» طويلًا أو ثقيلًا كسيف أبيه «جَليد»، لكنه من الفولاذ الڤاليري. مَسَّ عُنقها بحافة النَّصل ليُحَدِّد أين ستَسقُط ضربته، فارتجفَت إيجريت وقالت: «يا لبرودته... هيا، أسرِع».

رفعَ «المخلب الطَّويل» فوق رأسه وقد أطبقَ بكلتا يديه على المقبض. ضربة واحدة أضعُ فيها ثقلي كله. يستطيع أن يُعطيها ميتةً سريعةً نظيفةً على الأقل، فهو ابن أبيه، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟

قالت بَعد لحظةٍ طالَت: «هلمَّ، هلمَّ أيها النَّغل، فلن أستطيع الاحتفاظ بشَجاعتي إلى الأبد»، لكن حين لم تَسقُط الضَّربة أدارَت رأسها ونظرَت إليه.

وخفضَ چون سيفه وغمغمَ: «اذهبي».

وحدَّقت فيه إيجريت.

- «الآن، قبل أن يعود إليَّ عقلي. اذهبي».

وذهبَت.

سانزا

احتجبَت سماء الجَنوب وراء ستار الدُّخان الأسود الذي ارتفعَ دائرًا في الهواء من مئة حريقٍ بعيد لتُلَطِّخ أصابعه القاتمة النُّجوم. على الضفَّة المقابلة من النَّهر الأسود تشتعل بؤر اللَّهب في صَفٍّ يمتدُّ من الأُفق إلى الأُفق كلَّ ليلة، أمَّا هذه الضفَّة فقد أضرمَ العَفريت النَّار فيها كلها، الأرصفة والمخازن والمنازل والمواخير، جميع ما يقع خارج أسوار المدينة.

حتى في القلعة الحمراء كان مذاق الهواء كالرَّماد. حين وجدَت سانزا السير دونتوس في أيكة الآلهة، سألَها إن كانت تبكي، فأجابَت كاذبةً: «إنه الدُّخان لا أكثر. يبدو كأن نِصف غابة الملوك يحترق».

ترنَّح دونتوس وهو يتكلَّم، وقد أسندَ يده إلى جذع شجرة كستناء، بينما لوَّثت بُقعة نبيذٍ سُترة المهرِّجين ذات المربَّعات الحمراء والصَّفراء، وقال لها: «اللورد ستانيس يستخدمُ الدُّخان لإرغام همجيِّي العِفريت على الخروج من مكامنهم. إنهم يَقتُلون كشَّافته ويُغيرون على خطوط إمداده، كما أنهم يُشعِلون النَّار بدورهم. العِفريت قال للملكة إنه يَجدُر بستانيس أن يُدَرِّب خيوله على أكل الرَّماد، لأنها لن تجد ورقة عُشبٍ واحدةً تأكلها. سمعته يقول هذا، فالآن وقد صرتُ مهرِّجًا أسمعُ أشياء لم أسمعها قَطُّ وأنا فارس. إنهم يتكلَّمون كأني لستُ موجودًا و...»، ومالَ عليها لتلفح أنفاسه المعبَّقة برائحة النَّبيذ وجهها، وأكملَ: «... والعنكبوت يدفع ثَمن أيِّ معلومةٍ تافهة ذهبًا. أعتقدُ أن فتى القمر يتجسَّس لحسابه منذ أعوام».

إنه سكران ثانيةً. يُسَمِّي نفسه فارسي فلوريان المسكين، وهو كذلك،

لكن ليس لديَّ غيره. «هل أحرقَ اللورد ستانيس أيكة الآلهة في ستورمز إند حقًّا؟».

أومأ دونتوس برأسه إيجابًا، وقال: «صنعَ مِحرقةً عظيمةً من الأشجار كقُربان لإلهه الجديد. الرَّاهبة الحمراء جعلَته يفعلها. يقولون إنها تَحكُمه الآن، روحًا وجسدًا، وقد أقسمَ أن يُحرِق سِپت بيلور الكبير أيضًا إذا أخذَ المدينة».

- «فليُحرقه. أريده أن يحترق». حين وقعَت عينا سانزا على السِّپت الكبير أول مرَّة، وتطلَّعتا إلى جُدرانه الرُّخام وبروجه البلَّوريَّة السَّبعة، قالت لنفسها إنه أجمل بناءٍ في العالم، لكن كان هذا قبل أن يقطع چوفري رأس أبيها على عتبته.

- «صهِ يا فتاة، الآلهة ستسمعكِ».

- «ولِمَ؟ إنها لا تسمع صلواتي أبدًا».

- «بل تسمعها. لقد أرسلَتني إليكِ، أليس كذلك؟».

قشَّرت سانزا لحاء شجرةٍ شاعرةً بالدُّوار وبوادر الحُمَّى، وقالت: «أرسلَتك، لكن ما جدواك؟ لقد وعدت بأن تُعيدني إلى الدِّيار، وما زلتُ هنا».

ربَّت دونتوس على ذراعها قائلًا: «تكلَّمتُ مع رجلٍ معيَّن أعرفه، صديق مقرَّب مني... ومنكِ أيضًا يا سيِّدتي. في الوقت المناسب سيستأجر سفينةً سريعةً تحملنا إلى بَرِّ الأمان».

قالت سانزا بإصرار: «الوقت مناسب الآن، قبل بدء القتال. لقد نسوا أمري، وأعلمُ أننا نستطيع الإفلات منهم إذا حاوَلنا».

هَزَّ دونتوس رأسه قائلًا: «يا صغيرتي، يا صغيرتي، نعم، يُمكننا الخروج من القلعة، لكن بوَّابات المدينة عليها حراسة مشدَّدة للغاية، كما أن العِفريت أغلقَ النَّهر».

هذا صحيح، فالملاحة في النَّهر الأسود متوقِّفة تمامًا على نحوٍ لم ترَه سانزا من قبل. كلُّ العبَّارات سُحِبَت إلى الضفَّة الشَّماليَّة، والسُّفن التِّجاريَّة إمَّا فرَّت أو صادرَها العِفريت للاستخدام في المعركة، والسُّفن الوحيدة في النَّهر هي قوادس الملك الحربيَّة، تتحرَّك جيئةً وذهابًا بلا نهايةٍ في المياه العميقة

في منتصَف المجرى، وترشق رُماة ستانيس بالسِّهام على الشَّاطئ الجَنوبي ويرشقونها.

ما زال اللورد ستانيس نفسه في الطَّريق، لكن طليعة جيشه ظهرَت قبل ليلتين والقمر مُحاق، واستيقظَت كينجز لاندنج على منظر خيامهم وراياتهم. سمعَت سانزا أن عددهم خمسة آلاف، ما يَقرُب من عدد كلِّ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة في المدينة، وقد رفعوا تُفَّاحة عائلة فوسواي الحمراء والأخرى الخضراء، وسلحفاة إسترمونت، وثعلب وإكليل زهور فلورنت، يقودهم السير جايارد موريجن، الفارس الجَنوبي الشَّهير الملقَّب بجايارد الأخضر، وعلى رايته غُراب يُحَلِّق باسطًا جناحيه في سماءٍ خضراء عاصفة. غير أن ما أقلقَ المدينة هو الرَّايات الصَّفراء الباهتة المرفرفة فوق رؤوس الجميع كألسنة لهبٍ تتذبذَب، تحمل بدلًا من رمز اللورد المعتاد شعار إله، قلب إله الضِّياء النَّاري.

- «حين يصل ستانيس، سيكون معه عشرة أضعاف رجال چوفري، الجميع يقولون هذا».

اعتصرَ دونتوس كتفها، وقال: «حجم جيشه لا يهمُّ يا حُلوتي ما دامَ على الجانب الآخَر من النَّهر. ستانيس لا يستطيع العبور بلا سُفن».

- «لديه سُفن أكثر من چوفري».

- «المسافة طويلة من ستورمز إند إلى هنا، وعلى الأسطول أن يدور حول شِبه جزيرة «خُطَّاف ماسي»، ثم يدخل من مضيق «الحُلقوم» ويَعبُر الخليج الأسود. قد تُرسِل الآلهة الكريمة عاصفةً تكتسحهم في البحر»، وأردفَ دونتوس بابتسامة أمل: «أعرفُ أن الأمر ليس سهلًا عليكِ، لكن تحلَّي بالصَّبر يا صغيرتي. ستكون سفينتنا جاهزةً حين يعود صديقي إلى المدينة. ثِقي بفارسكِ فلوريان وحاولي ألَّا تخافي».

غرسَت سانزا أظفارها في يدها شاعرةً بالخوف يتلوَّى ويلدغ في جوفها، أسوأ وأسوأ كلَّ يوم. ما زالت كوابيس يوم إبحار الأميرة مارسلا تقضُّ عليها مضجعها، أحلام سوداء خانقة تُوقِظها في جوف اللَّيل تُكافِح لالتقاط أنفاسها. تسمع النَّاس يَصرُخون فيها، يَصرُخون بلا كلامٍ كالحيوانات، وقد حاصَروها

وراحوا يقذفونها بالقاذورات ويُحاوِلون إسقاطها من فوق حصانها، وكانوا ليفعلوا ما هو أسوأ لولا أن كلب الصَّيد شَقَّ طريقه قتلًا إليها. لقد مزَّقوا السِّپتون الأعلى تمزيقًا وهشَّموا رأس السير أرون بصخرة. حاوِلي ألَّا تخافي!

المدينة كلها خائفة، وسانزا ترى هذا بوضوح من فوق أسوار القلعة. العامَّة يُخَبِّئون أنفسهم وراء السَّتائر المغلقة والأبواب الموصدة، كأن هذا سيحميهم. حين سقطَت كينجز لاندنج من قبل، سرقَ جنود لانستر واغتصَبوا كما شاءوا وقتَّلوا المئات، على الرغم من أن المدينة فتحَت أبوابها. هذه المرَّة ينوي العِفريت أن يُقاوِم، وعلى المدينة التي تُقاوِم ألَّا تنتظر أدنى قدرٍ من الرَّحمة.

استطردَ دونتوس: «لو كنتُ لا أزالُ فارسًا لكان عليَّ ارتداء دِرع وحراسة الأسوار مع البقيَّة. يَجدُر بي أن أقبِّل قدم الملك چوفري وأشكره بحرارة».

قالت سانزا بحدَّة: «إذا شكرته على جعلك مهرِّجًا، سيجعلك فارسًا ثانيةً».

قهقه دونتوس قائلًا: «فتاتي چونكويل ذكيَّة حقًّا، أليس كذلك؟».

- «چوفري وأمُّه يقولان إنني غبيَّة».

- «دعيهما. إنكِ أكثر أمنًا هكذا يا حُلوتي. الملكة سرسي والعِفريت واللورد ڤارس ومَن على شاكلتهم يُراقِبون بعضهم بعضًا كالصُّقور، ويدفعون لهذا وذاك ليتجسَّسوا على ما يفعله الآخَرون، لكن لا أحد يشغل نفسه أبدًا بابنة الليدي تاندا، أليس كذلك؟»، وغطَّى دونتوس فمه ليكتم تجشُّؤه، ثم قال والدُّموع تترقرَق في عينيه كما يَحدُث حين يشرب: «فلتحفظكِ الآلهة يا صغيرتي چونكويل. أعطِي فارسكِ فلوريان قُبلةً، قُبلةً للحَظ»، ومالَ نحوها، فتفادَت سانزا الشَّفتين المبتلَّتين التوَّاقتين وطبعَت قُبلةً خفيفةً على خدِّه غير الحليق، وتمنَّت له ليلةً طيِّبةً، وغادرَت مستجمعةً طاقتها كلها لكبت دموعها. إنها تبكي كثيرًا في الآونة الأخيرة، وتعرف أن هذا غير لائق، لكنها لا تستطيع السَّيطرة على نفسها، فدائمًا تنهمر الدُّموع، أحيانًا لأتفه سبب، وليس في جَعبتها شيء يوقِفها.

لا حراسة على الجسر المتحرِّك الذي يقود إلى حصن ميجور، فقد نقلَ العِفريت معظم ذوي المعاطف الذَّهبيَّة إلى أسوار المدينة، وفُرسان الحَرس

الملكي البِيض عليهم واجبات أهمُّ من تعقُّبها، وتستطيع سانزا الذَّهاب أينما شاءَت، شريطة ألَّا تُحاوِل الخروج من القلعة، لكن ليس هناك مكان تُريد الذَّهاب إليه.

عبرَت فوق الخندق الجاف وخوازيقه الحادَّة، وصعدَت السَّلالم الضيِّقة الملتفَّة، لكن حينما بلغَت باب غُرفتها وجدَت أنها لا تطيق الدُّخول، فجُدران الغُرفة تنطبق عليها وتُشعِرها بأنها محاصَرة، وحتى والنَّافذة مفتوحة على مصراعيها تحسُّ سانزا كأن لا هواء هنالك تتنفَّسه.

عادَت إلى السَّلالم وصعدَت. كان الدُّخان يطمس النُّجوم والقمر الصَّغير، جاعلًا السَّطح مظلمًا يعجُّ بالظِّلال، غير أنها تستطيع أن ترى كلَّ شيءٍ من مكانها هذا: أبراج القلعة الحمراء الشَّاهقة وحصونها الرُّكنيَّة العظيمة، ومتاهة شوارع المدينة وراء الأسوار، وإلى الجَنوب والغَرب يجري النَّهر الأسود، وإلى الشَّرق الخليج، وأعمدة الدُّخان والجمار المتَّقدة والحرائق، حرائق في كلِّ مكان، فيما يزحف الجنود على أسوار المدينة كنملٍ يحمل المشاعل، ويزدحمون عند الأسوجة الخشبيَّة الممتدَّة من الشُّرفات. عند بوَّابة الطَّمي ميَّزت الأشكال الضَّبابيَّة لثلاثة مجانيق عملاقة وسط الدُّخان، أكبر مجانيق رآها أحد في حياته، تفوق الأسوار ارتفاعًا بعشرين قدمًا كاملةً، لكن شيئًا من هذا لم يُفلِح في تهدئة مخاوفها ولو قليلًا، وأحسَّت في أعماقها بطعنةٍ بالغة الحدَّة جعلَتها تنشج وتقبض على بطنها. كانت على شفا السُّقوط، لكن ظِلًّا تحرَّك فجأةً وأطبقَت أصابع قويَّة على ذراعها وثبَّتتها.

أسندَت يدها إلى أحد الأعمدة وقد خمشَت أظفارها الحجر الخشن، وصاحَت: «اترُكني! اترُكني!».

- «هل تحسب الطَّائر الصَّغير أن لديها جناحين، أم أنكِ تُريدين أن تُصبحي كأخيكِ القعيد؟».

حاولَت سانزا التملُّص قائلةً: «لم أكن سأسقط... لقد أفزعتني لا أكثر».

- «تعنين أني أخفتكِ، وما زلتُ أخيفكِ».

أخذَت شهيقًا عميقًا لتُهَدِّئ نفسها، وقالت: «حسبتُني وحدي، وكنتُ...»، وأشاحَت بنظرها بعيدًا.

أطلقَ كلب الصَّيد سراحها، وقال: «ما زالت الطَّائر الصَّغير لا تطيق النَّظر إلى وجهي، أليس كذلك؟ لكنكِ كنتِ سعيدةً لرؤيته حين حاصرَكِ الغوغاء، أتَذكُرين؟».

تَذكُر سانزا جيِّدًا، تَذكُر كيف كانوا يعوون، وإحساسها بالدِّماء السَّائلة على وجنتها من رأسها حيث أصابَها الحجر، ورائحة الثُّوم المقيتة في أنفاس الرَّجل الذي حاولَ إسقاطها من على الحصان، ولا تزال تَشعُر بالأصابع القاسية تقبض على معصمها إذ فقدَت توازُنها وبدأت تَسقُط.

لحظتها حسبَت أنها ميتة لا محالة، لكن الأصابع الخمسة كلها اختلجَت في آنٍ واحد، وأطلقَ الرَّجل صرخةً كصهيل الخيل، ولمَّا سقطَت يده المبتورة، امتدَّت يد أخرى أقوى ودفعَتها فوق سَرجها ثانيةً. الرَّجل ذو أنفاس الثُّوم كان على الأرض، ينبجس الدَّم من جَدَعة ذراعه، لكن كان هناك آخَرون كُثر حولهما، بعضهم يحمل الهرَّاوات، فوثبَ كلب الصَّيد عليهم وسيفه ضباب فولاذي يتطايَر منه الرَّذاذ الأحمر بينما يهوي هنا وهناك، وحين تفرَّقوا وفرُّوا منه، ضحكَ وقد تغيَّر وجهه المحروق البشع لحظةً.

الآن جعلَت نفسها تَنظُر إلى هذا الوجه، تَنظُر إليه بإمعان، فهذا هو التصرُّف المهذَّب الوحيد، وعلى الليدي أن تلتزم بآدابها. ليست النُّدوب أسوأ ما في الأمر، ولا حتى ارتعاشة فمه، بل عيناه. في حياتها كلها لم ترَ عينين ملآتين بالغضب كهاتين العينين. قالت بتردُّد: «كان... كان يجب أن أزورك بَعدها، لأشكرك على... على إنقاذي... كنت شُجاعًا للغاية».

قال بضحكةٍ أقرب إلى الزَّمجرة: «شُجاعًا؟ الكلب لا يحتاج شَجاعةً لمطارَدة الجرذان. كانوا ثلاثين مقابل واحد، ولا رجل منهم جرؤَ على مواجَهتي».

كم تكره الطَّريقة الخشنة الغاضبة التي يتكلَّم بها دائمًا. «هل تبتهج بترويع النَّاس؟».

أجابَ بفم يرتعش: «كلا، أبتهجُ بقتل النَّاس. ارسمي التقزُّز على وجهكِ كما تشائين، لكني في غنى عن تقواكِ الزَّائفة هذه. لقد كنتِ ابنة لوردٍ كبير، فلا تقولي لي إن إدارد ستارك سيِّد وينترفل لم يَقتُل أحدًا قَطُّ».

- «كان هذا واجبه، لكنه لم يجد فيه بهجةً».

عادَ كليجاين يضحك، وقال: «أهذا ما أخبرَكِ به؟ إذن فقد كذبَ أبوكِ. القتل أحلى شيءٍ في الكون»، وسحبَ سيفه الطَّويل متابعًا: «ها هي الحقيقة، وقد أدركَها أبوكِ الغالي على عتبة السِّپت. سيِّد وينترفل، يد الملك، حاكِم الشَّمال، إدارد ستارك العظيم المنحدر من سلالةٍ عُمرها آلاف الأعوام... لكن نصلِ إلين پاين جَزَّ عُنقه على الرغم من ذلك. أتَذكُرين رقصة جسده حين سقطَ رأسه من فوق كتفيه؟».

عانقَت سانزا نفسها شاعرةً ببردٍ مفاجئ، وغمغمَت: «لماذا تكون كريهًا هكذا دائمًا؟ لقد كنتُ أشكرك...».

- «كأني واحد من أولئك الفُرسان الحقيقيِّين الذين تُحِبِّينهم، نعم. ماذا تحسبين عمل الفارس يا فتاة؟ أتظنِّين أنهم لا يفعلون شيئًا غير أخذ العطايا من الحسناوات والتألُّق في دروعهم الذَّهبيَّة؟ الفُرسان مهنتهم القتل!»، ووضعَ حافة السَّيف الطَّويل على عُنقها، تحت أُذنها مباشرةً، وشعرَت سانزا بحدَّة الفولاذ بينما أردفَ: «كنتُ في الثَّانية عشرة حين قتلتُ أول رجل، ولم أعد أدري كم قتلتُ منذ ذلك الحين. قتلتُ لوردات كبارًا بأسماءٍ عريقة، ورجالًا سمانًا أثرياء يرتدون المخمل، وفُرسانًا منتفخين كالمثانات من فرط الخيلاء، نعم، ونساءً وأطفالًا أيضًا... كلُّه لحم، وأنا الجزَّار. فليحتفظوا بأراضيهم وآلهتهم وذهبهم، فليحتفظوا بألقابهم»، وبصقَ ساندور كليجاين عند قدميها ليُريها رأيه في الفُرسان، ورفعَ سيفه عن عُنقها مكملًا: «ما دمتُ أملكُ هذا، فلا رجل على وجه الأرض أخافه».

باستثناء أخيك، قالت سانزا في قرارة نفسها، وإن كانت أعقل من أن تبوح بأفكارها. إنه كلب حقًّا كما يقول، كلب شِبه مسعور أسود المزاج يعضُّ أيَّ يدٍ تُحاوِل التَّربيت عليه، ومع ذلك يفترس كلَّ من يَجسُر على مساس سادته بأذى. «ولا حتى الرِّجال على ضفَّة النَّهر الأخرى؟».

التفتَ كليجاين ببصره نحو الحرائق البعيدة، وقال: «كلُّ هذا الحرق»، ودَسَّ سيفه في غِمده مردفًا: «فقط الجُبناء يُقاتِلون بالنَّار».

- «اللورد ستانيس ليس جبانًا».

- «لكنه ليس الرَّجل الذي كانه أخاه، فلم يكن روبرت ليَترُك شيئًا تافهًا كنهرٍ يعوقه».

- «ماذا ستفعل حين يَعبُر؟».

- «سأقاتلُ وأقتلُ، وربما أموتُ».

- «ألست خائفًا؟ قد ترميك الآلهة في جحيمٍ مستعرٍّ بَعد كلِّ الشُّرور التي اقترفتها».

قال ضاحكًا: «أيُّ شرور؟ وأيُّ آلهة؟».

- «الآلهة التي خلقَتنا جميعًا».

- «جميعًا؟ أخبِريني أيتها الطَّائر الصَّغير، أيُّ إلهٍ هذا الذي يخلق وحشًا كالعِفريت أو بلهاء كابنة الليدي تاندا؟ لو أن هناك آلهة، فقد خلقَت الخراف كي تأكل الذِّئاب الضَّأن، وخلقَت الضَّعيف ليعبث به القويُّ».

- «الفُرسان الحقيقيُّون يحمون الضُّعفاء».

قال ساخرًا: «لا يوجد فُرسان حقيقيُّون ولا توجد آلهة. إذا كنتِ لا تستطيعين حماية نفسكِ، فموتي وأفسِحي الطَّريق لمن يستطيعون. الفولاذ الحاد والأذرُع القويَّة الحاكم الوحيد في هذا العالم، فلا تُصَدِّقي غير ذلك».

تراجعَت سانزا قائلةً: «أنت شنيع».

- «إنني صادق، لكن الشَّنيع هو العالم. حلِّقي بعيدًا أيتها الطَّائر الصَّغير، لقد سئمتُ نظراتكِ».

ولَّت الأدبار بلا كلمةٍ واحدة. إنها تخاف ساندور كليجاين حقًّا... لكن جزءًا منها يتمنَّى لو أن السير دونتوس يملك ولو قليلًا من شراسة كلب الصَّيد. هناك آلهة، وهناك فُرسان حقيقيُّون أيضًا. لا يُمكن أن تكون الحكايات كلها مكذوبةً.

ليلتها حلمَت سانزا بيوم الشَّغب مجدَّدًا.

أحاطَ بها الدَّهماء الصَّارخون من كلِّ جانب، ووحش هائج ذو ألف وجه. أينما التفتَت كانت ترى الوجه تتشوَّه وتصير أقنعة مسوخٍ وحشيَّة. بكَت وقالت لهم إنها لم تُؤذِهم قَطُّ، ومع ذلك جرُّوها من فوق حصانها وقد أخذَت تَصرُخ: «لا، أرجوكم لا، دعوني، دعوني!»، لكن أحدًا منهم لم يُعِرها

أدنى انتباه. صرخَت مستنجدةً بالسير دونتوس، بإخوتها، بأبيها الميت وذئبتها الميتة، بالسير لوراس الشُّجاع الذي أعطاها وردةً حمراء ذات مرَّة، وما من مجيب. استنجدَت بأبطال الأغاني، بفلوريان والسير ريام ردواين والأمير إيمون الفارس التنِّين، ولم يسمع أحد. احتشدَت النِّساء حولها كبنات عرس، وقرصن ساقيها وركلنها في بطنها، وضربَها أحدهم في وجهها وشعرَت بأسنانها تتهشَّم، ثم رأت لمعة الفولاذ وانغرسَ السكِّين في بطنها ومزَّق ومزَّق ومزَّق، حتى لم يتبقَّ شيء غير شرائط مهترئة مبتلَّة بالأحمر.

كان ضوء الصَّباح الشَّاحب يتسرَّب من خصاص نافذتها حين استيقظَت، لكنها شعرَت بأنها سقيمة منهَكة كأنها لم تنم إطلاقًا. ثم إنها أحسَّت بشيءٍ لزج على فخذيها، ولمَّا أزاحَت الغطاء ورأت الدَّم، فكلُّ ما جالَ بخاطرها أن حُلمها تحقَّق بوسيلةٍ ما. تذكَّرت السَّكاكين تتلوَّى في أحشائها وتُمَزِّقها، ونكصَت مرتعبةً وهي تَركُل الأغطية، حتى سقطَت على ظَهرها لاهثةً عاريةً داميةً وخائفةً لأقصى حد.

لكن هناك على الأرض، وقد اعتدلَت جاثمةً على يديها ورُكبتيها، أدركَت ما حدثَ، وانتحبَت متمتمةً: «لا، لا». لم تكن تُريد أن يَحدُث هذا لها، ليس الآن، ليس هنا، ليس الآن، ليس الآن، ليس الآن، ليس الآن.

تملَّكها الجنون.

قبضَت على قائم الفِراش ناهضةً، وهرعَت إلى الحوض لتغسل بين ساقيها وتتخلَّص من كلِّ ما عليهما من لزوجة، وحين انتهَت كان الدَّم قد صبغَ الماء بلونٍ وردي. ستعرف خادماتها عندما يرينه. ثم إنها تذكَّرت الملاءة، فأسرعَت إلى الفِراش وحدَّقت برُعبٍ في البُقعة الحمراء القانية وما تشي به. كلُّ ما فكَّرت فيه أنها يجب أن تتخلَّص منها قبل أن تراها الخادمات. لا يُمكن أن يراها أحد، وإلَّا زوَّجوها چوفري وجعلوها تنام معه.

اختطفَت سانزا سكِّينًا وأخذَت تشقُّ الملاءة قاطعةً البُقعة. ماذا أقولُ لهم إذا سألوني عن الثُّقب؟ جرَت الدُّموع على وجهها، وسحبَت الملاءة الملوَّثة والغطاء كذلك. يجب أن أحرقهما. كوَّمت الدَّليل ودَسَّته في المدفأة وأغرقَته بزيت المصباح المجاور للفِراش، وأشعلَت فيه النَّار. ثم إنها أبصرَت أن الدَّم

تخلَّل الملاءة إلى حشيَّة الفِراش فكوَّمتها بدورها، لكنها كانت كبيرةً ثقيلةً ويَصعُب تحريكها، ولم تستطِع سانزا أن تدسَّ أكثر من نِصفها في النَّار. كانت على رُكبتيها، تُناضِل لإدخال الحشيَّة كلها في اللَّهب بينما تصاعدَ الدُّخان الرَّمادي الكثيف حولها وملأ الغُرفة، حين انفتحَ الباب بعُنفٍ وسمعَت خادمةً تشهق.

في النِّهاية تطلَّب الأمر ثلاثًا منهن ليسحبنها بعيدًا عن المدفأة، وكلُّ ما فعلَته كان بلا طائل. احترقَت الملاءة والغطاء، لكن عندما حملنها كان الدَّم يسيل من جديدٍ على فخذيها، كأن جسدها نفسه خانَها وسلَّمها لچوفري، ورفعَ راية لانستر القرمزيَّة ليراها العالم كله.

بَعدما خمدَت النَّار، حملنَ حشيَّة الفِراش المحترقة وطردنَ أغلب الدُّخان وأحضرنَ حوضًا للاستحمام. دخلَت النِّساء وخرجنَ يُتَمتِمن ويحدجنها بنظراتٍ غريبة، وملأنَ الحوض بمياهٍ شديدة السُّخونة وحمَّمنها وغسلنَ شَعرها وأعطينها قُماشةً تضعها بين ساقيها. عندئذٍ كان الهدوء قد عادَ إلى سانزا، وخامَرها شعور بالخجل من حماقتها. كان الدُّخان قد أتلفَ معظم ثيابها، فذهبَت امرأة وعادَت بفُستانٍ من الصُّوف الأخضر يُناسِب مقاسها إلى حَدٍّ ما، وقالت وهي تُلبس سانزا إياه: «ليس جميلًا كثيابكِ لكنه سيَصلُح. لم تحترق أحذيتك، فلن تذهبي حافيةً إلى الملكة على الأقل».

كانت سرسي لانستر تتناوَل فطورها حين دلفَت سانزا إلى غُرفتها الشَّمسيَّة، وقالت الملكة بحفاوةٍ: «تفضَّلي بالجلوس. أأنتِ جائعة؟»، وأشارَت إلى المائدة حيث الثَّريد والعسل والحليب والبيض المسلوق والسَّمك المحمَّر.

أصابَ منظر الطَّعام سانزا بالغثيان، وقالت شاعرةً بمعدتها تتلبَّك: «لا، شكرًا يا جلالة الملكة».

- «لا ألومكِ. بين ما يفعله تيريون واللورد ستانيس، أصبحَ مذاق الطَّعام كله رمادًا، وها أنتِ تُشعِلين نارًا بدوركِ. ماذا كنتِ تأملين تحقيقه؟».

خفضَت سانزا رأسها مجيبةً: «أخافَني منظر الدَّم».

- «الدَّم خَتم أنوثتكِ. كان حريًّا بالليدي كاتلين أن تُعِدَّكِ لهذا. لقد أزهرتِ للمرَّة الأولى لا أكثر».

قالت سانزا شاعرةً بذبولٍ لم تعرف له مثيلًا من قبل: «السيِّدة والدتي أخبرَتني، لكن... لكني حسبتُ أن الأمر سيكون مختلفًا عن هذا».

- «مختلفًا كيف؟».

- «لا أدري. حسبته سيكون أقلَّ... أقلَّ فوضى، وسِحريًّا بشكلٍ ما».

ضحكَت الملكة سرسي، وقالت: «انتظري حتى تلدي أول أطفالكِ يا سانزا. حياة المرأة تسعة أعشارها فوضى وعُشر واحد سِحر. ستتعلَّمين هذا قريبًا... والأجزاء التي يُفترَض أنها سِحريَّة هي الأكثر فوضى على الإطلاق»، وأخذَت رشفةً من الحليب، وتابعَت: «إذن فأنتِ امرأة الآن. أتملكين أدنى فكرة عمَّا يعنيه هذا؟».

قالت سانزا: «يعني أني صرتُ صالحةً للزَّواج والمعاشَرة، ولحمل أطفال الملك».

ردَّت الملكة بابتسامةٍ خبيثة: «أرى أن الفكرة لم تَعُد تُثيركِ كما في الماضي، ولن ألومكِ على هذا، فلطالما كان چوفري صعبًا، حتى في ميلاده... ظللتُ أتمخَّضُ طيلةَ يوم ونِصفٍ كي آتي به إلى الدُّنيا. لا يُمكنكِ أن تتخيَّلي الألم يا سانزا. لقد دوَّتْ صرخاتي حتى إنني تخيَّلتُ أن روبرت سيسمعها في غابة الملوك».

- «ألم يكن جلالته معكِ؟».

- «روبرت؟ روبرت كان يصطاد. كانت هذه عادته. كلما اقتربَ موعد الوضع، كان زوجي الملوكي يفرُّ إلى الأشجار بصيَّاديه وكلابه، وحينِ يعود يُهديني فروة أو رأس وعلٍ وأُهديه طفلًا. لم أكن أريده أن يبقى على كلِّ حال، فكان لديَّ المِايستر الأكبر پايسل وجيش من القابلات، وكان لديَّ أخي. لمَّا قالوا لچايمي إن الدُّخول إلى غُرفة الولادة ممنوع، ابتسمَ وسألَ عن الرَّجل الذي ينتوي اعتراض طريقه. أخشى أن چوفري لن يُبدي لكِ إخلاصًا مشابهًا، ولكِ أن تَشكُري أختكِ على هذا لو أنها لا تزال حيَّة. إنه لم ينسَ قَطُّ ذلك اليوم على ضفَّة الثَّالوث عندما رأيتِها تُهينه، ولذا يُهينكِ أنتِ. لكنكِ أقوى مما تبدين، وأتوقَّعُ أنكِ ستحتملين القليل من الإهانة مِثلي. قد لا تُحِبِّين الملك أبدًا، لكنكِ ستُحِبِّين أطفالكِ».

قالت سانزا: «أحبُّ جلالته من صميم قلبي».

تنهَّدت الملكة قائلةً: «خيرٌ لكِ أن تتعلَّمي بضع أكاذيب جديدة وبسرعة، فأؤكِّدُ لكِ أن هذه الكذبة لن تروق اللورد ستانيس».

- «السِّپتون الأعلى الجديد يقول إن الآلهة لن تسمح للورد ستانيس بالفوز أبدًا، بما أن چوفري الملك الشَّرعي».

تلاعبَ نِصف ابتسامة على وجه الملكة، وقالت: «ابن روبرت ووريثه الشَّرعي، مع أن چوف كان يبكي كلما حملَه روبرت، ولم يَرُق هذا جلالته، فنغوله كانوا يضحكون دومًا بسعادةٍ في وجهه ويمصُّون أصابعه حين يضعها في أفواههم الصَّغيرة النَّغلة. روبرت أرادَ ضحكًا وابتسامًا دائمَيْن، فكان يذهب إلى حيث يجدهما، عند أصدقائه وعند عاهراته. روبرت أرادَ أن يُحَبَّ. أخي تيريون مصاب بالدَّاء نفسه. أتُريدين أن تُحَبِّي يا سانزا؟».

- «الكلُّ يُريد أن يُحَبَّ».

قالت سرسي: «يبدو أن إزهاركِ لم يجعلكِ أذكى. سانزا، اسمحي لي بأن أُطلِعكِ على حكمةٍ أنثويَّة في هذا اليوم المميَّز. الحُب سُم، سُمٌّ حُلوٌ نعم، لكنه سيَقتُلك لا محالة».

چون

تتوارى الشَّمس معظم النَّهار وراء مناكب الجبال الضَّخمة، فاكتنفَت العتمة «الممر الصَّادح»، وركبوا وسط الظِّلال وقد خرجَت أنفاس الرِّجال وخيولهم بُخارًا، بينما قطرَ الماء كأصابع جليديَّة طويلة تمتدُّ من الثَّلج المتكتِّل أعلاهم، ليتجمَّع في بِركٍ صغيرة متجمِّدة تتشقَّق وتتكسَّر تحت حوافر الخيول. أحيانًا يلمحون حشائش قليلة تُكافح للنموِّ من شِقٍّ في الحجر، أو بُقعةً من الأُشنة الشَّاحبة، لكن لا أعشاب في أيِّ مكان، كما أنهم يرتفعون فوق مستوى الأشجار كثيرًا الآن.

كان الممرُّ منحدِرًا وضيِّقًا في آنٍ واحد، يصعد إلى أعلى دائمًا، وأينما يضيق جدًّا مجبرًا الجوَّالة على التحرُّك في طابور، يتقدَّمهم المُرافِق دالبريدج ماسحًا المرتفعات بعينيه وفي متناوَل يده قوسه الطَّويل. يُقال إنه صاحِب أحدِّ بصرٍ في حَرس اللَّيل.

مضى جوست إلى جوار چون، يتوقَّف بين الحين والآخَر ويُدير رأسه مرهفًا السَّمع كأنه سمعَ شيئًا من ورائهم. لم يعتقد چون أن قِطط الظِّلِّ ستُهاجِم مجموعةً من البَشر الأحياء ما لم تكن تتضوَّر جوعًا، لكنه أرخى «المخلب الطَّويل» في غِمده رغم ذلك.

تُعيِّن قنطرة من الحجر الرَّمادي نحتَتها الرِّياح أعلى نقاط الممر، حيث يتَّسع قبل أن يبدأ نزوله الطَّويل نحو وادي النَّهر اللَّبني، فأعلنَ كورين أنهم سيستريحون حتى تستطيل الظِّلال من جديد، وقال: «الظِّلال صديقة من يرتدون الأسود».

رأى جون الحكمة في هذا، فمع أن من الجميلِ أن يركبوا في النُّور بعض الوقت، وأن يَترُكوا شمس الجبال السَّاطعة تتخلَّل ثيابهم وتَطرُد البرد من عظامهم، لكنهم ما زالوا لا يجرؤون، فمن الوارد أن يكون هناك نواطير آخَرون غير الثَّلاثة الأوَّلين، ينتظرون لإطلاق الإنذار.

تكوَّر ثعبان الحجر حول نفسه تحت معطفه الفرو المهترئ وسرعان ما غابَ في النَّوم، وتقاسمَ جون نصيبه من اللَّحم المملَّح مع جوست، بينما أطعمَ إبن والمُرافِق دالبريدج الخيول، وجلسَ كورين ذو النِّصف يد مسندًا ظَهره إلى صخرة، يشحذ سيفه الطَّويل بحركاتٍ طوليَّة بطيئة. راقبَ جون الجوَّال بعض الوقت، ثم استجمعَ شَجاعته وذهبَ إليه، وخاطَبه قائلًا: «سيِّدي، إنك لم تسأل عمَّا حدثَ مع الفتاة».

قال كورين: «لستُ سيِّدًا يا جون سنو»، ومرَّر حجر الشَّحذ بنعومةٍ على حافة الفولاذ بيده ذات الإصبعين.

- «قالت إن مانس سيأخذني إذا هربتُ معها».

- «قالت الحقيقة».

- «وزعمَت أننا قريبان، وحكَت لي قصَّةً عن...».

- «... بايل الشَّاعر ووردة وينترفل. ثعبان الحجر أخبرَني. أعرفُ هذه الأغنيَّة. كان مانس يُغَنِّيها قديمًا بَعدما يعود من جولاته. كان شغوفًا بموسيقى الهَمج، نعم، وبنسائهم كذلك».

- «أكنت تعرفه؟».

أجابَ بنبرةٍ حزينة: «كلنا كنا نعرفه».

كانا صديقين علاوةً على أخوَّتهما، والآن عدوَّان لدودان. «لماذا انشقَّ؟».

- «يقول البعض من أجل فتاةٍ، ويقول غيرهم من أجل تاج»، واختبرَ كورين حدَّة النَّصل بطرف إبهامه متابعًا: «نعم، أحبَّ مانس النِّساء، ولم يكن رجلًا يركع بسهولة، هذا صحيح، لكن الأمر كان أكبر من هذا. مانس أحبَّ البراري أكثر من «الجِدار». كانت في دمه. لقد وُلِدَ وسط الهَمج، وأخذَه حَرس اللَّيل في طفولته حين قتلوا مجموعةً من المُغيرين. عندما تركَ «بُرج الظِّلال» كان عائدًا إلى دياره لا أكثر».

- «أكان جوَّالًا بارعًا؟».

قال ذو النِّصف يد: «كان أفضلنا على الإطلاق، وأسوأنا في آنٍ واحد. فقط الحمقى من أمثال ثورين سمولوود يحتقرون الهَمج. إنهم لا يقلُّون شَجاعةً عنا يا چون، ويُضاهوننا قوَّةً وسرعةً وذكاءً، لكنهم يفتقرون إلى الانضباط. يُسَمُّون أنفسهم شعب الأحرار، وكلٌّ منهم يحسب أنه أعلى مقامًا من ملكٍ وأكثر حكمةً من مايستر، ومانس كان هكذا، لم يتعلَّم الطَّاعة قَطُّ».

قال چون بهدوء: «مِثلما لم أتعلَّمها».

بدا كأن عينيَّ كورين الرَّماديَّتين الفَطِنتين تسبران أغواره، ولم تَلُح في نبرته أدنى دهشة وهو يقول: «إذن فقد أطلقت سراحها».

- «أكنت تعرف؟».

- «عرفتُ الآن. أخبِرني لماذا عفوت عنها».

كان التَّعبير بالكلام صعبًا، لكنه قال: «أبي لم يستعِن بجلَّادين قَطُّ، وكان يقول إنك مدين لمَن تَقتُله بأن تَنظُر في عينيه وتسمع كلماته الأخيرة، وحين نظرتُ في عيني إيجريت...»، ورمقَ چون يديه بعجزٍ وأردفَ: «أعرفُ أنها عدوَّتنا، لكني لم أشعر بشَرٍّ فيها».

- «على عكس الاثنين الآخَرين؟».

- «كان إمَّا حياتنا أو حياتهما. لو أنهما رأيانا أو نفخا في البوق...».

- «لطارَدَنا الهَمج وقتَلونا جميعًا، هذا صحيح».

- «لكن البوق مع ثعبان الحجر الآن، كما أننا أخذنا سكِّين إيجريت وفأسها. إنها وراءنا، على قدميها وعزلاء...».

وافقَه كورين: «ولا تُشَكِّل تهديدًا. لو أردتها ميتةً لتركتها مع إبِن، أو قتلتها بنفسي».

- «لماذا أمرتني بأن أفعلها إذن؟».

- «لم آمرك. قلتُ لك أن تفعل ما ينبغي فِعله، وتركتُ القرار لك»، ونهضَ كورين ودَسَّ سيفه الطَّويل في غِمده، وقال: «عندما أريدُ مَن يتسلَّق جبلًا، أطلبُ ثعبان الحجر، وإذا احتجتُ أن أغرس سهمًا في عين عدوٍّ ما على الجانب الآخَر من ميدان معركةٍ عاصف، أستدعي المُرافِق دالبريدچ، بينما

يستطيع إبن أن يجعل أيَّ رجلٍ يبوح بأسراره. كي تقود رجالك، عليك أن تعرفهم أولًا يا چون سنو، والآنَ أعرفُ عنك أكثر مما كنتُ أعرفُ صباحًا».

سألَه چون: «ولو كنتُ قد قتلتها؟»،

- «لماتَت إذن وعرفتُك أكثر قليلًا من ذي قبل. لكن كفى كلامًا. عليك أن تنام، فما زالت أمامنا فراسخ نقطعها وأخطار نُجابهها، وستحتاج قوَّتك».

لم يتوقَّع چون أن يأتيه النَّوم بسهولة، وإن أدركَ أَن ذا النِّصف يد مصيب. وجدَ بُقعةً بعيدةً عن الرِّيح تحت صخرةٍ ناتئة، وخلعَ معطفه ليتغطَّى به، ونادى: «جوست، هنا، إليَّ». النَّوم أفضل دائمًا والذِّئب الأبيض الضَّخم إلى جواره، ففي رائحته راحة، ودفء مرحَّب به في فروه الشَّاحب الأشعث. لكن هذه المرَّة اكتفى جوست بالنَّظر إليه، ثم ابتعدَ ودارَ حول الخيول، قبل أن يغيب عن عينيه. يُريد أن يصطاد. لعلَّ هناك ماعزًا في هذه الجبال، فمن المؤكَّد أن قِطط الظِّلِّ تقتات بشيء. تمتمَ: «حاوِل فقط ألَّا تجتذب قِطًّا». حتى بالنِّسبة لذئبٍ رهيب، تظلُّ قِطط الظِّلِّ مصدر خطورة. جذبَ چون معطفه على جسده بإحكام وتمدَّد تحت البروز الصَّخري.

وحين أغلقَ عينيه، حلمَ بالذِّئاب الرَّهيبة.

كانوا خمسةً بينما من المفترَض أن يكونوا ستَّةً، ومشتَّتين، كلٌّ منهم مفترق عن الآخَر، وأحسَّ بوجع الخواء العميق، كأن شيئًا يَنقُص كيانه. الغابة باردة مترامية الأطراف، وهُم صغار للغاية، ضائعون للغاية. إخوته موجودون في مكانٍ ما، وأخته، لكنه فقدَ رائحتهم. جلسَ على قائمتيه الخلفيَّتين ورفعَ رأسه إلى السَّماء التي بدأ نورها يخبو، وردَّدت الغابة أصداء صيحته الطَّويلة الموحِشة الحزينة، وإذ خفتَت الصَّيحة أصاخَ السَّمع منتظرًا إجابةً، لكن الصَّوت الوحيد الذي تناهى إلى أُذنيه كان تنهُّد نُدف الثَّلج المتطايرة في الهواء.

- چون؟

جاءَ النِّداء من ورائه أخفَّ من همسةٍ لكن قويًّا. أمن الممكن أن تكون الصَّيحة صامتةً؟ أدارَ رأسه يبحث عن أخيه، عن لمحةٍ من جسدٍ رماديٍّ رشيق يتحرَّك تحت الأشجار، لكن لا شيء هنالك غير...

... شجرة ويرووود.

بدا كأنها تنبثق من الصَّخر الصُّلب، تتلوَّى جذورها الشَّاحبة وتَخرُج من عددٍ لا نهائي من الصُّدوع والشُّقوق متناهية الصِّغر. إنها رفيعة مقارنةً بأشجار الويرووود الأخرى التي رآها، لا تتعدَّى شُجيرةً شابَّةً، لكنها أخذَت تنمو وهو يتطلَّع إليها، وغَلُظَت فروعها بينما ارتفعَت إلى السَّماء. بحذرٍ دارَ حول الجذع الأبيض الأملس حتى وصلَ إلى الوجه، ورمقَته العينان الحمراوان، عينان شرستان وإنما مسرورتان لرؤيته. على الويرووود كان وجه أخيه. أكانت له ثلاث أعيُنٍ من قبل؟

جاءَته الصَّيحة الصَّامتة: ليس دائمًا، ليس قبل الغُراب.

تشمَّم اللِّحاء واشتمَّ رائحة الذِّئب والشَّجرة والصَّبي، لكن الرَّوائح لم تقتصِر على هذا، والتقطَ أنفه رائحة التُّربة الدَّافئة البنِّيَّة الغنيَّة، ورائحة الحجارة الرَّماديَّة الصُّلبة، ورائحة شيءٍ آخَر، شيءٍ رهيب. الموت، إنه يشمُّ الموت. تراجعَ مجفلًا وقد انتصبَ شَعره وكشَّر عن أنيابه.

- لا تخف. إنني أحبُّ الظَّلام. لا أحد يراك وترى الجميع، لكن عليك أولًا أن تفتح أعيُنك. هل ترى؟ هكذا.

ومدَّت الشَّجرة غُصنًا ومسَّته.

وفجأةً وجدَ نفسه في الجبال من جديد، وقد انغرسَت أرجُله بعُمقٍ في الثَّلج الذي ذرَته الرِّيح بينما وقفَ على شفيرِ هاويةٍ عظيمة، ومن أمامه ينفتح «الممر الصَّادح» على الفراغ، ومن تحته يمتدُّ وادٍ طويل مثلَّث الشَّكل كبساطٍ غارقٍ في كلِّ ألوان ظهيرة يومٍ خريفي.

سَدَّ حائط هائل الحجم ذو لونٍ أبيض يميل إلى الزُّرقة أحد أطراف الوادي، يشهق مدسوسًا بين جبلين كأنه دفعَ نفسه بينهما دفعًا، ومرَّت لحظة حسبَ خلالها أنه يَحلُم بأنه عادَ إلى القلعة السَّوداء، ثم أدركَ أنه يتطلَّع إلى نهرٍ يرتفع عدَّة آلافٍ من الأقدام، وتحت الجُرف البارد المتلألئ كانت بحيرة عظيمة تعكس مياهها الزَّرقاء العميقة القمم المكلَّلة بالثَّلج المحيطة بها في حلقة. الآن رأى أن هناك أناسًا يتحرَّكون في الوادي في الأسفل، عددهم ضخم، آلاف، جيش عرمرم. بعضهم كان يَحفُر حُفرًا شديدة الاتِّساع في

الأرض نِصف المتجمِّدة، فيما أخذَ آخَرون يتدرَّبون على الحرب. شاهدَ فرقةً ضخمةً من الخيَّالة تنقضُّ على حائطٍ من التُّروس على متن خيولٍ لا تتجاوَز النَّمل حجمًا، وبلغَه صوت معركتهم الزَّائفة كحفيف أوراق شجرٍ من الفولاذ، تحمله الرِّيح خافتًا إلى أُذنيه. لم يكن المعسكر منظَّمًا على الإطلاق، ولم يرَ خنادق أو خوازيق حادَّةً ولا صفوف خيولٍ منتظمة، وفي كلِّ مكانٍ ارتفعَت مآوٍ بدائيَّة من الفخَّار وخيام من جلود الحيوانات، ولمحَ أكوامًا غير مرتَّبةٍ من التِّبن، وشَمَّ ماعزًا وخرافًا وخيولًا وخنازير، بالإضافة إلى فيضٍ من الكلاب، ومن ألف بؤرة نارٍ تصاعدَت خيوط من الدُّخان الأسود.

هذا ليس جيشًا، ولا بلدةً كذلك. إنه شعب كامل احتشدَ في مكانٍ واحد.

عبر البحيرة الطَّويلة تحرَّكت كومة من الثَّرى، فأمعنَ النَّظر إليها ورأى أنه ليس ثرى على الإطلاق، بل كائن حي، وحش أشعث ثقيل، أنفه كثعبان ونابَاه أكبر مما لدى أيِّ خنزيرٍ برِّي شهدَه العالم، والشَّيء الذي يمتطيه ضخم أيضًا، لكن في تكوينه شيئًا غير سليم، وَركيه وساقيه أغلظ كثيرًا من أن يكون إنسانًا.

ثم جعلَت هبَّة مباغتة من الرِّيح فروه ينتصب، وارتعشَ الهواء مع صوت الجناحين، وإذ رفعَ عينيه إلى أعالي الجبال البيضاء فوقه، حجبَ ظِلٌّ السَّماء، وشَقَّت صرخة رفيعة حادَّة مسامعه، ثم لمحَ الجناحين الرَّماديَّين المائلين إلى الزُّرقة منبسطين أمامه مباشرةً، يُخفِيان وجه الشَّمس...

وصرخَ چون وهو ينتفض معتدلًا: «جوست!». ما زال يَشعُر بالمخالب، وبالألم. «جوست، إليَّ!».

ظهرَ إبِن وأمسكَه وهزَّه قائلًا: «صمتًا! أتُريد أن ينتبه الهَمج إلينا؟ ماذا بك يا فتى؟».

أجابَ چون بوهن: «حُلم. كنتُ جوست، كنتُ على حافة الجبل أنظرُ إلى نهرٍ متجمِّد أسفلي، وشيء ما هاجمَني، طائر... نسر على ما أظنُّ...».

ابتسمَ المُرافِق دالبريدچ، وقال: «لا أرى في أحلامي غير النِّسوة الجميلات. ليتني أحلمُ أكثر».

جاءَ كورين ووقفَ إلى جواره متسائلًا: «تقول إنه نهر متجمِّد؟».

قال ثعبان الحجر: «النَّهر اللَّبني يتدفَّق من بحيرةٍ عظيمة تحت نهرٍ جليدي».

- «كانت هناك شجرة لها وجه أخي. الهَمج... كانوا آلافًا، أعدادهم أكبر مما حسبته ممكنًا، وثمَّة عمالقة يقودون الماموثات». خمَّن بناءً على تغيُّر الضَّوء أنه نامَ أربع أو خمس ساعات، وقد هوَت مطارق الصُّداع داخل رأسه، وأحسَّ بالألم الحارق في مؤخِّرة عُنقه حيث انغرسَت المخالب. لكنه كان حُلمًا.

قال كورين ذو النِّصف يد: «أخبِرني بكلِّ ما تَذكُره من البداية للنِّهاية».

رَدَّ بارتباك: «كان مجرَّد حُلم».

قال ذو النِّصف يد: «حُلم ذئبي. كراستر قال لحضرة القائد إن الهَمج يحتشدون عند منبع النَّهر اللَّبني، ولعلَّك حلمت به لهذا السَّبب، أو ربما رأيت ما ينتظرنا على بُعد ساعاتٍ قليلة. أخبِرني».

أشعرَه الكِلام عن تلك الأشياء أمام كورين والجوَّالة الآخَرين بالحماقة، لكنه أطاعَ الأمر، على أن أحدًا من الإخوة السُّود ضحكَ منه، وحين انتهى كان المُرافِق دالبريدج نفسه قد كَفَّ عن الابتسام.

رمقَ إبن ذا النِّصف يد وسألَه بتجهُّم: «مبدِّل جِلدة؟»، فتساءلَ چون: أيقصد النَّسر أم يقصدني؟ مبدِّلو الجِلدة والأوْراج مكانهم حكايات العجوز نان القديمة، وليس العالم الذي عاشَ فيه طيلة حياته، لكن هنا، في عُمق براري الصَّخر والجليد الموحشة، لم يكن صعبًا أن يُصَدِّق.

- «الرِّيح الباردة تشتدُّ كما كان مورمونت يخشى وبنچن ستارك يَشعُر. الموتى يسيرون والأشجار لها أعيُن من جديد، فلِمَ نُنكِر وجود الأوْراج والعمالقة؟».

سألَ دالبريدج: «أيعني هذا أن أحلامي حقيقيَّة أيضًا؟ فليحتفظ اللورد سنو بماموثاته، أمَّا أنا فأريدُ نسائي».

قال إبِن: «خدمتُ في حَرس اللَّيل رجلًا وصبيًّا، وخرجتُ في أبعد الجولات، ورأيتُ عظام عمالقةٍ وسمعتُ حكاياتٍ عجيبة عدَّة، لكن ليس أكثر من هذا. أريدُ أن أراهم بأُمِّ عينيَّ».

قال ثعبان الحجر: «حذارِ من أن يروك هُم يا إبن».

لم يكن جوست قد عادَ حين بدأوا يتحرَّكون من جديد، وكانت الظِّلال قد كسَت أرض الممرِّ بينما تغوص الشَّمس سريعًا وراء القمة المزدوجة للجبل العظيم الذي يُسَمِّيه الجوَّالة «رأس الشَّوكة». إذا كان الحُلم حقيقيًا... ملأَته الفكرة خوفًا. هل آذى النَّسر جوست أو أسقطَه في الهاوية؟ وماذا عن شجرة الويروود ذات وجه أخيه التي فاحَت منها رائحة الهلاك والظُّلمات؟

اختفى آخِر شعاع من الشَّمس وراء قمتيِّ «رأس الشَّوكة»، وسادَ الغَسق في «الممر الصَّادح»، وبدا كأن البرد بدأ يشتدُّ في الحال. لم يعودوا يصعدون، والحقيقة أن الأرض بدأت تنحدر، لكن ليس بحدَّة، وقد شاعَت فيها الشُّقوق وتناثرَت عليها الجلاميد المحطَّمة وأكوام الصُّخور السَّاقطة. سيحلُّ الظَّلام قريبًا، ولا أثر لجوست بعدُ. كان الخوف يُمَزِّق نياط قلبه، لكن چون لم يجرؤ على مناداة الذِّئب الرَّهيب، فلربما هناك أشياء أخرى تُصغي.

قال المُرافِق دالبريدچ بصوتٍ خافت: «كورين، هناك، انظُر».

كان النَّسر جاثمًا فوق نتوءٍ صخري على مسافةٍ بعيدةٍ أعلاهم، وقد حدَّدته السَّماء التي بدأت تُظلِم، وفكَّر چون: لقد رأينا نسورًا أخرى، وليس من الضَّروري أن يكون الذي رأيته في حُلمي.

على الرغم من ذلك أرادَ إبن أن يرميه بسهم، لكن المُرافِق منعَه قائلًا: «الطَّائر بعيد جدًّا عن مرمى القوس».

- «لا تروقني مراقَبته لنا».

هَزَّ المُرافِق كتفيه، وقال: «ولا تروقني أيضًا، لكنك لن تُسقِطه، وستُبَدِّد سهمًا ثمينًا لا أكثر».

جلسَ كورين فوق سَرجه رامقًا النَّسر فترةً طويلةً، قبل أن يقول: «سنُواصِل الطَّريق»، واستأنفَ الجوَّالة هبوطهم، بينما أرادَ چون أن يَصرُخ: جوست، أين أنت؟!

كان على وشك أن يتبع كورين والآخَرين، حين أبصر لمحةً من الأبيض بين جلمودين، فخمَّن أنها رُقعة من الثَّلج القديم إلى أن رآها تتحرَّك، فوثبَ من فوق حصانه على الفور، وعندما ركعَ إلى جوار جوست، رفعَ الذِّئب رأسه

قد التمعَ الدَّم على عُنقه، لكنه لم يُصدِر صوتًا لمَّا خلعَ چون قُفَّازًا ومسَّه. كانت مخالب النَّسر قد صنعَت شِقًّا داميًا في الفرو واللَّحم، وإن لم يستطِع الطَّائر أن يكسر عُنقه.

وجدَ كورين ذو النِّصف يد واقفًا إلى جواره ويسأله: «أحالته سيِّئة؟».

وكأنه يُجيب السُّؤال، نهضَ جوست بصعوبة.

قال الجوَّال: «الذِّئب قوي. إبن، ماء. ثعبان الحجر، قِربة نبيذك. ثبِّته يا چون».

معًا غسلوا الدِّماء المتجلِّطة على فرو الذِّئب الأبيض، وقاومَ جوست وكشَّر عن أنيابه حين صَبَّ كورين النَّبيذ على الجروح الحمراء المهترئة التي خلَّفتها هجمة النَّسر، لكن چون طوَّقه بذراعيه وتمتمَ بكلماتٍ مهدِّئة في أُذنه، وسرعان ما هدأ الذِّئب الرَّهيب.

كان الظَّلام قد حَلَّ بالكامل حين مزَّقوا رُقعةً من معطف چون ليُضَمِّدوا بها الجروح، ولم يُفَرِّق السَّماء السَّوداء عن الأحجار السَّوداء غير نُثارةٍ من النُّجوم.

سألَ ثعبان الحجر: «هل نمضي قُدمًا؟».

ذهبَ كورين إلى حصانه مجيبًا: «سنعود».

ردَّد چون مبهوتًا: «نعود؟».

- «النُّسور أحدُّ بصرًا من البَشر. لقد شوهِدنا، والآن نفرُّ»، وربطَ ذو النِّصف يد وشاحًا أسود طويلًا حول وجهه، وامتطى حصانه.

تبادلَ الجوَّالة الآخَرون نظرةً، لكن أحدًا منهم لم يُجادِل، وامتطوا خيولهم واحدًا تلو الآخَر ووجَّهوها صوب الدِّيار.

نادى چون: «جوست، هلمَّ»، وتبعَه الذِّئب الرَّهيب كظِلٍّ شاحب يسري في سواد اللَّيل.

ركبوا طول اللَّيل متلمِّسين طريقهم الصَّاعد عبر الممرِّ الملتوي وعلى الأرض المحطَّمة الممتدَّة، واشتدَّت الرِّيح أكثر. في بقاعٍ كان الظَّلام حالكًا لدرجةٍ أجبرَتهم على الترجُّل والمضيِّ على الأقدام وكلٌّ منهم يقود حصانه، واقترحَ إبن أن المشاعل قد تنفعهم الآن، لكن كورين قال: «لا نار»، فلم يُثِر

أحدهم الأمر ثانيةً. بلغوا الجسر الحجري عند القمَّة وعادوا يهبطون، وفي مكانٍ ما وسط العتمة صرخَ قِطُّ ظِلٍّ بثورة، يتردَّد صوته على الصُّخور حتى بدا كأن عشر قِططٍ أخرى تُجيبه، وفي مرَّةٍ حسبَ چون أنه رأى عينين متوهِّجتين فوق إفريزٍ أعلاهم، اتِّساعهما كقمر الحصاد.

في السَّاعة السَّوداء السَّابقة للفَجر توقَّفوا ليرووا الخيول، وأطعَموا كلًّا منها حفنةً من الشُّوفان وحزمةً أو اثنتين من التِّبن، وقال كورين: «لا نَبعُد كثيرًا عن المكان الذي ماتَ فيه الهمجيَّان. من هناك يستطيع رجل واحد أن يَصُدَّ مئةً، الرَّجل المناسب»، ورمقَ المُرافِق دالبريدچ.

خفضَ المُرافِق رأسه قائلًا: «اترُكوا لي كلَّ ما تستطيعون الاستغناء عنه من سهام يا إخوان»، وربَّت على قوسه الطَّويل مضيفًا: «واحرِصوا على أن ينال حصاني تُفَّاحةً حين يعود إلى الدِّيار، فالمسكين يستحقُّها».

أدركَ چون ما يَحدُث. سيبقى هنا ويموت.

قبضَ كورين على ساعِد المُرافِق بيده المغطَّاة بالقُفَّاز، وقال: «إذا هبطَ النَّسر ليُلقي عليك نظرةً...».

- «... سأزيِّنُ ريشه بريشة سهمي».

آخِر ما رآه چون من المُرافِق دالبريدچ كان ظَهره وقد بدأ يتسلَّق الممرَّ الضيِّق إلى الأعالي.

حين طلعَ الفَجر، رفعَ چون عينيه إلى السَّماء الخالية من السَّحاب ورأى بُقعةً تتحرَّك عبر الأزرق، ولمحَ إبن النَّسر أيضًا وأطلقَ سبابًا، لكن كورين أمرَه بالصَّمت وقال: «اصغوا».

وكتمَ چون أنفاسه وسمعَ صدى بوق الصَّيد يتردَّد من بعيدٍ وراءهم بين الجبال.

وقال كورين: «إنهم قادمون».

تيريون

ألبسَه پود سُترةً من المخمل الفاخر بلون لانستر القرمزي استعدادًا للتَّجربة القاسية المقبلة، وأحضرَ له سلسلة منصبه الذَّهبيَّة، لكنه تركَها على المنضدة المجاورة لفِراشه، فأخته تكره كلَّ ما يُذَكِّرها بأنه يد الملك، وهو لا يرغب في أن تتوتَّر العلاقات بينهما أكثر.

لحقَ به فارس وهو يقطع السَّاحة، وقال لاهثًا بعض الشَّيء: «سيِّدي، ضروري أن تقرأ هذه الرِّسالة في الحال»، ومَدَّ يده البيضاء النَّاعمة برَقٍّ مضيفًا: «إنه تقرير من الشَّمال».

سألَه تيريون: «أخبار طيِّبة أم سيِّئة؟».

- «ليس لي أن أحكم».

بسطَ تيريون الورقة، وضيَّق عينيه ليقرأ المكتوب في ضوء مشاعل السَّاحة، قبل أن يُتَمتِم: «لترحمنا الآلهة. كلاهما؟».

- «أخشى هذا يا سيِّدي. خبر أليم ومفجِع للغاية. كانا صغيريْن بريئيْن».

تذكَّر تيريون كيف عوَت الذِّئاب حين سقطَ ابن ستارك. تُرى هل تعوي الآن؟ «هل أخبرت أحدًا غيري؟».

- «ليس بعدُ، لكن عليَّ أن أفعل بالطَّبع».

طوى الرِّسالة قائلًا: «سأخبرُ أختي بنفسي». يُريد أن يرى كيف ستتلقَّى الخبر، يُريد هذا لأقصى حَد.

بدَت الملكة رائعة الجمال اللَّيلة، وقد ارتدَت فُستانًا مقوَّر الصَّدر من المخمل الأخضر الدَّاكن أبرزَ لون عينيها، وانسدلَ شَعرها الذَّهبي على كتفيها

العاريتين، وحول خصرها حزام مجدول مرصَّع بالزمرُّد. انتظرَ تيريون حتى جلسَ ووُضِعَت أمامه كأس من النَّبيذ قبلِ أن يُلوِّح بالرِّسالة في وجهها دون أن يقول شيئًا، فرمقَته سرسي ببراءةٍ والتقطَت الرَّقّ من يده.

قال بينما قرأت: «لا بُدَّ أنكِ مسرورة. لقد أردتِ أن يموت صبيٌّ ستارك».

ردَّت سرسي بملامح مكفهرَّة: «چايمي هو مَن ألقاه من تلك النَّافذة وليس أنا، من أجل الحُبِّ كما قال، كأن من المفترَض أن يُسعِدني هذا. كانت فعلةً حمقاء، وخطِرة كذلك، لكن منذ متى وأخونا العزيز يتوقَّف ليُفَكِّر؟».

قال تيريون: «لقد رآكما الصَّبي».

- «كان طفلًا، وكان يُمكن أن أخيفه حتى يلزم الصَّمت»، وتأمَّلت سرسي الرِّسالة مردفةً: «لماذا تطالني الاتِّهامات كلما خبطَ أحد مِن أبناء ستارك إصبعه؟ جرايچوي هو من فعلَ هذا، ولا دور لي فيه».

- «لنأمل أن تُصَدِّق الليدي كاتلين هذا».

اتَّسعت عيناها، وقالت: «إنها لن...».

- «... تَقتُل چايمي؟ ولِمَ لا؟ ماذا كنتِ لتفعلين لو قُتِلَ چوفري وتومن؟».

صاحَت الملكة: «ما زالت سانزا لديَّ!».

قال مصحِّحًا: «ما زالت سانزا لدينا، وخيرٌ لنا أن نعتني بها جيِّدًا. والآن أين العَشاء الذي وعدتِني به يا شقيقتي الجميلة؟».

لا سبيل لإنكار أن مائدة سرسي عامرة بكلِّ ما لَذَّ وطابَ. بدآ بحَساء الكستناء والخُبز المحمَّر السَّاخن والخضراوات المقلَّبة مع التُّفَّاح والصَّنوبر، ثم قُدِّمَت فطيرة سمك الشِّلق، ولحم الخنزير المشوي بالعسل، وطبق من الفاصوليا البيضاء واللَّحم المقدَّد، وإوزَّة محشوَّة بالفِطر والمحار. تعاملَ تيريون بتهذيب لا مثيل له، عارضًا على أخته أفضل القِطع من كلِّ صنف، وحرصَ ألَّا يأكل شيئًا قبل أن تأكله هي أولًا. ليس أنه يحسب حقًّا أنها ستُسَمِّمه، لكن الحذر لا يضرُّ أبدًا.

رأى أن خبر ابنيِّ ستارك عكَّر مزاجها، وسألَته بتوتُّرٍ وهي تغرس طرف سكِّينها في قطعة تُفَّاحٍ وتأكلها بقضماتٍ صغيرة رقيقة: «أما من أخبارٍ من «جسر العلقم»؟».

- «البتَّة».

- «لم أثق بالإصبع الصَّغير قَطُّ. سيذهب إلى ستانيس في غمضة عينٍ لقاء ما يكفي من مال».

- «نزاهة ستانيس باراثيون التي يُعليها فوق كلِّ شيءٍ لا تسمح له بشراء الرِّجال أبدًا، كما أنه ليس بسيِّدٍ يستريح پيتر في خدمته. أعلمُ تمامًا أن هذه الحرب تمخَّضت عن تحالُفاتٍ غريبة حقًّا، لكن هذين الاثنين؟ لا».

قالت بينما قطَّع شرائح من اللَّحم: «علينا أن نَشكُر الليدي تاندا على هذا الخنزير».

- «أكان أمارةً على حُبِّها؟».

- «رشوة. إنها تَطلُب الإذن بالعودة إلى قلعتها، مني ومنك معًا. أعتقدُ أنها تخشى أن تقبض عليها على الطَّريق كاللورد جايلز».

قدَّم تيريون لأخته شريحةً من اللَّحم ووضعَ أخرى أمامه، وقال: «أتنوي أن تهرب مع وليِّ العهد؟ أفضِّلُ أن تبقى. إذا كانت تُريد أن تَشعُر بالأمان، فلتجلب حاميتها من ستوكوورث، رجالها كلهم».

تسلَّل شيء من الغِلظة إلى نبرة سرسي إذ سألَته: «ما دامَت حاجتنا إلى الرِّجال ماسَّة، فلِمَ صرفت همجيِّيك؟».

أجابَها صادقًا: «كان أفضل استخدامٍ لهم. إنهم محاربون ضارون، وإنما ليسوا جنودًا. في المعارك التَّقليديَّة يلعبُ الانضباط دورًا أكبر من الشَّجاعة، وقد حقَّقوا في غابة الملوك أكثر مما كانوا ليُحَقِّقوا على أسوار المدينة بكثير».

سألَته الملكة عن مؤامرة رجال القرون فيما قُدِّمَت الإوزَّة، وقد بدَت مستاءةً أكثر من خائفة وهي تقول: «لماذا نُبتَلى بكلِّ هذه الخيانات؟ أيُّ أذى ألحقَته عائلة لانستر بهؤلاء المأفونين؟».

قال تيريون: «صِفر، لكنهم يحسبون أنهم على الجانب الرَّابح... ما يجعلهم حمقى علاوةً على خيانتهم».

- «أأنت واثق بأنك نلت منهم جميعًا؟».

أجابَ مقرِّرًا أن دسامة الإوزَّة لا تُناسِب ذائقته: «هذا ما يقوله ڤارس».

لاحَ خَطٌّ في جبين سرسي الأبيض الشَّاحب بين هاتين العينين الجميلتين، وقالت: «أنت تُفرِط في الثِّقة بذلك الخصيِّ».

- «إنه يخدمني جيِّدًا».

- «أو أن هذا ما يُريدك أن تُصَدِّقه. أتحسب أنك الوحيد الذي يهمس له بالأسرار؟ إنه لا يمنحنا أكثر مما يكفي لإقناعنا بأننا سنكون مكتوفي الأيدي دونه. لقد لعبَ اللُّعبة نفسها معي في بداية زواجي روبرت، ومرَّت سنوات وأنا مقتنعة أنه أخلص أصدقائي في البلاط، لكن الآن...»، وتمعَّنت في وجهه لحظةً قبل أن تُردِف: «يقول إنك تنوي أن تأخذ كلب الصَّيد من چوفري».

ڤارس الملعون! «أحتاجُ كليجاين في واجباتٍ أهم».

- «لا شيء أهم من حياة الملك».

- «حياة الملك ليست في خطر. چوف سيكون في حماية السير أوزموند الشُّجاع، ومرين ترانت كذلك». إنهما جدواهما الوحيدة. «أحتاجُ بالون سوان وكلب الصَّيد لقيادة الهجمات الدِّفاعيَّة، للتأكُّد من أن ستانيس لن يضع إصبع قدمٍ واحدًا على جانبنا من النَّهر».

- «كان چايمي ليقود هجمةً بنفسه».

- «من ريڤررَن؟ يا لها من هجمة!».

- «چوف مجرَّد صبي».

- «صبيٌّ يُريد أن يكون جزءًا من المعركة، وأخيرًا تفتَّق عقله عن قرارٍ حكيم. لا أنوي أن أضعه في قلب القتال، لكن لا بُدَّ أن يُرى. الرِّجال يُقاتِلون بشراسةٍ أكبر من أجل الملك الذي يقتسِم معهم الخطر، أكثر من الملك الذي يختبئ وراء فُستان أمِّه».

- «إنه في الثَّالثة عشر يا تيريون!».

- «أتَذكُرين چايمي في هذه السِّن؟ إذا أردتِ أن يكون الصبيُّ ابن أبيه، فدعيه يلعب دوره. چوف يرتدي أفضل دِرعٍ يستطيع الذَّهب شراءها، وسيكون محاطًا بدستةٍ من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة طول الوقت، وإذا لاحَ أضعف تهديدٍ بأن المدينة ستَسقُط، سأجعلهم يُعيدونه إلى القلعة في الحال».

حسبَ أن هذا سيُطَمئِنها، لكنه لم يرَ أيَّ سرورٍ في هاتين العينين الخضراوين إذ قالت سرسي: «وهل ستَسقُط المدينة؟».

- «لا». لكن إذا سقطَت، فصلِّي أن تَصمُد القلعة الحمراء حتى يصل السيِّد والدنا لإنقاذنا.

- «لقد كذبت عليَّ من قبل يا تيريون».

- «لسببٍ وجيهٍ كلَّ مرَّة يا أختي العزيزة. إنني أرغبُ مِثلكِ تمامًا في أن نتوصَّل إلى تفاهُم، وقد قرَّرتُ إطلاق سراح اللورد جايلز». كان قد حافظَ على سلامة جايلز من أجل هذه اللَّفتة. «ويُمكنكِ استعادة السير بوروس بلاونت كذلك».

زمَّت الملكة فمها، وقالت: «فليتعفَّن السير بوروس في روزبي، أمَّا تومن...».

- «... فسيبقى حيث هو. إنه أكثر أمنًا تحت حماية اللورد چاسلين مما كان مع اللورد جايلز».

رفعَ الخدم الإوزَّة التي مُسَّت بالكاد، وأشارَت سرسي لهم بإحضار الحُلو قائلةً لتيريون: «آملُ أنك تُحِبُّ كعكات التُّوت الأسود».

- «أحبُّ كلَّ أنواع الكعك».

- «أوه، أعرفُ هذا منذ زمنٍ طويل. هل تعرف ما يجعل ڤارس شديد الخطورة؟».

- «هل نلعب الأحاجي الآن؟ لا».

- «أنه بلا قضيب».

- «وأنتِ كذلك». أوَلا تكرهين هذا يا سرسي ؟

- «ربما أكونُ خطِرةً أيضًا، أمَّا أنت فأحمق كبير ككلِّ رجلٍ آخَر، وتلك الدُّودة بين ساقيك تقوم عنك بنِصف تفكيرك».

لعقَ تيريون الفُتاتَ من على أصابعه متابعًا ابتسامة أخته التي لم تَرُقه، وقال: «نعم، والآن تُفَكِّر دودتي أن الوقت حانَ لأن أستأذن بالانصراف».

- «أأنت متوعِّك يا أخي؟»، ومالَت إلى الأمام ليلوح له أعلى نهديها، وتابعَت: «يبدو عليك الاضطراب فجأةً».

- «الاضطراب؟». رمقَ تيريون الباب وقد حسبَ أنه سمعَ شيئًا في الخارج، وبدأ يُراوِده النَّدم على أنه جاءَ وحده. «إنكِ لم تُبدِ هذا الاهتمام بقضيبي من قبل».

- «ليس قضيبك ما يهمُّني، بل أين تُولِجه. إنني لا أعتمدُ على الخصيِّ في كلِّ شيءٍ مِثلك، ولديَّ أساليبي الخاصَّة لمعرفة الأشياء... تحديدًا الأشياء التي لا يرغب النَّاس في أن أعرفها».

- «ماذا تُحاوِلين أن تقولي؟».

- «لا شيء سوى أن عاهرتك الصَّغيرة عندي».

مَدَّ تيريون يده إلى كأس النَّبيذ يشتري لحظةً يستجمع فيها أفكاره، ثم قال: «حسبتكِ تُفَضِّلين الرِّجال».

- «أنت رجل صغير طريف حقًّا. قُل لي، هل تزوَّجت هذه أيضًا؟»، وحين لم يُجِبها ضحكَت وقالت: «سيسعد أبونا كثيرًا».

شعرَ كأن بطنه ملأى بثعابين الماء. كيف وجدَت شاي؟ هل خانَه ڤارس؟ أم أن نفاد صبره هو ما دمَّر كلَّ احتياطاته ليلة ذهبَ إلى الإيوان مباشرةً؟ «لماذا تُبالين بمن أختارُ لتدفئة فِراشي؟».

- «اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا. إنك تتآمَر ضدي منذ يوم وصولك إلى كينجز لاندنج. لقد بِعت مارسلا، وسرقت تومن، والآن تُخَطِّط لمقتل چوفري. تُريده ميتًا كي تَحكُم من خلال تومن».

لن أقول إن الفكرة ليست مغريةً. «هذا جنون يا سرسي. ستانيس سيصل في غضون أيام. إنكِ تحتاجينني».

- «لماذا؟ لبسالتك العظيمة في المعركة؟».

قال كاذبًا: «مرتزقة برون لن يُقاتِلوا دوني أبدًا».

- «أوه، أعتقدُ أنهم سيفعلون. إنهم يُحِبُّون ذهبك وليس طرافتك الشَّيطانيَّة إياها. لكن لا تخف، فلن تغيب عنهم. لن أقول إنني لم أفكِّر في شَقِّ حَلقك بين الحين والآخَر، لكن چايمي لن يُسامِحني أبدًا إذا فعلتُ».

- «والعاهرة؟». لن يَذكُرها بالاسم. إذا استطعتُ إقناعها بأن شاي لا تعني لي شيئًا، فربما...

- «ستُعامَل برفقٍ ما دامَ أذَى لم يَطُل ابنيَّ. لكن إذا قُتِلَ چوف أو وقعَ تومن في أيدي أعدائنا، فستموت مومسك الصَّغيرة ميتةً لا يُمكنك أن تتصوَّر عذابها».

إنها تُصَدِّق حقًّا أنني أنوي أن أقتل ابن أختي. قال بتعب: «الصَّبيَّان آمنان. بحَقِّ الآلهة يا سرسي، إنهما من دمي! أيُّ رجلٍ تحسبيني؟».

- «رجل صغير منحرف».

حدَّق تيريون في ثُمالة النَّبيذ في قعر الكأس. ماذا كان چايمي ليفعل لو أنه مكاني؟ كان ليَقتُل الحقيرة غالبًا ويقلق من التَّبعات فيما بَعد، لكن تيريون لا يملك سيفًا من ذهب، ولا براعة القتال بواحد. إنه يُحِبُّ غضبة أخيه المتهوِّرة، لكن عليه الآن أن يقتدي بالسيِّد والدهم. حجرًا، يجب أن أكون حجرًا، أكون كاسترلي روك ذاتها، صُلبًا لا أتزحزحُ. إذا رسبتُ في هذا الاختبار، فخيرٌ لي أن أبحث عن أقرب معرض للوحوش. قال: «ربما قتلتِها بالفعل ولا أدري».

- «أتودُّ أن تراها؟ خطَرَ لي أنك ستفعل»، وقطعَت سرسي الغُرفة وفتحَت الباب البلُّوطي الثَّقيل، وقالت: «أدخِلا عاهرة أخي».

أوزني وأوزفريد أخوا السير أوزموند متشابهان كحبتَيِّ بازلاء في قرنٍ واحد، كلاهما طويل القامة ومعقوف الأنف وداكن الشَّعر وقاسي الابتسامة، وكانت هي معلَّقةً بينهما بعينين متَّسعتين بيضاوين في وجهها الأسمر، وقد سالَ الدَّم من شفتها المشقوقة، وتحت ثيابها الممزَّقة لمحَ عدَّة كدمات، بينما قُيِّدَت يداها بحبل، وكمَّموها ليمنعوها من الكلام.

- «قلتِ إن أذَى لن يمسَّها».

على عكس أخويه، كان أوزني كِتلبلاك حليق الوجه، فلاحَت الخدوش بوضوح على وجنتيه وهو يقول: «لقد قاومَت. لديها مخالب كقِطط الظِّلِّ هذه الفتَاة».

قالت سرسي بنبرةٍ ضجِرة: «الكدمات تُشفى، وستظلُّ العاهرة حيَّةً ما دامَ چوف حيًّا».

أرادَ تيريون أن يضحك منها، ولكم كان ليتلذَّذ بذلك الشُّعور لحظتها، الشُّعور الحُلو لأقصى حَدٍّ ممكن، لكن لُعبته كانت لتنكشِف لو فعلَ. خسرتِ

يا سرسي، والإخوة كِتلبلاك هؤلاء أكثر حماقةً مما قال برون. ليس عليه أكثر من أن يُلقي الحقيقة في وجهها الآن، لكنه نظرَ بدلًا من هذا إلى وجه الفتاة، وقال: «أتُقسِمين أن تُطلِقي سراحها بَعد المعركة؟».

- «إذا أطلقتَ سراح تومن، نعم».

نهضَ قائلًا: «احتفظي بها إذن، لكن حافِظي على سلامتها. إذا كان هذان الحيوانان يُفَكِّران في استخدامها... دعيني أقول لكِ فقط إن كفَّة الميزان تميل في الجهتين يا شقيقتي العزيزة». كانت نبرته هادئةً محايدةً لا مباليةً تمامًا وقد بحثَ عن صوت أبيه ووجدَه. «ما يَحدُث لها يَحدُث لتومن أيضًا، ويتضمَّن هذا الضَّرب والاغتصاب». ما دامَت تحسبني وحشًا، فلألعب الدَّور أمامها إلى نهايته.

لم تتوقَّع سرسي هذا، وقالت: «لن تجرؤ».

جعلَ تيريون نفسه يبتسم ببُطءٍ وبرود، وبالأخضر والأسود ضحكَت عيناه منها وهو يقول: «أجرؤ؟ سأفعلها بنفسي!».

شقَّت يد أخته الهواء نحو وجهه، لكنه قبضَ على معصمها ولواه حتى صرخَت ألمًا، ولمَّا تحرَّك أوزفريد لنجدتها، قال القزم محذِّرًا: «خطوة واحدة وسأكسرُ ذراعها»، فتوقَّف الرَّجل، وخاطبَ تيريون أخته قائلًا: «أتذكُرين حين قلتُ إنكِ لن تصفعيني ثانيةً أبدًا يا سرسي؟»، ودفعَها لتَسقُط أرضًا والتفتَ إلى الأخوين كِتلبلاك وقال: «حرِّرا معصميها وارفعا الكمامة».

كان الحبل موثَقًا بشدَّةٍ قطعَت سريان الدَّم إلى يديها، فأطلقَت الفتاة صرخة ألم حين عادَ الدَّم يتدفَّق إليهما، ودلَّك تيريون أصابعها برفقٍ إلى أن عادَ إليهما الحِسُّ، وقال لها: «لا بُدَّ أن تكوني شُجاعةً يا حُلوتي. آسفٌ لأنهم آذوكِ».

- «أعرفُ أنك ستُحَرِّرني يا سيِّدي».

وعدَها قائلًا: «سأفعلُ»، وانحنَت ألايايا وقبَّلت جبهته فتركَت شفتها المشقوقة لطخةً من الدَّم عليها. القُبلة الدَّامية أكثر مما أستحقُّ. لم يكن ليَحدُث لها هذا لو لاي. وظَلَّ دمها على وجهه إذ نظرَ إلى الملكة على الأرض، وقال: «إنني لم أحبَّكِ قَطُّ يا سرسي، لكنكِ كنتِ أختي فلم أمسَّك بسوء، أمَّا الآن

فقد وضعتِ نهايةً لهذا. سوف أجرحكِ لما فعلتِ. لا أدري كيف بعدُ، لكن امنحيني وقتًا. سيأتي يوم تتوهَّمين نفسكِ فيه آمنةً سعيدةً، وفجأةً ستستحيل فرحتكِ رمادًا في فمكِ، وستعلمين يومئذٍ أن الدَّين قد سُدِّدَ».

في الحرب -كما قال له أبوه ذات مرَّة- تنتهي المعركة لحظة أن يَنكُص أحد الجيشين ويفرّ، ولا يهمُّ إن كان عدد الرِّجال غفيرًا كما كان قبل لحظة، لا يهمُّ إن كانوا ما زالوا مسلَّحين مدرَّعين، فبمجرَّد أن يهربوا منك فإنهم لن يعودوا إلى القتال ثانيةً. هكذا كان الأمر مع سرسي لحظتها. «اخرُج!» هو الرَّدُّ الوحيد الذي استطاعَت تدبيره. «اغرُب عن وجهي!».

حنى تيريون رأسه قائلًا: «طابَت ليلتكِ إذن، وأحلامًا سعيدةً».

عادَ إلى مسكنه في بُرج اليد شاعرًا بألف قدم مدرَّعة تدقُّ جمجمته من الدَّاخل. كان يجب أن أرى هذا الاحتمال منذ تسلَّلتُ من ظَهر صُوان شاتايا أول مرَّة. لعلَّه لم يُرِد أن يرى. كانت ساقاه تُوجِعانه بشدَّةٍ حين بلغَ نهاية السَّلالم أخيرًا، وأرسلَ پود يُحضِر نبيذًا ودفعَ باب غُرفة النَّوم.

وكانت شاي جالسةً متقاطعة السَّاقين في الفِراش المظلَّل، عاريةً تمامًا إلَّا من السِّلسلة الذَّهبيَّة الثَّقيلة المتدلِّية فوق ثدييها، سلسلة الأيدي التي تُطبِق كلٌّ منها على الأخرى.

لم يتوقَّع تيريون أن يجدها في غُرفته، وسألَها: «ماذا تفعلين هنا؟».

ملَّست على السِّلسلة ضاحكةً، وأجابَت: «أردتُ يدًا أو اثنتين على ثدييَّ، لكن هذه الأيدي الذَّهبيَّة الصَّغيرة باردة».

لم يدرِ ماذا يقول. كيف يُخبِرها بأن امرأةً أخرى تلقَّت الضَّرب الذي كان يُفترَض أن ينالها هي، وقد تموت بدلًا منها إذا أصابَ حَظٌّ عاثر ما چوفري بمكروهٍ ما في المعركة؟ مسحَ دم ألايايا عن جبهته بظَهر كَفِّه، وقال: «الليدي لوليس...».

- «نائمة. البقرة الكبيرة لا تُريد إلَّا أن تنام، تنام وتأكل، وأحيانًا تغيب في النَّوم وهي تأكل، ويَسقُط الطَّعام تحت الأغطية وتتمرَّغ فيه، ويكون عليَّ تنظيفها»، وأردفَت بامتعاض: «لقد ناكوها لا أكثر!».

- «تقول أمُّها إنها مريضة».

- «في بطنها طفل، هذا كلُّ شيء».

تطلَّع تيريون حول الغُرفة ليجد كلَّ شيءٍ كما تركَه، فقال لها: «كيف دخلتِ؟ أريني الباب الخفي».

هزَّت كتفيها قائلةً: «اللورد ڤارس جعلَني أرتدي قلنسوةً، فلم أرَ، لكن... في بقعةٍ اختلستُ النَّظر إلى الأرض من تحت القلنسوة، وكانت كلها من البلاط... أتعرف هذا النَّوع الذي يصنعون منه الصُّور؟».

- «الفُسيفساء؟».

أومأَت شِاي برأسها إيجابًا، وقالت: «كان لونها أحمر وأسود، وأظنُّها كانت صورة تنِّين، فيما عدا هذا كان كلُّ شيءٍ مظلمًا. نزلنا سُلَّمًا ومشينا مسافةً طويلةً حتى لم أعد أدري أين أنا. توقَّفنا مرَّةً ليفتح قفلًا على بوَّابةِ حديد. مسستها حين مررنا منها، والتنِّين كان بَعد البوَّابة، ثم صعدنا سُلَّمًا آخَر يقود إلى نفق، فمشيتُ منحنيةً، وأظنُّ أن اللورد ڤارس كان يزحف».

دارَ تيريون في جنبات الغُرفة. أحد حاملات الشُّموعِ بدا محلولًا، فشَبَّ على أصابع قدميه وحاولَ تحريكه، فدارَ ببُطءٍ محتكًا بالحائط الحجري، وحين انقلبَ سقطَت منه بقايا شمعة، أمَّا البُسط الموزَّعة على الأرض الباردة فلم يبدُ عليها تبدُّل ملحوظ.

سألَته شِاي: «ألا يُريد سِيدي أن يعتليني؟».

- «بَعد قليل». فتحَ تيريون صُوانه وأزاحَ ملابسه جانبًا ودفعَ الظَّهر، فما يَصلُح في ماخورٍ قد يَصلُح في قلعةٍ كذلك... لكن لا، الخشب صُلبٍ تمامًا، لا يتزحزح. جذَبَ حجر مجاور لمقعد النَّافذة نظره، لكن لم تُثمِر كلُّ محاولات الجذب والتَّحريك شيئًا، وعادَ تيريون إلى الفِراش محبطًا مستاءً.

حلَّت شِاي أربطة سراويله وأحاطَت عُنقه بذراعيها مغمغمةً: «كتفاك متيبِّستان كصخرتين. أسرِع، أريدُ أن أشعر بك في داخلي»، غير أن ذكورته تخلَّت عنه حين طوَّقت خصره بساقيها، ولمَّا شعرَت شِاي بارتخائه، نزلَت تحت الأغطية وأخذَته في فمها، لكن حتى هذا لم ينجح في استثارته. أوقفَها بَعد لحظاتٍ قليلة، فسألَته: «ما الخطب؟». كلُّ ما في العالم من براءةٍ عذبة كان مرسومًا على قسماتها.

براءة؟ إنها عاهرة أيها الأحمق. سرسي على حَق، إنك تُفَكِّر بقضيبك أيها الأحمق الأحمق!

قال مملِّسًا على شَعرها: «اخلُدي إلى النَّوم يا حُلوتي»، لكن بَعد أن استجابَت شِاي لنصيحته بفترةٍ طويلة، ظَلَّ تيريون نفسه مستيقظًا، تضمُّ أصابعه أحد ثدييها الصَّغيرين ويُصغي لأنفاسها.

كاتلين

القاعة الكُبرى في ريڤرَن مكان موحِش حينما يجلس فيها فردان فقط يتناوَلان العَشاء. امتدَّت الظِّلال القاتمة على الجُدران، وقد انطفأَ واحد من المشاعل الأربعة قبل فترة، وجلسَت كاتلين تُحَدِّق في كأس النِّبيذ الذي شعرَت بمذاقه رديئًا فاسدًا على لسانها، وعلى الجانب الآخَر من المائدة جلسَت بِريان، وبينهما مقعد اللورد هوستر العالي الخالي كبقيَّة القاعة. حتى الخدم ليسوا موجودين، فقد منحَتهم الإذن بالذَّهاب إلى الاحتفال.

على الرغم من سُمك جُدران الحصن، بلغَتهما الأصوات المكتومة للَّهو الصَّاخب قادمةً من السَّاحة. كان السير دزموند قد أخرجَ عشرين برميل شرابٍ من الأقبية، والعامَّة يحتفلون بعودة إدميور المرتقَبة وغزوة روب في «الجُرف» بإفراغ قرون المِزر البنِّي كالجوز في أجوافهم.

لا ألومهم، فإنهم لا يعلمون، وإذا علموا، فلِمَ يكترثون؟ إنهم لم يعرفوا ابنيَّ قَطُّ، لم يُشاهِدوا بران يتسلَّق وقلوبهم في حلوقهم، بينما يمتزج الفخر والخوف في داخلهم حتى يبدوان واحدًا، لم يسمعوه يضحك، لم يبتسموا لرؤية ريكون يبذل كلَّ جهده ليكون مِثل أخيه الكبير. رمقَت العَشاء الموضوع أمامها، سمك الترويت الملفوف باللَّحم المقدَّد، وسلطة أوراق اللِّفت الخضراء والشَّمار الأحمر والعُشب السُّكَّري، والبازلاء والبصل والخُبز السَّاخن. كانت بِريان تأكل بطريقةٍ آليَّةٍ ثابتة، كأن العَشاء محض واجبٍ آخَر عليها إنجازه. صرتُ امرأةً نكِدةً، لا أجدُ مسرَّةً في الطَّعام والشَّراب،

والضَّحكات والأغاني أضحَت تُثير التوتُّر كالأغراب. إنني مخلوقةٌ من الغَمِّ والتُّراب ولوعة الاشتياق المريرة، وفي داخلي مكان فارغ كان يحتلُّه قلبي.

أصبحَت أصوات المضغ والازدراد التي تُصدِرها المرأة الأخرى لا تُطاق، فقالت كاتلين: «برِيان، لستُ بالصُّحبة الملائمة الآن. اذهبي وانضمِّي إلى الاحتفال إذا أردتِ. اشربي قرنًا من المِزر وارقُصي على أنغام قيثارة رايموند».

قالت برِيان: «لستُ مخلوقةً للاحتفالات يا سيِّدتي»، ومزَّقت يداها الكبيرتان رغيفًا من الخُبز الأسمر، ثم حدَّقت فيه كأنها نسيَت ماذا يكون، وأردفَت: «إذا أمرتِ، فـ...».

أحسَّت كاتلين بضيقها، فقالت: «خطرَ لي فقط أن تستمتعي بصُحبةٍ تسرُّ أكثر مني».

قالت الفتاة: «أنا راضية تمامًا»، واستخدمَت الخُبز لامتصاص القليل من دُهن اللَّحم المقدَّد الذي حُمِّرَ فيه السَّمك.

لم تدرِ كاتلين لماذا قالتها، لكنها قالت: «جاءَ طائر آخَر هذا الصَّباح، وأيقظَني المِايستر في الحال. كان يؤدِّي واجبه، لكن تصرُّفه لم يكن رحيمًا، لم يكن رحيمًا على الإطلاق». لم تكن تنوي أن تُخبِر برِيان، فلا أحد يعرف غيرها والمِايستر ڤايمان، وكانت تعتزم أن يظلَّ الأمر هكذا حتى... حتى...

حتى ماذا؟ أيتها الحمقاء، هل كتمانكِ لما حدثَ في قلبكِ سيجعله أقلَّ حقيقةً؟ إذا لم تُخبري أحدًا أبدًا، إذا لم تبوحي بشيء، فهل سيُصبِح مجرَّد حُلم، أو أقلَّ من حُلم؟ هل سيُصبِح كابوسًا بعيدًا شِبه منسي؟ أوه، ليت الآلهة بهذه الرَّحمة.

سألَتها برِيان: «أهي أنباء من كينجز لاندنج؟».

- «ليتها كانت كذلك. الطَّائر أتى من قلعة سروين، من السير رودريك أمين قلعتي». أجنحة سوداء، أخبار سوداء. «لقد حشد القوَّة التي يقدر عليها ويزحف إلى وينترفل لاستعادة القلعة». كم يبدو كلُّ هذا تافهًا الآن. «لكنه قال... كتبَ... أخبرَني أن...».

- «ما الأمر يا سيِّدتي؟ أهناك أخبار عن ابنيكِ؟».

سؤال في غاية البساطة، فليت الإجابة كانت بسيطةً مِثله. احتبسَت الكلمات في حَلق كاتلين حين حاولَت أن تتكلَّم، قبل أن تقول أخيرًا: «ليس لي أبناء غير روب». استطاعَت أن تلفظ الكلمات الرَّهيبة دون أن تنتحِب، وشعرَت بالامتنان لهذا القَدر على الأقل.

رمقَتها بِريان بهلع وقالت: «سيِّدتي؟».

- «بران وريكونَ حاوَلا الفرار، لكن قُبِضَ عليهما في طاحونةٍ عند نهر البلُّوط. ثيون جرايچوي علَّق رأسيهما على أسوار وينترفل، ثيون جرايچوي الذي أكلَ على مائدتي منذ كان في العاشرة». لتُسامِحني الآلهة، لقد قُلتها، قُلتها وجعلتُ ما حدثَ حقيقةً.

حوَّلت دموعها وجه بِريان إلى غمامةٍ ضبابيَّة، ومدَّت الفتاة يدها عبر المائدة، ثم توقَّفت قبل أنَ تَبلُغ أصابع كاتلين كأنها قد لا تُرَحِّب باللَّمسة، وقالت: «إنني... لا أجدُ ما أقوله يا سيِّدتي. سيِّدتي الكريمة، ابناكِ، إنهما... إنهما عند الآلهة الآن».

قالت كاتلين بحدَّة: «حقًّا؟ أيُّ آلهةٍ تلك التي تسمح بحدوث هذا؟ ريكون كان طفلًا صغيرًا، فكيف استحقَّ ميتةً كهذه؟ وبران... حين تركتُ الشَّمال كان لا يزال طريح الفِراش ولم يفتح عينيه منذ سقوطه، والآن لا يُمكنني أن أعود إليه أبدًا أو أسمعه يضحك ثانيةً»، وأرَت بِريان راحتيَّ يديها وأصابعها مواصلةً: «هذه النُّدوب... لقد أرسَلوا رجلًا يذبح بران في نومه، وكان ليموت عندئذٍ وأموت معه، لولا أن ذئب بران مزَّق حَلق الرَّجل»، وجعلَتها العبارة الأخيرة تَصمُت برهةً قبل أن تقول: «أعتقدُ أن ثيون قتلَ الذِّئبين كذلك، لا بُدَّ أنه فعلها، وإلَّا... كنتُ موقنةً من أن الصَّبيَّين سيكونا آمنيْن ما دامَ الذِّئبان الرَّهيبان معهما، مِثل روب وذئبه جراي ويند، لكن ابنتيَّ دون ذئبتيهما الآن».

أصابَ تغيير مجري الكلام المفاجئ بريان بالحيرة، فردَّدت: «ابنتاكِ...».

- «سانزا ليدي حقيقيَّة منذ كانت في الثَّالثة، شديدة الكياسة دائمًا وتوَّاقة لإسعاد مَن حولها، ولم تُغرَم بشيءٍ قَطُّ كغرامها بحكايات الفُرسان ومآثرهم الشُّجاعة. يقول النَّاس إنها تُشبِهني، لكنها ستَكبُر لتُصبِح امرأةً أجمل مني بكثير، وهذا واضح في ملامحها. كثيرًا صرفتُ خادمتها كي أصفِّف شَعرها

بنفسي. شَعرها بُنِّي ضارب إلى الحُمرة، أفتح لونًا من شَعري، وشديد الكثافة والنُّعومة... ما فيه من أحمر يعكس ضوء المشاعل فيتألَّق كالنُّحاس. أمَّا آريا... كثيرًا ما حسبَها زُوَّار ند صبيَّ اسطبلٍ إذا أتوا فجأةً ودخَلوا السَّاحة بخيولهم. آريا كانت بلوى، لا بُدَّ من الاعتراف بهذا، نِصف ولدٍ ونِصف جرو ذئب، تُحَرِّمين شيئًا ما عليها فيُصبِح غاية قلبها الوحيدة. كان لديها وجه ند الطَّويل، وشَعر بنِّي يبدو دومًا كأن طائرًا اتَّخذه عُشًّا، حتى قنطتُ من أن أجعل منها ليدي في يوم من الأيام. كانت تجمع الجروح كما تجمع الفتيات الأخريات الدُّمى، وتتفوَّه بكلِّ ما يَخطُر ببالها. أعتقدُ أنها ميتة أيضًا». حين قالت هذا أحسَّت كأن يدًا عملاقةً اعتصرَت صدرها، لكنها أردفَت: «أريدهم أن يموتوا جميعًا يا برِيان، ثيون جرايچوي أولًا، ثم چايمي لانستر وسرسي والعِفريت، كلهم بلا استثناء، كلهم بلا استثناء. لكن ابنتيَّ... ابنتيَّ سـ...».

قالت برِيان بارتباك: «الملكة... إن لديها ابنة صغيرة، وابنان أيضًا في عُمر ابنيكِ. عندما تعرف، فلربما... قد تُراوِدها الشَّفقة و...».

ابتسمَت كاتلين بحُزنٍ قائلةً: «تُعيد ابنتيَّ سالمتين؟ ثمَّة براءة حُلوة فيكِ يا صغيرتي. يُمكنني أن أتمنَّى هذا... لكن لا. روب سينتقم لأخويه. الجليد يَقتُل كما النَّار، و«جَليد» كان اسم سيف ند العظيم. كان مصنوعًا من الفولاذ الڤاليري، تُعَلِّمه تموُّجات انطواء المعدن على نفسه آلاف المرَّات، بالغ الحدَّة لدرجة أني كنتُ أخشى أن ألمسه. سيف روب ثلمٌ كالهرَّاوة مقارنةً بـ«جَليد»، وأخشى أن قطْع رأس ثيون به لن يكون سهلًا. كان ند يقول دائمًا إن على مَن يُصدِر الحُكم أن يُنَفِّذه بيديه، وإن لم يجد بهجةً في ذلك الواجب قَطُّ، لكني سأجدها، أوه، حقًّا سأجدها»، وحدَّقت في يديها النَّديبتيْن وفتحَتهما وأغلقَتهما، ثم رفعَت عينيها بتؤدةٍ قائلةً: «أرسلتُ إليه نبيذًا».

قالت برِيان حائرةً: «نبيذًا؟ إلى روب... أم ثيون جرايچوي؟».

- «إلى قاتِل الملك». لقد أفلحَت هذه الحيلة من قبل مع كليوس فراي. آملُ أن تكون ظمآن يا چايمي، آملُ أن يكون حَلقك جافًّا مسدودًا. «أريدكِ أن تأتي معي».

- «أنا رهن إشارتكِ يا سيِّدتي».

نهضَت كاتلين قائلةً: «عظيم. انتهي من وجبتكِ في سلام، وسأرسلُ إليك لاحقًا، عند منتصَف اللَّيل».

- «في تلك السَّاعة المتأخِّرة يا سيِّدتي؟».

قالت كاتلين: «الزَّنازين بلا نوافذ، فلا فارق بين ساعةٍ وأخرى هناك في الأسفل، وبالنِّسبة لي كلُّ السَّاعات منتصَف اللَّيل»، ورنَّت خطوات أقدامها بصوتٍ أجوف وهي تقطع القاعة مغادرةً، وبينما صعدَت الدَّرجات إلى غُرفة اللورد هوستر الشَّمسيَّة، سمعَتهم في الخارج يهتفون: «تَلي!» و«نخب اللورد الشَّاب الشُّجاع!»، فأرادَت أن تزعق فيهم: أبي لم يَمُت. ابناي ماتا لكن أبي لا يزال حيًّا عليكم اللَّعنة جميعًا، ولا يزال اللورد هنا.

كان اللورد هوستر غارقًا في النَّوم، وقال لها المايستر ڤايمان: «احتسى قدحًا من نبيذ النَّوم قبل مدَّةٍ قصيرة يا سيِّدتي. كان يتألَّم. لن يعرف أنكِ هنا».

ردَّت كاتلين: «لا يهمُّ». إنه ميت أكثر من حي، لكن فيه حياة أكثر من ابنيَّ المسكينين.

- «سيِّدتي، أيُمكنني أن أساعدكِ بأيِّ شيء؟ هل ترغبين في عقَّارٍ للنَّوم ربما؟».

- «أشكرك أيها المِايستر، لكن لا، فلن أتخلَّص من حُزني بالنَّوم. بران وريكون يستحقَّان أفضل من هذا مني. اذهب وانضمَّ إلى الاحتفال، سأجلسُ مع أبي هنا بعض الوقت».

قال ڤايمان: «كما تأمرين يا سيِّدتي»، وحنى رأسه وتركَها.

تمدَّد اللورد هوستر على ظَهره، فمه مفتوح وأنفاسه تنهُّدات مصحوبة بالصَّفير، وقد تدلَّت يده على حافة الفِراش كشيءٍ شاحبٍ واهنٍ بلا لحم، وإن وجدَتها دافئةً حين لمسَتها. شبَّكت أصابعها في أصابعه وأغلقَتها عليها مفكِّرةً بأسى: مهما تشبَّثتُ به فلا أستطيعُ إبقاءه هنا. دَعيه يرحل. وعلى الرغم من ذلك رفضَت أصابعها أن تتخلَّى عنه.

قالت له: «ليس لديَّ من أكلِّمه يا أبي. إنني أصلِّي، لكن الآلهة لا تُجيب»، ولثمَت يده بخفَّة. كانت بشرته دافئةً، والعروق الزَّرقاء تتفرَّع كروافد الأنهار

تحت جِلده الممتقع شِبه الشفَّاف. في الخارج كان كلا النَّهرين العظيمين يتدفَّق، فرع الثَّالوث الأحمر والجُلمود، وسيظلَّا يتدفَّقان إلى الأبد، أمَّا الأنهار في يد أبيها فلا، وقريبًا سيَسكُن هذا التيَّار تمامًا. «حلمتُ ليلة أمس بالمرَّة التي تُهتُ ولايسا فيها ونحن عائدون من سيجارد. هل تَذكُر؟ يومها حَلَّ هذا الضَّباب الغريب وأخفى بقيَّة الرَّكب، وصارَ كلُّ شيءٍ رماديًّا فلم أستطِع أن أرى أبعد من خَطم حصاني. ضللنا الطَّريق، وكانت فروع الأشجار كأذرُع طويلة ناحلة تمتدُّ للقبض علينا ونحن نمرُّ بينها. بدأت لايسا تبكي، وحين صِحتُ بدا كأن الضَّباب يبتلع صوتي، لكن پيتر أدركَ مكاننا وعادَ إلينا ووجدَنا... لكن ليس هناك من يجدني الآن، أليس كذلك؟ هذه المرَّة عليَّ أن أجد طريقي بنفسي، وطريقي صعب، صعب جدًّا. لا أنفكُّ أتذكَّر كلمات عائلة ستارك. لقد أتى الشِّتاء يا أبتاه، أتاني أنا، أتاني أنا. على روب أن يُحارِب عائلة جرايچوي الآن ناهيك بعائلة لانستر، ومن أجل ماذا؟ من أجل قُبَّعةٍ ذهبيَّة وكرسيٍّ حديد؟ لقد نزفَت البلاد بما فيه الكفاية. أريدُ أن أستردَّ ابنتيَّ، أريدُ أن يُغمِد روب سيفه وينتقي واحدةً من بنات والدر فراي الدَّميمات لتُسعِده وتمنحه أبناءً، أريدُ استعادة بران وريكون، أريدُ...»، وخفضَت كاتلين رأسها وردَّدت ثانيةً: «أريدُ»، ثم ماتَ الكلام.

بَعد فترةٍ تذبذبَ لهب الشَّمعة وانطفأ، وتسلَّل نور القمر إلى المكان من خصاص النَّافذة، راسمًا خطوطًا فضِّيَّةً شاحبةً على وجه أبيها، وتناهَى إلى مسامعها صوت أنفاسه الخافتة التي يلتقطها بصعوبة، وجريان المياه اللا نهائي، وأنغام واطئة لأغنيَّةٍ غراميَّة تتسرَّب من السَّاحة، كلها شجن وعذوبة إذ أنشدَها رايموند: «عشقتُ بنتًا حمراء كالخريف، في شَعرها نور الشَّمس».

لم تلحظ كاتلين متى انتهى الغناء. كانت ساعات كاملة قد مرَّت، لكنها بدَت لها كمدَّة نبضة قلبٍ واحدةٍ قبل أن تجد بِريان على الباب تقول: «سيِّدتي، إنه منتصَف اللَّيل».

فكَّرت: إنه منتصَف اللَّيل يا أبي، وعليَّ القيام بواجبي، وتخلَّت عن يده.

السجَّان رجل فضولي صغير الحجم، تلوح العروق المكسورة في أنفه، وقد وجدتاه مائلًا فوق دورقٍ من المِزر وبقايا فطيرة حمام، وسكرانًا إلى حَدٍّ

كبير. ضيَّق عينيه ورمقَهما بشَكٍّ قائلًا: «معذرة يا سيِّدتي، لكن اللورد إدميور قال ألَّا يرى أحد قاتِل الملك دون أمرٍ كتابي يحمل ختمه».

- «اللورد إدميور؟ هل ماتَ أبي ولَم يُخبِرني أحد؟».

لعقَ السجَّان شفتيه، وقال: «لا يا سيِّدتي، ليس على حَدِّ علمي».

- «إمَّا أن تفتح هذه الزِّنزانة أو تأتي معي إلى اللورد هوستر وتُخبِره لماذا تحدَّيت أوامري».

خفضَ ناظريه قائلًا: «كما تقول سيِّدتي». كانت المفاتيح معلَّقة في سلسلةٍ من الحزام الجِلدي المطعَّم بالحديد الذي يُحيط بخصره، وراحَ يُدَمدِم بصوتٍ خفيض وهو يفرزها حتى وجدَ مفتاح باب زنزانة قاتِل الملك.

قالت آمرةً: «عُد إلى شرابك واترُكنا»، ثم أنزلَت مصباح الزَّيت المعلَّق من خُطَّافٍ في السَّقف الواطئ، ورفعَت الإضاءة قائلةً: «بِريان، احرِصي على ألَّا يُقاطِعني أحد».

أومأَت بِريان واتَّخذت موضعًا خارج الزِّنزانة مباشرةً، وقد استراحَت يدها على قبيعة سيفها، وقالت: «ستُناديني سيِّدتي إذا احتاجَتني».

دفعَت كاتلين الباب الثَّقيل المصنوع من الخشب والحديد، وخطَت في الظَّلام مقيت الرَّائحة، فهي الآن في أحشاء ريفررَن التي تليق رائحتها بهذه التَّسمية حقًّا. طقطقَ القَشُّ القديم تحت قدميها، وقد لوَّثت الجُدران رُقع من النَّطرون، وتسلَّل إلى أذنيها خرير مياه الجُلمود الخافت عبر الحائط الحجري. كشفَ ضوء المصباح دلوًا مليئًا بالبراز في أحد الأركان وجسدًا مطأطأ الرَّأس في رُكنٍ آخَر، بينما استقرَّ إبريق النَّبيذ إلى جوار الباب دون أن تَنقُص منه قطرة. لا جدوى من هذه الحيلة. ربما حريٌّ بي أن أمتنَّ لأن السجَّان لم يشربه بنفسه.

رفعَ چايمي يديه يُغَطِّي وجهه فصلصلَت السَّلاسل المحيطة بمعصميه، وقال بصوتٍ بُحَّ من قِلَّة الاستعمال: «ليدي ستارك، أخشى أني لستُ في حالةٍ تسمح باستقبالكِ».

- «انظُر إليَّ يا هذا».

- «الضَّوء يُؤلِم عينيَّ. أمهِليني لحظةً». لم يُسمَح لچايمي لانستر بموسى

منذ ليلة أُسِرَ في الغابة الهامسة، فغطَّت لحية مشعثة وجهه الذي كان يُشبه وجه الملكة من قبل، وومضَت شُعيراتها الذَّهبيَّة في ضوء المصباح جاعلةً إياه يبدو كوحشٍ أصفر عظيم، مهيب باهر حتى وهو مكبَّل بالأغلال، أمَّا شَعر رأسه المتَّسِخ فسقطَ على كتفيه كالحبال المتشابكة، بينما تعفَّنت ثيابه على جسده ولاحَ وجهه شاحبًا ضاويًا... وعلى الرغم من كلِّ هذا ظلَّت قوَّة الرَّجل ووسامته بيِّنتيْن.

- «أرى أنك لم تتذوَّق النَّبيذ الذي أرسلته لك».

- «الكرم المفاجئ أثارَ في نفسي الشُّكوك نوعًا».

- «يُمكنني أن أقطع رأسك متى أردتُ، فلماذا أحاولُ تسميمك؟».

- «من الممكن أن يبدو الموت بالسُّمِّ طبيعيًّا، أسهل من أن تَزعُموا أن رأسي سقطَ من فوق كتفيَّ من تلقاء نفسه»، وضيَّق چايمي عينيه القِططيتين الخضراوين ورفعَهما عن الأرض وقد بدأتا تعتادان الضَّوء ببُطء، وقال: «كنتُ لأدعوكِ إلى الجلوس، لكن أخاكِ لم يُزَوِّدني بمقعد».

- «أستطيعُ الوقوف».

- «حقًّا؟ إنكِ تبدين في حالةٍ مزرية، لكن لعلَّ الإضاءة هنا هي السَّبب لا أكثر». كانت الأصفاد تُحيط بيديه وقدِميه، وكلٌّ منها مربوط بالآخَر بسلسلة، ما يجعله عاجزًا عن الوقوف والاضطجاع براحة، كما أن السِّلسلتين في قدميه مثبَّتتان في الحائط. «هل تبدو أساوري ثقيلةً بما يكفي أم أنكِ أتيتِ لتُضيفي إليها المزيد؟ سأجعلها تُصَلصِل بصوتٍ جميل إذا أردتِ».

قالت له: «أنت مَن فعلت هذا بنفسك. لقد منحناك وسائل الرَّاحة في زنزانة بُرج تُناسِب ميلادك ومكانتك، وردَدت الجميل بمحاوَلة الهرب».

- «الزِّنزانة زنزانة. بعض الزَّنازين تحت كاسترلي روك يجعل هذه تبدو كبستانٍ تُنيره الشَّمس. ربما أريكِ إياها ذات يوم».

إذا كان يحسُّ بالاضطراب، فإنه يُجيد إخفاءه. «يَجدُر برجل تُقيِّد السَّلاسل يديه وقدميه أن يتكلَّم بتهذيبٍ أكثر يا هذا، فلم آتِ إلى هنا لأتلقَّى التَّهديدات».

- «حقًّا؟ إذن فلا بُدَّ أنكِ جئتِ لتنالي قليلًا من اللذَّة مني. يُقال إن السَّأم

يُصيب الأرامل في أسرَّتهن، ومع أننا نُقسِم على عدم الزَّواج أبدًا في الحَرس الملكي، فأعتقدُ أني ما زلتُ قادرًا على أن أمتِّعكِ إذا كان هذا ما تحتاجين. صُبِّي لنا النَّبيذ واخلعي هذا الفُستان وسنرى إن كنتُ أستطيعُ».

رمقَته كاتلين بازدراءٍ مفكِّرةً: هل عرفَ العالم رجلًا بوسامة هذا أو حقارته يومًا؟ «لو قلت هذا الكلام في وجود ابني لقتلَك».

هَزَّ چايمي لانستر سلاسله فصلصلَت في وجهها وهو يقول: «فقط ما دمتُ مقيَّدًا بهذه. كلانا يعلم أن الصَّبي خائف من مواجَهتي في نزالٍ فردي».

- «قد يكون ابني صغيرًا، لكن إذا كنت تحسبه أحمق، فأنت مخطئ للأسف... ثم إنك لم تُبادِر بتحدٍّ مشابه حين كان جيشك وراءك».

- «هل كان ملوك الشِّتاء القُدامى يختبئون وراء أمَّهاتهم أيضًا؟».

- «سئمتُ هذا الكلام الفارغ يا هذا. ثمَّة أشياء يجب أن أعرفها».

- «ولِمَ أُخبركِ بأيِّ شيء؟».

- «لتُنقِذ حياتك».

قال كأنه وجد الفكرة طريفةً: «أتعتقدين أني أخشى الموت؟».

- «يَجدُر بك أن تخاف، فلا بُدَّ أن آثامك ضمنَت لك مكانًا في قرار أعمق الجحائم السَّبع إذا كانت الآلهة عادلةً».

- «أيُّ آلهةٍ تلك يا ليدي كاتلين؟ الآلهة التي كان زوجكِ يُصَلِّي لها؟ بِمَ نفعَته حين قطعَت أختي رأسه؟»، وأطلقَ چايمي ضحكةً قصيرةً، وتابعَ: «إذا كان للآلهة وجود، فلماذا يعجُّ العالم بالألم والظُّلم؟».

- «بسبب أمثالك من الرِّجال».

- «ليس هناك رجال مِثلي، هناك أنا فقط».

لا شيء هنا غير الغرور والغطرسة وشَجاعة رجلٍ مجنونٍ فارغة. إنني أبدِّدُ أنفاسي في الكلام معه. لو كان يملك شرارة شَرفٍ واحدة فقد همدَت منذ زمن. «ليكن إذن، ما دُمت لن تتكلَّم معي، فاشرب النَّبيذ أو بُل فيه يا هذا، لا أبالي».

كانت يدها على مقبض الباب بالفعل حين قال: «ليدي ستارك»، فالتفتَت

منتظرةً، وتابعَ چايمي: «كلُّ شيءٍ يُصيبه الصَّدأ في هذه الرُّطوبة، حتى التَّهذيب. ابقي وستَحصُلين على إجاباتكِ... لكن مقابل ثَمن».

إنه بلا حياء على الإطلاق. «الأسرى لا يُحَدِّدون الأثمان».

- «أوه، ستجدين ثَمني متواضعًا كفايةً. سجَّانكم لا يُخبِرني إلَّا بالأكاذيب البغيضة، ولا يستطيع حتى تذكُّرها بوضوح. في يومٍ يقول إن سرسي سُلِخَت، وفي اليوم التَّالي يقول إنه أبي. أجيبي أسئلتي وسأُجيبُ أسئلتكِ».

- «بصدق؟».

- «أوه، أتَنشُدين الصِّدق؟ حذارِ يا سيِّدتي. تيريون يقول إن النَّاس يتعطَّشون للحقيقة كثيرًا، لكنها نادرًا ما تروقهم حين يتذوَّقوها».

- «أنا قويَّة بما فيه الكفاية لأن أسمع أيَّ شيءٍ تقوله».

- «كما تُريدين إذن، لكن أولًا، إذا سمحتِ... النَّبيذ، فحَلقي جافٌّ تمامًا».

علَّقت كاتلين المصباح على الباب وقرَّبت الكوب والإبريق منه، ودوَّر چايمي النَّبيذ في فمه قبل أن يبتلعه، ثم قال: «مُرٌّ ورديء، لكن سيكفي»، وأسندَ ظَهره إلى الحائط وضَمَّ رُكبتيه إلى صدره، ورمقَها قائلًا: «سؤالك الأول يا ليدي كاتلين».

لم تدرِ كاتلين كم ستطول هذه اللُّعبة، فلم تُضَيِّع وقتًا، وسألَت: «أأنت أبو چوفري؟».

- «لم تكوني لتسألي لو أنكِ تجهلين الإجابة».

- «أريدُ أن أسمعها من فمك».

هَزَّ كتفيه قائلًا: «چوفري ابني، كبقيَّة أولاد سرسي على ما أعتقدُ».

- «تعترف بأنك عشيق أختك؟».

- «لطالما عشقتُ أختي، والآن تدينين لي بإجابتين. أما زالَ جميع أهلي أحياء؟».

- «قيلَ لي إن السير ستافورد لانستر قُتِلَ في أوكسكروس».

لم يبدُ تأثُّر على چايمي، وقال: «كانت أختي تُلَقِّبه بعمِّنا المغفَّل. لا أبالي بغير سرسي وتيريون، والسيِّد والدي كذلك».

- «ثلاثتهم أحياء». لكن ليس طويلًا بمشيئة الآلهة.

رشفَ چايمي قليلًا من النَّبيذ، وقال: «سؤالك التَّالي».

تساءلَت كاتلين إن كان سيجرؤ على إجابة هذا السُّؤال بشيءٍ سوى الكذب، لكنها سألَته: «كيف سقطَ ابني بران؟».

- «دفعته من نافذة».

سلبَتها البساطة التي قالها بها أنفاسها لحظةً، وقالت لنفسها: لو كان معي سكِّين لقتلته الآن، لكنها تذكَّرت الفتاتين، وبصوتٍ مبحوحٍ قالت: «لقد كنتَ فارسًا، أقسمتَ على حماية الضُّعفاء والأبرياء».

- «ربما كان ضعيفًا، لكن ليس بريئًا لهذه الدَّرجة. كان يتجسَّس علينا».

- «لم يكن بران ليتجسَّس أبدًا».

- «لومي آلهتكِ الغالية إذن لأنها ذهبَت بابنكِ إلى نافذتنا وجعلَته يرى شيئًا لم يكن يجب أن يراه إطلاقًا».

قالت مبهوتةً: «ألومُ الآلهة؟ أنت مَن دفعته بيدك هذه. كنت تريده أن يموت».

صلصلَت سلاسلة بخفوتٍ وهو يقول: «نادرًا ما أُلقي الأطفال من علٍ بغرض تحسين صحَّتهم. نعم، أردته أن يموت».

- «ولمَّا لم يَمُت، أدركت أن الخطر أصبحَ أسوأ، فأعطيت لقاتلك المأجور صُرَّةً من الفضَّة لتتأكَّد أن بران لن يُفيق أبدًا».

قال چايمي: «فعلًا؟»، ورفعَ الكوب وأخذَ رشفةً طويلةً قبل أن يُتابِع: «لن أنكر أننا ناقَشنا هذا، لكنكِ كنتِ مع الصَّبي طيلة اللَّيل والنَّهار، واللورد إدارد ومِايستركم كانا يزورانه باستمرار، وكان هناك حُرَّاس، وحتى تلك الذِّئاب الرَّهيبة الملعونة... كان وصولي إليه ليتطلَّب أن أقتل نِصف وينترفل، فلِمَ أجشِّمُ نفسي هذا العناء وقد بدا أن الصَّبي سيموت من تلقاء نفسه؟».

- «كذبك عليَّ يعني نهاية هذه الجلسة»، ورفعَت كاتلين يديها تُريه راحتيها وأصابعها قائلةً: «الرَّجل الذي جاءَ ليذبح بران أصابَني بهذه الجروح. أتُقسِم أن لا دور لك في إرساله؟».

- «بشَرفي كلانستر».

قالت: «شَرفك كلانستر يُساوي أقلَّ من هذا»، وركلَت دلو الفضلات، فسالَت القذارة البنِّيَّة لعينة الرَّائحة على أرض الزِّنزانة تتخلَّل القَش.

تراجعَ چايمي لانستر بعيدًا عن المسكوب بقدر ما تُتيح أغلاله، وقال: «قد يكون شَرفي خراءً حقًّا، لن أنكر هذا، لكني لم أستأجر أحدًا يَقتُل لحسابي في حياتي كلها. صدِّقي ما تُصَدِّقين يا ليدي ستارك، لكني لو أردتُ موت ابنكِ بران لقتلته بنفسي».

لترحمني الآلهة، إنه يقول الحقيقة. «إذا لم تُرسِل القاتل، فأختك هي من أرسلَته».

- «كنتُ لأعرف لو أنها فعلَت. سرسي لا تُخفي أسرارًا عني».

- «إنه العِفريت إذن».

- «تيريون بريء كابنكِ بران، كما أنه لم يكن يتسلَّق ليتجسَّس من نافذة أحد».

- «لماذا كان القاتل يحمل خنجره إذن؟».

- «أيُّ خنجر؟».

باعدَت بين يديها قائلةً: «كان بهذا الطُّول، لا زخارف عليه وإنما مصنوع بعناية، نصله من الفولاذ الڤاليري ومقبضه من عظم التنِّين، وربحَه أخوك من اللورد بايلش في دورة المباريات يوم ميلاد الأمير چوفري».

صَبَّ لانستر وشربَ، وعاد يصبُّ وتطلَّع إلى الكوب قائلًا: «يبدو أن هذا النَّبيذ يتحسَّن كلما شربته، تصوَّري؟ أعتقدُ أني أذكرُ هذا الخنجر الآن وقد وصفتِه. تقولين إنه ربحَه؟ كيف؟».

- «بالرَّهان عليك حين نازلت فارس الزُّهور»، لكن بمجرَّد أن سمعَت كاتلين الكلمات تَخرُج من فمها، أدركَت أنها أخطأَت، فقالت: «لا... أكان العكس؟».

قال چايمي: «تيريون كان يُراهِن عليَّ دائمًا في أيِّ نزال، لكن يومها أسقطَني السير لوراس عن حصاني. كان سوء تقدير مني لأني استخففتُ بالصَّبي، لكن لا يهمُّ. أيًّا كان ما راهنَ به أخي فقد خسرَه... لكن صاحِب هذا الخنجر تغيَّر فعلًا، الآن أذكرُ. روبرت أراني إياه ليلتها أثناء المأدبة، فجلالته

كان يُحِبُّ صَبَّ الملح على جروحي، خصوصًا وهو سكران، ومتى لم يكن سكرانًا؟».

تذكَّرت كاتلين أن تيريون لانستر قال الكلام نفسه تقريبًا في جبال القمر، ورفضَت أن تُصَدِّقه، أمَّا پيتر فأقسمَ على العكس، پيتر الذي كان بمثابة أخيها، پيتر الذي أحبَّها لدرجة أنه خاضَ نزالًا من أجل أن يخطبها... لكن إذا كان چايمي وتيريون يقولان الكلام نفسه، فما الذي يعنيه هذا؟ الأخوان لم يلتقيا منذ غادَرا وينترفل منذ أكثر من عام. ثمَّة شَركٌ ما هنا. سألَته: «هل تُحاوِل خداعي؟».

- «لقد أقررتُ بإلقاء طفلكِ الغالي من نافذة، فماذا سأجني من الكذب بخصوص ذلك الخنجر؟»، وأفرغَ كوب نبيذٍ آخَر في جوفه، وأردفَ: «صدِّقي ما تُريدين، فلم أعُد أعبأ بما يقوله النَّاس عني. والآن دوري. هل دخلَ أخوا روبرت المعركة؟».

- «نعم».

- «جواب شديد الاختصار. أخبِريني بالمزيد وإلَّا كانت إجابتي التَّالية مختصرةً أيضًا».

قالت مغتاظةً: «ستانيس يزحف إلى كينجز لاندنج، ورنلي ماتَ، اغتالَه أخوه في «جسر العلقم» بسِحرٍ أسود ما لا أفهمه».

قال چايمي: «خسارة. كنتُ أحبُّ رنلي، أمَّا ستانيس فمسألة أخرى تمامًا. إلى أيِّ جانب انضمَّ آل تايرل؟».

- «رنلي أولًا، أمَّا الآن فلا أدري».

- «لا بُدَّ أن ابنكِ يَشعُر بالوحدة».

- «روب أتمَّ السَّادسة عشرة قبل أيام قليلة... إنه رجل بالِغ، وملك، وفازَ بكلِّ معركةٍ خاضَها. آخِر أخبارٍ أتتنا منه تقول إنه استولى على «الجُرف» من آل وسترلينج».

- «إنه لم يُواجِه أبي بعدُ، أليس كذلك؟».

- «عندما يفعل، سيهزمه كما هزمَك».

- «لقد أخذَني على حين غرَّة، خدعة شخصٍ جبان».

- «هل تجرؤ على الكلام عن الخداع؟ أخوك تيريون أرسلَ لنا قتلةً مأجورين في هيئة مبعوثين تحت راية السَّلام».

- «لو كان أحد أبنائكِ في هذه الزِّنزانة، أفلم يكن أخواه ليفعلا المِثل من أجله؟».

قالت لنفسها: ابني بلا إخوة، لكنها لن تبوح بآلامها أمام مخلوقٍ كهذا.

أخذَ چايمي رشفةً أخرى، وقال: «ما قيمة الشَّرف حين تكون حياة أخٍ على المحك، هه؟». رشفة أخرى. «تيريون ذكيٌّ بما يكفي لإدراك أن ابنكِ لن يُوافِق أبدًا على إطلاق سراحي لقاء فدية».

لم تستطِع كاتلين الإنكار، وقالت: «حمَلة راية روب يُؤثِرون موتك، ريكارد كارستارك تحديدًا. لقد قتلت اثنين من أبنائه في الغابة الهامسة».

تساءلَ چايمي: «كانا يضعان رمز الشَّمس المتفجِّرة البيضاء، أليس كذلك؟»، وهَزَّ كتفيه قائلًا: «الحقيقة أني كنتُ أستهدفُ ابنكِ، والاثنين الآخَرين اعترَضا طريقي. لقد أجهزتُ عليهما في قتالٍ عادلٍ في حومة المعركة. أيُّ فارسٍ آخَر كان ليفعل المِثل».

- «كيف تظلُّ تَعدُّ نفسك فارسًا وقد حنثت بكلِّ يمينٍ حلفتها؟».

مَدَّ چايمي يده إلى الإبريق وملأ كوبه قائلًا: «أيمان كثيرة جدًّا... يجعلون المرء يحلف ويحلف. دافِع عن الملك، أطِع الملك، حافِظ على أسراره، نفِّذ أوامره، ابذُل حياتك دفاعًا عن حياته، لكن أطِع أباك، أحبَّ أختك، احمِ الأبرياء، دافِع عن الضُّعفاء، احترم الآلهة، أطِع القوانين. كثير جدًّا، ومهما فعلتِ فإنكِ تحنثين بيمينٍ ما لتصوني أخرى»، وأخذَ جرعةً كبيرةً من النَّبيذ، وأغلقَ عينيه لحظةً وقد أسندَ رأسه على رُقعة النَّطرون على الحائط، وغمغمَ: «كنتُ أصغر رجلٍ يرتدي معطفًا أبيض على الإطلاق».

- «وأصغر من يخون كلَّ ما يُمَثِّله هذا المعطف يا قاتِل الملك».

ردَّد الكلمة ببُطءٍ شديد: «قاتِل الملك... وياله من ملك!»، ورفعَ الكوب قائلًا: «نخب إيرس تارجاريَن الثَّاني، سيِّد الممالك السَّبع وحامي البلاد! ونخب السَّيف الذي شَقَّ حَلقه، سيف ذهبيٌّ لا أقل، حتى سالَت دماؤه على النَّصل. إنهما لونا لانستر، الأحمر على الذَّهبي».

لمَّا ارتفعَت ضحكته، أدركَت أن النَّبيذ أحدثَ أثره وقد أفرغَ چايمي معظم الإبريق واكتنفَ السُّكر عقله، وقالت: «فقط رجل مِثلك يفخر بفعلةٍ كهذه».

- «قلتُ لكِ إن لا رجال مِثلي. أجيبي هذا السُّؤال يا ليدي ستارك: هل أخبركِ زوجكِ ند كيف ماتَ أبوه؟ أو أخوه؟».

- «خنَقوا براندون على مرأى من أبيه، ثم قتَلوا اللورد ريكارد أيضًا». حكاية قبيحة هذه، وعُمرها ستَّة عشر عامًا، فلِمَ يسأل عنها الآن؟

- «قتَلوه، نعم، لكن كيف؟».

- «بحبلٍ أو فأسٍ على ما أظنُّ».

رشفَ چايمي من النَّبيذ ومسحَ فمه، وقال: «لا ريب أن ند أرادَ إعفاءكِ من التَّفاصيل. كنتِ عروسه الشَّابَّة الجميلة، لكن ليس العذراء. حسنٌ، لقد أردتِ الحقيقة، فسَليني. إن بيننا اتِّفاق، فلن أحجب عنكِ شيئًا. سَلي».

- «لا فارق بين موتٍ وآخَر». لا أريدُ أن أعرف هذا!

- «كان براندون مختلفًا عن أخيه، أليس كذلك؟ في عروقه كانت دماء لا مياه باردة، أقربُ إليَّ نوعًا».

- «براندون لم يكن يُشبِهك في شيء».

- «كما تقولين. كان من المفترَض أن تتزوَّجيه».

- «كان في طريقه إلى ريڤررَن حين...». غريب أن الحكي عن هذا لا يزال يُشعِرها بغصَّةٍ في حَلقها بَعد كلِّ هذه السِّنين. «... حين سمعَ بما حدثَ لليانا، فذهبَ إلى كينجز لاندنج بدلًا من هذا. كان تصرُّفًا متهوِّرًا». تذكَّرت غضبة أبيها عندما بلغَت الأخبار ريڤررَن، وكيف نعتَ براندون بالأحمق الشُّجاع.

صَبَّ چايمي آخِر ما تبقَّى من النَّبيذ قائلًا: «دخلَ القلعة الحمراء على حصانه مع عددٍ من رفاقه، ونادى ريجار داعيًا إياه أن يَخرُج ويموت، لكن ريجار لم يكن هناك، وأرسلَ إيرس حَرسه لاعتقالهم جميعًا بتُهمة التَّآمُر على قتل ابنه».

قالت كاتلين: «إيثان جلوڤر كان مُرافِق براندون، النَّاجي الوحيد منهم. الآخَرون كانوا چيفوري ماليستر وكايل رويس وإلبرت آرن، ابن أخي چون آرن ووريثه». غريب أيضًا أنها لا تزال تتذكَّر الأسماء كلها حتى الآن. «اتَّهمهم

إيرس بالخيانة وأخذَهم رهائن واستدعى آباءهم إلى البلاط ليُجيبوا عن الاتِّهامات، وحين أتوا قتلَهم دون محاكَمة، الآباء والأبناء».

- «ثمَّة محاكَماتٍ عُقِدَت، لكن من نوعٍ مختلف. اللورد ريكارد طالبَ بمحاكَمةٍ بالنِّزال، واستجابَ الملك، فدرَّع ستارك نفسه للمعركة متصوِّرًا أنه سيُبارِز واحدًا من فُرسان الحَرس الملكي، ربما أنا، وبدلًا من هذا أخَذوه إلى قاعة العرش وعلَّقوه من عوارض السَّقف بينما أشعلَ اثنان من پايرومانسرات إيرس لهبًا من تحته، وقال له الملك إن النَّار هي نصير عائلة تارجاريَن، وكلُّ ما على اللورد ريكارد أن يفعله لإثبات براءته من الخيانة... ألَّا يحترِق. جلَبوا براندون حين تأجَّجت النَّار. كانت يداه مسلسلَتين وراء ظَهره، وحول عُنقه كان وتر جِلدي مبتل متَّصل بآلةٍ أتى بها الملك من تايروش، لكن ساقاه كانتا حُرَّتين، وسيفه الطَّويل بعيد عنٍ متناوَله بعض الشَّيء. شوى الپايرومانسران اللورد ريكارد على مهل، متحكِّمين في النَّار بعنايةٍ شديدة لتوزيع الحرارة، فاشتعلَ معطفه أولًا، ثم سُترته، وبَعد قليلٍ لم يَعُد يرتدي شيئًا غير المعدن والرَّماد. أكَّد إيرس أن الخطوة التَّالية أن يُطهى لحمه... ما لم يستطِع ابنه تحريره، وحاولَ براندون حقًّا، لكن كلما كافحَ أكثر لبلوغ سيفه ضاقَ الوتر حول عُنقه، وفي النِّهاية خنقَ نفسه. أمَّا اللورد ريكارد فقد استحالَ واقي صدره إلى لونٍ أحمر كالكرز قُرب النِّهاية، وذابَ الذَّهب عن مهمازي حصانه وسالَ في النَّار. كنتُ واقفًا عند قاعدة العرش الحديدي في دِرعي البيضاء ومعطفي الأبيض، أشغلُ عقلي بالتَّفكير في سرسي، وبَعدها انتحى بي چيرولد هايتاور نفسه جانبًا وقال: «لقد أقسمت على حماية الملك لا الحُكم عليه». هكذا كان الثَّور الأبيض، مخلصًا إلى النِّهاية ورجلًا أفضل مني كما يتَّفق الجميع».

- «إيرس...». أحسَّت كاتلين بمذاق الصَّفراء في مؤخِّرة حَلقها. القصَّة بالِغة البشاعة لدرجة أنها تكاد تقتنع بصِدقها. «إيرس كان مجنونًا، والبلاد كلها تعلم هذا، لكن إذا كنت تُريدني أن أصدِّق أنك قتلته ثأرًا لبراندون ستارك...».

- «لم أدَّعِ شيئًا كهذا. آل ستارك لم يكونوا يعنون لي شيئًا. دعيني أقول إنني أجدُ من الغريب نوعًا أن يُحِبَّني شخص واحد لمعروفٍ لم أصنعه قَطُّ،

بينما يكرهني كثيرون آخرون بسبب أفضل ما اقترفتُ من أفعال. يوم تتويج روبرت أُمِرتُ بالرُّكوع عند قدميه الملكيَّتين إلى جوار المِايستر الأكبر پايسل وفارس الخصيِّ، كي يغفر لنا جرائمنا قبل أن يُلحِقنا بخدمته، أمَّا ند فكان عليه أن يُقَبِّل اليد التي قتلَت إيرس، لكنه فضَّل أن يُؤَنِّبني لأنه وجدَني جالسًا على عرش روبرت. أعتقدُ أن ند ستارك أحبَّ روبرت أكثر مما أحبَّ أخاه أو أباه... أو أنتِ نفسكِ يا سيِّدتي. إنه لم يَخُن روبرت قَطُّ، أليس كذلك؟»، وأطلقَ چايمي ضحكةً ثَمِلةً وأردفَ: «هلمِّي يا ليدي ستارك، ألا تجدين كلَّ هذا طريفًا؟».

- «لا أجدُ فيك شيئًا طريفًا البتَّة يا قاتِل الملك».

- «هذا الاسم ثانيةً. لا أعتقدُ أني سأضاجعكِ. الإصبع الصَّغير نالَكِ أولًا، أليس كذلك؟ إنني لا آكلُ من طبق رجلٍ آخَر أبدًا، ثم إنك لا تُدانين أختي جمالًا ولو من بعيد»، وأضافَ بابتسامةٍ قاطعة كالسكين: «إنني لم أنم مع امرأةٍ أخرى غير سرسي قَطُّ، أي أني على طريقتي الخاصَّة أكثر إخلاصًا مما كان حبيبكِ ند في حياته كلها، ند الميت المسكين. مَن شَرفه خراء الآن إذن؟ ما اسم النَّغل الذي أنجبَه؟».

تراجعَت كاتلين خطوةً قائلةً: «بِريان».

قلبَ چايمي لانستر الإبريق، وعلى وجهه سالَت قطرة نبيذٍ حمراء كالدَّم وهو يقول: «لا، لم يكن هذا اسمه... سنو، نعم، يا له من اسم أبيض! أبيض كالمعاطف الثَّمينة التي يُعطوننا إياها في الحَرس الملكي حينَ نحلف أيماننا الثَّمينة».

دفعَت بِريان الباب ودخلَت الزِّنزانة قائلةً: «هلناديتِ يا سيِّدتي؟».

مدَّت كاتلين يدها إليها، وقالت: «ناوِليني سيفكِ».

ثيون

كانت السَّماء ملبَّدةً بالسَّحاب القاتم والغابة ماتَت وتجمَّدت، وحاولَت الجذور الالتفاف حول قدميّ ثيون وهو يجري، وجلدَته الأغصان العارية على وجهه مخلِّفةً خطوطًا داميةً رفيعةً على وجنتيه، بينما اندفعَ مخترقًا إياها متقطِّع الأنفاس لا يلوي على شيء، تتناثَر كُتل الجليد أمامه وتتحطَّم. تمتمَ منتحبًا: الرَّحمة، ومن ورائه جاءَ عُواء مزلزِل جمَّد الدِّماء في عُروقه. الرَّحمة، الرَّحمة. حين ألقى نظرةً من فوق كتفه رأى أنهما قادمان، ذئبان عملاقان كحصانين ولكلٍّ منهما رأس صبيٍّ صغير. أوه، الرَّحمة، الرَّحمة. تقاطرَ الدَّم من فميهما الأسودين كالقار، يُحرِق الثَّلج ويَثقُبه أينما سقطَ، وكلُّ وثبةٍ تُقَصِّر المسافة بينهما وبينه أكثر فأكثر. حاولَ ثيون أن يَجري أسرع، لكن ساقيه رفضتا طاعته، والأشجار كلها كانت لها وجوه تضحك منه، تضحك وتضحك، وتردَّد العُواء من جديد. كان يشمُّ أنفاس الوحشين الحارَّة من خلفه، رائحة هي مزيج من الكبريت والعفن. أرادَ أن يَصرُخ: إنهما ميتان، ميتان. شهدتُ مقتلهما بنفسي، ورأيتُ رأسيهما يُغمَسان في القطران، لكن عندما حاولَ أن يفتح فاه لم يَخرُج منه أكثر من أنين، ثم مسَّه شيء فدارَ صائحًا...

... تمتدُّ يده إلى الخنجر الموضوع إلى جوار فِراشه، فتُسقِطه أرضًا لا أكثر. وثبَ وِكس مبتعدًا، بينما وقفَ ريك وراء الصَّبي الأخرس، وقد أضاءَت الشَّمعة التي يحملها وجهه من أسفل، فصاحَ ثيون: «ماذا؟!». الرَّحمة. «ماذا تُريدان؟ لماذا أنتما في غُرفتي؟ لماذا؟!».

قال ريك: «سيِّدي الأمير، لقد وصلَت أختك إلى وينترفل. كنتَ طلبتَ إبلاغك في الحال إذا جاءَت».

غمغمَ تيريون ممرِّرًا أصابعه في شَعره: «أخيرًا». كان قد بدأ يتوجَّس خيفةً من أن تَترُكه آشا لمصيره. الرَّحمة. نظرَ خارج النَّافذة، حيث كانت أولى خيوط ضوء الفَجر تمسُّ أبراج وينترفل، وسأَلَ: «أين هي؟».

- «لورن أخذَها ورجالها إلى القاعة الكُبرى ليتناوَلوا إفطارهم. هل ستراها الآن؟».

كانت جمار قليلة قد تبقَّت من النَّار في المستوقَد. دفعَ ثيون الأغطية قائلًا: «نعم. وِكس، أريدُ ماءً ساخنًا». لن يجعل آشا تراه ملبَّد الشَّعر غارقًا في العَرق. ذئبان بوجهيٍّ طفلين... سرَت رعدة في جسده، فقال: «أغلِق السَّتائر». كانت غُرفة النَّوم باردةً كما الغابة في حُلمه.

كلُّ أحلامه في الآونة الأخيرة باردة، وكلٌّ منها أبشع من سابقه. ليلة أمس حلمَ بأنه في الطَّاحونة من جديد، على رُكبتيه يكسو الميتيْن بالثِّياب. كانت أطرافهما قد بدأت تتيبَّس بالفعل، فبدا كأنهما يُقاوِماه بوجوم صامتٍ ويداه تتحرَّكان على جسديهما بأصابع شِبه متجمِّدة، يسحب هذه السَّراويل إلى أعلى ويعقد أربطة تلك، ويُثبِّت الأحذية المبطَّنة بالفرو على أقدامٍ صُلبة لا تلين، ويربط حزامًا جِلديًّا مطعَّمًا بالحديد حول خصرٍ لا يزيد حجمه على عرض كفَّيه. قال لهما وهو يعمل: «لم أرغب في هذا قَطُّ، لكنهما لم يُعطِياني الخيار». لم تُجِب الجثَّتان، فقط اشتدَّت برودتهما وزاد ثِقلهما.

وقبلها بليلةٍ كانت زوجة الطحَّان. نسيَ ثيون اسمها، أمَّا جسدها فيَذكُره، نهدان كوسادتين ليِّنتين، وتجعُّدات صغيرة على بطنها، والطَّريقة التي غرسَت بها أظفارها في ظَهره حين ضاجعَها. ليلتها في حُلمه كان معها ثانيةً في الفِراش، لكن هذه المرَّة، بالإضافة إلى الأسنان في فمها، كانت لديها أسنان أخرى وراء شُفريها في الأسفل، وفي آنٍ واحدٍ مزَّقت حَلقه وقضمَت ذَكره. كان جنونًا. هي أيضًا رآها تموت وقد فتكَ بها جلمار بضربةٍ واحدةٍ من فأسه بينما صرخَت متوسِّلةً الرَّحمة من ثيون. اترُكيني يا امرأة. هو من قتلَكِ وليس أنا، وهو أيضًا ميت. على الأقل لا يُلاحِقه جلمار في منامه.

كان الحُلم قد انحسرَ إلى مؤخِّرة عقله حين عادَ وِكس بالماء، فغسلَ ثيون جسده من العَرق وآثار النَّوم واستغرقَ وقته في ارتِداء ثيابه. لقد تركَته آشا ينتظر طويلًا، والآن دورها. اختارَ قميصًا من الحرير المخطَّط بالأسود والذَّهبي وصُدرةً من الجِلد الفاخر المطعَّم بالفضَّة... وعندها فقط تذكَّر أن أخته الملعونة تعبأ بالسِّلاح أكثر من التجمُّل، فأطلقَ سبابًا ساخطًا وخلعَ ثيابه وارتدى أخرى من الصُّوف الأسود الملبَّد والحلقات المعدنيَّة، وحول وسطه ثبَّت حزام السَّيف والخنجر، متذكِّرًا ليلة جعلَت منه آشا أضحوكةً وهو جالس إلى مائدة أبيه. طفلها الرَّضيع الجميل، نعم. طيِّب، أنا أيضًا أملكُ سكِّينًا، وأعرفُ كيف أستخدمه.

أخيرًا ارتدى تاجه، الحلقة الحديد الباردة الرَّفيعة كالإصبع، المرصَّعة بكُتلٍ ثقيلة من الماس الأسود والتِّبر. كان قبيحًا غير متناسق، لكن لا بديل، فميكِّن مدفون في باحة القبور، والحدَّاد الجديد لا يُجيد أكثر من صُنع المسامير وحدوات الخيول. واسى ثيون نفسه بتذكيرها بأنه مجرَّد تاج أمير، وسيرتدي شيئًا أفخم كثيرًا حين يُتوَّج ملكًا.

انتظرَ ريك خارج بابه مع أورزن وكروم، وساروا في أعقابه. هذه الأيام يأخذ حَرسًا معه أينما ذهبَ، حتى المرحاض.

وينترفل تُريده ميتًا.

ليلة عادوا من عند نهر البلُّوط، سقطَ جلمار العابس من على السَّلالم وكسرَ ظَهره، وفي اليوم التَّالي وجدوا آجار بحَلقٍ مشقوق من الأذن إلى الأذن، أمَّا جاينير ردنوز فقد أصابَه الشَّكُّ في كلِّ شيءٍ حتى إنه امتنعَ تمامًا عن النَّبيذ، وأصبحَ لا ينام إلَّا وهو يرتدي قميصًا معدنيًّا وقُبَّعةً واقيةً وخوذةً، وتبنَّى أعلى الكلاب نباحًا في الوجار ليُنذِره إذا حاولَ أيُّ أحدٍ التسلُّل إلى مكان نومه، وعلى الرغم من هذا استيقظَت القلعة في صباحٍ على صوت كلب صغيرٍ ينبح بجنون، ووجدوا الجرو يجري حول البئر التي طفَت فيها جثَّة ردنوز الغارقة.

لم يستطِع أن يَترُك القتل يمرُّ بلا عقاب. كان فارلن مشتبهًا به محتملًا كغيره، فجلسَ ثيون قاضيًا وأعلنَ أنه مذنب وحكمَ عليه بالموت. حتى

هذا كان تجربةً مريرةً، فإذ ركعَ قيِّم وجار الكلاب عند قالب الخشب، قال: «سيِّدي اللورد إدارد كان يَقتُل بيده دائمًا»، فكان على ثيون أن يضرب بالفأس بنفسه وإلَّا بدا ضعيفًا. كانت يداه تتصبَّبان عَرقًا، فانزلقَ المقبض في قبضته وهو يضرب، لتنغرس الفأس بين كتفيِّ فارلن، وتطلَّب الأمر ثلاث ضرباتٍ أخرى لشَقِّ كلِّ هذه العظامِ والعضلات وفصْل الرَّأس عن الجسد، وبَعدها أصابَه الغثيان وقد تذكَّر كلَّ المرَّات التي جلسا فيها يحتسيان البِتع ويُثَرثِران عن الكلاب والصَّيد. أرادَ أن يَصرُخ في الجثَّة: لم أكن أملكُ خيارًا. حديديُّو الميلاد لا يستطيعون كتمان الأسرار. كان يجب أن يموتوا ويُلام أحد على موتهم. تمنَّى فقط لو أنه منحَه ميتةً أنظف. نِد ستارك لم يكن يحتاج أكثر من ضربةٍ واحدةٍ لقطع رأس رجل.

توقَّف القتل بَعد موت فارلن، وعلى الرغم من ذلك ظَلَّ رجاله يبدون متجهِّمين قلقين، وقال له لورن الأسود: «إنهم لا يخافون أحدًا في المعركة، لكن الإقامة وسط الأعداء شيء آخَر. لا تدري إن كانت الغسَّالة تُريد أن تُقَبِّلك أم تَقتُلك، أو إن كان الخادم يُقَدِّم لك مِزرًا أم سُمًّا. خيرٌ لنا أن نُغادِر هذا المكان».

عندئذٍ زعقَ ثيون: «أنا أمير وينترفل! هذا مقعدي، ولا رجل سيُزيحني عنه، ولا امرأة كذلك!».

آشا. كان هذا من صُنعها. أختي العزيزة، عسى أن ينكحَها «الآخَرون» بسيف! إنها تُريده أن يموت لكي تسرق مكانه كوريث أبيهما، ولذا تركَته لتخور قُواه هنا، وتجاهلَت الأوامر الملحَّة التي أرسلَها لها.

وجدَها جالسةً في مقعد آل ستارك العالي، تُمَزِّق ديكًا بأصابعها، بينما ترنُّ في القاعة أصوات رجالها الذين يتجاذَبون أطراف الحديث مع رجال ثيون وهُم يشربون معًا. كانوا صاخبين لدرجة أن أحدًا لم يُلاحِظ دخوله. سألَ ريك: «أين الباقون؟». لم يكن هناك أكثر من خمسين رجلًا جالسين إلى الموائد، معظمهم من رجاله، بينما تتَّسع قاعة وينترفل الكُبرى لعشرة أضعاف هذا العدد.

- «مجموعتهم كلها هنا يا سيِّدي الأمير».

- «مجموعتهم كلــ... كم رجلًا أحضرَت؟».

- «أحصيتُ عشرين».

اتَّجه ثيون جرايچوي إلى حيث تجلس أخته رافعةً ساقيها على المسند. كانت آشا تضحك من شيءٍ قاله أحد رجالها، لكنها بترَت ضحكتها حين اقتربَ، وقالت: «ها هو أمير وينترفل»، وألقَت عظمةً لواحدٍ من الكلاب التي تتحرَّك في القاعة متشمِّمةً الهواء، والتوى فمها بابتسامةٍ ساخرةٍ واسعة تحت أنفها المعقوف، وأكملَت: «أم أمير الحمقى؟».

- «الحسد لا يليق بالفتيات».

كان رجالها يصيحون طالبين الخُبز واللَّحم المقدَّد، مصدرين ضوضاء مزعجةً للغاية على الرغم من عددهم القليل. لعقَت آشا الدُّهن عن أصابعها، وقد سقطَت خصلة من شَعرها على عينيها، وقالت: «الحسد يا ثيون؟».

- «ماذا تُسَمِّينه إذن؟ لقد استوليتُ على وينترفل بثلاثين رجلًا في غضون ليلة، وأنتِ احتجتَ ألفًا ودورة قمرٍ كاملة للاستيلاء على «ربوة الغابة»».

قالت: «لستُ محاربةً عظيمةً مثلك يا أخي»، وجرعَت نِصف قرنٍ من المِزر ومسحَت فمها بظَهر يدها، قبل أن تُردِف: «اصدُقني القول، مَن منهما قاومَك بشراسةٍ أكبر؟ الكسيح أم الطِّفل؟».

شعرَ ثيون بالدَّم يصعد إلى رأسه. إنه لا يجد مسرَّةً في النَّظر إلى هذين الرَّأسين، ولا وجدَها في عرض جثَّتي الصَّبيَّين اللتين فُصِلا عنهما أمام القلعة. العجوز نان وقفَت وفمها الرَّخو الخاوي من الأسنان ينفتِح وينغلِق بلا صوت، وفارلن ألقى بنفسه على ثيون مزمجرًا كواحدٍ من كلابه، واضطرَّ أورزن وكادويل لضربه بكعبيِّ رُمحيهما حتى فقدَ الوعي. يتذكَّر أنه تساءلَ في أعماقه وقد وقفَ أمام الجثَّتين والذُّباب حولهما: كيف وصلتُ إلى هذا؟

المِايستر لوين وحده جرؤَ على الدُّنو، وبوجهٍ جامد الملامح طلبَ الرَّجل الأشيب الصَّغير الإذن بخياطة الرَّأسين بالجسدين، كي يُسَجَّى الصَّبيَّان في السَّراديب تحت القلعة مع أموات عائلة ستارك.

رَدَّ ثيون: «لا، ليس السَّراديب».

- «لكن لماذا يا سيِّدي؟ إنهما لا يستطيعان إيذاءك الآن. السَّراديب مكانهما، فرُفات أولاد ستارك كلهم...».

- «قلتُ لا». كان يحتاج الرَّأسين ليضعهما على الأسوار، لكنه أحرقَ الجسدين في اليوم نفسه بثيابهما الثَّمينة، وبَعدها ركعَ بين العظام والرَّماد لاستعادة قطعة الفضَّة الذَّائبة والكهرمان الأسود المشقَّق، ما تبقَّى من المشبك ذي شكل رأس الذِّئب الذي كان ملكًا لبران، ولا يزال في حوزته.

قال لأخته: «لقد عاملتُ بران وريكون بكرم، وهما من قادا نفسيهما إلى مصيرهما».

- «كما نفعل جميعًا يا أخي الصَّغير».

بصبرٍ نافدٍ قال: «كيف تتوقَّعين مني أن أحافظ على وينترفل بينما تجلبين لي عشرين رجلًا فقط؟».

قالت آشا مصحِّحةً: «عشرة. الآخَرون سيعودون معي. إنك لا ترغب في أن تُواجِه أختك الصَّغيرة مخاطر الغابة بمفردها، أليس كذلك؟ ثمَّة ذئاب رهيبة تجول في الظَّلام»، ثم اعتدلَت على المقعد الحجري الكبير ونهضَت مردفةً: «تعالَ، لنذهب إلى مكانٍ آخَر نتكلَّم فيه على انفراد».

يعلم أنها على حَق، وإن أغاظَه أن اتَّخذت هي القرار، لكنه أدركَ خطأه متأخِّرًا. لم يكن يجب أن آتي إلى القاعة، كان عليَّ أن أستدعيها إليَّ. فاتَ أوان ذلك على كلِّ حال، ولم يملك ثيون خيارًا غير أن يقود آشا إلى غُرفة ند ستارك الشَّمسيَّة، وهناك، أمام رماد النَّار الخامدة، اندفعَ يقول: «داجمر خسرَ القتال عند «مربَّع تورين»...».

قاطعَته آشا بهدوء: «أمين القلعة العجوز حطَّم حائط التُّروس الذي أقامَه. ماذا كنت تتوقَّع؟ هذا السير رودريك يعرف الأرض عن ظَهر قلب، وذو الفَكِّ المفلوق لا يعرفها، وعدد كبير من الشَّماليِّين كان يركب الخيول. حديديُّو الميلاد يفتقرون إلى النِّظام الذي يُتيح لهم التصدِّي لهجمةٍ من الخيول المدرَّعة. ما زال داجمر حيًّا، فأشعُر بالامتنان لهذا الجزء على الأقل. إنه يقود النَّاجين الآن عائدًا إلى السَّاحل الحجري».

إنها تعرف أكثر مني. أثارَت الفكرة غضبته أكثر، وقال: «الانتصار شجَّع

ليوبولد تولهارت على الخروج من وراء أسواره والانضمام إلى السير رودريك، وبلغَتني تقارير تقول إن اللورد ماندرلي أرسل عبر النَّهر دستةً من الزَّوارق المحمَّلة بالفُرسان والخيول الحربيَّة وآلات الحصار، ورجال أومبر يحتشدون على هذه الجهة من النَّهر الأخير. سيكون هناك جيش على أبوابي قبل أن يدور القمر، وتجلبي لي عشرة رجالٍ فقط؟!».

- «لم أكن مضطرَّةً لأن أجلب لك أحدًا إطلاقًا».

- «لقد أمرتكِ...».

قاطعَته بحدَّةٍ هذه المرَّة: «أبي أمرَني بالاستيلاء على «ربوة الغابة»، ولم يَذكُر شيئًا عن إنقاذ أخي الصَّغير».

- «فلتذهب «ربوة الغابة» إلى الجحيم. إنها مرحاض خشبي فوق هضبة. وينترفل قلب الشَّمال، فكيف أدافعُ عنها بلا حامية؟».

- «كان حريًّا بك أن تُفكِّر في هذا. أوه، أعترفُ بأن التَّنفيذ كان بارعًا، لكن ليتك تمتَّعت بالعقل وهدمت القلعة عن بكرة أبيها وأخذت الأميرين الصَّغيرين رهينتين إلى پايك، فكنت لتربح الحرب بضربةٍ واحدة».

- «تُحبِّين أن يَحدُث هذا، أليس كذلك؟ أن تري غنيمتي أنقاضًا ورمادًا؟».

- «غنيمتك هذه فيها هلاكك. الكراكن يَخرُج من البحر يا ثيون، أم أن سنين المعيشة وسط الذِّئاب أنسَتك هذا؟ قوَّتنا تكمُن في سُفننا الطَّويلة، ومرحاضي الخشبي هذا يستقرُّ على مقربةٍ من البحر، حيث يَسهُل أن تَبلُغني المؤن والرِّجال الجُدد متى احتجتهم، بينما تَبعُد وينترفل مئات الفراسخ على اليابسة، وتُحيط بها الغابات والتِّلال والمعاقل والقلاع المعادية. كلُّ رجلٍ على بُعد ألف فرسخ من هنا عدوُّك الآن، ثِق بهذا، فقد ضمنت حدوثه حين علَّقت هذين الرَّأسين فوق مبنى البوَّابة»، وهزَّت آشا رأسها مضيفةً: «كيف أمكنك التصرُّف بهذه الحماقة؟ كانا طفلين...».

صاحَ في وجهها: «لقد تحدَّياني! ثم إنها كانت عينًا بعين، اثنان من أبناء إدارد ستارك عوضًا عن رودريك وما رون». خرجَت منه الكلمات بلا تفكير، لكن ثيون أدركَ من فوره أن أباه سيستحسِن هذا، فتابعَ: «يُمكن لشبحي أخويَّ أن يستريحا الآن».

- «أخوينا»، ذكَّرته آشا بابتسامةٍ صغيرة تشي بأن كلامه عن القصاص لم يُقنِعها. «هل أتيت بشبحيهما معك من پايك يا أخي؟ كنتُ أحسبُ أنهما يُلازِمان أبانا فقط».

- «منذ متى والفتيات يفهمن حاجة الرِّجال إلى الانتقام؟». حتى إذا لم يَنظُر أبوه بعين التَّقدير لهديَّة وينترفل، فلا بُدَّ أن يُؤَيِّد انتقام ثيون لأخويه!

خرجَ من آشا نخير إذ كتمَت ضحكتها، وقالت: «هل فكَّرت أن هذا السير رودريك سيَشعُر بالحاجة الرُّجوليَّة نفسها؟ أنت دم دمي يا ثيون، أيًّا كنت بخلاف ذلك، فلأجل خاطِر الأمِّ التي حملَت كلينا، عُد معي إلى «ربوة الغابة». أضرِم النَّار في وينترفل وانسحِب بينما ما زلت تستطيع».

عدَّل ثيون تاجه على رأسه قائلًا: «لا. لقد أخذتُ هذه القلعة وأنوي الحفاظ عليها».

رمقَته أخته صامتةً طويلًا، ثم قالت: «ستُحافِظ عليها إذن... ما تبقَّى من حياتك»، وزفرَت متابعةً: «رأيي أن المسألة كلها حماقة، لكن ماذا تعرف فتاة خجول عن تلك الأشياء؟»، وعند الباب أعطَته ابتسامةً هازئةً أخيرةً، وقالت: «عليك أن تعرف أن هذا أقبح تاج رأيته في حياتي. هل صنعته بنفسك؟».

تركَته يتميَّز من الغيظ، ولم تبقَ في القلعة أطول من الفترة التي استغرقَها إطعام وسقاء الخيول، وعادَ معها نِصف الرِّجال الذين جلبَتهم كما هدَّدت، فخرجوا من بوَّابة الصيَّادين نفسها التي هربَ منها بران وريكون.

راقبَهم ثيون من فوق السُّور، وإذ غابَت أخته في ضباب غابة الذِّئاب وجدَ نفسه يتساءَل لِمَ لم يُصغِ ويذهب معها.

كان ريك واقفًا عند مِرفقه، وسألَه: «رحلَت؟».

لم يكن ثيون قد سمعَه يقترب، أو شَمَّ رائحته، وفكَّر أنه آخِر شخص يُريد أن يراه الآن، فرؤية الرَّجل يمشي ويتنفَّس وهو يعلم ما يعلمه تُصيبه بالقلق. قال لنفسه: كان عليَّ أن أقتله بعدما قتلَ الرِّجال الآخَرين، لكن الفكرة وتَّرته أكثر. على الرغم مما يشي به مظهره، فريك يُجيد القراءة والكتابة، ويتمتَّع بقَدرٍ كافٍ من الدَّهاء واللُّؤم لأن يُخفي تقريرًا مكتوبًا بما فعلاه.

- «سيِّدي الأمير، إذا سمحت لي بالقول، فليس تصرُّفًا لائقًا منها أن تتخلَّى عنك. عشرة رجال لن يكفوا إطلاقًا».
- «أدركُ هذا». وآشا تُدركه أيضًا.

قال ريك: «طيِّب، قد أكونُ قادرًا على مساعَدتك. أعطِني حصانًا وصُرَّةً من النُّقود وسأجدُ لك بعض الرِّجال الصَّالحين».

ضيَّق ثيون عينيه متسائلًا: «كم؟».

- «مئة ربما، مئتان، ربما أكثر»، وابتسمَ فلمعَت عيناه الشَّاحبتان وهو يُضيف: «لقد وُلِدتُ هنا في الشَّمال، وأعرفُ رجالًا كثيرين، ورجال كثيرون يعرفون ريك».

مئتا رجلٍ ليسوا جيشًا، لكنك لا تحتاج آلافًا للدِّفاع عن قلعةٍ حصينة كوينترفل. ما داموا يعرفون أيَّ طرفيِّ الرُّمح يَقتُل، فقد يصنعوا الفارق المطلوب. هكذا قال: «نفِّذ ما تقوله ولن تجدني ناكرًا للجميل. يُمكنك تحديد مكافأتك بنفسك».

- «إذن يا سيِّدي، إنني لم أحظَ بامرأةٍ منذ كنت مع اللورد رامزي. وضعتُ عينيَّ على تلك الفتاة پالا، وسمعتُ أن هناك من امتطاها بالفعل، فـ...».

كان قد تمادى جدًّا مع ريك ولا يستطيع التَّراجُع الآن، فقال: «مئتا رجلٍ وستكون لك. رجل واحد أقلُّ ويُمكنك العودة إلى مضاجَعة الخنازير».

رحلَ ريك قبل غياب الشَّمس، حاملًا صُرَّةً من فضَّة ستارك وآخِر آمال ثيون، الذي فكَّر بمرارة: غالبًا لن أرى المأفون ثانيةً، لكن ما زال عليه أن ينتهز الفُرصة.

ليلتها حلمَ بالمأدبة التي أقامَها ند ستارك عندما زارَ الملك روبرت وينترفل. تردَّدت الموسيقى والضَّحكات في القاعة، مع أن الرِّيح الباردة كانت مشتدَّةً في الخارج. في البداية كان الأمر كله نبيذ ولحوم مشويَّة، وثيون يمزح ويُسدِّد نظراته إلى الخادمات ويقضي وقتًا طيِّبًا... إلى أن لاحظَ أن الظَّلام يزحف على القاعة، ولم تَعُد الموسيقى مرحةً كما من قبل، وسمعَ الألحان النَّشاز والسُّكوت الغريب والأنغام التي ظلَّت معلَّقة في الهواء تنزف، وفجأةً صارَ مذاق النَّبيذ مُرًّا في فمه، ولمَّا رفعَ عينيه عن كأسه رأى أنه يُولِم مع الموتى.

جلسَ الملك روبرت وأحشاؤه تَخرُج من الجُرح الهائل في بطنه، وإلى جواره اللورد إدارد بلا رأس، فيما اصطفَّت الجُثث على الدِّكك، يتفسَّخ اللَّحم البنِّي الضَّارب إلى الرَّمادي عن عظامها إذ رفعَت الكؤوس تشرب نخبًا، والدُّود يزحف من وإلى المحاجر التي كانت العيون تحتلُّها. كان يعرفهم جميعًا؛ چوري كاسل وتوم السَّمين، ويورثر وكاين وهالن قيِّم الخيول، وكلَّ الآخَرين الذين ذهبوا جَنوبًا إلى كينجز لاندنج ولم يرجعوا قَطُّ. جلسَ ميكن وكايل معًا، أحدهما يَقطُر دمًا والآخَر ماءً، بينما احتلَّ بنفريد تولهارت وأرانبه البرِّيَّة أغلب واحدةٍ من الموائد، وكانت زوجة الطحَّان هناك أيضًا، وفارلن، وحتى الهمجي الذي قتلَه في غابة الذِّئاب يوم أنقذَ حياة بران.

لكن كان هناك آخَرون وجوههم لم يعرفها في حياته قَطُّ، وجوه رآها في الحجر فقط. الفتاة النَّاحلة الحزينة التي ترتدي تاجًا من الورد الأزرق الشَّاحب وفُستانًا أبيض ملطَّخًا بالدِّماء لا يُمكن أن تكون غير ليانا، وقد وقفَ أخوها براندون إلى جوارها، وأبوهما اللورد ريكارد خلفهما مباشرةً، وعند الجُدران تحرَّكت أشباح غير مرئيَّة بين الظِّلال، أطياف شاحبة ذات وجوهٍ طويلة عابسة، وغرسَ مرآها في ثيون سكِّينًا باردًا من القشعريرة، ثم انفتحَ مصراعا الباب الطَّويلان بعُنف، فهبَّت ريح الزَّمهرير داخل القاعة، ومن سواد اللَّيل جاءَ روب وإلى جواره جراي ويند بعينين متَّقدتين، لكن الرَّجل والذِّئب كانا ينزفان من عشرات الجروح البالغة.

استيقظَ ثيون صارخًا، فأجفلَ وِكس لدرجة أنه خرجَ يجري عاريًا من الغُرفة، وحين اقتحمَ حَرسه المكان وسيوفهم في أيديهم، أمرَهم بأن يأتوه بالمِايستر، ولمَّا وصلَ لوين أشعث الشَّعر ناعسًا، كانت كأس من النَّبيذ قد ثبَّتت يد ثيون المرتعشة، وشعرَ بالخجل من ذُعره. تمتمَ: «حُلم، هذا كلُّ ما في الأمر. لم يعنِ شيئًا».

ردَّد لوين برزانة: «لم يعنِ شيئًا»، وتركَ عقَّارًا للنَّوم قبل أن يذهب، لكن ثيون سكبه في المرحاض لَحظة أن خرجَ المِايستر. لوين رجل كما هو مِايستر، والرَّجل لا يُكِنُّ له حُبًّا. يُريدني أن أنام، نعم... أنام و لا أستيقظ أبدًا. يُريد هذا كما تُريده آشا.

أرسلَ يستدعي كايرا، وحين جاءَت ركلَ الباب مغلقًا إياه وضاجعَها بهياج لم يعرفه في نفسه قَطّ، حتى إنها كانت تنتحب لمَّا فرغَ، وقد غطَّت عُنقهَا وثدييها الكدمات وآثار العَض، ثم دفعَها ثيون من الفِراش وألقى لها غطاءً قائلًا: «اخرُجي».

وعلى الرغمِ من ذلك لم يُراوِده النَّوم.

مع مجيء الفَجر ارتدى ثيابه وخرجَ يتمشَّى على الأسوار الخارجيَّة، حيث تهبُّ رياح الخريف السَّريعة وتدور دوَّاماتها في الشُّرفات، لتُكسِب وجنتيه حُمرةً وتلذع عينيه. راقبَ ألوان الغابة تستحيل من الرَّمادي إلى الأخضر أسفله إذ بدأ الضَّوء ينفذ بين الأشجار الصَّامتة، وإلى يساره رأى قمم الأبراج فوق الأسوار الدَّاخليَّة وقد صبغَتها الشَّمس بالذَّهبي، بينما كانت أوراق الويروود الحمراء كالأجيج الملتهب وسط الخُضرة. شجرة ند ستارك، وأيكة ستارك، وقاعة ستارك، وسيف ستارك، وآلهة ستارك. هذا مكانهم لا مكاني. إنني من آل جرايچوي أبناء پايك، وُلدتُ لأرسم الكراكن على تُرسي وأمخر عباب البحر المالح العظيم. كان عليَّ أن أذهب مع آشا.

وعلى الخازوقين الحديد فوق مبنى البوَّابة انتظرَ الرَّأسان.

رمقَهما ثيون بصمتٍ والرِّيح تشدُّ معطفه بأيدٍ شبحيَّةٍ صغيرة.

كان ولدا الطحَّان في سِنِّ بران وريكون، ومِثلهما في الحجم واللون، وبمجرَّد أن سلخَ ريك جِلد وجهيهما وغمسَ رأسيهما في القطران، كان من السَّهل أن يرى الجميع ملامح مألوفةً في كُتل اللَّحم المشوَّه.

النَّاس حمقى حقًّا. لو قُلنا إنهما رأسا كبشين، لكانوا قد رأوا قرونًا.

سانزا

يُنشِدون في السِّپت منذ الصَّباح، حين علمَت القلعة أن أشرعة العدوِّ شوهِدَت في الأُفُق، واختلطَ إنشادهم بصهيل الخيول وصليل الفولاذ وصرير مفصلات البوَّابات البرونز الكبيرة، فصنعَت الأصوات معًا موسيقى غريبةً وَجِلة. في السِّپت يُغَنُّون طالبين رحمة «الأُم»، أمَّا مَن على الأسوار فيُصَلُّون لـ«المُحارِب» بصمت. تذكَّرت أن السِّپتة موردن اعتادَت أن تُرَدِّد أن «المُحارب» و«الأُم» وجهان فقط للإله المعظَّم نفسه. لكن إذا كان هناك واحد فقط، فمَن ستُسمَع صلواته؟

أمسكَ السير مرين ترانت الحصان الكستنائي بينما امتطاه چوفري، وقد ارتدى الصَّبي وحصانه كلاهما الحلقات المعدنيَّة المذهَّبة ودِرعًا قرمزيَّةً مطليَّةً بالمينا، واستقرَّ على رأس كلٍّ منهما أسد ذهبي، فومضَ نور الشَّمس الشَّاحب على الأحمر والذَّهبي كلما تحرَّك چوف، لكن سانزا قالت لنفسها: زاهٍ وبرَّاق وفارغ.

ركبَ العِفريت فَحلًا أحمر، وكانت دِرعه أقلَّ بهرجةً من دِرع الملك وعتاده يجعله يبدو كطفلٍ يرتدي ثياب أبيه، مع أن لا شيء طفوليًّا على الإطلاق في الفأس الحربيَّة المعلَّقة تحت تُرسه، بينما ركبَ السير ماندون مور إلى جواره مدرَّعًا بالفولاذ الأبيض الوضَّاء كالجليد. أدارَ تيريون حصانه نحوها حين رآها، وناداها قائلًا: «ليدي سانزا، لا بُدَّ أن أختي دعتكِ للانضمام إلى بقيَّة السيِّدات النَّبيلات في حصن ميجور، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدي، لكن الملك چوفري طلبَ أن أودِّعه، وأنوي زيارة السِّپت كذلك لأصلِّي».

قال: «لن أسأل لمَن»، والتوى فمه على نحوٍ غريب. لو أن هذه ابتسامة، فهي أعجب ابتسامة رأتها في حياتها. «قد يُغيِّر اليوم كلَّ شيء، بالنِّسبة لكِ ولعائلة لانستر على حَدٍّ السَّواء. أفكِّرُ الآن أنه كان عليَّ أن أُخرِجكِ من المدينة مع تومن، لكنكِ ستكونين آمنةً بما فيه الكفاية في حصن ميجور، ما دُمتِ...».

- «سانزا!». رنَّت الصَّيحة الصِّبيانيَّة في السَّاحة، فعرفَت أن چوفري رآها. «سانزا، تعالي!».

يُناديني كأنه يُنادي كلبًا.

قال تيريون لانستر: «جلالته يُريدكِ. سنتكلَّم ثانيةً بَعد المعركة إذا شاءَت الآلهة».

شقَّت سانزا طريقها وسط ذوي المعاطف الذَّهبيَّة حاملي الرِّماح، فيما أشارَ إليها چوفري بالاقتراب قائلًا: «الكلُّ يقول إن المعركة ستبدأ قريبًا».

- «لترحمنا الآلهة جميعًا».

- «عمِّي هو مَن يحتاج الرَّحمة، لكنه لن ينالها مني»، واستلَّ چوفري سيفه، فرأت أن القبيعة مصنوعة من ياقوتةٍ منحوتة على شكل قلبٍ مثبَّت بين فكَّي أسد، وقد صُنِعَت ثلاثة شقوق طوليَّة في أعماق النَّصل لتخفيف حركته. «سيفي الجديد، اسمه «آكِل القلوب»».

تذكَّرت سانزا أنه كان يملك سيفًا يُسَمَّى «ناب الأسد» من قبل، السَّيف الذي أخذَته آريا منه وطوَّحته في النَّهر. آملُ أن يفعل ستانيس المِثل بهذا. «إنه رائع الجمال يا جلالة الملك».

مَدَّ السَّيف نحوها قائلًا: «بارِكي فولاذي بقُبلة. هلمِّي، قبِّليه».

لم يبدُ كصبيٍّ صغيرٍ أحمق من قبل كما بدا الآن، ومسَّت سانزا المعدن بشفتيها مفكِّرةً أنها تُؤثِر تقبيل أيِّ عددٍ من السُّيوف على تقبيل چوفري نفسه، وإن لاحَ عليه أن اللَّفتة سرَّته، وأغمدَ السَّيف وقد انتفخَت أوداجه، وقال: «ستُقَبِّلينه ثانيةً حين أعودُ وتتذوَّقي دماء عمِّي».

فقط إذا قتلَه أحد حَرسك الملكيِّن من أجلك. ثلاثة من السُّيوف البيضاء سيذهبوا مع چوفري وخاله، السير مرين والسير ماندون والسير أوزموند كِتلبلاك. سألَته سانزا وفي نفسها أمل: «هل ستقود فُرسانك إلى قلب المعركة؟».

- «كنتُ لأفعل ذلك، لولا أن خالي العِفريت يقول إن عمِّي ستانيس لن يَعبُر النَّهر أبدًا، لكني سأقودُ العاهرات الثَّلاث. سأعاقبُ الخونة بنفسي».

جعلَت الفكرة چوف يبتسم. كان منظر شفتيه الممتلئتين البارزتين يروق سانزا من قبل، أمَّا الآن فيُصيبها بالاشمئزاز.

قالت بلا تفكير: «يقولون إن أخي روب يذهب دائمًا حيثما احتدمَ القتال أكثر، لكنه أكبر منك سِنًّا يا جلالة الملك، رجل بالِغ».

دفعَه قولها إلى العبوس، وقال: «سأتعاملُ مع أخيكِ حين أفرغُ من عمِّي الخائن. سأبقرُ بطنه بـ«آكِل القلوب»، سترين»، ودارَ بحصانه وهمزَه في اتِّجاه البوَّابة، فتحرَّك السير أوزموند والسير مرين على يمينه ويساره، يتبعهم ذوو المعاطف الذَّهبيَّة في صفوفٍ من أربعة، وفي المؤخِّرة تحرَّك العِفريت والسير ماندون. ودَّعهم الحَرس بالهتاف والتَّشجيع، وعندما اختفى آخِرهم، خيَّم صمت غريب على السَّاحة، كالسُّكون السَّابق للعاصفة، وتسلَّلت أصوات الإنشاد إلى مسامعها متخلِّلة الصَّمت ومجتذبةً إياها، فاتَّجهت سانزا إلى السِّپت، وتبعَها اثنان من صبيان الاسطبلات وجُندي انتهَت مناوَبته، وسارَ آخَرون في أعقابهم.

لم ترَ سانزا السِّپت مزدحمًا أو ساطع الإضاءة هكذا من قبل، وقد دخلَت أشعَّة الشَّمس من النَّوافذ البلَّورية العالية في صورة أعمدةٍ طويلةٍ من الضَّوء الملوَّن بألوان قوس قزح، بينما اتَّقدت الشُّموع في كلِّ جانب، يتلألأ لهبها كنجماتٍ صغيرة. أغرقَت الإنارة مذبحيَّ «الأم» و«المُحارِب»، لكن «الحدَّاد» و«العجوز» و«العذراء» و«الأب» لهم عبَّادهم أيضًا، بل وكان لهب بضع شمعاتٍ يتراقَص أيضًا تحت وجه «الغريب» شِبه البَشري... فما ستانيس باراثيون غير «الغريب» نفسه الذي جاءَ يَحكُم عليهم؟ زارَت سانزا كلًّا من «السَّبعة» بدوره، وأشعلَت شمعةً عند كلِّ مذبح، ثم وجدَت لنفسها

مكانًا على الدِّكك بين غسَّالةٍ عجوز ذابلة وصبيٍّ ليس أكبر من ريكون، يرتدي سُترةً أنيقةً من الكتَّان تليق بابن فارس. كانت يد العجوز عظميَّةً مكسوَّةً بطبقةٍ سميكة من الجِلد، ويد الصَّبي صغيرةً طريَّةً، لكنها سُرَّت لأن هناك من يُمسِك يديها إذ جلسَت شاعرةً بحرارة الهواء وسكونه، وقد أفعمَته رائحة البُخور والعَرق، هواء قبَّله البلَّور وأنارَته الشُّموع، أصابَ تنفُّسه سانزا بالدُّوار.

إنها تعرف هذه التَّرنيمة، علَّمتها أمُّها إياها ذات مرَّةٍ منذ زمنٍ طويل في وينترفل، فضمَّت أصواتها إلى أصواتهم.

لكِ نصلي،
أيتها الأمُّ العَطوف، يا ينبوعَ الحِلم
أنقذي أبناءنا من هذي الحرب
ثبِّتي السيوفَ واحفظي الأسهُم
ودعيهم يشهدون يومًا أفضل
أيتها الأمُّ الرَّءوف، يا أقدر النِّساء
انجدي بناتنا من هذا النِّزاع
سكِّني الغضبَ وروِّضي السُّخطَ
وأرشدينا جميعًا لطريقٍ أقوم

على الجانِب الآخَر من المدينة ازدحمَ الآلاف في سِبت بيلور الكبير فوق تَلِّ ڤيزينيا، ولا بُدَّ أنهم يُنشِدون أيضًا، فتعلو أصواتهم وتطفو فوق المدينة وعبر النَّهر وترتفع إلى السَّماء. المفترَض أن تسمعنا الآلهة إذن.

معظم التَّرانيم تعرفها سانزا، وتلك التي لا تحفظها ردَّدت منها ما استطاعَت، فغنَّت مع الخدم الشِّيب، والزَّوجات الشَّابَّات المتوتِّرات، والخادمات، والجنود، والطُّهاة، وصيَّادي الصُّقور، والفُرسان، والمحتالين، والأتباع، وعُمَّال المطابخ، والأمَّهات المُرضِعات، غنَّت مع مَن هُم داخل القلعة وخارجها، غنَّت مع المدينة كلها، غنَّت داعيةً بالرَّحمة للأحياء والأموات في آنٍ واحد، لبران وريكون وروب، لأختها آريا وأخيها النَّغل چون سنو الغائب

بعيدًا على «الجِدار»، وغنَّت لأمِّها وأبيها وجدِّها اللورد هوستر وخالها السير إدميور تَلي، ولصديقتها چين پوول والملك روبرت السكِّير والسِّپتة موردن والسير دونتوس وچوري كاسل والمِايستر لوين، ولكلِّ الفُرسان والجنود الشُّجعان الذين سيموتون اليوم، وأخيرًا، قُرب النِّهاية، غنَّت لتيريون العِفريت وكلب الصَّيد أيضًا، وقالت لـ«الأم»: إنه ليس فارسًا حقيقيًّا، لكنه أنقذَني رغم ذلك، فأنقذيه إذا استطعتِ، وهدِّئي ثورة الغضب في أعماقه.

لكن حين وقفَ السِّپتون فوقهم كلهم ودعا الآلهة أن تُدافِع عن الملك الشَّرعي النَّبيل وتحميه، نهضَت سانزا. كانت المماشي مزدحمةً بالنَّاس، واضطرَّت لأن تزجَّ نفسها بينهم بينما رفعَ السِّپتون صوته إلى «الحدَّاد» سائلًا إياه أن يبثَّ قوَّته في سيف چوفري وتُرسه، و«المُحارِب» أن يمدَّه بالشَّجاعة، و«الأب» أن يقيه في ساعة حاجته، فدعَت سانزا ببرودٍ وهي تدفع نفسها بين النَّاس خارجةً من الباب: لينكسر سيفه ويتحطَّم تُرسه، لتَهجُره شجاعته ويتخلَّى الجميع عنه.

كان حُرَّاس قليلون يذرعون شُرفات مبنى البوَّابة، وفيما عدا هذا بدَت القلعة خاليةً. توقَّفت سانزا وأصغَت، ومن بعيدٍ بلغَت أُذنيها أصوات المعركة، رغم أن الغناء يكاد يطغى عليها، لكن إذا أرهفت السَّمع سيَبلُغك أنين الأبواق الحربيَّة العميق، وصرير المجانيق وارتطام الأحجار التي تقذفها بأهدافها، وتناثُر المياه وتهشُّم الأخشاب، وطقطقة القار المشتعل، وطنين السِّهام الطَّويلة ذات الرُّؤوس الحديد إذ تنطلق من العرَّادات... وتحت كلِّ هذه الأصوات صُراخ المحتضِرين.

إنها أغنيَّة من نوعٍ آخَر، أغنيَّة الرُّعب. رفعَت سانزا قلنسوة معطفها على أُذنيها وأسرعَت إلى حصن ميجور، القلعة داخل القلعة التي وعدَت الملكة بأن يكونوا آمنين جميعًا داخلها. عند الجسر المتحرِّك التقَت الليدي تاندا وابنتيها. كانت فاليس قد وصلَت بالأمس من قلعة ستوكوورث مع فرقةٍ صغيرة من الجنود، وتُحاوِل الآن أن تُقنِع أختها بلُطفٍ بعبور الجسر، لكن لوليس تمسَّكت بوصيفتها وقالت منتحبةً: «لا أريدُ، لا أريدُ، لا أريدُ».

قالت الليدي تاندا بصوتٍ مشروخ: «المعركة بدأت!».

- «لا أريدُ، لا أريدُ».

لم يكن هناك سبيل لأن تتحاشاهن سانزا، فحيَّتهن بدماثةٍ قائلةً: «أيُمكنني أن أساعد؟».

احتقنَ وجه الليدي تاندا حرجًا، وأجابَت: «لا يا سيِّدتي، لكن خالص شُكرنا لكِ. سامِحي ابنتي، فإنها متوعِّكة منذ فترة».

- «لا أريدُ، لا أريدُ»، ردَّدت لوليس، وتشبَّثت بوصيفتها، الفتاة الحسناء النَّاحلة ذات الشَّعر الفاحم القصير، التي تبدو كأنها لا ترغب في شيءٍ الآن أكثر من أن تدفع سيِّدتها في الخندق الجاف لتَسقُط على الخوازيق الحديد. «أرجوكن، أرجوكن، لا أريدُ».

خاطبَتها سانزا قائلةً برفق: «سنكون أكثر أمنًا ثلاث مرَّاتٍ في الدَّاخل، وهناك طعام وشراب وغناء أيضًا».

رمقَتها لوليس مفغورة الفيه، وقد اتَّسعت عيناها البنِّيَّتان البليدتان اللتان تبدوان مبلَّلتين بالدُّموع دائمًا، وعادَت تُرَدِّد: «لا أريدُ».

قالت أختها فاليس بحدَّة: «يجب أن تَدخُلي، وهذه نهاية النِّقاش. شِاي، ساعِديني»، وقبضَت كلٌّ منهما على أحد مِرفقيها، وقادَتا لوليس على الجسر، تارةً تجرُّانها وتارةً تحملانها، وتحرَّكت سانزا وراءهن مع الليدي تاندا، التي قالت: «إنها مريضة منذ فترة»، ففكَّرت سانزا: إذا كان من الجائز أن يُسَمَّى الطِّفل في بطنها مرضًا. تقول النَّميمة في كلِّ مكانٍ في القلعة إن في بطن لوليس طفلًا.

ارتدى الحارسان على الباب الخوذة ذات ريشة الأسد ومعطف لانستر القرمزي، لكن سانزا تعلم أنهما مجرَّد مرتزِقيْن متأنِّقيْن، وقد جلسَ ثالث عند قاعدة السَّلالم، بينما كان الحارس الحقيقي ليقف انتباهًا، ولا يجلس على درجةٍ واضعًا مِطرَده[1] على رُكبتيه، لكنه نهضَ حين رآهن وفتحَ الباب ليَدخُلن.

لا تَبلُغ قاعة حفلات الملكة عُشر مساحة قاعة القلعة الكُبرى، ولا نِصف

(1) المِطرَد سلاح قديم يتألَّف من رأس حربةٍ ورأس فأس مثبَّتين في العمود نفسه.

مساحة القاعة الصُّغرى في بُرج اليد، لكنها تظلُّ تتَّسع لمئة فرد، وما تفتقر إليه في الحجم عوَّضته في الأناقة، فوُضِعَت وراء كلِّ حامل مشعلٍ على الحائط مرآة من الفضَّة المطرَّقة، لتتوهَّج المشاعل بإضاءةٍ مضاعَفة، فيما زُيِّنَت الجُدران بألواح الخشب المنقوش بالرُّسوم المنمَّقة، ومن الشُّرفة في الأعلى جاءَت أنغام المزامير والكمنجات المرحة. يحتلُّ صَفٌّ من النَّوافذ المقنطرة الجدار الجَنوبي، لكنهم أسدَلوا عليها ستائر مخمليَّة ثقيلةً لا تسمح بدخول الضَّوء وتكتُم أصوات الصَّلاة والحرب في آنٍ واحد. لا فارق، فالحرب معنا.

كلُّ امرأةٍ من علية القوم في المدينة تقريبًا كانت جالسةً إلى الموائد الطَّويلة، مع حفنةٍ من الرِّجال المسنِّين والأطفال الصِّغار. النِّساء زوجات وبنات وأمَّهات وأخوات، وقد ذهبَ رجالهن لقتال اللورد ستانيس. كثيرون منهم لن يرجعوا، وهذه المعرفة تُثقِل الهواء. باعتبارها خطيبة چوفري، فقد مُنِحَت سانزا موضع شَرفٍ على المائدة إلى يمين الملكة، وبينما صعدَت إلى المنصَّة لمحَت الرَّجل الواقف وسط الظِّلال عند الحائط الخلفي، يرتدي قميصًا طويلًا من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء، ويحمل سيفه أمامه، سيف أبيها العظيم «جَليد» الذي يكاد يُناهِزه طولًا، وقد استقرَّ رأس السَّيف على الأرض، وقبضَت أصابع الرَّجل على الواقي العرضي على جانبي المقبض. احتبسَت أنفاس سانزا في حَلقها، وكأن السير إلين پاين أحسَّ بنظرتها، فقد أدارَ وجهه الضَّاوي المجدور نحوها.

سألَت أوزفريد كِتلبلاك، القائد الجديد لذوي المعاطف الحمراء: «ماذا يفعل هنا؟».

أجابَ بابتسامةٍ واسعة: «جلالتها تتوقَّع أنها ستحتاج خدماته قبل نهاية اللَّيلة».

السير إلين عدالة الملك وجلَّاده، وثمَّة نوع واحد من الخدمات يُقَدِّمه. رأس مَن تُريد يا تُرى؟

صاحَ الوكيل الملكي: «لينهض الجميع تحيَّةً لجلالتها سرسي سليلة عائلة لانستر، الملكة الوصيَّة على العرش وحامية البلاد».

كان فُستان سرسي من الكتَّان الثَّلجي النَّاصع كمعاطف رجال الحَرس

الملكي، وأظهرَ كُمَّاه الفضفاضان الطَّويلان بطانةً من الحرير الذَّهبي، وعلى كتفيها المكشوفتين انسدلَ الشَّعر الأصفر الكثيف في خصلاتٍ مجعَّدة، بينما أحاطَت بعُنقها الرَّفيع الطَّويل قلادة من الماس والزمرُّد. جعلَها الأبيض تبدو بريئةً على نحوٍ عجيب، تكاد تكون كالعذراوات، وإن اصطبغَت وجنتاها بلونٍ خفيف.

قالتَ الملكة حين اتَّخذت مكانها على المنصَّة: «تفضَّلوا بالجلوس، ومرحبًا بكم»، ثم جذبَ أوزفريد كِتلبلاك مقعدها، وفعلَت خادمة المِثل بمقعد سانزا، ولمَّا جلستا قالت سرسي: «تبدين شاحبةً يا سانزا. ألا تزال زهرتكِ الحمراء متفتِّحةً؟».

- «بلى».

قالت الملكة: «يا للتَّوافُق، سينزف الرِّجال في الخارج وتنزفين أنتِ هنا»، وأشارَت آمرةً بتقديم الصَّنف الأول من الطَّعام.

اندفعَت سانزا تسأل: «ماذا يفعل السير إلين هنا؟».

رمقَت الملكة الجلَّاد الأخرس مجيبةً: «يتعامَل مع الخونة ويُدافِع عنا إذا دعَت الحاجة. كان فارسًا قبل أن يُصبِح جلَّادًا»، وأشارَت بملعقتها صوب الباب الخشبي الطَّويل المغلق الموصد، وأردفَت: «حين تُحَطِّم الفؤوس هذا الباب، ستُسَرِّين لوجوده هنا».

كنتُ لأشعر بسرورٍ أكبر لو كان كلب الصَّيد. على الرغم من قسوته، فإنها لا تعتقد أن ساندور كليجاين سيدع أذًى يُصيبها. «ألن يحمينا حَرسكِ؟».

رمقَت الملكة أوزفريد بنظرةٍ جانبيَّةٍ قائلةً: «ومَن سيحمينا من حَرسي؟ المرتزقة الأوفياء نادرون كالعاهرات العذراوات. إذا خسرنا المعركة، سيتعثَّر رجالي في هذه المعاطف القرمزيَّة من فرط لهفتهم على التخلُّص منها، وسيسرقون ما يستطيعون ويفرُّون، ومعهم الخدم والغسَّالات وصبيان الاسطبلات، كلهم يرغبون في النَّفاذ بجلودهم عديمة القيمة. ألديكِ أدنى فكرة عمَّا يَحدُث حين تُنهَب مدينة يا سانزا؟ كلا، لا فكرة لديكِ طبعًا، أليس كذلك؟ كلُّ ما تعرفينه عن الحياة تعلَّمتِه من المغنِّين، والأغاني التي تحكي عن نهْب المُدن شحيحة حقًّا».

- «الفُرسان الحقيقيُّون لن يُؤذوا النِّساء والأطفال أبدًا». كان للكلمات وقع خاوٍ أجوف وهي تَخرُج من فمها.

بدا أن الملكة وجدَت قولها طريفًا لأقصى حَد، وقالت: «الفُرسان الحقيقيُّون. فلتشربي حَساءكِ كالفتيات المهذَّبات إذن وتنتظري أن يأتي سيميون ذو العينين النَّجمتين والأمير إيمون الفارس التنِّين لإنقاذكِ يا حُلوتي. إنني واثقة بأنهما لن يتأخَّرا».

داڤوس

كان الخليج الأسود مضطربًا متلاطمًا، والمويجات المزبِدة ذات القمم البيضاء في كل مكان.

ركبَت «بِثا السَّوداء» المَدَّ المرتفع، يصرُّ شراعها ويُطَقطِق مع كلِّ تبدُّلٍ في حركة الرِّيح، وإلى جوارها أبحرَت «الطَّيف» و«الليدي ماريا»، لا يفصل بين بدن سفينةٍ وأخرى أكثر من عشرين ياردة. يستطيع أبناؤه التحكُّم في حركة سُفنهم ببراعة، الشَّيء الذي يفخر به داڤوس.

عبر البحر دوَّت أبواق الحرب بأنينٍ عميقٍ مبحوح كنداء أفاعٍ وحشيَّة عملاقة، وتردَّدت أصواتها من سفينةٍ إلى سفينة، فرفعَ داڤوس صوته بالأوامر: «أنزِلوا الشِّراع. اخفِضوا الصَّاري. المجذفون إلى المجاذيف»، ونقلَها ابنه ماثوس إلى الرِّجال. ارتجَّ سطح «بِثا السَّوداء» بينما هرعَ أفراد الطَّاقم لتنفيذ مهامِّهم، يدفعون أنفسهم بين الجنود الذين يعترضون الطَّريق دائمًا أينما وقفوا. كان السير إمري قد قضى أن يَدخُلوا النَّهر تجذيفًا فقط، بغية ألَّا يُعَرِّضون أشرعتهم للعرَّادات ونافثات اللَّهب على أسوار كينجز لاندنج.

لمحَ داڤوس «الثَّورة» بعيدةً إلى الجنوب الشَّرقي، أشرعتها متوهِّجة بلونٍ ذهبي وبحَّارتها يُنزِلونها، وقد زيَّنها وعل باراثيون المتوَّج. من فوق أسطُحها قادَ ستانيس باراثيون الهجوم على دراجونستون قبل ستَّة عشر عامًا، أمَّا هذه المرَّة فاختارَ أن يركب مع جيشه، عاهدًا بـ«الثَّورة» وقيادة أسطوله لأخي زوجته السير إمري، الذي انضمَّ إليه في ستورمز إند مع اللورد آلستر وبقيَّة آل فلورنت.

يعرف داڤوس «الثَّورة» كما يعرف سُفنه تمامًا. فوق مجاذيفها الثَّلاثمئة هناك سطح مخصَّص بالكامل للعرَّادات، ويستقرُّ على قمَّتها منجنيق عند المقدِّمة وآخَر عند المؤخِّرة، كلاهما كبير بما يكفي لقذف براميل القار المحترق. سفينة مهيبة حقًّا، وشديدة السُّرعة، وإن كان السير إمري قد أتخمَها بالكامل بالفُرسان المدرَّعين والجنود، ما كلَّفها جزءًا من سُرعتها.

دوَّت الأبواق ثانيةً حاملةً الأوامر من «الثَّورة»، واستشعرَ داڤوس وخزًا شبحيًّا في أطراف أصابعه المفقودة وهو يصيح: «أنزِلوا المجاذيف. انتظِموا في التَّشكيل»، فانغمسَ مئة مجذافٍ في الماء بينما علَت دقَّات طبلة رئيس المجذفين كقلبٍ ضخم يخفق ببُطء، وتحرَّكت المجاذيف مع كلِّ خفقةٍ والرِّجال المئة يُنزِلونها ويرفعونها كرجلٍ واحد.

نبتَت أجنحة خشبيَّة لكلٍّ من «الطَّيف» و«الليدي ماريا» كذلك، فتحرَّكت القوادس الثَّلاثة متحاذيةً ومجاذيفها تَمخُض الماء، وصاحَ داڤوس: «ملاحة بطيئة». كانت سفينة اللورد ڤيلاريون «فخر دريفتمارك» ذات البدن الفضِّي قد احتلَّت موقعها إلى ميسرة «الطَّيف»، و«الضَّحوك» تتقدَّم بسرعة، لكن «الشَّمطاء» شرعَت لتوِّها في غمس مجاذيفها في الماء، و«حصان البحر» لا تزال تُكافِح لإنزال شراعها. نظرَ داڤوس نحو المؤخِّرة. نعم، هناك بعيدًا إلى الجَنوب، لا يُمكن أن تكون هذه غير «سيَّاف البحار» المتلكِّئة كعادتها، إذ يدفعها مئة مجذافٍ فقط وتحمل أضخم مِدَكٍّ في الأسطول كله، مع أن داڤوس يرتاب كثيرًا في براعة رُبَّانها.

سمعَ الجنود يهتفون مشجِّعين بعضهم بعضًا عبر الماء. إنهم يُثقِلون السُّفن التي احتشَدوا عليها منذ ستورمز إند، وتوَّاقون إلى بلوغ العدوِّ وكلهم ثقة في النَّصر، وفي هذا يتَّفقون مع أميرال الأسطول، حضرة القائد الأعلى السير إمري فلورنت.

قبل ثلاثة أيام استدعى جميع ربابنته إلى مجلس حرب على متن «الثَّورة» بينما رسى الأسطول عند مصبِّ النَّهر الدَّافق، بغرض إحاطتهم علمًا بتعليماته. عُهِدَ إلى داڤوس وأبنائه بمكانٍ في صَفِّ المعركة الثَّاني، مع الميمنة المحفوفة بالمخاطر، فقال آلارد مسرورًا بنيل فُرصة إثبات شَجاعته: «موضع شَرف»،

لكن أباه رَدَّ: «موضع خطر». عندئذٍ رشقَه أبناؤه بنظرات الشَّفقة، بما فيهم ماريك الصَّغير، حتى كادَ داڤوس يسمعهم يقولون: فارس البصل أصبحَ امرأةً عجوزًا، في قلبه لا يزال مهرِّبًا.

يعلم أن الجزء الأخير صحيح كفايةً، ولا أعذار لديه. لاسم سيوورث رنين مهيب، لكنه في أعماقه لا يزال داڤوس ابن «جُحر البراغيث» العائد إلى مدينته بتلالها الثَّلاثة العالية. إن معرفته بالسُّفن والأشرعة والسَّواحل تفوق كثيرين في الممالك السَّبع، ولقد نالَ نصيبه من القتالات اليائسة بسيفٍ ضد سيفٍ على مختلف الأسطح المبتلَّة، أمَّا معركة من هذا النَّوع فلا خبرة له في مثيلاتها على الإطلاق، يَدخُلها متوتِّرًا خائفًا. المهرِّبون لا يَنفُخون في أبواق الحرب ويرفعون الرَّايات، وحين يشتمُّون رائحة الخطر يرفعون الأشرعة ويُسابِقون الرِّيح فرارًا.

لو كان أميرالًا لخطَّط للمعركة بشكلٍ مختلف، فبدايةً، كان ليُرسِل مجموعةً من أسرع سُفنه في اتِّجاه منبع النَّهر لتقصِّي ما ينتظرهم، بدلًا من الهجوم بالأسطول كله مباشرةً. حين أفصحَ عن رأيه هذا لحضرة القائد الأعلى، شكرَه السير إمري بكياسةٍ خلَت منها نظرات عينيه اللتين سألَتا بوضوح: مَن هذا الجبان الوضيع؟ أهو مَن اشترى فُروسيَّته ببصلة؟

لم يرَ السير إمري حاجةً لتوخِّي الحذر أو اللُّجوء إلى الخُطط الخداعيَّة، بما أن عدد سُفنهم يفوق ما لدى الملك الصَّبي أربع مرَّات، وقد نظَّم الأسطول في عشرة صفوف، كلٌّ منها يتألَّف من عشرين سفينةً، بحيث يَدخُل أول صفَّين النَّهر للاشتباك مع أسطول چوفري الصَّغير، أو «لُعب الصَّبي» كما أطلقَ السير إمري على سُفن لانستر، ما أثارَ جذل ربابنته الكبار. أمَّا السُّفن التَّالية للصفَّين الأولين فستُنزِل فِرقًا من الرُّماة وحاملي الرِّماح تحت أسوار المدينة، وعندها فقط يُمكنها الانضمام إلى القتال في النَّهر. وبالنِّسبة للسُّفن الأصغر والأبطأ في المؤخِّرة، فستنقل هذه الجزء الأساسي من جيش ستانيس من الضفَّة الجَنوبيَّة، يحميها سالادور سان وسُفنه اللايسينيَّة، التي ستبقى في الخليج في حالة كانت لآل لانستر سُفن أخرى متوارية في مكانٍ ما على السَّاحل، فتُهاجِمها من المؤخِّرة.

الحَق أن لعجلة السير إمري سببًا، إذ لم تأتِ الرِّياح بما يشتهون في خلال رحلتهم من ستورمز إند، فقد أفقدَتهم صخور خليج السُّفن الغارقة كوجيْن في أول أيام الإبحار، فكانت البداية غير مبشِّرة، بينما غرقَ أحد القوادس المايريَّة وهُم يَعبُرون مضايق تارث، ثم هاجمَتهم عاصفة مباغتة بينما يَدخُلون «الحُلقوم»، مبعثرةً الأسطول في أرجاء البحر الضيِّق، وفي النِّهاية عادَ الأسطول كله -باستثناء اثنتي عشرة سفينةً- يتجمَّع وراء مرتفعات «خُطَّاف ماسي» الواقية، في مياه الخليج الأسود الأهدأ، وإنما بَعد أن ضاعَ منهم وقت ثمين.

لا بُدَّ أن ستانيس بلغَ النَّهر الأسود منذ أيام، فطريق الملوك يمتدُّ من ستورمز إند إلى كينجز لاندنج مباشرةً، كما أنه مختصَر كثيرًا عن طريق البحر، وغالبيَّة الجيش تتكوَّن من الفُرسان والخيَّالة والمُحاربين غير النِّظاميِّين، تركة رنلي التي لم يوصِ بها لأخيه. صحيحٌ أنهم لن يكونوا قد قضوا فترةً طويلةً على الطَّريق، لكنَ الخيول المدرَّعة والرِّماح التي يَبلُغ طول الواحد منها اثني عشر قدمًا لن تنفعهم كثيرًا ضد مياه النَّهر الأسود العميقة وأسوار المدينة الحجريَّة العالية، فلا شَكَّ إذن أن ستانيس معسكِر مع لورداته على ضفَّة النَّهر الغربيَّة بصبرٍ نافدٍ يثير حنقه ويجعله يتساءَل عمَّا فعله السير إمري بأسطوله.

قَبل يومين عند «صخرة مرلينج»، لمحوا نِصف دستةٍ من مراكب الصَّيد، وحاولَ الصيَّادون الفرار منهم، لكن القوارب سقطَت في أيديهم واحدًا تلو الآخَر، فأعلنَ السير إمري مغتبطًا: «مذاق صغير من النَّصر أفضل شيءٍ يُهَدِّئ المعدة قبل المعركة، ويجعل الرِّجال جائعين لنصيبٍ أكبر»، أمَّا داڤوس فاهتمَّ أكثر بما يعرفه الأسرى عن دفاعات كينجز لاندنج، وأدركَ أن القزم كان مشغولًا ببناء حاجزٍ ما عند مدخل النَّهر، وإن اختلفَ الصيَّادون على اكتمال العمل من عدمه، فوجدَ نفسه يتمنَّى أنه اكتملَ حقًّا. إذا كان النَّهر مغلقًا في وجوههم، فلن يجد السير إمري خيارًا غير التوقُّف وإعادة دراسة الموقف.

امتلأ البحر بالأصوات، من الصِّياح والنِّداء، إلى دويِّ الأبواق والطُّبول ونغمات المزامير المرتعشة، إلى ارتطام الخشب بالماء إذ ترتفع آلاف المجاذيف وتنخفض. صاحَ داڤوس والرِّيح تهبُّ لتشدَّ معطفه الأخضر

القديم: «حافِظوا على التَّشكيل». عند قدميه كانت خوذة تقليديَّة وصُدرة من الجِلد المقوَّى، الوقاية الوحيدة التي قرَّر أن يرتديها، فهو يُؤمِن أن الفولاذ في البحر قمين بتكلفتك حياتك كما يقدر على إنقاذها، بينما لم يُشارِكه السير إمري وبقيَّة القادة النُّبلاء رأيه، فتألَّقوا وهُم يتحرَّكون على أسطُح سُفنهم.

كانت «الشَّمطاء» و«حصان البحر» قد اتَّخذتا موضعيهما، ومن ورائهما سفينة اللورد سلتيجار «المخلب الأحمر»، وإلى ميمنة سفينة آلارد «الليدي مايرا» القوادس الثَّلاثة التي استحوذَ عليها ستانيس من اللورد صنجلاس البائس، «الخشوع» و«الصَّلاة» و«البِر»، تعجُّ أسطُحها بالرُّماة. حتى «سيَّاف البحار» كانت تقترب بتثاقُلٍ متمايلةً في البحر المائج رغم أنها تُبحِر بالشِّراع والمجاذيف معًا، ففكَّر داڤوس باستياء: المفترَض أن تكون سفينة بكلٍّ هذه المجاذيف أسرع بكثير، لكن هذا المِدَكَّ الذي تحمله كبير للغاية ويُفقِدها توازُنها.

ظلَّت الرِّيح تهبُّ من الجَنوب، لكنها لا تُشَكِّل فارقًا مع استخدام المجاذيف، فالمَدُّ العالي سيحملهم، بينما سيكون تيَّار النَّهر في صالح آل لانستر، والنَّهر الأسود يتدفَّق بقوَّةٍ وسرعةٍ حيث يلتقي بالبحر، أي أن من المحتوم أن تكون صدمة الهجوم الأولى في مصلحة العدوِّ. إننا حمقى لمواجَهتهم في النَّهر الأسود. في أيِّ مواجَهةٍ في البحر المفتوح تستطيع صفوفهم تطويق أسطول الأعداء من الجهتين، دافعةً سُفنه للاقتراب من بعضها بعضًا حتى تتصادَم، لكن في النَّهر لن يُجدي عدد سُفن السير إمري ووزنها هذا النَّفع، لأن لا مجال لتحرُّك أكثر من عشرين سفينةً جنبًا إلى جنب، خشية أن تتشابَك مجاذيفها وتصدم كلُّ سفينةٍ الأخرى.

وراء صَفِّ السُّفن الحربيَّة رأى داڤوس القلعة الحمراء على قمَّة تَلِّ إجون العالي داكنةً تحت السَّماء الصَّفراء كاللَّيمون، ومن تحتها ينفتح مدخل النَّهر الأسود، وعلى الجانب الآخَر من النَّهر بدَا الشَّاطئ الجَنوبي أسود من فرط الرِّجال والخيول الذين بدأوا يتحرَّكون كالنَّمل الغاضب حين لمحوا السُّفن الدَّانية. لا بُدَّ أن ستانيس شغلَهم ببناء الأطواف وتركيب ريشات السِّهام، لكن مؤكَّد كذلك أن الانتظار لا يُحتمَل. أتَت أصوات الأبواق النُّحاسيةً من بينهم

خفيضةً، وسرعان ما ابتلعَها هدير ألف صيحة، وأحاطَ داڤوس الجراب الذي يحوي أطراف أصابعه بجَدَعة يده، وردَّد صلاةً صامتةً ناشدًا الحَظ.

تحتلُّ «الثَّورة» نفسها قلب صَفِّ المعركة الأول، تُحيط بها من الجانبين «اللورد ستفون» و«وعل البحر»، كلٌّ منهما مزوَّدة بمئتي مجذاف، وعلى جناحيِّ الميمنة والميسرة كانت السُّفن بالمئات: «الليدي هارا» و«السَّمكة المنيرة» و«اللورد الضَّاحك» و«شيطان البحر» و«الشَّرف الأقرن» و«چنا الشَّعثاء» و«الرُّمح الثُّلاثي» و«السَّيف السَّريع» و«الأميرة ريينس» و«أنف الكلب» و«الصَّولجان» و«المخلص» و«الغُداف الأحمر» و«الملكة أليسين» و«القطَّة» و«الشُّجاع» و«سُم التَّنانين». من كلِّ مؤخِّرةٍ ترتفع راية إله الضِّياء حمراء وصفراء وبرتقاليَّةً، ومن وراء داڤوس وأبنائه جاءَ صَفٌّ آخَر من مئات السُّفن التي يقودها الفُرسان واللوردات الرَّبابنة، ثم الفرقة المايريَّة الأصغر والأبطأ من غيرها، لا تتجاوَز مجاذيف أيٍّ من سُفنها الثَّمانين، ووراء كلِّ هذا كانت السُّفن التي تظلُّ ترفع أشرعتها، القراقير والأكواج الضَّخمة الثَّقيلة، وأخيرًا سالادور سان وسفينته المهيبة الضَّخمة «ڤاليريان» التي تضمُّ ثلاثمئة مجذاف، تصحبها قوادسه الأخرى المميَّزة بأبدانها المخطَّطة. لم يكن القُرصان اللايسيني المختال الذي يُسَمِّي نفسه أميرًا مسرورًا بتكليفه حماية المؤخِّرة، لكن كان من الواضح أن السير إمري لا يثق به أكثر مما يفعل ستانيس. شكاواه كثيرة جدًّا ولا ينفكُّ يتكلَّم عن أجره الذَّهبي. ومع ذلك شعرَ داڤوس بالأسف، فسالادور سان قُرصان قديم واسع الحيلة، وأطقُم سُفنه بحَّارة بالفطرة، لا يخافون شيئًا في القتال، ووضْعهم في المؤخِّرة تبديد لهم.

آهوووووووووووووووووووووووووووو!

تردَّد النِّداء من فوق «الثَّورة» عابرًا الموجات المزبِدة والمجاذيف، فعلمَ داڤوس أن السير إمري أمرَ بالهجوم.

آهو –
آهوووووووووووووووووووووووووووووو!

انتظمَت «سيَّاف البحار» في الصَّفِّ أخيرًا، وإن ظَلَّ شراعها مرفوعًا. زعقَ

داڤوس: «ملاحة سريعة»، وبدأت دقَّات الطُّبول تتسارَع، ومعها تسارَعت الحركة إذ انغمسَت المجاذيف في الماء لتشُقَّه، سپلاش-ووش، سپلاش-ووش، سپلاش-ووش، وعلى الأسطُح دَقَّ الجنود تروسهم بالسُّيوف، بينما ثبَّت الرُّماة أوتار أقواسهم وسحبَ كلٌّ منهم السَّهم الأول من الكنانة المثبَّتة إلى حزامه. حجبَت قوادس الصَّف الأول الرُّؤية، فذرعَ داڤوس سطح سفينته بحثًا عن بُقعةٍ يرى منها، فأبصرَ مدخل النَّهر مفتوحًا بلا دليلٍ على وجود حاجز، وكأنه يستعدُّ لابتلاعهم جميعًا، غير أن...

في أيام التَّهريب كان داڤوس يقول مازحًا إنه يعرف واجهة كينجز لاندنج المائيَّة أكثر من ظَهر يده، بما أنه لم يقضِ جزءًا كبيرًا من حياته في التسلُّل من ظَهر يده وإليها، والآن يقف هذان البُرجان القصيران المشيَّدان بالحجارة الخام متواجهيْن على جانبيِّ مدخل النَّهر، لا يعنيان شيئًا ربما للسير إمري، لكن بالنِّسبة لداڤوس فكأن إصبعين إضافيَّين نبتا من مفاصله.

رفعَ يده يقي عينيه من الشَّمس الغاربة، وتطلَّع إلى البُرجين بمزيدٍ من الإمعان. إنهما أصغر من أن يَضُمَّا حاميةً كبيرةً، الأول مبنيٌّ على الضفَّة الشَّماليَّة فوق الجُرف، بينما ترتفع القلعة الحمراء عابسةً من ورائه، والثَّاني قاعدته في الماء على الشَّاطئ الجَنوبي، فأدركَ داڤوس في الحال أنهم شقُّوا قناةً في الضفَّة، الشَّيء الذي يجعل الهجوم على البُرج عسيرًا للغاية، إذ على المهاجِمين أن يخوضوا في الماء أو يَنصُبوا جسرًا فوق القناة. كان ستانيس قد وضعَ رُماةً هناك لإطلاق النَّار على المدافِعين إذا تهوَّر أحدهم ورفعَ رأسه فوق السُّور، لكنه اكتفى بهذا.

ومضَ شيء ما في الأسفل حيث تتموَّج المياه القاتمة حول قاعدة البُرج. كان انعكاس نور الشَّمس على الفولاذ، وقد أخبرَ داڤوس سيوورث بكلِّ ما احتاجَ أن يعرفه. سلسلة... لكنهم لم يُغلِقوا النَّهر أمامنا، فلِمَ؟

يُمكنه أن يُخَمِّن، لكن لا وقت للتَّفكير في السُّؤال، فقد ارتفعَت صيحة من السُّفن التي أمامه، وعادَ نفير الحرب يتردَّد.

كان العدوُّ أمامهم.

بين مجاذيف «الصَّولجان» و«المخلص» اللَّامعة، رأى داڤوس صَفًّا

صغيرًا من القوادس المتقهقرة إلى الدَّاخل عبر النَّهر، والشَّمس تتألَّق على الطِّلاء الذَّهبي الذي يُمَيِّز أبدانها. إنه يعرف تلك السُّفن كما يعرف سُفنه، وأيام عملَ مهرِّبًا كان يَشعُر بأمانٍ أكثر وهو يُدرك إن كان الشِّراع اللَّائح في الأُفق يعني أن السَّفينة سريعة أم بطيئة، وإن كان رُبَّانها شابًّا متعطِّشًا للمجد أم عجوزًا يقضي بقيَّة حياته على وتيرةٍ واحدة.

ودوَّى نفير الحرب: آهووووووووووووووووووووووووووو! صاحَ داڤوس: «سُرعة القتال»، وإلى الميمنة والميسرة سمعَ آلارد ودايل يرفعان عقيرتيهما بالأمر نفسه، وبدأت الطُّبول تدقُّ بعُنفٍ وانخفضَت المجاذيف وارتفعَت، واندفعَت «بِثا السَّوداء» إلى الأمام. ألقى داڤوس نظرةً نحو «الطَّيف» فرفعَ دايل يده بالتحيَّة، ثم إنه رأى «سيَّاف البحار» تتلكَّأ ثانيةً، تتخبَّط من جرَّاء حركة السُّفن الأصغر على جانبيها، لكن ما خلا ذلك كان التَّشكيل مستقيمًا كحائطٍ من التُّروس.

النَّهر الذي بدا ضيِّقًا للغاية من بعيدٍ أصبحَ الآن واسعًا كالبحر، لكن حجم المدينة تعاظمَ كذلك، وفوق تَلِّ إجون العالي استقرَّت القلعة الحمراء مشرفةً على طريق النَّهر، تُعطيها شُرفاتها المتوَّجة بالحديد وأبراجها الشَّاهقة وأسوارها السَّميكة سيماء وحشٍ ضارٍ يجثم فوق النَّهر والشَّوارع، أمَّا الجُروف تحتها فمنحدِرة ووعرة، تنتشر فيها الأُشنة والأشجار الشَّائكة كثيرة العُقد. على الأسطول أن يمرَّ تحت القلعة كي يَبلُغ الميناء والمدينة من ورائه.

كان الصَّفُّ الأول قد دخلَ النَّهر بالفعل، لكن سُفن العدوِّ تتراجَع أكثر. يرغبون في سحبنا إلى الدَّاخل، يُريدوننا مضغوطين مقيَّدين، بلا سبيلٍ للدَّوران حول جناحيهم... وتلك السِّلسلة وراءنا. ذرعَ داڤوس سَطح سفينته مشرئبَّ العُنق ليُلقي نظرةً أفضل على أسطول چوفري. ضمَّت لُعب الصَّبي السَّفينة الثَّقيلة «بَركة الآلهة»، والقديمة البطيئة «الأمير إيمون»، بالإضافة إلى كلٍّ من الأختين «سيِّدة الحرير» و«سيِّدة الحياء»، و«الرِّيح العاصفة» و«مركبة الملك» و«الأيل الأبيض» و«الرُّمح» و«زهرة البحر». لكن أين «أسد النُّجوم»؟ وأين الجميلة «الليدي ليانا» التي أطلقَ عليها الملك روبرت اسم الفتاة التي أحبَّها وضاعَت منه؟ وأين «مطرقة الملك روبرت»؟ إنها أكبر قادسٍ حربي

في الأسطول الملكي، السَّفينة الوحيدة في أسطول الملك الصَّبي القادرة على التغلُّب على «الثَّورة»، والمفترَض أن تكون على رأس الدِّفاعات.

شعرَ داڤوس بأن في الأمر فَخ، لكنه لم يرَ أثرًا لأعداءٍ يلتفُّون من ورائهم، ولا شيء غير صفوف أسطول ستانيس باراثيون المنتظمة التي تمتدُّ إلى الأُفق المائي. هل سيرفعون السِّلسلة ويشطروننا نصفين؟ لا يدري الجدوى من ذلك، فالسُّفن التي تبقى في الخليج ستظلُّ تُنزِل الرِّجال شَمال المدينة. سيكون عبورهم أبطأ لكن أكثر أمنًا.

حلَّق سَرب من الطُّيور البرتقاليَّة الوامضة من القلعة، زهاء عشرين أو ثلاثين، جِرار من القار المشتعل تهوي على النَّهر جارَّةً أذيال اللَّهب، فابتلعَ الماء أغلبها، لكن البقيَّة سقطَت على أسطُح عددٍ من قوادس الصَّفِّ الأول، لتنتشر النَّار بمجرَّد تحطُّمها. كان الجنود يتحرَّكون متعثِّرين على سطح «الملكة أليسين»، ورأى داڤوس الدُّخان يتصاعَد من ثلاث بقاع مختلفة على سطح «سُم التنِّين» الأقرب إلى الضفَّة، ثم هوَت الموجة التَّالِية من الجِرار مسابِقةً السِّهام التي شَقَّ هسيسها الهواء من أوكارِ الرُّماة التي تُرَصِّع الأبراج في الأعلى، وتشقلبَ جُندي من فوق حاجز «القطَّة» وسقطَ فوق المجاذيف قبل أن يغرق. أول رجلٍ يموت اليوم، ولن يكون الأخير.

فوق أسوار القلعة الحمراء خفقَت رايتا الملك الصَّبي، وعل باراثيون المتوَّج على خلفيَّته الذَّهبيَّة، وأسد لانستر على الخلفيَّة الحمراء.

سقطَ المزيد من القار المشتعل، وسمعَ داڤوس رجالًا يَصرُخون والنَّار تنتشر على سطح «الشُّجاع». ظَلَّ مجذفوها آمنين في الأسفل، يحميهم السَّطح النِّصفي من القذائف، بينما لم يُحالِف الحَظُّ نفسه الجنود المحتشدين في الأعلى. الميمنة تتلقَّى الهجمات كلها كما كان يخشى، لكنه ذكَّر نفسه بتوتُّر: سيحين دورنا قريبًا. كانت «بِثا السَّوداء» في مرمى الجِرار المحترقة، بما أنها السَّفينة السَّادسة في الصَّفِّ الذي يمرُّ بالضفَّة الشَّماليَّة، وإلى يمينها لا يوجد غير سفينة آلارد «الليدي ماريا» و«سيَّاف البحار» البطيئة -التي تراجعَت كثيرًا فأمسَت أقرب إلى الصَّفِّ الثَّالث من الثَّاني- بالإضافة إلى

«الخشوع» و«الصَّلاة» و«البِر»، اللاتي يحتجن كلَّ التدخُّل الإلهي الممكن في مواقعهن الحرجة هذه.

ألقى داڤوس نظرةً أقرب مع مرورِ الصَّفِّ الثَّاني بالبُرجين التَّوأمين، ورأى ثلاث حلقاتٍ من سلسلةٍ هائلة الطُّول تَخرُج من فتحةٍ لا يتجاوَز حجمها رأس رجلٍ وتختفي تحت الماء. لكلٍّ من البُرجين باب واحد يرتفع عشرين قدمًا عن الأرض، وكان الرُّماة على سطح البُرج الشَّمالي يُمطِرون «الصَّلاة» و«البِر» بالسِّهام، والرُّماة على متن الثَّانية يُطلِقون عليهم سهامهم بدورهم، وسمعَ داڤوس رجلًا يَصرُخ وقد أصابَه منها ما أصابَه.

وجدَ ابنه ماثوس يقف عند مِرفقه قائلًا: «سيِّدي الرُّبَّان، خوذتك»، فأخذَها منه داڤوس بيديه وثبَّتها على رأسه. كانت بلا مقدِّمة، فهو يكره أن يَحجُب شيءٍ بصره. حينئذٍ كانت جِرار القار تنهمر عليهم كالمطر، ورأى واحدةً تتحطَّم على سطح «الليدي ماريا»، وإن أخمدَها طاقم آلارد سريعًا، ومِن الميسرة دوَّى النَّفير من «فخر دريفتمارك»، ونثرَت المجاذيف الماء في كلِّ مكانٍ مع نزولها وصعودها. سقطَ سهم عرَّادةٍ يَبلُغ ياردةً طولًا على بُعد أقلِّ من قدمين من ماثوس، وانغرسَ في خشب السَّطح مصدرًا صوتًا كالطَّنين، وأمامهم كان الصَّفُّ الأول كاملًا قد دخل مرمى السِّهام التي حلَّقت بين السُّفن بأصواتٍ كأنها فحيح الأفاعي.

إلى جَنوب النَّهر الأسود رأى داڤوس رجالًا يسحبون أطوافًا بدائيَّة الصُّنع نحو الماء، بينما انتظمَت تشكيلات الجنود تحت ألفٍ من الرَّايات الخفَّاقة، فكان القلب النَّاري في كلِّ مكان، أمَّا الوعل الأسود المسجون في اللَّهب فيتعذَّر تمييزه لضآلة حجمه. كان ينبغي لنا أن نرفع الوعل المتوَّج، رمز الملك روبرت. كانت المدينة لتبتهج لرؤيته، بينما لا يُفلِح هذا العلم الغريب إلَّا في انقلاب النَّاس علينا.

لا يستطيع النَّظر إلى القلب النَّاري دون أن يتذكَّر الظِّلَّ الذي ولدَته مليساندرا في العتمة أسفل ستورمز إند. على الأقل نخوض هذا القتال في الضَّوء وبأسلحة الشُّرفاء. لن تلعب المرأة الحمراء وظلالها دورًا في هذه المعركة، فقد أعادَها ستانيس إلى دراجونستون مع ابن أخيه النَّغل إدريك

ستورم، منذ أصرَّ ربابنته ولورداته على أن ميدان المعركة ليس مكانًا لامرأة، فلم يُبدِ غير رجال الملكة اعتراضًا، وحتى اعتراضهم لم يُجاهِروا به. كان الملك على وشك أن يضحد آراءهم حين قال اللورد برايس كارون: «يا جلالة الملك، إذا جاءَت المشعوذة معنا، فسيقول النَّاس بَعد المعركة إنه كان نصرها هي لا نصرك، سيقولون إنك مدين بتاجك لتعاويذها»، فكان هذا كفيلًا بتغيير رأي الملك. لزمَ داڤوس نفسه الصَّمت خلال النِّقاش، لكنه والحَق يُقال ليس آسفًا على الإطلاق لرؤيتها ترحل، فهو لا يُريد أن تكون له أيُّ علاقةٍ بمليساندرا أو إلهها.

إلى الميمنة اتَّجهت «البر» نحو الشَّاطئ وأنزلَت لوح العبور، ليهبط الرُّماة في المياه الضَّحلة رافعين أقواسهم فوق الرُّؤوس ليحولوا دون ابتلال الأوتار، واحتشَدوا على الشَّريط الصَّخري الضيِّق تحت الجُروف، فانهمرَت الصُّخور من القلعة في الأعلى لترتطم بالأرض وسطهم، مصحوبةً بالسِّهام والحراب أيضًا، لكن الزَّاوية كانت مستقيمةً أكثر من اللَّازم، فلم تُحدِث القذائف ضررًا يُذكَر.

رسَت «الصَّلاة» على بُعد عشرين ياردة أو أكثر في اتِّجاه المنبع، وكانت «الخشوع» تميل نحو الضفَّة حين ظهرَ المدافِعون فجأةً، تدقُّ حوافر خيولهم الأرض وتَنثُر المياه، وانقضَّ الفُرسان على الرُّماة كالذِّئاب على الدَّجاج، دافعين إياهم إلى التَّقهقُر صوب السُّفن وإلى النَّهر قبل أن يستطيع أغلبهم أن يُثبِّت سهمًا واحدًا في قوسه، فهرعَ رفاقهم المسلَّحون بالفؤوس والرِّماح لمآزرتهم، وخلال لحظاتٍ ثلاث لا أكثر تحوَّل المشهد إلى فوضى دامية. تعرَّف داڤوس خوذة ساندور كليجاين ذات شكل رأس الكلب، وقد انسدلَ معطفه الأبيض على ظَهره إذ قادَ حصانه على لوح العبور صاعدًا إلى سطح «الصَّلاة»، ضاربًا بسيفه كلَّ من يطاله.

وراء القلعة وأسوارها ارتفعَت كينجز لاندنج على تلِّيها الآخَرين، ورأى داڤوس ضفَّة النَّهر خرابًا أسود، فأدركَ أن آل لانستر أحرَقوا كلَّ شيءٍ وانسحَبوا وراء بوَّابة الطَّمي، وقد برزَت الصَّواري المتفحِّمة للسُّفن الثَّقيلة الغارقة من المياه الضَّحلة مانعةً الوصول إلى الأرصفة الحجريَّة الطَّويلة. لا يُمكننا أن

نرسو هنا. لمحَ رؤوس ثلاثة مجانيق عملاقة وراء بوَّابة الطَّمي، وعلى قمَّة تَلِّ ڤيزينيا توهَّج نور الشَّمس على بروج سِپت بيلور الكبير البلَّوريَّة السَّبعة.

لم يرَ داڤوس المعركة تندلِع، لكنه سمعَها حين ارتطمَ قادسان عظيمان ببعضهما بعضًا بضجَّةٍ تصمُّ الآذان، وإن لم يدرِ أيُّ اثنين، وبَعد لحظةٍ ردَّد الماء دويَّ ارتطامٍ ثانٍ، ثم ثالث، ومع صرير الخشب المتشظِّي سمعَ صوت قذف منجنيق «الثَّورة» الأمامي للحجارة. فلقَت «وعل البحر» واحدًا من قوادس چوفري نِصفين، لكن «أنف الكلب» كانت تحترق، و«الملكة أليسين» محاصَرة بين «سيِّدة الحرير» و«سيِّدة الحياء»، يُقاوِم طاقمها من يُحاوِلون اعتلاءها على الجانبين.

أمامه مباشرةً رأى داڤوس «مركبة الملك» المعادية تخترقُ طريقًا لها بين «المخلص» و«الصَّولجان»، فرفعَت الثَّانية مجاذيف ميمنتها قبل الاصطدام، لكن مجاذيف ميسرة «الصَّولجان» تحطَّمت كالهشيم و«مركبة الملك» تحتكُّ بجانبها. صاحَ داڤوس: «أطلِقوا!»، فألقى رُماته وابلًا من السِّهام عبر الماء، ورأى رُبَّان «مركبة الملك» يَسقُط وحاولَ أن يتذكَّر اسم الرَّجل.

على اليابسة ارتفعَت أذرُع المجانيق الضَّخمة واحدةً، اثنتين، ثلاثًا، وحلَّقت الأحجار بالعشرات في السَّماء الصَّفراء، كلٌّ منها أكبر من رأس رجل، وحين سقطَت نثرَ بعضها أعمدةً طويلةً من الماء، والبعض الآخَر اخترقَ ألواح البلُّوط وأحالَ الرِّجال الأحياء إلى عجين دام. كان الصَّفُّ الأول كله مشتبكًا عبر النَّهر؛ الخطاطيف تُلقى، والمِدَكَّات الحَديد ترتطم بالأبدان الخشبيَّة، والمُقاتِلون يحتشدون لاعتلاء سُفن العدوِّ هنا وهناك، وأمطار السِّهام تتبادَل الهمسات وسط الدُّخان المتصاعد، والرِّجال يموتون... لكن لا أحد من رجاله حتى الآن.

اندفعَت «بِثا السَّوداء» في اتِّجاه مصبِّ النَّهر ورعد طبلة رئيس المجذفين يُدَوِّي في رأس رُبَّانها وهو يبحث عن ضحيَّةٍ مناسبةٍ لمِدَكِّها. كانت «الملكة أليسين» محاصَرةً بين اثنتين من سُفن لانستر، والثَّلاث سُفن مثبَّتة ببعضها بعضًا بالخطاطيف والحبال، فصاحَ داڤوس: «سُرعة الارتطام!».

امتزجَت دقَّات الطَّبلة فصارَت دقَّةً واحدةً طويلةً محمومةً، وطارَت «بِثا

السَّوداء» على صفحة الماء التي أصبحَت بيضاء كالحليب إذ مخرَتها مقدِّمة السَّفينة، ورأى آلارد الفُرصة نفسها وانتهزَها، فانطلقَت «الليدي ماريا» إلى جوارها. تحوَّل الصَّفُّ الأول إلى بلبلةٍ من القتالات المنفصلة، بينما لاحَت السُّفن الثَّلاث المتشابكة أمامهم وهي تدور معًا، أسطُحها حمَّام دمٍ والرِّجال يُسَدِّدون ضربات السُّيوف والفؤوس. في أعماقه تضرَّع داڤوس سيوورث إلى «المُحارِب» قائلًا: أكثِر قليلًا، دَعها تدور أكثر قليلًا، أرِني جانبها العريض.

ولا بُدَّ أن «المُحارِب» أصغى، فقد ارتطمَت «بِثا السَّوداء» و«الليدي ماريا» بجانب «سيِّدة الحياء» بفارق لحظةٍ واحدة، ضاربتين مقدِّمتها ومؤخِّرتها في آنٍ واحدٍ بعُنفٍ أسقطَ عددًا من الرِّجال عن سطح «سيِّدة الحرير» على بُعد ثلاث سُفنٍ دُفعةً واحدةً، وكادَ داڤوس يقضم لسانه حين انكبسَت أسنانه، وبصقَ دمًا. أغلِق فمك المرَّة القادمة أيها الأحمق. أربعون عامًا في البحر، وهذه هي المرَّة الأولى التي يدكُّ فيها سفينةً أخرى. كان رُماته يُطلِقون سهامهم بلا حسابٍ الآن.

قال آمرًا: «تراجَعوا»، وحين عكسَت «بِثا السَّوداء» حركة مجاذيفها، تدفَّقت مياه النَّهر إلى الثَّغرة التي صنعَتها، وتفسَّخت «سيِّدة الحياء» أمام ناظريه ملقيةً عشرات الرِّجال في الماء، فعامَ بعض النَّاجين وطفا بعض الموتى، بينما غاصَ من يرتدون الدُّروع الثَّقيلة في الأعماق، السَّريع منهم والقتيل على حَدٍّ سواء، وتردَّدت توسُّلات المحتضرين في أُذنيه.

أمامه وإلى الميسرة جذبَت لمحة من الأخضر نظره، قبل أن ترتفع الأفاعي الزمرُّديَّة تتلوَّى وتُطلِق الفحيح من مؤخِّرة «الملكة أليسين»، وبَعدها بلحظةٍ دوَّت صرخة الرُّعب: «نار شعواء!».

واربدَّ وجه داڤوس. القار المشتعل شيء، أمَّا النَّار الشَّعواء فشيء مختلف تمامًا، شيء شرِّير، ويكاد يكون إطفاؤها مستحيلًا. حاوِل أن تُخمِدها بمعطفٍ وسيحترق، المس النَّزر اليسير منها براحتك وستشتعل يدك كلها، وكما يقول البحَّارة القُدامى: «تبوَّل على النَّار الشَّعواء وستُشعِل قضيبك». وعلى الرغم من ذلك كان السير إمري قد قال لهم أن يتوقَّعوا تذوُّق مادَّة الخيميائيِّين

الكريهة. لحُسن الحَظِّ أن پايرومنسرات حقيقيِّين معدودين موجودون الآن، وقد أكَّد السير إمري أن مخزونهم من النَّار الشَّعواء سرعان ما سينفد.

رفعَ داڤوس عقيرته بالأوامر، ودفعَهم جانب من المجاذيف بعيدًا عن ضحيَّتهم بينما تراجعَ الجانب الآخَر حتى تحرَّر القادس بالكامل، ومن الجيِّد أن «الليدي ماريا» فعلَت المِثل، فالنَّار كانت تنتشر في «الملكة أليسين» وخصمتيها بسرعة لا تُصَدَّق، وتلوَّى الرِّجال المشتعلون لهبًا أخضر ووثبوا في الماء مطلقين صرخاتٍ لا تَخرُج من حنجرة إنسان. على أسوار كينجز لاندنج كانت نافثات اللَّهب تتجشَّأ الموت، والمجانيق الضَّخمة وراء بوَّابة الطَّمي تقذف الجلاميد، فسقطَ حجر بحجم ثورٍ بين «بِثا السَّوداء» و«الطَّيف» لترتجَّ السَّفينتان ويُغرِق الماء كلَّ من على سطحَيهما، ونالَ حجر آخَر لا يقلُّ حجمًا كثيرًا عن الأول من «الضَّحوك»، فانفجرَ قادس اللورد ڤيلاريون كلُعبة طفلٍ ألقاها أحدهم من فوق بُرج، ناثرًا شظاياه الطَّويلة كذراع رجلٍ في كلِّ مكانٍ حوله.

في خضمِّ الدُّخان الأسود واللَّهب الأخضر الرَّاقص أبصرَ داڤوس زحامًا من القوارب الصَّغيرة في اتِّجاه مصبِّ النَّهر، فوضى من العبَّارات والزَّوارق الخفيفة والصَّنادل والمراكب ذات الأشرعة وتلك ذات المجاذيف والسُّفن الثَّقيلة التي بدَت في حالةٍ يُرثى لها، ومن كلِّ هذا فاحَت رائحة اليأس، فهذه الأخشاب الطَّافية لا تستطيع قلب ميزان القتال، ولا فائدة منها غير اعتراض الطَّريق. رأى صفوف المعركة عالقةً عند الحاجز الخشبي، لكن إلى الميسرة نجحَت «اللورد ستفون» و«چنا الشَّعثاء» و«السَّيف السَّريع» في اختراقه وواصَلن الطَّريق نحو المنبع، بينما انخرطَت الميمنة في القتال، وتحطَّم القلب تحت جلاميد المجانيق الثَّقيلة، فدارَ بعض الرَّبابنة بسُفنهم في اتِّجاه المصبِّ وانحرفَ بعضهم نحو الميسرة، كلٌّ منهم يُجَرِّب أيَّ شيءٍ لتفادي المطر السَّاحق. كانت «الثَّورة» قد أدارَت منجنيقها الخلفي ليقذف المدينة بمراميل القار، لكن مداها لم يكن كافيًا، فتحطَّمت البراميل تحت الأسوار، أمَّا «الصَّولجان» ففقدَت معظم مجاذيفها، ودُكَّت «المخلص» وبدأت تميل على جانبها في الماء بالفعل، فقادَ داڤوس «بِثا السَّوداء» بينهما وسدَّد ضربةً قاصمةً

إلى «الملكة سرسي»، قارب النُّزهات الأنيق ذي البدن المذهَّب المنقوش، الذي يعجُّ الآن بالجنود بدلًا من الحلوى، فأسقطَ الارتطام دستةً منهم في الماء، واصطادَ رُماة «بِثا السَّوداء» مَن حاوَلوا البقاء طافين واحدًا واحدًا.

نبَّهته صيحة من ماثوس إلى الخطر القادم من الميسرة، حيث يتقدَّم واحد من قوادس لانستر للارتطام بهم، فصاحَ داڤوس: «إلى الميمنة بسُرعة»، واستخدمَ رجاله مجاذيفهم لتخليص السَّفينة من قارب النُّزهات، بينما أدارَها آخَرون لتُواجِه مقدِّمتها «الأيل الأبيض» المندفعة صوبهم بقوَّة، ومرَّت لحظة شعرَ خلالها داڤوس بالخشية من أنه تأخَّر في إصدار الأمر، وأنهم على وشك أن يغرقوا، لكن حين حدثَ الارتطام كانت الصَّدمة سريعةً وعابرةً، واحتكَّ البدنان ببعضهما بعضًا فحسب لتتحطَّم مجاذيف السَّفينتين، وطارَت قطعة خشب محزَّزة حادَّة كالحراب مارَّة برأسه، فجفلَ داڤوس قبل أن يصيح: «اعتلوها!»، فألقَت «بِثا السَّوداء» السَّوداء خطاطيفها واستلَّ رُبَّانها سيفه ليقود رجاله فوق الحاجز بنفسه.

واجهَهم طاقم «الأيل الأبيض» عند حاجز سفينتهم، لكن فيضان جنود «بِثا السَّوداء» الفولاذي الصَّارخ اكتسحَهم اكتساحًا، وشَقَّ داڤوس طريقه قتالًا وهو يبحث عن الرُّبَّان الآخَر، لكن الرَّجل ماتَ قبل أن يَبلُغه، وإذ وقفَ فوق الجثَّة سدَّد أحدهم إليه ضربةً من الخلف بفأس، لكن خوذته صدَّتها، فسقطَ على وجهه وجمجمته ترتجُّ فقط بدلًا من أن تنفلق. شاعرًا بالدُّوار، بذلَ كلَّ جهده كي ينقلب على ظَهره مجابهًا مهاجِمه الذي عادَ ينقضُّ صارخًا، فأطبقَ داڤوس بكلتا يديه على مقبض سيفه وأغمدَه في بطن الرَّجل.

ساعدَه أحد رجال طاقمه على النُّهوض قائلًا: «سيِّدي الرُّبَّان، «الأيل الأبيض» لنا»، ورأى داڤوس أن هذا صحيح، فمعظم رجالها كانوا موتى أو يموتون أو استسلَموا. خلعَ خوذته ومسحَ الدَّم عن وجهه، وعادَ إلى سفينته خاطيًا بحذر على ألواح الخشب الزَّلقة من فرط ما سالَ عليها من دماءٍ وأحشاء، ومَدَّ ماثوس يده يُساعِده على اجتياز الحاجز.

طول تلك اللَّحظات المعدودة كانت «بِثا السَّوداء» و«الأيل الأبيض» العين الهادئة في قلب الإعصار، وفيما عداهما كانت «الملكة أليسين» و«سيِّدة

الحرير» ما زالتا متشابكتين معًا وقد استحالتا إلى جحيم أخضر، وتطفوان معًا في اتِّجاه المصبِّ جارَّتين معهما قطعًا من «سيِّدة الحياء»، كما ارتطمَ بهما أحد القوادس المايريَّة فاشتعلَ بدوره، بينما حمَّلت «القطَّة» رجالًا من «الشُّجاع» التي تغرق بسرعة. كان رُبَّان «سُم التنِّين» قد دفعَها بين رصيفين فتحطَّم قاعها تمامًا، وانصبَّ طاقمها على الشَّاطئ مع الرُّماة والجنود للاشتراك في الهجوم على الأسوار، و«الغُداف الأحمر» دُكَّت وتميل على جانبها ببُطء، و«وعل البحر» تُكافِح النَّار ومن يُحاوِلون اعتلاءها في آنٍ واحد، لكن القلب النَّاري ارتفعَ فوق سفينة چوفري «الرَّجل الوفي»، واشتبكَت «الثَّورة» -التي سحقَ جلمود مقدِّمتها الفخور- مع «بَركة الآلهة»، ورأى داڤوس «فخر دريفتمارك» سفينة اللورد ڤيلاريون ترتطم باثنين من مراكب لانستر النَّهريَّة، قالبةً أحدهما وممطرةً الثَّاني بالسِّهام.

على الضفَّة الجَنوبيَّة كان الفُرسان يقودون خيولهم صاعدين بها إلى الأكواج، فيما شرعَت قوادس أصغر حجمًا في العبور بالفعل وقد أثقلَها الجنود، وتتحرَّك بحذرٍ وسط السُّفن الغارقة وبؤر النَّار الشَّعواء الطَّافية على سطح النَّهر. كامل أسطول الملك ستانيس في النَّهر الآن، باستثناء قوادس سالادور سان اللايسينيَّة، وسرعان ما سيُصبِح النَّهر الأسود تحت سيطرتهم. سيُحقِّق السير إمري انتصاره، ويَعبُر ستانيس بجيشه، لكن بحَقِّ الآلهة، الثَّمن الذي دفعناه...

مَسَّ ماثوس كتفه قائلًا: «سيِّدي الرُّبَّان».

كانت مجاذيف «سيَّاف البحار» ترتفع وتنخفض على جانبيها. لم تكن قد أنزلَت أشرعتها، وطالَ القار المشتعل صواريها، وشاهدَ داڤوس النَّار تنتشر وتزحف على الحبال والأشرعة إلى أن صارَت السَّفينة تجرُّ ذيلًا من اللَّهب الأصفر، بينما شَقَّ مِدَكُّها الحديدي الثَّقيل -الذي اتَّخذ شكل السَّمكة التي استمدَّت السَّفينة منها اسمها- مياه النَّهر.

أمامها مباشرةً كانت إحدى سُفن لانستر الثَّقيلة تدور طافيةً، جاعلةً من نفسها هدفًا مغريًا، ومن بين ألواحها تسيل دماء خضراء.

وتوقَّف قلب داڤوس عن الخفقان.

صرخَ: «لا، لا، لاااااا!»، لكن أحدًا لم يسمعه وسط المعمعة غير ماثوس، وبالتَّأكيد لم يسمعه رُبَّان «سيَّاف البحار» وقد عزمَ أخيرًا على أن يُغمِد سيفه الحديدي الثَّقيل في شيءٍ أخيرًا، وتحرَّكت «سيَّاف البحار» بسرعة الارتطام، ورفعَ داڤوس جَدَعة يده يقبض بها على الجراب الجِلدي الذي يحوي عظام أطراف أصابعه.

بصوتٍ يصمُّ آذان الرُّضَّع في بطون أمَّهاتهم حوَّلت «سيَّاف البحار» السَّفينة الثَّقيلة متعفِّنة الأخشاب إلى شظايا، فجَّرتها كثمرة فاكهةٍ أنضج من اللَّازم، لكن لا فاكهة في الدُّنيا أطلقَت تلك الصَّرخة الخشبيَّة من قبل، وفي بطن سفينة لانستر رأى داڤوس الأخضر ينبثق من ألف جرَّةٍ محطَّمة، رأى السُّمَّ يسيل من أحشاء وحشٍ محتضر، يلمع، يَبرُق، ينتشر على صفحة النَّهر...

جأرَ داڤوس: «إلى الوراء! ابتعدوا، ابتعدوا عنها! إلى الوراء، إلى الوراء!»، فقُطِعَت حبال الخطاطيف وأحسَّ داڤوس بالسَّطح يتحرَّك تحت قدميه إذ خلَّصت «بِثا السَّوداء» نفسها من «الأيل الأبيض» ونزلَت مجاذيفها إلى الماء.

ثم إنه سمعَ صوتًا قصيرًا حادًّا كأن أحدهم نفخَ في أُذنه، وبَعد لحيظةٍ دوَّى الهدير، واختفى سطح السَّفينة من تحت قدميه ولطمَته المياه السَّوداء على وجهه وملأَت أنفه وفمه. إنه يختنق، يغرق. صارعَ داڤوس النَّهر بهلعٍ أعمى دون أن يدري أين الطَّريق إلى أعلى، حتى خرجَ رأسه فوق السَّطح أخيرًا، فبصقَ الماء وعَبَّ الهواء وأمسكَ أقرب قطعةٍ طافيةٍ من الخشب وتعلَّق بها.

كانت «سيَّاف البحار» وسفينة لانستر الثَّقيلة قد اختفيتا، وطفَت الجُثث المتفحِّمة إلى جواره في اتِّجاه المصب، وتعلَّق الرِّجال المختنقون بقطع الخشب الدَّاخنة، بينما على ارتفاع خمسين قدمًا كان شيطان اللَّهب الأخضر يَرقُص ويدور فوق النَّهر، يضرب بدستةٍ من الأيدي التي يحمل كلٌّ منها سوطًا يُضرِم النَّار في أيِّ شيءٍ يمسُّه. رأى «بِثا السَّوداء» تحترق، وكذا «الأيل الأبيض» و«الرَّجل الوفي» على جانبيها، و«الخشوع» و«القطَّة» و«الشُّجاع» و«الصَّولجان» و«الغُداف الأحمر» و«الشَّمطاء» و«المخلص» و«الثَّورة». حتى «مركبة الملك» و«بَركة الآلهة» كانتا مشتعلتين كذلك، الشَّيطان يلتهم بني جِلدته. كانت «فخر دريفتمارك» سفينة اللورد ڤيلاريون البرَّاقة تُحاوِل

الدَّوران، لكن الشَّيطان مَدَّ إصبعًا أخضر بكسلٍ ومَسَّ مجاذيفها الفضِّيَّة فاشتعلَت كعشراتٍ من فتائل الشُّموع، وفي لحظةٍ بدَت كأنها تخوض النَّهر بصَفَّين من المشاعل الطَّويلة الوهَّاجة على جانبيها.

كان تحت رحمة التيَّار بالكامل الآن، يدور معه ويدور ويدور. ركلَ ليتفادى رُقعةً طافيةً من النَّار الشَّعواء مفكِّرًا: أبنائي، لكن لا سبيل للبحث عنهم في الفوضى الهادرة. اشتعلَت سفينة ثقيلة أخرى بالنَّار الشَّعواء من ورائه، وبدا النَّهر الأسود نفسه كأنه يغلي في مجراه، وأفعمَت الصَّوارى المحترقة والرِّجال المحترقون وشظايا السُّفن الهواء.

إنني أُسحَبُ إلى الخليج. لن يكون وضعه بهذا السُّوء هناك، ومن شأنه أن يستطيع بلوغ الشَّاطئ، فهو سبَّاح قوي، كما أن قوادس سالادور سان ستكون في الخليج كذلك، بما أن السير إمري أمرَها بعدم الاشتراك في الهجوم...

ثم دوَّره التيَّار ثانيةً، ورأى دافوس ما ينتظره في اتِّجاه الخليج.

السِّلسلة. لترحمنا الآلهة، لقد رفعوا السِّلسلة.

حيث يتَّسع النَّهر ليصبَّ مياهه في الخليج الأسود، امتدَّت السِّلسلة مشدودةً عن آخِرها، لا ترتفع عن سطح الماء أكثر من قدمين أو ثلاثة. دستة من القوادس كانت قد ارتطمَت بها بالفعل، والتيَّار يدفع المزيد صوبَها، أغلبها مشتعل، وسرعان ما ستلحق بها البقيَّة. ميَّز دافوس أبدان سُفن سالادور سان المخطَّطة وراء كلِّ هذا، لكنه أدركَ أنه لن يَبلُغها أبدًا بينما يرتفع حائط الفولاذ الملتهب والخشب المشتعل واللَّهب الأخضر الرَّاقص أمامه.

مدخل النَّهر الأسود استحالَ بابًا من أبواب الجحيم.

تيريون

بجمود الكراجل جثا تيريون لانستر على رُكبةٍ واحدةٍ فوق أحد قوائم الشُّرفة.

وراء بوَّابة الطَّمي والخراب الذي كان سوق الأسماك وأرصفة الميناء، بدا كأن النِّيران شبَّت في النَّهر نفسه إذ استعرَ نِصف أسطول ستانيس ومعه معظم أسطول چوفري. قُبلة النَّار الشَّعواء حوَّلت السُّفن الفخور إلى محارق جنائزيَّة والرِّجال إلى مشاعل حيَّة، وتشبَّع الهواء بالدُّخان والسِّهام والصُّراخ.

في اتِّجاه مصبِّ النَّهر كان الملَّاحون العوام والرَّبابنة النُّبلاء على حَدٍّ السَّواء يرون الموت الأخضر المحموم يدور صوب أطوافهم وقراقيرهم وعبَّاراتهم، يحمله تيَّار النَّهر الأسود، ولمعَت مجاذيف قوادس عرسان البحر المايريَّة البيضاء كأرجُل حشرات أمِّ أربعٍ وأربعين أصابَها الجنون وهي تُكافح لتغيير اتِّجاهها عبثًا، فما من مكانٍ تهرُب إليه. دستة من الحرائق الجسيمة اشتعلَت تحت أسوار المدينة حيث انفجرَت براميل القار، لكن النَّار الشَّعواء جعلَتها تبدو بالمقارَنة كبضع شموعٍ مضاءة في منزلٍ يحترق، يرتجف لهبها البرتقالي والقرمزي ضئيلًا تافهًا أمامَ السَّعير اليَشبي، وقد اصطبغَت السُّحب الواطئة بلون النَّهر المضطرم، وكسَت السَّماء بدرجات الأخضر المائج، راسمةً صورةً جَمالها متناهي الغرابة. جَمال رهيب هذا، كنار التِّنانين. تساءلَ تيريون إن كان الشُّعور نفسه انتابَ إجون الفاتح حين حلَّق فوق حقل النِّيران.

رفعَت الرِّياح الملتهبة معطفه وضربَت وجهه المكشوف، لكنه لم يقوَ على الالتفات عن المنظر، وإن تنامَت إلى مسامعه هتافات ذوي المعاطف الذَّهبيَّة

بشكلٍ مبهم من عند المتاريس، إلَّا أنه لم يجد صوتًا يضمُّه إلى أصواتهم، فلا يزال اَلنَّصرَ منقوصًا. لن يكفي هذا.

رأى واحدةً أخرى من السُّفن الثَّقيلة التي أتخمَها بفاكهة الملك إيرس اللَّعوب واللَّهب يلتهمها، وتفجَّرت نافورة من اليَشب المتَّقد من النَّهر بوهج معم حتى إنه رفعَ يده يقي عينيه، وتراقصَت أعمدة النَّار على ارتفاع ثلاثين أَوَ أربعين قدمًا فوق صفحة الماء، تطغى طقطقتها وهسيسها لحظاتٍ على صراخ المئات الذين سقطوا في النَّهر يحترقون أو يغرقون، أو يحترقون بينما يغرقون.

هل تسمع عويلهم يا ستانيس؟ هل تراهم يتفحَّمون؟ هذا من صُنعك كما هو من صُنعي. يعلم تيريون أن ستانيس يُشاهِد أيضًا من مكانٍ ما وسط كُتل رجاله جَنوب النَّهر الأسود. إنه لم يتمتَّع قَطُّ بتعطُّش أخيه روبرت إلى القتال، فيقود دائمًا من المؤخِّرة عند قوَّات الاحتياط، على غرار اللورد تايوين. غالبًا يركب جوادًا حربيًّا الآن ويرتدي دِرعًا برَّاقةً وتاجه على رأسه. تاج من الذَّهب الأحمر حسبما يقول ڤارس، رؤوسه مشكَّلة كألسنة اللَّهب.

- «سُفني!»، صاحَ چوفري بصوتٍ مبحوحٍ من الممرِّ الذي توارى فيه مع حَرسه وراء المتاريس، وقد زيَّنت الحلقة المَلكيَّة خوذته. «"مركبة الملك" تحترق، و"الملكة سرسي" و"الرَّجل المخلص". انظُروا، و"زهرة البحر" هناك أيضًا»، وأشارَ بسيفه الجديد إلى حيث تشبَّث اللَّهيب الأخضر ببدن "زهرة البحر" الذَّهبي وزحفَ على مجاذيفها. كان رُبَّانها قد دوَّرها في اتِّجاه المنبع، لكن ليس بالسُّرعة الكافية لتحاشي النَّار الشَّعواء.

يعرف تيريون أنها كانت هالكةً لا محالة. لم يكن هناك سبيل آخَر. كان ستانيس ليُدرِك الشَّرك المنصوب إذا لم نتقدَّم لمواجَهتهم. من الممكن تصويب السِّهام والحراب، وحتى الحجارة من المجانيق، لكن النَّار الشَّعواء لها إرادتها الخاصَّة، وبمجرَّد إطلاقها فما من وسيلةٍ لسيطرة إنسانٍ عاديٍّ عليها. قال لابن أخته: «لم نكن نستطيع أن نمنع هذا. أسطولنا كان محكومًا عليه بالدَّمار في كلِّ الأحوال».

حتى من فوق القائم (فقامته أقصر من أن يستطيع أن يرى من وراء المتاريس، لذا قال لهم أن يرفعوه)، جعلَ اللَّهب والدُّخان وفوضى المعركة

رؤية ما يَحدُث تحت أسوار القلعة مستحيلةً، وإن رآه بعين عقله ألف مرَّة. لا بُدَّ أن سياط برون دفعَت الثِّيران إلى الحركة لحظة أن مرَّت سفينة القيادة في أسطول ستانيس تحت القلعة الحمراء. السِّلسلة كانت ثقيلةً للغاية، ودارَت الأوناش الكبيرة بصريرٍ وقعقعةٍ عاليَيْن وإنما ببُطء، فكان أسطول ستانيس بأكمله قد مَرَّ قبل أن يرى أحد لمعة المعدن تحت الماء، وارتفعَت حلقات السِّلسلة مبتلَّةً وبعضها ملوَّث بالطَّمي، ارتفعَت حلقةً حلقةً حتى امتدَّت السِّلسلة العظيمة مشدودةً عن آخِرها.

لقد أدخلَ الملك ستانيس أسطوله النَّهر الأسود، لكنه لن يَخرُج ثانيةً أبدًا.

وعلى الرغم من هذا استطاعَ عدد من السُّفن النَّجاة من المحرقة. تيَّار النَّهر شيء خدَّاع، والنَّار الشَّعواء لا تنتشر بالتَّساوي الذي كان يأمله. هكذا كانت القناة الأساسيَّة كلها مشتعلةً، لكن مجموعةً كبيرةً من السُّفن المايريَّة استطاعَت بلوغ الضفَّة الجَنوبيَّة وقد بدَت أن خدشًا لم يمسَّها، ورسَت ثمان سُفنٍ على الأقل عند أسوار القلعة. رسَت أو تحطَّمت، لا فارق، فقد أنزَلوا رجالًا على الشَّاطئ. الأسوأ من هذا أن جزءًا لا بأس به من الجناح الأيمن لصَفَّي العدوِّ الأولين كان قد توغَّل في اتِّجاه منبع النَّهر بالفعل حين اشتعلَت السُّفن الثَّقيلة، فخمَّن تيريون أن نحو ثلاثين أو أربعين قادسًا ستبقى لدى ستانيس، أي أكثر مما يكفي للعبور بجيشه كله بمجرَّد أن يستردَّ رجاله شَجاعتهم.

قد يستغرق هذا بعض الوقت، فحتى أشجع الرِّجال يرتاع لمرأى النَّار الشَّعواء تلتهم ألفًا أو يزيد من رفاقه. قال هالاين إن حرارة المادَّة ترتفع أحيانًا لدرجةٍ تُذيب اللَّحم نفسه كأنه دُهن، وعلى الرغم من ذلك...

ليست لدي تيريون أيُّ أوهام فيما يتعلَّق برجاله. إذا بدا أن المعركة ستدور عليهم، فسيَنكُصون، ويَنكُصونَ بعُنف. هكذا حذَّره چاسلين بايووتر، ولذا فالسَّبيل الوحيد للفوز هو أن تبقى المعركة في صالحهم.

لمحَ أجسادًا داكنةً تتحرَّك بين أنقاض أرصفة السُّفن المتفحِّمة، ففكَّر: أوان غارةٍ أخرى. حين ينزل الرِّجال متعثِّرين إلى الشَّاطئ يكونون في أضعف حالاتهم، ولا يجب أن يُعطي العدوَّ فُرصة الاحتشاد على الضفَّة الشَّماليَّة أبدًا.

نزلَ تيريون من فوق القائم وخاطبَ أحد السُّعاة الذين خصَّصهم له بايووتر قائلًا: «أخبِر اللورد چاسلين أن العدوَّ على ضفَّة النَّهر»، والتفتَ إلى آخَر وقال: «احمل تحيَّاتي إلى السير آرنلد واطلُب منه أن يُدَوِّر العاهرات ثلاثين درجةً غَربًا». ستُتيح هذه الزَّاوية أن يتَّسع مدى المجانيق، دون أن تَسقُط قذائفها بعيدًا في الماء.

قال چوفري: «أمِّي وعدتني بقيادة العاهرات».

استاءَ تيريون عندما رأى أن الملك رفعَ مقدِّمة خوذته ثانيةً. لا شَكَّ أن الحرارة تطهو الصَّبي طهيًا تحت كلِّ هذا الفولاذ... لكن آخِر شيءٍ يحتاجه الآن أن ينغرس سهم طائش في عين ابن أخته، فأغلقَ مقدِّمة الخوذة قائلًا: «لا تفتح هذه يا جلالة الملك، فشخصك الكريم غالٍ علينا جميعًا». ولست ترغب في إتلاف هذا الوجه الجميل كذلك. «العاهرات تحت تصرُّفك». الوقت مناسب، بما أن لا جدوى تُرجى الآن من قذف الجرار المشتعلة على سُفنٍ تحترق بالفعل، وكان چوف قد جمعَ رجال القرون عُراةً مقيَّدين في الميدان في الأسفل، وقد ثُبِّتَت قرون برؤوسهم بالمسامير. حين مثلوا أمام العرش الحديدي ليُحكَم عليهم بالعدل، وعدَهم الملك بأن يُرسِلهم إلى ستانيس، ولمَّا كانوا أخفَّ وزنًا بكثير من الجلاميد وبراميل القار، فمن الممكن قذفهم مسافةً أبعد عدَّة مرَّات. كان عدد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يتراهَن على احتمالات أن يُرمى الخونة حتى الضفَّة الأخرى من النَّهر الأسود. قال لچوفري: «أسرِع يا جلالة الملك، فنُريد أن تعود المجانيق إلى قذف الحجارة قريبًا. حتى النَّار الشَّعواء لا تظلُّ مضطرمةً إلى الأبد».

غادرَ چوفري سعيدًا في صُحبة السير مرين، لكن تيريون قبضَ على معصم السير أوزموند قبل أن يتبعهما، وقال ضاغطًا على كلماته: «مهما حدثَ، أريدكما أن تُحافِظا على سلامته وتُبقياه هناك، مفهوم؟».

ابتسمَ السير أوزموند بلُطفٍ قائلًا: «كما تأمر».

كان تيريون قد حذَّر ترانت وكِتلبلاك مما سيَحدُث لهما إذا أصابَ الملك سوء، كما أن هناك دستةً من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة المخضرمين ينتظرونه عند قاعدة السَّلالم. فكَّر بمرارة: إنني أحمي نغلكِ التَّعس قَدر المستطاع يا سرسي. احرِصي على أن تفعلي المِثل مع ألايايا.

لم يكد چوف يغيب حتى ظهرَ ساعٍ يصعد السَّلالم لاهثًا، وصاحَ: «بسرعة يا سيِّدي!»، وركعَ على رُكبته مواصِلًا: «لقد أنزَلوا رجالًا في مضمار المباريات، مئات! ويحملون مِدَكًّا إلى بوَّابة الملك».

أطلقَ سبابًا ساخطًا، وهرعَ ينزل السَّلالم بخطواته المتمايلة. في الأسفل كان پودريك پاين ينتظر بحصانيهما، وانطلقَ حصان تيريون يعدو قاطعًا شارع المجذفين وفي أعقابه مباشرةً پود والسير ماندون مور. كانت المنازل المغلقة غارقةً في الظِّلال الخضراء، لكن لا حركة في الشَّارع تعترض طريقهم، منذ أمرَ تيريون بإخلائه بغية أن تنتقل الدِّفاعات بسرعةٍ من بوَّابةٍ إلى أخرى. حين بلغوا بوَّابة الملك تناهى إلى مسامعه ارتطام الخشب بالخشب الذي أخبرَه بأن المِدَكَّ دخلَ اللُّعبة بالفعل، وأصدرَت مفصلات البوَّابة العملاقة صريرًا أشبه بآهاتِ عملاقٍ يحتضر. انتشرَ الجرحى في الميدان عند مبنى البوَّابة، لكنه رأى صفوفًا من الخيول كذلك، وليس جميعها جريحًا، بالإضافة إلى عددٍ من المرتزِقة وذوي المعاطف الذَّهبيَّة يكفي لتكوين فرقةٍ قويَّة. ارتجَّت البوَّابة مع صدمةٍ أخرى، وصاحَ تيريون وهو يثب إلى الأرض: «اتَّخذوا تشكيلكم. مَن القائد هنا؟ يجب أن تَخرُجوا».

- «لا»، قال الصَّوت، وفصلَ ظِلٌّ نفسه عن الظِّلِّ الملقى على السُّور، ليتحوَّل إلى رجلٍ طويل القامة يرتدي دِرعًا رماديَّةً داكنةً، وانتزعَ ساندور كليجاين خوذته بكلتا يديه من فوق رأسه وتركَها تَسقُط أرضًا. كان فولاذها مسفوعًا ومنبعجًا، وقد كُسِرَت أُذن رأس الكلب المزمجر اليُسرى، ومن جرحٍ عميق فوق عين كليجاين سالَ الدَّم على ندوبه القديمة واضعًا قناعًا أحمرَ على نِصف وجهه.

واجهَه تيريون قائلًا: «نعم».

خرجَت أنفاس كليجاين متقطِّعةً وهو يقول: «فليذهب كلُّ هذا إلى حيث ألقت، ولتذهب معه».

تقدَّم مرتزِق ووقفَ إلى جواره، وقال: «لقد خرجنا ثلاث مرَّات، وقُتِلَ نِصف رجالنا أو جُرِحوا، والنَّار الشَّعواء تفجَّرت في كلِّ مكانٍ حولنا، والخيول كانت تَصرُخ كالرِّجال والرِّجال كالخيول...».

- «هل تحسبون أننا استأجرناكم للقتال في دورة مباريات؟ هل أحضرُ لكم القليلِ من الحليب المثلَّج والتُّوت الأحمر كذلك؟ لا؟ اذن اركب حصانك اللّعين، وأنت أيضًا أيها الكلب».

التمعَ الدَّم على وجه كليجاين بالأحمر، لكن عينيه كانتا بياضًا، واستلَّ سيفه الطّويل.

أدركَ تيريون ما حدثَ مصدومًا، وقال لنفسه: إنه خائف، كلب الصَّيد خائف، ثم إنه حاولَ أن يشرح حاجتهم قائلًا: «إنهم يضربون البوَّابة بالمِدَكِّ كما تسمع، وعلينا تشتيتهم...».

- «افتح البوَّابات، وحين يندفعون إلى الدَّاخل، حاصِرهم واقتُلهم»، وغرسَ كلب الصَّيد رأس سيفه في الأرض، واستندَ إلى القبيعة مترنِّحًا، وتابعَ: «لقد خسرتُ نِصف رجالي، وحصاني أيضًا. لن أقود المزيد إلى هذا الحريق».

تحرَّكَ السير ماندون مور إلى جانب تيريون وقد بدا بهيًّا في دِرعه البيضاء، وقال: «يد الملك أعطاك أمرًا».

كان وجه كلب الصَّيد ممتقعًا كالحليب حيثما لا تُلَوِّثه الدِّماء اللَّزجة وهو يقول: «فليذهب يد الملك إلى الجحيم. أحضِروا لي شرابًا»، فناولَه واحد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة كوبًا، وأخذَ كليجاين رشفةً ثم بصقَها وطوَّح بالكوب قائلًا بحدَّة: «ماء؟ اغرق في مائك. أريدُ نبيذًا».

الآن يرى تيريون أن قُواه خائرةً تمامًا. الجرح، النَّار... لقد انتهى. يجب أن أجد واحدًا آخَر، لكن مَن؟ السير ماندون؟ رمقَ الرِّجال وأدركَ من فوره أن الفارس لن يَصلُح. لقد هزَّهم خوف كليجاين، ودون قائدٍ فمن الممكن أن يَرفُضوا تنفيذ الأمر بدورهم، والسير ماندون... نعم، إنه رجل خطِر كما يقول چايمي، وإنما ليس رجلًا يتبعه الآخَرون.

سمعَ تيريون ارتطامًا آخَر من عند البوَّابة، وفوق الأسوار كانت السَّماء التي يزحف عليها الظَّلام مغمورةً بالأضواء الخضراء والبرتقاليَّة. كم ستَصمُد البوَّابة؟

هذا جنون، لكني أوثِرُ الجنون على الهزيمة. الهزيمة تعني الموت والعار. «ليكن إذن. سأقودُ الغارة بنفسي».

لو أنه حسبَ أن قوله سيُخجِل كلب الصَّيد ويردُّ إليه شَجاعته، فهو مخطئ، لأن كليجاين اكتفى بضحكةٍ ساخرة، وقال: «أنت؟».

رأى تيريون عدم التَّصديق جليًّا على وجوههم وهو يقول: «أنا. سير ماندون، ستحمل راية الملك. پود، خوذتي»، فهرعَ الصَّبي يُلَبِّي، بينما اتَّكأ كلب الصَّيد على السَّيف الثَّلم الملطَّخ بالدَّم، ورمقَه بهاتين العينين البيضاوين الواسعتين. ساعدَه السير ماندون على امتطاء حصانه ثانيةً، ثم صاحَ تيريون: «اتَّخذوا تشكيلكم!».

كان فَحله الأحمر يرتدي واقيًا للوجه وآخَر للعُنق، وانسدلَ الحرير القرمزي على كفله فوق كسوةٍ من الحلقات المعدنيَّة، أمَّا سَرجه العالي فمذهَّب. رفعَ پودريك پاين الخوذة إلى تيريون، والتُّرس البلُّوطي الثَّقيل المرصَّع بيدٍ ذهبيَّة تُحيط بها أسود صغيرة من الذَّهب على خلفيَّةٍ حمراء. حرَّك حصانه في دائرةٍ وهو يتطلَّع إلى قوَّة الرِّجال الصَّغيرة، التي استجابَت منها لأمره مجموعة محدودة لا تتجاوَز العشرين، وجلسوا فوق خيولهم بعيونٍ بيضاء كعينيٍّ كلب الصَّيد. بازدراءٍ رمقَ الآخَرين، الفُرسان والمرتزِقة الذين ركبوا مع كليجاين، وخاطبَهم قائلًا: «النَّاس يقولون إنني نِصف رجل، فماذا تكونون أنتم إذن؟».

أصابَتهم كلماته بقَدرٍ كافٍ من الخجل، وتقدَّم فارس لا يرتدي خوذةً بحصانه منضمًّا إلى الآخَرين، وتبعَه اثنان من المرتزِقة، ثم المزيد من الرِّجال. ارتجَّت بوَّابة الملك مجدَّدًا، وخلال لحظاتٍ قليلةٍ تضاعفَ رجال تيريون. لقد سقطوا في كمينه. إذا قاتلتُ فعليهم أن يحذوا حذوي، وإلَّا فإنهم أضأل من الأقزام.

قال لهم: «لن تسمعوني أهتفُ باسم چوفري، ولن تسمعوني أهتفُ باسم كاسترلي روك كذلك. هذي مدينتكم التي يُريد ستانيس أن ينهبها، وهذي بوَّابتكم التي يرغب في تحطيمها، فتعالوا معي لنَقتُل ابن الزَّانية!»، واستلَّ تيريون فأسه ودارَ بالفَحل الأحمر وانطلقَ نحو المخرَج وقد خُيِّلَ إليه أنهم يتبعونه، لكنه لم يجرؤ على الالتفات والنَّظر.

سانزا

عكسَت المرايا المعدنيَّة المثبَّتة وراء حوامل المشاعل على الحوائط الوهج السَّاطع وملأَت قاعة حفلات الملكة بضوءٍ لُجيني، وعلى الرغم من هذا ظلَّت في المكان ظُلمة رأتها سانزا في شحوب عيني السير إلين پاين الذي وقفَ عند الباب الخلفي ثابتًا كحجر، لا يمدُّ يده إلى طعام أو شراب، ظُلمة سمعَتها في سُعال اللورد جايلز العنيف وهمسات أوزني كِتّلبلاك حين يقترب بهدوءٍ جالبًا لسرسي الأنباء.

كانت سانزا تُنهي حَساءها حين جاءَ أول مرَّةٍ ودخلَ من مؤخِّرة القاعة. لمحَته يتكلَّم مع أخيه أوزفريد قبل أن يصعد إلى المنصَّة ويركع إلى جوار المقعد العالي، وقد فاحَت منه رائحة الخيول وغطَّت القشور أربعة خدوش طوليَّة رفيعة على وجنته، وانسدلَ شَعره الطَّويل على وجهه متجاوزًا ياقته ومغطيًا عينيه. بلغَ صوته أُذني سانزا على الرغم من همسه، فسمعَته يقول: «الأسطولان مشتبكان. بعض الرُّماة نزلوا على الشَّاطئ، لكن كلب الصَّيد مزَّقهم إربًا يا جلالة الملكة. وأخوكِ يرفع سلسلته، فقد سمعتُ الإشارة. وبعض السَّكارى في «جُحر البراغيث» يقتحمون الأبواب ويُحَطِّمون النَّوافذ، فأرسلَ اللورد بايووتر ذوي المعاطف الذَّهبيَّة للتَّعامُل معهم. وسِپت بيلور مكتظ عن آخِره، الجميع يُصَلُّون».

- «وابني؟».

- «الملك ذهبَ إلى السِّپت لينال البَركة من السِّپتون الأعلى، والآن يذرع الأسوار مع كلب الصَّيد، يحثُّ الرِّجال على التشجُّع ويرفع معنويَّاتهم».

أشارَت سرسي إلى خادمتها طالبةً كأسًا أخرى من نبيذ «الكرمة» الذَّهبي المعتَّق ذي المذاق الفاكهي الحُلو. كانت الملكة قد أسرفَت في الشَّراب، وإن بدا أن أثره الوحيد عليها أنه زادَها جمالًا على جمال، فتورَّدت وجنتاها، وفي عينيها كانت نظرة لامعة محمومة وهي تدور بهما في القاعة، النَّظرة التي جعلَت سانزا تقول لنفسها: عينان من النَّار الشَّعواء.

فيما عزفَ الموسيقيُّون ومارسَ الحُواة حيلهم، تواثبَ فتى القمر في أرجاء المكان على ركيزتين خشبيَّتين طويلتين ساخرًا من الجميع، بينما طاردَ السير دونتوس الخادمات راكبًا عصا مقشَّةٍ ذات رأس حصان، فضحكَ الضُّيوف، لكنه ضحك خاوٍ من الابتهاج، ضحك من الممكن أن يستحيل نحيبًا في لحظةٍ واحدة. أجسادهم هنا، لكن عقولهم هناك عند أسوار المدينة، وقلوبهم أيضًا.

بَعد الحَساء قُدِّمَت سلطة من التُّفَّاح والجوز والزَّبيب، كانت لتَعُدَّها صنفًا لذيذًا في أيِّ حينٍ آخَر، لكن الأطعمة كلها منكَّهة بالخوف اللَّيلة. لم تكن سانزا الوحيدة التي بلا شهيَّةٍ في المكان، فاللورد جايلز يَسعُل أكثر مما يأكل، ولوليس ستوكوورث جلسَت ترتجف مطأطأةً رأسها، كما انفجرَت العروس الشَّابَّة لواحدٍ من فُرسان السير لانسل في البكاء، فأمرَت الملكة المِايستر فرنكن بأن يسقيها نبيذ النَّوم، ثم قالت لسانزا باستخفافٍ بينما أخرَجوا المرأة من القاعة: «الدُّموع، كانت أمِّي تُسَمِّيها سلاح الأنثى، والسَّيف سلاح الرَّجل. يُخبرك هذا بكلِّ ما تُريدين معرفته، أليس كذلك؟».

قالت سانزا: «لكن يجب أن يكون الرِّجال شُجعانًا. الخروج إلى المعركة لمواجَهة السُّيوف والفؤوس، بينما يُريد الجميع قتلك...».

– «ذات مرَّةٍ قال لي چايمي إنه لا يَشعُر بأنه حيٌّ حقًّا إلَّا في ميدان المعركة والفِراش»، ورفعَت الملكة كأسها ورشفَت منها طويلًا بينما ظلَّت سلطتها دون أن تمسَّها، ثم تابعَت: «أفضِّلُ مواجَهة أيِّ عددٍ من السُّيوف على الجلوس عاجزةً هكذا، متظاهرةً بالاستمتاع بصُحبة سَربٍ من الدَّجاجات الخائفة».

– «لقد دعوتِهم إلى المجيء يا جلالة الملكة».

ردَّت سرسي: «ثمَّة أشياء معيَّنة متوقَّعة من الملكة، وستكون متوقَّعة

منكِ أيضًا إذا تزوَّجتِ چوفري، فخيرٌ لكِ أن تتعلَّمي»، وجاسَت بعينيها في الزَّوجات والبنات والأمَّهات اللائي ملأن الدِّكك مواصلةً: «الدَّجاجات أنفسها بلا قيمة، لكن ديوكها مهمَّة لسببٍ أو آخَر، وقد ينجو بعضهم من المعركة، لذا يتوجَّب عليَّ أن أشمل نساءهم بحمايتي. إذا استطاعَ أخي المأفون تحقيق النَّصر بشكلٍ ما، فسيَعُدن إلى أزواجهن وآبائهن بحكاياتٍ عن شَجاعتي وكيف ألهمَتهن ورفعَت معنويَّاتهن، وكيف أني لم أشكَّ في انتصارنا لحظةً».

- «وإذا سقطَت القلعة؟».

- «تتمنَّين هذا، أليس كذلك؟»، ولم تنتظر سرسي إجابةً، بل أردفَت في الحال: «قد أستطيعُ الصُّمود هنا فترةً إذا لم يَخُنِّي حُرَّاسي، ثم أذهبُ إلى الأسوار وأعرضُ الاستسلام على اللورد ستانيس بنفسي، وسيُغنينا هذا عن التعرُّض للأسوأ، لكن إذا سقطَ حصن ميجور قبل وصول ستانيس، فلا يوجد ما أقوله غير أن الاغتصاب ينتظر معظم ضيفاتي، وإياكِ أن تستبعِدي التَّشويه والتَّعذيب والقتل أيضًا في أوقاتٍ كهذه».

قالت سانزا مذعورةً: «هؤلاء نساء عُزل وعاليات المقام!».

- «نعم، أسماء عائلاتهن تحميهن، لكن ليس للدَّرجة التي تحسبينها. كلُّ واحدةٍ منهن تستحقُّ فديةً لا بأس بها، لكن بَعد جنون المعركة تنتاب الجنود الرَّغبة في اللَّحم أكثر من المال، وعلى الرغم من هذا فالذَّهب الذي يقيهن أفضل من لا شيء على الإطلاق، لأن النِّساء في الشَّوارع لن يُعامَلن بأدنى درجةٍ من الرَّأفة، ولا خادماتنا كذلك. فتاة جميلة كوصيفة الليدي تاندا مثلًا تنتظرها ليلة ليلاء، لكن لا تتصوَّري أن المسنَّات والعاجزات والقبيحات في أمان، فبَعد تجرُّع ما يكفي من النَّبيذ تبدو الغسَّالات الضَّريرات وعاملات زرائب الخنازير جميلاتٍ مثلكِ يا حُلوتي».

- «أنا؟!».

- «حاوِلي ألَّا يبدو صوتكِ كأن فأرًا يتكلَّم يا سانزا. إنكِ امرأة الآن، أتَذكُرين؟ ومخطوبة لابني البكر»، ورشفَت الملكة من النَّبيذ، وتابعَت: «لو كان أيُّ أحدٍ آخَر على الأبواب، لأملت أن أستطيع إغواءه، لكن هذا ستانيس

باراثيون بجلالة قَدره، وفُرصتي في إغواء حصانه أكبر»، ولمَّا لاحظَت التَّعبير على وجه سانزا، ضحكَت وقالت: «هل صدمتكِ يا سيِّدتي؟»، ثم مالَت عليها مواصلةً: «أيتها البلهاء الصَّغيرة، الدُّموع ليست سلاحكِ الأوحد، فلديكِ سلاح آخَر بين ساقيكِ، والأفضل أن تتعلَّمي كيف تستخدمينه. ستجدين أن الرِّجال يستخدمون سيوفهم بحُريَّةٍ تامَّة، كلا النَّوعين».

أنقذَ دخول اثنين من الإخوة كِتلبلاك سانزا من الاضطرار للإجابة. لقد أصبحَ السير أوزموند وأخواه من أكثر المفضَّلين بين أهل القلعة، فكلهم حاضرو الابتسامة والدُّعابة، ومنسجمون مع السَّائسين والصيَّادين كما هُم مع الفُرسان ومُرافِقيهم، وتقول النَّميمة إنهم ينسجمون أكثر وأكثر مع الخادمات. في الآونة الأخيرة أخذَ السير أوزموند مكان ساندور كليجاين إلى جوار چوفري، وسمعَت سانزا الغسَّالات عند البئر يقلن إنه قويٌّ ككلب الصَّيد، والفارق بينهما أن أوزموند أصغر وأسرع. إذا كان ذلك حقيقيًّا، فإنها تُسائِل نفسها عن سبب عدم سماعها بالإخوة كِتلبلاك هؤلاء بتاتًا قبل أن يلتحق السير أوزموند بالحَرس الملكي.

ارتسمَت ابتسامة واسعة على وجه أوزني إذ جثا إلى جوار الملكة قائلًا: «السُّفن الثَّقيلة اشتعلَت يا جلالة الملكة. النَّهر الأسود كله متَّقد بالنَّار الشَّعواء. مئة سفينةٍ تحترق، وربما أكثر».

- «وماذا عن ابني؟».

- «عند بوَّابة الطَّمي مع اليد والحَرس الملكي يا جلالة الملكة. كان قد تحدَّث إلى الرُّماة وراء المتاريس قبلها، وأسداهم نصائح عن إطلاق النُّشَّابيَّة. الكلُّ متَّفقون على أنه صبيٌّ قويم شُجاع».

قالت سرسي: «أريده أن يبقى صبيًّا قويمًا حيًّا»، ثم التفتَت إلى أوزفريد وسألَته: «ماذا؟».

أوزفريد أطول قامةً وأكثر حزمًا من أخيه، وقد ارتدى خوذةً قصيرةً من الفولاذ فوق شَعره الأسود الطَّويل، ولاحَت على وجهه نظرة عابسة وهو يُجيب بهدوء: «جلالة الملكة، الصِّبية قبضوا على سائسٍ وخادمتين يُحاوِلون التسلُّل من بوَّابةٍ خلفيَّة بثلاثةٍ من خيول الملك».

قالت الملكة: «باكورة خونة اللَّيلة، لكنٍ أخشى أنهم لن يكونوا الآخِرين. اجعل السير إلين يتولَّى أمرهم، وعلِّق رؤوسهم على الخوازيق فوق الاسطبلات كتحذير»، ثم التفتَت إلى سانزا قائلةً عندما غادَرا: «درس آخَر عليكِ أن تتعلَّميه إذا كنت تأملين في الجلوس إلى جوار ابني. تصرَّفي برأفةٍ في ليلةٍ كهذه وستجدين الخيانات تنبت من كلِّ مكانٍ حولكِ كالفِطر بَعد المطر الشَّديد. السَّبيل الوحيد للحفاظ على إخلاص شعبكِ أن تحرصي على أن يخافكِ أكثر مما يخاف الأعداء».

- «سأتذكَّرُ هذا يا جلالة الملكة»، قالت سانزا على الرغم من أنها سمعَت دائمًا أن الحُبَّ طريقه أقصر وأضمن كثيرًا لولاء النَّاس من طريق الخوف. إذا أصبحتُ ملكةً، سأجعلهم يُحِبُّونني.

قُدِّمَت فطائر السَّرطان البحري بعد السَّلطة، ثم الضَّأن المشوي مع الكرفس والجزر في أطباقٍ من الخُبز المفرَّغ. ازدردَت لوليس طعامها بسرعةٍ وأصابَها الغثيان، فتقيَّأت على نفسها وأختها، وسعلَ اللورد جايلز وشربَ وسعل وشربَ حتى غابَ عن الوعي، ورمقَته الملكة بامتعاضٍ وقد سقطَ وجهه في طبقه ويده في بِركةٍ من النَّبيذ، وقالت: «لا بُدَّ أن الآلهة كانت مجنونةً حين بدَّدت الرُّجولة على أمثاله، ولا بُدَّ أني كنتُ مجنونةً بدوري حين طالبتُ بإطلاق سراحه».

عادَ أوزفريد كِتلبلاك ومعطفه القرمزي يخفق في الهواء من ورائه، وقال: «هناك أناس محتشدون في الميدان يا جلالة الملكة، يَطلُبون الاحتماء داخل القلعة، ليسوا غوغاء، بل تُجَّار أثرياء وما إلى ذلك».

- «مُرهم بالعودة إلى منازلهم، وإذا رفضوا الذَّهاب، اجعل رُماة النُّشَّابيَّة يَقتُلون بعضهم. لا غارات، فلا أريدُ فتح البوَّابات لأيِّ سبب».

قال: «كما تأمرين»، وحنى رأسه وغادرَ.

كانت ملامح الملكة قاسيةً ساخطةً وهي تقول بصوتٍ بدأ يتثاقَل: «ليتني أستطيعُ أن أضرب أعناقهم بالسَّيف بنفسي. في صِغرنا كان التَّشابه بيني وبين جايمي شديدًا لدرجة أن السيِّد والدنا نفسه لم يكن يستطيع التَّمييز بيننا. أحيانًا على سبيل اللَّهو كنا نتبادَل ارتداء ثياب بعضنا بعضًا ويقضي

كلٌّ منا اليوم بطوله منتحلًا شخصيَّة الثَّاني، وعلى الرغم من ذلك، عندما أعطوا چايمي سيفه الأول، لم يُعطوني واحدًا مِثله. أذكرُ أني سألتُ يومها: «علامَ سأحصلُ؟». كنا متشابهيْن لأقصى حَد، فلم أفهم لماذا يُعامِلوننا بهذا الاختلاف الشَّاسع. تعلَّم چايمي القتال بالسَّيف والرُّمح والكرة الشَّائكة، بينما علَّموني أن أبتسم وأغنِّي وأُرضي من حولي. كان وريث كاسترلي روك، وأنا باعوني لرجلٍ غريبٍ كأني فَرس، يمتطيني مالكي الجديد متى شاءَ، ويضربني متى شاءَ، وينبذني حين تظهر مُهرة جديدة أصغر. كان نصيب چايمي المجد والسَّطوة، ونصيبي الولادة والدَّم مع كلِّ دورة قمر».

قالت سانزا: «لكنكِ كنتِ ملكةً على الممالك السَّبع كلها».

- «عندما يتعلَّق الأمر بالقتال، فالملكة مجرَّد امرأة في النِّهاية». نفدَ النَّبيذ من كأس سرسي ثانيةً، فتقدَّمت الخادمة تملأها، لكنها قلبَتها وهزَّت رأسها نفيًا قائلةً: «كفى. أريدُ عقلي صافيًا».

الصَّنف الأخير كان جبن الماعز المقدَّم مع التُّفَّاح المخبوز، وأفعمَت رائحة القرفة القاعة بينما عادَ أوزني كِتلبلاك ليركع بينهما مجدَّدًا ويُغمغِم: «جلالة الملكة، ستانيس أنزلَ رجاله في مضمار المباريات، والمزيد منهم يَعبُرون. بوَّابة الطَّمي تتعرَّض للهجوم، كما يضربون بوَّابة الملك بالمِدَك. العِفريت خرجَ للتصدِّي لهم».

قالت بجفاف: «سيملأهم هذا خوفًا. أتمنَّى أنه لم يأخذ چوف».

- «نعم يا جلالة الملكة. جلالته مع أخي عند العاهرات، يقذف رجال القرون في النَّهر».

- «وبوَّابة الطَّمي تتعرَّض للهجوم؟ حماقة. قُل للسير أوزموند إنني أريده أن يرحل من هناك على الفور. إنه في خطرٍ شديد. أعيدوه إلى القلعة».

- «العِفريت قال...».

قالت سرسي: «لا يهمُّك شيء غير ما أقوله أنا»، وضيَّقت عينيها مضيفةً: «سيفعل أخوك كما يُؤمَر، وإلَّا سأحرصُ على أن يقود الغارة التَّالية بنفسه، وستذهب معه كذلك».

بَعد رفع الأطباق، طلبَ عدد كبير من الضُّيوف إذن الملكة بالذَّهاب إلى

السِّپت، **فلبَّت سرسي** طلبهم بكلِّ دماثة، وكانت الليدي تاندا وابنتاها بين هؤلاء **الذين فرُّوا**. جيءَ لمن ظلُّوا في القاعة بمغنٍّ ملأَ الهواء بموسيقى القيثارة **السَّامية العذبة**، وغنَّى عن چونكويل وفلوريان، والأمير إيمون الفارس التِّنين **وحُبِّه لملكة** أخيه، وسُفن نايميريا العشرة آلاف. إنها أغانٍ جميلة، لكن حزينة للغاية، فبكَت نساء كثيرات، وحتى سانزا شعرَت بالدُّموع تترقرَق في عينيها.

مالَت الملكة عليها قائلةً: «ممتاز يا عزيزتي. عليكِ أن تتمرَّني على ذرف هذه الدُّموع، لأنكِ ستحتاجينها أمام الملك ستانيس».

اعتدلَت سانزا بعصبيَّة، وقالت: «جلالة الملكة؟».

- «أوه، كُفِّي عن هذا التَّهذيب الفارغ! لا بُدَّ أن الأمور بلغَت حَدًّا يائسًا في الخارج ما داموا يحتاجون قزمًا ليقودهم، فاخلعي قناعكِ. إنني أعرفُ كلَّ شيءٍ عن خيانتكِ في أيكة الآلهة».

- «أيكة الآلهة؟». لا تَنظُري إلى السير دونتوس، لا تَنظُري، لا تَنظُري. إنها لا تعرف، لا أحد يعرف. دونتوس وعدَني، فارسي فلوريان لن يخذلني أبدًا. «لم أرتكب أيَّ خيانة. إنني أذهبُ إلى أيكة الآلهة لأصلِّي».

- «لستانيس، أو لأخيكِ، لا فارق. هل من سببٍ آخَر لذهابكِ إلى آلهة أبيكِ؟ إنكِ تُصَلِّين لهزيمتنا، فماذا تُسَمِّين هذا إن لم يكن خيانةً؟».

قالت بإصرارٍ عصبي: «بل أصلِّي لچوفري».

ردَّت الملكةُ: «لماذا؟ لأنه يُعامِلكِ بمنتهى الحنان؟»، وأخذَت إبريقًا من نبيذ البرقوق الحُلو من خادمةٍ مارَّة، وملأَت كأس سانزا قائلةً ببرودٍ آمِر: «اشربي، فلربما يمنحكِ الشَّراب الشَّجاعة لمواجَهة الحقيقة على سبيل التَّغيير».

رفعَت سانزا الكأس إلى شفتيها ورشفَت من النَّبيذ، فوجدَته شديد الحلاوة لكن قوي جدًّا.

قالت سرسي: «يُمكنك أن تبلي بلاءً أحسن. أفرِغي الكأس يا سانزا، ملكتكِ تأمركِ».

كادَ الشَّراب الثَّخين المحلَّى يُغثيها، لكن سانزا أفرغَته في جوفها حتى شعرَت برأسها يدور.

- «المزيد؟».
- «لا، أرجوكِ».

لاحَ الاستياء على الملكة، وقالت: «كذبتُ عليكِ عندما سألتِ عن السير إلين قبل قليل. هل تُريدين سماع الحقيقة يا سانزا؟ هل تُريدين أن تعرفي سبب وجوده هنا؟». لم تجرؤ سانزا على الرَّد، فرفعَت سرسي يدها وأشارَت دون أن تنتظر إجابةً. لم تكن سانزا قد رأت السير إلين يعود إلى القاعة، لكن ها هو ذا هنا فجأةً، يَخرُج بخطواتٍ واسعةٍ من وسط الظِّلال وراء المنصَّة بسكون هرَّةٍ وقد استلَّ «جَليد». كان أبوها يُنَظِّف النَّصل في أيكة الآلهة دومًا عقب أن يقطع رأس رجل، لكن السير إلين ليس نيِّقًا كما كان أبوها، فتلوَّث فولاذ السَّيف بدماءٍ لم تجفَّ بعدُ، وقد بدأ الأحمر يستحيل إلى البنِّي بالفعل. قالت سرسي: «أخبِر الليدي سانزا بسبب احتفاظي بك معنا هنا»، وفتحَ السير إلين فمه وأصدرَ صوتًا خشنًا مبحوحًا دون أن يلوح تعبير على وجهه المجدور، ففسَّرت الملكة: «يقول إنه هنا من أجلنا. قد يأخذ ستانيس المدينة، وقد يأخذ العرش، لكني لن أسمح له بالحُكم عليَّ، ولا أنوي أن يأخذنا أحياء».

- «يأخذنا؟».

قالت سرسي: «كما سمعتِ. ربما عليكِ أن تُصَلِّي ثانيةً إذن يا سانزا من أجل نتيجةٍ مختلفة، لأني أعدُكِ بأن آل ستارك لن يجدوا أيَّ بهجةٍ في سقوط عائلة لانستر»، ومدَّت يدها تمسُّ شَعر سانزا وتُزيحه عن عُنقها.

تيريون

حدَّت الفُرجة في خوذته من رؤيته ما يقع أمامه، لكن حين أدارَ رأسه رأى ثلاثة قوادس راسيةً عند مضمار المباريات، ورابعًا أكبر حجمًا منها بعيدًا في النَّهر، يرمي براميل القار المشتعل من منجنيق.

قال آمرًا ورجاله يتدفَّقون من مخرَج السُّور: «تشكيل الوتد»، فكوَّنوا رأس حربةٍ وتصدَّرهم تيريون، وقد اتَّخذ السيرماندون مور موقعه إلى يمينه واللَّهب يتوهَّج على دِرعه البيضاء المطليَّة بالمينا، بينما التمعَت عيناه الميتتان الخاليتان من أيِّ إحساسٍ تحت خوذته. كان يرتدي حصانًا أسود كالفحم مكسوًّا بالأبيض، ويُثبِّت تُرس الحَرس الملكي ناصع البياض على ذراعه. أمَّا إلى اليسار فقد اندهشَ تيريون لمرأى پودريك پاين حاملًا سيفًا، وقال له من فوره: «أنت صغير للغاية. عُد».

- «إنني مُرافِقك يا سيِّدي».

قال تيريون وقد قرَّر أن لا وقت للجدل: «معي إذن، وابقَ قريبًا مني»، وركلَ حصانه وانطلقَ به.

ركبوا متحاذين بطول الأسوار المرتفعة من فوقهم، وخفقَت راية چوفري التي يحملها السير ماندون على رُمحه بالقرمزي والذَّهبي، يتراقَص عليها الوعل والأسد معًا، ثم بدأوا يُهَروِلون، وداروا دورةً واسعةً حول قاعدة البُرج، فيما تساقطَت السِّهام من أعلى، ودارَت الأحجار في الهواء مارَّةً فوق رؤوسهم لتهوي بعشوائيَّةٍ على اليابسة أو في الماء وتسحق الفولاذ واللَّحم. من أمامهم لاحَت بوَّابة الملك وفيض من الجنود يقرعونها بمِدَكٍّ عبارة عن

عمود ضخم من البلُّوط الأسود له رأس من الحديد، وقد أحاط بهم الرُّماة الذين أنزلَتهم السُّفن، مطلقين سهامهم على أيِّ مدافِعين يظهرون على أسوار مبنى البوَّابة. صاحَ تيريون: «الرِّماح»، وهمزَ حصانه فبدأ يخبُّ.

كانت الأرض زلقةً للغاية من فرط تشبُّعها بالماء، وتعثَّر حصانه في جثَّةٍ وانزلقَت حوافره، فخشيَ تيريون لحظةً أن هجومه سينتهي به وقد سقطَ من فوق سَرجه قبل أن يَبلُغ العدوَّ حتى، لكن بشكلٍ ما استطاعَ وحصانه الحفاظ على توازُنهما. عند البوَّابة كان الرِّجال يلتفتون إليهم بسرعةٍ محاولين اتِّخاذ وضع استعدادٍ للصَّدمة القادمة، ورفعَ تيريون فأسه وهتفَ: «كينجز لاندنج!»، فسرى الهتاف منه إلى آخَرين، وحلَّق رأس الحربة كصرخةٍ طويلةٍ عمادها الحديد والحرير والحوافر التي ترجُّ الأرض رجًّا والنِّصال الماضية التي قبَّلتها النَّار.

وجَّه السير ماندون رأس رُمحه في اللَّحظة الأخيرة، وأغمدَ راية چوفري في صدر رجلٍ يرتدي صُدرةً مطعَّمةً بالحديد، رافعًا إياه عن الأرض بالكامل قبل أن ينقصم عمود الرُّمح، وأمام تيريون كان رجل على سُترته رمز ثعلبٍ يطلُّ من حلقةٍ من الأزهار، فكان أول ما خطرَ بباله هو: فلورنت، لكن سرعانَ ما جاءَ الخاطر التَّالي: لا يرتدي خوذةً، فهوى تيريون على وجه الرَّجل بكلِّ ثقل فأسه وذراعه وفَحله المنقض، وفصلَ نِصفَ رأسه شاعرًا بالخدر يسري في كتفه من عُنف الصَّدمة، فقال لنفسه وهو يُواصِل الانطلاق: كان شاجا ليضحك مني.

اصطدمَت حربةٌ بتُرسه، وإلى جواره ركضَ پودريك پاين بحصانه ضاربًا كلَّ عدوٍّ يمرُّ به بسيفه، وتناهَت إلى مسامع تيريون هتافات الرِّجال من فوق الأسوار بصوتٍ خافتٍ إذ سقطَ المِدَكُّ في الوحل وقد نُسِيَ في لحظةٍ حين فَرَّ حاملوه أو استداروا ليُقاتِلوا. دعسَ تيريون واحدًا من رُماة العدوِّ، وشَقَّ لحم حامل حربةٍ من الكتف إلى الإبط، وسدَّد ضربةً إلى خوذةٍ ذات ريشةٍ بشكل سمكة سيَّاف البحر. عند المِدَكِّ تراجعَ حصانه الأحمر الكبير ورفعَ قائمتيه الأماميَّتين، لكن الفَحل الأسود وثبَ فوق العائق برشاقةٍ ومرقَ السير ماندون إلى جواره كالوميض، الموت يرتدي الحرير الأبيض النَّاصع، وبترَ

سيفه الأطراف وهشَّم الرُّؤوس وحطَّم التُّروس إلى شظايا... وإن كان قلائل من جنود العدوِّ قد استطاعوا عبور النَّهر بتُروسهم سليمةً على كلِّ حال.

كان خصومهم يلوذون بالفرار، فدفعَ تيريون حصانه للمرور من فوق المِدَكِّ، وأجالَ النَّظر يمينًا وشِمالًا مرَّةً تلو المرَّة، لكنه لم يرَ أثرًا لپودريك پاين، قبل أن يرتطم سهم بجانب خوذته وقد أخطأَ فُرجة الرُّؤية ببوصةٍ واحدة، وكادَت رجَّة الخوف تُسقِطه من فوق الحصان. إذا ظللتُ ثابتًا هنا كجذع شجرة، فحريٌّ بي أن أرسم هدفًا على صدري أيضًا.

عادَ يحثُّ حصانه على الحركة، وركضَ فوق الجُثث المتناثرة ومن حولها. في اتِّجاه المصبِّ كان النَّهر الأسود مكتظًّا بأبدان القوادس المحترقة، وقد ظلَّت بؤر من النَّار الشَّعواء طافيةً على سطح الماء، ترتفع منها ألسنة اللَّهبِ الأخضر عشرين قدمًا في الهواء وتدور. لقد نجحوا في تشتيت فرقة المِدَكِّ، لكنه رأى القتال محتدمًا بطول ضفَّة النَّهر كلها، فخمَّن أنهم رجال السير بالون سوان غالبًا، أو رجال لانسل، يُحاولون إلقاء العدوِّ في الماء بمجرَّد أن تنزل جماعاته من السُّفن المشتعلة. قال آمرًا: «سنذهب إلى بوَّابة الطَّمي».

صاحَ السير ماندون: «إلى بوَّابة الطَّمي!»، وهتفَ رجاله بأصواتٍ مبحوحة: «كينجز لاندنج!» و«النِّصف رجل! النِّصف رجل!»، فتساءلَ عمَّن علَّمهم هذا اللَّقب. من تحت فولاذ وبطانة خوذته سمعَ صرخات الألم وطقطقة اللَّهب الجائع ونغمات الأبواق الرَّاجفة، ورأى النِّيران في كلِّ مكان. بحَقِّ الآلهة، لا عجب أن كلب الصَّيد خائف. إنه يخشى النَّار...

دوَّى صوت ارتطام مروِّع عبر النَّهر الأسود إذ أصابَ حجر بحجم حصانٍ أحد القوادس في المنتَصَف مباشرةً، فسألَ تيريون نفسه: قادسنا أم قادسهم؟ وإن لم يستطِع التَّمييز عبر حُجب الدُّخان الكثيف. كان تشكيل رأس الحربة قد تفرَّق تمامًا، وكلُّ رجلٍ يخوض معركته الخاصَّة الآن، ففكَّر وهو يتقدَّم: كان عليَّ أن أتراجَع...

أحسَّ بالفأس ثقيلةً في يده. في أعقابه كانت حفنة من الرِّجال ما زالت تتبعه، وقد قُتِلَ البقيَّة أو هربوا، واضطرَّ لإجبار فَحله على الاتِّجاه شَرقًا، فالجواد الضَّخم لا يحبُّ النَّار أكثر من ساندور كليجاين، وإن كان أسهل انقيادًا.

زحفَ الرِّجال من النَّهر، رجال محترقون ينزفون، يَسعُلون ماءً، يترنَّحون، ومعظمهم يحتضر. قادَ تيريون فرقته بينهم، وأهدى الأقوياء القادرين على الوقوف من جُند العدوِّ ميتةً أسرع وأنظف، وسرعان ما تقلَّصت الحرب حتى لم يَعُد مداها يتجاوَز فُرجة الرُّؤية في خوذته. فُرسان بضِعف حجمه فرُّوا منه، أو واجَهوه ولاقوا حتفهم، فبدوا له مجرَّد أشياء صغيرة خائفة، وهتفَ وهو يُعمِل فأسه في هذا وذاك: «لانستر!»، وقد اصطبغَت ذراعه حتى المِرفق بالأحمر اللَّامع في أضواء النَّهر. حين تراجعَ حصانه ثانيةً، رفعَ فأسه ولوَّح بها في وجه النُّجوم، سامعًا إياها تهتف: «النِّصف رجل! النِّصف رجل!».

وأحسَّ تيريون كأنه سكران.

حُمَّى المعركة. لم يتخيَّل قَطُّ أنه سيختبرها بنفسه، مع أن چايمي كان يحكي عنها كثيرًا، ويصفُ كيف يتشوَّش الزَّمن ويتباطَأ، بل ويتوقَّف، وكيف يختفي الماضي والمستقبَل في غياهب النِّسيان حتى لا يبقى شيء غير اللَّحظة الحاليَّة، وكيف يهرب الخوف، ويفرُّ التَّفكير، ويغيب الإحساس بجسدك ذاته. «عندئذٍ لا تَشعُر بجروحك، أو بالألم في ظَهرك من ثِقل الدِّرع، أو بالعَرق الذي يسيل في عينيك. إنك تكفُّ عن الشُّعور، عن التَّفكير، تكفُّ عن أن تكون أنت، فلا شيء هنالك سوى القتال والعدوِّ، هذا الرَّجل ثم التَّالي ثم التَّالي ثم التَّالي، وتعلم أنهم خائفون متعَبون لكنك لست كذلك، أنت حي، والموت يُحيط بك من كلِّ جانبٍ لكن سيوفهم تتحرَّك بنتهى البُطء، ويُمكنك أن تشقَّ طريقك بينها راقصًا ضاحكًا». حُمَّى المعركة. إنني نصف رجلٍ أسكرَته المذبحة. فليقتُلوني إذا استطاعوا!

ولقد حاوَلوا. انقضَّ عليه حامل حربةٍ آخَر، لكن تيريون دارَ حوله بسرعةٍ وقطعَ رأس الحربة، ثم يد الرَّجل، ثم ذراعه، قبل أن ينقضَّ عليه قوَّاس بلا قوسٍ مسدِّدًا إليه سهمه كأنه سكِّين، فركلَ الفَحل فخذ الرَّجل ليطرحه أرضًا، وانفجرَ تيريون ضاحكًا. مَرَّ برايةٍ مغروسةٍ في الأرض، واحدة من رايات ستانيس ذات القلب النَّاري، وشطرَ السَّارية نِصفين بضربةٍ من فأسه، ثم ظهرَ فارس من اللا مكان وهوى على تُرسه بسيفٍ عظيمٍ يحمله بكلتا يديه، وراحَ

يضرب ويضرب حتى غرسَ أحدهم خنجرًا في باطن ذراعه، أحد رجال تيريون ربما، فهو لم يلمحه.

صاحَ فارس آخَر على مسافةٍ أبعد عند الضفَّة: «أستسلمُ! أستسلمُ يا سيِّدي الفارس! ها هي الأمارة، ها هي!». كان الرَّجل ساقطًا في بِركةٍ من الماء الأسود ويرفع قُفَّازًا واقيًا من الصَّفائح المعدنيَّة كأمارةٍ على الاستسلام، فاضطرَّ تيريون لأن يميل ليأخذه منه، وفي هذه اللَّحظة انفجرَت جرَّة من النَّار الشَّعواء في مكانٍ ما فوقهما ناثرةً اللَّهب الأخضر، وفي الضَّوء المباغت رأى تيريون أن البركة ليست سوداء بل حمراء. كانت يد الفارس المبتورة لا تزال داخل القُفَّاز، فألقاها إليه ثانيةً، وانتحبَ الرَّجل بعجزٍ ويأسٍ مردِّدًا: «أستسلمُ»، وابتعدَ تيريون عنه.

أطبقَ جُندي على لجام حصانه وحاولَ أن يطعن تيريون في وجهه بخنجر، فصَدَّ الضَّربة وأطارَ السِّلاح من يد الرَّجل، قبل أن يغرس الفأس في مؤخِّرة عُنقه، وبينما انتزعَها ثانيةً لاحَ طيف أبيض وهَّاج عند حافة بصره، فالتفتَ تيريون مفكِّرًا أنه سيجد السير ماندون مور إلى جواره، لكنه كان فارسًا أبيض مختلفًا. يرتدي السير بالون سوان الدِّرع نفسها، لكن كسوة حصانه عليها رمز عائلته، البجعة البيضاء تُصارِع الثَّانية السَّوداء. إنه فارس مرقَّط أكثر من أبيض. كلُّ شبرٍ من السير بالون كان ملوَّثًا بالدَّم وملطَّخًا بالسِّناج، وقد رفعَ كرته الشَّائكة مشيرًا في اتِّجاه المصبِّ ليلوح فُتات العظام والأمخاخ العالق بيده وهو يقول: «سيِّدي، انظُر».

دارَ تيريون بحصانه يُلقي نظرةً عبر النَّهر الأسود الذي يتدفَّق بقوَّةٍ في مجراه، وإن كان سطحه فوضى من الدَّم والنَّار، بينما تلوَّنت السَّماء بالأحمر والبرتقالي والأخضر الصَّارخ. سألَ: «ماذا؟»، ثم إنه رأى.

كان الجنود المدرَّعون بالفولاذ ينزلون متعثِّرين من قادسٍ محطَّم اصطدمَ بأحد الأرصفة. كثيرون للغاية. من أين يأتون؟ ضيَّق تيريون عينيه في محاولةٍ للرُّؤية من خلال الدُّخان والوهج، وتابعَتهم نظراته حتى النَّهر، حيث رأى عشرين من القوادس المتلاصقة، وربما أكثر من عشرين، فمن العسير أن يُحصي العدد من هنا. كانت المجاذيف متشابكةً، والخطاطيف تلصق

الأبدان ببعضها بعضًا، بينما اخترقَ مِدَكُّ كلِّ قادسٍ قادسًا آخَر، وصنعَت حبال الأشرعة معًا شبكةً هائلة الحجم. طفَت سفينةٌ ثقيلة مقلوبة بين اثنتين أصغر حجمًا، ثلاثتها محطَّم لكن متلاحم لدرجةٍ تُتيح الوثوب من سطحٍ إلى آخَر، ومن ثَمَّ عبور النَّهر الأسود.

ومئات من أجرأ رجال ستانيس كانوا يفعلون هذا بالتَّحديد.

شاهدَ تيريون فارسًا أحمق كبيرًا يُحاوِل أن يَعبُر ركوبًا، يحثُّ حصانه المرعوب على المرور فوق حواف المراكب ومجاذيفها والأسطُح الغارقة في الدِّماء وتشتعل فيها النَّار الخضراء. فكَّر بهلع: لقد مددنا لهم جسرًا!! أجزاء من هذا الجسر كانت تغرق وأجزاء أخرى يزحف عليها اللَّهب، والشَّيء كله يصرُّ ويتمايَل ويبدو على وشك التهشُّم في أيِّ لحظة، لكن شيئًا من هذا لم يوقِفهم، فقال للسير بالون سوان بإعجاب: «إنهم رجال شُجعان. هيا نذهب ونَقتُلهم».

قادَهم تيريون عبر بؤر النَّار المرتعشة والسِّناج والرَّماد على ضفَّة النَّهر، تدقُّ حوافر حصانه رصيفًا حجريًّا طويلًا، ومن ورائه رجال السير بالون ورجاله، وانضمَّ إليهم السير ماندون وقد تصدَّع تُرسه تمامًا. دارَت دوَّامات الدُّخان والجمار في الهواء، ونكصَ جنود العدوِّ أمام هجومهم، ملقين نفسهم في الماء ومُسقِطين رجالًا آخَرين من رفاقهم وهُم يُحاوِلون الصُّعود إلى متون السُّفن من جديد. عند أول الجسر كان واحد من قوادس العدوِّ نِصف الغارقة، تحمل مقدِّمته اسم «سُم التنِّين»، وقد مزَّقت إحدى السُّفن الثَّقيلة التي وضعَها تيريون بين الأرصفة قاعه تمزيقًا. غرسَ حامل حربة على صدره السَّرطان الأحمر رمز عائلة سلتيجار رأس سلاحه في صدر حصان السير بالون قبل أن يترجَّل، وأسقطَ الفارس من فوق سَرجه، فضربَ تيريون رأس الرَّجل بفأسه وهو يمرُّ به بأقصى سرعة، وعندئذٍ كان التوقُّف فجأةً صعبًا، فوثبَ حصانه من نهاية الرَّصيف فوق حافة سفينةٍ محطَّمة وحَطَّ صارخًا في المياه الضَّحلة، وطارَت فأس تيريون من يده، يتبعها تيريون نفسه، الذي سقطَ بعُنفٍ على السَّطح المبتل.

وبَعد هذا سادَ الجنون.

كان حصانه قد كسرَ إحدى قوائمه ويُطلِق صرخاتٍ شنيعة، وبشكلٍ ما استطاعَ تيريون أن يسحب خنجره ويشقَّ عُنق الحيوان المسكين، فتفجَّرت منه نافورة قرمزيَّة أغرقَت ذراعي القزم وصدره، قبل أن يتمكَّن من النُّهوض ويتَّجه نحو حاجز السَّفينة، ليجد نفسه يُقاتِل ويترنَّح ويَنثُر المزيد من الماء على الأسطُح التي أغرقَها الماء بالفعل. هاجمَه رجال، فقتلَ بعضهم وجرحَ غيرهم ودفعَ آخَرين إلى الهرب، لكن آخَرين حلُّوا محلَّهم دائمًا، وفقدَ تيريون خنجره وحصلَ على حربةٍ مكسورةٍ لا يدري كيف، لكنه أطبقَ عليها وأخذَ يطعن وقد رفعَ عقيرته بالسِّباب واللَّعنات. فَرَّ منه الرِّجال وكرُّوا عليه بينما وثبَ من سفينةٍ إلى أخرى وأخرى، طيلة الوقت يُلازِمه ظِلَّاه الأبيضان، بالون سوان وماندون مور المتألِّقان في دِرعيهما الثَّلجيَّتين. قاتلَ الاثنان ظَهرًا إلى ظَهرٍ حين طوَّقتهما مجموعة من حاملي رماح ڤيلاورين، فكان قتالهما رقصةً بديعةً.

أمَّا تيريون فكان يُسَدِّد ضربات الموت على نحوٍ أخرق، فطعنَ رجلًا في كليته من الخلف، وأمسكَ آخَر من ساقه وشقلبَه في النَّهر، وهسهسَت السِّهام مارَّةً برأسه وارتطمَت بدِرعه، وانغرسَ أحدها بين كتفه وواقي الصَّدر، لكنه لم يَشعُر به البتَّة. سقطَ رجل عارٍ من السَّماء وحَطَّ على سطح السَّفينة، فتفجَّر جسده كثمرة بطِّيخ ألقاها أحدهم من علٍ، وتناثرَت دماؤه في عيني تيريون، وبدأت الحجارة تهوي من أعلى، تُحَطِّم الأسطُح وتصنع من الرِّجال عجينًا، حتى ارتجفَ الجسر كله بقوَّةٍ وتمايلَ بعُنفٍ تحت الأقدام، وأطاحَ به جانبًا.

فجأةً كانت مياه النَّهر تتدفَّق داخل خوذته، فخلعَها بعُنفٍ وزحفَ على السَّطح المائل حتى أصبحَ الماء يَبلُغ عُنقه فقط، فيما ملأَت قعقعة الهواء كصريخ وحشٍ عملاقٍ يحتضر. وجدَ تيريون ما يكفي من وقتٍ لأن يُفكِّر: السَّفينة، إنها على وشك الانفصال. كان حُطام القوادس ينفصل ويتمزَّق، الجسر كله ينهار، وبمجرَّد أن أدركَ هذا سمعَ صوتًا كهزيم الرَّعد، ومالَ السَّطح تحت قدميه فوجدَ نفسه في الماء مجدَّدًا.

كان القادس مائلًا بزاويةٍ شديدة الانحدار، حتى إنه عادَ يصعد تسلُّقًا، يدفع نفسه بوصةً بوصةً على الخشب المتشظِّي الملطَّخ بالدَّم، ومن رُكن عينه

رأى السَّفينة الثَّقيلة التي التحمَ بها القادس تطفو مع التيَّار في اتِّجاه المصب، تدور بتؤدةٍ بينما يثب الرِّجال من على جانبها، بعضهم يحمل على صدره قلب ستانيس النَّاري وبعضهم يحمل وعل وأسد چوفري وغيرهما من الرُّموز، لكن لا فارق، فالنَّار مشتعلة في اتِّجاه المنبع واتِّجاه المصب.

على أحد جانبيه معركة ضَروس وفوضى عارمة من الرَّايات الخافقة فوق بحرٍ من المتقاتلين، وحوائط تروسٍ تتشكَّل وتتحطَّم، وفُرسان على خيولهم يختَرقون الصُّفوف، وغُبار ووحل ودماء ودُخان، وعلى الجانب الآخَر ترتفع القلعة الحمراء على تَلِّها وتنفث النَّار.

لكن القلعة على الجانب الخطأ. مرَّت لحظة وقد حسبَ تيريون أنه فقدَ عقله، أن ستانيس والقلعة تبادَلا الأماكن. كيف عبرَ ستانيس إلى الضفَّة الشَّماليَّة؟ متأخِّرًا تبيَّن أن السَّطح يدور، وأنه دارَ معه بشكلٍ ما لم يلحظه، فأخذَت كلٌّ من القلعة والمعركة موقع الأخرى. المعركة؟ أيُّ معركة؟ إذا كان ستانيس لم يَعبرُ، فمَن يُقاتِل الآن؟ منعَه إرهاقه الشَّديد من التَّفكير، وأحسَّ بألمٍ رهيبٍ في كتفه، وحين مَدَّ يده يَفرُكها رأى السَّهم وتذكَّر. يجب أن أنزل من على هذه السَّفينة. في اتِّجاه المصبِّ ما من شيءٍ غير حائطٍ من النَّار، وإذا انفصلَ السَّطح فسيحمله التيَّار إليه مباشرةً.

بلغَه صوت يُنادي باسمه خفيضًا وسط جعجعة المعركة، وحاولَ تيريون أن يردَّ صائحًا: «هنا، هنا! أنا هنا! ساعِدني!»، فبدا صوته رفيعًا مبحوحًا للغاية لدرجة أنه سمعَ نفسه بالكاد. كان يسحب نفسه إلى أعلى على السَّطح المائل حتى تمسَّك بالحاجز، عندما ارتطمَ بدن القادس بالقادس المجاور بمنتهى العُنف وارتدَّ بعُنفٍ أكبر كادَ يُسقِط تيريون في الماء، فبذلَ كلَّ ما تبقَّى له من طاقةٍ للتشبُّث. أين ذهبَت قوَّتي؟

- «سيِّدي! خُذ يدي! لورد تيريون!».

هناك، على سطح السَّفينة التَّالية، وعبر فجوةٍ تتَّسع من المياه السَّوداء، وقفَ ماندون مور مادًّا يده، ينعكس وهج النَّارين الصَّفراء والخضراء على بياض دِرعه بينما لوَّثت الدِّماء اللَّزجة قُفَّازه الواقي، لكن تيريون مَدَّ يده متمنيًا لو أنهما كانتا أطول.

فقط في اللَّحظة الأخيرة، حين تماسَّت أصابعهما بالفعل عبر الثَّغرة، وثبَ السُّؤال إلى عقله... السِّير ماندون يمدُّ يده اليُسرى، فلِمَ...

ألهذا السَّبب تراجعَ تيريون أم أنه رأى السَّيف بالفعل؟ لن يدري أبدًا.

هوَت الضَّربة تحت عينيه مباشرةً، وشعرَ بلمسةٍ باردةٍ صُلبةٍ على وجهه تبعَها لهيب الألم، ودارَ رأسه كأن هناك من صفعَه، فكانت صدمة المياه الباردة بمثابة صفعةٍ ثانيةٍ أعنف من الأولى. مَدَّ يده محاولًا التشبُّث بأيِّ شيءٍ، عالمًا علم اليقين أنه إذا غاصَ فلن يطفو ثانيةً أبدًا، وبوسيلةٍ ما وجدَت يده طرف مجذافٍ مهشَّم، فتمسَّك بها كحبيبٍ يائسٍ وبدأ يصعد قدمًا قدمًا، عيناه كلتاهما ماء، وفمه كله دماء، وآلاف المطارقَ تدقُّ في جمجمته. *امنحيني القوَّة لبلوغ السَّطح أيتها الآلهة*... لا شيء هنالك غير المجذاف والمياه والسَّطح.

أخيرًا تدحرجَ على السَّطح وتمدَّد على ظَهره متقطِّع الأنفاس خائر القوى، وطقطقَت كرات اللَّهب الأخضر والبرتقالي في الهواء فوق رأسه تاركةً خيوطًا ناريَّةً بين النُّجوم، وطيلة لحظةٍ واحدةٍ جالَ بخلده أن منظرها يبدو جميلًا حقًّا، قبل أن يحجبها السير ماندون فجأةً. كان الفارس ظِلًّا فولاذيًّا أبيض تلمع عيناه الدَّاكنتان تحت خوذته، وتيريون بلا حيلةٍ كدُميةٍ من القُماش، وسدَّد السير ماندون رأس سيفه إلى حَلقه وكوَّر بيديه معًا على المقبض.

ثم إنه ترنَّح إلى اليسار فجأةً وارتطمَ بالحاجز، وانقسمَ الخشب ليَسقُط السير ماندون صارخًا ويَنثُر الماء، وفي اللَّحظة التَّالية تصادمَ بدنا القادسين مرَّةً أخرى بعُنفٍ جعلَ السَّطح يبدو كأنه وثبَ في الهواء. كان أحدهم راكعًا إلى جواره، فتمتمَ بصوتٍ مبحوح والدَّم الذي أفعمَ فمه يكاد يَخنُقه: «چايمي؟». مَن منقذه إذن إن لم يكن أخاه؟

قال الصَّوت: «اثبت يا سيِّدي. إنك مصاب بشدَّة»، ففكَّر تيريون: *لا أفهمُ، إنه صوت صبي... صوت أقرب إلى صوت پود.*

سانزا

حين قال السير لانسل لانستر للملكة إنهم خسروا المعركة، قلبَت كأس النَّبيذ الفارغة في يدها، وقالت: «قُل هذا لأخي أيها الفارس». كان صوتها شاردًا كأن الخبر لا يعنيها كثيرًا.

- «أخوكِ ماتَ على الأرجح». كانت سُترة السير لانسل غارقةً بالدَّم السَّائل من باطن ذراعه، ولمَّا دخلَ القاعة دفعَ منظره عددًا من الضُّيوف إلى الصُّراخ. «نعتقدُ أنه كان فوق جسر المراكب حين تحطَّم، وغالبًا ماتَ السير ماندون أيضًا، ولا أحد يُمكنه العثور على كلب الصَّيد. بحَقِّ الآلهة الملعونة يا سِرسي، لماذا جعلتِهم يُعيدون چوفري إلى القلعة؟ ذوو المعاطف الذَّهبية يُلقون حرابهم ويفرُّون بالمئات، فقدوا شَجاعتهم كلها حين رأوا الملك يُغادِر. النَّهر الأسود كله حطام وحرائق وجُثث، لكن كنا لنستطيع الصُّمود لو...».

دفعَه أوزني كِتلبلاك متقدِّمًا وخاطبَ سرسي قائلًا: «القتال يدور على ضفَّتي النَّهر الآن يا جلالة الملكة. التَّخمين أن عددًا من لوردات ستانيس يُقاتِلون بعضهم بعضًا، لكن لا أحد يستطيع الجزم، فالوضع مرتبك تمامًا هناك. كلب الصَّيد رحلَ ولا أحد يدري إلى أين، والسير بالون انسحبَ إلى المدينة، والعدوُّ استولى على هذه الضفَّة من النَّهر، ويضرب بوَّابة الملك بالمِدَكِّ من جديد، والسير لانسل على حَق، فرجالكِ يهربون من مواقعهم على الأسوار ويَقتُلون ضبَّاطهم، والغوغاء على بوَّابة الحديد وبوَّابة الآلهة يُكافِحون للخروج، كما أن السَّكارى أشعَلوا «جُحر البراغيث» كله شغبًا».

قالت سانزا في قرارة نفسها: لترحمنا الآلهة، إنها النِّهاية، چوفري فقدَ رأسه وفقدتُ رأسي معه، وبحثَت بعينيها عن جلَّاد الملك، لكن السير إلين لم يكن موجودًا، ففكَّرت: لكني أشعرُ به. إنه قريب. لن أهرب منه وسيقطع رأسي.

بهدوءٍ عجيب التفتَت الملكة إلى أوزفريد قائلةً: «ارفعوا الجسر المتحرِّك وأوصِدوا الأبواب. لا أحد يَدخُل أو يُغادِر حصن ميجور دون إذني».

- «وماذا عن النِّساء اللاتي ذهبن للصَّلاة؟».

- «لقد اخترن أن يَخرُجن من تحت حمايتي، فدعهن لصلاتهن، ولربما تُدافِع عنهن الآلهة. أين ابني؟».

- «عند مبنى بوَّابة القلعة. أرادَ أن يقود رُماة النُّشَّابيَّة. ثمَّة دهماء يعوون في الخارج، نِصفهم من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة الذين ذهبوا معه حين تركَ بوَّابة الطَّمي».

- «اجعلوه يَدخُل حصن ميجور في الحال».

- «لا!». كان لانسل غاضبًا لدرجة أنه نسيَ أن يخفض صوته، فالتفتَت إليهم الرُّؤوس وهو يصيح: «سيتكرَّر ما حدثَ عند بوَّابة الطَّمي. دعيه يبقى حيث هو. إنه الملك...».

قاطعَته سرسي لانستر: «إنه ابني»، ونهضَت متابعةً: «تدَّعي أنك من آل لانستر أيضًا يا ابن العم، فأثبِت هذا. أوزفريد، لماذا تقف هنا؟ في الحال يعني اليوم!».

أسرعَ أوزفريد كِتلبلاك يُغادِر القاعة ومعه أخوه، فيما بدأ ضيوف كُثر يهرعون إلى الخارج أيضًا، وارتفعَ بكاء بضع نساءٍ ودعاء غيرهن، أمَّا الأخريات فقد ظللن جالساتٍ إلى الموائد ببساطةٍ وطلبن المزيد من النَّبيذ.

قال السير لانسل متوسِّلًا: «سرسي، إذا خسرنا هذه القلعة، فسيُقتَل چوفري في جميع الأحوال، تعلمين هذا. دعيه يبقى في مكانه وسألازِمه بنفسي، أقسمُ لكِ...».

- «ابتعد عن طريقي»، قالت سرسي ضاربةً جرحه بكَفِّها المفتوحة، فصرخَ السير لانسل ألمًا وكادَ يفقد الوعي، أمَّا الملكة فخرجَت من القاعة

دون أن تُلقي على سانزا نظرةً واحدةً. لقد نسيَتني. سيقتُلني السير إلين ولن تُفَكِّر فيَّ حتى.

ولولَت واحدة من النِّسوة: «يا للآلهة، لقد ضِعنا، خسرنا المعركة، إنها تفرُّ!»، وارتفعَ بكاء أطفال كثيرين. لا بُدَّ يُحِسُّون بالخوف السَّائد في المكان. وجدَت سانزا نفسها بمفردها على المنصَّة. أعليها أن تبقى هنا أم تهرع وراء الملكة وتتوسَّل العفو عن حياتها؟

لا تدري لماذا نهضَت، لكنها فعلَت ورفعَت صوتها قائلةً: «لا تخافوا، فالملكة رفعَت الجسر المتحرِّك. هذا أأمن مكان في المدينة، وهناك جُدران سميكة وخندق وخوازيق...».

قالت امرأة تعرفها معرفةً عابرةً، زوجة أحد اللوردات صغار الشَّأن: «ماذا حدثَ؟ ماذا قال لها أوزني؟ هل جُرِحَ الملك أم سقطَت المدينة؟»، وصاحَت امرأة ثانية: «أخبرينا!»، وسألَت ثالثة عن أبيها، ورابعة عن ابنها.

رفعَت سانزا يديها طالبةً الهدوء قائلةً: «چوفري عادَ إلى القلعة، وليس جريحًا. إنهم ما زالوا يُقاتِلون، هذا كلُّ ما أعرفه، يُقاتِلون بشَجاعة. الملكة ستعود قريبًا». الجزء الأخير من جملتها كذب، لكن كان عليها تهدئتهم. لاحظَت المهرِّجيْن واقفيْن تحت الشُّرفة، فقالت: «أضحِكنا يا فتى القمر».

تشقلبَ فتى القمر كالعجلة ووثبَ فوق مائدة، وتناولَ أربع كؤوس وبدأ يقذفها ويلتقطها تباعًا في الهواء، بين الحين والآخَر يَسقُط أحدها ويتهشَّم على رأسه، فتتردَّد بضع ضحكاتٍ عصبيَّة في القاعة. ذهبَت سانزا إلى السير لانسل وركعَت إلى جواره، فوجدَت جرحه ينزف من جديدٍ حيث لطمَته الملكة، وقال لاهثًا: «جنون. العِفريت كان مصيبًا بحَقِّ الآلهة، كان مصيبًا...».

قالت آمرةً لاثنين من الخدم: «ساعِداه»، فرمقَها أحدهما ثم ولَّى الأدبار حاملًا إبريق نبيذ، وكان خدم آخَرون يُغادِرون القاعة أيضًا، لكنها مكتوفة اليدين أمام ذلك، وهكذا ساعدَت سانزا والخادم الثَّاني الفارس المصاب على النُّهوض، وقالت للرَّجل: «خُذه إلى المِايستر فرنكن». على الرغم من أن لانسل لانستر منهم، فإنها لم تقوَ على أن تتمنَّى موته. إنني لينة وضعيفة وحمقاء بحَقٍّ كما يقول چوفري. حريٌّ بي أن أقتله لا أن أساعده.

كان ضوء المشاعل قد بدأ يخفت، وانطفأ اثنان منها بالفعل، لكن لا أحد كلَّف نفسه مشقَّة استبدالهما، وسرسي لم ترجع.

صعدَ السير دونتوس إلى المنصَّة بينما تابعَت الأعيُن كلها المهرِّج الثَّاني، وهمسَ لها: «عودي إلى غُرفتك يا جميلتي چونكويل. أوصِدي الباب على نفسكِ وستكونين في أمانٍ أكثر هناك. سآتِ إليكِ عندما تنتهي المعركة».

أحدهم سيأتي إليَّ، لكن هل سيكون أنت أم السير إلين؟ انتابَتها لوثة لحظةً وفكَّرت أن تتوسَّل إلى دونتوس أن يُدافِع عنها، فقد كان فارسًا وتدرَّب على المبارَزة وأقسمَ على حماية الضُّعفاء. لكنه لا يملك الشَّجاعة أو المهارة. سوف أقتله معي لا أكثر.

تطلَّب الخروج من قاعة حفلات الملكة بمشيةٍ بطيئة كلَّ قوتها فيما اشتدَّت رغبتها في الرَّكض، لكن حين بلغَت الدَّرجات الملتفَّة بدأت تصعدها ركضًا حقًّا حتى تقطَّعت أنفاسها وأصابها الدُّوار. اصطدمَ بها أحد الحُرَّاس على السَّلالم، فسقطَت كأس نبيذٍ مرصَّعة بالجواهر وزوج من الشَّمعدانات الفضِّيَّة من المعطف الأحمر الذي لَفَّه حولها، فأسرعَ وراء غنيمته بمجرَّد أن قرَّر أن سانزا لن تُحاول أن تسلبه إياها.

وجدَت الظَّلام في غُرفتها دامسًا، وأوصدَت الباب وتحرَّكت متعثِّرةً نحو النَّافذة، وحين أزاحَت السَّتائر احتبسَت الأنفاس في حَلقها.

كان الأُفق الجَنوبي مشتعلًا بألوانٍ وهَّاجة تتبدَّل كلَّ لحظة، وقد انعكسَت على سمائه الحرائق المضطرمة في الأسفل، فينهمر الطُّوفان الأخضر المهلك على بطون السَّحاب، وتسيل بِرك الضَّوء البرتقالي على السَّماء، يتقاتَل أحمر وأصفر النَّار التَّقليديَّة مع زمرُّد ويَشب النَّار الشَّعواء، ويتأجَّج كلُّ لونٍ ثم يخبو متمخِّضًا عن جيوشٍ من ظلالٍ قصيرة الحياة تموت بَعد لُحيظات، ويُفسِح ألف فَجرٍ أخضر الطَّريق لألف غَسقٍ بُرتقالي في غمضة عين. بدا كأن الهواء ذاته يحترِق، تُفعمه تلك الرَّائحة التي تفوح عندما تُنسى قِدر الحَساء على النَّار طويلًا حتى تتبخَّر محتوياتها كلها، وتطايرَت الجمار في سواد اللَّيل كأسرابٍ وأسرابٍ من الحشرات المضيئة.

تراجعَت سانزا بعيدًا عن النَّافذة منسحبةً نحو أمان فِراشها، وقالت لنفسها:

سأخلدُ إلى النَّوم، وحين أستيقظُ سيكون يوم جديد قد أتى، وتعود السَّماء زرقاء ثانيةً. سيكون القتال قد انتهى، ويقول لي أحدهم إن كنتُ سأعيشُ أم أموتُ. تمتمَت منتحبةً: «ليدي»، وتساءلَت إن كانت سترى ذئبتها ثانيةً بَعدما تموت.

ثم تحرَّك شيء ما من ورائها، وامتدَّت يد من الظَّلام وقبضَت على ذراعها.

فتحَت سانزا فاها لتَصرُخ، لكن يدًا أخرى أطبقَت على وجهها كالكُلَّاب لتَكتُم الصَّرخة. كانت أصابعه خشنةً ثخينة الجلد وملوَّثة بالدِّماء اللَّزجة، وقال لها بصوته الأجش السَّكران: «كنتُ أعرفُ أنكِ ستأتين أيتها الطَّائر الصَّغير».

في الخارج انغرسَ رُمح دوَّار من الضوء اليَشبي في النُّجوم وملأَ الغُرفة بالوهج، فرأته سانزا لحظةً، أخضر وأسود، والدَّم على وجهه داكن كالقطران، تلتمع عيناه كعيني كلب في الوميض المباغت، ثم خبا الضَّوء وعادَ كُتلةً من الظَّلام ترتدي معطفًا أبيَض متَّسخًا.

- «سأقتلكِ إذا صرختِ، صدِّقي هذا»، ورفعَ كلب الصَّيد يده عن فمها وسمعَته يتنفَّس بخشونة. كان قد وضعَ إبريقًا من النَّبيذ على المنضدة المجاورة لفِراشها، فجرعَ منه طويلًا قبل أن يقول: «ألا ترغبين في معرفة الفائز بالمعركة أيتها الطَّائر الصَّغير؟».

قالت مرتعبةً من تحدِّيه: «مَن؟».

ضحكَ كلب الصَّيد مجيبًا: «لا أعرفُ إلَّا الخاسر، أنا».

إنه سكران أكثر مما رأيته من قبل. كان نائمًا في فِراشي. ماذا يُريد مني؟ «ماذا خسرت؟».

كان النِّصف المحترق من وجهه قناعًا من الدَّم الجاف وهو يقول: «كلَّ شيء. القزم اللَّعين، كان عليَّ أن أقتله منذ سنوات».

- «يقولون إنه ماتَ».

- «ماتَ؟ لا، اللَّعنة على هذا، لا أريده أن يموت»، وطوَّح الإبريق الفارغ بعيدًا، وتابعَ: «أريده أن يحترق! لو أن الآلهة آلهة حقًّا فستُحرِقه، لكني لن أكون هنا لأشهد هذا. إنني راحل».

ردَّدت محاولةً التملُّص من قبضته الحديديَّة: «راحل؟».

- «الطَّائر الصَّغير تُرَدِّد كلَّ ما تسمعه. راحل، نعم».
- «أين ستذهب؟».
- «بعيدًا عن هنا، بعيدًا عن النَّار. سأخرجُ من بوَّابة الحديد على ما أعتقدُ، وأذهبُ إلى مكانٍ ما شَمالًا، أيِّ مكان».
- «لن تستطيعَ الخروج. الملكة أغلقَت حصن ميجور، وبوَّابات المدينة مغلقة أيضًا».
- «ليست مغلقةً في وجهي، كما أن لديَّ هذا»، وربَّت على قبيعة سيفه مواصلًا: «مَن يُحاوِل إيقافي رجل ميت، ما لم يكن مشتعلًا بالفعل»، وأطلقَ ضحكةً مريرةً.
- «لماذا أتيت إلى هنا؟».
- «لقد وعدتِني بأغنيَّة أيتها الطَّائر الصَّغير، أم أنكِ نسيتِ؟».

لم تفهم ما قاله، ولا يُمكنها الغناء الآن، هنا، بينما تحترق السَّماء ذاتها ويموت الرِّجال بالمئات والآلاف. هكذا قالت: «لا أستطيعُ. اترُكني، إنك تُخيفني».
- «كلُّ شيءٍ يُخيفكِ. انظُري إليَّ... انظُري إليَّ!».

كانت الدِّماء تكسو أغلب ندوب وجهه، لكن عينيه بديتا بيضاوين وواسعتين ومخيفتين، وارتعشَ جانب فمه المحترق وارتعشَ، وأفعمَت رائحته أنف سانزا، رائحة العَرق والنَّبيذ المُرِّ والقيء، وفوق كلِّ شيءٍ رائحة الدَّم والدَّم والدَّم.

بصوتٍ مبحوحٍ قال: «يُمكنني الحفاظ على سلامتكِ. كلهم خائفون مني، ولا أحد سيُؤذيكِ ثانيةً وإلَّا قتلته»، وجذبَها إليه فحسبَت لحظةً أنه سيُقَبِّلها، ولمَّا كان أقوى من أن تستطيع مقاوَمته، فقد أغلقَت عينيها راغبةً أن ينتهي الأمر، لكن شيئًا لم يَحدُث، وسمعَته يقول: «ما زلتِ لا تطيقين النَّظر إليَّ، أليس كذلك؟»، ثم عادَ يجذبها بقوَّةٍ ودوَّرها ودفعَها على الفِراش قائلًا: «سأسمعُ منكِ هذه الأغنيَّة. قلتِ إنها عن فلوريان وچونكويل»، واستلَّ خنجره وسدَّده إلى حَلقها متابعًا: «غنِّي أيتها الطَّائر الصَّغير، غنِّي من أجل حياتكِ».

شعرَت بحَلقها مسدودًا جافًا من فرط خوفها، وفرَّت كلُّ أغنيَّةٍ تعلَّمتها في حياتها من عقلها، فأرادَت أن تَصرُخ: أرجوك لا تَقتُلني، أرجوك. أحسَّت به يُدَوِّر رأس الخنجر ويغرسه في رقبتها، وكادَت تُغلِق عينيها من جديد، لكنها تذكَّرت. إنها ليست أغنيَّةً عن فلوريان وچونكويل، لكنها أغنيَّة، وإذ بدأت تُنشِد، بدا صوتها رفيعًا خفيضًا راجفًا في أذنيها.

لكِ نصلي،
أيتها الأمُّ العَطوف، يا ينبوعَ الحِلم
أنقذي أبناءنا من هذي الحرب
ثبِّتي السيوفَ واحفظي الأسهُم
ودعيهم يشهدون يومًا أفضل
أيتها الأمُّ الرَّءوف، يا أقدر النِّساء
انجدي بناتنا من هذا النِّزاع
سكِّني الغضبَ وروضي السُّخطَ
وأرشدينا جميعًا لطريقٍ أقوم

أمَّا الأبيات التَّالية فنسيَتها، وحين خفتَ صوتها أخيرًا كانت تخشى أنه سيَقتُلها، لكن بَعد وهلةٍ رفعَ كلب الصَّيد رأس الخنجر عن حَلقها دون أن يقول شيئًا، فحدَت بها غريزة ما مجهولة إلى أن ترفع يدها وتضع أصابعها على وجنته. لم تستطِع أن ترى وجهه في ظلام الغُرفة، لكنها شعرَت بلزوجة الدَّم، وبنوعٍ آخَر من البلل لم يكن دمًا. «أيتها الطَّائر الصَّغير»، قال مجدَّدًا بصوتٍ خشنٍ كاحتكاك الفولاذ بالحجر، ثم إنه نهضَ من الفِراش، وسمعَت سانزا صوت قُماشٍ يتمزَّق، تبعَه وقع أهدأ لخطواتٍ تبتعد.

كانت وحدها عندما زحفَت ناهضةً من الفِراش بَعد فترةٍ طويلة، ووجدَت معطفه مكوَّمًا ملتفًّا على نفسه على الأرض، وقد لوَّثت الدِّماء والنِّيران الصُّوف الأبيض. حينئذٍ كانت السَّماء أكثر قتامةً، ليس فيها غير بضعة أشباح خضراء شاحبة تتراقَص بين النُّجوم، ونفضَت سانزا المعطف الممزَّق وتكوَّرت تحته ترتجف على الأرض.

لا تدري كم ظلَّت هناك، لكن بَعد مدَّةٍ ما سمعَت ناقوسًا يدقُّ من مكانٍ بعيدٍ في المدينة، يدقُّ بصوتٍ برونزي عميق مدوٍّ يتسارَع عقب كلِّ دقَّة. كانت تتساءَل عن معناه حين انضمَّ إليه ناقوس ثانٍ وثالث، فتردَّد الرَّنين عبر التِّلال والشَّوارع والأزقَّة والأبراج وانتشرَ في كلِّ رُكنٍ من كينجز لاندنج، فأزاحَت سانزا المعطف وذهبَت إلى نافذتها.

كانت خيوط الفَجر الشَّاحبة الأولى تلوح في الشَّرق، والآن كانت أجراس القلعة الحمراء تدقُّ أيضًا لتنضمَّ إلى النَّهر الرنَّان المتدفِّق من بروج سِپت بيلور الكبير البلَّوريَّة السَّبعة. تذكَّرت أنهم دقُّوا الأجراس حين ماتَ الملك روبرت، لكن هذه الدقَّات مختلفة، ليست دقَّات الموت المتمهِّلة الكئيبة، بل دقَّات بهجةٍ راعدة، وسمعَت سانزا النَّاس يهتفون في الشَّوارع، ترتفع أصواتهم بشيءٍ ربما يكون تهليلًا.

السير دونتوس هو من جاءَها بالأخبار. دخلَ مترنِّحًا من بابها المفتوح وطوَّقها بذراعين مترهِّلتين وأخذَ يدور بها في الغُرفة ويدور، ينهال من فمه سيل من الكلام غير المفهوم حتى إنها لم تستوعب شيئًا على الإطلاق. كان سكرانًا ككلب الصَّيد، لكن سُكره بدافع السَّعادة، ولمَّا أنزلَها كانت تلهث ورأسها يدور، فتمسَّكت بأحد قوائم السَّرير قائلةً: «ما الأمر؟ ماذا حدثَ؟ أخبِرني!».

- «المعركة انتهَت! انتهَت! انتهَت! أُنقِذَت المدينة! اللورد ستانيس ماتَ، اللورد ستانيس هربَ، لا أحد يدري، لا أحد يُبالي، لكن جيشه تحطَّم وزالَ الخطر، ذُبِحَ رجاله أو تفرَّقوا أو انشقُّوا كما يقولون. أوه، الرَّايات البرَّاقة! الرَّايات يا چونكويل، الرَّايات! ألديكِ نبيذ؟ علينا أن نشرب نخب هذا اليوم، نعم. ألا تفهمين؟ معنى هذا أنكِ آمنة».

هزَّته سانزا قائلةً بصرامة: «أخبِرني بما حدثَ».

ضحكَ السير دونتوس وتواثبَ من قدمٍ إلى أخرى حتى كادَ يَسقُط، وقال بحماسة: «جاءوا من قلب الرَّماد والنَّهر يحترق. النَّهر، كان ستانيس غارقًا في النَّهر حتى العُنق، وباغَتوه من المؤخِّرة. أوه، ليتني كنتُ فارسًا من جديد، ليتني كنتُ جزءًا من هذا المجد! يقولون إن رجاله قاوَموا بالكاد، وبعضهم

فَرَّ، لكن أغلبهم ركعَ وانشقَّ هاتفًا باسم اللورد رنلي! تُرى ما الذي دارَ في خلد ستانيس حين سمعَ الهتاف؟ سمعتُ الأخبار من أوزني كِتلبلاك الذي سمعها من السير أوزموند، لكن السير بالون عادَ أيضًا ورجاله يقولون الكلام نفسه، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة كذلك. جاءوا على الطَّريق الوردي وتحرَّكوا بمحاذاة ضفَّة النَّهر، عبروا الحقول التي أحرقَها ستانيس، وأحاطَت بهم سُحب الرَّماد صابغةً دروعهم بالرَّمادي، لكن أوه! لا بُدَّ أن الرَّايات كانت تلمع، الوردة الذَّهبيَّة والأسد الذَّهبي وغيرهما، شجرة ماربراند وشجرة روان وصيَّاد تارلي وعنقود عنب ردواين وورقة شجر أوكهارت. الغَرب بأكمله جاءَ، كلُّ قوَّة هايجاردن وكاسترلي روك! اللورد تايوين قادَ جناحهم الأيمن بنفسه على جانب النَّهر الشَّمالي، وقادَ راندل تارلي القلب ومايس تايرل الميسرة، لكن الطَّليعة هي التي فازَت بالقتال. اخترقوا صفوف ستانيس كما يخترق الرُّمح حبَّة اليقطين، وكلُّ رجلٍ منهم يعوي كشيطانٍ يرتدي الفولاذ. وهل تعلمين من قادَ الطَّليعة؟ هل تعلمين؟ هل تعلمين؟ هل تعلمين؟!».

كان ذلك أكثر مما تستطيع أن تأمل، لكن... «روب؟».

- «رنلي! كان اللورد رنلي في دِرعه الخضراء والنَّار تلتمع على قرون خوذته الذَّهبيَّة! اللورد رنلي وفي يده رُمح طويل! يقولون إنه قتلَ السير جايارد موريجن بنفسه في نزالٍ فردي، ودستة من الفُرسان العظام الآخَرين أيضًا. كان رنلي، كان رنلي، كان رنلي! أوه، الرَّايات يا سانزا الحبيبة! أوه، ليتني كنتُ فارسًا!».

دنيرس

كانت تتناوَل إفطارًا من حَساء الرُّوبيان والتِّين الكاكي البارد، عندما أتَتها إيري بالفُستان الكارثيني الأنيق الهفهاف، المصنوع من السَّميت العاجي المطرَّز باللَّآلئ الدَّقيقة، فقالت داني: «لا أريده. الميناء ليس مكانًا ملائمًا للثِّياب الفاخرة».

ما دامَ شعب الحليب يحسبها همجيَّةً لهذه الدَّرجة، فسترتدي الملابس التي تليق بالدَّور، وهكذا حين ذهبَت إلى الاسطبلات كانت ترتدي سراويل من الحرير الرَّملي الباهت وخُفًّا من العُشب المضفَّر، بينما تحرَّك نهداها الصَّغيران بحُريَّةٍ تحت الصُّدرة الدوثراكي الملوَّنة، وتدلَّى خنجرها المعقوف من حزام الرَّصائع الذي طوَّق خصرها، وقد جدلَت چيكْوي شَعرها على طريقة الدوثراكي، وثبَّتت جرسًا فضِّيًّا في طرف الجديلة. عندها حاولَت أن تقول لوصيفتها والجرس يرنُّ بخفوتٍ إنها لم تُحَقِّق أيَّ انتصارات، فلم تُوافِقها چيكْوي، وقالت: «لقد أحرقتِ المايجي في بيتهم التُّراب وأرسلتِ أرواحهم إلى الجحيم».

أرادَت داني أن تقول: هذا انتصار دروجون لا انتصاري، لكنها لاذَت بالصَّمت، إذ قرَّرت أن الدوثراكي سيُبَجِّلونها أكثر فأكثر مع وجود بضعة أجراسٍ في شَعرها، ولمَّا امتطَت فَرسها الفضِّيَّة مصدرةً الرَّنين، وظلَّت تُصدِره مع حركة الفَرس، لم يُعَلِّق السير چورا أو خيَّالا دمها على الأمر. كانت قد اختارَت راكَارو لحماية قومها وتنانينها في غيابها، فيما سيذهب چوجو وآجو معها إلى السَّاحل.

تركوا القصور الرُّخام والحدائق الغنَّاء وراءهم، وشقُّوا طريقهم عبر الأنحاء الأكثر فقرًا من المدينة، حيث تطلُّ جُدران المنازل المتواضعة المبنيَّة بالقرميد مصمتةً على الطُّرقات، وتقلُّ الخيول والجمال وتَندُر الهوادج، وإن عجَّت الشَّوارع بالأطفال والشحَّاذين والكلاب النَّاحلة الصَّفراء كالرِّمال، ووقفَ أناسٌ شاحبو البشرة يرتدون تنُّوراتٍ كتَّانيَّة مغبَّرة في المداخل المقنطرة وشاهَدوهم يمرُّون. إنهم يعرفون مَن أكونُ، ولا يُكِنُّون لي مودَّةً. رأت داني هذا جليًّا في النَّظرات التي حدَجوها بها.

كان السير چورا يُفَضِّل أن تتوارى في هودجها وراء الأستار الحريريَّة، لكنها رفضَت. لقد اضطجعَت طويلًا على الوسائد الوثيرة، وتركَت الثِّيران تحملها هنا وهناك، لكن حين تركب فَرسها، فإنها تَشعُر كأنها ذاهبة إلى مكانٍ ما على الأقل.

إنها لا تسعى إلى السَّاحل باختيارها، بل لأنها في سبيلها إلى الفرار من جديد. يبدو لها أن حياتها كلها فرار واحد طويل، بدأته في رحِم أمِّها ولم تتوقَّف يومًا منذ ذلك الحين. كم مرَّةً تسلَّلت هاربةً مع ڤسيرس في جوف اللَّيل وقد سبقا قَتَلة الغاصِب المأجورين بخطوةٍ واحدة؟ حينها كان إمَّا أن يفرَّا أو يموتا، والآن عرفَ زارو أن ﭘيات ﭘري يجمع مَن نجوا مِن الدجَّالين ليَطبُخوا لها شَرًّا ما.

ضحكَت داني عندما أخبرَها، وقالت: «ألست أنت مَن قُلت لي إن الدجَّالين كالجُنود المسنِّين الذين يظلُّون يتباهون بشراستهم بَعدما فارقَتهم كلُّ طاقةٍ أو مهارة؟».

لاحَ التوتُّر على زارو وهو يقول: «كان هذا صحيحًا وقتئذٍ، أمَّا الآن فلم أعد واثقًا. يُقال إن الشُّموع الزُّجاج مشتعلة في دار أوراثون سيَّار اللَّيل كما لم يَحدُث منذ مئة عام، وإن العُشب الشَّبحي ينمو في حديقة جيهان، وشوهِدَت أطياف سلاحف تحمل رسائل بين البيوت عديمة النَّوافذ في درب الدجَّالين، وجميع جرذان المدينة تلتهم ذيولها، وزوجة ماثوس مالاراوان، التي سخرَت ذات مرَّةٍ من رداء أحد الدجَّالين الكالح الذي أكلَته العثَّة، أصيبَت بالجنون وتَرفُض ارتداء الثِّياب على الإطلاق، وحتى الحرير المغسول لتوِّه يُشعِرها

كأن ألف حشرةٍ تزحف على جِلدها، وسايباسيون الأعمى آكِل العيون استردَّ بصره، أو هكذا يُقسِم عبيده. لا مناص إذن من أن تُفعِم التَّساؤلات نفس المرء»، وتنهَّد وأضافَ: «إننا نشهد أوقاتًا غريبةً في كارث، والأوقات الغريبة تضرُّ التِّجارة. يُحزنني أن أقولها، لكن لعلَّ الأفضل أن تَترُكي كارث تمامًا، وعاجلًا خير من آجلًا»، وتحسَّس أصابعها مُطَمْئِنًا، وأردفَ: «لكنكِ لستِ مضطرَّةً للذَّهاب وحدكِ. لقد شاهدتِ رؤًى قاتمةً في قصر الغُبار، لكن زارو رأى أحلامًا مشرقةً. أراكِ في الفِراش سعيدةً، تَضُمِّين طفلنا إلى صدركِ. أبحِري معي في أرجاء بحر اليَشب وسنُحَقِّق هذه الأحلام. ما زالت الفُرصة سانحةً. امنحيني ابنًا يا أغنيَّة البهجة الفاتنة!».

امنحيني تنِّينًا تقصد. «لن أتزوَّجك يا زارو».

اكتسى وجهه بقناعٍ باردٍ حينها، وقال: «ارحلي إذن».

- «لكن أين؟».

- «إلى مكانٍ بعيدٍ عن هنا».

ربما آنَ الأوان حقًّا. لقد رحَّب أفراد گالاسارها بفُرصة التَّعافي من ويلات القَفر الأحمر، أمَّا الآن وقد استراحوا وعادَت أجسادهم تمتلئ، فقد بدأوا يتصرَّفون بفوضى. الدوثراكي ليسوا معتادين على المكوث مدَّةً طويلةً في مكانٍ واحد، وليسوا مخلوقين للمعيشة في المُدن، فلعلَّها بقيَت في كارث فترةً أطول من اللَّازم بالفعل إذ أغوَتها محاسنها وما فيها من عديد وسائل الرَّاحة. جالَ بخاطرها أنها مدينة تعدُ دومًا بأكثر مما تُعطي، كما أن وجودها فيها لم يَعُد محلَّ التَّرحاب السَّابق منذ انهارَ بيت الخالدين وسط عاصفةٍ عاتية من الدُّخان واللَّهب، فبين عشيَّةٍ وضُحاها تذكَّر الكارثين أن التَّنانين مخلوقات خطِرة، ولم يعودوا يُبارون بعضهم بعضًا على منحها الهدايا، وبدلًا من هذا دعَت أخوَّة التورمالين علانيةً إلى طردها، فيما دعَت عُصبة العطَّارين العريقة إلى موتها، وبذلَ زارو قصارى جهده ليمنع رابطة الثَّلاثة عشر من الانضمام إليهم.

لكن أين أذهبُ؟ اقترحَ السير چورا أن يتوغَّلوا شَرقًا أكثر، بعيدًا عن أعدائها في الممالك السَّبع، بينما فضَّل خيَّالة دمها العودة إلى بحر العُشب

العظيم، حتى إذا كان هذا يعني الإقدام على مواجَهة القَفر الأحمر مرَّةً أخرى، بينما داعبَت مخيِّلة داني نفسها فكرة الاستقرار في ڤايس تولورو حتى يتعاظَم حجمِ تنانينها وتزداد قوَّتهم، لكن الشُّكوك أفعمَت قلبها، فبشكلٍ ما أحسَّت أن كلًّا من تلك الخيارات خاطئ... وحتى إذا قرَّرت وجهتهم، فيظَلُّ التَّساؤل عن وسيلة الوصول إلى هناك يُكَدِّرها.

تعلم الآن أن زارو زون داكسوس لن يكون ذا عونٍ لها، فعلى الرغم من تعبيره المستمرِّ عن حُبِّه وإخلاصه، فإنه يلعب لُعبته الخاصَّة، تمامًا مِثل پيات پري. ليلة طلبَ زارو منها الرَّحيل، توسَّلت داني منه معروفًا أخيرًا، فسألَها: «ماذا؟ أتُريدين جيشًا؟ أم جرَّةً من الذَّهب؟ أم سفينةً ربما؟».

تورَّد وجه داني التي تكره التوسُّل خجلًا، وأجابَت: «سفينة، أجل».

تألَّقت عينا زارو كالجواهر التي على أنفه وهو يقول: «أنا تاجر يا گاليسي، فربما حانَ الوقت إذن لأن نكفَّ عن الكلام عن العطاء ونتكلَّم في التِّجارة. مقابل واحدٍ من تنانينكِ، ستحصلين على أفضل عشر سُفنٍ في أسطولي، وما عليكِ إلَّا أن تقولي تلك الكلمة الواحدة الحُلوة».

- «لا».

قال زارو باكيًا: «للأسف ليست هذه الكلمة التي أعنيها».

- «أيُمكن أن تَطلُب من أمٍّ أن تبيع أحد أطفالها؟».

- «ولِمَ لا؟ إنها تستطيع إنجاب المزيد في أيِّ وقت. الأمَّهات يبعن أطفالهن كلَّ يوم».

- «ليس أمُّ التَّنانين».

- «ولا مقابل عشرين سفينةً حتى؟».

- «ولا مقابل مئة».

مَطَّ شفته السُّفلى قائلًا: «لا أملكُ مئة سفينة، لكن لديكِ ثلاثة تنانين. أعطيني واحدًا لقاء كرمي وإحساني، وسيظلُّ لديكِ اثنان... وثلاثون سفينةً».

ثلاثون سفينةً تكفي لإنزال جيش صغير على ساحل وستروس. لكني لا أملكُ جيشًا صغيرًا. «كم سفينةً تملكُ يا زارو؟».

- «ثلاث وثمانون سفينةً، دون عَدِّ مركب النُّزهات».

- «ولدى زملائك في رابطة الثَّلاثة عشر؟».
- «نملك معًا نحو ألف سفينة».
- «وماذا عن العطَّارين وأخوَّة التورمالين؟».
- «أسطولاهما تافهان بلا قيمة».
- «ولو. أخبِرني».
- «العطَّارون لديهم ألف ومئتان أو ألف وثلاثمئة، والأخوَّة لا تملك أكثر من ثمانمئة».
- «والآشايئيُّون والبراڤوسيون والإيبنيزيُّون وأبناء جُزر الصَّيف وكلُّ الشُّعوب التي تَمخُر غباب البحر المالح العظيم؟ كم سفينةً يملكون مجتمعين؟».
أجابَ بضيق: «عدد هائل. ما أهميَّة كلِّ هذا؟».
قالت داني: «أحاولُ فقط أن أحدِّد ثَمن واحدٍ من التَّنانين الثَّلاثة الأحياء في العالم»، ومنحَت زارو ابتسامةً عذبةً مضيفةً: «يبدو لي أن ثُلث سُفن العالم ثَمن عادل».
سالَت دموع زارو على جانبيِّ أنفه المزيَّن بالحُلِيِّ، وقال: «ألم أحذِّركِ من دخول قصر الغُبار؟ هذا ما كنتُ أخشاه بالضَّبط. لقد أصابتكِ وسوسة الدجَّالين بالجنون كما فعلَت بزوجة مالاراوان. ثُلث سُفن العالم؟ أُفٍّ، أُفٍّ، أُفٍّ!».
لم ترَه منذ ذلك الحين، وأتاها كبير خدمه برسائل كلٌّ منها أبرد نبرةً من سابقتها، تقول إن عليها أن تُغادِر منزله، وإنه لن يُطعِمها وقومها ثانيةً، وطالبَ بأن تردَّ هداياه التي قبلَتها منه بسوء نيَّة. عزاؤها الوحيد أنها كانت أعقل وأرشد من أن تتزوَّجه.
الدجَّالون همسوا عن ثلاث خيانات... واحدة من أجل الدَّم، وواحدة من أجل الذَّهب، وواحدة من أجل الحُب. لا شَكَّ أن الخيانة الأولى هي خيانة ميري ماز دور، التي قتلَت گال دروجو وابنهما الذي لم يولَد انتقامًا لشعبها، فهل من الممكن أن يكون زارو زون داكسوس وپيات پري ثاني الخونة وثالثهم؟ لا تظنُّ، فما فعلَه پيات لم يكن في سبيل الذَّهب، وزارو لم يُحِبَّها حقًّا.

خلَت الشَّوارع أكثر وهُم يمرُّون بقطاع من المدينة مخصَّص للمستودعات الحجريَّة كئيبة المنظر، يتحرَّك آجو أمامها وچوجو خلفها، وإلى جوارها السير چورا مورمونت. رَنَّ جرسها بخفوت، ووجدَت داني أفكارها تعود ثانيةً إلى قصر الغُبار كما يظلُّ اللِّسان يعود إلى الفراغ الذي يُخَلِّفه ضِرس مكسور. سمُّوها بنت الثَّلاثة... ابنة الموت، قاتلة الأكاذيب، عروس النَّار... ثلاثات كثيرة جدًّا؛ ثلاث نيران وثلاث دواب وثلاث خيانات. تنهَّدت وقالت: «للتنِّين ثلاثة رؤوس. أتدري ما يعنيه هذا يا چورا؟».

- «ماذا تقصدين يا جلالة الملكة؟ رمز عائلة تارجاريَن تنِّين ذو ثلاثة رؤوس، أحمر على أسود».

- «أعرفُ هذا، لكن ليست هناك تنانين بثلاثة رؤوس».

- «الرُّؤوس الثَّلاثة تَرمُز لإجون وأختيه».

- «ڤيزينيا وريينس. إنني أنحدرُ من نسل إجون وريينس عبر ابنهما إينس وحفيدهما چهيرس».

- «الشِّفاه الزَّرقاء لا تتفوَّه بغير الأكاذيب. أليس هذا ما قاله زارو؟ لماذا تهتمِّين بما قاله الدجَّالون؟ لقد أرادوا أن يمتصُّوا الحياة منكِ لا أكثر، تعلمين هذا الآن».

قالت بتردُّد: «ربما، لكن الأشياء التي رأيتها...».

- «رجل ميت عند مقدِّمة سفينة، وردة زرقاء، مأدبة دامية... ما الذي تعنيه هذه الأشياء يا گاليسي؟ قلتِ إنكِ رأيتِ تنِّين ممثِّلين. ماذا يكون تنِّين الممثِّلين؟».

شرحَت: «تنِّين من القُماش مرفوع على أعمدة. الممثِّلون يستخدمونه في مسرحيَّاتهم ليُقاتِله الأبطال»، فقطَّب السير چورا وجهه، غير أن داني لم تستطِع تنحية الأمر عن بالها، فواصلَت: «قال أخي: «أغنيَّته أغنيَّة الجَليد والنَّار». إنني واثقة بأنه كان أخي، ليس ڤسيرس، بل ريجار. كان يعزف على قيثارةٍ ذات أوتار فضِّيَّة».

ازدادَ انعقاد حاجبي السير چورا حتى كادا يلتحما معًا، وقال: «الأمير ريجار كان يعزف على قيثارةٍ كتلك بالفعل. هل رأيتِه؟».

أومأَت برأسها إيجابًا قائلةً: «كانت هناك امرأة جالسة في فِراشٍ وعلى صدرها رضيع، وقال أخي لها إن الرَّضيع هو الأمير الموعود، وإن اسمه إجون».

- «الأمير إجون كان وريث ريجار من زوجته إليا الدورنيَّة، لكن لو أنه كان الأمير الموعود، فقد تحطَّم ذلك الوعد مع جمجمته حين ضربَ رجال لانستر برأسه عرض الحائط».

قالت بحُزن: «أذكرُ. يومها قتلوا ابنة ريجار كذلك، الأميرة الصَّغيرة. كان اسمها رينس على اسم أخت إجون. لم تكن هناك ڤيزينيا، لكنه قال إن للتنِّين ثلاثة رؤوس. وماذا تكون أغنيَّة الجَليد والنَّار تلك؟».

- «ليست أغنيَّةً سمعتها من قبل».

- «ذهبتُ إلى الدجَّالين آملةً في الحصول على إجابات، وبدلًا من هذا تركوني بمئة سؤالٍ جديد».

كانت الشَّوارع قد عادَت تمتلئ بالنَّاس، وزعقَ آجو فيهم: «أفسِحوا الطَّريق»، بينما تشمَّم چوجو الهواء بريبةٍ وأعلنَ: «أشمُّ رائحتها يا كاليسي، المياه المسمومة». لا يثق الدوثراكي بالبحر وكلِّ ما يُسافِر فيه من مراكب، وبالنِّسبة لهم الماء الذي لا تستطيع الخيول أن تشربه هو ماء لا يُريدونه من قريبٍ أو بعيد. لكنهم سيتعلَّمون. لقد خُضت بحرهم مع كال دروجو، والآن سيخوضون بحري.

تُعَدُّ كارث من أكبر مواني العالم على الإطلاق، تُفعِم مرفأها المحميَّ الألوان والضَّجيج والرَّوائح العجيبة، وتصطفُّ الحانات والمخازن وأوكار القمار على جانبيِّ كلِّ شارعٍ، تُتاخِمها المواخير الرَّخيصة ومعابد آلهةٍ غريبة، بينما يختلط النشَّالون والسفَّاحون وباعة التَّعاويذ وتُجَّار العُملة بالمتزاحمين. واجهة المدينة المائيَّة كلها سوق عظيمة تدور فيها المعاملات التِّجاريَّة نهارًا وليلًا، ويُمكن الحصول على السِّلع من هناك بكَسرٍ من الأثمان التي تُباع بها في سوق المدينة (ما دامَ الشَّاري لا يسأل من أينَ جاءَت)، فيما تبيع نساء مسنَّات ذابلات محنيَّات الظَّهر كالحدباوات الماء المحلَّى وحليب الماعز من دوارق خزفيَّة مصقولة مثبَّتة على أكتافهن، ويجول بحَّارة من مئة أمَّةٍ

مختلفة بين الأكشاك، يشربون الخمور المتبَلة ويتبادَلون الدُّعابات بلُغاتٍ مجهولة، وقد تشبَّع الهواء بروائح الملح والأسماك المقليَّة والقطران السَّاخن والعسل والبخور والزُّيوت والمنيِّ.

أعطى آجو صبيًّا قطعةً نُحاسيَّةً مقابل سيخٍ من الفئران المشويَّة بالعسل وقضمَ منها وهو يركب، واشترى چوجو حفنةً من الكرز الأبيض الممتلئ، وفي أماكن أخرى رأوا خناجر برونزيَّةً جميلةً معروضةً للبيع، بالإضافة إلى الحبَّار المجفَّف والجَزْع المنقوش وإكسيرٍ سِحري للفحولة مصنوع من لبن عذراءٍ وصبغة المساء، بل وبيضات تنانين تبدو -على نحوٍ يُثير الرِّيبة- أقرب إلى صخورٍ ملوَّنة.

مرُّوا بالأرصفة الحجريَّة الطَّويلة المحجوزة لسُفن رابطة الثَّلاثة عشر، ورأت داني صناديق من الزَّعفران ولُبان الذَّكر والفلفل تُحَمَّل من على متن سفينة زارو المسمَّاة «القُبلة القرمزيَّة»، وإلى جوارها كانت براميل النَّبيذ ورِزَم التَّبغ المُرِّ ولفائف الجلود المخطَّطة تُرفَع على لوح العبور إلى «عروس اللازورد» توطئةً للإبحار مع مَدِّ المساء، وعلى مسافةٍ أبعد تزاحمَ رهط من النَّاس حول قادس عُصبة العطَّارين «لهيب الشَّمس» للمناقَصة على الرَّقيق، فمن المعروف أن أرخص مكانٍ لشرائهم هو السَّفينة التي يصلون عليها، وقد أعلنَت الرَّايات المرتفعة فوق صواري «لهيب الشَّمس» أنها أتَت من مدينة أستابور الواقعة على خليج النخَّاسين.

لن تنال داني عونًا من رابطة الثَّلاثة عشر أو عُصبة العطَّارين أو أخوَّة التورمالين، وهكذا مرَّت على فَرسها الفضِّيَّة بمراسيهم وأرصفتهم ومخازنهم التي تمتدُّ أميالًا عدَّة، حتى نهاية الميناء الذي يتَّخذ شكل حدوة الحصان، حيث يُسمَح للسُّفن القادمة من جُزر الصَّيف ووستروس والمُدن الحُرَّة التِّسع بالرَّسو. ترجَّلت عند حلبةٍ للألعاب يُمَزِّق فيه بازيليسق كلبًا أحمر كبير الحجم إربًا وسط حلقةٍ من الملَّاحين الزَّاعقين، وقالت: «آجو، چوجو، ستَحرُسان الخيول بينما أتكلَّمُ والسير چورا مع الرَّبابنة».

- «كما تأمرين يا كاليسي. سنضع أعيُننا عليكِ».

فكَّرت داني وهما يقتربان من السَّفينة الأولى أن من الجميل حقًّا أن

تسمع النَّاس يتكلَّمون الڤاليريَّة ثانيةً، بل ولُغة وستروس العاميَّة كذلك، وأفسحَ لها كلٌّ من البحَّارة وأفراد الأطقُم والتُّجَّار الطَّريق، متعجِّبين من منظر هذه الشَّابَّة النَّحيلة ذات الشَّعر الذَّهبي الفضِّي التي ترتدي ثياب الدوثراكي وتمشي وإلى جوارها فارس. على الرغم من حرارة الجَو، ارتدى السير چورا سُترته الصُّوف الخضراء فوق قميص الحلقات المعدنيَّة، وقد خُيِّطَ دُب عائلة مورمونت الأسود على صدره.

لكن لا جمالها ولا حجمه وقوَّته كانا كافييْن مع ربابنة السُّفن التي زاراها. قال رُبَّان الكوج العظيم «الصَّديق الغيور» قبل أن يبتعد ضاحكًا: «ترغبين في العبور بمئةٍ من الدوثراكي وخيولهم كلها، بالإضافة إليكِ وهذا الفارس وثلاثة تنانين؟»، وحين أخبرَت رُبَّانًا من لِيس على سطح «عازف البوق» بأنها دنيرس وليدة العاصفة ملكة الممالك السَّبع، رمقَها بنظرةٍ خاويةٍ قائلًا: «نعم، وأنا اللورد تايوين لانستر وأتبرَّزُ ذهبًا كلَّ ليلة!»، أمَّا مسؤول الشَّحن على متنِ القادس المايري «روح الحرير» فقد علَّق على طلبها قائلًا إن التَّنانين تُشَكِّل خطرًا كبيرًا في البحر، حيث يُمكن أن يُشعِل أيُّ نَفسٍ ناريٍّ طائش النَّار في الأشرعة، بينما قبلَ رُبَّان «بطن اللورد فارو» وجودَ التَّنانين، وإن رفضَ الدوثراكي بعنادٍ قائلًا: «لن أسمح بوجود هؤلاء المتوحِّشين الكافرين على متن سفينتي، لن أسمح أبدًا»، ثم أبدى الأخوان رُبَّانا السَّفينتين الأختين «الزِّئبق» و«السَّلوقي» التَّعاطُف ودعياهما إلى قمرة القيادة لاحتساء القليل من نبيذ «الكرمة» الأحمر، حيث تكلَّما بمنتهى الدَّماثة فشعرَت داني بالأمل بعض الوقت، لكن في النِّهاية كان الثَّمن الذي طلباه أبهظ من قُدراتها كثيرًا، ولعلَّه يتجاوَز قُدرات زارو كذلك، وبَعد ذلك وجدَت أن «پتو الماجن» و«العذراء الحولاء» أصغر من اللَّازم، وأن «براڤو» متَّجهة إلى بحر اليَشب، فيما بدَت «الماچستر مانولو» صالحةً للإبحار بالكاد.

في طريقهما إلى الرَّصيف التَّالي، وضعَ السير چورا يده على أسفل ظَهرها قائلًا: «جلالة الملكة، هناك مَن يتبعكِ. لا، لا تلتفتي»، وقادَها برفقٍ إلى كُشك بائع نُحاس، وأعلنَ بصوتٍ عالٍ رافعًا طبقًا كبيرًا لتتطَّلع عليه: «هذا شُغل ممتاز يا مولاتي. أترين كيف يلمع في الشَّمس؟».

كان النُّحاس الأصفر مصقولًا بمنتهى العناية حتى إن داني رأت انعكاس وجهها فيه بوضوح... وحين أمالَ السير چورا الطَّبق إلى اليمين تمكَّنت رؤية ما ورائها، وقالت: «أرى رجلًا أسمر بدينًا وآخَر أكبر سِنًّا يمشي متعكِّزًا. مَن منهما؟».

- «كلاهما. إنهما يتبعانا منذ نزلنا من على «الزِّئبق»».

مطَّت تموُّجات النُّحاس شكل الغريبيْن على نحوٍ عجيب، جاعلةً أحدهما يبدو طويلًا هزيلًا، والثَّاني عريض الصَّدر مكتنزًا للغاية، بينما صاحَ التَّاجر: «أفضل أنواع النُّحاس الأصفر يا سيِّدتي، برَّاق كالشَّمس! ثلاثون أونرًا[1] فقط لأجل خاطر أمِّ التَّنانين».

لم يكن الطَّبق يستحقُّ أكثر من ثلاثة أونَرات، فقالت داني بصوتٍ مرتفع: «أين حَرسِي؟ هذا الرَّجل يُحاوِل أن يسرقني!»، ثم خفضَت صوتها وقالت لچورا باللُّغة العاميَّة: «ربما لا يُضمِران لي شَرًّا. الرِّجال يُجيلون النَّظر في النِّساء منذ الأزل، فلعلَّ الأمر لا يتعدَّى هذا».

تجاهلَ بائع النُّحاس همساتهما قائلًا: «ثلاثين؟ هل قلتُ ثلاثين أونَرًا؟ يا ليَ من أحمق. السِّعر عشرون فقط».

قالت داني رامقةً انعكاس الرِّجلين بإمعان: «كلُّ النُّحاس في هذا الكُشك لا يسوى عشرين أونَرًا». على وجه العجوز لاحَت سيماء أهل وتسروس، أمَّا ذو البشرة السَّمراء فلا بُدَّ أنه يزن نحو ثلاثمئة رطل. الغاصِب عرضَ اللوردية على مَن يقتُلني، وهذان الاثنان بعيدان للغاية عن ديارهما. أم أنهما من مخلوقات الدجَّالين ينويان أخذي على حين غِرَّة؟

- «عشرة أونَرات فقط يا گاليسي من أجل حُسنكِ البارع. استخدميه كمرآة. فقط هذا النُّحاس الأصفر الممتاز يُمكنه أن يعكس جمالكِ كما ينبغي».

- «قد يَصلُح وعاءً للفضلات لا أكثر. إذا ألقيته أرضًا فلربما ألتقطه، ما دمتُ لن أضطرَّ للانحناء، لكن أدفع فيه مالًا؟»، وزجَّت داني الطَّبق بين يديِّ الرَّجل متابعةً: «لا بُدَّ أن الدُّود زحفَ داخل أنفك والتهمَ عقلك».

---

(1) الأونَر واحدة من العُملات الدَّارجة في المُدن الحُرَّة ومُدن خليج النخَّاسين.

صاحَ: «ثمانية أونَرات! سوف تضربني زوجاتي ويَقُلن إنني أحمق، لكني عاجز بين يديكِ كطفل. هلمّي، ثمانية سِعر أقلُّ من قيمته».

- «لِمَ أحتاجُ نُحاسك القاتم بينما يُطعِمني زارو زون داكسوس من أطباقٍ من ذهب؟»، وألقَت داني نظرةً سريعةً على الغريبيْن وهي تلتفت مبتعدةً. الرَّجل الأسمر يكاد يبدو ضخم الجثَّة كانعكاسه، رأسه أصلع لامع ووجنتاه ناعمتان، ما منحَه مظهر المخصيِّين، ويتدلَّى أراخ طويل معقوف من حزامه الحريري الأصفر الملوَّث بالعَرق، وفوق الحزام لا يرتدي شيئًا غير صُدرةٍ مطعَّمة بالحديد صغيرة للغاية على نحو مضحك، بينما تتقاطَع على ذراعيه الغليظتين كجذعيّ شجرتين وصدره الضَّخم وبطنه العملاق النُّدوب القديمة التي لاحَ شحوبها على بشرته البنِّيَّة كالجوز. أمَّا الرَّجل الآخَر فيرتدي معطف سفرٍ من الصُّوف غير المصبوغ ولا تُخفي قلنسوته وجهه، فيظهر شَعره الأبيض الطَّويل المنسدل على كتفيه، ولحيته البيضاء النَّاعمة كالحرير التي تُغَطِّي نِصف وجهه السُّفلي، فيما يتَّكئ بثِقله كله على عُكَّازٍ من خشب الصُّلب يُناهِزه طولًا. قالت في أعماقها: فقط الأحمق لا ينفكُّ يُحَدِّق جهارًا هكذا لو أنه يعتزم إيذائي. لكنها فكَّرت أن من الحكمة أن تعود إلى چوجو وآجو، فقالت لچورا بالعاميَّة وهي تتحرَّك ساحبةً إياه: «العجوز لا يحمل سيفًا».

جاءَ تاجر النُّحاس يتواثَب وراءهما صائحًا: «خمسة أونَرات، خمسة ويكون لكِ، إن قَدره أن يكون ملككِ».

قال السير چورا: «العُكَّاز المصنوع من خشب الصُّلب يُمكنه تهشيم الجمجمة ككرةٍ شائكة».

صاحَ التَّاجر: «أربعة! أعرفُ أنكِ تُريدينه!»، وتراقصَ أمامهما وهو يتحرَّك بظَهره دافعًا الطَّبق في وجهيهما.

- «هل يتبعانا؟».

قال الفارس للتَّاجر: «ارفعه بعضَ الشَّيء»، ثم أجابَها: «نعم، العجوز يتظاهَر بأنه يتفرَّج على البضائع في كُشك بائع خزف، لكن الأسمر يُسَلِّط نظراته عليكِ فقط».

قال التَّاجر وهو يلهث بشدَّةٍ من مجهود المشي بالعكس: «أونَران! اثنان فقط! اثنان!».

- «ادفع له قبل أن يَقتُل نفسه»، قالت داني لچورا متسائلةً عمَّا ستفعله بطبقٍ كبيرٍ من النُّحاس الأصفر، ثم إنها التفتَت والرَّجل يمدُّ يده ليتناوَل ماله وقد عزمَت على وضع نهايةٍ لهذه المهزلة. لن تسمح دم التِّنين بأن يسوقها رجل عجوز وخصيٌّ بدين في الشَّارع.

توقَّف واحد من الكارثين أمامها قائلًا: «يا أمَّ التَّنانين، هذا من أجلكِ»، وركعَ وألقى عُلبَة حُليٍّ صغيرةً في وجهها.

التقطَتها داني بحركةٍ غريزيَّة. كانت العُلبة من الخشب المنقوش، وغطاؤها المصنوع من عِرق اللُّؤلؤ مطعَّم باليَصب والعقيق الأبيض، فقالت: «هذا كرم بالغ منك»، ثم فتحَت العُلبة، وفي الدَّاخل كان جِعران أخضر لامع منحوت من الجَزْع والزمرُّد، ففكَّرت: جميل. سيُساعِد هذا على دفع تكلفة رحلتنا، وإذ مدَّت يدها داخل العُلبة قال الرَّجل: «آسفٌ جدًّا»، لكنها سمعَته بالكاد.

وبسطَ الجِعران جناحيه مصدرًا فحيحًا.

لمحَت داني وجهًا أسود خبيثًا يكاد يكون بَشريًّا، وذيلًا مقوَّسًا يَقطُر منه الزُّعاف... قبل أن تطير العُلبة متحطِّمةً من يدها وتدور في الهواء، فأحسَّت بألم مباغتٍ يسري في أصابعها، وبينما رفعَت صوتها متأوِّهةً وأطبقَت على يدها بالثَّانية، أطلقَ تاجر النُّحاس صرخةً شاركَته فيها امرأة، وفجأةً أخذَ الكارثين يتصايَحون ويتدافَعون. مرقَ السير چورا مارًّا بها، وتعثَّرت داني ساقطةً على رُكبتها، ثم سمعَت الفحيح ثانيةً، وفي اللَّحظة التَّالية هوى العجوز بكعب عُكَّازه على الأرض، وجاءَ آجو مقتحمًا كُشك بائعة بيضٍ ووثبَ من فوق حصانه، فيما طقطقَ سوط چوجو في الهواء، وضرب السير چورا الخصيَّ على رأسه بالطَّبق النُّحاسي بمنتهى العُنف... كلُّ هذا والبحَّارة والعاهرات والتُّجَّار يفرُّون أو يصيحون أو يفرُّون صائحين.

ركعَ العجوز إلى جوارها قائلًا: «أستميحكِ ألف عُذرٍ يا جلالة الملكة. لقد ماتَ. هل كسرتُ يدكِ؟».

ضمَّت أصابعها متألِّمةً، وأجابَت: «لا أظنُّ».

- «كان عليَّ أن ألطمه بعيدًا عن...»، لكن قبل أن يُنهي عبارته، كان خيَّالا دمها يُهاجِمانه، فركلَ آجو عُكّازه، وأطبقَ چوجو على كتفيه مجبرًا إياه على الرُّكوع على كلتا رُكبتيه، ووضعَ خنجره على حَلقه قائلًا لداني: «گاليسي، لقد رأيناه يضربكِ. هل ترغبين في رؤية لون دمه؟».

ردَّت وهي تنهض: «أطلِق سراحه. انظُر إلى كعب عصاه يا دم دمي»، ثم رأت السير چورا وقد طرحَه الخصيُّ أرضًا، فهرعَت تحول بينهما وقد خرجَ كلٌّ من الأراخ والسَّيف الطَّويل من غِمده لامعًا، وقالت: «أغمِدا سلاحيكما! توقَّفا!».

خفضَ مورمونت سيفه بوصةً واحدةً لا أكثر قائلًا: «لقد تهجَّما عليكِ جلالة الملكة».

قالت داني نافضةً يدها في محاولةٍ للتخلُّص من لسعة الألم في أصابعها: «كانا يُدافِعان عني. الآخَر الكارثيني هو من هاجَمني»، وتطلَّعت حولها ولم تجد له أثرًا، فتابعَت: «إنه من الرِّجال الآسفين. كان هناك مانتيكور في عُلبة الحُلِيِّ التي أعطاني إياها، وهذا الرَّجل طوَّح به من يدي». كان بائع النُّحاس لا يزال يتلوَّى على الأرض، فذهبَت إليه وساعدَته على النُّهوض وسألَته: «هل لدغَك؟».

أجاب مرتجفًا: «لا يا سيِّدتي الكريمة، وإلَّا لكنت مِتُّ... لكنه لمسَني، آيييي! عندما سقطَ من العُلبة حَطَّ على ذراعي».

لاحظَت أنه بلَّل سراويله، فلم تندهش، ونقدَته قطعةً فضِّيَّة تعويضًا وصرفَته، قبل أن تلتفت إلى العجوز أبيض اللِّحية، وتقول: «لمَن أدينُ بحياتي؟».

- «لستِ تدينين لي بشيءٍ يا جلالة الملكة. اسمي آرستان، وإن لقَّبني بلواس بذي اللِّحية البيضاء خلال الرِّحلة إلى هنا». ظَلَّ العجوز على رُكبتيه على الرغم من أن چوجو أطلقَ سراحه، بينما التقطَ آجو العُكّاز من على الأرض وقلبَه، ثم أطلقَ سبابًا خفيضًا بالدوثراكي، وحَكَّ بقايا المانتيكور على حجر وأعادَ العُكّاز إلى صاحِبه.

سألَت: «ومَن يكون بلواس؟».

تقدَّم الخصيُّ الأسمر الضَّخم بخطواتٍ مختالة، ودَسَّ أراخه في غِمده مجيبًا: «أنا بِلواس، بِلواس القوي كما يُسَمُّونني في حلبات القتال في ميرين، فلم أخسر قَطُّ»، وربَّت على بطنه المغطَّى بالنُّدوب مواصلًا: «أتركُ كلَّ رجلٍ يجرحني مرَّةً قبل أن أقتله. يُمكنكِ إحصاء الجروح لتعرفي كم رجلًا قتلَه بِلواس القوي».

لم تحتج داني أن ترى، فبنظرةٍ واحدةٍ تبيَّنت أنها كثيرة للغاية، وسألَته: «وماذا تفعل هنا يا بِلواس القوي؟».

- «في ميرين باعَني مالكي لمالكٍ جديدٍ من كَوهور، وهناك باعَني هذا لثالثٍ من پنتوس، الرَّجل السَّمين الذي يفوح العطر الزَّنِخ من شَعره، وهو من أرسلَ بِلواس القوي عبر البحر، ومعه العجوز ذو اللِّحية البيضاء ليخدمه».

الرَّجل السَّمين الذي يفوح العطر الزَّنخ من شَعره... «إليريو؟ الماچستر إليريو هو من أرسلَكما؟».

تكلَّم ذو اللِّحية البيضاء قبل ذلك بڤاليريَّة المُدن الحُرَّة، أمَّا الآن فبدأ يستخدم اللُّغة العاميَّة وهو يقول: «هذا صحيح يا جلالة الملكة. الماچستر يَطلُب مغفرتكِ لإرسالنا بدلًا منه، لكنه لم يَعُد يستطيع ركوب الخيل كما كان يفعل في شبابه، والسَّفر بحرًا يُصيبه بعُسر الهضم. أعتذرُ إن كنا قد أخفناكِ، لكن الحقيقة أننا لم نكن واثقيْن، فقد توقَّعنا أن تبدي أكثر... أكثر...».

ضاحكةً قالت داني: «أكثر أناقةً؟». لا غرو، فهي لم تأتِ بتنِّين معها، وثيابها لا تبدو لائقةً بملكةٍ البتَّة. «تتحدَّث العاميَّة بطلاقة يا ذا اللِّحية البيضاء. هل أنت وستروسي؟».

- «نعم، وُلِدتُ في تخوم دورن يا جلالة الملكة، وفي صِباي كنتُ مُرافِقًا لفارسٍ من عائلة اللورد سوان»، ورفعَ عُكَّازه الطَّويل إلى جواره كرُمحٍ تعوزه راية مكملًا: «والآن أعملُ مُرافِقًا لبِلواس».

- «ألست أكبر سِنًّا من أن تُمارِس عملًا كهذا؟»، قال السير چورا الذي دَسَّ نفسه إلى جوارها حاملًا الطَّبقَ النُّحاسي بارتباكٍ تحت إبطه، وقد تركَ فيه رأس بِلواس الصُّلب انبعاجًا قبيحًا.

- «لستُ أكبر من أن أخدم مليكتي أيها اللورد مورمونت».

- «هل تعرفني أيضًا؟».

- «رأيتك تُقاتِل مرَّةً أو مرَّتين، في لانسپورت حين شارَفت على إسقاط قاتِل الملك من فوق حصانه، وفي پايك أيضًا. ألا تَذكُرني يا لورد مورمونت؟».

عقدَ السير چورا حاجبيه قائلًا: «وجهك يبدو مألوفًا، لكن كان هناك مئات في لانسپورت وآلاف في پايك... ولستُ لوردًا، فقد سُلِبَت جزيرة الدِّببة مني، والآن أنا مجرَّد فارس».

تأبَّطت داني ذراعه قائلةً: «فارس في حَرسي الملكي، وصديقي المخلص ومستشاري الأمين»، ورمقَت وجه آرستان بإمعانٍ فرأت في ملامحه كرامةً عظيمةً وقوَّةً صامتةً راقَتها، ثم قالت: «انهض يا آرستان ذا اللِّحية البيضاء، وأهلًا بك يا بِلواس القوي. إنكما تعرفان السير چورا، وهذان الگو آجو والگو چوجو دم دمي. لقد عبرا القَفر الأحمر معي، وشهدا ميلاد تنانيني».

ابتسمَ بِلواس كاشفًا أسنانه البارزة، وقال: «غلاما خيول. بِلواس قتلَ العديد من غلمان الخيول في حلبات القتال. إنهم يُجَلجِلون حين يموتون».

وثبَ أراخ آجو إلى يده وهو يقول: «لم أقتل رجلًا بدينًا أسمر من قبل. بِلواس سيكون الأول».

قالت داني: «أغمِد سلاحك يا دم دمي، هذا الرَّجل أتى ليخدمني. بِلواس، إمَّا أن تُبدي كلَّ الاحترام الواجب لقومي أو ستَخرُج من خدمتي أسرع مما ترغب، وبندوبٍ أكثر مما جئت».

غابَت الابتسامة بارزة الأسنان عن وجه العملاق الأسمر العريض، وحَلَّت محلَّها نظرة عابسة مرتبكة. يبدو أن الرِّجال نادرًا ما يُهَدِّدون بِلواس، ناهيك بفتاةٍ تَبلُغ ثُلث حجمه.

ابتسمَت داني لتُخَفِّف وطأة زجْرها له، وقالت: «والآن أخبِرني، ما الذي يُريده الماچستر إليريو مني ويجعله يُرسِلكما إليَّ من پنتوس؟».

أجابَ بِلواس بجفاف: «يُريد التَّنانين والفتاة التي تبعث فيها الحياة، يُريدكِ أنتِ».

قال آرستان: «هذا صحيح يا جلالة الملكة. قال لنا أن نَعثُر عليكِ ونُعيدكِ

إلى پنتوس. الممالك السَّبع تحتاج إليكِ. روبرت الغاصِب ماتَ والبلاد تنزف، وحين أبحَرنا من پنتوس كان هناك أربعة ملوك ولا عدالة على الإطلاق».

أحسَّت بقلبها يَرقُص فرحًا، لكنها حافظَت على ثبات ملامحها وهي تقول: «لديَّ ثلاثة تنانين، وأكثر من مئة فردٍ في گالاساري بجميع ممتلكاتهم وخيولهم».

أعلنَ بِلواس: «لا فارق، سنأخذ الجميع. الرَّجل السَّمين استأجرَ ثلاث سُفنٍ لملكته الصَّغيرة ذات الشَّعر الفضِّي».

قال آرستان: «كما قال يا جلالة الملكة. الكوج العظيم «سادوليون» راسٍ عند نهاية الرَّصيف، والقادسان «شمس الصَّيف» و«مزحة چوسو» راسيانِ عند حاجز الأمواج».

ردَّت في عقلها الذي شغلَته التَّساؤلات: للتنِّين ثلاثة رؤوس، قبل أن تقول: «سآمرُ قومي بالاستعداد للرَّحيل على الفور، لكن يجب أن تحمل السُّفن التي ستأخذني إلى الدِّيار أسماء أخرى».

سألَها آرستان: «كما تشائين. أيُّ الأسماء تُفَضِّلين؟».

أجابَته دنيرس: «ڤاجهار وميراكسس وبالريون. اكتُبوا الأسماء على أبدان السُّفن بحروفٍ من ذهب ترتفع ثلاثة أقدامٍ يا آرستان. أريدُ أن يعلم كلُّ من يراها أن التَّنانين عادَت».

آريا

كانوا قد غمسوا الرُّؤوس في القطران كي لا تتعفَّن سريعًا، فتمرُّ آريا أسفلها مرغمةً كلَّ صباحٍ عندما تذهب إلى البئر لتسحب مياهًا نقيَّةً لحوض رووس بولتون، وقد علَّقوها على الخوازيق بحيث تطلُّ الوجوه على الخارج فلم ترَها، وإن أحبَّت أن تتظاهَر بأن أحدها وجه چوفري، وحاولَت أن تتخيَّل كيف ستبدو ملامحه الوسيمة وهي مغطَّاة بالقطران. لو كنتُ غُرابًا، لنزلتُ من السَّماء ومزَّقتُ شفتيه الممتلئتين السَّخيفتين بمنقاريَّ.

لم تحظَ الرُّؤوس بلحظة سلامٍ واحدة، فطيلة الوقت تدور الغِربان آكلة الجيف حول مبنى البوَّابة بشراسةٍ صاخبة، تتصارَع فوق الأسوار على التهام أعيُن الموتى، وتَصرُخ وتنعق في بعضها بعضًا، وتُحَلِّق فرارًا كلما مَرَّ حارس بالشُّرفات. في بعض الأحايين تنزل غِدفان المِايستر من المِغدفة ضاربةً الهواء بأجنحتها السَّوداء لتُشارِك في الوليمة، فتتفرَّق الغِربان، فقط لتُعاوِد الاحتشاد حول الرُّؤوس ثانيةً بمجرَّد أن تبتعد الطُّيور الأخرى الأكبر منها.

تُرى هل تتذكَّر الغِدفان المِايستر توثميور؟ أهي حزينة عليه؟ وعندما تنعب في وجهه، فهل تتساءَل لماذا لا يُجيب؟ لعلَّ الأموات يستطيعون مخاطَبتها بلُغةٍ سرِّيَّةٍ ما لا يعيها الأحياء.

كانوا قد أعدَموا توثميور بالفأس لأنه أرسلَ طيوره إلى كاسترلي روك وكينجز لاندنج ليلة سقوط هارنهال، ولوكان الحدَّاد لأنه صنعَ الأسلحة لجيش لانستر، والعقيلة هارا لأنها أمرَت أتباع الليدي ونت بخدمة الأعداء، والوكيل لأنه أعطى اللورد تايوين مفاتيح خزانة القلعة، أمَّا الطَّاهي فقد عفوا

عنه (لأنه طبخَ حَساء بنت عرس كما يقول البعض)، لكنهم نصبوا هياكل تشهير[1] لپيا وغيرها من النِّسوة اللاتي منحن أنفسهن لجنود لانستر، وقد جرَّدوهن من الملابس وحلقوا شَعرهن وتركوهن في السَّاحة الوُسطى إلى جوار حُفرة الدُّب، مُتاحات لأيِّ رجلٍ يرغب في استخدامهن.

ثلاثة من رجال فراي المسلَّحين كانوا يستخدمونهن هذا الصَّباح حين ذهبَت آريا إلى البئر، فحاولَت ألَّا تَنظُر، لكنها سمعَت الرِّجال يضحكون. يكون الدَّلو ثقيلًا حقًّا بَعدما يمتلئ، وكانت تلتفت لتعود به إلى بُرج محرقة الملك، عندما أطبقَت العقيلة آمابل على ذراعها، فانسكبَ الماء من فوق الحافة وبلَّل ساقيَّ المرأة، التي صرخَت بصوتٍ كالصَّرير: «فعلتِ هذا عمدًا!».

حاولَت آريا التملُّص منها صائحةً: «ماذا تُريدين؟». كانت آمابل قد أصيبَت بنوع من الخبال منذ قطَعوا رأس هارا.

أشارَت آمابل عبر السَّاحة نحو پيا قائلةً: «هل ترين؟ ستحلِّين محلَّها فور أن يَسقُط رجل الشَّمال».

- «دعيني!». حاولَت آريا انتزاع ذراعها من قبضة المرأة، لكنها أحكمَتها أكثر.

- «سوف يَسقُط أيضًا. هارنهال تُسقِطهم جميعًا في النِّهاية. لقد فازَ اللورد تايوين بالمعركة، وسيرجع بقوَّته كلها، وعندئذٍ سيُعاقِب الخائنين، فلا تحسبي أنه لن يعرف ما فعلتِ!»، وضحكَت العجوز مضيفةً: «ربما آتِ لأشارك في عقابكِ بنفسي. هارا كانت لديها مقشَّة قديمة سأدَّخرها لكِ، طرفها مكسور ومشظًّى و...».

طوَّحت آريا الدَّلو، فجعله ثِقل الماء يدور بين يديها ولم يضرب آمابل على رأسها كما أرادَت، لكن المرأة تخلَّت عنها رغم ذلك حين أغرقَها الماء تمامًا، وصاحَت آريا فيها: «إياكِ أن تلمسيني أبدًا وإلَّا قتلتكِ! ابتعدي!».

(1) هيكل التَّشهير أداة كانت تُستخدَم منذ العصور الوُسطى وخلال عصر النَّهضة للعقاب البدني، عبارة عن ألواح خشبيَّة كبيرة مثبَّتة معًا بحيث يعجز المقيَّد إليها عن تحريك قدميه، وأحيانًا كانت توضع قيود لليدين والرَّأس أيضًا.

منتحبةً، سدَّدت العقيلة آمابل إصبعها النَّاحل إلى الرَّجل المسلوخ على سُترة آريا، وقالت: «تحسبين نفسكِ آمنةً في وجود الرَّجل الدَّامي الصَّغير على ثديكِ، لكنكِ لستِ كذلك! آل لانستر في الطَّريق، فانظري ما سيَحدُث حين يصلون!».

كانت ثلاثة أرباع الماء قد انسكبَت على الأرض، فعادَت آريا إلى البئر، وفكَّرت وهي تسحب الدَّلو ثانيةً: إذا أخبرتُ اللورد بولتون بما قالَته، فسيحتلُّ رأسها مكانًا إلى جوار رأس هارا قبل حلول الظَّلام، لكنها لم تكن تنوي أن تُخبِره.

قبل فترة، حين لم يكن نِصف هذه الرُّؤوس قد عُلِّقَ بَعد، رآها جندري تتطلَّع إليها، فسألَها: «هل يُعجبكِ عملكِ؟».

كانت تعلم أنه غاضب لأنه أحبَّ لوكان، وإن لم يكن اتِّهامه عادلًا، فقالت بنبرةٍ دفاعيَّة: «هذا عمل والتون ذي السَّاقين الفولاذ، والممثِّلين، واللورد بولتون».

- «ومَن سلَّمنا جميعًا لهم؟ أنتِ وحَساء بنت عرس».

لكمَته في ذراعه قائلةً: «كان مجرَّد حَساءٍ ساخن. أنت أيضًا كنت تكره السير آموري».

- «هؤلاء أكرههم أكثر. السير آموري كان يُقاتِل من أجل سيِّده، أمَّا الممثِّلون فمرتزقة مارقون، نِصفهم لا يتكلَّم اللُّغة العاميَّة حتى. السِّپتون أوت يُحِبُّ الأولاد الصِّغار، وكايبرن يُمارِس السِّحر الأسود، وصديقكِ العضَّاض يأكل لحم البَشر!».

أسوأ ما في الأمر أنها لا تستطيع أن تقول إنه مخطئ. لقد كُلِّفَت رِفقة الشُّجعان بأغلب عمليَّات البحث عن طعام وسلاح لهارنهال، كما أمرَهم رووس بولتون باقتلاع آل لانستر من الأنحاء المجاورة، فقسَّمهم ڤارجو هوت إلى أربع مجموعاتٍ للذَّهاب إلى أكبر عددٍ ممكن من القُرى، وقادَ المجموعة الأكبر بنفسه ووضعَ الأخريات تحت قيادة أكثر رجاله الموثوقين. سمعَت آريا رورج يضحك وهو يحكي عن أسلوب اللورد للعثور على الخونة، فكلُّ ما يفعله أنه يرجع إلى الأماكن التي زارَها من قبل تحت راية

اللورد تايوين ويقبض على مَن ساعَدوه. كثيرون منهم كان قد باعوا أنفسهم بفضَّة لانستر بالفعل، ولذا كان الممثِّلون يعودون غالبًا ومعهم صُرر من النُّقود بالإضافة إلى سلال الرُّؤوس.

أحيانًا كان شاجويل يصيح بمرح: «أحجية! إذا كان كبش اللورد بولتون يأكل الذين أطعَموا كبش اللورد لانستر، فكم كبشًا هناك؟».

أجابَت آريا حين سألَها: «واحد».

أطلقَ المهرِّج ضحكةً مكتومةً، وقال: «لدينا بنت عرس ذكيَّة كالكباش!».

لم يقلَّ رورچ والعضَّاض عن الآخَرين سوءًا، وكلما تناولَ اللورد بولتون وجبةً مع الحامية، رأتهما آريا جالسيْن مع البقيَّة. تفوح من العضَّاض رائحة كريهة كالجبن التَّالف، فجعلَه رجال رفقة الشُّجعان يجلس بالقُرب من طرف المائدة، حيث ينخِر ويهسُّ لنفسه ويُمَزِّق اللَّحم بأصابعه وأسنانه، ويتشمَّم الهواء حول آريا عندما تمرُّ به، لكن رورچ كان يُخيفها أكثر، وعلى الرغم من أنه يجلس بعيدًا عنها إلى جوار أورزويك الوفي، فإنها تظلُّ تَشعُر بنظراته تزحف عليها زحفًا بينما تُمارِس واجباتها.

أحيانًا تتمنَّى لو أنها ذهبَت عبر البحر الضيِّق مع چاكن هاجار. إنها ما زالت محتفظةً بالعُملة السَّخيفة التي أعطاها إياها، قطعة من الحديد صدئة الحافة ولا يزيد حجمها على حجم عُملةٍ تقليديَّة، وعلى أحد وجهيها كتابة بكلماتٍ غريبة لم تستطِع أن تقرأها، والوجه الثَّاني عليه رأس رجلٍ بالٍ تمامًا فلم تعُد له ملامح. قال إن قيمتها عظيمة، لكنها كذبة على الأرجح، تمامًا مثل اسمه ووجهه ذاته. أغضبَها الخاطر لدرجة أنها طوَّحت قطعة العُملة بعيدًا، وإن أنَّبتها نفسها بَعد ساعةٍ فعادَت ووجدَتها ثانيةً، مع أن لا قيمة لها على الإطلاق.

كانت العُملة تشغل بالها وهي تَعبُر ساحة الحجر المصهور مكافحةً لحمل الدَّلو الذي أثقلَه الماء، حين ناداها صوت: «نان، ضعي الدَّلو وتعالي ساعِديني».

لا يَكبُرها إلمار فراي عُمرًا، كما أنه قصير القامة بالنِّسبة لسِنِّه، وكان يُدَحرِج برميلًا مليئًا بالرَّمل على الأرض الحجريَّة غير المستوية وقد احتقنَ

وجهه من المجهود المفرط، فذهبَت آريا تُساعِده، ومعًا دفعا البرميل حتى السُّور وعادا به قبل أن يعدلاه، وسمعَت الرِّمال تتحرَّك في الدَّاخل بينما خلعَ إلمار الغطاء وأخرجَ قميص حلقاتٍ معدنيَّة، فباعتباره مُرافِق رووس بولتون، فمن واجبه أن يحرص على أن يكون قميص اللورد الواقي نظيفًا برَّاقًا، وهكذا سألَها: «أتحسبين أنه نظيف كفايةً؟».

قالت: «عليك أن تنفض الرِّمال منه، ولا تزال هناك بُقع من الصَّدأ، هل ترى؟»، وأشارَت مضيفةً: «الأفضل أن تُكَرِّر العمليَّة».

- «كرِّريها أنتِ». يتصرَّف إلمار بوُدٍّ لمَّا يحتاج المساعَدة، لكنه يتذكَّر دائمًا بَعدها أنه مُرافِق اللورد وهي مجرَّد خادمة، ويُحِبُّ التَّباهي بأنه ابن سيِّد «المعبر»، وليس مجرَّد ابن أخٍ أو نغل أو حفيد، بل ابنه الشَّرعي، ما يعني أنه سيتزوَّج أميرةً.

لا تُبالي آريا بأميرته الغالية، ولا يروقها أن يُعطيها الأوامر، فقالت: «عليَّ أن أحمل الماء إلى حوض سيِّدي. إنهم يُعَلِّقون له العَلَق في غُرفته الآن، ليس العَلَقات السَّوداء العاديَّة، بل الكبيرة الشَّاحبة».

اتَّسعت عينا إلمار حتى صارتا كبيضتين مسلوقتين، فالعَلَقات تُرعِبه حقًّا، خصوصًا تلك الشَّاحبة الكبيرة التي تبدو كالهُلام حين تمتلئ بالدَّم. هكذا قال لها: «نسيتُ أنكِ أكثر نحولًا من أن تستطيعي دفع هذا البرميل الثَّقيل».

قالت آريا: «نسيتُ أنك غبي»، ورفعَت الدَّلو مضيفةً: «ربما تحتاج علاجًا بالعَلَق بدورك. في «العُنق» عَلَقات كبيرة كالخنازير»، وتركَته مع برميله.

وجدَت غُرفة نوم اللورد مزدحمةً حين دخلَت، وكان كايبرن حاضرًا، بالإضافة إلى والتون الكالح الذي يرتدي قميصه المعدني وواقييَّ السَّاقين الفولاذيَّين، ودستة من أولاد فراي (كلهم إخوة أشقَّاء وغير أشقَّاء وأبناء عم). أمَّا رووس بولتون فتمدَّد في فِراشه عاريًا، وقد تشبَّثت العَلَقات ببواطن ذراعيه وساقيه ورقَّطت صدره الشَّاحب، أشياء طويلة شِبه شفَّافة يستحيل لونها ورديًّا لامعًا إذ تمتصُّ الدِّماء، غير أن بولتون لم يُعِرها اهتمامًا أكثر مما أعارَ آريا.

كان السير إينس فراي يقول بينما ملأَت حوض الاغتسال: «يجب ألَّا نسمح للورد تايوين بأن يحبسنا هنا في هارنهال». كان رجلًا عملاق القامة ذا

ظَهرٍ محني وعينين حمراوين دامعتين ويدين ضخمتين متغضّنتين، ولقد جلبتُ ألفًا وخمسمئة من جنود فراي معه جَنوبًا إلى هارنهال، وعلى الرغم من هذا يبدو أنه عاجز عن قيادة إخوته أنفسهم. تابعَ السير إينس: «القلعة هائلة الحجم وتتطلَّب جيشًا كاملًا للدِّفاع عنها، وبمجرَّد أن يُحاصِرونا فلن نستطيع إطعام جيشٍ بأكمله، ولا أمل لدينا في تخزين ما يكفي من مؤن، فالرِّيف كله تحوَّل إلى رماد، والقُرى استولَت عليها الذِّئاب، والحصاد إمَّا أُحرِقَ أو سُرِقَ. لقد بدأ الخريف، ومع ذلك لا طعام جديدًا يُزرَع أو يُحفَظ في المخازن، ونتعيَّش فقط على ما نتحصَّل عليه من هنا أو هناك، وإذا منعَنا آل لانستر عن ذلك، فلن نجد ما نأكله خلال دورة قمرٍ واحدةٍ غير الجرذان وجِلد الأحذية».

- «لا أنوي أن أُحاصرَ هنا». يتكلَّم رووس بولتون دائمًا بصوتٍ شديد النُّعومة، حتى إن عليك أن تُرهِف سمعك عن آخِره لكي تسمعه، ولذا فالهدوء يُخَيِّم على مسكنه دائمًا بشكلٍ غريب.

قال السير چارد فراي، الرَّجل النَّحيل ذو الوجه المجدور والرَّأس الذي بدأ الصَّلع يزحف عليه: «ماذا إذن؟ هل أسكرَ الانتصار إدميور تَلي لدرجة أنه يُفكِّر في مواجَهة اللورد تايوين في الميدان؟».

فكَّرت آريا: سيهزمهم، تمامًا كما هزمَهم عند الفرع الأحمر، سترون، وتحرَّكت لتقف إلى جوار كايبرن دون أن يُلاحِظها أحد.

رَدَّ بولتون بهدوء: «اللورد تايوين يَبعُد فراسخ كثيرةً عن هنا، ولا تزال أمامه أمور عدَّة يُسَوِّيها في كينجز لاندنج، فلن يزحف إلى هارنهال قريبًا».

هَزَّ السير إينس رأسه بعنادٍ قائلًا: «إنك لا تعرف آل لانستر كما نعرفهم يا سيِّدي. الملك ستانيس أيضًا حسبَ أن اللورد تايوين يَبعُد آلاف الفراسخ، وكان في هذا دماره».

ابتسمَ الرَّجل الرَّاقد في الفِراش ابتسامةً شاحبةً مِثله بينما تغذَّت العَلَقات على دمه، وقال: «لستُ بالرَّجل الذي يُدَمَّر أيها الفارس».

- «حتى إذا حشدَت ريڤرَن قوَّتها كلها وعادَ الذِّئب الصَّغير من الغَرب، فكيف نأمل في مضاهاة الأعداد التي سيُطلِقها اللورد تايوين علينا؟ حين

يأتي، سيأتي بقوَّةٍ أعظم بكثيرٍ مما كانت معه في معركة الفرع الأخضر. دعني أذكِّرك بأن هايجاردن انضمَّت إلى چوفري!».

- «لم أنسَ».

قال السير هوستين، الرَّجل متين القامة مربَّع الوجه الذي يُقال إنه أقوى آل فراي: «كنتُ أسيرًا لدى اللورد تايوين من قبل، ولا أرغبُ في الاستمتاع بكرم ضيافة آل لانستر مرَّةً أخرى».

أومأَ السير هاريس هاي -الذي يُعَدُّ من آل فراي من ناحية الأم- برأسه بقوَّةٍ قائلًا: «إذا استطاعَ اللورد تايوين أن يهزم رجلًا مخضرمًا كستانيس باراثيون، فما فُرصة الملك الصَّبي أمامه؟»، وتطلَّع حوله ناشدًا تأييد إخوته وأبناء عمه، فهمهمَ كثيرون منهم موافقين.

قال السير هوستين: «على أحدنا أن يتحلَّى بالشَّجاعة ويقولها، لقد خسرنا هذه الحرب، وعلى الملك روب أن يرى هذا!».

رمقَه رووس بولتون بإمعانٍ بعينيه الباهتتين، وقال: «جلالته هزمَ آل لانستر كلَّ مرَّةٍ واجهَهم فيها في المعركة».

بإصرارٍ قال هوستين فراي: «لقد فقدَ الشَّمال، فقدَ وينترفل! أخواه ماتا...».

نسيَت آريا أن تتنفَّس لحظةً. ماتا؟ بران وريكون ماتا؟ ماذا يعني؟ ماذا يعني بكلامه عن وينترفل؟ لا يُمكن أن يستولي چوفري على وينترفل أبدًا، ما كان روب ليسمح له. ثم إنها تذكَّرت أن روب ليس في وينترفل، بل غائب في الغَرب، وبران قعيد، وريكون طفل في الرَّابعة. استجمعَت قواها كلها كي تبقى ثابتةً صامتةً كما علَّمها سيريو فورل، كي تقف في مكانها كقطعةٍ من الأثاث، وأحسَّت بالدُّموع تتجمَّع في مُقلتيها فكتمَتها. ليس هذا صحيحًا، مستحيل أن يكون صحيحًا، إنها كذبة أشاعَها آل لانستر.

بأسى قال رونل ريفرز، أحد أبناء اللورد والدر غير الشَّرعيِّين: «لو فازَ ستانيس لاختلفَ كلُّ شيء».

رَدَّ السير هوستين بفظاظة: «ستانيس خسرَ، وتمنِّي العكس لن يجعله

واقعًا. يجب أن يعقد الملك روب الصُّلح مع آل لانستر، يجب أن يخلع تاجه ويركع لهم مهما كرهَ هذا».

قال رووس بولتون باسمًا: «ومن سيقول له أن يفعل ذلك؟ من الجميل أن يكون للمرء كلّ هؤلاء الإخوة الشُّجعان في هذه الأوقات العصيبة. سوف أفكِّرُ في كلامكم». كانت ابتسامته إشارةً لهم بالانصراف، فألقى أولاد فراي التحيَّة وخرجوا، بينما ظَلَّ كايبرن ووالتون ذو السَّاقين الفولاذ وآريا، التي أشارَ لها اللورد قائلًا: «نزفتُ كفايةً، أزيلي العَلَقات يا نان».

- «في الحال يا سيِّدي». أفضل شيءٍ ألَّا تجعل رووس بولتون يُكَرِّر طلبه، لكنها أرادَت أن تسأله عمَّا قصدَه السير هوستين بخصوص وينترفل، وإن لم تجرؤ. سأسألُ إلمار، هو سيُخبِرني. تلوَّت العَلَقات ببُطءٍ بين أصابعها وهي تُزيلها بحذرٍ عن جسد اللورد، شاعرةً بملمس أجسامها الشَّاحبة الرَّطب وقد انتفخَت بالدِّماء، لكنها ذكَّرت نفسها: إنها مجرَّد عَلَقات، يُمكنني أن أضمَّ يدي عليها وأسحقها.

- «ثمَّة رسالة من السيِّدة زوجتك»، قال كايبرن وهو يسحب رَقًّا مطويًّا من كُمِّه. لا تُحيط بعُنقه سلسلة على الرغم من أنه يرتدي ثوب المِايسترات، وتقول همسات النَّميمة إنه فقدَها نتيجةً لممارَسته النِّكرومانسي[1].

قال بولتون: «اقرأها».

تكتُب الليدي والدا من «التَّوأمتين» بصفةٍ شِبه يوميَّة، لكن لا فارق بين رسالةٍ وأخرى، وهذه المرَّة كتبَت: «أصلِّي لك صباحًا وظُهرًا وليلًا يا سيِّدي الحبيب، وأعدُّ الأيام حتى تُشارِكني فِراشي ثانيةً. عُد إليَّ قريبًا وسأنجبُ لك أبناءً شرعيِّين كُثرًا يُعَوِّضوك عن دومريك العزيز ويَحكموا «معقل الخوف» من بعدك»، فتخيَّلت آريا رضيعًا ممتلئ الجسد في مهده تُغَطِّيه العَلَقات الورديَّة الممتلئة.

---

(1) النِّكرومانسي كلمة تصف ضربًا من السِّحر الأسود يُفترَض أنه يُمارَس بغرض التَّواصُل مع الموتى، سواء باستحضار أرواحهم أو بعث الحركة في أجسادهم، في سبيل اكتشاف الأسرار الخفيَّة أو الاطِّلاع على المستقبَل أو بعث الحياة في جسدٍ ميت، والكلمة تعني «بواسطة الكهانة» باللاتينيَّة المتأخِّرة.

أحضرَت للورد بولتون منشفةً مبلَّلةً يمسح بها جسده النَّاعم الخالي من الشَّعر، بينما قال للمِايستر السَّابق: «سأرسلُ رسالةً أيضًا».

- «إلى الليدي والدا؟».

- «إلى السير هلمان تولهارت». كان خيَّال بعثَه السير هلمان قد وصلَ قبل يومين، معلنًا أن رجال تولهارت استولوا على قلعة عائلة داري، وقبلوا استسلام حامية لانستر بَعد حصارٍ قصير. «قُل له أن يَقتُل الأسرى ويُضرِم النَّار في القلعة بأمر الملك، ثم يضمَّ قوَّاته إلى قوَّات روبت جلوڤر ويتَّجها معًا شَرقًا إلى داسكندال. إنها أراضٍ خصبة ولم يمسَسها القتال إلَّا قليلًا، فحانَ الوقت لأن يتذوَّق أهلها نصيبهم منه. لقد خسرَ جلوڤر قلعةً وتولهارت ابنًا. فليُنزِلا بداسكندال انتقامهما إذن».

- «سأجهِّزُ الرِّسالة لتختمها يا سيِّدي».

سُرَّت آريا لمعرفة أن قلعة داري ستحترق. إنها القلعة التي أخَذوها إليها حين قبضوا عليها بَعد شجارها مع چوفري، حيث جعلَت الملكة أباها يَقتُل ذئبة سانزا. تستحقُّ أن تحترق. تمنَّت أن يعود روبت جلوڤر وهلمان تولهارت إلى هارنهال، فقد غادَرا سريعًا قبل أن تُقَرِّر إن كانت تستطيع ائتمانهما على سِرِّها.

قال رووس بولتون بينما ساعدَه كايبرن على ارتداء صُدرته الجِلديَّة المبطَّنة: «سأخرجُ للصَّيد اليوم».

قال كايبرن: «أمِن الأمان أن تفعل هذا يا سيِّدي؟ قبل ثلاثة أيام فقط هاجمَت الذِّئاب رجال السِّپتون أوت، دخلَت مخيَّمه مباشرةً حتى أصبَحت على بُعد أقلِّ من خمسة ياردات من النَّار، وقتلَت حصانين».

قال بولتون: «الذِّئاب هي الغرض من الصَّيد، فلا أكادُ أستطيعُ النَّوم ليلًا بسبب عُوائها»، وربطَ حزامه معدِّلًا وضع السَّيف والخنجر، وتابعَ: «يُقال إن الذِّئاب الرَّهيبة في الماضي اعتادَت أن تجوب الشَّمال في قطعان عظيمة من مئةٍ أو أكثر، دون أن تخشى الإنسان أو حتى الماموث، لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل وفي أرضٍ أخرى. من الغريب أن تتصرَّف ذئاب الجَنوب العاديَّة بهذه الجرأة».

- «الأزمنة الشَّنيعة تتمخَّض عن أشياء شنيعة يا سيِّدي».

لاحَت أسنان بولتون مع تعبير ارتسمَ على وجهه ربما كان ابتسامةً، وقال: «وهل الزَّمن الحالي شنيع لهذه الدَّرجة أيها المِايستر؟».

- «الصَّيف انتهى، وثمَّة أربعة ملوكٍ في البلاد».

- «قد يكون ملك واحد شنيعًا، لكن أربعة؟»، وهَزَّ بولتون كتفيه مخاطبًا آريا: «معطفي الفرو يا نان»، ولمَّا أحضرَته قال لها وهي تُثبِّته على كتفيه: «سيكون مسكني نظيفًا مرتَّبًا حين أعودُ، واعتني برسالة الليدي والدا».

- «كما تأمر يا سيِّدي».

خرجَ اللورد والمِايستر من الغُرفة دون أن يلتفت أحدهما ويَنظُر إليها مرَّةً، وحين ذهبا أخذَت آريا الرِّسالة إلى المستوقَد، ونخسَت الحطب لتذكية اللَّهب، ثم راقبَت الرَّقَّ يتجعَّد ويسودَّ قبل أن تشتعل فيه النَّار. إذا مَسَّ آل لانستر بران وريكون بسوء، سيقتلهم روب جميعًا. أبدًا لن يركع لهم، أبدًا أبدًا أبدًا. إنه لا يخشى أحدًا منهم. قبعَت آريا إلى جوار النَّار تُشاهِد ذرَّات الرَّماد ترتفع إلى المدخنة من وراء حجاب من العبرات الحارَّة متسائلةً: إذا ضاعَت وينترفل حقًّا، فهل هذه داري الآنَ؟ أما زلتُ آريا أم أني سأبقى نان الخادمة إلى الأبد وإلى الأبد وإلى الأبد؟

أمضَت السَّاعات القليلة التَّالية في العناية بمسكن اللورد، فأزاحَت البُسط القديمة ووضعَت أخرى جديدةً طيِّبة الرَّائحة مكانها، وزكَّت النَّار في المستوقَد، وبدَّلت الملاءات ونفشَت حشيَّة الفِراش الرِّيش، وأفرغَت أوعية الفضلات في المرحاض ونظَّفتها، وأخذَت دُفعةً من الثِّياب المتَّسخة إلى الغسَّالات، وأحضرَت وعاءً من الكمِّثرى الخريفيَّة النَّضرة من المطابخ، وحين فرغَت من غُرفة النَّوم، نزلَت حتى منتصَف السَّلالم، حيث كرَّرت العمل في الغُرفة الشَّمسيَّة الفسيحة الموحشة المعرَّضة لتيَّارات الهواء، التي يُناهِز حجمها القاعات الكُبرى في قلاعٍ أصغر. لم يتبقَّ من الشُّموع غير أعقاب، فغيَّرتها آريا، ثم اتَّجهت إلى المنضَدة البلُّوط الضَّخمة الموضوعة تحت النَّوافذ ويَكتُب عليها اللورد رسائله، فرتَّبت الكُتب وبدَّلت الشُّموع ونظَّمت كلًّا من ريشات الكتابة والأحبار وشمع الختم في مكانه.

كانت جِلدة خروفٍ كبيرة مهترئة ملقاةً فوق الأوراق، وبدأت آريا تطويها قبل أن تلفت الألوان انتباهها؛ أزرق البُحيرات والأنهار، والنِّقاط الحمراء التي تدلُّ على القلاع والمُدن، وخُضرة الغابات، فعادَت تبسطها لترى عبارة «**أراضي نهر الثَّالوث**» مكتوبةً بخَطٍّ منمَّق تحت الخارطة، التي تُظهِر كلَّ التَّضاريس بدايةً من «العُنق» وحتى النَّهر الأسود. ها هي هارنهال فوق البحيرة الكبيرة، لكن أين ريڤررَن؟ ثم إنها رأتها ففكَّرت: ليست بعيدةً جدًّا...

حين انتهَت آريا أخيرًا كانت فترة بَعد الظُّهر لا تزال في بدايتها، فأخذَت نفسها إلى أيكة الآلهة. واجباتها الآن كساقية اللورد بولتون أخفُّ مما كانت حين كانت تعمل تحت إمرة ويز أو حتى ذي العين الورديَّة، وإن تطلَّبت منها أن ترتدي ثياب الخادمات وتغسل أشياء أكثر مما ترغب. لن تعود فرقة الصَّيد قبل ساعات، ما يمنحها وقتًا لا بأس به للمران على أشغال الإبرة.

راحَت تضرب أوراق شجر البَتولة حتى أصبحَ طرف عصا المكنسة المكسور أخضر لزجًا، بينما قالت لاهثةً: «السير جريجور، دانسن، پوليڤر، راف المعسول»، ودارَت ووثبَت ووازنَت نفسها على مُشطي قدميها، وأخذَت تندفع يمينًا وشِمالًا كالسَّهم، تضرب أكواز الصَّنوبر وتُسقِطها، في مرَّةٍ تصيح: «المُدغدِغ»، وفي التَّالية: «كلب الصَّيد»، وفي التي تليها: «السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي»، ثم لاحَ جذع شجرة سنديان أمامها، فانقضَّت لتغرس طرف سيفها فيه مردِّدةً بصوتٍ كالقُباع: «چوفري، چوفري، چوفري».

كانت طبقة لامعة من العَرق تكسو بشرتها عندما توقَّفت، وقد برقشَ نور الشَّمس وظلال ورق الشَّجر ذراعيها وقدميها، ووجدَت كعب قدمها اليُمنى داميًا حيث انكشطَ جِلده، فوقفَت على قدمٍ واحدةٍ أمام شجرة القلوب ورفعَت سيفها تحيَّةً، وقالت لآلهة الشَّمال القديمَة: «ڤالار مورجولِس». كم يروقها وقع هاتين الكلمتين حين تلفظهما.

قطعَت آريا السَّاحة في طريقها إلى الحمَّام، ولمحَت غُدافًا يدور نازلًا من السَّماء إلى المِغدفة، فتساءلَت عمَّن بعثَه وماهية الرِّسالة التي يحملها، ومضغَت شفتها آملةً. لعلَّها من روب، تقول إن ما حدثَ لبران وريكون ليس حقيقيًّا. لو كان لديَّ جناحان لطرت إلى وينترفل ورأيت بنفسي، وإذا كان

حقيقيًّا لو اصلتُ الطَّيران لا أكثر، كنتُ لأطير مارَّةً بالقمر والنُّجوم المتلألئة وأرى كلَّ الأشياء التي في قصص العجوز نان، التِّنانين ووحوش البحر ومارد براڤوس، وربما لا أعودُ إلَّا إذا أردتُ.

عادَت فرقة الصَّيد قُرب حلول المساء بتسعة ذئاب ميتة، سبعة منها كبار، وحوش قويَّة ضارية كبيرة الحجم فروها رمادي وبنِّي، وقد انفغرَت أفواهها إذ أطلقَت زمجرات الموت الأخيرة لتكشف أسنانها الصَّفراء الطَّويلة، لكن الاثنين الآخَرين كانا مجرَّد جروين. أمرَ اللورد بولتون بأن تُخَيَّط فروات الذِّئاب معًا لعمل دثارٍ لفِراشه، فقال أحد رجاله: «ما زال فرو الجروين ناعمًا يا سيِّدي، يَصلُح لصُنع زوجٍ دافئٍ من القُفَّازات لك».

رفعَ بولتون عينيه إلى الرَّايات التي تخفق فوق أبراج مبنى البوَّابة، وقال: «كما يُحِبُّ آل ستارك تذكِرتنا، فالشِّتاء قادم. اصنعوا القُفَّازين»، ولمَّا رأى آريا تَنظُر قال لها: «نان، أريدُ إبريقًا من النَّبيذ المتبَّل السَّاخن، فقد أصابَني البرد في الغابة، فاحرِصي على أن يظلَّ ساخنًا. وسأتناوَل العَشاء وحدي، خُبز الشَّعير والزُّبد ولحم الخنزير البرِّي».

- «في الحال يا سيِّدي». دائمًا يكون هذا أفضل الرُّدود على الإطلاق.

كان هوت پاي يصنع كعكات الشُّوفان حين دخلَت المطبخ، بينما يُخلي ثلاثة طُهاةٍ آخَرون الأسماك من العظم، ويُدَوِّر عامل شواءٍ خنزيرًا برِّيًّا فوق اللَّهب. قالت لهم آريا: «سيِّدي يُريد عَشاءه، ونبيذًا متبَّلًا ساخنًا معه، لا يُريده باردًا»، فغسلَ أحد الطُّهاة يديه وأحضرَ مرجلًا ملأه بالنَّبيذ الأحمر الثَّقيل المحلَّى، وقال لهوت پاي أن يُفَتِّت التَّوابل في المرجل بينما يسخن النَّبيذ، فذهبَت آريا تُساعِده.

قال لها عابسًا: «أستطيعُ أن أفعلها بنفسي، ولا أحتاجُ أن تُريني كيف أتبِّلُ النَّبيذ».

هو أيضًا يكرهني، أو أنه يخشاني. تراجعَت شاعرةً بالحُزن أكثر من الغضب. عندما نضجَ الطَّعام، وضعَ الطُّهاة غطاءً فضِّيًّا عليه ولفُّوا إبريق النَّبيذ بمنشفةٍ سميكة للحفاظ على دِفئه.

في الخارج كان الغَسق يبسط أجنحته، وعلى الأسوار نعبَت الغِربان المتحلِّقة حول الرُّؤوس كحاشيةٍ حول ملك.

قال لها الحارس الواقف على مدخل بُرج محرقة الملك مازحًا: «آملُ أن هذا ليس حَساء بنت عرس».

كان رووس بولتون جالسًا عند المستوقَد حين دخلَت، يقرأ كتابًا سميكًا مغلَّفًا بالجِلد، وقال لها آمرًا وهو يقلب صفحةً: «أشعِلي بعض الشُّموع. المكان معتم هنا».

وضعَت الطَّعام عند مِرفقه، ونفَّذت أمره ليملأ الضَّوء المتذبذب ورائحة القرنفل الغُرفة، وقلبَ بولتون بضع صفحاتٍ أخرى بأصابعه، قبل أن يُغلِق الكتاب ويضعه بحذرٍ في النَّار، وراقبَ اللَّهب يلتهم الورق بعينيه التي انعكسَ فيهما الضَّوء المتوهِّج. اتَّقد الجِلد الجاف القديم بصوتٍ كنفْث الهواء، وارتجفَت الأوراق الصَّفراء إذ احترقَت، كأن شبحًا ما يقرأها، وقال بولتون دون أن يَنظُر إليها: «لن أحتاجكِ ثانيةً اللَّيلة».

كان ينبغي لها أن تذهب صامتةً كالفئران، لكن شيئًا ما ثبَّتها في مكانها، وقالت: «سيِّدي، هل ستأخذني معك حين تُغادِر هارنهال؟».

التفتَ يَرمُقها، وجعلَته نظرة عينيه يبدو كأن عَشاءه نفسه كلَّمه، ثم إنه قال: «هل أذنتُ لكِ بتوجيه الأسئلة إليَّ يا نان؟».

خفضَت عينيها مجيبةً: «لا يا سيِّدي».

- «لم يكن عليكِ أن تتكلَّمي إذن، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدي».

بدا عليه الاستمتاع لحظةً قبل أن يقول: «سأجيبكِ هذه المرَّة فقط. أنوي أن أترك هارنهال للورد ڤارجو حين أعودُ إلى الشَّمال، وستبقين هنا معه».

- «لكني...».

قاطعَها بصرامة: «ليس من عادتي أن أجيب عن أسئلة الخدم يا نان، أم أن عليَّ أن أقطع لسانكِ؟».

تعلم أنه يستطيع أن يفعلها بالبساطة المتناهية التي يُقَيِّد به رجل كلبه بالأغلال، ولذا قالت: «لا يا سيِّدي».

- «لن أسمع المزيد منكِ إذن؟».
- «نعم يا سيِّدي».
- «اذهبي إذن، وسأنسى هذا التَّجاوُز».

وذهبَت آريا، لكن ليس إلى فِراشها. عندما خرجَت إلى ظلام السَّاحة، أومأ أحد الحُرَّاس لها برأسه قائلًا: «ثمَّة عاصفة تقترب. هل تشمِّين الهواء؟». كانت الرِّيح تهبُّ ولهب المشاعل المثبَّتة إلى جوار صفوف الرُّؤوس على الأسوار يتراقَص. في طريقها إلى أيكة الآلهة مرَّت آريا ببُرج العواء الذي عاشَت فيه من قبلِ في خوفٍ من ويز، أمَّا الآن فيُقيم فيه أولاد فراي منذ سقوط هارنهال، وسمعَت أصواتًا غاضبةً قادمةً من إحدى النَّوافذ، وقد أخذَ عدد من الرِّجال يتكلَّمون ويزعقون في آنٍ واحد، بينما جلسَ إلمار على العتبة في الخارج بمفرده، فسألَته لمَّا رأت الدُّموع المنسابة على وجنتيه: «ما الخطب؟».

قال منتحبًا: «أميرتي. إينس يقول إننا أُهنَّا وكُلِّلنا بالخزي. جاءَ طائر من «التَّوأمتين»، وقال أبي إن عليَّ أن أتزوَّج فتاةً أخرى أو أصبح سِپتونًا».

فكَّرت: لا تستحقُّ تلك الأميرة الحمقاء البكاء عليها، ثم إنها قالت: «ثمَّة احتمال أن أخويَّ ماتا».

حدجَها إلمار بنظرةٍ هازئة، وقال: «لا أحد يُبالي بأخوي خادمة».

منعَت نفسها بصعوبةٍ من أن تضربه حين قال هذا، لكنها قالت: «آملُ أن تموت أميرتك»، ثم هرعَت مبتعدةً قبل أن يُمسِكها.

وجدَت عصا المقشَّة التي تتظاهَر بأنها سيفها في أيكة الآلهة حيث تركَتها وحملَتها إلى أيكة الآلهة، وهناك ركعَت بينما تحفُّ الأوراق الحمراء وتسبر العينان الحمراوان أغوارها. عينان من أعيُن الآلهة. «أخبِريني ماذا أفعلُ أيتها الآلهة».

مرَّت فترة طويلة خيَّم فيها صمت تام لا يتخلَّله سوى صفير الرِّيح وخرير الماء وحفيف الأوراق وصرير الأغصان... ثم، من مكانٍ ما بعيد للغاية، وراء أيكة الآلهة والأبراج المسكونة وأسوار هارنهال الهائلة، من بُقعةٍ قصيَّةٍ ما في العالم، سمعَت عُواء ذئب طويلًا شجيًّا، فزحفَت القشعريرة على جِلد آريا وأحسَّت بالدُّوار لحظةً، ثم بمنتهى الخفوت خُيِّلَ لها أنها تسمع صوت أبيها

يقول: «عندما تَسقُط الثُّلوج وتهبُّ الرِّيح البيضاء، يَنفُق الذِّئب الوحيد بينما ينجو القطيع».

همسَت لشجرة الويروود: «لكن لم يَعُد هناك قطيع». بران وريكون ماتا، وسانزا أسيرة آل لانستر، وچون رحلَ إلى «الجِدار». «حتى أنا لم أعد أنا، بل أصبحتُ نان».

– «أنتِ آريا ابنة وينترفل، طفلة الشَّمال. قلتِ لي إنكِ تستطيعين التحلِّي بالقوَّة. في عروقكِ تسري دماء الذِّئاب».

الآن تذكَّرت آريا، وردَّدت: «دماء الذِّئاب. سأكونُ قويَّةً كروب، قلتُ إنني سأفعلُ»، وأخذَت شهيقًا عميقًا ورفعَت عصا المقشَّة بيديها، ثم كسرَتها على رُكبتها بصوتٍ عالٍ وألقَت النِّصفين بعيدًا. أنا ذئبة رهيبة، فكفاني الأسنان الخشب.

ليلتها تمدَّدت في فِراشها الضيِّق على كومةٍ من القَشِّ الخشن، تُصغي لأصوات الأحياء والموتى تهمس وتتجادَل بينما انتظرَت أن يتوسَّط القمر السَّماء. إنها لم تَعُد تثق بغير أصوات الموتى. سمعَت أنفاسها وعُواء الذِّئاب الذي يشي بأن هناك قطيعًا كبيرًا منها الآن، فقالت لنفسها: إنها أقرب من ذلك الذي سمعته في أيكة الآلهة، إنها تُناديني.

أخيرًا نهضَت من تحت الغطاء وارتدَت سُترةً طويلةً ونزلَت السَّلالم حافية القدمين.

لأن رووس بولتون رجل حذِر، فهناك حراسة دائمة على مدخل بُرج محرقة الملك، وهكذا تسلَّلت خارجةً من نافذةٍ ضيِّقةٍ في القبو، ووجدَت السَّاحة ساكنةً والقلعة غائبة في الأحلام المسكونة.

وفي الأعلى راحَت الرِّيح تندب في بُرج العويل.

حين بلغَت الورشة كانت النار مطفأةً والأبواب مغلقةً وموصدةً، فزحفَت داخلةً من نافذةٍ كما فعلَت من قبل. هناك يتقاسَم جندري فِراشًا مع اثنين من صِبيان الحدَّادين، وجثمَت آريا في العُلِّيَّة حتى اعتادَت عيناها الظَّلام وتأكَّدت من أن جندري هو النَّائم على طرف الفِراش، ثم إنها وضعَت يدًا على فمه وقرصَته بالأخرى، ولمَّا فتحَ عينيه في الحال أدركَت أنه لم يكن نائمًا بعُمق، فهمسَت: «أرجوك»، ورفعَت يدها عن فمه وأشارَت.

لم تحسب أنه فهمَها في البداية، لكنه خرجَ من تحت الأغطية عاريًا، وقطعَ الغُرفة وارتدى سُترةً طويلةً خشنةً، قبل أن ينزل من العُلِّيَّة وراءها، بينما لم يتحرَّك النَّائمون الآخَرون. سألَها جندري بصوتٍ غاضبٍ خفيض: «ماذا تُريدين الآن؟».

- «سيفًا».

- «قلتُ لكِ مئة مرَّة إن ذا الإبهام الأسود يُغلِق على الأسلحة كلها بالمفتاح. أهو من أجل اللورد عَلَقة؟».

- «من أجلي. اكسر القفل بمطرقتك».

دمدمَ: «سيكسرون يدي أو أسوأ».

- «ما لم تهرب معي».

- «اهرُبي وسيقبضون عليكِ ويَقتُلوكِ».

- «سيفعلون بك ما هو أسوأ. اللورد بولتون قال لي إنه سيترُك هارنهال للممثِّلين السفَّاحين».

أزاحَ جندريَ شَعره الأسود عن عينيه متسائلًا: «إذن؟».

تطلَّعت إليه مباشرةً بلا خوفٍ، وقالت: «إذن عندما يُصبِح ڤارجو هوت سيِّد القلعة، فسيقطع أقدام الخدم كلهم ليمنعهم من الهرب، والحدَّادين أيضًا».

قال ساخرًا: «مجرَّد كلام».

قالت كاذبةً: «لا، لقد سمعتُ اللورد ڤارجو يقول هذا بنفسه، سيقطع واحدةً من قدمي كلِّ فرد، القدم اليُسرى»، ثم أردفَت: «اذهب إلى المطابخ وأيقِظ هوت پاي. سيفعل ما تقوله. سنحتاج خُبزًا أو كعكات شوفان أو ما شابه. عليك أن تُحضِر السُّيوف بينما آتي بالخيول، وسنلتقي قُرب البوَّابة الجانبيَّة في السُّور الشَّرقي وراء بُرج الأشباح، فلا أحد يذهب إلى هناك أبدًا».

- «أعرفُ تلك البوَّابة. إن عليها حراسةً كالبوَّابات الأخرى كلها».

- «وماذا في هذا؟ إنك لن تنسى السُّيوف، أليس كذلك؟».

- «لم أقل إنني ذاهبٌ معكِ».

- «نعم، لكن إذا أتيت، فهل ستنسى السُّيوف؟».

قطَّب وجهه فترةً، ثم قال أخيرًا: «كلا، لا أظنُّ أني سأنساها».

رجعَت آريا إلى بُرج محرقة الملك كما خرجَت منه، وتسلَّلت صاعدةً السَّلالم وقد أرهفَت أذنيها لتسمع وقع أيِّ أقدام، ثم حين دخلَت حُجيرتها، تجرَّدت من ملابسها كلها وبدَّلتها بأخرى بحرص، فلبسَت طبقتين من الثِّياب الدَّاخليَّة وزوجًا من الجوارب الطَّويلة الثَّقيلة وأنظف سُترة لديها. كانت واحدةً من سُترات أتباع اللورد بولتون الرَّسميَّة، على صدرها خُيِّطَ رمز رجل «معقل الخوف» المسلوخ. بَعد ذلك عقدَت أربطة حذائها ووضعَت معطفًا على كتفيها النَّاحلتين وربطَته تحت ذقنها، قبل أن تُعاوِد نزول السَّلالم بهدوء الظِّلال. توقَّفت عند باب غُرفة اللورد الشَّمسيَّة تُصغي، ثم فتحَته بهدوءٍ شديد حين لم يترامَ إلى مسامعها شيء غير الصَّمت.

كانت الخارطة المصنوعة من جِلد الخروف على المنضدة إلى جوار بقايا عَشاء اللورد بولتون، فطوَتها بإحكام ودسَّتها في حزامها، وكان قد تركَ خنجره على المنضدة أيضًا، فأخذَته بدورهٌ تحسُّبًا لأن يفقد جندري شَجاعته.

أطلقَ حصان صهيلًا خافتًا عندما دلفَت إلى الاسطبلات المظلمة حيث تمدَّد السَّائسون نائمين، ولكزَت أحدهم بطرف حذائها، فاعتدلَ كالسَّكارى مهمهمًا: «إيه؟! ماذا؟!».

– «اللورد بولتون يُريد تجهيز ثلاثة خيولٍ بالسُّروج والألجمة».

نهضَ الصَّبي نافضًا القَشَّ من شَعره، وقال: «ماذا؟ في هذه السَّاعة؟ خيولًا تقولين؟»، ورمقَ الرَّمز على صدر سُترتها متسائلًا: «ماذا يُريد أن يفعل بالخيول في هذا الظَّلام؟».

عقدَت ذراعيها على صدرها قائلةً: «ليس من عادة اللورد بولتون أن يُجيب على أسئلة الخدم».

كان صبيُّ الاسطبل لا يزال يتطلَّع إلى الرَّجل المسلوخ الذي يعي معناه جيِّدًا وهو يقول: «ثلاثة خيولٍ تقولين؟».

قالت آريا: «واحد، اثنان، ثلاثة. خيول صيد قويَّة وواثقة الخُطى»، وساعدَته على تثبيت الألجمة والسُّروج كي لا يُوقِظ أحدًا من الصِّبيان الآخَرين، آملةً ألَّا يُؤذوه فيما بَعد، وإن علمَت أنهم سيفعلون غالبًا.

قيادة الخيول عبر القلعة كانت الجزء الأصعب، فالتزمَت آريا بالسَّير وسط ظلال السُّور أينما استطاعَت، وهكذا كان على الحَرس الذين يذرعون

الشُّرفات في الأعلى أن يَنظُروا إلى أسفلِ بزاويةٍ شِبه قائمة كي يروها. وماذا لو رأوني؟ إنني ساقية اللورد. كانت ليلةً خريفيَّة باردةً شديدة الرُّطوبة، وفي السَّماء جرفَت الرِّيح السَّحاب من الغَربِ ليحجب النُّجوم، بينما ردَّد بُرج العويل صرخاته المحزونة النَّائحة مع كلِّ هبَّة هواءٍ قويَّة. رائحة الجَوِّ تشي باقتراب هطول المطر. لم تدرِ آريا إن كان ذلك سينفعهم في فرارهم أم يضرُّهم.

لم يرَها أحد ولم ترَ أحدًا باستثناء قطَّةٍ بيضاء مرقَّطة بالرَّمادي تنسلُّ فوق سور أيكة الآلهة، وتوقَّفت القطَّة وهسَّت في وجهها موقظةً ذكرياتها عن القلعة الحمراء وأبيها وسيريو فورل، فقالت لها بصوتٍ خفيض: «يُمكنني أن أمسككِ إذا أردتُ، لكن يجب أن أذهب أيتها القطَّة».

بُرج الأشباح هو الأكثر تهدُّمًا بين أبراج هارنهال الضَّخمة الخمسة، يرتفع مظلمًا مهجورًا أمام أطلال سِپتٍ لا يأتي للصَّلاة فيه غير الجرذان منذ نحو ثلاثمئة عام، وهناك انتظرَت لترى إن كان جندري وهوت پاي قادميْن. بدا لها أنها انتظرَت طويلًا بينما قضمَت الخيول من الحشائش النَّامية بين الأحجار المكسَّرة وابتلعَت السُّحب آخِر النُّجوم الظَّاهرة، فأخرجَت آريا الخنجر وشحذَته لتُبقي يديها مشغولتين، ومرَّرت المشحذ عليه بحركاتٍ طوليَّة ناعمة كما علَّمها سيريو، فهدَّأها الصَّوت.

سمعَتهما قبلِ أن تراهما بمدَّةٍ طويلة. كان هوت پاي يتنفَّس بخشونة، وتعثَّر مرَّةً في الظَّلام وانخدشَ جِلد قصبة ساقه، فأطلقَ سبابًا عاليًا يكفي لإيقاظ نِصف هارنهال، أمَّا جندري فكان أكثر هدوءًا، لكن السُّيوف التي يحملها رنَّت معًا وهو يتحرَّك.

نهضَت قائلةً: «أنا هنا. الزما الصَّمت وإلَّا سمعوكما».

شَقَّ الصَّبيَّان طريقهما إليها فوق الأحجار السَّاقطة أرضًا، ورأت أن جندري يرتدي قميص حلقاتٍ معدنيَّة منظَّفًا بالزَّيت تحت معطفه، وعلى ظَهره مطرقة الحدادة، أمَّا وجه هوت پاي الأحمر الكبير فقد لاحَ من تحت قلنسوة، وقد تدلَّى كيس من الخُبز من يده اليُمنى، وتحت إبطه الأيسر حملَ قالبًا كبيرًا من الجبن.

قال جندري بهدوء: «ثمَّة حارس على تلك البوَّابة الجانبيَّة كما حذَّرتكِ».

قالت آريا: «انتظرا هنا مع الخيول ريثما أتخلَّص منه. تعاليا بسرعةٍ حين أنادي».

أومأ جندري برأسه، وقال هوت پاي: «انعبي كالبومة عندما تُريدين أن نتحرَّك».

- «لستُ بومةً، بل ذئبة. سوف أعوي».

تحرَّكت وحدها في ظِلِّ بُرج الأشباح، وسارَت بسرعةٍ كي تسبق خوفها، فشعرَت كأن سيريو فورل يمشي إلى جوارها، ويورن، وچاكن هاجار، وچون سنو. لم تأخذ السَّيف الذي أحضرَه جندري، فالآن يَصلُح الخنجر الماضي لهدفها أكثر. هذه البوَّابة الجانبيَّة أصغر بوَّابات هارنهال، عبارة عن بابٍ ضيِّق من البلُّوط القوي المطعَّم بالمسامير الحديد، يقف بزاويةٍ في السُّور تحت بُرج حراسة، ولا يوجد أكثر من رجلٍ واحدٍ عنده، وإن علمَت آريا أن هناك حُرَّاسًا في البُرج كذلك، وآخَرين على مقربةٍ يذرعون الأسوار. عليها أن تتحرَّك بهدوء الظِّلال مهما حدثَ. لا يجب أن يَطلُب النَّجدة. بدأت قطرات المطر تَسقُط، وشعرَت بواحدةٍ تحطُّ على جبهتها وتسيل على أنفها.

لم تُحاوِل أن تختبئ، بل تقدَّمت من الحارس مباشرةً كأن اللورد بولتون نفسه أرسلَها، وراقَبها الرَّجل إذ اقتربَت وقد أصابَه الفضول إزاء ما تفعله خادمة هنا في هذه السَّاعة السَّوداء. حين دنَت منه أكثر رأت أنه شَمالي، بالغ الطُّول والنُّحول، ويدسُّ جسده تحت معطفٍ من الفرو المهترئ. هذا سيِّئ، فلربما كانت تقدر على خداع أحد رجال فراي أو رِفقة الشُّجعان، لكن رجال «معقل الخوف» قضوا حياتهم كلها في خدمة رووس بولتون، ويعرفونه أفضل منها كثيرًا. إذا قلتُ له إنني آريا ستارك وأمرته بإفساح الطَّريق... لا، إنها لا تَجسُر، فصحيحٌ شَمالي، لكنه ليس من رجال وينترفل، بل ينتمي إلى رووس بولتون.

توقَّفت أمامه وأزاحَت معطفها ليرى الرَّجل المسلوخ على صدرها، وقالت: «اللورد بولتون أرسلَني».

- «في هذه السَّاعة؟ لماذا؟».

رأت لمعة الفولاذ تحت الفرو، ولم تكن موقنةً من استطاعتها أن تغرس رأس الخنجر في قميصه المعدني. حَلقه، لا بُدَّ أن أغرسه في حلقه، لكنه

طويل جدًّا ولن أتمكَّن من بلوغه. لم تدرِ ماذا تقول وهلةً، وهلةً شعرَت خلالها كفتاةٍ صغيرة خائفة ثانيةً، وسالَ المطر على وجهها كالدُّموع.

ثم خرجَت الكلمات منها كأنها أتَت من العدم: «قال لي أن أعطي كلًّا من حُرَّاسه قطعةً فضِّيَّةً لإخلاصهم في الخدمة».

- «تقولين قطعةً فضِّيَّةً؟». إنه لا يُصَدِّقها، لكنه يُريد أن يُصَدِّق، فالفضَّة هي الفضَّة في النِّهاية. «هاتيها إذن».

نقَّبت أصابعها تحت سُترتها، ثم خرجَت قابضةً على العُملة التي أعطاها جاكِن إياها، ففي الظَّلام من الممكن اعتبار الحديد فضَّةً متَّسخةً. مدَّت يدها بالعُملة... وتركَتها تنزلق من بين أصابعها.

سبَّها الحارس بخفوتٍ وجثا على رُكبته يبحث عن العُملة في التُّراب، فوجدَت عُنقه أمامها مباشرةً.

وسحبَت آريا خنجرها ومرَّرته على حَلق الرَّجل بنعومة حرير الصَّيف، فانبثقَت دماؤه الحارَّة تُغَطِّي يديها، وحاولَ أن يَصرُخ، لكن الدَّم أفعمَ فمه أيضًا.

وهمسَت آريا وحياة الرَّجل تسيل مع دمائه: «ڤالار مورجولِس».

التقطَت العُملة حين همدَت حركته، وخارج أسوار هارنهال أطلقَ ذئبٌ عُواءً طويلًا مدوِّيًا. رفعَت آريا القضيب العرضي وفتحَت الباب البلُّوطي الثَّقيل، ولمَّا وصلَ هوت پاي وجندري مع الخيول كان المطر ينهمر بقوَّةٍ بالفعل.

شهقَ هوت پاي قائلًا: «لقد قتلتِه!».

قالت: «ماذا حسبتني سأفعلُ؟». كان الدَّم اللَّزج يُلَوِّث أصابعها، وأجفلَت رائحته فَرسها، لكنها فكَّرت وهي تثب جالسةً فوق السَّرج: لا يهمُّ، ستغسلها الأمطار وتُنَظِّفها من جديد.

سانزا

اليوم قاعة العرش بحر من الجواهر والفراء والأقمشة الثَّمينة، تكتظُّ مؤخِّرتها باللوردات والليديهات الذين وقفوا أسفل النَّوافذ العالية متزاحمين كبائعات السَّمك في ميناء.

ثابرَ أفراد حاشية چوفري على أن يَبُزَّ كلٌّ منهم الآخَر في التأنُّق، فارتدى چالابار شو ثيابًا مزيَّنةً بعددٍ هائلٍ من الرِّيش جعلَه يبدو كطاووسٍ مبهرج مختال على وشك التَّحليق في أيِّ لحظة، ونثرَ تاج السِّپتون الأعلى البلَّوري أقواس القزح في الهواء كلما حرَّك رأسه، بينما تألَّقت الملكة سرسي الجالسة إلى طاولة المجلس الصَّغير في فُستانٍ من قُماش الذَّهب المشرَّط بالمخمل الخمري، وإلى جوارها ڤارس يرتدي الأرجواني الفاتح المقصَّب ويرسم على وجهه ابتسامةً متكلِّفةً، فيما ارتدى فتى القمر والسير دونتوس ثياب مهرِّجين جديدةً ونظيفةً كصباحٍ ربيعي، وحتى الليدي وابنتيها بدونَ جميلاتٍ في ثلاثة فساتين متماثلة من الحرير الفيروزي والفرو، أمَّا اللورد جايلز فكان يَسعُل في منديلٍ من الحرير القرمزي الموشَّى بالشَّرائط الذَّهبيَّة... وفوق الجميع جلسَ الملك چوفري وسط نصال وأشواك العرش الحديدي، مرتديًا السَّميت القرمزي تحت معطفٍ أسود مرصَّع بالياقوت الأحمر، وعلى رأسه تاجه الذَّهبي الثَّقيل.

دَسَّت سانزا نفسها وسط زحام الفُرسان والمُرافِقين وأهل المدينة الأثرياء، وحين بلغَت مقدِّمة الشُّرفة كانت الأبواق تُدَوِّي معلنةً عن دخول

اللورد تايوين لانستر، الذي قطعَ طول القاعة على صهوة جواده الحربي وترجَّل أمام العرش الحديدي.

لم ترَ سانزا دِرعًا كالتي يرتديها من قبل قَطُّ، كلها من الفولاذ الأحمر المصقول المزيَّن بالزَّخارف الذَّهبيَّة الملولَبة والحُليِّ، وتتَّخذ الأقراص الواقية المثبَّتة بها شكل الشُّموس المتفجِّرة، وللأسد الزَّائر الذي يُتَوِّج خوذته عينان من الياقوت، وعلى كتفيه تستقرُّ لبؤتان مثبَّتتيْن معطفًا من قُماش الذَّهب بالغ الطول لدرجة أنه انسدلَ على مؤخِّرة الجواد، الذي ألبَسوه بدوره دِرعًا مذهَّبةً وكسوةً من الحرير القرمزي يتألَّق عليها أسد لانستر.

كان مظهر سيِّد كاسترلي روك بديعًا بحَق، ما جعلَ الصَّدمة شديدةً حين أسقطَ جواده كُتلًا من الغائط عند قاعدة العرش، واضطرَّ چوفري للدَّوران من حولها بحذرٍ وقد نزلَ ليُعانِق جدَّه ويُعلِنه منقذًا للمدينة، فغطَّت سانزا فمها تُواري ابتسامةً متوتِّرةً.

بكثيرٍ من الاصطناع والتكلُّف دعا چوف جدَّه إلى استئناف حُكمه البلاد، وقبلَ اللورد تايوين بوقارٍ مضيفًا: «حتى تَبلُغ جلالتك»، ثم خلعَ المُرافِقون دِرعه وطوَّق چوف عُنقه بسلسلة يد الملك، وبَعد ذلك جلسَ اللورد تايوين إلى طاولة المجلس مجاورًا سرسي، التي انتظرَت حتى أخرَجوا الجواد من القاعة وأزالوا هديَّته الملكيَّة، قبل أن تُشير برأسها آذنةً باستكمال المراسم.

حيَّت أنغام الأبواق النُّحاسيَّة كلًّا من أبطال المعركة إذ دخلَوا من الباب البلُّوطي الضَّخم، ورفعَ الحُجَّاب عقائرهم بأسماء الأبطال ومآثرهم، فحيَّاهم الفُرسان النُّبلاء والليديهات كريمات المحتد بشبق سفَّاحين يتفرَّجون على مصارَعة الدُّيوك. كان موقع الصَّدارة لمايس تايرل سيِّد هايجاردن، الرَّجل الذي كان قويًّا في الماضي قبل أن يستسلم جسده للسُّمنة، وإن ظَلَّ وسيم القسمات، وفي أعقابه دخلَ ابناه، السير لوراس وأخوه الأكبر السير جارلان الهُمام، وقد ارتدى ثلاثتهم المخمل الأخضر الموشَّى بفرو السمُّور.

نزلَ الملك من على العرش مرَّةً أخرى يُحَيِّيهم، ما يُعَدُّ شَرفًا عظيمًا، وثبَّت حول عُنق كلٍّ منهم سلسلة ورودٍ من الذَّهب الأصفر الأملس، يتدلَّى منها قُرص ذهبي يُرَصِّعه أسد لانستر بالياقوت، ثم أعلنَ چوفري: «الورود تُؤازِر

الأسد كما تُؤازِر قوَّة هايجاردن البلاد. إذا كانت هناك أيُّ هبةٍ ترغبون في طلبها مني، فاطلُبوها وهي لكم».

فكَّرت سانزا: ها نحن أولاء.

قال السير لوراس: «يا جلالة الملك، أتوسَّلُ منك شَرف الخدمة في حَرسك الملكي، لأدافع عنك ضد أعدائك».

ساعدَ چوفري فارس الزُّهور على النُّهوض، وقبَّله على وجنته قائلًا: «لك هذا يا أخي».

خفضَ اللورد تايرل رأسه، وقال: «ما مِن بهجةٍ أعظم من خدمة صاحِب الجلالة، فإذا احتسبتَني أهلًا للالتحاق بمجلسك الصَّغير، فلن تجد مَن هو أخلص وأوفى مني».

وضعَ چوفري يده على كتف اللورد تايرل، وقبَّله حين نهضَ قائلًا: «طلبك مُجاب».

يَكبُر السير جارلان تايرل السير لوراس بخمسة أعوام، ويبدو كنُسخةٍ ملتحية وأطول قامةً من أخيه الصَّغير المشهور، كما أن صدره أكثر اكتنازًا ومنكبيه أعرض، لكن على الرغم من وسامته، فإنه يفتقر إلى جَمال السير لوارس الأخَّاذ. قال السير جارلان عندما اقتربَ منه چوفري: «يا جلالة الملك، إن لديَّ أختًا عذراء، مارچري، قُرَّة عين عائلتنا. كانت زوجة رنلي باراثيون كما تعلم، لكن اللورد رنلي ذهبَ إلى الحرب قبل أن تتمَّ الزِّيجة، أي أنها تظلُّ بَتولًا. لقد سمعَت مارچري مختلف الحكايات عن حكمتك وشَجاعتك وفُروسيَّتك، ووقعَت في غرامك من بُعد، فأناشدك أن تستدعيها وتَطلُب يدها للزَّواج، كي يجمع الرِّباط المقدَّس عائلتك بعائلتي حتى آخِر الزَّمن».

تظاهرَ الملك چوفري بالدَّهشة وهو يقول: «سير جارلان، إن جَمال أختك ذائع الصِّيت في الممالك السَّبع كلها، لكني موعودٌ لأخرى، وعلى الملك أن يصون كلمته».

حَفَّت طيَّات فُستان الملكة سرسي إذ نهضَت قائلةً: «جلالة الملك، في رأي مجلسك الصَّغير، فليس من اللِّياقة أو الحكمة أن تتزوَّج ابنة رجلٍ أُعدِمَ

بقطع رأسه بتُهمة الخيانة، فتاةً أخوها في تمرُّدٍ علني على العرش في هذه اللَّحظة. يا مولاي، مستشاروك يتوسَّلون إليك أن تُنَحِّي سانزا ستارك جانبًا من أجل صالح البلاد، فالليدي مارچري ستكون ملكةً أنسب كثيرًا لك».

كقطيعٍ من الكلاب المدرَّبة، بدأ اللوردات والليديهات يُفعِمون هواء القاعة بهتافات السُّرور مردِّدين: «مارچري! أعطِنا مارچري!»، و«لا للملكة الخائنة! تايرل! تايرل!».

رفعَ چوفري يده، وقال: «أودُّ أن أنصاع لرغبات شعبي يا أمَّاه، لكني أخذتُ على نفسي عهدًا مقدَّسًا».

تقدَّم السِّپتون الأعلى قائلًا: «يا جلالة الملك، الآلهة تعدُّ عهد الخطبة يمينًا مغلَّظةً، لكن أباك الملك روبرت ذا الذِّكرى المباركة تعاهدَ مع آل ستارك أبناء وينترفل قبل أن يُفصِحوا عن إفكهم، وقد حلَّتك جرائمهم في حَقِّ البلاد من أيِّ وعدٍ قطعته على نفسك. في رأي «العقيدة»، فليس هناك عقد زواجٍ شرعي يربطك بسانزا ستارك».

ماجَت قاعة العرش بالتَّهليل، ومن كلِّ مكانٍ حول سانزا تفجَّرت هتافات «مارچري! مارچري!»، فمالَت إلى الأمام قابضةً بقوَّةٍ على حاجز الشُّرفة الخشبي. كانت تعلم ما سيَحدُث الآن، وإن ظَلَّ خوف عارم يعتريها مما قد يقوله چوفري، وتملَّكتها الخشية من أن يَرفُض إطلاق سراحها، حتى في هذه اللَّحظة التي تعتمد مملكته كلها فيها على هذا الفعل، لدرجة أنها شعرَت كأنها عادَت تقف ثانيةً على الدَّرجات المرمريَّة على عتبة سِپت بيلور الكبير، تنتظر أن يمنَّ أميرها على أبيها بالرَّحمة، ثم تسمعه بدلًا من ذلك يأمر السير إلين پاين بأن يضرب عُنقه. بحرارةٍ صلَّت: أرجوكِ يا آلهتي، اجعليه يقولها، اجعليه يقولها.

كان اللورد تايوين يتطلَّع إلى حفيده، فحدجَه چوف بنظرةٍ رزينة وبدَّل وضع قدميه، ثم ساعدَ السير جارلان تايرل على النُّهوض، وقال: «الشُّكر للآلهة، إنني حُرٌّ في الإصغاء لنداء قلبي. يُسعِدني أن أتزوَّج أختك الجميلة أيها الفارس»، ولثمَ السير جارلان على وجنته المشعرة فيما دوَّت الهتافات في كلِّ أنحاء القاعة.

أحسَّت سانزا بدوارٍ غريب يكتنف دماغها وهي تُفَكِّر: أنا حُرَّة، لكنها شعرَت بالأعيُن التي تَرمُقها فذكَّرت نفسها: يجب ألَّا أبتسم. كانت الملكة قد حذَّرتها، مهما جالَ في أعماقها من مشاعر، فلا بُدَّ أن يكون الوجه الذي تُبديه للعالم ذاهلًا مصدومًا، وأضافَت سرسي: «لن أسمح بإهانة ابني، هل تفهمين؟».

- «نعم، لكن ما دمتُ لن أصبح الملكة، فماذا سيَحدُث لي؟».

- «سيتمُّ تقرير هذا لاحقًا، أمَّا في الوقت الحالي فستبقين في البلاط باعتبارِكِ ربيبتنا».

- «أريدُ العودة إلى الدِّيار».

لاحَ الاستياء على الملكة، وقالت: «من المفترَض أن تكوني تعلَّمتِ الآن أن لا أحد منا ينال شيئًا يُريده».

لكنِّي نلتُ ما أريده، تحرَّرتُ من چوفري، ولم أعد مرغمةً على أن أقبِّله أو أسلِّمه بكارتي أو أحمل أطفاله. لتحظَ مارچري تايرل بكلِّ هذا، فيا لها من مسكينة.

حين سكنَت الهتافات الجيَّاشة، كان سيِّد هايجاردن قد اتَّخذ مكانه على طاولة المجلس، وانضمَّ ابناه إلى الفُرسان وصغار اللوردات الآخَرين تحت النَّوافذ العالية. حاولَت سانزا أن تبدو مهمومةً مهجورةً بينما استُدعِيَ بقيَّة أبطال معركة النَّهر الأسود لتلقِّي مكافآتهم.

قطعَ اللورد پاكستر ردواين سيِّد «الكرمة» القاعة وعلى جانبيه ابناه التَّوأمان هورور وسلوبر، والأول يَعرُج من جرَّاء جرحٍ أصابَه في المعركة، وبَعدهم جاءَ اللورد ماثيس روان مرتديًا سُترةً ثلجيَّةً عليها صدرها شجرة عظيمة مطرَّزة بخيوط الذَّهب، ثم اللورد راندل تارلي النَّاحل ذو الرَّأس الذي يزحف عليه الصَّلع، وعلى ظَهره سيف عظيم في غِمدٍ مطعَّم بالجواهر، وتلاه السير كيڤان لانستر ذو الجسد المكتنز والرَّأس شِبه الأصلع واللِّحية المشذَّبة بعناية، ثم السير أدام ماربراند الذي يسترسل شَعره النُّحاسي على كتفيه، واللوردات الغَربيُّون العظام ليدن وكراكهول وبراكس.

بَعدهم دخلَ أربعة رجالٍ أقلُّ حسبًا ونسبًا، وإن كانوا قد ميَّزوا أنفسهم في

المعركة؛ الفارس الأعور السير فيليپ فوت الذي قتلَ اللورد برايس كارون في نزالٍ فردي، والمُحارِب غير النِّظامي لوثور برون الذي شَقَّ طريقه تقتيلًا وسط العشرات من رجال فوسواي للإيقاع بالسير چون ابن فرع التُّفَّاحة الخضراء من العائلة، والإجهاز على السير برايان والسير إدويد ابني فرع التُّفَّاحة الحمراء، ومن ثَمَّ فازَ بلقب لوثور آكِل التُّفَّاح، بالإضافة إلى جُندي أشيب في خدمة السير هاريس سويفت يُدعى ويليت، كان قد سحبَ سيِّده من تحت حصانه المحتضر ودافعَ عنه ضد دستةٍ من المهاجمين، والآن أدخَلوه القاعة محمولًا على نقَّالةٍ لفداحة إصاباته، وأخيرًا مُرافِق فارسٍ يُغَطِّي الزَّغب وجنتيه اسمه چوزمين پكلدون، قتلَ فارسين وجرحَ ثالثًا وأسَرَ اثنين آخَرين، على الرَّغم من أنه لا يتعدَّى الرَّابعة عشرة من العُمر.

كان السير كيڤان قد جلسَ إلى جوار أخيه اللورد تايوين، وحين فرغَ الحُجَّاب من سرد مآثر كلِّ بطل، نهضَ وأعلنَ: «إنها إرادة جلالة الملك أن يُكافَأ هؤلاء الرِّجال الصَّالحون على بسالتهم. بموجب المرسوم الملكي، يُصبِح السير فيليپ من الآن فصاعدًا اللورد فيليپ سليل عائلة فوت، وإليه تذهب كلُّ أراضي وحقوق ودخول عائلة كارون. يُنَصَّب لوثور برون فارسًا، ويُمنَح أرضًا ومعقلًا في أراضي النَّهر بَعد انتهاء الحرب. يُمنَح چوزمين پكلدون سيفًا ودِرعًا وأيَّ جوادٍ حربي يختاره من الاسطبلات الملكيَّة، ويُنَصَّب فارسًا فور أن يَبلُغ. وأخيرًا، يُمنَح المحترم ويليت حربةً ذات عمودٍ من الفضَّة وقميصًا جديدًا من الحلقات المعدنيَّة وخوذةً كاملةً مزوَّدة بمقدِّمة. علاوةً على ذلك، يُلحَق ابنا المحترم بخدمة عائلة لانستر في كاسترلي روك، الكبير كمُرافِق فارس والصَّغير كخادم، مع فُرصة الترقِّي إلى الفُروسيَّة إذا أخلَصا الخدمة. على كلِّ هذا صدَّق يد الملك والمجلس الصَّغير».

بَعد ذلك كوفِئَ ربابنة سُفن الملك الحربيَّة «الرِّيح العاصفة» و«الأمير إيمون» و«السَّهم النَّهري»، ومعهم عدد من الضبَّاط المرؤوسين من السُّفن «بَركة الآلهة» و«الرُّمح» و«سيِّدة الحرير» و«رأس الكبش»، وحسبما خمَّنت سانزا، فإن أكبر إنجازاتهم أنهم نجوا من المعركة في النَّهر، البطولة التي يستطيع قلائل التَّباهي بها. تلقَّى هالاين الپايرومانسر وعُمداء رابطة

الخيميائيِّين شُكر الملك بدورهم، ورُقِّيَ هالاين إلى رُتبة لورد، وإن لاحظَت سانزا أن لا أرض أو قلعة صاحبَت اللَّقب، الشَّيء الذي لا يجعل هالاين لوردًا حقيقيًّا أكثر من ڤارس، بينما أُسبِغَت لورديَّة أعظم بكثير على السير لانسل لانستر، فقد أهداه چوفري أراضي وقلعة وحقوق عائلة داري، التي ماتَ سيِّدها الطِّفل وآخِر أبنائها في القتال في أراضي النَّهر، «دون أن يَترُك أبناءً شرعيِّين من دم آل داري، بل ابن عَمٍّ نغلًا فحسب».

لم يظهر السير لانسل ليقبل التَّكريم، إذ تقول النَّميمة إن جرحه قد يُكَلِّفه ذراعه وربما حياته، ويُقال أيضًا إن العِفريت يحتضر من جرَّاء إصابةٍ شنعاء في رأسه.

حين نادى الحاجب: «اللورد پيتر بايلش»، تقدَّم الإصبع الصَّغير مرتديًا ثيابًا بدرجاتٍ مختلفة من الوردي والبرقوقي، وقد زيَّنت طيور المُحاكي معطفه، ورأته سانزا يبتسم إذ ركعَ أمام العرش الحديدي. الغريب أنها لم تسمع أنه ارتكبَ أيَّ أعمالٍ بطوليَّة في المعركة، لكن يبدو أنه سينال مكافأةً بدوره رغم ذلك.

عادَ السير كيڤان ينهض، وقال: «إنها إرادة صاحِب الجلالة أن يُكافأ مستشاره المخلص پيتر بايلش على خدمته الأمينة للتَّاج والبلاد. فليعلم الجميع أن اللورد بايلش قد مُنِحَ قلعة هارنهال بكلِّ أراضيها ودخولها، ليجعلها مقرَّه ويَحكُم منها من الآن فصاعدًا باعتباره سيِّد أراضي الثَّالوث الأعلى. يحتفظ پيتر بايلش وأبناؤه وأحفاده بهذه الامتيازات ويستمتعوا بها حتى نهاية الزَّمن، وعلى جميع لوردات الثَّالوث إن يُبايِعوه بصفته ولي أمرهم الشَّرعي. على هذا صدَّق يد الملك والمجلس الصَّغير».

جاثيًا على رُكبتيه، رفعَ الإصبع الصَّغير عينيه إلى چوفري قائلًا: «أشكرك جزيل الشُّكر يا جلالة الملك. أعتقدُ أن هذا يعني أن أشرع في إنجاب بعض الأبناء والأحفاد».

ضحكَ چوفري ومعه البلاط، بينما فكَّرت سانزا: سيِّد أراضي الثَّالوث الأعلى وسيِّد هارنهال. لا تفهم ما يُسعِده في هذا بالضَّبط، فتلك الامتيازات فارغة تمامًا كاللَّقب الذي حظيَ به هالاين الپايرومانسر. الكلُّ يعرف أن

هارنهال ملعونة، وآل لانستر لا يُسَيطِرون عليها حاليًّا حتى، كما أن لوردات الثَّالوث مقسمون على الولاء لريڤرزَن وعائلة تَلي والملك في الشَّمال، ولن يقبلوا الإصبع الصَّغير وليًّا لأمرهم أبدًا. ما لم يُجبرَوا على ذلك، ما لم يُخلَع كلٌّ من أخي وخالي وجدِّي ويُقتَلوا. أصابَ الخاطر سانزا بالتوتُّر، لكنها قالت لنفسها إنها تُفكِّر بسخافة. لقد هزمَهم روب في كلِّ قتال، وسيهزم اللورد بايلش أيضًا إذا اضطرَّ لمواجَهته.

في هذا اليوم نُصِّبَ أكثر من ستِّمئةٍ من الفُرسان الجُدد، بَعدما سهروا اللَّيل بطوله واقفين في سِپت بيلور الكبير، ثم عبروا المدينة حُفاة الأقدام في الصَّباح كأمارةٍ على تواضُع قلوبهم، والآن تقدَّموا مرتدين ثيابًا من الصُّوف غير المصبوغ لتلقِّي فُروسيَّاتهم من رجال الحَرس الملكي، فاستغرقَ هذا وقتًا طويلًا، لأن ثلاثةً فقط من إخوان السَّيف الأبيض كانوا متاحين لتسميتهم، فماندون مور لقيَ مصرعه في المعركة، وكلب الصَّيد اختفى، وآريس أوكهارت مع الأميرة مارسلا في دورن، وچايمي لانستر أسير روب، وهكذا تقلَّص الحَرس الملكي إلى بالون سوان ومرين ترانت وأوزموند كِتلبلاك. بمجرَّد تنصيبه، كان كلُّ رجلٍ ينهض ويربط حزام سيفه حول خصره ويقف تحت النَّوافذ، بعضهم دامي القَدمين نتيجةً للمسير عبر المدينة، وإن بدا لسانزا أن جميعهم وقفوا ممشوقي القامة معتدِّين بأنفسهم.

حين انتهى تنصيب الفُرسان الجُدد كافَّة ومُنِحَ كلٌّ منهم لقب السير، كانت القاعة كلها قد أصيبَت بالضَّجر، لا سيَّما چوفري نفسه الذي بدا أكثر ضجرًا من سِواه، وقد بدأ عدد من الواقفين في الشُّرفة في الانسحاب خلسةً، أمَّا البارزون على أرض القاعة فكانوا مكتوفي الأيدي، لا يستطيعون المغادَرة دون إذن الملك، الذي وشَت طريقة تململُه وهو جالس على العرش الحديدي بأنه كان ليمنحهم الإذن بمنتهى الأريحية، لولا أن لائحة أعمال اليوم لا تزال طويلةً.

الآن تنقلب العُملة على وجهها الآخَر ويُساق الأسرى إلى القاعة.

ضمَّت هذه المجموعة أيضًا عددًا من اللوردات الكبار والفُرسان النُّبلاء، منهم اللورد سلتيجار الفَظ الهَرِم، والسير بونيفر الصَّالح، واللورد إسترمونت

الأكثر شيخوخةً من سلتيجار نفسه، واللورد ڤارنر الذي قطعَ القاعة يَعرُج على رُكبته المهشَّمة ورفضَ أن يُساعِده أحد، والسير مارك مالندور ذو الوجه المربد والذِّراع المبتورة حتى المِرفق، ورونيت الأحمر فارس «وكر الجريفين»، والسير درمونت من الغابة المطيرة، واللورد ويلوم وابناه چوسوا وإلاياس، والسير چون فوسواي، والسير تيمون ذو السَّيف المفلول، وآوران نغل دريفتمارك، واللورد ستايدمون الملقَّب بالبخيل، ومئات غيرهم.

لم يكن على مَن بدَّلوا ولاءهم في إبَّان المعركة غير أن يُقسِموا على الطَّاعة لچوفري، بينما أُكرِهَ من قاتَلوا مع ستانيس حتى النِّهاية المريرة على أن يتكلَّموا ليُقَرِّر كلامهم مصايرهم، فإذا توسَّلوا العفو عن خيانتهم ووعدوا بأن يخدموا بإخلاصٍ من الآن فصاعدًا، رحَّب چوفري بعودتهم إلى سلام الملك وأعادَ لهم أراضيهم وحقوقهم. على أن آخَرين تمسَّكوا بتحدِّيهم، وقال أحدهم، ابن غير شرعيٍّ لهذا أو ذاك من عائلة فلورنت: «لا تتصوَّر أنها النِّهاية يا ولد. إله الضِّياء يحمي الملك ستانيس الآن ودومًا، وكلُّ سيوفك ومكائدك لن تُنقِذك لمَّا تحين ساعته».

قال چوفري: «ساعتك أنت حانَت الآن»، وأشارَ إلى السير إلين پاين ليأخذ الرَّجل ويضرب عُنقه، لكن بمجرَّد أن جُرَّ الرَّجل إلى الخارج، صاحَ فارس رصين السَّحنة على صدر سُترته قلب ناري: «ستانيس الملك الشَّرعي! مَن يجلس على العرش الحديدي وحش، مسخ تمخَّض عنه زنى المحارم!».

هدرَ السير كيڤان لانستر: «صمتًا!».

لكن الفارس رفع صوته بدلًا من ذلك، وواصلَ صياحه الغاضب: «چوفري هو الدُّودة السَّوداء التي تَنخُر قلب البلاد! الظَّلام أبوه والموت أُمُّه! دمِّروه قبل أن يُفسِدكم جميعًا! دمِّروهم جميعًا، الملكة العاهرة والملك الدُّودة والقزم الخسيس والعنكبوت الهامس والزُّهور الزَّائفة! أنقِذوا أنفسكم!». طرحَه أحد ذوي المعاطف الذَّهبيَّة أرضًا، لكنه ظَلَّ يصيح: «النَّار المطهِّرة آتية! الملك ستانيس عائد!».

انتفضَ چوفري ناهضًا، وزعقَ: «أنا الملك! اقتُلوه! اقتُلوه الآن! هذا أمر!»، ولوَّح بيده بغضبٍ عنيف... وصرخَ ألمًا حين احتكَّت ذراعه بأحد

الأنياب المعدنيَّة الحادَّة المحيطة به، فاستحالَ لون كُمِّه السَّميتي القرمزي إلى درجةٍ أغمق من الأحمر إذ تشبَّع بالدَّم، وولولَ چوفري: «أمِّي!».

كانت الأعيُن كلها على الملك، وبوسيلةٍ ما انتزعَ الرَّجل المنطرح أرضًا حربةً من أحد ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، واتَّكأ عليها ناهضًا من جديدٍ صارخًا: «العرش نفسه يُنكِره! إنه ليس ملكًا!».

هرعَت سرسي إلى العرش، لكن اللورد تايوين ظَلَّ ثابتًا في مكانه كالحجر، فما كان عليه إلَّا أن يرفع إصبعًا واحدًا، فتحرَّكَ السير مرين ترانت بسيفٍ مسلول، وكانت النِّهاية سريعةً قاسيةً، إذ أمسكَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة الفارس من ذراعيه، فصرخَ ثانيةً: «ليس ملكًا!»، قبل أن يُغمِد السير مرين رأس سيفه الطَّويل في صدره.

ألقى چوفري نفسه بين ذراعي أمِّه، وجاءَ ثلاثة مِايسترات مسرعين وقادوه إلى الخارج عبر باب الملك، ثم بدأ الجميع يتكلَّمون في آنٍ واحد، وجَرَّ ذوو المعاطف الذَّهبيَّةِ الرَّجل الميت إلى الخارج فخلَّف أثرًا من الدَّم على الأرض الحجريَّة، فيما مَلَّس اللورد بايلش على لحيته ومالَ ڤارس يهمس بشيءٍ في أُذنه. تساءلَت سانزا: هل سيصرفوننا الآن؟ ما زال زهاء عشرين من الأسرى ينتظرون، لكن للقَسم على الولاء أم لصَبِّ اللَّعنات، فمَن يدري؟

نهضَ اللورد تايوين قائلًا بصوتٍ قويٍّ واضح أسكتَ الهمهمات: «سنُواصِل. على مَن يرغبون في طلب العفو عن جرائمهم أن يفعلوا هذا، ولن نسمح بالمزيد من الحماقات»، ثم تحرَّكَ نحو العرش الحديدي، حيث جلسَ فوق إحدى درجاته على ارتفاع ثلاثة أقدام لا أكثر من الأرض.

كان الضَّوء يخبو خارج النَّوافذ حين اختُتِمَت الجلسة أخيرًا، وأحسَّت سانزا بالإنهاك الشَّديد وهي تهبط من الشُّرفة متساءلةً عن مدى سوء جرح چوفري. يُقال إن العرش الحديدي خطِر وقاسٍ مع مَن لا يُفترَض أن يجلسوا عليه.

في أمان غُرفتها دسَّت وجهها في وسادةٍ لتَكتُم صرخة الفرح. لقد فعلَها والشُّكر للآلهة، نحَّاني جانبًا أمام الجميع. وعندما أحضرَت لها خادمة عَشاءها، كادَت سانزا تُقَبِّلها، قبل أن تلتهم وجبة الخُبز السَّاخن والزُّبد الطَّازج

وحَساء اللَّحم البقري الثَّخين والدِّيك المشوي بالجزر والخوخ المغموس في العسل. حتى الأكل مذاقه أفضل.

مع حلول المساء وضعَت معطفًا على كتفيها وذهبَت إلى أيكة الآلهة. كان السير أوزموند كِتلبلاك يَحرُس الجسر المتحرِّك مرتديًا دِرعه البيضاء، فحاولَت سانزا أن تبدو بائسةً أيما بؤس حين ألقَت عليه تحيَّة المساء، وإن وشَت النَّظرة الشَّزراء التي رمقَها بها بأنها لم تكن مقتنِعةً تمامًا.

كان دونتوس ينتظر وسط أوراق الأشجار في نور القمر، وسألَته سانزا بمرح: «لماذا الوجه الحزين؟ كنت موجودًا وسمعت بنفسك. چوف نحَّاني جانبًا، فرغَ مني، و...».

التقطَ يدها قائلًا: «آهِ يا چونكويل، جميلتي المسكينة چونكويل، إنكِ لا تفهمين. فرغَ منكِ؟ لقد بدأوا بالكاد».

غاصَ قلبها بين قدميها، وسألَته: «ماذا تعني؟».

- «الملكة لن تتخلَّى عنكِ أبدًا، لأنكِ رهينة عالية القيمة، وچوفري... عزيزتي، إنه لا يزال الملك، وإذا أرادَكِ في فِراشه فسينالكِ رغمًا عنكِ. الفارق الآن أنه سيزرع نغولًا في رحمكِ بدلًا من الأبناء الشَّرعيِّين».

قالت مصدومةً: «كلا، لقد تخلَّى عني، لقد...».

طبعَ السير دونتوس قُبلةً لزجةً على خدِّها، وقال: «تمسَّكي بالشَّجاعة. لقد أقسمتُ على إعادتكِ إلى وطنكِ، والآن أستطيعُ، وتحدَّد اليوم بالفعل».

- «متى؟ متى سنذهب؟».

- «ليلة زفاف چوفري، بَعد المأدبة. تَمَّ إجراء كلِّ التَّرتيبات اللَّازمة. ستكون القلعة الحمراء ملأى بالغُرباء يومها، نِصف البلاط سكران والنِّصف الآخَر يُساعِد چوفري على افتراش عروسه. سينساكِ الجميع بعض الوقت، وسيكون الارتباك حليفنا».

- «لن يُعقَد الزِّفاف قبل دورة قمرٍ أخرى. مارچري تايرل لا تزال في هايجاردن، والآن فقط بعثوا لاستدعائها».

- «لقد انتظرتِ طويلًا، فاصبري فترةً أطول قليلًا. هاكِ، معي شيء لكِ»،

ونقَّب السير دونتوس في جرابه، ثم خرجَت أصابعه الغليظة بشبكة عنكبوتٍ فضِّيَّة تتدلَّى منها.

كانت شبكة شَعر من الفضَّة المغزولة النَّاعمة، خيوطها رفيعة رقيقة للغاية حتى إنها بدَت كأنها لا تزن أكثر من نسمة هواء عندما التقطَتها سانزا بأصابعها، فوجدَت جواهر صغيرةً مثبَّتةً عند كلِّ تقاطُعٍ بين خيطين، وتساءلَت: «أيُّ نوعٍ من الأحجار الكريمة هذا؟».

- «جَمَشْت أسود من آشاي، أندر الأنواع على الإطلاق، في نور النَّهار يكون لونه أرجوانيًّا عميقًا».

- «جميلة للغاية»، قالت سانزا بينما يقول لسان حالها: أحتاجُ سفينةً لا شبكةً لشَعري.

قال دونتوس: «أجمل مما تتخيَّلين يا صغيرتي الحُلوة. إنها سِحريَّة. ما تحملينه الآن هو العدالة، هو القصاص لأبيكِ»، ومالَ عليها وقبَّلها ثانيةً مضيفًا: «هو الوطن».

ثيون

جاءَه المِايستر لوين حين شوهِدَ أول الكشَّافة خارج الأسوار، وقال: «لا بُدَّ أن تستسلم يا سيِّدي الأمير».

حدَّق ثيون في طبق كعكات الشُّوفان والعسل والسُّجق الدَّموي الذي جلَبوه لإفطاره. كانت ليلة أخرى من الأَرق قد أتلفَت أعصابَه تمامًا، حتى أصابَه مجرَّد النَّظر إلى الطَّعام بالغثيان. سأَلَ: «ألم يأتِ رَدٌّ من عمِّي؟».

قال المِايستر: «لا رَدَّ البتَّة، ولا من أبيك في پايك».

- «أرسِل مزيدًا من الطُّيور».

- «لن يُجدي هذا، فحين تصل الطُّيور إلى...».

جأرَ ثيون: «أرسِلها!»، وطوَّح طبق الطَّعام بعيدًا بذراعه، وأزاحَ الأغطية ونهضَ من فِراش ند ستارك عاريًا مغضَبًا، وتابعَ: «أم أنك تَنشُد موتي؟ أهكذا الأمر يا لوين؟ أريدُ الحقيقة الآن».

لم يبدُ خوف على الرَّجل الأشيب الصَّغير وهو يقول: «جماعتي تخدم».

- «نعم، لكن مَن؟».

أجابَ المِايستر لوين: «البلاد، ووينترفل. ثيون، لقد علَّمتك الأرقام والحروف والتَّاريخ وفنون الحرب، وكان بإمكاني أن أعلِّمك أكثر لو رغبت في التعلُّم. لن أزعم أني أكنُّ لك حُبًّا عظيمًا، لا، لكنني لا أستطيعُ أن أكرهك أيضًا. وحتى لو كنتُ أكرهك، فما دمتَ مسيطرًا على وينترفل، فإن قَسمي يُلزِمني بأن أعطيك المشورة، ولذا أشيرُ عليك بأن تستسلم».

انحنى ثيون يلتقط معطفًا مكوَّمًا على الأرض، ونفضَ ما علقَ به من قَشٍّ

الحصير، ثم وضعَه على كتفيه مفكِّرًا: نارًا، أريدُ نارًا وثيابًا نظيفةً. وأين وِكس؟ لن أذهب إلى قبري بملابس متَّسخة.

تابعَ المِايستر: «لا أمل لك في الصُّمود هنا. كان المَدد ليصلك بالفعل لو أن السيِّد والدك انتوى أن يُرسِله، لكن اهتمامه منصبٌّ على «العُنق». المعركة من أجل الشَّمال ستدور وسط أطلال خندق كايلن».

قال ثيون: «قد يكون هذا صحيحًا، وما دمتُ مسيطرًا على وينترفل، فلن يستطيع السير رودريك واللوردات حمَلة راية ستارك الزَّحف جَنوبًا لمهاجَمة عمِّي من المؤخِّرة». لستُ جاهلًا بفنون الحرب كما تحسبني أيها العجوز. «لديَّ ما يكفي من طعام للصُّمود ضد الحصار سنةً إذا دعَت الحاجة».

- «لن يكون هناك حصار. قد يقضون يومًا أو يومين في تصنيع السَّلالم وربط الخطاطيف بأطراف الحبال، لكن سرعان ما سيجتازون أسوارك من مئة بُقعةٍ مختلفة في آنٍ واحد. قد تستطيع الدِّفاع عن الحصن بعضِ الوقت، لكن القلعة ستَسقُط في غضون ساعة. خيرٌ لك أن تفتح بوَّاباتك وتَطلُب...».

- «... الرَّحمة؟ أعرفُ أيُّ نوعٍ من الرَّحمة يدَّخرون لي».

- «ثمَّة سبيل».

قال ثيون: «إنني حديديُّ الميلاد، ولديَّ سبيلي الخاص. أيَّ خيارٍ تركوا لي؟ لا، لا تُجِب، لقد سمعتُ ما يكفيني من مشورتك هذه. اذهب وأرسِل الطيور كما أمرتك، وقُل للورن إنني أريدُ أن أراه، ووِكس أيضًا. أريدُ قميصي المعدني نظيفًا تمامًا، وحاميتي مجتمعةً في السَّاحة».

حسبَ لحظةً أن المِايستر سيتحدَّاه، لكن لوين انحنى بجمودٍ في النِّهاية، وقال: «كما تأمر».

كان منظر اجتماع الحامية مثيرًا للشَّفقة، رجال حديديُّون قلائل في ساحةٍ فسيحة. قال لهم ثيون: «الشَّماليُّون سيَبلُغوننا قبل حلول المساء، السير رودريك وكلُّ اللوردات الذين لبَّوا نداءه، لكني لن أهرب منهم. لقد استوليتُ على هذه القلعة وأزمعُ أن أحافظ عليها، أن أعيش أو أموت كأمير وينترفل، لكني لن آمر أيَّ رجلٍ بالموت معي. إذا غادَرتم الآن، قبل أن تصل قوَّة السير رودريك الأساسيَّة، فما زالت لديكم فُرصة للابتعاد أحرارًا»، واستلَّ سيفه

الطَّويل ورسَمَ برأسه خَطًّا في التُّراب مواصلًا: «فليتقدَّم كلُّ من يرغب في البقاء والقتال».

لم يتكلَّم أحد، ووقفَ الرِّجال بقمصانهم المعدنيَّة وفروهم وجِلدهم المقوَّى بثباتٍ تام كأنهم مقدودون من حجر، يتبادَل بعضهم النَّظرات، ويُبَدِّل أورزن وضع قدميه، ويتنحَّع دايك هارلو ويَبصُق، فيما نفشَت هبَّة ريحٍ خفيفة شَعر إندهار الطَّويل النَّاعم.

أحسَّ ثيون كأنه يغرق، وفكَّر بكآبة: لماذا أشعرُ بالدَّهشة؟ لقد تخلَّى عنه أبوه، وعمُّه، وأخته، وحتى ذلك المخلوق الملعون ريك، فلماذا يكون رجاله أكثر إخلاصًا بأيِّ قَدر؟ لا يوجد ما يقوله، لا يوجد ما يفعله، وما باليد حيلة غير أن يقف هناك تحت الأسوار الرَّماديَّة العظيمة والسَّماء البيضاء القاسية وسيفه في يده، ينتظر، ينتظر...

كان وِكس أول من يَعبُر الخَط، وبثلاث خطواتٍ سريعة وقفَ إلى جوار ثيون متراخيًا، ثم تبعَه لورن الأسود بملامح متجهِّمة وقد أصابَته شَجاعة الصَّبي بالخجل، وسألَ: «مَن أيضًا؟»، فتقدَّم رولف الأحمر، وكروم، وورلاج، وتايمور وأخواه، وأولف المريض، وهاراج سارق الخراف، وأربعة من أبناء هارلو، واثنان من أبناء بوتلي، وآخِرهم كيند الحوت. سبعة عشر رجلًا إجمالًا.

ظَلَّ أورزن مع من لم يتحرَّكوا، بالإضافة إلى ستيج وكلِّ رجلٍ من العشرة الذين أتَت بهم آشا من «ربوة الغابة»، فقال لهم ثيون: «اذهبوا إذن، اهربوا إلى أختي، فلا شَكَّ لديَّ في أنها ستُرَحِّب بكم بحرارة». على الأقل بدا الخجل على ستيج، أمَّا البقيَّة فغادَروا دون كلمةٍ واحدة، فالتفتَ ثيون إلى السَّبعة عشر الباقين قائلًا: «عودوا إلى الأسوار. إذا أنقذَتنا الآلهة، فسأتذكَّرُ كلَّ رجلٍ منكم».

تخلَّف لورن الأسود عن الآخَرين، وقال: «أهل القلعة سينقلبون علينا فور أن يبدأ القتال».

- «أعرفُ هذا. ماذا تُريدني أن أفعل؟».
- «اقتُلهم جميعًا بلا استثناء».

هَزَّ ثيون رأسه نفيًا، وسألَه: «هل الأُنشوطة جاهزة؟».

- «أجل. هل تنوي استخدامها؟».

- «أتعرف وسيلةً أفضل؟».

- «نعم، سآخذُ فأسي وأقفُ على الجسر المتحرِّك وأتركهم يأتون ويُجَرِّبوني. فليأتوا واحدًا في المرَّة، أو اثنين أو ثلاثة، لا فارق. لن يَعبُر أحد الخندق وفي صدري أنفاس تتردَّد».

لقد عزمَ على الموت. إنه لا يبتغي النَّصر، بل نهايةٌ تليق بالأغاني. «سنستخدم الأُنشوطة».

رَدَّ لورن والاحتقار في عينيه: «كما تقول».

ساعدَه وِكس على ارتداء ثياب المعركة. تحت سُترته السَّوداء ومعطفه الذَّهبي كان قميص من الحلقات المعدنيَّة المعالَجة بالزَّيت، وتحت هذا طبقة من الجِلد المقوَّى المتيبِّس، وبمجرَّد أن تدرَّع ثيون وتسلَّح، صعدَ إلى بُرج الحراسة المرتفع عند زاوية التقاء السُّورين الشَّرقي والجَنوبي، ليُلقي نظرةً على هلاكه. كان الشَّماليُّون ينتشرون لمحاصَرة القلعة، ومع أن تقدير عددهم صعب، إلَّا أنهم يَبلُغون ألفًا على الأقل، وربما الضِّعف. لم يرَ أبراجَ حصارٍ تتقدَّم هادرةً على طريق الملوك، لكن في غابة الذِّئاب ما يكفي لبناء كلِّ العدد المطلوب.

تفحَّص ثيون راياتهم عبر أنبوب عدسات المِايستر لوين المايري، فرأى بلطة سروين الحربيَّة تخفق أينما نظرَ، بالإضافة إلى أشجار تولهارت وعِرسان بحر الميناء الأبيض، مع عددٍ أقل من رايات فلينت وكارستارك، كما أبصرَ هنا وهناك موظ عائلة هورنوود. لكن لا أحد من آل جلوڤر، فقد تولَّت آشا أمرهم، ولا أحد من آل بولتون من «معقل الخوف»، ولا أحد من آل أومبر جاءَ من تحت ظِلِّ «الجِدار». ليس كأن هناك حاجة إليهم على كلِّ حال. سرعان ما ظهرَ الصَّبي كلاي سروين أمام البوَّابة حاملًا راية سلام على ساريةٍ طويلة، ليُعلِن أن السير رودريك يرغب في التَّفاوُض مع ثيون المارق.

المارق. اللَّقب مرير كالصَّفراء. لقد ذهبَ إلى پايك لقيادة سُفن أبيه الطَّويلة ضد لانسپورت. صاحَ: «سأنزلُ بَعد قليل، وحدي».

قال لورن الأسود معترضًا: «لا يغسل الدَّم غير الدَّم. قد يُحافِظ الفُرسان على هدنتهم مع غيرهم من الفُرسان، لكنهم لا يُولون الشَّرف اهتمامًا كبيرًا حين يتعامَلون مع من يعدُّونهم خارجين على القانون».

رَدَّ ثيون محتدًّا: «أنا أمير وينترفل ووريث جُزر الحديد. والآن اذهب واعثُر على الفتاة ونفِّذ ما قُلته لك».

حدجَه لورن الأسود بنظرةٍ فتَّاكة قائلًا: «أمرك أيها الأمير».

هو أيضًا انقلبَ عليَّ. يبدو له في الآونة الأخيرة أن كلَّ حجرٍ في وينترفل انقلبَ عليه. إذا مِتُّ، سأموتُ منبوذًا بلا أصدقاء. هل مِن خيار يَترُكه له هذا الموقف إذن غير أن يعيش؟

امتطى حصانه إلى مبنى البوَّابة وتاجه على رأسه. كانت امرأة تسحب ماءً من البئر، بينما يقف جايج الطَّاهي في مدخل المطبخ، فأخفى الاثنان مقتهما وراء نظراتٍ جافَّة ووجهين خاليَيْن من التَّعبير، لكنه أحسَّ به على الرغم من ذلك.

تنهَّدت ريح باردة عبر الخندق حين انخفضَ الجسر المتحرِّك وجعلَته لمستها يرتجف، فقال ثيون لنفسه: إنه البرد لا أكثر، قشعريرة لا رعدة. حتى الشُّجعان تنتابهم القشعريرة. تقدَّم داخلًا وسط أنياب هذه الرِّيح، وتحت الشَّبكة الحديديَّة، ثم فوق الجسر، وانفتحَت البوَّابة الخارجيَّة كي يمرَّ، وإذ خرجَ تحت الأسوار شعرَ بالصَّبيَّين يُراقِبانه بالمحاجر الخاوية التي كانت عيونهما تحتلُّها من قبل.

كان السير رودريك ينتظر في ميدان السُّوق على متن حصانه الأرقط، وإلى جواره خفقَ ذئب ستارك الرَّهيب على ساريةٍ يحملها كلاي سروين الصَّغير. كانا وحدهما، وإن رأى ثيون رُماةً على سطوح المنازل المحيطة، وحاملي حرابٍ إلى يساره، وصَفًّا إلى يمينه من ألف فارسٍ تحت راية عريس البحر والرُّمح الثُّلاثي رمز عائلة ماندرلي. كلُّ واحدٍ منهم يُريدني ميتًا. بعضهم صبية نادَموه على الشَّراب ولعبوا معه البلاطات، بل وشارَكوه مغامراته مع الفتيات، لكن شيئًا من هذا لن يُنقِذه إذا سقطَ في أيديهم.

جذبَ ثيون عِنان الحصان، وتوقَّف قائلًا: «سير رودريك، يُحزِنني أن نلتقي كخصمين».

- «حُزني الوحيد مصدره أن عليَّ الانتظار بعض الوقت قبل أن أشنقك...»، وبصقَ الفارس العجوز على الأرض، وأكملَ: «... أيها المارق ثيون».

قال ثيون مذكِّرًا: «إنني من آل جرايچوي أولاد بايك، والمعطف الذي قمَّطني به أبي في المهد كان يحمل رمز الكراكن لا الذِّئب الرَّهيب».

- «كنت ربيب آل ستارك طيلة عشر سنوات».

- «كنتُ رهينةً وسجينًا».

- «ربما كان حريًّا باللورد إدارد إذن أن يُكَبِّلك بالأغلال إلى جِدار زنزانة، لكنه ربَّاك بدلًا من ذلك وسط أبنائه، ومنهم الصَّبيَّين الجميلين اللذين ذبحتهما، ولعاري الذي لن ينمحي أبدًا كنتُ أنا من علَّمك فنون القتال. ليتني أغمدتُ سيفًا في بطنك بدلًا من وضعه في يدك».

- «لقد خرجتُ للتَّفاوُض معك، لا لتلقِّي إهاناتك. قُل ما لديك أيها العجوز. ماذا تُريد مني؟».

أجابَ العجوز: «شيئين، وينترفل وحياتك. مُر رجالك بفتح البوَّابات وإلقاء أسلحتهم. مَن لم يَقتُل أطفالًا مسموح له بالذَّهاب حُرًّا، أما أنت فستُحتجَز انتظارًا لعدالة الملك روب. فلتشملك الآلهة بشفقتها حين يعود».

قال ثيون بلهجة من يَعِد: «روب لن يرى وينترفل ثانيةً أبدًا. سوف يُحَطِّم جيشه في خندق كايلن كما حدثَ مع كلِّ جيشٍ جَنوبي طيلة ألف عام. إننا سادة الشَّمال الآن أيها الفارس».

رَدَّ السير رودريك: «أنتم سادة ثلاث قلاع، وهذه القلعة أنوي أن أستردَّها أيها المارق».

تجاهلَ ثيون رَدَّه، وقال: «إليك شروطي. لديكم حتى المساء لتتفرَّقوا، ومَن يُقسِمون على الولاء لبالون جرايچوي باعتباره ملكهم، ولي باعتباري أمير وينترفل، سيحتفظون بحقوقهم وأملاكهم ولن يمسَّهم أذى، أمَّا مَن يتحدَّوننا فسيلحق بهم الدَّمار».

قال كلاي سروين غير مصدِّق: «أأنت مجنون يا جرايچوي؟».

هَزَّ السير رودريك رأسه قائلًا: «بل مغرور لا أكثر يا فتى. أخشى أن ثيون طالما غالى في تقدير نفسه»، ورفعَ العجوز إصبعه في وجه ثيون متابعًا: «إياك أن تحسب أن عليَّ انتظار روب حتى يُقاتِل عابرًا «العُنق» كي أتعامَل مع أمثالك. إن معي نحو ألفي رجل... وإذا كان الكلام صحيحًا، فليس معك أكثر من خمسين».

سبعة عشر في الحقيقة. جعلَ ثيون نفسه يبتسم، وقال: «لديَّ شيء أفضل من الرِّجال»، ورفعَ قبضته فوق رأسه بالإشارة التي أمرَ لورن الأسود بأن ينتظرها. كانت أسوار وينترفل وراءه، بينما يُواجِهها السير رودريك مباشرةً ولا مجال لألَّا يرى. راقبَ ثيون وجهه، ولمَّا ارتجفَت ذقنه تحت شواربه البيضاء اليابسة، أدركَ ما يراه العجوز الآن تحديدًا، ففكَّر بحُزن: ليس مندهشًا، لكن هذا لا يمنع أنه خائف...

قال السير رودريك: «هذا جبن. أن تستخدم طفلةً كي... هذه خِسَّة».

قال ثيون: «أوه، أعلمُ هذا. إنه صنف تذوَّقته بنفسي من قبل، أم أنك نسيت؟ كنتُ في العاشرة حين أُخِذتُ من دار أبي، ليتيقَّنوا من أنه لن يثور ثانيةً».

- «هذا غير ذلك!».

اكتسى وجه ثيون بالجمود وهو يقول: «لم تكن الأُنشوطة التي أحاطَت بعُنقي مصنوعةً من الحبال، هذا صحيح، لكني شعرتُ بها رغم ذلك، ولقد سحجَتني يا سير رودريك، سحجَتني حتى النُّخاع». لم يكن قد أدركَ هذا تمامًا حتى هذه اللَّحظة، لكن حين انسكبَت الكلمات من فمه تبيَّن حقيقتها من فوره.

- «لم يمسَّك سوء إطلاقًا».

- «ولن يمسس ابنتك بِث أيضًا ما دُمت...».

لم يُعطِه السير رودريك فُرصة إكمال الجُملة، بل صاحَ الفارس العجوز بوجهٍ احتقنَ ثورةً تحت تلك الشَّوارب البيضاء: «أيها الأفعوان! لقد أعطيتك فُرصة أن تُنقِذ رجالك وتموت وفيك ذرَّة أخيرة من الشَّرف أيها المارق، لكن كان يَجدُر بي أن أعرف أن هذا كثير على قاتِل الأطفال»، ووثبَت يده إلى

مقبض سيفه وهو يُردِف: «حريٌّ بي أن أُرديك هنا والآن وأضع نهايةً لكذبك وخداعك، بحقِّ الآلهة حريٌّ بي أن أفعلها».

لا يخشى ثيون عجوزًا خَرِفًا، لكن هؤلاء الرُّماة المراقبين وهذا الصَّفَّ من الفُرسان مسألة أخرى، وإذا استُلَّت السُّيوف ففُرصة عودته إلى القلعة حيًّا تتراوَح بين المحدودة والمعدومة. هكذا قال: «انكُث قَسمك واقتُلني، وسترى صغيرتك بث مشنوقةً من طرف الحبل».

كانت مفاصل أَصابع السير رودريك قد ابيضَّت تمامًا، لكنه رفعَ يده عن سيفه بَعد لحظة، وقال: «لقد عشتُ أطول من اللَّازم بحَق».

- «لا أختلفُ معك أيها الفارس. هل ستقبل شروطي؟».

- «لديَّ واجب تجاه الليدي كاتلين وعائلة ستارك».

- «وماذا عن عائلتك أنت؟ بث آخِر نسلك».

شَدَّ الفارس العجوز قامته قائلًا: «أعرضُ نفسي بدلًا من ابنتي. أطلِق سراحها وخُذني أنا رهينةً. لا ريب أن أمين قلعة وينترفل أعلى قيمةً من مجرَّد فتاة».

- «ليس بالنِّسبة لي». لفتة باسلة أيها العجوز، لكني لست بتلك الحماقة. «ولا بالنِّسبة للورد ماندرلي أو ليوبولد تولهارت كذلك، وأراهنُ على هذا». جِلدك العجوز البائس لا قيمة له عندهما أكثر من أيِّ رجلٍ آخَر. «لا، سأحتفظُ بالفتاة... وسأحافظُ على سلامتها ما دُمت ستُنَفِّذ ما أَمرتك به. حياتها بين يديك».

- «بحَقِّ الآلهة يا ثيون، كيف أمكنَك أن تفعل هذا؟ أنت تعلم أن عليَّ أن أهاجم. لقد أقسمتُ...».

قاطعَه ثيون: «إذا ظَلَّ هذا الجيش محتشدًا أمام بوَّاباتي حينما تَغرُب الشَّمس، سأشنقُ بِث، وستتبعها رهينة أخرى إلى القبر مع أول أضواء النَّهار، وأخرى عند الغروب. كلُّ فَجرٍ وكلُّ غَسقٍ يعني موتًا آخَر إلى أن ترحلوا، ولستُ أفتقرُ إلى الرَّهائن»، ولم ينتظر جوابًا، بل دارَ بسمايلر عائدًا إلى القلعة. تحرَّك بتأنٍّ في البداية، لكن سرعان ما حدا به التَّفكير في الرُّماة وراء ظَهره إلى الخَبِّ، وراقبَه الرَّأسان الصَّغيران من فوق الخازوقين إذ اقتربَ، يتعاظَم

وجهاهما المسلوخان المكسوَّان بالقطران مع كلِّ ياردةٍ يقطعها، وبينهما وقفَت بِث كاسل تبكي وحبل المشنقة حول عُنقها. همزَ ثيون سمايلر بقوَّةٍ وانطلقَ يعدو به، فسمعَ وقع حوافر الحصان على الجسر المتحرِّك كدقَّات الطَّبل.

ترجَّل في السَّاحة وناولَ وكس العِنان بينما قال للورن الأسود: «قد يُوقِفهم هذا. سنعرف عندما تغيب الشَّمس. أدخِل الفتاة حتى ذلك الحين، وضعها في مكانٍ آمن». كان يتصبَّب عرقًا تحت طبقات الجلد والفرو والفولاذ، فقال: «أريدُ قدحًا من النَّبيذ. في الحقيقة، سيكون دَنٌّ كامل أفضل كثيرًا».

كان الخدم قد أشعَلوا نارًا في غُرفة نوم ند ستارك، فجلسَ ثيون إلى جوارها وملأ كوبًا بنبيذٍ أحمر ثخين من أقبية القلعة، مذاقه مُرٌّ كمزاجه المتعكر. فكَّر بجهامةٍ رامقًا اللَّهب: سيُهاجمون. السير رودريك يُحبُّ ابنته، لكنه ما زال أمين القلعة، والأهمُّ أنه فارس. لو كانت الأنشوطة تُحيط بعُنق ثيون، ولو كان اللورد بالون يقود الجيش الذي في الخارج، فلا شَكَّ أن الأبواق كانت لتُدَوِّي معلنةً الهجوم بالفعل. عليه أن يَشكُر الآلهة على أن السير رودريك ليس حديديَّ الميلاد، فأهل الأراضي الخضراء مخلوقون من طينةٍ أكثر لينًا، وإن لم يَعُد موقنًا من مدى لينها.

إذا أثبَتوا العكس، إذا أصدرَ العجوز الأمر بالهجوم على القلعة على الرغم من كلِّ شيء، ستَسقُط وينترفل لا محالة، فثيون لا تُخالِجه أيُّ أوهام في هذا الصَّدد. قد يَقتُل رجاله السَّبعة عشر ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة أضعاف عددهم، لكن الشَّماليِّين سيكتسحونهم في النِّهاية.

حدَّق ثيون في اللَّهب من فوق حافة كوبه مفكِّرًا في الجَور الذي يُعانيه، وتمتمَ: «لقد ركبتُ إلى جوار روب ستارك في الغابة الهامسة». ليلتها كان مذعورًا، لكن ليس بهذه الصُّورة، فأن تَدخُل المعركة محاطًا بالأصدقاء شيء، وشيء آخَر أن تموت وحيدًا مبغوضًا. في أعماقه قال بتعاسة: الرَّحمة.

حين لم يجلب له النَّبيذ أيَّ سلوى، أرسلَ ثيون وِكس لإحضار قوسه، ثم أخذَ نفسه إلى الفِناء الدَّاخلي، وهناك وقفَ مطلقًا سهمًا تلو السَّهم على أهداف الرِّماية حتى أوجعَته كتفاه وخضَّبت الدِّماء أصابعه، يتوقَّف فقط لانتزاع السِّهام من الأهداف من أجل جولةٍ أخرى. بهذا القوس أنقذتُ حياة

بران، فليتني أستطيعُ إنقاذ حياتي كذلك. أتَت نساء إلى البئر، لكنهن لم يبقين طويلًا، فأيًّا كان ما رأينه على وجه ثيون، فقد جعلهن يَلُذن بالفرار.

من ورائه ارتفعَ البُرج المكسور، قمَّته محزَّزة كتاج حيث تهدَّمت الطَّوابق العُلويَّة بفعل النَّار قديمًا. تحرَّك ظِلُّ البُرج مع حركة الشَّمس، يستطيل بالتَّدريج كما لو أنه ذراع سوداء تمتدُّ نحو ثيون جرايچوي، ولمَّا بلغَت الشَّمس السُّور كانت اليد قد أطبقَت عليه. فكَّر مطلقًا سهمًا: إذا شنقتُ الفتاة سيُهاجِم الشَّماليُّون من فورهم، وإذا لم أشنقها فسيعرفون أن تهديداتي فارغة، وثبَّت سهمًا آخَر في القوس مواصلًا مناجاة نفسه: لا مهرب، لا مهرب على الإطلاق.

قال صوت بنبرةٍ هادئة: «لو أن لديك مئة رامٍ ببراعتك، لكانت لديك فُرصة للحفاظ على القلعة».

التفتَ ثيون ورأى المِايستر لوين واقفًا خلفه، فقال: «اذهب. لقد اكتفيتُ من نصائحك».

- «والحياة؟ هل اكتفيت منها أيضًا يا سيِّدي الأمير؟».

رفعَ قوسه قائلًا: «كلمة إضافيَّة وسأغرسُ هذا السَّهم في قلبك».

- «لا، لن تفعل».

حنى ثيون القوس، وسحبَ السَّهم حتى أصبحَت ريشات الإوز الرَّماديَّة المثبَّتة به عند وجنته، وقال: «هل تُراهِن؟».

- «أنا أملك الأخير يا ثيون».

قال لنفسه: لا أمل لي، لكنه خفضَ قوسه نِصف بوصةٍ قائلًا للوين: «لن أفرَّ».

- «لا أتكلَّمُ عن الفرار. ارتدِ الأسود».

تركَ ثيون القوس يستقيم وسدَّد السَّهم إلى الأرض متسائلًا: «حَرس اللَّيل؟».

- «لقد خدمَ السير رودريك عائلة ستارك طيلة حياته، وعائلة ستارك صديقة لحَرس اللَّيل طيلة حياتها. لن يَرفُض. افتح بوَّاباتك وارمِ أسلحتك واقبل شروطه، وسيتوجَّب عليه أن يسمح لك بارتداء الأسود».

أخ في حَرس اللَّيل. معنى هذا أن لا تاج له ولا أبناء ولا زوجة... لكنه يعني الحياة، وحياةً شريفةً. لقد اختارَ أخو ند ستارك ذاته حَرس اللَّيل، وچون سنو أيضًا. لديَّ الكثير من الثِّياب السَّوداء، وما عليَّ إلَّا تمزيق الكراكن من عليها، بل وحصاني أسود أيضًا. يُمكنني أن أترقَّى عاليًا في حَرسِ اللَّيل، أصبحُ رئيس الجوَّالة، أو حضرة القائد حتى. فلتحتفظ آشا بجُزرها اللَّعينة. إنها كئيبة مِثلها. إذا خدمتُ في القلعة الشَّرقيَّة، فيُمكنني قيادة سفينتي الخاصَّة، والصَّيد وفير وراء «الجِدار». وبالنِّسبة للنِّساء، فمَن الهمجيَّة التي لا ترغب في أمير في فِراشها؟ زحفَت الابتسامة على وجهه ببُطء. لن أُعَدَّ مارقًا في المعطف الأسود، وسأكونُ مِثل أيِّ رجل...

- «**أيها الأمير ثيون!**». حوَّلت الصَّيحة المباغتة حُلم اليقظة إلى شظايا. كان كروم يتواثَب قاطعًا الفِناء قائلًا: «الشَّماليُّون...».

أحسَّ بالرُّعب يغمره فجأةً ويقلب معدته وهو يتساءَل: «أهو الهجوم؟».

قبضَ المِايستر لوين على ذراعه، وقال: «ما زال لديك وقت. ارفع راية السَّلام و...».

قاطعَه كروم بإلحاح: «إنهم يتقاتَلون. المزيد من الرِّجال ظهروا، مئات منهم، وفي البداية تظاهَروا بالانضمام للآخَرين، ثم انقضُّوا عليهم!».

- «أهي آشا؟». هل جاءَت تُنقِذه أخيرًا؟

لكن كروم هَزَّ رأسه نفيًا، وأجابَ: «كلا، أقول لك إنهم شَماليُّون، على راياتهم رجل دام».

رجل «معقلِ الخوف» المسلوخ. تذكَّر ثيون أن ريك كان ينتمي إلى نغل بولتون قبل القبض عليه، لكن من الصَّعب أن يتخيَّل أن مخلوقًا مقيتًا مِثله استطاعَ استمالة آل بولتون حتى يُبَدِّلوا موضع ولائهم، مع أن لا تفسير منطقيًّا آخَر هنالك. قال: «سأرى بنفسي».

سارَ المِايستر لوين في أعقابه، وعندما بلغا الشُّرفات كان الرِّجال الموتى والخيل المحتضرة في كلِّ مكانٍ على أرض ميدان السُّوق خارج البوَّابات. لم يرَ صفوف قتال، بل فوضى من الرَّايات والأسلحة ضاربة أطنابها في البلدة الشِّتويَّة، بينما يرنُّ الصِّياح والصُّراخ في هواء الخريف البارد. بدا أن السير

رودريك يملك الأعداد الأكبر، لكن رجال «معقل الخوف» كانوا أفضل قيادةً، وأخَذوا الآخَرين على حين غرَّة، فشاهدَهم ثيون يكرُّون ويتقهقَرون ثم يكرُّون ثانيةً، ممزِّقين القوَّات الأكبر منهم إلى أشلاء دامية كلما حاولَت اتِّخاذ تشكيلٍ بين المنازل، وسمعَ ارتطام الفؤوس الحديد بالتُّروس البلُّوط يطغى على الصَّرخات المرعوبة التي يُطلِقها حصان مشوَّه، ورأى الخان يحترق.

ظهرَ لورن الأسود ووقفَ إلى جواره صامتًا بعض الوقت. كانت الشَّمس قد انخفضَت في الغَرب طاليةً الحقول والمنازل بالأحمر الوهَّاج، وارتفعَت صرخة وجعٍ رفيعة راجفة إلى الأسوار، ودوَّى نفير من مكانٍ ما وراء المنازل المشتعلة، وشاهدَ ثيون رجلًا جريحًا يجرُّ نفسه بألمٍ على الأرض ملطِّخًا التُّراب بدماء الحياة وهو يُكافِح لبلوغ البئر التي تتوسَّط ميدان السُّوق، لكنه ماتَ قبل أن يَبلُغها. كان يرتدي صُدرةً من الجِلد وخوذةً مخروطيَّةً قصيرةً، لكن لا شارة تُعلِن عن الجانب الذي قاتلَ معه.

جاءَت الغِربَان في الغَسق الأزرق ومعها نجوم المساء، فقال ثيون: «الدوثراكي يُؤمِنون بأن النُّجوم هي أرواح الموتى الشُّجعان». كان المِايستر لوين قد أخبرَه بهذا منذ زمنٍ طويل.

- «الدوثراكي؟».

- «سادة الخيول على الجانب الآخَر من البحر الضيِّق».

عقدَ لورن الأسود حاجبيه الكثيفين كلحيته، وقال: «أوه، هؤلاء. الهمجيُّون يُؤمِنون بجميع أصناف الهراء».

مع ازدياد حَلكة اللَّيل وانتشار الدُّخان، صارَ تمييز ما يَحدُث في الأسفل صعبًا، لكن ضجيج الفولاذ راحَ ينخفض تدريجيًّا حتى سكنَ تمامًا، وأفسحَت الأبواق والصَّرخات المجال للأنين والعويل المثير للشَّفقة. أخيرًا خرجَ طابور من الخيَّالة من قلب الدُّخان السَّابح في الهواء، على رأسهم فارس يرتدي دِرعًا داكنةً، وتتألَّق خوذته بلونٍ أحمر قانٍ، بينما يتدلَّى معطف وردي باهت من على كتفيه. توقَّف الفارس أمام البوَّابة الرَّئيسة، وصاحَ أحد رجاله داعيًا القلعة لأن تفتح.

صاحَ لورن الأسود بصوتٍ جهوري: «أأنت صديق أم عدو؟».

قال ذو الخوذة الحمراء: «أكان عدوٌّ ليأتيكم بهذه الهدايا الثَّمينة؟»، ولوَّح بيده، فأُلقِيَت ثلاث جُثثٍ أمام البوَّابة، ورفعَ أحدهم مشعلًا فوقها كي يرى المدافِعون على الأسوار وجوه الموتى.

قال لورن الأسود: «أمين القلعة العجوز».

- «مع ليوبولد تولهارت وكلاي سروين».

كان سهم قد انغرسَ في عين اللورد الصَّبي، وفقدَ السير رودريك ذراعه اليُسرى من عند المِرفق، فأطلقَ المِايستر لوين صرخة هلعٍ بلا كلمات، والتفتَ عن الشُّرفات وسقطَ على رُكبتيه مصابًا بالغثيان.

صاحَ ذو الخوذة الحمراء: «الخنزير الكبير ماندرلي كان أجبن من أن يَترُك الميناء الأبيض، وإلَّا لكنا جئنا به أيضًا».

نجوتُ. فلماذا إذن يَشعُر بهذا الخواء؟ إنه النَّصر، النَّصر الجميل، الخلاص الذي صلَّى متوسِّلًا إياه. رمقَ المِايستر لوين قائلًا لنفسه: فكِّر كم دنوتَ من الاستسلام وارتداء الأسود... «افتحوا البوَّابات لأصدقائنا». ربما ينام ثيون اللَّيلة بلا خوفٍ مما قد تأتي به الأحلام.

قطعَ رجال «معقل الخوف» طريقهم عبر الخندق ومن خلال البوَّابات الدَّاخليَّة، وهبطَ ثيون مع لورن الأسود والمايستر لوين ليلتقيهم في السَّاحة. على عددٍ من الرِّماح ارتفعَت الأعلام المثلَّثة الحمراء الشَّاحبة، لكن أغلبهم كان يحمل الفؤوس الحربيَّة والسُّيوف العظيمة والتُّروس نِصف المهشَّمة. سألَ ثيون ذا الخوذة الحمراء بينما ترجَّل: «كم رجلًا فقدتم؟».

- «عشرين أو ثلاثين». انعكسَ وهج المشعل على المقدِّمة المخدوشة لخوذته المطليَّة بالمينا، والخوذة نفسها وواقي العُنق كانا مطرَّقيْن على شكل وجه وكتفي رجل دامٍ مسلوخ الجِلد، فوه مفغور بصرخة عذابٍ صامتة.

- «كان رجال السِّير رودريك يفوقونكم عددًا خمس مرَّات».

- «أجل، لكنه حسبَنا أصدقاء. إنه خطأ شائع. عندما مَدَّ العجوز الأحمق يده لي، أخذتُ نِصف ذراعه بدلًا منها، ثم تركته يرى وجهي»، ووضعَ الرَّجل كلتا يديه على خوذته ورفعَها عن رأسه، وثبَّتها بباطن ذراعه.

غمغمَ ثيون منزعجًا: «ريك». كيف يَحصُل خادم على دِرعٍ ممتازةٍ كهذه؟

ضحكَ الرَّجل وقال: «لقد ماتَ ذلك البائس»، ودنا من ثيون متابعًا: «كانت غلطة الفتاة. لو لم تهرب بعيدًا لما كَسِحَ حصانه، ولربما استطعنا الفرار. أعطيته حصاني حين رأيتُ الخيَّالة مِن على قمَّة الأخدود. كنتُ قد فرغتُ منها، بينما كان يُحِبُّ هو أن يأخذ دوره وجثامينهن لا تزال دافئةً، فاضطررتُ لأن أسحبه من فوقها وأدسَّ ثيابي بين يديه، حذاء طويل العُنق من جِلد العجل، وسُترة من المخمل، وحزام سيف مطعَّم بالفضَّة، وحتى معطفي المصنوع من فرو السمُّور، وأمرته بأن ينطلق إلى معقلنا، وقلتُ له: «خُذ حصاني، إنه أسرع، وهاك، ارتدِ الخاتم الذي أعطاني أبي إياه كي يعرفوا أني أرسلتك». كان قد تعلَّم ألَّا يُناقِشني أبدًا، وحين أصابوه بالسَّهم في ظَهره كنتُ قد لوَّثتُ نفسي بقذارة الفتاة وارتديتُ أسماله. كان من المحتمَل أن يَشنُقوني على كلِّ حال، لكنها الفُرصة الوحيدة التي رأيتها متاحةً»، ومسحَ فمه بظَهر يده متابعًا: «والآن يا أميري العزيز، لقد وُعِدتُ امرأةً إذا جلبتُ مئتي رجل. حسنٌ، ها قد جلبتُ ثلاثة أضعاف هذا العدد، وليسوا صبيةً خُضرًا أو عُمَّال حقولٍ كذلك، بل إنهم رجال من حامية أبي».

لقد أعطاه ثيون كلمته، فليس هذا وقت التَّراجُع. ادفع له نصيبه من اللَّحم وتعامَل معه لاحقًا. «هاراج، اذهب إلى وجار الكلاب وأحضِر پالا من أجل...؟».

أجابَ الرَّجل بابتسامةٍ على شفتيه الممتلئتين لا أثر لها في عينيه الشَّاحبتين: «رامزي... سنو كما كانت زوجتي تُسَمِّينني قبل أن تقضم أصابعها، لكني أقولُ بولتون»، وتخثَّرت ابتسامته كالحليب الفاسد وهو يُردِف: «هل تنوي أن تعرض عليَّ فتاةً من وجار الكلاب تقديرًا لخدماتي حقًّا؟».

في صوته كانت نبرة لم تَرُق ثيون، تمامًا كما لم تَرُقه النَّظرات الصَّفيقة التي حدجَه بها رجال «معقل الخوف»، لكنه قال: «إنها ما وعدتك به».

- «رائحة خراء الكلاب تفوح منها، ولقد اكتفيتُ من الرَّوائح الكريهة في الحقيقة. أظنُّ أني سآخذُ الفتاة التي تُدَفِّئ فِراشك بدلًا منها. ما اسمها؟ كايرا؟».

غاضبًا قال ثيون: «هل جُنِنت؟ سآمرُ بـ...».

هوى النَّغل بظاهر يده على وجهه مباشرةً، وهشَّم الفولاذ المزوَّد بالأقراص الواقية عظمة وجنته بدويٍّ مغثٍ، ليختفي العالم من أمامه بهديرٍ من الألم الأحمر.

بَعد فترةٍ من الوقت وجدَ ثيون نفسه على الأرض، فتدحرجَ منقلبًا على بطنه وابتلعَ الدَّم الذي أفعمَ فمه، وحاولَ أن يَصرُخ: أغلِقوا البوَّابات!

لكن فات الأوان.

كان رجال «معقل الخوف» قد فتَكوا برولف الأحمر وكيند، والمزيد منهم يتدفَّقون من البوَّابات كنهرٍ من الفولاذ والسُّيوف البتَّارة. في أُذنه كان رنين، وفي كلِّ مكانٍ حوله رُعبٌ. استلَّ لورن الأسود سيفه، لكن أربعةً منهم كانوا قد حرَّجوا عليه بالفعل، ورأى ثيون أولف يَسقُط بسهم نُشَّابيَّة اخترقَ بطنه إذ هرعَ إلى القاعة الكُبرى، وكان المِايستر لوين يُحاوِل الوصول إليه حين غرسَ فارس على صهوة جوادٍ حربي رُمحه بين لوحيِّ كتفه، ثم دارَ ليدهسه، ولوَّح رجل آخَر بمشعلٍ مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً حول رأسه، قبل أن يُلقيه على سقف الاسطبلات المغطَّى بالقَش، وصاح نغلِ بولتون واللَّهب يتأجَّج: «اترُكوا لي ولديَّ فراي، وأحرِقوا البقيَّة، أحرِقوا كلَّ شيء».

آخِر شيءٍ رآه ثيون جرايچوي كان سمايلر يَرفُس محرِّرًا نفسه من الاسطبلات المحترقة والنِّيران مشتعلة في عُرفه، يشبُّ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين، ويَصرُخ...

تيريون

حلمَ بسقفٍ حجريٍّ متصدِّع وروائح الدِّماء والغائط واللَّحم المحروق، والأدخنة تُفعِم الجَوَّ وتلذع عينيه، والرِّجال يئنُّون وينشجون في كلِّ مكانٍ حوله، وبين الحين والآخَر تخترق صرخة الهواء محمَّلة بالآلام. عندما حاولَ أن يتحرَّك، وجدَ أنه لوَّث فِراشه، وأدمعَ الدُّخان عينيه، فسألَ نفسه: هل أبكي؟ يجب ألَّا يدع أباه يراه. إنه من آل لانستر أبناء كاسترلي روك. أسدًا، يجب أن أكون أسدًا، أعيش أسدًا وأموت أسدًا. لكن الألم كان ممضًّا للغاية، وشعرَ بأنه أوهى من أن يتأوَّه حتى، فتمدَّد في قذارته وأغلقَ عينيه. بالقُرب منه كان أحدهم يلعن الآلهة بصوتٍ وحشيٍّ غليظ، فأصغى إلى كلمات التَّجديف متسائلًا إن كان يموت، وبَعد فترةٍ تلاشَت الغُرفة من أمام ناظريه.

وجدَ نفسه خارج المدينة، يمشي في دُنيا بلا ألوان. في سماءٍ رماديَّةٍ حلَّقت الغِدفان بأجنحةٍ سوداء منبسطة، وطارَت سُحب غاضبة من الغِربان آكلة الجيف بعيدًا عن وليمتها أينما خطا، وحفرَت يرقات بيضاء أخاديد في خرابٍ أسود، أمَّا الذِّئاب فكانت رماديَّةً، وكذا الأخوات الصَّامتات، ومعًا جرَّدت هذه وتلك القتلى من لحمهم. الجُثث كانت متناثرةً في كلِّ مكانٍ على أرض المباريات، والشَّمس قطعة عُملةٍ بيضاء ساخنة تُضيء النَّهر الرَّمادي المتدفِّق حول عظام السُّفن الغارقة المتفحِّمة، ومن محارق الموتى ارتفعَت أعمدة سوداء من الدُّخان والرَّماد الملتهب، فقال تيريون لانستر في أعماقه: هذا عملي. بأمري ماتَ هؤلاء.

في البدء لم يكن ثمَّة صوت في العالم، لكن بَعد قليلٍ بدأ يسمع أصوات

الموتى النَّاعمة المريعة التي ارتفعَت بالنُّواح والآهات، يتوسَّلون نهايةً للألم، يصيحون طالبين النَّجدة ومنادين أمَّهاتهم. تيريون لم يعرف أمَّه قَطُّ. أرادَ شاي، لكنها ليست هناك، فسارَ في غمار الظِّلال الرَّماديَّة محاولًا أن يتذكَّر...

كانت الأخوات الصَّامتات يُجَرِّدن الأموات من دروعهم وثيابهم التي غابَت ألوان أصباغها الزَّاهية تمامًا، فارتدى القتلى درجاتٍ من الأبيض والرَّمادي تخثَّرت عليها دماؤهم السَّوداء. شاهدَ جُثثهم العارية تُرفَع من الأقدام والأذرُع، ثم تُحمَل متمايلةً لتنضمَّ إلى جُثث أقرانهم في المحارق، بينما أُلقيَت المعادن والأقمشة في مؤخِّرة عربةٍ خشبيَّةٍ بيضاء يجرُّها حصانان أسودان طويلان.

موتى كثيرون، كثيرون جدًّا. جُثثهم مرتمية في كلِّ مكان، ووجوههم رخوة أو متيبِّسة أو منتفخة بالغازات، لا سبيل للتعرُّف على ملامحها، تكاد تكون لا بَشريَّة. الثِّياب التي خلعَتها الأخوات الصَّامتات من على أجسادهم كانت مزيَّنةً بقلوبٍ سوداء وأسودٍ رماديَّة وزهورٍ ميتة ووعولٍ شبحيَّة شاحبة، ودروعهم كلها معوجَّة ومشقَّقة، والحلقات المعدنيَّة ممزَّقة ومكسَّرة ومشرَّطة. لماذا قتلتهم جميعًا؟ كان يعرف الإجابة ذات يوم، لكنه نسيَها.

كان ليسأل إحدى الأخوات الصَّامتات، لكن حين حاولَ أن يتكلَّم وجدَ أن لا فم له، أن جِلدًا مصمتًا أملس يُغَطِّي أسنانه. ألقى الاكتشاف في قلبه الرُّعب. كيف يعيش دون فم؟ لم تكن المدينة بعيدةً، فبدأ يجري. في المدينة سيكون آمنًا بمنأى عن كلِّ هؤلاء الموتى. لا فم له، لكنه لا يزال رجلًا حيًّا. كلا، بل أسد، أسد، وحَي. غير أنه حين بلغَ أسوار المدينة، انغلقَت البوَّابات في وجهه.

حينما أفاقَ ثانيةً كان الظَّلام سائدًا. في البداية لم يرَ شيئًا على الإطلاق، لكن بَعد مدَّةٍ بدأت حدود فِراشٍ مبهمة تلوح حوله. كانت السَّتائر مسدلةً، لكنه رأى شكل أعمدة السَّرير المَنحوتة والمظلَّة المخمليَّة التي تتدلَّى فوق رأسه، ومن تحته أحسَّ بلين الحشيَّة، وبالوسادة المحشوَّة بريش الإوز التي استراحَ عليها رأسه. هذا فِراشي، إنني في فِراشي، في غُرفة نومي.

بين السَّتائر وتحت الكومة الضَّخمة من الأغطية الفرو والملاءات التي

غطَّته كان الجَوُّ حارًّا وعَرقه يتصبَّب، ففكَّر ورأسه يدور: حُمَّى. شعرَ بوهنٍ شديد، وطعنَه الألم حين كافحَ لكي يرفع يده، فاستسلمَ. كأن حجم رأسه تضاعفَ مرارًا فأصبح ضخمًا كالفِراش ذاته، فكان أثقل من أن يستطيع رفعه عن الوسادة، أمَّا جسده فيكاد لا يَشعُر به على الإطلاق. كيف جئتُ إلى هنا؟ حاولَ أن يتذكَّر، وعادَت المعركة إلى ذاكرته كالوميض المتقطِّع، القتال على ضفَّة النَّهر، والفارس الذي عرضَ عليه قُفَّازه الواقي، وجسر السُّفن...

السير ماندون. رأى العينين الميتتين خاويتي النَّظرات، واليد الممدودة إليه، والنَّار الخضراء المتوهِّجة على مينا الدِّرع البيضاء، فسرى الخوف في جسده عاصفًا باردًا، وتحت الأغطية أحسَّ بمثانته تُفرِغ ما فيها. كان ليصيح لو أن لديه فمًا. ثم إنه قال لنفسه ورأسه يدقُّ: لا، كان هذا في الحُلم. ساعِدوني، ليُساعِدني أيُّ أحد، چايمي، شاي، أمِّي، أيُّ أحد... تايشا...

لم يسمعه أحد. لم يأتِ أحد.

في وحدته المظلمة عادَ يغيب في نومٍ معبَّق برائحة البول، وحلمَ بأخته تقف عند فِراشه، وإلى جوارها السيِّد والدهما متجهِّم الوجه. لا بُدَّ أنه حُلم، فاللورد تايوين على بُعد آلاف الفراسخ، يُحارِب روب ستارك في الغَرب. آخَرون غيرهما جاءوا وغادَروا، وتطلَّع ڤارس إليه وتنهَّد، لكن الإصبع الصَّغير ألقى دعابةً، ففكَّر تيريون ببغضاء ملأَت نفسه: أيها الوغد الخائن الحقير، أرسلناك إلى «جسر العلقم» ولم تعُد. في بعض الأحيان كان يسمعهم يُحَدِّثون بعضهم بعضًا، لكنه لم يستوعب كلمةً، وأزَّت أصواتهم في أُذنيه كدبابير يَكتُمها غلاف من اللِّباد السَّميك.

أرادَ أن يسأل إن كانوا قد ربحوا المعركة. لا بُدَّ أننا ربحنا، وإلَّا لكنتُ مجرَّد رأس على خازوق. ما دمتُ حيًّا فقد انتصَرنا. لم يدرِ أيهما سرَّه أكثر، النَّصر ذاته أم حقيقة أنه استطاعَ أن يعقِل أنهم انتصَروا. معنى هذا أن بديهته تعود إليه بالفعل، حتى ولو ببُطء. هذا جيِّد، فما من شيءٍ في جَعبته غير البديهة.

عندما استيقظَ المرَّة التَّالية، كانت السَّتائر مزاحةً وپودريك پاين يقف إلى جوار الفِراش حاملًا شمعةً، ولمَّا رأى تيريون يفتح عينيه هرعَ إلى الخارج، فحاولَ أن يُنادي: لا، لا تذهب، ساعِدني، ساعِدني، لكن أقصى ما قدرَ

عليه كان أنينًا مكتومًا. إنني بلا فم. رفعَ يده إلى وجهه، تُؤلِمه كلُّ حركةٍ خرقاء مرتبكة، ووجدَت أصابعه قُماشًا متيبِّسًا حيث يُفترَض أن تجد لحمًا وشفتينِ وأسنانًا. كتَّان. نِصف وجهه السُّفلي مضمَّد بإحكام، قناع من الجِصِّ المتصلِّب فيه فتحات للتنفُّس والإطعام.

ظهرَ پود مجدَّدًا بَعد فترةٍ قصيرة، وهذه المرة كان معه غريب، رجل يرتدي ثوب وسلسلة المِايسترات ويُغَمغِم: «يجب أن تستلقي ساكنًا يا سيِّدي، فإصاباتك بالغة، وستُؤذي نفسك بشدَّة. هل تَشعُر بالعطش؟».

استطاعَ أن يهزَّ رأسه بضَعف، فأدخلَ المِايستر قِمعًا نُحاسيًّا معقوفًا من فتحة الإطعام فوق فمه، وصَبَّ السَّائل في حَلقه بتأنٍّ، فابتلعَه تيريون وهو يكاد لا يتذوَّق شيئًا، ومتأخِّرًا أدركَ أن السَّائل هو حليب الخَشخاش، وحين أخرجَ المِايستر القِمع من فمه، كان تيريون يغوص في أغوار المنام ثانيةً.

هذه المرَّة حلمَ بأنه في مأدبة، مأدبة نصرٍ في قاعةٍ كُبرى ما، وكان يجلس على مقعدٍ عالٍ فوق منصَّة، والرِّجال يرفعون كؤوسهم ويُهَلِّلون له باعتباره بطلًا. كان ماريليون هناك، ذلك المغنِّي الذي ارتحلَ معهم وسط جبال القمر، وقد عزفَ على قيثارته الخشبيَّة وغنَّى عن مآثر العِفريت العظيمة، وحتى أبوه نفسه كان يبتسم استحسانًا. عندما انتهَت الأغنيَّة، نهضَ چايمي من مكانه وأمرَ تيريون بالرُّكوع، ثم بسيفه الذَّهبي مَسَّ كتفه ثم كتفه الثَّانية، ونهضَ تيريون فارسًا. شِاي أيضًا كانت هناك، تنتظر أن تُعانِقه، وأمسكَته من يده وهي تضحك وتُمازِحه وتُناديه بعملاقها ابن لانستر.

استيقظَ في ظلمة غُرفةٍ فارغةٍ باردة، وقد أُسدِلَت السَّتائر على الفِراش ثانيةً. شيء ما خطأ، مقلوب، ولكنه لا يدري ماذا. إنه وحده من جديد. أزاحَ الأغطية وحاولَ أن يجلس، لكن الألم كان عارمًا وسرعان ما كَفَّ عن المحاوَلة وراح يلهث. وجهه كان أقلَّ ما يُوجِعه، أمَّا جانبه الأيمن بأكمله فألم واحد شنيع، وكلما حاولَ أن يرفع ذراعه طعَنَ الوجع صدره. ماذا حدثَ لي؟ حتى المعركة نفسها بدَت كحُلم ضبابي لمَّا حاولَ استعادتها في مخيِّلته. جراحي أبلغ كثيرًا مما حسبتُ. السير ماندون... روَّعته الذِّكري، لكن تيريون أرغمَ نفسه على التمسُّك بها وتدويرها في رأسه والتَّحديق فيها بإمعان. لقد

حاولَ قتلي لا ريب، ذلك الجزء لم يكن حُلمًا. كان ليَشطُرني نِصفين لو لا أن يود... يود. أين يود؟

أطبقَ على السَّتائر وشَدَّها وهو يصرُّ بأسنانه، فانفصلَت عن المظلَّة التي تعلوه وسقطَت، نِصفها فوق البساط ونِصفها فوقه. حتى هذا المجهود الصَّغير أصابَه بالدُّوار، ودامَت الغُرفة من حوله، جُدرانها كلها عارية وظلالها قاتمة، وثمَّة نافذة وحيدة ضيِّقة. رأى صندوقًا يملكه، وكومةً غير منظَّمة من ثيابه، ودِرعه. لستُ في غُرفة نومي، ولا في بُرج اليد أصلًا. أحدهم نقلَه. خرجَت صيحته الغاضبة آهةً مكبوتةً، وفكَّر إذ استسلمَ وعادَ يُغلِق عينيه: نقَلوني إلى هنا لأموت. كانت الغُرفة رطبةً باردةً، وهو يحترق.

حلمَ بمكانٍ أفضل، بكوخٍ صغيرٍ مريحٍ يطلُّ على بحر الغروب. كانت الجُدران مائلةً متصدِّعةً، والأرضيَّة من التُّربة الممهَّدة، لكن لطالما أحسَّ بالدِّفء هناك، حتى بَعدما يَترُكا النَّار تنطفئ. اعتادَت أن تُمازحني بخصوص هذا. لم أفكِّر قَطُّ في تزكية النَّار، فهذا عمل خادمة. كانت تُذَكِّره قائلةً: «ليست لدينا خادمات»، فيقول لها: «أنا لديكِ، أنا خادمكِ»، فتقول له: «خادم كسول. ماذا يفعلون بالخادمات الكسولات في كاسترلي روك يا سيِّدي؟»، فيقول لها: «يُقَبِّلونهن»، فتُقَهقِه كما تفعل دائمًا كلما قال ذلك، وتردُّ: «لا أصدِّقُ. أراهنُ أنهم يضربونهن»، لكنه يقول بإصرار: «لا، بل يُقَبِّلونهن، هكذا»، ويميل عليها ليُريها كيف قائلًا: «يُقَبِّلون أصابعهن أولًا، إصبعًا بَعد إصبع، ثم يُقَبِّلون المعصمين، نعم، ثم باطني المِرفقين، ثم يُقَبِّلون آذانهن المضحكة. كلُّ خدمنا لديهم آذان مضحكة. كُفِّي عن الضَّحك! ويُقَبِّلون الوجنتين، ويُقَبِّلون الأنف وتكويرته الصَّغيرة، نعم، هكذا، بالضَّبط، ويُقَبِّلون الجبين الجميل والشَّعر والشَّفتين و... مممم... الفم... هكذا...».

تمضي ساعات وساعات وهما يتبادَلان القُبلات، وتمضي أيام كاملة دون أن يفعلا شيئًا غير الاضطجاع في الفِراش والإصغاء للأمواج بينما يتحسَّس كلٌّ منهما الثَّاني. كان جسدها أعجوبةً في نظره، وبدَت هي متلذِّذةً بجسده. أحيانًا كانت تُغَنِّي له. عشقتُ بنتًا بهيةً كالصَّيف، في شَعرها نور الشَّمس.

تهمس قبل أن يَخلُدا إلى النَّوم ليلًا: «أحبُّك يا تيريون، أحبُّ شفتيك، وأحبُّ صوتك والكلام الذي تقوله لي، وأحبُّ أنك تُعامِلني برقَّة، وأحبُّ وجهك».

- «وجهي أنا؟».

- «نعم، نعم، وأحبُّ يديك وكيف تلمسني بهما، وقضيبك، أحبُّ قضيبك، أحبُّ الإحساس به في داخلي».

- «هو أيضًا يُحِبُّك يا سيِّدتي».

- «أحبُّ أن أردِّد اسمك، تيريون لانستر. إنه يتماشى مع اسمي، ليس لانستر، بل الاسم الأول. تيريون وتايشا، تايشا وتيريون. تيريون. لورد تيريون...».

أكاذيب. كلُّ ذلك كان زيفًا، كله من أجل الذَّهب. كانت عاهرةً، عاهرة چايمي، هديَّة چايمي، سيِّدتي سيِّدة الأكذوبة. بدأ وجهها يخبو، يذوب وراء حجابٍ من الدُّموع، لكن حتى بَعدما اختفَت ظَلَّ يسمع صوتها الخافت البعيد يُناديه. «... سيِّدي، هل تسمعني؟ سيِّدي؟ تيريون؟ سيِّدي؟ سيِّدي؟».

في غيامة النَّوم المتبَّل بالخَشخاش رأى وجهًا ورديًّا ناعمًا يميل عليه. من جديدٍ كان في الغُرفة الرَّطبة ذات ستائر الفِراش الممزَّقة، والوجه مختلف، ليس وجهها، مستدير أكثر من وجهها، وحول الفم لحية. «أتَشعُر بالظَّمأ يا سيِّدي؟ إن معي حليبك، الحليب المفيد. يجب ألَّا تُقاوِم، لا، لا تُحاوِل أن تتحرَّك، إنك في حاجةٍ إلى الرَّاحة». كان يحمل القمع النُّحاسي بيدٍ ورديَّة مبلَّلة وقنينةً بالثَّانية.

لمَّا انحنى الرَّجل دانيًا منه، دَسَّ تيريون يده تحت سلسلته ذات المعادن العدَّة وأطبقَ عليها وشَدَّها، فأسقطَ المِايستر القنينة لينسكب حليب الخَشخاش على الغطاء، ولوى تيريون السِّلسلة حتى أحسَّ بالحلقات تنغرس في لحم عُنق الرَّجل، وبصوتٍ كالنَّعيب قال: «كفى»، فسمعَ صوته مبحوحًا لدرجةٍ جعلَته يشكُّ في أنه تكلَّم أصلًا، لكن لا بُدَّ أنه فعلَ، لأن المِايستر رَدَّ بصوتٍ مخنوق: «أرجوك دعني يا سيِّدي... تحتاج حليبك... الألم... السِّلسلة، لا، أبعِد يدك، لا...».

كان الوجه الوردي قد بدأ يستحيل بنفسجيًّا حين تخلَّى تيريون عن

السِّلسلة، وتراجعَ المِايستر مسرعًا وهو يعبُّ الهواء، بينما لاحَت على عُنقه المحمرِّ أخاديد بيضاء عميقةً حيث انضغطَت الحلقات، وقد اتَّسعت عيناه فبانَ بياضهما أيضًا. رفعَ تيريون يده إلى وجهه مشيرًا إلى القناع الصُّلب بحركةٍ كالتَّمزيق، مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً.

أخيرًا قال المِايستر: «تُريد... تُريد خلع الضمَّادات؟ أهذا ما تُريد؟ لكني لا أستطيعُ أن... سيكون هذا... سيكون تصرُّفًا يُنافي الحكمة تمامًا يا سيِّدي. إنك لم تُشفَ، والملكة سوف...».

جعلَه الإتيان على ذِكر أخته يُزَمجِر. أأنت أحد رجالها إذن؟ أشارَ بإصبعه إلى المِايستر، ثم ضَمَّ قبضةً تسحَق، تَخنُق، وعيدٌ واضح، ما لم يُنَفِّذ الأحمق الأمر.

لحُسن الحَظِّ أنه فهِمَ، فقال: «ســ... سأفعلُ ما يأمر به سيِّدي بالتَّأكيد، لكن... ليس هذا تصرُّفًا حكيمًا. إن جراحك...».

بصوتٍ أعلى قال هذه المرَّة: «نفِّذ».

انحنى الرَّجل وغادرَ الغُرفة، قبل أن يعود بَعد لحظاتٍ قليلة حاملًا سكِّينًا رفيعًا ذا نصلٍ محزَّز كالمنشار، وطَستًا مليئًا بالماء، وكومةً من الأقمشة النَّاعمة، وعددًا كبيرًا من القوارير. عندئذٍ كان تيريون قد استطاعَ التلوِّي زاحفًا إلى الوراء بعضَ الشَّيء، فأصبحَ شِبه جالسٍ وظَهره مستند إلى الوسادة. طلبَ منه المِايستر ألَّا يتحرَّك إطلاقًا بينما دَسَّ طرف السكِّين تحت القناع أسفل ذقنه. يكفي أن تنزلق يده مرَّةً فتتخلَّص سرسي مني. أحسَّ بالنَّصل ينشر الكتَّان المتيبِّس فوق حَلقه ببوصاتٍ معدودة.

مِن حُسن الطَّالع أن هذا الرَّجل الوردي النَّاعم ليس من مخلوقات أخته الشُّجعان. بَعد لحظاتٍ أحسَّ تيريون بالهواء البارد على وجنتيه، وإن صاحبَه ألم بذلَ قصارى جهده كي يتجاهَله. تخلَّص المِايستر من الضمَّادات التي لا تزال عليها قشرة جامدة من العقاقير الجافَّة، ثم قال: «اثبت تمامًا. يجب أن أنظِّف الجرح». كانت لمسته رقيقةً والماء دافئًا مريحًا. الجرح، فكَّر تيريون وهو يتذكَّر ومضةً من الفولاذ الأبيض الذي بدا أنه مَرَّ تحت عينيه مباشرةً. قال المِايستر بينما بلَّل قطعةً من القُماش بنبيذٍ تفوح منه رائحة الأعشاب: «ستَشعُر

بلسعة»، لكن ما شعرَ به لم يكن مجرَّد لسعة، بل خَطًّا من النَّار امتدَّ عبر وجهه ودَسَّ عمودًا حارقًا في أنفه، فأطبقَت أصابعه على ملاءات السَّرير واحتبسَت أنفاسه، لكنه استطاعَ بشكلٍ ما ألَّا يَصرُخ. كان المِايستر يتكلَّم كدجاجةٍ عجوز تنقُّ، فيقول: «كان أكثر حكمةً أن يُترَكَ القناع في مكانه حتى يلتئم اللَّحم يا سيِّدي، لكن الجرح يبدو نظيفًا رغم ذلك. عظيم، عظيم. حين وجدناك في ذلك القبو بين الموتى والمحتضرين كانت جروحك ملوَّثةً، وأحد ضلوعك مكسورًا. لا شَكَّ أنك تَشعُر به. ضربة كرةٍ شائكة ربما، أو سقطة، من الصَّعب أن نعرف. كما أنك أصبت بسهم في ذراعك حيث تلتقي بالكتف. أبدى هذا الجرح علامات الإصابة بالأُكال، وحسبتُ فترةً أننا قد نضطرُّ للبَتر، لكننا عالَجناه بالنَّبيذ المغلي واليرقات، ويبدو الآن أنه يندمِل بنظافة...».

قاطَعه تيريون لاهثًا: «الاسم، الاسم».

حدَّق فيه المِايستر بدهشةٍ قائلًا: «أنت تيريون لانستر يا سيِّدي، أخو الملكة. هل تَذكُر المعركة؟ أحيانًا تتسبَّب إصابات الرَّأس في...».

- «اسمك». كان حَلقه جافًّا تمامًا، ونسيَ لسانه كيف يُشَكِّل الكلمات.

- «أنا المِايستر بالابار».

قال تيريون: «بالابار. أحضِر لي. مرآةً».

- «سيِّدي، لا أنصحُ بهذا... ربما يكون هذا، آه، غير حكيم... إن جرحك...».

اضطرَّ لأن يُكرِّر: «أحضِرها». كان فمه متصلِّبًا موجوعًا كأن لكمةً شقَّت شفته. «شراب. نبيذ. لا خَشخاش».

نهضَ المِايستر محتقن الوجه وخرجَ من الغُرفة، ثم عادَ ومعه إبريق من النَّبيذ الكهرماني الباهت ومرآة مفضَّضة صغيرة في إطارٍ منمَّق من الذَّهب، وجلسَ على حافة الفِراش وصَبَّ نِصف قدح من النَّبيذ ورفعَه إلى شفتي تيريون المتورِّمتين، فنزلَ السَّائل إلى معدته باردًا، وإن تذوَّقه بالكاد. «المزيد»، قال عندما فرغَ القدح، فعادَ المِايستر بالابار يصبُّ، ومع نهاية القدح الثَّاني شعرَ تيريون بما يكفي من قوَّةٍ لمواجَهة وجهه.

قلبَ المرآة ونظرَ فيها، ولم يدرِ هل يضحك أم يبكي. كانت الشجَّة طويلةً

معوجَّةً، تبدأ تحت عينه اليُسرى مباشرةً وتنتهي على جانب فَكِّه الأيمن، وقد راحَ ثلاثة أرباع أنفه وقطعة من شفته. أحدهم خيَّط اللَّحم الممزَّق بأمعاء القِطط، ولا تزال الغُرز الخرقاء في مكانها على شِقِّ اللَّحم الأحمر المسحوج نِصف الملتئم. ألقى المرآة بعيدًا، وقال بصوتٍ مبحوح: «وسيم».

الآن يتذكَّر. جسر السُّفن، السير ماندون مور، اليد، السَّيف يهوي على وجهه. لو لم أتراجَع، لأطارَت تلك الضَّربة قمَّة رأسي. لطالما قال چايمي إن السير ماندون أخطر رجال الحَرس الملكي على الإطلاق، لأن عينيه الميتتين الخاويتين من كلِّ تعبيرٍ لا تُفصِحان عن نيَّاته أبدًا. لم يكن حريًّا بي أن أثق بأيِّهم على الإطلاق. كان يعرف أن السير مرين والسير بوروس ينتميان لأخته، والسير أوزموند لاحقًا، لكنه خيَّل لنفسه أن الآخَرين لم يتنازَلوا عن شَرفهم بالكامل. لا بُدَّ أن سرسي دفعَت له ليتأكَّد من عدم عودتي من المعركة حيًّا أبدًا. هل من سببٍ آخَر؟ إنني لم أسئ إلى السير ماندون قَطُّ على حَدِّ علمي. مَسَّ تيريون وجهه جاذبًا اللَّحم العزيز بأصابع غليظة متبلِّدة. هديَّة أخرى من أختي الجميلة.

وقفَ المِايستر إلى جوار السَّرير باديًا كإوزَّةٍ على وشك الطَّيران، وقال: «سيِّدي، غالبًا ستكون هناك نُدبة...».

- «غالبًا؟». استحالَ نخيره الضَّاحك إلى جفلة ألم. نعم، ستكون هناك نُدبة بالتَّأكيد، كما أنه لا ينتظر أن ينبت له أنف جديد قريبًا، لكن ليس كأن وجهه كان يَصلُح لأن يتطلَّع النَّاس إليه على كلِّ حال. أحسَّ بابتسامته تشدُّ جِلد وجهه وهو يقول: «علِّمني. ألَّا. ألعب. بالفؤوس»، ثم تساءلَ: «أين. نحن؟ ما. ما. المكان؟». الكلام مؤلم بحَق، لكن تيريون ظَلَّ صامتًا طويلًا.

- «آه، إنك في حصن ميجور يا سيِّدي، في غُرفةٍ فوق قاعة حفلات الملكة. جلالتها أرادَتك قريبًا منها كي تطمئنَّ عليك بنفسها».

أراهنُ أنها أرادَتني قريبًا بالفعل. قال آمرًا: «أعِدني. فِراشي. غُرفتي». حيث يُحيط بي رجالي، ويكون لديَّ مِايستري الخاص كذلك، إذا وجدتُ واحدًا أثقُ به.

- «غُرفتـ... سيِّدي، لن يكون ذلك ممكنًا. لقد اتَّخذ يد الملك مقرَّه في مسكنك السَّابق».

- «أنا. يد. الملك». كان مجهود الكلام يُنهِكه وقد أصابَه الارتباك مما يسمعه.

بدا المِايستر بالابار منزعجًا وهو يقول: «لا يا سيِّدي. إنني... لقد كنتَ جريحًا وعلى شفا الموت، والآن يتولَّى السيِّد والدك هذا الواجب. اللورد تايوين، إنه...».

- «هنا؟!».

- «منذ ليلة المعركة. اللورد تايوين أنقذَنا جميعًا. يقول العوام إنه كان شبح الملك رنلي، لكن الحُكماء يعرفون أن هذا هراء. لقد كان أبوك واللورد تايرل، ومعهما فارس الزُّهور واللورد الإصبع الصَّغير. قطَعوا الأراضي المحترقة وباغَتوا الغاصِب ستانيس من المؤخِّرة. كان نصرًا عظيمًا، والآن يستقرُّ اللورد تايوين في بُرج اليد لمساعَدة جلالة الملك على تقويم أوضاع البلاد والشُّكر للآلهة».

ردَّد تيريون بلهجةٍ خاوية: «الشُّكر للآلهة». أبوه اللَّعين والإصبع الصَّغير اللَّعين وشبح رنلي؟ «أريدُ...». مَن أريدُ؟ لا يستطيع أن يقول لبالابار ذي البشرة الورديَّة أن يأتيه بشاي. مَن يَطلُب؟ بمَن يثق؟ ڤارس؟ برون؟ السير چاسلين؟ «... مُرافِقي. پود. پاين». إنه پود الذي كان على جسر السُّفن، الصَّبي أنقذَ حياتي.

- «الصَّبي؟ الصَّبي غريب الأطوار؟».

- «غريب الأطوار. پودريك. پاين. اذهب. أرسِله».

قال المِايستر بالابار: «كما ترغب يا سيِّدي»، وحنى رأسه وأسرعَ يُغادِر، وأحسَّ تيريون بالقوَّة تتسرَّب منه ريثما انتظرَ متسائلًا كم ظَلَّ هنا نائمًا. تُريدني سرسي أن أنام إلى الأبد، لكني لن أتكرَّم عليها بذلك.

دخلَ پودريك پاين الغُرفة خائفًا كفأر، ودنا من الفِراش ببُطءٍ قائلًا: «سيِّدي»، فتساءلَ تيريون: كيف يُمكن أن يكون صبيٌّ بتلك الشَّجاعة في

المعركة بهذا الخوف في حُجرة مريض؟ وتابعَ پود: «أردتُ أن أبقى معك، لكن المِايستر صرفَني».

- «اصرِفه. اسمعني. الكلام صعب. أريدُ نبيذ النَّوم. نبيذ النَّوم، لا حليب الخَشخاش. اذهب إلى فرنكن. فرنكن لا بالابار. راقِبه وهو يعدُّه. أحضِره إليَّ». اختلسَ پود نظرةً سريعةً إلى وجه تيريون، وبالسُّرعة نفسها أشاحَ ببصره، فقال تيريون في داخله: لا أستطيعُ أن ألومه، ثم واصلَ مكلِّمًا الصَّبي: «أريدُ. حُرَّاسي. برون. أين برون؟».

- «نصَّبوه فارسًا».

- «اعثُر عليه. أحضِره». حتى تقطيب وجهه يُؤلِمه.

- «كما تقول يا سيِّدي، برون».

قبضَ تيريون على معصم الصَّبي قائلًا: «السير ماندون؟».

جفلَ پود وقال متلعثمًا: «إنني لـلم أقصد أن أقـقـقـ...».

- «ماتَ؟ متأكِّد؟ ماتَ؟».

بدَّل الصَّبي وضع قدميه بجبنٍ مهمهمًا: «غرقَ».

- «عظيم. لا تَقُل شيئًا. عنه. عني. عن ما حدثَ. لا شيء».

كانت قوى تيريون قد خارَت تمامًا حين غادرَ الصَّبي، فتمدَّد وأغلقَ عينيه، علَّه يَحلُم بتايشا ثانيةً، وتساءلَ بمرارة: تُرى هل يروقها وجهي الآن؟

چون

عندما قال له كورين ذو النِّصف يد أن يجد القليل من الحطب لإشعال نار، علمَ چون أن نهايتهما دانية.

لا بأس بأن نَشعُر بالدِّفء ثانيةً ولو فترةً قصيرةً، قال لنفسه وهو يَبتُر الأغصان العارية من جذع شجرةٍ ميتة، وقد جلسَ جوست على قائمتيه الخلفيَّتين يُراقِبه بصمتٍ كديدنه. تُرى هل سيعوي من أجلي كما فعلَ ذئب بران حين سقطَ؟ هل سيعوي شاجيدوج بعيدًا في وينترفل؟ وجراي ويند ونايميريا أينما كانا؟

كان القمر يرتفع من وراء جبلٍ والشَّمس تغوص وراء آخَر بينما استولدَ چون الشَّرر من حجر الصوَّان والخنجر، حتى تصاعدَ خيط من الدُّخان أخيرًا، فجاءَ كورين ووقفَ إلى جانبه إذ اشتعلَ اللَّهب الخافت متذبذبًا في قُشارة لِحاء الأشجار وإبر الصَّنوبر الجافَّة الميتة، وقال الجوَّال الكبير بصوتٍ هادئ: «خجول كعذراء ليلة زفافها، وتكاد تُباريها في الحُسن. أحيانًا ينسى المرء كم يُمكن أن تكون النَّار جميلةً».

لم يكن بالرَّجل الذي تتوقَّع منه أن يتكلَّم عن العذارى وليالي الزِّفاف، فعلى حَدِّ علم چون، أمضى كورين حياته كلها في حَرس اللَّيل. هل أحبَّ عذراء من قبل وزُفَّت إليه؟ لم يستطِع أن يسأله، وبدلًا من هذا أخذَ يُهَوِّي النَّار، ولمَّا تأجَّجت وطقطقَت، خلعَ قُفَّازيه المتيبِّسين ليُدفئ يده، وتنهَّد متسائلًا إن كانت قُبلات الدُّنيا كلها قادرةً على بَثِّ إحساسٍ بهذا الجَمال في المرء، وقد بدأ الدِّفء يسري في أصابعه كالزُّبد الذَّائب.

بتؤدةٍ جلسَ ذو النِّصف يد إلى جوار النَّار وتربَّع، واللَّهب الرَّاقص يتلاعَب على تضاريس وجهه القاسية. لم يبقَ غيرهما من الجوَّالة الخمسة الذين فرُّوا من «الممر الصَّادح» عودةً إلى براري «أنياب الصَّقيع» المصطبغة بدرجات بالأزرق والرَّمادي.

في البداية احتضنَ چون الأمل في أن يستطيع المُرافِق دالبريدچ صَدَّ الهَمج في الممر، لكن حين سمعوا نداء بوقٍ بعيد، أدرَكوا جميعًا أن المُرافِق قد سقطَ، ولاحقًا لمحوا النَّسر يطير في سماء الغَسق بجناحين من الرَّمادي والأزرق، فخلعَ ثعبان الحجر قوسه من على ظَهره، إلَّا أن الطَّائر حلَّق بعيدًا عن مرماه قبل أن يُثَبِّت الوتر حتى، فبصقَ إبِن وأخذَ يُهَمهِم حانقًا بأشياء عن الأوْراج ومبدِّلي الجِلدة.

شاهَدوا النَّسر مرَّتين أخريين في اليوم التَّالي، وسمعوا أصداء أنغام بوق الصَّيد تتردَّد من ورائهم بين الجبال، أعلى كلَّ مرَّةٍ وأقرب. عندما حَلَّ اَللَّيل، قال ذو النِّصف يد لإبِن أن يأخذ حصان المُرافِق بالإضافة إلى حصانه، ويقطع الطَّريق الذي سلَكوه من الشَّرق عودةً إلى مورمونت بأقصى سُرعة، أمَّا البقيَّة فسيجتذبون الهَمج إلى مطارَدتهم، فقال إبِن: «أرسِل چون. إنه يستطيع الرُّكوب بسرعةٍ مِثلي».

- «چون لديه دور آخَر يلعبه».
- «ما زال صبيًّا صغيرًا».

قال كورين: «كلا، إنه رجل من حَرس اللَّيل».

افترقَ إبِن عنهم حينما ارتفعَ القمر في السَّماء، وقطعَ ثعبان الحجر جزءًا قصيرًا من الطَّريق معه شَرقًا، ثم عادَ مخفيًا آثارهما، وتحرَّك الثَّلاثة المتبقُّون نحو الجَنوب الشَّرقي.

بَعدها امتزجَ ليلهم بنهارهم، فكانوا ينامون فوق سُروجهم ولا يتوقَّفون إلَّا لإطعام وسقاء خيولهم، ثم يتحرَّكون من جديد. ركبوا بين الصُّخور العارية، ووسط غابات الصَّنوبر الكئيبة وأكوام الثَّلج القديم المتراكمة، وفوق الأخاديد الجليديَّة، وعبر أنهارٍ بلا أسماء. أحيانًا كان كورين أو ثعبان الحجر يعود دائرًا في حلقةٍ من ورائهم لطمْس آثارهم، وإن كان مجهودًا بلا طائل.

كانوا مراقَبين طيلة الوقت، وكلَّ فَجرٍ وغَسقٍ رأوا النَّسر يُحَلِّق في الأعالي بين القمم، لا يبدو أكبر من ذَرَّةٍ في السَّماء الشَّاسعة.

كانوا يصعدون من أخدودٍ واطئ بين قمَّتين مكلَّلتين بالثُّلوج، حين خرجَ قِطُّ ظِلٍّ مزمجرًا من عرينه على بُعد أقلّ من عشر ياردات. كان ضاوي الجسد ويكاد يَنفُق جوعًا، لكن مجرَّد مرآه أصابَ فَرس ثعبان الحجر بالهلع، فتراجعَت رافعةً قائمتيها الأماميَّتين وانطلقَت تفرُّ، وقبل أن يستطيع الجوَّال السَّيطرة عليها، تعثَّرت على المنحدَر الحاد وكسرَت ساقًا.

أكلَ جوست وجبةً هنيئةً يومها، وأصرَّ كورين على أن يخلطوا القليل من دم الفَرس بالشُّوفان ليُكسِبهم القوَّة. كادَ چون يختنق من مذاق ذلك الثَّريد الكريه، لكنه أجبرَ نفسه على ازدراده، ثم قطعَ كلٌّ منهم دستةً من شرائح اللَّحم النَّيئ من الجثَّة، ليمضغوه بينما يركبون، وتركوا البقيَّة لقِطط الظِّل.

لم يكن هناك سبيل لامتطاء اثنين منهم حصانًا واحدًا في الآن نفسه، فعرضَ ثعبان الحجر أن يجثم هنا في انتظار المطارِدين ويُباغِتهم حين يظهرون، فعلَّه يتمكَّن من أن يأخذ بعضًا منهم معه إلى الجحيم، لكن كورين رفضَ قائلًا: «إذا كان هناك رجل يستطيع النَّجاة في «أنياب الصَّقيع» بمفرده وسيرًا على الأقدام، فهذا الرَّجل أنت يا أخي. إنك تستطيع صعود جبالٍ لا يقدر الحصان إلَّا على الدَّوران من حولها. اذهب إلى «القبضة»، وأبلِغ مورمونت بما رآه چون، وكيف رآه. قُل له إن القُوى القديمة تستيقظ، إنه يُواجِه عمالقةً وأوْراجًا وما هو أسوأ، قُل له إن أعيُن الأشجار تتفتَّح من جديد».

لا فُرصة له، فكَّر چون إذ شاهدَ ثعبان الحجر يختفي فوق قمَّة أخدودٍ مغطَّاة بالثَّلج، حشرة سوداء دقيقة تزحف في البياض السَّرمدي المائج.

بَعد ذلك بدَت كلُّ ليلةٍ أكثر برودةً من سابقتها، وأكثر وحشةً. لم يكن جوست معهما طول الوقت، لكنه لم يبتعد كثيرًا كذلك، وحتى لمَّا افترقَ عن چون، كان يظلُّ يحسُّ بقُربه، الشَّيء الذي سرَّه. أمَّا ذو النِّصف يد فليس من ألطف النَّاس معشرًا، فقط تتأرجَح ضفيرته الشَّائبة الطَّويلة ببُطءٍ مع حركة حصانه، وتمضي ساعات طويلة دون أن يتفوَّه أحدهما بكلمةٍ واحدة، ولا صوت غير احتكاك حدوات الحصانين بالحجارة وصفير الرِّيح التي تهبُّ بلا

نهايةٍ وسط المرتفعات. في نومه لم يَحلُم چون، لا بالذِّئاب ولا بإخوته أو أيِّ شيء، فكان يقول لنفسه: حتى الأحلام نفسها لا تستطيع الحياة ها هنا.

والآن سألَه كورين ذو النِّصف يد من على الجانب الآخَر من النَّار المرتعشة: «هل سيفك حادٌّ يا چون سنو؟».

- «سيفي من الفولاذ الڤاليري. الدُّب العجوز أعطاني إيَّاه».

- «هل تَذكُر كلمات يمينك؟».

- «نعم». إنها ليست بالكلمات التي يُمكن أن ينساها الرَّجل، بمجرَّد أن تُرَدَّد فلا سبيل للتَّراجُع عنها. إنها تُغَيِّر حياتك إلى الأبد.

- «ردِّدها معي ثانيةً يا چون سنو».

قال: «ليكن»، وتمازجَ صوتاهما معًا حتى صارا واحدًا تحت القمر المرتفع، بينما أصغى جوست وشهدَت عليهما الجبال ذاتها. «اللَّيل يزداد حَلكةً، والآن تبدأ حراستي، ولن تنتهي حتى مماتي. لن أتَّخذ لنفسي زوجةً، أو أملك أرضًا، أو أنجب أبناءً، ولن أرتدي تاجًا أو أظفر بمجد، وسأعيشُ في موقعي وأموتُ فيه. أنا السَّيف في الظُّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تحترق لتَطرُد البَرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يوقظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بلدان البَشر. لحَرس اللَّيل أتعهَّدُ بحياتي وشَرفي، بدايةً من اللَّيلة وطوال جميع اللَّيالي القادمة».

حين انتهيا، لم يكن هناك صوت غير طقطقة اللَّهب وتنهُّد الرِّيح البعيد. فتحَ چون أصابعه المحروقة وأغلقَها، في عقله يتشبَّث بالكلمات ويُصَلِّي لأن تمنحه آلهة أبيه القوَّة فيموت بشَجاعةٍ لمَّا تحين ساعته. لن يطول الوقت، فقوَّة الحصانين تكاد تخور تمامًا، ويرتاب چون في قُدرة فَرس كورين على الصُّمود يومًا آخَر.

عندئذٍ كان اللَّهب في طريقه إلى الخُبُوِّ، والدِّفء ينسحب من جسديهما، فقال كورين: «ستهمد النَّار قريبًا، لكن إذا انهارَ «الجِدار»، فستخبو النِّيران كلها».

لم يُحِر چون جوابًا، فاكتفى بإيماءةٍ من رأسه.

قال الجوَّال: «ربما نستطيع الفرار منهم، أو لا نستطيع».

- «لستُ خائفًا من الموت». كان قوله نِصف صادقٍ نِصف كاذب.
- «قد لا تكون المسألة بتلك البساطة يا چون».
لم يفهم، فسألَه: «ماذا تعني؟».
- «إذا أوقَعوا بنا، فيجب أن تستسلم».
حدَّق فيه غير مصدِّقٍ، وردَّد: «أستسلمُ؟». الهَمج لا يأسرون الرِّجال الذين يُلَقِّبونهم بالغِربان، بل يَقتُلونهم، ما خلا... «إنهم لا يعفون إلَّا عن الحانثين باليمين الذين ينضمُّون إليهم، مِثل مانس رايدر».
- «ومِثلك».
هَزَّ رأسه قائلًا: «كلا، أبدًا، لن أفعل».
- «بل ستفعل. إنني آمُرك».
- «تأمُرني؟ لكن...».
- «شَرفنا لا يسوى أكثر من حياتنا ما دامَت البلاد آمنةً. أأنت رجل من حَرس اللَّيل؟».
- «نعم، لكن...».
- «ليس هناك لكن يا چون سنو، إمَّا أن تكون كذلك أو لا تكون».
شَدَّ چون قامته، وقال: «نعم».
- «اسمعني إذن. إذا أوقَعوا بنا، ستنشقُّ إليهم كما دعَتك الفتاة التي أسرتها من قبل. قد يَطالِبوك بأن تُمَزِّق معطفك، أن تُقسِم لهم بقبر أبيك، أن تلعن إخوانك وقائدك، فلا تَرفُض مهما طلبوا منك. افعل كما يقولون... لكن تذكَّر في قلبك مَن وماذا تكون. اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم طيلة ما يلزم من وقتٍ، وراقِب».
سألَه چون: «أراقبُ ماذا؟».
قال كورين: «ليتني أعلمُ. لقد رآهم ذئبك يَحفُرون في وادي النَّهر اللَّبني، فعمَّ كانوا يبحثون في مكانٍ مقفرٍ ناءٍ كهذا؟ وهل عثروا عليه؟ هذا ما يجب أن تعرفه قبل أن تعود إلى اللورد مورمونت وإخوانك، هذا هو الواجب الذي أكلِّفك به يا چون سنو».
قال چون على مضض: «سأفعلُ كما تقول، لكن... لكنك ستُخبِرهم،

أليس كذلك؟ ستُخبِر الدُّب العجوز على الأقل؟ ستُخبِره بأني لم أحنث بقَسمي؟».

رمقَه كورين ذو النِّصف يد عبر اللَّهب وقد غابَت عيناه في بركة ظلال، وقال: «أقسمُ أن أفعل حين أراه المرَّة القادمة»، وأشارَ إلى النَّار مردفًا: «أحضِر المزيد من الخشب. أريدُها أن تتلظَّى».

ذهبَ چون لتقطيع المزيد من الأغصان، وكسرَ كلًّا منها إلى نِصفين قبل أن يُلقيها في النَّار. كانت الشَّجرة ميتةً منذ زمنٍ طويل، لكن بدا كأنها عادَت إلى الحياة ثانيةً في ضوء النَّار، إذ دبَّت الحركةَ في راقصاتٍ من لهبٍ داخل كلِّ قطعةٍ من الخشب، أخذن يَدُرن ويتواثَبن في فساتين وهَّاجة من الأصفر والأحمر والبرتقالي.

ثم أعلنَ كورين فجأةً: «كفى. سنتحرَّك الآن».

كان الظَّلام سائدًا وراء النَّار، واللَّيلة قارسةً. «نتحرَّك؟ إلى أين؟».

قال كورين: «سنعود أدراجنا»، وامتطى حصانه مرَّةً أخرى متابعًا: «ستجتذبهم النَّار ويجتازونها في الاتِّجاه الآخَر كما آملُ. هلمَّ يا أخي».

عادَ چون يرتدي قُفَّازيه، ورفعَ قلنسوته، وبدا أن الحصانين نفسيهما كارهان للابتعاد عن النَّار. كانت الشَّمس قد رحلَت منذ فترةٍ طويلة، ولم يبقَ غير لمعة الهلال الفضِّيَّة الباردة لإضاءة طريقهما على الأرض الخدَّاعة التي تمتدُّ أمامهما. لا يدري ما يدور بذهن كورين، لكن لعلَّها فُرصة. يأمل هذا. لا أريدُ أن ألعب دور الحانث باليمين، حتى ولو لسببٍ وجيه.

تحرَّكا بحذرٍ وبقدر ما يستطيعه البَشر والخيول من صمت، واقتفيا آثارهما عودةً حتى بلغا مدخل مضيقٍ جبلي يَنبُع فيه جدول جليدي صغير من بين جبلين. تذكَّر چون المكان، فهنا سقيا الحصانين قبل مغيب الشَّمس.

قال كورين وهو ينعطِف: «الماء بدأ يتجمَّد. لولا هذا لخُضنا في المجرى، لكنهم قد يرون إذا كسرنا الجليد. ابقَ على مقربةٍ من الجُروف. ثمَّة انحناءة في الطَّريق بَعد نِصف ميل، ستُخفينا عن الأعيُن»، ثم دخلَ إلى المضيق، وألقى چون نظرةً بائسةً أخيرةً على نارهما البعيدة، ثم تبعَه.

كلما توغَّلا أكثر تدانَت الجروف من بعضها بعضًا على الجانبين، وقد تتبَّعا

شريط الجدول المُضاء بنور القمر إلى منبعه، بينما اكتسَت ضفَّتاه الحجريَّتان بكُتل الجليد، وإن ظَلَّ چون يسمع المياه تتدفَّق تحت الطَّبقة الصُّلبة الرَّقيقة.

سَدَّت أكوام ضخمة من الصُّخور السَّاقطة طريقهما بَعد مسافة، حيث انهار جزء من وجه الجُرف، لكن الحصانين الصَّغيرين واثقيَّ الخُطى تمكَّنا من شَقِّ طريقهما بنجاح، ووراء الصُّخور تلاصقَ جانبا الجبلين، وقادَهما الجدول إلى سفح شلَّال متحدِّر مرتفع، حيث يمتلئ الهواء بسديم من الرَّذاذ كأنفاس وحشٍ باردٍ عملاق، وتتوهَّج المياه السَّاقطة من أعلى بلونٍ فضِّي في نور القمر. تطَلَّع چون حوله بارتياع. ليس هناك سبيل للخروج. قد يتمكَّن وكورين من تسلُّق الجُرف، وإنما ليس بالحصانين، لكنه لا يحسب أنهما سيَنجُوان طويلًا سيرًا على الأقدام.

قال ذو النِّصف يد: «أسرِع»، وانطلقَ الرَّجل الكبير راكبًا الحصان الصَّغير فوق الأحجار الزَّلِقة كالجليد، واخترقَ السِّتار المائي مباشرةً وغابَ وراءه، وحين لم يُعاوِد الظُّهور، همزَ چون حصانه واندفعَ يتبعه. بذلَ حصانه قصارى جهده كي يَنكُص، لكن المياه السَّاقطة لطمتهما كقبضتين متجمِّدتين، وحبسَت صدمة البرد أنفاس چون في صدره.

ثم إنه عبرَ، غارقًا تمامًا ويرتعد حتى النُّخاع، لكنه عبرَ.

كان الصَّدع الذي في الصَّخرة يتَّسع بالكاد لمرور رجلٍ وحصان، لكن بَعده تتباعَد حوائط الصَّخر وتستحيل الأرض إلى رمالٍ ناعمة. أحسَّ چون بالرَّذاذ يتجمَّد وسط شَعر لحيته، وانبثقَ جوست من قلب الماء كالانفجار، ونفضَ القطرات عن فروه، وتشمَّم الظَّلام بشَك، ثم رفعَ ساقًا عند أحد الحوائط ووضعَ عليه علامته. كان كورين قد ترجَّل بالفعل، فحذا چون حذوه قائلًا: «كنت تعرف أن هذا المكان موجود».

- «حين كنتُ في سِنِّك، سمعتُ أخًا يحكي أنه اقتفى أثر قِطِّ ظِلٍّ عبر هذا الشلَّال»، وخلعَ سَرج فَرسه ولجامها، ومرَّر أصابعه في شَعر عُنقها الأشعث متابعًا: «ثمَّة طريق في قلب الجبل. إذا جاءَ الفَجر ولم يَعثُروا علينا، فسنُواصِل التقدُّم. المناوَبة الأولى لي يا أخي»، وجلسَ كورين على الرَّمل وأسندَ ظَهره إلى الحائط وقد بدا كمجرَّد ظِلٍّ أسود مبهم في عتمة الكهف، وبصوتٍ أعلى

من صوت المياه المتدفِّقة سمعَ چون فولاذًا يحتكُّ بالجِلد، ما يعني أن ذا النِّصف يد استلَّ سيفه.

خلعَ چون معطفه المبتلَّ، لكن البرد والرُّطوبة هنا أشدُّ من أن يخلع شيئًا آخَر من ثيابه، وتمدَّد جوست إلى جواره ولعقَ قُفَّازه قبل أن يتكوَّر على نفسه وينام، فشعرَ چون بالامتنان للدِّفء المنبعث من جسده. تساءلَ إن كانت النَّار لا تزال مشتعلةً في الخارج أم خمدَت. إذا انهارَ «الجدار»، فستخبو النِّيران كلها. تخلَّلت أشعة القمر ستار الماء السَّاقط راسمةً خَطًّا يلمع بشحوبٍ على الرَّمل، لكن بَعد فترةٍ بهتَ هذا الضَّوء أيضًا ثم خبا.

جاءَ النَّوم أخيرًا، ومعه الكوابيس. حلمَ بقلاع تحترق وأناسٍ موتى ينهضون مضطربين من قبورهم، وكان الظَّلام لم يزل سائدًا حين أيقظَه كورين. وبينما نامَ ذو النِّصف يد، جلسَ چون مسندًا ظَهره إلى جِدار الكهف، يُصغي لخرير الماء وينتظر الفَجر.

عندما طلعَ النَّهار، مضغَ كلٌّ منهما نِصف دستةٍ من شرائح لحم الخيل، ثم عادا يُزَوِّدان حصانيهما بالسَّرج واللِّجام، وثبَّتا معطفيهما الأسودين على أكتافهما. خلال مناوَبته صنعَ ذو النِّصف يد ستَّة مشاعل، وقد غمسَ حُزمًا من الطَّحالب المجفَّفة في الزَّيت الذي يحمله في جراب سَرجه، والآن أشعلَ الأول وقادَ الطَّريق المظلم رافعًا اللَّهب أمامه، وتبعَه چون مع الحصانين.

يلتفُّ الدَّرب الحجري ويعوجُّ، يهبط أولًا، ثم يصعد، ثم يهبط ثانيةً بانحدارٍ أكثر، وفي بقاعٍ بعينها كان ضيِّقًا للغاية لدرجة أن إقناع الحصانين بدَسِّ جسديهما عبره كان عصيًّا. قال لنفسه إذ تقدَّما: حين نَخرُج سنكون قد ضلَّلناهم، فالنُّسور نفسها لا تستطيع اختراق الحجارة المصمتة ببصرها. سيكونون قد فقدوا أثرنا، وسننطلق بأقصى سُرعةٍ إلى «القبضة» ونُخبِر الدُّب العجوز بكلِّ ما نعرفه.

لكن عندما خرجا إلى النُّور من جديدٍ بَعد ساعاتٍ طويلة، كان النَّسر جاثمًا في انتظارهما فوق شجرةٍ ميتة على منحدَرٍ يرتفع مئة قدم، فاندفعَ جوست صاعدًا على الصُّخور صوبه، لكن الطَّائر ضربَ الهواء بجناحيه وحلَّق مبتعدًا.

زَمَّ كورين شفتيه وهو يُتابِع النَّسر بعينيه، ثم أعلنَ: «هنا مكان مناسب كسواه

للتصدِّي لهم. مدخل الكهف يحمينا من أعلى، ولا يستطيعون المجيء من خلفنا إلّا بالمرور من قلب الجبل. هل سيفك حادٌّ يا جون سنو؟».

- «أجل».

- «سنُطعِم الحصانين. لقد خدمَنا المسكينان بشَجاعة».

أعطى حصانه آخِر ما معه من شوفان بينما ملَّس على عُرفه الأشعث، وراحَ جوست يتحرَّك متوتِّرًا بين الصُّخور. أحكمَ جون تثبيت قُفَّازيه على يديه وأخذَ يضمُّ أصابعه ويبسطها مفكِّرًا: أنا الدِّرع التي تقي بلدان البَشر.

تردَّد صوت بوق صيدٍ بين الجبال، وبَعد لحظةٍ سمعَ جون نباح كلاب الصَّيد، فقال كورين: «سيَبلُغوننا قريبًا. أبقِ ذئبك على مقربة».

نادى جون: «إليَّ يا جوست»، فعادَ الذِّئب الرَّهيب إلى جانبه على مضضٍ وقد انتصبَ ذيله في الهواء.

تدفَّق الهَمج من فوق مرتفَع يَبعُد أقلَّ من نِصف ميلٍ عنهما، وانطلقَت كلابهم تسبقهم، تلك الوحوش الرَّماديَّة والبنِّيَّة التي لا شَكَّ في جريان نسبةٍ لا بأس بها من دماء الذِّئاب في عروقها. كشَّر جوست عن أنيابه وقد نفشَ فروه، فغمغمَ جون: «اهدأ. اثبت».

سمعَ هفيف أجنحةٍ في الأعلى، ثم رأى النَّسر يحطُّ على بروزٍ صخريٍّ ويفتح منقاريه مطلقًا صرخةً ظافرةً.

اقتربَ الصيَّادون بحذر، خشية أن تنهال عليهم الأسهُم ربما، وأحصى جون أربعة عشرًا منهم وثمانية كلاب. كانت تُروسهم الدَّائريَّة الكبيرة مصنوعةً من الجِلد المشدود على الأماليد المجدولة، وعليها رسوم جماجم، وقد أخفى نِصفهم تقريبًا وجوههم وراء خوذاتٍ بدائيَّة من الخشب والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وعلى الجانبين ثبَّت رُماتهم السِّهام بأقواسٍ صغيرة مصنوعة من الأخشاب وقرون الحيوانات، وإن لم يُطلِقوها، بينما بدا البقيَّة مسلَّحين بالحراب والمطارق الثَّقيلة، وأحدهم يحمل فأسًا حجريَّةً ثلمةً. لم يكونوا يرتدون من الدُّروع غير ما استطاعوا سرقته من الجوَّالة الميتين أو نهبه في غاراتهم، فلا يُنَقِّب الهَمج عن المعادن أو يصهرونها، وشَمال «الجِدار» هناك حدَّادون قلائل ووِرش حدادةٍ أقلُّ.

استلَّ كورين سيفه الطَّويل. جزء من أسطورته تلك الحكاية التي تُروى عن تعليمه نفسه القتال بيده اليُسرى بَعدما فقدَ نِصف يُمناه، ويُقال إنه يُجيد المبارَزة الآن أفضل من السَّابق بمراحل. وقفَ چون كتفًا إلى كتفٍ مع الجوَّال الكبير وقد سحبَ مخلبه الطَّويل من غِمده، وعلى الرغم من ما في الهواء من برد، فقد لسعَ العَرق عينيه.

توقَّف الصيَّادون أسفل مدخل الكهف بعشر ياردات، وتقدَّم قائدهم بمفرده راكبًا حيوانًا يبدو جَديًا أكثر من حصان لفرط ثقة حركته على المنحدَر الوعر، وإذ اقتربَ الرَّجل ومطيَّته سمعَ چون كليهما يُخَشخِش. كان الاثنان مدرَّعيْن بالعظام؛ عظام غِربان وعظام خراف وعظام ماعز وثيران برِّيَّة وإلكة، وعظام الماموثات الضَّخمة... وعظام بَشريَّة كذلك.

رفعَ كورين عقيرته قائلًا بتهذيبٍ ببرودة الجليد: «ذو القميص المُخشخِش».

- «عند الغِربانِ اسمي سيِّد العظام». كانت خوذة الرَّجل مصنوعةً من جمجمة عملاقٍ مكسورة، وقد غطَّت مخالب الدِّببة المخيَّطة بالجِلد المقوَّى ذراعيه.

قال كورين ساخرًا: «لا أرى سيِّدًا، بل كلبًا يرتدي عظام الدَّجاج ويُخَشخِش حين يركب».

أطلقَ الهمجي هسيسًا غاضبًا، وتراجعَت مطيَّته رافعةً قائمتيها الأماميَّتين، فسمعَ چون الخشخشة الصَّادرة منه بوضوح. كانت العظام مركَّبةً على الخيوط بحيث تفصل بينها مسافات، فتخبَّط ببعضها بعضًا حين يتحرَّك وتُصدِر صوت الخشخشة. «قريبًا ستُخَشخِش عظامك أنت يا ذا النِّصف يد. سأسلقك حتى يتفسَّخ لحمك وأصنع سُترةً من ضلوعك. سأحفرُ أسنانك وأصنعُ منها قوالب لحروف اسمي، وآكلُ الثَّريد من جمجمتك».

- «إذا كنت تُريد عظامي، فتعالَ وخُذها».

أمَّا هذا فقد بدا ذو القميص المُخشخِش متردِّدًا في فِعله، فعدد مَن معه لا يعني الكثير في هذه المساحة الصَّخريَّة الضيِّقة التي اختارَها الأخوان الأسودان للتصدِّي لهم، ولاستدراجهما إلى خارج الكهف، فعلى الهَمج

أن يُهاجِموهما اثنين في المرَّة. على أن واحدةً من النِّساء المحاربات اللائي يُسَمِّيهن الهَمج الزَّوجات الحِراب تقدَّمت بحصانها إلى جواره، وصاحَت: «إننا أربعة وعشرة مقابل اثنين أيها الغُرابان، وهناك ثمانية كلابٍ مقابل الذِّئب. قاتِلا أو اهربا، سيان، إنكما لنا».

قال ذو القميص المُخشخِش آمرًا: «أريهم».

دَسَّت المرأة يدها في جوالٍ ملطَّخ بالدِّماء وأخرجَت تذكارًا. كان إبن أصلع كبيضة، فدَلَّت رأسه من الأذن، وقالت: «ماتَ بشَجاعة».

عقَّب ذو القميص المُخشخِش: «لكنه ماتَ، مِثلما ستموتان»، واستلَّ فأسه الحربيَّة ولوَّح بها مهدِّدًا فوق رأسه. كانت من الفولاذ الممتاز، ولنصليها لمعة خبيثة، فلم يكن إبن بالرَّجل الذي يتناسى العناية بأسلحته. تقدَّم الهَمج الآخَرون إلى جوار رفيقيهم رافعين أصواتهم بعبارات الاستفزاز، واختارَ بعضهم أن يهزأوا بچون، وقال شابٌّ ناحل رافعًا مِدرَسًا[1] حجريًّا على خشبته: «أهذا ذئبك يا ولد؟ سيُصبِح معطفي قبل غروب الشَّمس»، وعلى الجانب الآخَر من الصَّفِّ فتحَت زوجةٌ حربةٌ أخرى ثوبها الفرو المهترئ تُري چون ثديًا أبيض عامرًا، وقالت: «هل يُريد الرَّضيع أمَّه؟ تعالَ ومُصَّ هذا يا ولد». حتى الكلاب كانت تنبح.

قال كورين: «يُريدون أن نُصاب بالخجل فنتصرَّف بحماقةٍ»، ثم رمقَ چون بنظرةٍ طويلةٍ وأردفَ: «تذكَّر أوامرك».

هدرَ ذو القميص المُخشخِش رافعًا صوته فوق الضجَّة: «يبدو أن علينا أن ندفع الغُرابين إلى الخروج. أمطِروا ريشهما بريش السِّهام!».

- «لا!». تفجَّرت الكلمة من فم چون قبل أن يُطلِق الرُّماة سهامهم، وتقدَّم خطوتين مضيفًا: «إننا نستسلم!».

سمعَ كورين ذا النِّصف يد يقول من ورائه: «حذَّروني من أن الجبن يسري في عروق النُّغول بدلًا من الدَّم، والآن أرى هذا. اجرِ إلى سادتك الجُدد أيها الرِّعديد».

---

(1) المِدرَس سلاح قديم يتكوَّن من عمودٍ طويلٍ من الخشب، يتدلَّى منه رأس أسطواني شائك حُر الحركة.

بوجهٍ محتقن نزلَ چون المنحدَر إلى حيث يجلس ذو القميص المُخشخِش فوق حصانه، وحدَّق فيه الهمجي عبر محجريِّ العينين في خوذته الجمجمة، وقال: «لا حاجة لدى شعب الأحرار إلى الجُبناء».

- «ليس جبانًا»، قالت واحدة من الرُّماة، وخلعَت خوذتها المصنوعة من جِلد الخروف المخيَّط، وهزَّت رأسها لينسدل شَعرها الأحمر الأشعث، وأضافَت: «هذا نغل وينترفل الذي أبقى على حياتي. دَعه يعيش».

والتقَت عينا چون بعيني إيجريت دون أن يجد ما يقوله.

قال سيِّد العظام بإصرار: «اترُكيه يموت. الغُراب الأسود طائر ختَّار، ولا أثقُ به».

على صخرةٍ فوقهم خفقَ النَّسر بجناحيه وشَقَّ الهواء بصرخةٍ غاضبة، فقالت إيجريت: «الطَّائر يبغضك يا چون سنو، ولديه كلُّ الحَق. كان رجلًا قبل أن تَقتُله».

بصدقٍ قال چون محاولًا تذكُّر ملامح الرَّجل الذي قتلَه في الممر: «لم أكن أعلم... قلتِ لي إن مانس سيأخذني».

قالت إيجريت: «وسيفعل».

قال ذو القميص المُخشخِش: «مانس ليس هنا. راجوايل، ابقُري بطنه».

ضيَّقت الزَّوجة الحربة عينيها قائلةً: «إذا أرادَ الغُراب الانضمام إلى شعب الأحرار، فليُرنا بأسه ويُثبِت صِدقه».

خرجَت منه الكلمات بصعوبة، لكنه قالها: «سأفعلُ أيَّ شيءٍ تَطلُبون».

تصادمَت عظام دِرع ذي القميص المُخشخِش ببعضها بعضًا بصوتٍ عالٍ إذ ضحكَ وقال: «اقتُل ذا النِّصف يد إذن أيها النَّغل».

قال كورين: «كأنه يستطيع. استدِر يا سنو ومُت».

ثم وجدَ سيف كورين يهوي عليه، وبوسيلةٍ ما وثبَ «المخلب الطَّويل» إلى أعلى يصدُّ الضَّربة، فكادَت الصَّدمة تُطَوِّح السَّيف النغل من يد چون وأجبرَته على التَّراجُع مترنِّحًا. لا تَرفُض مهما طلبوا منك. أطبقَ على مقبض سيفه بكلتا يديه بسرعةٍ تكفي لتسديد ضربته، لكن الجوَّال الكبير أزاحَ نصله جانبًا بمنتهى السُّهولة. كَرَّ الاثنان وفَرَّا، يدور معطفاهما الأسودان في الهواء،

سُرعة ورشاقة الشَّاب ضد قوَّة ضربات يد كورين اليُسرى الضَّارية، حتى بدا كأن سيف ذي النِّصف يد في كلٍّ مكانٍ في آنٍ واحد، يُمطِره بالضَّربات من هذا الجانب وذاك، يدفعه إلى التَّقهقُر إلى حيث يُريد، لا يسمح له لحظةً بالحفاظ على توازُنه، وسرعان ما شعرَ چون بالخدر يسري في ذراعيه.

حتى عندما أطبقَ جوست فكَّيه على رَبلة ساق الجوَّال بشراسة، ظَلَّ كورين قادرًا بشكلٍ ما على الوقوف، لكن في تلك اللَّحظة، وبينما التوى، لاحَت الثَّغرة، وزرعَ چون قدميه في الأرض ودارَ مسدِّدًا ضربته، فمالَ الجوَّال بعيدًا، وطيلة لحظةٍ واحدة بدا كأن سيف چون لم يمسَّه، قبل أن يلوح شِقٌّ في حَلق الرَّجل الكبير، تسيل منه الدُّموع الحمراء لامعةً كقلادةٍ من الياقوت، وانبجسَت الدِّماء، وسقطَ كورين ذو النِّصف يد.

كان الأحمر يَقطُر من خَطم جوست، لكن رأس السَّيف النَّغل وحده تلوَّث بالدَّم، آخِر نِصف بوصةٍ منه بالتَّحديد. سحبَ چون الذِّئب الرَّهيب بعيدًا وركعَ مطوِّقًا إياه بذراعه. كان النُّور يخبو في عينيٍّ كورين بالفعل وهو يُتَمتِم رافعًا يده منقوصة الأصابع: «... حاد»، ثم سقطَت يده، وفارقَته الحياة.

قال چون لنفسه كالمخدَّر: كان يعرف، كان يعرف ما سيطلُبوه مني. ثم إنه وجدَ نفسه يُفَكِّر في ساموبل تارلي، وجرن، وإد الكئيب، وفي پيپ وتودر في القلعة السَّوداء. هل فقدَهم جميعًا كما فقدَ بران وريكون وروب؟ مَن يكون الآن؟ ماذا يكون؟

سمعَ أحدهم يقول: «أنهِضوه»، فجَرَّته يدان خشنتان إلى أعلى حتى وقفَ دون أن يُقاوِم. «ألك اسم؟».

أجابَت إيجريت نيابةً عنه: «اسمه چون سنو. إنه من دم إدارد ستارك سيِّد وينترفل».

ضحكَت راجوايل قائلةً: «من كان يتخيَّل أن يُقتَل كورين ذو النِّصف يد بيد نغل لوردٍ تافهٍ ما».

قال ذو القميص المُخشخِش من فوق حصانه: «اقتُلوه»، وطارَ النَّسر إليه وجثمَ فوق خوذته العظميَّة، وصاحَ بصوتٍ رفيعٍ حاد.

ردَّت إيجريت مذكِّرةً إياهم: «لقد استسلمَ».

قال رجلٌ قصيرٌ دميمٌ يرتدي خوذةً حديديَّة قصيرةً زحفَ عليها الصَّدأ: «نعم، وقتلَ أخاه».

تقدَّم ذو القميص المُخشخِش ليرتفع صوت عظامه، وقال: «الذِّئب قامَ بعمله بدلًا منه. كان تصرُّفًا غادرًا، وموت ذي النِّصف يد كان من نصيبي».

قالت راجوايل ساخرةً: «كلنا رأينا كم كنت متلهِّفًا على قتله».

قال سيِّد العظام: «إنه وارْج، وغُراب، ولا يروقني».

ردَّت إيجريت: «قد يكون وارْجًا، لكن منذ متى يُخيفنا هذا؟»، فصاحَ آخَرون مؤيِّدين، ووراء فتحتي العينين في الجمجمة المصفرَّة كانت نظرة ذي القميص المُخشخِش ملأى بالحقد، لكنه أذعنَ رغمًا عنه، ففكَّر چون: إنهم شعب من الأحرار حقًّا.

أشعَلوا النَّار في جثَّة كورين ذي النِّصف يد حيث سقطَ، وقد صنعوا له محرقةً مصنوعةً من إبر الصَّنوبر والأغصان والفروع المكسورة. كان القليل من الخشب لا يزال أخضر، لكنه احترقَ ببُطءٍ وتصاعدَ منه عمود أسود من الدُّخان الكثيف إلى زُرقة السَّماء القاسية، وبَعد ذلك أخذَ ذو القميص المُخشخِش بعض العظام المتفحِّمة، بينما ألقى الآخَرون النَّرد ليروا مَن سينال ماذا من عتاد الجوَّال، وفازَت إيجريت بمعطفه.

سألَها چون: «هل سنعود إلى «الممر الصَّادح»؟». لا يدري إن كان يقوى على مواجَهة تلك المرتفعات ثانيةً، أو إن كان حصانه سيتحمَّل عبورها مرَّةً أخرى.

قالت: «كلا، فلا شيء وراءنا»، وحدجَته بنظرةٍ حزينةٍ متابعةً: «في هذه الغضون سيكون مانس قد قطعَ شوطًا طويلًا على طريق النَّهر اللَّبني. إنه في الطَّريق إلى جِداركم».

بران

تساقطَ الرَّماد كنُدفٍ من الثَّلج القاتم النَّاعم.

مشى فوق الإبر الجافَّة والأوراق البنِّيَّة إلى حافة الغابة، حيث تقلُّ أشجار الصَّنوبر وتتباعَد عن بعضها بعضًا، ووراء الحقول المفتوحة رأى أكوام صخور الإنسان العظيمة تتصدَّى لألسنة اللَّهب المتراقصة حولها بصلابة، وقد هبَّت الرِّيح ساخنةً غنيَّةً برائحة الدِّماء واللَّحم المحروق، قويَّة للغاية حتى إنها أسالَت لُعابه.

لكن إذ شَدَّتهما رائحة واحدة إلى التقدُّم، دفعَتهما روائح أخرى عدَّة إلى المكوث، فراحَ يتشمَّم الهواء. بَشر، بَشر كثيرون، وخيل كثيرة، ونار ونار ونار. لا رائحة أخطر من رائحة النَّار، ولا حتى الرَّائحة الباردة التي تفوح من الحديد، رائحة مخالب الإنسان والجلد الصُّلب. غشى الدُّخان والرَّماد عينيه، وفي السَّماء رأى ثعبانًا مجنَّحًا هائل الحجم، زئيره نهر من لهب، فكشفَ أسنانه، لكن الثُّعبان اختفى، ووراء الجُروف كانت الحرائق الأجَّاجة تلتهم النُّجوم.

طقطقَت النِّيران طيلة اللَّيل، وفي مرَّةٍ دوَّى صوت ارتطام عنيف جعلَ الأرض تثب إلى أعلى تحت أقدامه، ونبحَت الكلَّاب وأنَّت، وصرخَت الخيول رُعبًا، واخترقَ العُواء هواء اللَّيل، عُواء قطيع الإنسان، ولولة الخوف والصِّياح الضَّاري. أرهفَ أذنيه وأصغى، وأخذَ أخوه يُزَمجِر مع كلِّ صوت، وطافا تحت الأشجار بينما ذرَت الرِّياح الصَّنوبريَّة الرَّماد والجمار إلى السَّماء، وحين أتى الصَّباح أشرقَت الشَّمس رماديَّةً داخنةً.

عندئذٍ فقط تقدَّم من تحت الأشجار، وتحرَّك على مهلٍ عبر الحقول،

ومعه أخوه الذي انجذبَ إلى رائحة الدَّم والموت، فخطيا بصمتٍ وسط الأوكار التي بناها الإنسان بالخشب والكلأ والطِّين، كثير منها محترق وكثير منها متهدِّم، بينما ظَلَّ بعضها قائمًا كما كان، لكنهما لم يريَا أو يشمَّا رائحة إنسانٍ حَيٍّ في أيِّ مكان، فيما اكتسَت الجُثث بالغِربان، وحلَّقت ناعقةً حين اقتربَ مع أخيه، وانسحبَت الكلاب البرِّيَّة من أمامهما.

أسفلِ الجُروف الرَّماديَّة الضَّخمة كان حصان يحتضر بصوتٍ مزعج، يُكافح للنُّهوض على ساقٍ مكسورة، ويَسقُط صارخًا. دارَ أخوه حول الحصان، ثم مزَّق حَلق فريسته بينما ركلَت بوهنٍ ودارَت عيناها في محجريهما. عندما اقتربَ من الجثَّة، نهشَ أخوه الهواء في وجهه وأرجعَ أُذنيه إلى الوراء، فضربَه بقائمته الأماميَّة وعَضَّ ساقه، وتشاجَرا إلى جوار جثَّة الحصان وسط العُشب والتُّراب والرَّماد المتساقط، حتى تدحرجَ أخوه على ظَهره مستسلمًا وقد دَسَّ ذيله تحت مؤخِّرته، فعضَّه مرَّةً أخرى في عُنقه المكشوف، ثم أكلَ وتركَ أخاه يأكل، ولعقَ الدَّم عن فروه الأسود.

كان المكان المظلم يجتذبه الآن، بيت الهمسات حيث البَشر كلهم عميان. أحسَّ بأصابع المكان الباردة تزحف على جسده، ورائحته الحجريَّة كانت همسةً تسلَّلت إلى داخل أنفه، فراحَ يُقاوِم الجاذبيَّة. إنه لا يُحِبُّ الظَّلام، إنه ذئب، صيَّاد ومتربِّص وقاتل، ومكانه مع إخوته وأخواته في أعماق الغابات، يَركُض حُرًّا طليقًا تحت نجوم السَّماء. جلسَ على قائمتيه الخلفيَّتين ورفعَ رأسه وعوى صارخًا: لن أذهب. إنني ذئب. لن أذهب، وعلى الرغم من ذلك ازدادَت حَلكة الظَّلام حتى كسَت عينيه وأفعمَت أنفه وسدَّت أُذنيه، فلم يَعُد يقدر على الرُّؤية أو الشَّمِّ أو السَّمع أو الرَّكض، وتلاشَت الجُروف الرَّماديَّة، وتلاشى الحصان الميت، وتلاشى أخوه، والآن كلُّ شيءٍ أسود وساكن وأسود وبارد وأسود وميت وأسود...

كان الصَّوت يهمس بخفوت: «بران. بران، عُد، عُد الآن. بران، بران...».

أغلقَ عينه الثَّالثة وفتحَ العينين الأخريين، العينين القديمتين الكفيفتين. في المكان المظلم كلُّ البَشر عميان، لكن أحدهم كان يُعانِقه، وأحسَّ بذراعين حوله ودفء جسدٍ ملتصق به، وسمعَ هودور يُدَندِن لنفسه بصوتٍ خفيض: «هودور، هودور، هودور».

كان صوت ميرا الذي قال: «بران... كنت تتلوَّى وتُصدِر أصواتًا رهيبةً. ماذا رأيت؟».

- «وينترفل». شعرَ بلسانه ثقيلًا غريبًا في فمه، ففكَّر: ذات يوم حينما أعودُ، لن أدري كيف أتكلَّم ثانيةً. «رأيتُ وينترفل. كانت تحترق. شممتُ رائحة خيولٍ وفولاذٍ ودماء. لقد قتَلوا الجميع يا ميرا».

شعرَ بيدها على وجهه تُزيح شَعره إلى الوراء وهي تقول: «إنك غارق في العَرق. هل تُريد أن تشرب؟».

وافقَها: «أشربُ»، فرفعَت قِربةً إلى شفتيه، وابتلعَ بران الماء بسُرعةٍ شديدة حتى إنه سالَ من رُكن فمه. دائمًا يَشعُر بالضَّعف والظَّمأ حين يعود، وبالجوع أيضًا. تذكَّر الحصان المحتضر ومذاق الدَّم في فمه ورائحة اللَّحم المحروق في هواء الصَّباح، وتساءلَ: «كم غبتُ؟».

أجابَه چوچن: «ثلاثة أيام». كان الصَّبي قد اقتربَ بخطواتٍ غير مسموعة، أو أنه كان هناك من البداية، ففي هذا العالم الأسود الأعمى لا يعرف بران الفرق. «كنا خائفين عليك».

قال بران: «كنتُ مع سَمر».

- «فترةً طويلةً للغاية. ستُميت نفسك جوعًا هكذا. ميرا قطَّرت القليل من الماء في حَلقك، ودهنَّا شفتيك بالعسل، لكن هذا لا يكفي».

رَدَّ بران: «لقد أكلتُ. اصطَدنا إلكةً، واضطررنا لطرد قطِّ أشجارٍ حاولَ أن يسرقها». كان القِطُّ ذا لونٍ أسمر ضارب إلى الصُّفرة ومرقَّطًا بالبنِّي، لا يتعدَّى حجمه نِصفَ حجم ذئبٍ رهيب، وإن لم تعوزه الشَّراسة، وتذكَّر بران رائحته العطريَّة، والطَّريقة التي زَامَ بها في وجهيهما من فوق غُصن شجرة البلُّوط.

قال چوچن: «الذئب أكلَ، وليس أنت. توخَّ الحذر يا بران. تذكَّر مَن تكون».

يتذكَّر مَن يكون جيِّدًا جدًّا. إنه بران الصَّبي، بران المكسور. بران الحيواني بالأحرى. أمِن العجيب بأيِّ شكلٍ إذن أن يُؤثِر الغياب في أحلامه بسَمر، في أحلام الذِّئاب؟ هنا، في دياجير المقبرة الباردة الرَّطبة، تفتَّحت عينه الثَّالثة أخيرًا، ويستطيع الآن أن يَبلُغ سَمر متى شاءَ، بل وفي مرَّةٍ استطاعَ أن يَبلُغ جوست كذلك ويُكَلِّم چون، وإن كان هذا مجرَّد حُلم عادي ربما. إنه لا يفهم لماذا يُحاوِل چوچن دائمًا أن يُوقِظه من أحلامه الآن. اعتمدَ بران على قوَّة

ذراعيه ليزحف إلى الوراء فيجلس، وقال: «يجب أن أُخبر أوشا بما رأيته. أهي هنا؟ أين ذهبَت؟».

أجابَته الهمجيَّة بنفسها: «أنا هنا يا سيِّدي. لقد اكتفيتُ من التخبُّط في الظَّلام»، وسمعَ بران احتكاك كعبي حذاءٍ بالحجر، فأدارَ رأسه صوب الصَّوت، ولم يرَ شيئًا. حسبَ أنه يشمُّ رائحتها، لكنه ليس واثقًا، فجميعهم رائحتهم كريهة، وهو لا يملك أنف سَمر ليُمَيِّز بين رائحة شخص وأخرى. واصلَت أوشا: «ليلة أمس تبوَّلتُ على قدم ملك، أو هذا الصَّباح ربما، مَن يدري؟ كنتُ نائمةً، لكني استيقظتُ». كلهم ينام كثيرًا، وليس بران فقط، فلا شيء آخَر يفعلونه، لا شيء غير النَّوم والأكل والنَّوم ثانيةً، وأحيانًا القليل من الكلام... لكن ليس كثيرًا، وهمسًا فقط على سبيل الاحتياط. كانت أوشا تُفَضِّل ألَّا يتكلَّموا على الإطلاق، وإن لم يكن هناك سبيل لإسكات ريكون أو منع هودور من أن يُتَمتِم: «هودور، هودور، هودور» لنفسه بلا انقطاع.

قال بران وهو يسمع وقع أنفاس ريكون الهادئ قادمًا من مكانٍ ما إلى يساره: «أوشا، لقد رأيتُ وينترفل تحترق».

قالت أوشا: «حُلم».

- «حُلم ذئبي. شممتُ الرَّائحة أيضًا. لا شيء رائحته قويَّة كالحرائق والدَّم».

- «دم مَن؟».

- «النَّاس والخيول والكلاب، الجميع. يجب أن نذهب ونرى».

ردَّت أوشا: «لا أملكُ غير هذا الجلد الهزيل على جسمي، وإذا أوقعَ بي أمير السَّمك إياه، فسيُجَرِّدني منه بسوطه».

عثرَت يد ميرا على يد بران في الظَّلام، واعتصرَت أصابعه وهي تقول: «سأذهبُ إذا كنتِ خائفةً».

سمعَ بران صوت أصابع تُنَقِّب في شيءٍ ما مصنوع من الجِلد، ثم تبعَه صوت احتكاك الفولاذ بالصوَّان، مرَّةً وثانيةً، ثم طارَت شرارة في الهواء وتأجَّجت، فنفخَت أوشا بهدوء، وسرعان ما استيقظَت النَّار كعمودٍ شاحب طويل، فبدَت كفتاةٍ تشبُّ على أصابع قدميها، وفوق اللَّهب سبحَ وجه أوشا، ثم إنها مسَّته برأس المشعل، فضيَّق بران عينيه وقد بدأ القار يحترق مالئًا العالم بالوهج البرتقالي، وأيقظَ الضَّوء ريكون، فاعتدلَ متثائبًا.

حين تحرَّكت الظِّلال، بدا لحظةً كأن الموتى يستيقظون بدورهم.

ليانا وبراندون، وأبوهما اللورد ريكارد، وأبوه اللورد إدوايل، واللورد ويلام وأخوه اللورد آرتوس العنيد، واللورد دونور واللورد بيرون واللورد رودويل، واللورد چونل الأعور، واللورد بارث واللورد براندون، واللورد كريجان الذي حاربَ الفارس التنِّين—جلسوا جميعًا على مقاعدهم الحجريَّة وعند أقدامهم ذئاب من حجر. إلى هنا يأتون عندما يتسرَّب دفء الحياة من أجسادهم، إلى قاعة الموتى المظلمة التي يخشى الأحياء وطأها.

وفي ثغر المقبرة الفارغة التي تنتظر اللورد إدارد ستارك، وتحت تمثاله الجرانيتي المهيب، تلملمَ الهاربون الستَّة حول مخزونهم الضَّئيل من الخُبز والماء واللَّحم المجفَّف.

غمغمَت أوشا وهي تتطلَّع إلى المؤن: «لم يتبقَّ الكثير. كان عليَّ أن أصعد لأسرق طعامًا على كل حال، وإلَّا كنا سنضطرُّ لأن نأكل هودور».

قال هودور مانحًا إياها ابتسامةً واسعةً: «هودور».

تساءلَت أوشا: «أهو اللَّيل أم النَّهار في الأعلى؟ لم أعد أدري الفارق».

أجابَها بران: «النَّهار، لكن الجَوَّ معتم من فرط الدُّخان».

- «هل سيِّدي واثق؟».

دون أن يُحَرِّك جسده المكسور، مَدَّ وعيه إلى الخارج، فازدوجَت بصيرته وهلةً. ها هي أوشا تقف حاملةً المشعل، وها هي ميرا وچوچن وهودور، وصَفًّا الأعمدة الجرانيت الطَّويلة، ومن ورائها اللوردات الموتى يمتدُّون حتى يبتلعهم الظَّلام... لكن ها هي وينترفل أيضًا، رماديَّة تملأها الأدخنة، والبوَّابات الهائلة المصنوعة من الحديد والسَّنديان متفحِّمة وملتوية، والجسر المتحرِّك منزَل وسط كومةٍ من السَّلاسل المكسورة والألواح المفقودة، بينما تطفو الجُثث في الخندق كجُزرٍ تحطُّ عليها الغِربان.

أعلنَ بران: «واثق».

فكَّرت أوشا لحظات، ثم قالت: «سأجازفُ بإلقاء نظرةٍ إذن. أريدكم أن تكونوا قريبين مني جميعًا. ميرا، أحضِري سلَّة بران».

سألَ ريكون بحماسة: «هل سنعود إلى البيت؟ أريدُ حصاني، وأريدُ كعكات التُّفَّاح والزُّبد والعسل، وأريدُ شاجي. هل سنذهب إلى شاجيدوج؟».

قال بران: «نعم، لكن عليك أن تلزم السُّكون».

ثبَّتت ميرا السلَّة المصنوعة من الأماليد المجدولة على ظَهر هودور، وساعدَت على رفعِ بران إليها مُدخلةً ساقيه عديمتي الفائدة في الفتحتين. كانت معدته متهيِّجة، فمع أنه يعلم ما ينتظرهم في الأعلى، إلَّا أن خوفه لم يقلَّ مقدار ذرَّة. حين تحرَّكوا، التفتَ يُلقي نظرةً أخيرةً على أبيه، وبدا لبران أن في عينيِّ اللورد إدارد حُزن عميق، كأنه لا يُريدهم أن يرحلوا، ففكَّر: يجب أن نذهب. لقد حانَ الوقت.

حملَت أوشا حربتها البلُّوط الطَّويلة بيدٍ والمشعل بالثَّانية، وقد تدلَّى سيف بلا غِمدٍ على ظَهرها، أحد آخِر السُّيوف التي تحمل علامة ميكن، وكان قد صنعَه من أجل قبر اللورد إدارد كي يَرقُد شبحه في سلام... لكن بَعد مقتل ميكن، ولأن الرِّجال الحديديِّين يَحرُسون مستودَع السِّلاح، كان من العسير مقاوَمة الاستحواذ على فولاذٍ جيِّد، حتى إن كان ذلك يعني سرقة القبور. حصلَت ميرا على سيف اللورد ريكارد، وإن اشتكَت من ثِقله الشَّديد، بينما أخذَ براندون سيف سميِّه، ذلك الذي صُنِعَ لعَمِّه الذي لم يعرفه قَطُّ، لكن على الرغم من هذا بَثَّ فيه وجود السِّلاح في يده شعورًا بالاطمئنان.

لكنها مجرَّد لُعبة، وبران يعلم هذا.

تردَّدت أصداء خطواتهم في السَّراديب الغائرة، ومن ورائهم ابتلعَت الظِّلال أباه كما انسحبَت الظِّلال من أمامهم مفصحةً عن تماثيل أخرى، ليست مجرَّد تماثيل لوردات، بل ملوك الشَّمال القُدامى، الذين يضعون التِّيجان الحجريَّة على رؤوسهم: تورين ستارك الملك الذي ركعَ، وإدوين ملك الرَّبيع، وثيون ستارك الذِّئب الجائع، وبراندون الحارق وبراندون السفَّان، وچورا وچونوس وبراندون السيِّئ، ووالتون ملك القمر، وإديريون العريس، وإيريون، وبنچن الحُلو وبنچن المُر، والملك إدريك ذو اللِّحية الثَّلجيَّة. وجوههم جميعًا قويَّة صارمة، وبعضهم اقترفَ فعلاتٍ شنيعة، لكنهم من آل ستارك كلهم، وبران يعرف حكاياتهم كافَّة. إنه لم يخشَ السَّراديب قَطُّ، فهي جزء من بيته وكيانه، ولطالما عرفَ أنه سيُسَجَّى هنا ذات يوم أيضًا.

إلَّا أنه لم يَعُد واثقًا الآن. إذا صعدتُ، فهل سأنزلُ ثانيةً؟ أين سأذهبُ حين أموتُ؟

- «انتظِروا»، قالت أوشا عندما بلغوا السَّلالم الحجريَّة الملتفَّة التي تُفضي إلى السَّطح، وإلى المستويات الأخرى الأعمق حيث لا يزال ملوك أقدم

وأعتق يجلسون على عروشهم القاتمة. ناولَت ميرا المشعل قائلةً: «سأتلمَّسُ طريقي إلى أعلى».

سمعوا وقع خطواتها بعض الوقت، لكنه أخذَ يخبو ويخبو حتى تلاشى تمامًا، وقال هودور بعصبيَّة: «هودور».

كان بران قد ردَّد لنفسه مئة مرَّة كم يكره الاختباء في غياهب الظَّلام في الأسفل، كم يتوق لرؤية الشَّمسِ من جديدٍ، ولأن يركب حصانه في الرِّيح والمطرِ، لكن الآن وقد دنَت اللَّحظة، تمكَّن منه الخوف. لقد شعرَ بالأمان في الظُّلمة، فحين لا تستطيع أن ترى يدك نفسها أمام وجهك، فمن السَّهل أن تعتقد أن لا عدوَّ يُمكنه أن يَعثُر عليك، كما أن اللوردات الحجريِّين منَحوه الشَّجاعة، وحتى عندما لم يستطِع رؤيتهم كان يعلم أنهم موجودون.

بدا أن وقتًا طويلًا مَرَّ دون أن يسمعوا صوتًا آخَر، وبدأ بران يتوجَّس خيفةً من أن شيئًا جرى لأوشا، بينما تململَ أخوه وقال بصوتٍ عالٍ: «أريدُ أن أعود إلى البيت!»، وأخذَ هودور يرفع رأسه ويخفضه مردِّدًا: «هودور». ثم إنهم سمعوا وقع الأقدام يقترب مجدَّدًا، وبَعد دقائق قليلة خطَت أوشا في الضَّوء بملامح مكفهرَّة، وقالت: «شيء ما يسدُّ الباب، ولا أستطيعُ تحريكه».

قال بران: «هودور يستطيع تحريك أيِّ شيء».

رمقَت أوشا عامل الاسطبلات الضَّخم بنظرة تقييم، ثم قالت: «ربما يستطيع. هيا بنا إذن».

كانت السَّلالم ضيِّقةً، فصعدوا في طابورٍ مفرد، تقودهم أوشا، ووراءها هودور وبران على ظهره وقد طأطأ رأسه كي لا يصطدم بالسَّقف، ثم ميرا حاملةً المشعل، وبَعدها چوچن في المؤخِّرة ممسكًا بيد ريكون. داروا وداروا، وإلى أعلى وأعلى صعدوا، وخُيِّلَ لبران أنه يشمُّ رائحة الدُّخان بالفعل، لكن لعلَّه دخان المشعل لا أكثر.

كان باب السَّراديب مصنوعًا من خشب الصُّلب، قديمًا وثقيلًا للغاية، ويرتفع بزاويةٍ مائلة، كما لا يستطيع غير شخص واحد الاقتراب منه في المرَّة. حاولَت أوشا أن تدفعه مجدَّدًا حين بلغَته، لكنَّ بران رأى أنه لم يتزحزَح، فقال: «دَعي هودور يُجرِّب». أولًا كان عليهم أن يرفعوا بران من السلَّة كي لا ينسحق جسده، فقرفصَت ميرا إلى جواره على الدَّرجات واضعةً ذراعها على كتفيه، بينما تبادلَت أوشا وهودور الأماكن، وقال بران: «افتح الباب يا هودور».

بسطَ عامل الاسطبلات الضَّخم كَفَّيه ووضعَهما على الباب ودفعَه مطلقًا أنينًا. «هودور؟». وهوى بقبضته على الخشب، فلم يتحرَّك قيد أنملة. «هودور».

قال بران بلهفة: «استخدِم ظَهرك وساقيك».

استدارَ هودور وأسندَ ظَهره إلى الخشب ودفعَ، مرَّةً، ثم ثانيةً، وقال: «هودور!»، ثم إنه وضعَ قدمًا على درجةٍ أعلى، فأصبحَ منحنيًا تحت ميْل الباب وحاولَ أن يصعد أكثر، وهذه المرَّة صَرَّ الخشب وطقطقَ، فصاحَ: «هودور!»، وصعدَت القدم الأخرى خطوةً، وباعدَ هودور بين ساقيه، وثبَّت نفسه وشَدَّ قامته، وقد احتقنَ وجهه بالدِّماء ورأى بران أوتار رقبته تَبرُز وهو يُكافح الثِّقل الهائل من فوقه مردِّدًا: «هودور هودور هودور هودور هودور هودور!». من السَّطح سمعوا هديرًا خافتًا، ثم وثبَ الباب إلى أعلى وسقطَ عمود من نور النَّهار على وجه بران فأعماه لحظةً. دَفعة أخرى نجمَ عنها صوت أحجارٍ تتحرَّك، ثم انفتحَ الطَّريق، فرفعَت أوشا حربتها وخرجَت، ودَسَّ ريكون نفسه بين ساقي ميرا وتبعَ الهمجيَّة، قبل أن يفتح هودور الباب عن آخِره ويَخرُج إلى السَّطح، بينما حملَ الأخوان ريد بران وصعدا به الدَّرجات القليلة المتبقية.

كانت السَّماء رماديَّةً شاحبةً، ودوَّامات الدُّخان تدور في كلِّ مكانٍ حولهم.

وقفوا في ظِلِّ القلعة الأولى، أو ما تبقَّى منها بالأحرى. كان جانب كامل من المبنى قد انفصلَ وسقطَ، وتناثرَت الأحجار والكراجل المحطَّمة على أرض السَّاحة، ففكَّر بران حين رآها: سقطَت حيث سقطتُ. كان بعض الكراجل محطَّمًا إلى قطع عديدة للغاية، حتى إن بران تساءلَ كيف ظَلَّ حيًّا بَعد سقطته. على مقربةٍ كانت الغِربان تَنقُر جثَّةً سحقَها حجر منهار، وإن انقلبَت على وجهها فلم يعرف هويَّة صاحِبها.

منذ مئات السِّنين والقلعة الأولى مهجورة، لكنها بدَت الآن هيكلًا فارغًا أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، وقد احترقَت الأرضيَّات في داخلها وكلُّ العوارض الخشبيَّة، ورأوا الغُرف -وحتى المراحيض- حيث سقطَ الجدار، لكن وراء كلِّ هذا كان البُرج المكسور لا يزال قائمًا، دون أن تبدو علَيه آثار الحريق أكثر من السَّابق. كان چوچن ريد يَسعُل من الدُّخان، وصاحَ ريكون: «خُذوني إلى البيت! أريدُ أن أعود إلى البيت!»، وراحَ هودور يدور حول نفسه، يدقُّ الأرض ويُتَمتِم منتحبًا: «هودور».

وقفوا متدانين من بعضهم بعضًا ومن حولهم الخراب والموت في كلِّ حدب وصوب.

قالت أوشا: «لقد أصدرنا ضجَّةً كفيلةً بإيقاظ تنِّين، لكن أحدًا لم يأتِ. القلعة ماتَت واحترقَت، تمامًا كما رأى بران في حُلمه، لكن من الأفضل أن...»، وبترَت عبارتها فجأةً عندما ارتفعَ صوت من ورائهم، فدارَت على عقبيها رافعةً حربتها.

وخرجَ جسدان رشيقان داكنان من وراء البُرج المكسور، يتحرَّكان بتؤدةٍ بين الأطلال، فهتفَ ريكون بسعادة: «شاجي!»، واندفعَ الذِّئب الرَّهيب الأسود نحوه، بينما تقدَّم سَمر ببُطءٍ أكثر، وحَكَّ رأسه في ذراع بران ولعقَ وجهه.

قال چوچن: «يَحسُن أن نرحل. كلُّ هذا الموت سيجتذب ذئابًا غير سَمر وشاجيدوج، ولن يكون جميعها بأربع أقدام».

أيَّدته أوشا بقولها: «نعم، قريبًا، لكننا نحتاج طعامًا، وقد يكون هناك من نجوا من كلِّ هذا. ابقوا معًا. ميرا، ارفعي تُرسكِ واحرُسي ظَهرنا».

استغرقَ الدَّوران البطيء في أنحاء القلعة الصَّباح كله. ظلَّت الأسوار الجرانيت العظيمة قائمةً وقد سوَّدتها النَّار هنا وهناك، لكن فيما عدا ذلك لم تُمَسَّ، أمَّا في الدَّاخل فلم يكن ثمَّة شيء غير الموت والدَّمار. تفحَّمت أبواب القاعة الكبرى وظَلَّ الدُّخان يتصاعَد منها بلا نار، وفي داخلها تداعَت عوارض السَّقف فانهارَ كله على الأرض، بينما استحالَت ألواح الصُّوبة الزُّجاجيَّة الصَّفراء والخضراء إلى شظايا، وتمزَّقت الأشجار والزُّهور والفواكه أو تُركَت مكشوفةً لتَذبُل، ومن الاسطبلات المبنيَّة من الخشب والقَشِّ لم يبقَ غير الرَّماد والجمار والخيول الميتة، وفكَّر بران في فَرسه دانسر وأرادَ أن يبكي. تحت بُرج المكتبة كانت بُحيرة ضحلة يتصاعَد منها البُخار، وقد سالَت المياه السَّاخنة من شِقٍّ في جانب المبنى، أمَّا الجسر بين بُرج الجرس والمِغدفة فقد انهارَ في السَّاحة في الأسفل، وتهدَّم بُرج المِايستر لوين تمامًا، ورأوا وهجًا أحمر باهتًا يلمع من وراء نوافذ القبو الضيِّقة تحت الحصن الكبير، وحريقًا آخَر لا يزال مشتعلًا في أحد المخازن.

نادَت أوشا بصوتٍ خفيض وسط الدُّخان الكثيف إذ تحرَّكوا، لكن لا حياة لمَن نادَت، ورأوا كلبًا يفترس جثَّةً، وإن فرَّ حين اشتمَّ رائحة الذِّئبين الرَّهيبين،

أمَّا بقيَّة الكلاب فقد ذُبحَت في الوجار، بينما تحلَّقت غِدفان المِايستر حول بعض الجُثث، وتولَّت غِربان البُرج المكسور أمر جُثثٍ أخرى. تعرَّف بران تيم المجدور، على الرغم من أن أحدهم هشَّم وجهه بفأس، وخارج هيكل سِپت الليدي كاتلين المحترق جلسَت جثَّة متفحِّمة بذراعين مرفوعتين وقبضتين سوداوين مضمومتين، كأنها تستعدُّ لأن تَلكُم كلَّ من يدنو منها. قالت أوشا بنبرةٍ واطئةٍ غاضبةٍ: «إذا كانت الآلهة عادلةً، فسيأخذ «الآخَرون» من فعلوا هذا».

قال بران بكآبة: «إنه ثيون».

ردَّت مشيرةً برأس الحربة عبر السَّاحة: «لا، انظُر، هذا أحد رجاله الحديديِّين، وهناك أيضًا، وهذا حصان جرايچوي، هل تراه؟ الحصان الأسود الذي اخترقَ سهم جسده»، وتحرَّكت بين الموتى مقطِّبةً وجهها، وأضافَت: «وهذا لورن الأسود». كانت جثَّته مثخنةً بالجراح لدرجة أن لحيته الفاحمة بدَت بنِّيَّة محمرَّةً الآن. «واضح أنه أخذَ بعضهم معه إلى الجحيم»، ثم قلبَت أوشا جثَّةً أخرى على ظَهرها بقدمها، وقالت: «ثمَّة شارة، رجل صغير أحمر».

قال بران: «رجل «معقل الخوف» المسلوخ».

وفجأةً عوى سَمر وانطلقَ مبتعدًا.

قالت ميرا: «أيكة الآلهة»، واندفعَت وراء الذِّئب الرَّهيب حاملةً تُرسها ورُمح صيد الضَّفادع، فتبعَها الآخَرون وشقُّوا طريقهم وسط الدُّخان والحجارة. كان الهواء أصفى تحت الشَّجر، وقد مسَّت الحرائق بضع أشجار صنوبر على حافة الأيكة، لكن التُّربة الرَّطبة والأوراق الخضراء في الدَّاخل نجحَت في هزيمة اللَّهب، فقال چوچن كأنه يعرف ما يُفكِّر فيه بران: «ثمَّة طاقة في الخشب الحي، طاقة قويَّة كالنَّار».

على حافة البركة السَّوداء، تحت شجرة القلوب، استلقى المِايستر لوين على بطنه في التُّراب، وقد امتدَّ أثر متعرِّج من الدِّماء وسط الأوراق الرَّطبة حيث زحفَ. وقفَ سَمر فوقه، وحسبَه بران ميتًا في البداية، لكن حين مسَّت ميرا حَلقه، أصدرَ المِايستر أنينًا، وقال هودور بحُزن: «هودور؟ هودور؟».

برفقٍ ساعَدوا لوين على الاعتدال. كانت عيناه رماديَّتين وشَعره رماديًّا، وفي السَّابق كان ثوبه رماديًّا كذلك، لكنه صار أغمق لونًا الآن وقد تشبَّع بالدِّماء.

قال الرَّجل بخفوتٍ عندما رآه جالسًا على ظَهرِ هودور: «بران»، وابتسمَ مضيفًا: «وريكون أيضًا. الشُّكر للآلهة. كنتُ أعرفُ...».

سألَه بران بدهشة: «تعرف؟».

- «السَّاقان... لاحظتُ الفارق... الثِّياب كانت مناسبةً، لكن عضلات ساقيه... الصَّبي المسكين...»، وسعلَ المِايستر لتتناثَر الدِّماء من بين شفتيه، وقال: «لقد اختفيتم... في الغابة... لكن كيف؟».

قال بران: «لم نذهب إلى الغابة، بل ذهبنا حتى الحافة فقط ثم دُرنا عائدين. أرسلتُ الذِّئبين ليصنعا أثرًا، لكننا اختبأنا في قبر أبي».

قهقهَ لوين قائلًا وعلى شفتيه رغوة دمويَّة: «السَّراديب»، وحاولَ أن يتحرَّك، فخرجَت منه شهقة ألم.

اغرورقَت عينا بران بالدُّموع. عندما يُجرَح أحد، فإنك تأخذه إلى المِايستر، لكن ماذا تفعل حين يكون المِايستر جريحًا؟

قالت أوشا: «علينا أن نصنع نقَّالةً لنحملك».

قال لوين: «لا داعي. إنني أموتُ يا امرأة».

صاحَ ريكون غاضبًا: «لا يُمكنك أن تموت، لا!»، وإلى جواره كشَّر شاجيدوج عن أنيابه وزمجرَ.

ابتسمَ المِايستر قائلًا: «صَه يا صغيري. إنني أكبُرك بأعوامٍ عديدة، ويُمكنني أن... أن أموت إذا شئتُ».

قال بران: «هودور، انخفِض»، فركعَ عامل الاسطبلات على رُكبتيه إلى جوار المِايستر.

خاطبَ لوين أوشا قائلًا: «اسمعيني جيِّدًا. الأميران... وريثا روب... ليس... ليس معًا... هل تفهمين؟».

استندَت الهمجيَّة إلى حربتها، وقالت: «نعم، أكثر أمنًا أن ينفصلا، لكن أين آخذهما؟ فكَّرتُ أن آل سروين هؤلاء ربما...».

هَزَّ المِايستر لوين رأسه نفيًا، فكان جليًّا ما كلَّفه إياه هذا المجهود، وقال: «لقد ماتَ ابن سروين، والسير رودريك، وليوبولد تولهارت، والليدي هورنوود... كلهم قُتِلوا. «ربوة الغابة» سقطَت، وخندق كايلن، و«مربَّع تورين» عمَّا قريب. الحديديُّون على السَّاحل الحجري، وفي الشَّرق نغل بولتون».

سألَته أوشا: «أين إذن؟».

- «الميناء الأبيض... آل أومبر... لا أدري... الحرب في كلِّ مكان... كلُّ رجلٍ يُقاتِل جاره، والشِّتاء قادم... حماقة، حماقة سوداء مجنونة...»، ومَدَّ المِايَستر لوين يده وقبضَ على ساعِد بران وأغلقَ عليه أصابعه بقوَّةٍ يائسة، وقال له: «يجب أن تكون قويًّا الآن، قويًّا».

رَدَّ بران: «سأكون قويًّا»، على الرغم من أنه يُدرِك صعوبة ذلك. قتَلوا السير رودريك والمِايستر لوين، والجميع، الجميع...

قال المِايستر: «عظيم. أنت ولد صالح، ابن... ابن أبيك يا بران. والآن اذهبوا».

رفعَت أوشا عينيها إلى شجرة الويروود والوجه الأحمر المحفور في الجذع الشَّاحب، وقالت: «ونتركك للآلهة؟».

تمتمَ المِايستر: «ألتمسُ فقط...»، وابتلعَ لُعابه وتابعَ بصعوبة: «شـ... شـ... شربة ماء و... وخدمةً أخرى إذا سمحتِ...».

قالت أوشا: «نعم»، ثم التفتَت إلى ميرا قائلةً: «خُذيهم».

قادَ چوچن وميرا ريكون بينهما، وتبعَهم هودور، فجلدَت الفروع الواطئة وجه بران وهُم يتحرَّكون بين الأشجار، ومسحَت الأوراق دموعه.

انضمَّت إليهم أوشا في السَّاحة بَعد قليل، ولم تَذكُر شيئًا عن المِايستر لوين، بل قالت بلهجةٍ عمليَّة: «يجب أن يبقى هودور مع بران كي يكون بمثابة ساقيه، وسآخذُ ريكون معي».

قال چوچن ريد: «سنذهب مع بران».

ردَّت أوشا: «نعم، هذا ما خطرَ لي. أعتقدُ أني سأخرجُ من البوَّابة الشَّرقيَّة وأقطعُ طريق الملوك بعض الوقت».

قالت ميرا: «سنَخرُج من بوَّابة الصيَّادين».

وقال هودور: «هودور».

توقَّفوا عند المطابخ أولًا، حيث وجدَت أوشا بعض أرغفة الخُبز المحروق لا تزال صالحةً للأكل، بالإضافة إلى ديكٍ مشويٍّ بارد قسمَته إلى نِصفين، وأخرجَت ميرا جرَّةً من العسل وجوالًا كبيرًا من التُّفَّاح، ثم تبادَلوا عبارات الوداع في الخارج، وبكى ريكون وتشبَّث بساق هودور حتى صفعَته أوشا على مؤخِّرته بكعب حربتها، فتبعَها مسرعًا، وتحرَّك شاجيدوج وراءهما، وآخِر ما رآه بران منهم كان ذيل الذِّئب الرَّهيب إذ اختفى وراء البُرج المكسور.

كانت الشَّبكة الحديديَّة التي تسدُّ بوَّابة الصيَّادين معوجَّةً للغاية من فرط حرارة الحريق، حتى إنه لم يكن ممكنًا أن ترتفع أكثر من قدم واحد، فاضطرُّوا للزَّحف معتصرين أجسادهم تحت خوازيقها الحديد المُدبَّبة واحدًا تلو الآخَر.

سألَ بران بينما عبروا الجسر المتحرِّك بين الأسوار: «هل سنذهب إلى السيِّد والدكما؟ إلى قلعة المياه الرَّماديَّة؟».

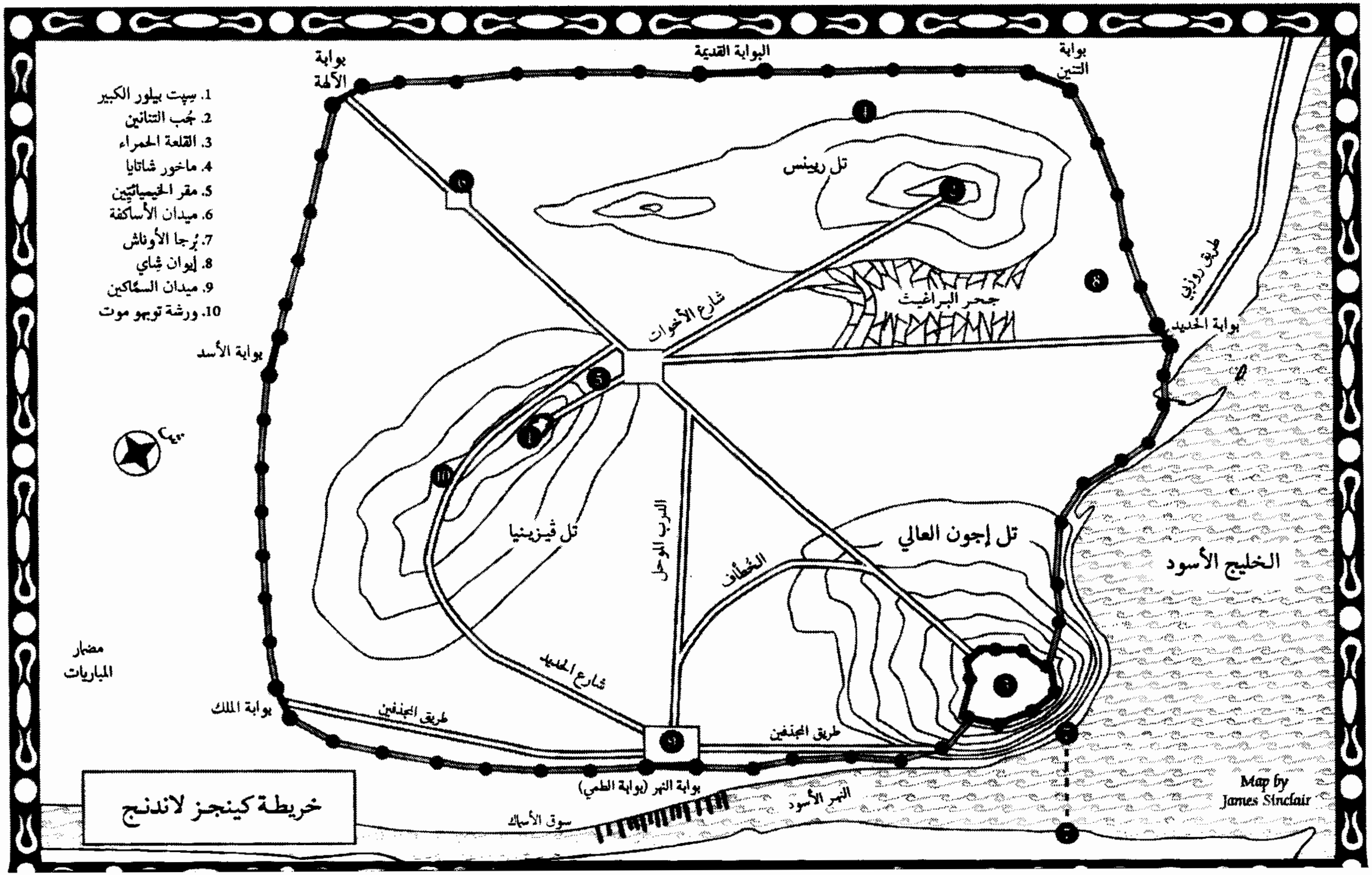
رمقَت ميرا أخاها منتظرةً الجواب، فأعلنَ چوچن: «طريقنا يأخذنا شَمالًا».

على حافة غابة الذِّئاب التفتَ بران في سلَّته يُلقي نظرةً أخيرةً على القلعة التي كانت حياته. خيوط الدُّخان كانت لا تزال تتصاعَد إلى السَّماء الرَّماديَّة، ولكنه لم يزِد على الدُّخان الذي كان يتصاعدَ من قبل من مداخن وينترفل في ظهيرةٍ خريفيَّةٍ باردةٍ، بينما لطَخ السِّناج بعضًا من حلقات إطلاق السِّهام، وهنا وهناك لاحَت بضع صدوع أو قوائم متهدِّمة في السُّور، لكن من على هذه المسافة بدا عددها قليلًا، ووراء السُّور ارتفعَت قمم الحصون والأبراج كما هي منذ مئات السِّنين، وكان من الصَّعب أن يتبيَّن المرء أن القلعة قد نُهبَت واحترقَت إطلاقًا، فقال بران في قرارة نفسه: الأحجار قويَّة، وجذور الأشجار غائرة، وتحت الأرض يجلس ملوك الشِّتاء على عروشهم. ما دامَ هؤلاء باقين، فستبقى وينترفل. إنها لم تَمُت، بل انكسرَت لا أكثر، مِثلي، فأنا أيضًا لم أمُت.

نهاية الجزء الثَّاني

مُلحق

الملوك وبلاط كلٍّ منهم


خريطة كينجز لاندنج
1. سِپت بيلور الكبير
2. جُب التنانين
3. القلعة الحمراء
4. ماخور شاتايا
5. مقر الخيميائيين
6. ميدان الأساكفة
7. بُرجا الأوناش
8. إيوان شِاي
9. ميدان السماكين
10. ورشة توبهو موت
بوابة الآلهة
البوابة القديمة
بوابة التنين
تل ريينس
جحر البراغيث
شارع الأخوات
بوابة الحديد
طريق روزبي
بوابة الأسد
تل ڤيزينيا
الدرب الموحل
الخطاف
تل إجون العالي
الخليج الأسود
مضمار المباريات
بوابة الملك
طريق المجدفين
شارع الحديد
بوابة النهر (بوابة الطمي)
سوق الأسماك
النهر الأسود
Map by
James Sinclair

الملك على العرش الحديدي

چوفري باراثيون الأول، صبي في الثَّالثة عشرة، الابن الأكبر للملك روبرت باراثيون والملكة سرسي سليلة عائلة لانستر،

– أمُّه، **الملكة سرسي**، الملكة الوصيَّة على العرش وحامية البلاد،

– أخته، **الأميرة مارسلا**، فتاة في التَّاسعة،

– أخوه، **الأمير تومن**، صبي في الثَّامنة، وريث العرش الحديدي،

– عمَّاه:

– **ستانيس باراثيون**، سيِّد دراجونستون، يُلَقِّب نفسه بالملك ستانيس الأول،

– **رنلي باراثيون**، سيِّد ستورمز إند، يُلَقِّب نفسه بالملك رنلي الأول،

– خالاه:

– السير **چايمي لانستر**، لقبه **قاتل الملك**، قائد الحَرس الملكي، أسير في ريڤررَن،

– **تيريون لانستر**، قائم بأعمال يد الملك،

– مُرافِق تيريون، **پودريك پاين**،

– حَرس تيريون والمقسِمون له:

– **برون**، مرتزِق، أسود الشَّعر والقلب،

– **شاجا بن دولف**، من قبيلة الغِربان الحجريَّة،

– **تيميت بن تيميت**، من قبيلة الرِّجال المحروقين،

– **تشلا بنت تشيك**، من قبيلة الآذان السَّوداء،

– **كراون بن كالور**، من قبيلة إخوة القمر،

- محظيَّة تيريون، **شِاي**، تابعة معسكرات، في الثَّامنة عشرة،
- مجلسه الصَّغير:
- **المِايستر الأكبر پايسل**،
- **اللورد پيتر بايلش**، لقبه الإصبع الصَّغير، أمين النَّقد،
- **اللورد چانوس سلينت**، قائد حَرس المدينة في كينجز لاندنج (ذوي المعاطف الذَّهبيَّة)،
- **ڤارس**، خصيٌّ، لقبه العنكبوت، وليُّ الهامسين،
- حَرسه الملكي:
- **السير چايمي لانستر**، لقبه **قاتل الملك**، القائد، أسير في ريڤررَن،
- **ساندور كليجاين**، لقبه **كلب الصَّيد**،
- **السير بوروس بلاونت**،
- **السير مرين ترانت**،
- **السير آريس أوكهارت**،
- **السير پرستون جرينفيلد**،
- **السير ماندون مور**،
- حاشيته وأتباعه:
- **السير إلين پاين**، عدالة الملك، جلَّاد،
- **ڤايلار**، قائد حَرس عائلة لانستر في كينجز لاندنج (ذوي المعاطف الحمراء)،
- **السير لانسل لانستر**، مُرافِق الملك روبرت السَّابق، نُصِّبَ فارسًا مؤخَّرًا،
- **تايرك لانستر**، مُرافِق الملك روبرت السَّابق،
- **السير أرون سانتاجار**، قيِّم السِّلاح،
- **السير بالون سوان**، الابن الثَّاني للورد بالون سوان سيِّد ستونهلم،
- **الليدي إرميساند هايفورد**، رضيعة،
- **السير دونتوس هولارد**، لقبه الأحمر، سكِّير،
- **چالابار شو**، أمير منفي من جُزر الصَّيف،

- **فتى القمر**، نكَّات ومهرِّج،
- **الليدي تاندا ستوكوورث**،
  - **فاليس**، ابنتها الكُبرى،
  - **لوليس**، ابنتها الصُّغرى، عذراء في الثَّالثة والثَّلاثين،
- **اللورد جايلز روزبي**،
- **السير هوراس ردواين وأخوه التَّوأم السير هوبر ردواين**، ابنا سيِّد «الكرمة»،
- أهل كينجز لاندنج:
- حَرس المدينة (ذوو المعاطف الذَّهبيَّة):
  - **چانوس سلينت**، سيِّد هارنهال، القائد،
    - **موروس**، ابنه الأكبر ووريثه،
  - **آلار ديم**، كبير ضبَّاط سلينت،
  - **السير چاسلين بايووتر**، لقبه **ذو اليد الحديد**، قائد بوَّابة النَّهر،
- **هالاين الپايرومانسر**، صاحِب حكمة في رابطة الخيميائيِّين،
- **شاتايا**، مالكة ماخور مكلِّف،
  - **ألايايا**، **دانسي**، **ماري**، بعض فتياتها،
- **توبهو موت**، أستاذ حدادة،
- **سالوريون**، أستاذ حدادة،
- **ذو البطن الحديد**، حدَّاد،
- **لوثور برون**، مُحارِب غير نظامي،
- **السير أوزموند كِتلبلاك**، فارس متجوِّل سيِّئ السُّمعة،
  - **أوزفريد وأوزني كِتلبلاك**، أخواه،
- **سايمون لسان الفضَّة**، مغنٍّ.

راية الملك چوفري عبارة عن وعل باراثيون المتوَّج، أسود على ذهبي، وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارَعان.

الملك في البحر الضيِّق

ستانيس باراثيون الأول، أكبر أخوي الملك روبرت، سيِّد دراجونستون السَّابق، الابن الثَّاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت،

– زوجته، **الليدي سيليس**، سليلة عائلة فلورنت،

– **شيرين**، ابنتهما الوحيدة، فتاة في العاشرة،

– خاله وابنه:

– السير **لوماس إسترمونت**، خال،

– **أندرو إسترمونت**، ابن خال،

– حاشيته وأتباعه:

– **المِايستر كرسن**، معالج ومعلِّم، رجل عجوز،

– **المِايستر پايلوس**، خليفته،

– **السِّپتون بار**،

– **السير آكسل فلورنت**، أمين قلعة دراجونستون، عم الملكة سيليس،

– **ذو الوجه المرقَّع**، مهرِّج محدود العقل،

– **الليدي مليساندرا الآشايِيَّة**، لقبها **المرأة الحمراء**، راهبة راهلور إله الضِّياء،

– السير **داڤوس سيوورث**، لقبه **فارس البصل** وأحيانًا **ذو اليد القصيرة**، مهرِّب سابق، رُبَّان «بِثا السَّوداء»،

– زوجته **ماريا**، ابنة نجَّار،

– أبناؤهما السَّبعة:

- **دايل**، رُبَّان «الطَّيف»،
- **آلارد**، رُبَّان «الليدي ماريا»،
- **ماثوس**، مساعد الرُّبَّان على متن «بِثا السَّوداء»،
- **ماريك**، رئيس المجذفين على متن «الثَّورة»،
- **دڤان**، مُرافِق الملك ستانيس،
- **ستانيس**، صبي في التَّاسعة،
- **ستفون**، صبي في السَّادسة،

- **برايان فارنج**، مُرافِق الملك ستانيس،

- اللوردات حمَلة رايته والمقسِمون له:

- **أردريان سلتيجار**، سيِّد جزيرة المخالب، رجل عجوز،
- **مانفورد ڤيلاريون**، سيِّد المَدِّ والجَزر وقائد دريفتمارك،
- **دورام بار إمون**، سيِّد «الرَّأس الحاد»، صبي في الرَّابعة عشرة،
- **جانسر صنجلاس**، سيِّد «المرفأ العذب»،
- **السير هوبارد رامبتون**،
- **سالادور سان**، من مدينة لِيس الحُرَّة، يُلَقِّب نفسه بأمير البحر الضيِّق،
- **موروش عريس البحر**، أميرال.

اتَّخذ الملك ستانيس لرايته رمز قلب إله الضِّياء النَّاري، قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي على خلفيَّةٍ صفراء لامعة، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوَّج بلونٍ أسود.

الملك في هايجاردن

رنلي باراثيون الأول، أصغر أخوي الملك روبرت، سيِّد ستورمز إند السَّابق، الابن الثَّالث للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا سليلة عائلة إسترمونت،

– عروسه الجديدة، **الليدي مارچري** سليلة عائلة تايرل، فتاة في الخامسة عشرة،

– خاله وأبناؤه:

– السير **إلدون إسترمونت**، خال،

– ابن السير إلدون الأكبر، **السير إيمون إسترمونت**، ابن خال،

– ابن السير إيمون، **السير آلين إسترمونت**،

– اللوردات حمَلة رايته:

– **مايس تايرل**، سيِّد هايجاردن ويد الملك،

– **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،

– **ماثيس روان**، سيِّد جولدنجروف،

– **برايس كارون**، سيِّد تخوم دورن،

– **شايرا إرول**، سيِّدة قلعة القَش،

– **أروين أوكهارت**، سيِّدة أوك القديمة،

– **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،

– **اللورد سلوين**، سيِّد تارث، لقبه **نجم المساء**،

– **لايتون هايتاور**، صوت البلدة القديمة، سيِّد المرفأ،

– **اللورد ستفون ڤارنر**،

– حَرس قوس قزح:
– **السير لوراس تايرل**، فارس الزُّهور، القائد،
– **اللورد برايس كارون**، البرتقالي،
– **السير جايارد موريجن**، الأخضر،
– **السير فارمن كرين**، الأرجواني،
– **السير روبار رويس**، الأحمر،
– **السير إمون كاي**، الأصفر،
– **برِيان التَّارثيَّة**، الزَّرقاء، لقبها **بِريان المليحة**، ابنة اللورد سلوين نجم المساء،
– فُرسانه والمقسِمون له:
– **السير كورتناي پنروز**، أمين قلعة ستورمز إند،
– ربيب السير كورتناي، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت من الليدي ديلينا سليلة عائلة فلورنت،
– **السير دونل سوان**، وريث ستونهلم،
– **السير چون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الخضراء من العائلة،
– **السير برايان فوسواي، السير تانتون فوسواي، السير إدويد فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الحمراء من العائلة،
– **السير كولن** من منطقة «البِرك الخضراء»،
– **السير مارك مالندور**،
– **رونيت الأحمر**، فارس «وكر الجريفين»،
– أهل بيته:
– **المِايستر چورن**، مستشار ومعالِج ومعلِّم.

راية الملك رنلي عبارة عن وعل آل باراثيون سادة ستورمز إند المتوَّج، أسود على خلفيَّةٍ ذهبيَّة، راية أخيه الملك روبرت نفسها.

الملك في الشَّمال

روب ستارك، سيِّد وينترفل والملك في الشَّمال، الابن الأكبر لإدارد ستارك سيِّد وينترفل والليدي كاتلين سليلة عائلة تَلي، صبي في الخامسة عشرة،

– ذئبه الرَّهيب، **جراي ويند**،

– أمُّه، **الليدي كاتلين** سليلة عائلة تَلي،

– إخوته:

– **الأميرة سانزا**، فتاة في الثَّانية عشرة،

– ذئبة سانزا الرَّهيبة، **(ليدي)**، قُتِلَت في قلعة داري،

– **الأميرة آريا**، فتاة في العاشرة،

– ذئبة آريا الرَّهيبة، **نايميريا**، طُرِدَت قبل عام،

– **الأمير براندون**، يُسَمَّى **بران**، وريث وينترفل والشَّمال، صبي في الثَّامنة،

– ذئب بران الرَّهيب، **سَمر**،

– **الأمير ريكون**، صبي في الرَّابعة،

– ذئب ريكون الرَّهيب، **شاجيدوج**،

– أخوه غير الشَّقيق، **چون سنو**، نغل في الخامسة عشرة، رجل في حَرس اللَّيل،

– ذئب چون الرَّهيب، **جوست**،

– أعمامه وعمَّاته وأخواله وخالاته:

– **(براندون ستارك)**، أخو اللورد إدارد الأكبر، قُتِلَ بأمر الملك إيرس تارجارين الثَّاني،

- (ليانا ستارك)، أخت اللورد إدارد الصُّغرى، ماتَت في جبال دورن،
- بنچن ستارك، أخو اللورد إدارد الأصغر، رجل في حَرس اللَّيل، مفقود وراء «الجِدار»،
- لايسا آرن، أخت الليدي كاتلين الصَّغيرة، أرملة (اللورد چون آرن)، سيِّدة «العُش»،
- السير إدميور تَلي، أخو الليدي كاتلين الأصغر، وريث ريڤررَن،
- السير برايندن تَلي، لقبه السَّمكة السَّوداء، عم الليدي كاتلين،
- المقسِمون له :
- ثيون جرايچوي، ربيب اللورد إدارد، وريث پايك وجُزر الحديد،
- هالس مولين، قائد حَرس وينترفل،
- چاكس، كوينت، شاد، حَرس تحت قيادة مولين،
- السير وندل ماندرلي، الابن الثَّاني لسيِّد الميناء الأبيض،
- پاتريك ماليستر، وريث سيجارد،
- داسي مورمونت، الابنة الكُبرى لليدي مِج ووريثة جزيرة الدِّببة،
- چون أومبر، لقبه چون الصَّغير،
- روبن فلينت، السير پروين فراي، لوكاس بلاكوود،
- مُرافِقه، أوليڤار فراي، في الثَّامنة عشرة،
- أهل بيته في ريڤررَن:
- المِايستر ڤايمان، مستشار ومعالِج ومعلِّم،
- السير دزموند جرِل، قيِّم السِّلاح،
- السير روبن رايجر، قائد الحَرس،
- أوثيرايدس واين، أمين قلعة ريڤررَن،
- رايموند النَّاظم، مغنٍّ،
- أهل بيته في وينترفل:
- المِايستر لوين، مستشار ومعالِج ومعلِّم،
- السير رودريك كاسل، قيِّم السِّلاح،
- بِث، ابنته،

– **والدر فراي**، لقبه **والدر الكبير**، ربيب الليدي كاتلين، في الثَّامنة،
– **والدر فراي**، لقبه **والدر الصَّغير**، ربيب الليدي كاتلين، في الثَّامنة أيضًا،
– **السِّپتون كايل**، أمين سِپت ومكتبة القلعة،
– **چوزث**، قيِّم الخيول،
– **باندي وشايرا**، ابنتاه التَّوأمتان،
– **فارلن**، قيِّم وجار الكلاب،
– **پالا**، عاملة في الوجار،
– **العجوز نان**، راوية قصص، مرضِعة سابقة، الآن طاعنة في السِّن،
– **هودور**، حفيد حفيدها، عامل اسطبلات بسيط العقل،
– **جايچ**، الطَّاهي،
– **تورنيپ**، عاملة مطابخ ومساعِدة الطَّاهي،
– **أوشا**، امرأة همجيَّة أسيرة، تعمل خادمةً في المطابخ،
– **ميكن**، حدَّاد وصانع سلاح،
– **هايهِد**، **سكيتريك**، **تيم المجدور**، **آلبلي**، حُرَّاس،
– **كالون**، **توم**، ابنا حارسين،
– القادة واللوردات حمَلة رايته:
– (مع روب في ريڤررَن)
– **چون أومبر**، لقبه چون الكبير،
– **ريكارد كارستارك**، سيِّد كارهولد،
– **جالبارت جلوڤر**، من «ربوة الغابة»،
– **مج مورمونت**، سيِّدة جزيرة الدِّببة،
– **السير ستڤرون فراي**، الابن الأكبر للورد والدر فراي ووريث «التَّوأمتين»،
– ابن السير ستڤرون الأكبر، **السير رايمان فراي**،
– ابن السير رايمان، **والدر فراي الأسود**،
– **مارتن ريڤرز**، ابن اللورد والدر غير الشَّرعي،

– (مع جيش رووس بولتون في «التَّوأمتين»)
– **رووس بولتون**، سيِّد «معقل الخوف»، قائد الجزء الأكبر من جيش الشَّمال،
– **روبت جلوڤر**، من «ربوة الغابة»،
– **والدر فراي**، سيِّد «المعبر»،
– **السير هلمان تولهارت**، من «مربَّع تورين»،
– **السير إينس فراي**،
– (أسرى لدى اللورد تايوين لانستر)
– **اللورد مدچر سروين**،
– **هاريون كارستارك**، الابن الوحيد الحي للورد ريكارد،
– **السير وايليس ماندرلي**، وريث الميناء الأبيض،
– **السير چارد فراي، السير هوستين فراي، السير دانويل فراي**، وأخوهم غير الشَّقيق **رونل ريڤرز**،
– (في ميادين القتال أو في قلاعهم)
– **لايمان داري**، صبي في الثَّامنة،
– **شِلا وِنت**، سيِّدة هارنهال، استولى اللورد تايوين لانستر على قلعتها،
– **چيسون ماليستر**، سيِّد سيجارد،
– **چونوس براكن**، سيِّد قلعة «السِّياج الحجري»،
– **تايتوس بلاكوود**، سيِّد راڤنتري،
– **اللورد كاريل ڤانس**،
– **السير مارك پايپر**،
– **السير هالمون پايج**،
– اللوردات حمَلة رايته وأمناء قلاع الشَّمال:
– **اللورد وايمان ماندرلي**، سيِّد الميناء الأبيض،
– **هاولاند ريد**، سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، من شعب المستنقعات،
– **ابنة هاولاند**، ميرا، فتاة في الخامسة عشرة،
– **ابن هاولاند**، چوچن، صبي في الثَّالثة عشرة،

- **الليدي دونيلا هورنوود**، أرملة وأُم ثكلى،
- **كلاي سروين**، ابن اللورد مدچر، صبي في الرَّابعة عشرة،
- **ليوبولد تولهارت**، الأخ الأصغر للسير هلمان، أمين قلعة «مربَّع تورين»،
  - زوجة ليوبولد، **بيرينا** سليلة عائلة هورنوود،
  - ابن ليوبولد، **براندون**، صبي في الرَّابعة عشرة،
  - ابن ليوبولد، **بيرين**، صبي في العاشرة،
  - ابن السير هلمان، **بنفريد**، وريث «مربَّع تورين»،
  - ابنة السير هلمان، **إدارا**، فتاة في التَّاسعة،
- **الليدي سيبل**، زوجة روبت جلوڤر، تقود «ربوة الغابة» في غيابه،
  - ابن روبت، **جاون**، في الثَّالثة، وريث القلعة،
  - ابنة روبت، **إرينا**، رضيعة عُمرها عام،
- **لارنس سنو**، ابن غير شرعي للورد هورنوود، في الثَّانية عشرة، ربيب جالبارت جلوڤر،
- **مورس آكِل الغُراب وهوثر باقِر العاهرة** ابنا عائلة أومبر، عمَّا چون الكبير،
- **الليدي ليسا فلينت**، أُم روبن،
- **أوندرو لوك**، سيِّد القلعة العتيقة، رجل عجوز.

تظلُّ راية الملك في الشَّمال كما كانت منذ آلاف السِّنين، ذئب آل ستارك أبناء وينترفل الرَّمادي الرَّهيب، يجري في حقلٍ أبيض كالثَّلج.

الملكة وراء البحر

دنيرس تارجاريَن الأولى، تُلَقَّب بدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترق، أُم التَّنانين، گاليسي الدوثراكي، آخِر من تبقَّى من أولاد الملك إيرس تارجاريَن الثَّاني من زوجته وأخته الملكة ريلا، أرملة في الرَّابعة عشرة،

– تنانينها: **دروجون**، ڤسيريون، ريجال،

– أخواها:

– (**ريجار**)، أمير دراجونستون ووريث العرش الحديدي،

– (**رينس**)، ابنة ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،

– (**إجون**)، ابن ريجار من إليا الدورنيَّة، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،

– (**ڤسيرس**)، يُسَمِّي نفسه الملك ڤسيرس الثَّالث ويُلَقَّب بالملك الشحَّاذ، قُتِل في ڤايس دوثراك على يد گال دروجو،

– زوجها (**دروجو**)، گال الدوثراكي، ماتَ بجرحٍ تلوَّث،

– (**ريجو**)، ابن دنيرس وگال دروجو الجهيض، قُتِلَ في الرَّحم على يد ميري ماز دور،

– حَرسها الملكي:

– **السير چورا مورمونت**، فارس منفي، سيِّد جزيرة الدِّببة السَّابق،

– **چوجو**، گو وخيَّال دم، السَّوط،

– **آجو**، گو وخيَّال دم، القوس،

– **راگارو**، گو وخيَّال دم، الأراخ،

- وصيفاتها:
- **إيري**، فتاة من الدوثراكي،
- **چيكوي**، فتاة من الدوثراكي،
- **دوريا**، أمة لايسينيَّة، عاهرة سابقة،
- السَّاعون الثَّلاثة:
- **زارو زون داكسوس**، أمير تاجر من كارث،
- **پيات پري**، دجَّال من من كارث،
- **كويث**، آسرة ظلال مقنَّعة من آشاي،
- **إليرو موپاتيس**، ماچستر من مدينة پنتوس الحُرَّة، رتَّب زواج دنيرس بكال دروجو وخطَّط لوصول ڤسيرس إلى سُدَّة الحُكم والجلوس على العرش الحديدي.

راية عائلة تارجاريَن هي راية إجون الفاتح، الذي غزا ستًّا من الممالك السَّبع، وأسَّس سُلالته، وصنعَ العرش الحديدي من سيوف أعدائه المهزومين، تنِّين أحمر ذو ثلاثة رؤوس على خلفيَّةٍ سوداء.

عائلات أخرى صغيرة وكبيرة

عائلة آرن

لم تُعلِن عائلة آرن تأييدها لأيٍّ من أصحاب الدَّعاوى المتصارعين، واحتفظَت بقوَّاتها للدِّفاع عن «العُش» ووادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيَّةٍ ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «سامون كالشَّرف».

روبرت آرن، سيِّد «العُش»، حافِظ «الوادي»، حاكِم الشَّرق، صبي سقيم في الثَّامنة،

– أمُّه، **الليدي لايسا** سليلة عائلة تَلي، زوجة (اللورد چون آرن) يد المَلك الرَّاحل الثَّالثة وأرملته، أخت كاتلين ستارك،

– أهل بيته:

– **المايستر كولمون**، مستشار ومعالِج ومعلِّم،

– **السير ماروين بلمور**، قائد الحَرس،

– **اللورد نستور رويس**، وكيل «الوادي» الأعلى،

– ابن اللورد نستور، **السير ألبار**،

– **ميا ستون**، فتاة نغلة في خدمته، ابنة الملك روبرت،

– **مورد**، سجَّان متوحِّش،

– **ماريليون**، مغنٍّ،

– اللوردات حمَلة رايته وخُطَّاب أمِّه وأتباعه:

– **اللورد يون رويس**، لقبه يون البرونزي،

– ابن اللورد يون الأكبر، **السير أندار**،

- ابن اللورد يون الأوسط، **السير روبار**، في خدمة الملك رنلي، روبار الأحمر فارس حَرس قوس قزح،
- ابن اللورد نستور الأصغر، **(السير وايمار)**، رجل في حَرس اللَّيل، مفقود وراء «الجِدار»،
- اللورد نستور رويس، **أخو اللورد يون**، وكيل «الوادي» الأعلى،
- ابن اللورد نستور ووريثه، **السير ألبار**،
- ابنة اللورد نستور، **ميراندا**،
- **السير لين كوربراي**، من خُطَّاب الليدي لايسا،
- **مايكل ردفورت**، مُرافِقه،
- **الليدي آنيا واينوود**،
- ابن الليدي آنيا ووريثها، **السير مورتون**، من خُطَّاب الليدي لايسا،
- ابن الليدي آنيا الثَّاني، **السير دونل**، فارس البوَّابة،
- **اللورد إيون هنتر**، سيِّد قلعة «القوس الطَّويل»، من خُطَّاب الليدي لايسا، رجل عجوز.



عائلة فلورنت

أقسمَ آل فلورنت أبناء قلعة المياه الوضَّاءة على الولاء لهايجاردن، وتبعوا عائلة تايرل في انضمامها إلى الملك رنلي، وإن أبقوا قدمًا في المعسكر الآخَر، بما أن زوجة الملك ستانيس من عائلة فلورنت، وعمُّها هو أمين قلعة دراجونستون.

رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزُّهور.

- **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،
  - زوجته، **الليدي ميلارا**، سليلة عائلة كرين،
  - أولادهما:
    - **أليكاين**، وريث قلعة المياه الوضَّاءة،
    - **ميليسا**، زوجة اللورد راندل تارلي،
    - **ريا**، زوجة اللورد لايتون هايتاور،
  - أخواه:
    - **السير آكسل**، أمين قلعة دراجونستون،
    - **(السير ريام)**، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
      - ابنة السير ريام، **الملكة سيليس**، زوجة الملك ستانيس،
      - ابن السير ريام الأكبر ووريثه، **السير إمري**،
      - ابن السير ريام الثَّاني، **السير إرِن**،
    - **السير كولين**،
      - ابنة السير كولين، **ديلينا**، زوجة **السير هوسمان نوركروس**،

– ابن ديلينا، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت،
– ابن ديلينا، **آلستر نوركروس**،
– ابن ديلينا، **رنلي نوركروس**،
– ابن كولين، **المِايستر أومر**، في خدمة أوك القديمة،
– ابن كولين، **ميريل**، مُرافِق فارس في «الكرمة»،
– أخته، **رايلين**، زوجة ريتشرد كرين.

عائلة فراي

يتمتَّع آل فراي بالقوَّة والثَّراء وعددٍ وفير من الأولاد، وهُم حمَلة راية عائلة تَلي ومقسِمين على الولاء لريفرَرَن، وإن كانوا لا يلتزمون دائمًا بأداء واجبهم، فحين قاتلَ روبرت باراثيون ريجار تارجاريَن في معركة نهر الثَّالوث، لم يصل رجال فراي إلَّا بَعد انتهاء القِتال، ومنذ ذلك الحين لقَّب هوستر تَلي اللورد والدر باللورد فراي الممتلكِئ. لم يُوافِق اللورد فراي على دعم الملك في الشَّمال إلَّا بَعد أن وافقَ روب ستارك على خطبة واحدةٍ من بناته أو حفيداته، ووعدَ بأن يتزوَّجها حين تنتهي الحرب. عاشَ اللورد والدر واحدًا وتسعين عامًا، ومؤخَّرًا فقط تزوَّج للمرَّة الثَّامنة فتاةً تَصغُره بسبعين عامًا، ويُقال عنه إنه اللورد الوحيد في الممالك السَّبع الذي يستطيع أن يحشد جيشًا من نسله.

- **والدر فراي**، سيِّد «المعبر»،
  - من زوجته الأولى، (الليدي پيرا) سليلة عائلة رويس:
    - **السير ستڤرون**، وريث «التَّوأمتين»،
      - زوجته (**كورينا سوان**)، ماتَت بمرضٍ مزمن،
      - ابن ستڤرون الأكبر، **السير رايمان**،
        - ابن رايمان، **إدوين**، زوج چانيس هنتر،
          - ابنة إدوين، **والدا**، فتاة في الثَّامنة،
        - ابن رايمان، **والدر**، لقبه **والدر الأسود**،
        - ابن رايمان، **پيتر**، لقبه **پيتر ذو الدَّمامل**، زوج ميليندا كارون،
          - ابنة پيتر، **پيرا**، فتاة في الخامسة،
      - زوجته (**چين ليدن**)، ماتَت حين سقطَت من على حصان،
      - ابن ستڤرون، **إجون**، أبله ملقَّب بذي الجلاجل،

– ابنة ستفرون، (**مايجل**)، ماتَت أثناء الوضع،
– **السير دافين ڤانس،**
– ابنة مايجل، **ماريان**، عذراء،
– ابن مايجل، **والدر ڤانس**، مُرافِق فارس،
– ابن مايجل، **پاتريك ڤانس**،
– زوجته (**مارسلا واينوود**)، ماتَت أثناء الوضع،
– ابن ستفرون، **والتون**، زوج ديانا هاردينج،
– ابن والتون، **ستفون**، لقبه **الحُلو**،
– ابنة والتون، **والدا**، لقبها **والدا الحسناء**،
– ابن والتون، **برايان**، مُرافِق فارس،
– **السير إمون**، زوج چنا سليلة عائلة لانستر،
– ابن إمون، **السير كَليوس**، زوج چين داري،
– ابن كليوس، **تايوين**، مُرافِق فارس في الحادية عشرة،
– ابن كليوس، **ويلم**، خادم في آشمارك،
– ابن إمون، **السير لايونل**، زوج ميليسا كراكهول،
– ابن إمون، **تيون**، مُرافِق فارس أسير في ريڤررَن،
– ابن إمون، **والدر**، لقبه **والدر الأحمر**، خادم في كاسترلي روك،
– **السير إينس**، **زوج** (**تيانا وايلد**)، ماتَت أثناء الوضع،
– ابن إينس، **إجون وليد الدَّم**، خارج على القانون،
– ابن إمون، **ريجار**، زوج چين بيزبوري،
– ابن ريجار، **روبرت**، صبي في الثَّالثة عشرة،
– ابنة ريجار، **والدا**، فتاة في العاشرة، لقبها **والدا البيضاء**،
– ابن ريجار، **چونوس**، صبي في الثَّامنة،
– **پريان**، زوجة السير ليزلين هاي،
– ابن پريان، **السير هاريس هاي**،
– ابن هاريس، **والدر هاي**، صبي في الرَّابعة،
– ابن پريان، **السير دونل هاي**،
– ابن پريان، **السير آلين هاي**، مُرافِق فارس،

– من زوجته الثَّانية، (الليدي كايرينا) سليلة عائلة سوان:
– **السير چارد**، ابنهما الأكبر، زوج (آليس فراي)،
– ابن چارد، **السير تايتوس**، زوج زوي بلينتري،
– ابنة تايتوس، **زيا**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
– ابن تايتوس، **زاكري**، صبي في الثَّانية عشرة، يتدرَّب في سِپت البلدة القديمة،
– ابنة چارد، **كايرا**، زوجة جارس جودبروك،
– ابن كايرا، **والدر جودبروك**، صبي في التَّاسعة،
– ابنة تايتوس، **چين جودبروك**، فتاة في السَّادسة،
– **السِّپتون لوسيون**، يخدم في سِپت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،
– من زوجته الثَّالثة، (الليدي أماري) سليلة عائلة كراكهول:
– **السير هوستين**، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،
– ابن هوستين، **السير آروود**، زوج ريبلا رويس،
– ابنة آروود، **ريبلا**، فتاة في الخامسة،
– ابنا آروود التَّوأم، **أندرو وآلين**، في الثَّالثة،
– **الليدي لايثين**، زوجة اللورد لوشياس ڤايپرن،
– ابنة لايثين، **إليانا**، زوجة السير چون وايلد،
– ابن إليانا، **ريكارد وايلد**، في الرَّابعة،
– ابن لايثين، **السير ديمون ڤايپرن**،
– **سايموند**، زوج بيثاريوس البراڤوسيَّة،
– ابن سايموند، **أليساندر**، مغنٍّ،
– ابنة سايموند، **آلكس**، فتاة في السَّابعة عشرة،
– ابن سايموند، **برادامار**، صبي في العاشرة، نشأ في براڤوس ربيبًا للتَّاجر أورو تندايريس،
– **السير دانويل**، زوج واينافري ونت،
– (وُلِدَ أبناؤهما إمَّا موتى أو ماتوا في المهد)،
– **ميريت**، زوج ماريا داري،
– ابنة ميريت، **آميري**، تُسَمَّى آمي، أرملة في السَّادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق)،

– ابنة ميريت، **والدا**، لقبها **والدا السَّمينة**، فتاة في الخامسة عشرة،
– ابنة ميريت، **ماريسا**، فتاة في الثَّالثة عشرة،
– ابن ميريت، **والدر**، لقبه **والدر الصَّغير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
– **(السير چريمي)**، مات غرقًا، كان زوج كارولي واينوود،
– ابن چريمي، **ساندور**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير دونل واينوود،
– ابنة چريمي، **سينثيا**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الليدي آنيا واينوود،
– **السير رايموند**، زوج بيوني بيزبوري،
– ابن رايموند، **روبرت**، في السَّادسة عشرة، يتدرَّب في قلعة البلدة القديمة،
– ابن رايموند، **مالوين**، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في لِيس،
– ابنتا رايموند التَّوأم، **سيرا وسارا**، فتاتان في الرَّابعة عشرة،
– ابنة رايموند، **سرسي**، في السَّادسة، لقبها **النَّحلة الصَّغيرة**،
– من زوجته الرَّابعة، **(الليدي أليسا)** سليلة عائلة بلاكوود:
– **لوثار**، ابنهما الأكبر، لقبه **لوثار الكسيح**، زوج ليونلا ليفورد،
– ابنة لوثار، **تايسين**، فتاة في السَّابعة،
– ابنة لوثار، **والدا**، فتاة في الرَّابعة،
– ابنة لوثار، **إمبريلي**، فتاة في الثَّانية،
– **السير چاموس**، زوج سالي پايج،
– ابن چاموس، لقبه **والدر الكبير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
– ابنا چاموس التَّوأم، **ديكون وماثوس**، في الخامسة،
– **السير والن**، زوج سيلوا پايچ،
– ابن والن، **هوستر**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير ديمون پايچ،
– ابنة والن، **ماريان**، تُسَمَّى **مِري**، فتاة في الحادية عشرة،
– **الليدي موريا**، زوجة السير فليمنت براكس،
– ابن موريا، **روبرت براكس**، في التَّاسعة، ينشأ كخادم في كاسترلي روك،

– ابن موريا، **والدر براكس**، صبي في السَّادسة،
– ابن موريا، **چون براكس**، صبي في الثَّالثة،
– **تايتا**، لقبها **تايتا العذراء**، في التَّاسعة والعشرين،
– من زوجته الخامسة، **(الليدي ساريا)** سليلة عائلة وِنت:
– لا أولاد،
– من زوجته السَّادسة، **(الليدي بثاني)** سليلة عائلة روزبي:
– **السير پروين**، ابنهما الأكبر،
– **السير بنفري**، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
– ابنة بنفري، **دِلا**، لقبها **دِلا الصمَّاء**، في الثَّالثة،
– ابن بنفري، **أوزموند**، صبي في الثَّانية،
– **المِايستر ويلامن**، يخدم في قلعة «القوس الطَّويل»،
– **أوليڤار**، مُرافِق في خدمة روب ستارك،
– **روزلين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
– من زوجته السَّابعة، **(الليدي أنارا)** سليلة عائلة فارنج:
– **أروين**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
– **وندل**، ابنهما الأكبر، صبي في الثَّالثة عشرة، ينشأ في سيجارد كخادم،
– **كولمار**، موعود بالخدمة في «العقيدة»، في السَّابعة،
– **والتير**، يُسَمَّى **تير**، صبي في العاشرة،
– **إلمار**، خطيب آريا ستارك، صبي في التَّاسعة،
– **شيري**، فتاة في السَّادسة،
– من زوجته الثَّامنة، **(الليدي چويئيوس)** سليلة عائلة إرينفورد:
– لا أولاد بعدُ،
– أولاد اللورد والدر غير الشَّرعيِّين من أمَّهاتٍ مختلفات:
– **والدر ريڤرز**، لقبه **والدر النَّغل**،
– ابن والدر النَّغل، **السير إيمون ريڤرز**،
– ابنة والدر النَّغل، **والدا ريڤرز**،
– **المِايستر ملويس**، يخدم في روزبي،
– **چين ريڤرز، مارتن ريڤرز، رايجر ريڤرز، رونل ريڤرز، ميلارا ريڤرز**، آخَرون.

عائلة جرايچوي

سبقَ أن قادَ بالون جرايچوي سيِّد جُزر الحديد تمرُّدًا على العرش الحديدي، أخمدَه روبرت باراثيون وإدارد ستارك، وعلى الرغم من أن ابنه ثيون -الذي نشأ في وينترفل- واحد من مناصري روب ستارك وأقرب رفاقه، فإن اللورد بالون لم ينضمَّ إلى الشَّماليِّين حين زحفوا جَنوبًا إلى أراضي النَّهر.

راية آل جرايچوي عبارة عن كراكن ذهبي على خلفيَّةٍ سوداء، وكلماتهم: »نحن لا نزرع«.

بالون جرايچوي، سيِّد جُزر الحديد، ملك الملح والصَّخر، ابن رياح البحر، سيِّد حصاد پايك، رُبَّان «الكراكن العظيم»،

– زوجته، **الليدي ألانيس** سليلة عائلة هارلو،

– أبناؤهما:

– (**رودريك**)، ابنهما الأكبر، قُتِلَ في سيجارد خلال تمرُّد جرايچوي،

– (**مارون**)، ابنهما الثَّاني، قُتِلَ على أسوار پايك خلال تمرُّد جرايچوي،

– **آشا**، ابنتهما، رُبَّان«الرِّيح السَّوداء»،

– **ثيون**، ربيب إدارد ستارك في وينترفل،

– إخوته:

– **يورون**، لقبه **عين الغُراب**، رُبَّان «الصَّمت»، خارج على القانون، قرصان، مغير،

– **ڤيكتاريون**، قائد الأسطول الحديدي، رُبَّان «النَّصر الحديدي»،

– **آرون**، لقبه **ذو الشَّعر الرَّطب**، من رهبان الإله الغريق،

- أهل بيته في پايك:
- **داجمر**، لقبه ذو **الفَكِّ المفلوق**، قيِّم السِّلاح، رُبَّان «ثُمالة البحر»،
- **المِايستر ويندامير**، معالِج ومستشار،
- **هيليا**، راعية القلعة،
- أهل لوردزپورت:
- **سيجرين**، سفَّان،
- اللوردات حمَلة رايته:
- **اللورد بوتلي**، من لوردزپورت،
- **اللورد وينش**، من غابة الحديد،
- **اللورد هارلو**، من هارلو،
- **ستونهاوس**، من ويك القديمة،
- **دروم**، من ويك القديمة،
- **جودبراذر**، من ويك القديمة،
- **جودبراذر**، من ويك الكُبرى،
- **اللورد مرلين**، من ويك الكُبرى،
- **سپار**، من ويك الكُبرى،
- **اللورد بلاكتايد**، من بلاكتايد،
- **اللورد سولتكليف**، من سولتكليف،
- **اللورد ساندرلي**، من سولتكليف.

عائلة لانستر

يبقى آل لانستر أبناء كاسترلي روك أقوى المؤيِّدين لدعوى الملك چوفري للعرش الحديدي.

راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

تايوين لانستر، سيِّد كاسترلي روك، حاكِم الغَرب، حامي لانسپورت، يقود جيش لانستر في هارنهال،

– زوجته، (**الليدي چوانا**)، ابنة عمِّه، ماتَت أثناء الوضع،

– أبناؤهما:

– **السير چايمي**، لقبه قاتِل المَلك، وريث كاسترلي روك، توأم سرسي،

– **المَلكة سرسي**، زوجة المَلك روبرت الأول، توأم چايمي،

– **تيريون**، لقبه العفريت، قزم،

– إخوته:

– **السير كيڤان**، أخوه الأكبر،

– زوجته، **دورنا** سليلة عائلة سويفت،

– ابنهما الأكبر، **لانسل**، مُرافِق المَلك،

– ابناهما التَّوأم، **ويلم وهاروين**،

– ابنتهما الصَّغيرة، **چاني**،

– **چِنا**، أخته، متزوِّجة من السير إمون فراي،

– ابنهما، **السير كليوس فراي**،

- ابنهما، **تيون فراي**، مُرافِق فارس،
- (**السير تايجت**)، أخوه الثَّاني، ماتَ بداء الزُّهري،
- أرملته، **دارليسا**، سليلة عائلة ماربراند،
- ابنهما، **تايرك**، مُرافِق المَلك،
- (**جريون**)، أخوه الأصغر، فُقِدَ في البَحر،
- ابنته غير الشَّرعيَّة، **چوي**، فتاة في العاشرة من العُمر،
- ابن عمِّهم، السير **ستافورد لانستر**، أخو الليدي الرَّاحلة چوانا،
- ابنتاه، **سيرينا وماربيل**،
- ابنه، **السير داڤن لانستر**،
- أهم فُرسانه ولورداته حمَلة رايته:
- **اللورد ليو ليفورد**،
- **السير أدام ماربراند**،
- **السير جريجور كليجاين**، لقبه الجبل راكب الخيول،
- **بوليڤر، تشيزويك، راف المعسول، دانسن، المُدغدِغ**، جنود في خدمته،
- **السير هاريس سويفت**، أب بحُكم الزَّواج للسير كيڤان،
- **اللورد أندرون براكس**،
- **السير فورلي پرستر**،
- **السير آموري لورك**،
- **ڤارجو هوت**، من مدينة كوهور الحُرَّة، مُرتَزِق،
- مستشاره: **المِايستر كرايلن**.

عائلة تايرل

أعلنَ اللورد تايرل سيِّد هايجاردن دعمه الملك رنلي بَعد زواج رنلي بابنته مارچري، وضَمَّ معظم حمَلة رايته الأساسيِّين إلى دعوى رنلي.

راية آل تايرل عبارة عن وردةٍ ذهبيَّةٍ على خلفيَّةٍ بلونٍ أخضرَ كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوَّة».

مايس تايرل، سيِّد هايجاردن، حاكِم الجَنوب، حافِظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

– زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،
– أبناؤهما:
  – **ويلاس**، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،
  – **السير جارلان**، لقبه الشَّهم، الابن الثَّاني،
  – **السير لوراس**، فارس الزُّهور، الابن الأصغر،
  – **مارچري**، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشرة من العُمر،
– **أمُّه الأرملة، الليدي أولينا**، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلكة الأشواك،
– أختاه:
  – **مينا**، تزوَّجت من اللورد پاكستر ردواين،
  – **چانا**، تزوَّجت من السير چون فوسواي،
– أعمامه:
  – **جارث**، لقبه الفَج، وكيل هايجاردن،
    – ابناه غير الشَّرعيَّين، **جارس وجارت فلاورز**،

- **السير مورين**، قائد حَرس البلدة القديمة،
- **المِايستر جورمون**، دارس في القلعة في البلدة القديمة،
- أهل بيته:
- **المِايستر لوميس**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- **إيجون ڤيرويل**، قائد الحَرس،
- **السير ڤورتيمر كران**، قيِّم السِّلاح،
- فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
- **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
- زوجته، **الليدي مينا**، سليلة عائلة تايرل،
- أبناؤهما:
- السير هوراس، لقبه السَّاخر هورور، توأم هوبر،
- السير هوبر، لقبه السَّاخر سلوبر، توأم هوراس،
- دسميرا، فتاة في الخامسة عشرة من العُمر،
- **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،
- **ساموِيل**، ابنه الأكبر، من رجال حَرس اللَّيل،
- **ديكون**، ابنه الأصغر، وريث هورن هيل،
- **أروين أوكهارت**، سيِّدة السَّنديانة القديمة،
- **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
- **ليتون هايتاور**، من ألقابه صوت البلدة القديمة وسيِّد المرفأ،
- **السير چون فوسواي**.

أبرز العائلات المقسِمة على الولاء لهايجاردن هي: ڤيرويل، فلورنت، أوكهارت، هايتاور، كران، تارلي، ردواين، فوسواي، روان، مالندور.

عائلة مارتل

كانت دورن آخِر الممالك السَّبع التي أقسمَت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيِّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعَت حرب الخلافة، لاذ أمير دورن بالصَّمت ولم يأخذ صَفَّ أحدٍ من المتصارعين.

دوران نايميروس مارتل، سيِّد صنسپير، أمير دورن،
– زوجته، **ميلاريو**، من مدينة نورڤوس الحُرَّة،
– أبناؤهما:
– **الأميرة آريان**، ابنتهما الكُبرى، وريثة صنسپير،
– **الأمير كوينتن**، ابنهما الأكبر،
– **الأمير تريستان**، ابنهما الأصغر،
– إخوته:
– أخته، (**الأميرة إليا**)، تزوَّجت من الأمير ريجار تارجاريَن، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
– طفلاهما:
– (**الأميرة رينس**)، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،
– (**الأمير إجون**)، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،
– أخوه، **الأمير أوبرين**، لقبه الأفعوان الأحمر،
– أهل بيته:
– **آريو هوتا**، مُرتَزق نورڤوشي، قائد الحَرس،
– **المِايستر كاليوت**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
– فُرسانه واللوردات حمَلة رايته:
– **إدريك داين**، سيِّد ستارفول،

أبرز العائلات المقسِمة على الولاء لصنسپير هي: چورداين، سانتاجار، أليريون، تولاند، يرونوود، ويل، فاولر، داين.

رجال حَرس اللَّيل

يحمي حَرس اللَّيل البلاد، وقد أقسَموا على ألَّا يكون لهم دور في الحروب الأهليَّة والصِّراع على العرش، ومن عادتهم في أوقات التمرُّد أن يُكَرِّموا كلَّ الملوك لكن لا يُطيعوا أحدًا منهم.

في القلعة السَّوداء

چيور مورمونت، قائد حَرس اللَّيل، لقبه الدُّب العجوز،

– وكيله ومُرافِقه، **چون سنو**، نغل وينترفل، لقبه **اللورد سنو**،

– ذئب چون الرَّهيب الأبيض، **جوست**،

– **المِايستر إيمون (تارجارين)**، مستشار ومعالِج،

– **سامويل تارلي وكلايدس**، وكيلاه،

– **بنچن ستارك**، جوَّال أول، مفقود وراء «الجِدار»،

– **ثورين سمولوود**، قائد جوَّالة،

– **چارمن بكويل**، قائد جوَّالة،

– **السير أوتين ويذرز**، **السير ألاديل وينش**، **جرِن**، **بايبر**، **ماثار**، **إلرون**، **لارك رجل الأخوات**، جوَّالة،

– **أوثيل يارويك**، قيِّم البنَّائين،

– **هالدر**، جماعة البنَّائين،

– **باون مارش**، قيِّم الوكلاء،

– **تشِت**، وكيل وراعي الكلاب،

– **إديسون توليت**، لقبه **إد الكئيب**، مُرافِق،

- **السِّپتون سالادار**، رجل دين سكِّير،
- **السير إندرو تارث**، قيِّم السِّلاح،
- إخوان القلعة السَّوداء:
  - **دونل نوي**، حدَّاد وصانع سلاح، ذو ذراعٍ واحدة،
  - **هوب ذو الثَّلاثة أصابع**، طاهٍ،
  - **چيرن، راست، كوجن**، جُنود جُدد ما زالوا في مرحلة التَّدريب،
  - **كونواي، جورن**، «غُرابان متجوِّلان»، مجنِّدان يجمعان الأيتام والمجرمين للخدمة على «الجِدار»،
- **يورن**، كبير «الغِربان المتجوِّلين»،
  - **پرايد، كتچاك، ووث، رايزن، كايل**، مجنَّدون في الطَّريق إلى «الجِدار»،
  - **كوس، جيرن، دوبر، كورز، العضَّاض، رورچ، چاكن هاجار**، مجرمون في الطَّريق إلى «الجِدار»،
  - **لومي أخضر اليد، جندري، تاربر، هوت پاي، آري**، صِبية أيتام في الطَّريق إلى «الجِدار».

في القلعة الشَّرقيَّة على البحر

كوتر پايك، قائد القلعة،
- **السير أليسر ثورن**، قيِّم السِّلاح،
- إخوان القلعة الشَّرقيَّة:
  - **داريون**، وكيل ومغنٍّ.

في بُرج الظِّلال

السير دينس ماليستر، قائد القلعة،
- **كورين**، لقبه **ذو النِّصف يد**، قائد جوَّالة،
- **دالبريدچ**، مُرافِق مُسِن وقائد جوَّالة،
- **إبِن، ثُعبان الحجر**، جوَّالان.

شُكر وتقدير

المزيد من التَّفاصيل، والمزيد من الشَّياطين.

هذه المرَّة يتضمَّن الملائكة الذين ساعَدوني على التخلُّص من الشَّياطين كلًّا من والتر چون ويليامز، ساج ووكر، ميليندا سنودجراس، وكارل كايم.

الشُّكر أيضًا لناشريَّ ومحرِّريَّ الصَّبورين، آن جرول، نيتا تاوبليب، چوي تشامبرلين، چاين چونسون، ومالكوم إدواردز.

وأخيرًا، أرفعُ الخوذة تحيَّةً لپاريس على قهوتها السِّحريَّة، الوقود الذي شيَّد الممالك السَّبع.



المؤلِّف جورج ر. ر. مارتن

يحمل صورة النسخة العربية من لعبة العروش
وهي صورة قدمها هدية لقرائه باللغة العربية

عشر سنوات قضاها جورج ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التليفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «Beauty and the Beast» و«The Twilight Zone»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعًا برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدمها لهم للإنتاج في التليفزيون أو السينما -بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلف مبالغ كبيرة جدًّا لا قِبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من القيود التي تفرضها التكاليف على الإنتاج، ومن ثم قدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًّا على المستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصفحة المطبوعة أن يحكي كل ما يريده من قصص بكل التفاصيل التي تتفتق عنها مخيلته النشطة. هكذا اتخذ مارتن القرار بأن يترك العمل في هوليوود ويعود إلى تأليف الكتب وتقديم أفكاره كلها فيها، حيث لا توجد

عقبات إنتاجية أو مالية تعوقه عن بناء العوالم الضخمة التي يتخيلها وتقديمها بأدق وأصغر تفاصيلها.

وُلد مارتن في سبتمبر 1948 في ولاية نيو جرسي لأب من أصول إيطالية يعمل في تفريغ وتحميل البضائع على السفن وأم من أصول أيرلندية، وفي عائلة تملك جذورًا إنجليزية وألمانية وفرنسية، وهو ما يفسر شغفه الشديد بالتاريخ الأوروبي، خصوصًا حقبة العصور الوسطى التي استلهم منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخص في الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السفن التي تتوافد على ميناء نيوآرك من جميع أنحاء العالم من نافذة غرفته الصغيرة، واضعًا قائمة بأعلام الدول التي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هذا ما شجعه على القراءة بنهم شديد على سبيل زيارة تلك الدول في خياله، قبل أن يتجه إلى الكتابة في سن صغيرة، حيث بدأ يبيع القصص التي يكتبها لأطفال الحي مقابل بنس للقصة، وأحيانًا ما كان يقرأ عليهم هذه القصص كذلك.

ظل مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانوية أضاف قصص الكومكس إلى هواياته، حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت مجلة «Galaxy» منه واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عمل احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي ليحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية كان من النشطاء المعارضين لحرب فيتنام.

عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنية ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll» كأفضل مجموعة قصصية لهذا العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى بعنوان «موت الضياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وتُرجمت إلى تسع لغات.

مع حلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر

مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النجوم والظلال» و«التنين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصد المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى أنه قال إنه «دمر مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين». لكن سرعان ما تعافى مارتن من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنية الجليد والنار» والكتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه لهوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنية الجليد والنار» تمامًا لو كان قدمها للاستوديوهات الكبيرة لتحولها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلًا من شبكة «HBO» التي حولتها إلى مسلسل «Game of Thrones»، والذي يعمل عليه كمشرف ومنتج تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمه الرابع، ويعيش حاليًا في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية باريس متفرغًا لكتابة الجزئين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحر من الجمر.



المترجم هشام فهمي

درس الأدب الإنجليزي والترجمة في جامعة الإسكندرية، وعمل مترجمًا وكاتبًا في عدد من الصحف والمجلات، وترجم عددًا من الأعمال لكتاب عالميين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «1408» لستيڤن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك ﭘولانك، «المحيط في نهاية الدَّرب» لنيل جايمان.

شُكر من المترجم

تظلُّ قائمة الأصدقاء الذين وجَّهت لهم الشُّكر في الكتاب الأول كما هي، وأودُّ أن أضيف إليها كلًّا من أحمد ندا ومحمد عبد القهَّار.

وشُكر خاص جدًّا للصَّديقة والزَّميلة ندى **الأبحر** على قيامها بترجمة الأغاني في هذا الكتاب.

سلسلة چورج ر. ر. مارتن الملحميَّة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في

لعبة العروش

وتُستكمَل في

صِدام الملوك

عاصفة السيوف

وليمة للغربان

رقصة مع التنانين

رياح الشتاء

حُلم بالربيع

الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتَّع بخيال واحد في المليون، والمسلسل المأخوذ عن سلسلته رائع، لكن الكُتب أفضل بكثير». **ستيفن كينج**

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هوميروس وسوفوكليس وشكسپير تدوم عصورًا». **الجارديان**

«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحميَّة في العصر الحالي، ولا مبالغة في وصفه بأنه تولكين الأمريكي». **تايم**

«موهبة مارتن في الحكي تكاد تكون خارقة للطبيعة». **نيويورك تايمز**

في «صِدام الملوك» يواصل چورچ ر. ر. مارتن أحداث تحفته الفنيَّة الأصيلة، التي تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، بالإضافة إلى مجموعةٍ كبيرة من الشخصيات الأساسيَّة والفرعيَّة المثيرة لاهتمام وتفاعُل القارئ، ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون أجزاء ملحمة «أغنية الجليد والنار» بمنتهى الشغف.

من حيث انتهَت أحداث الكتاب الأول مباشرةً تبدأ أحداث الكتاب الثاني هذا. فبينما يشقُّ السماء مذنَّب بلون الدم واللهب، تضرب ويلات الحرب البلاد إذ يتصارع خمسة ملوك على عرش الممالك السبع الحديدي، في صِدام عنيف تظلُّ فيه عجلة الدسائس والمؤامرات والخيانة والسحر الأسود دائرةً بلا انقطاع، لتسلب الآلاف من الأبرياء والمذنبين أرواحهم على حد سواء. فيما يبدأ الخطر القادم من الشمال في الإفصاح عن وجهه، وتواصل الملكة المنفية إلى بلادٍ أخرى سعيها إلى استعادة عرش أبيها. في هذه الحرب تولد التحالفات وتموت في غمضة عين وتسيل الدماء، فحين يتصادم الملوك تنزف البلاد بأكملها.

ISBN 978-977-6483-92-7

9 789776 483927

التنوير للطباعة والنشر والتوزيع

تونس - بيروت - القاهرة